تهذيب القـــول المفيد

بشرح كتاب التوحيد

شرح العلامة

محمـــد بن صـــالح العثيـــمين

ت١٤٢١هـ رحمه الله

هذّبه وعلّق عليه

الشيخ /صالح بن عبد الله العصيمي

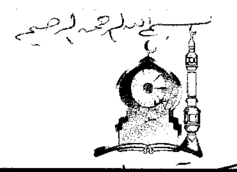
إخراج / مكتبة الشيخ ابن عثيمين الخيرية

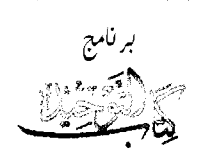
بمسجد خديجة بنت خويلد بحي السليمانية

بعفيف ١٤٢٦هـ









تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي

الدرس الأول

* لَم يُذْكَرْ في النُّسخِ التي بأيدينا خطبةٌ للكتاب فإمَّا أنْ تكونَ قدْ سقَطَتْ من النُّسَّاخ، وإما أنْ يكونَ المؤلِّفُ قد اكْتَفَى بالترجمةِ؛ لأنَّها عُنْوَانٌ على موضوعِ الكتاب، وهوَ التَّوْحيدُ.

والكتابُ بمعنى مكتوبٍ وهو (المجموع) منْ قولِهم: كَتيبةٌ، وهيَ المجموعةُ مِنَ الخيلِ.

أما التوحيدُ فهوَ **في اللغةِ:** مصدرُ وَحَّدَ الشيءَ إذا جعَلَهُ واحدًا.

وفي الشرع: إفرادُ اللهِ – سبحانَه – بما يَختَصُّ به مِنَ الرُّبوبيَّةِ والأُلُوهيَّةِ، والأسماءِ والصِّفاتِ.

واللفظ الدال على ما يختص به في لسان الشرع هو الحق كما سيأتي في حديث **معاذ** رضي الله عنه.

فالصحيح أن يقال في تعريف **التوحيد شرعاً:** هو إفراد الله بحقوقه، ومن هنا سمى **المصنف** -رحمه الله- كتابه: (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد).

وحقوق الله عز وجل ثلاثة:

- حق ربوبية.
- وحق ألوهية.
- وحق أسماء وصفات، وبرعايتها تميز تقسيم التوحيد. ا.هـ

فهو ينقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

الأول: توحيدُ الربُوبيَّة.

الثاني: توحيدُ الأُلوهيَّة.

الثالث: توحيدُ الأسماءِ والصفات.

وقد اجْتَمَعت هذه الأقسام الثلاثة في قوله تعالَى: **{رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}**.

فأما القسمُ الأولُ وهو: توحيدُ الرُّبوبيَّة:

فهو إفرادُ اللهِ – عَزَّ وجلَّ – بالخلْقِ، والْمُلْك، والتَّدبير.

- **وإفرادُهُ بالخَلْق:** هو أنْ يَعْتَقدَ الإنسانُ أنَّهُ لا خالقَ إلاَّ الله، قالَ تعالَى: **{أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ}** فهذه الجملةُ تفيدُ الحصرَ، لتقديمِ الخبرِ؛ إذ إنَّ تقديمَ ما حقُّهُ التأخيرُ يُفيدُ الحصرَ.

- وقالَ تعالَى: **{هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}** وهذه الآيَةُ أيضاً تُفيدُ

المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

اختصَاصَ الخَلقِ بِاللهِ؛ لأنَّ الاستفهامَ فيها مُشْرَبٌ معنى التَّحدِّي.

أمَّا ما ورَدَ منْ إثباتِ خالِقٍ غيرِ الله كقولِه تعالَى: **{فَتَبَارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخَالِقِينَ}**.

وكقولِه صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ في المُصوِّرين أنه يقالُ لهم: «**أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»؛ **فهذا لَيس خلقًا حقيقةً،** ولا إيجادًا بعدَ عَدَم، بلْ هوَ تحويلٌ للشيءِ مِنْ حالٍ إلى حال، وأيضًا ليسَ شاملاً، بلْ هو محصورٌ بدائرة ضيقة فيما يتمكَّنُ الإنسانُ منهُ، فلا يُنافي قولَنا: إفرادُ اللهِ بالخلقِ.

– **وأما إفرادُ الله بالْمُلْك**: فهو أنْ نعتقدَ أنَّهُ لا يَملكُ الخلقَ إلاَّ خالقُهم، كما قال تعالَى: **{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}** وقال تعالَى: **{قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ}**.

– **وأما ما ورَدَ منْ إثباتِ الملكيَّة لغيرِ الله** كقوله تعالَى: **{إلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ}**، وقال تعالَى: **{أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ}** **فهُوَ مُلْكٌ** مَحدودٌ لا يَشْمَلُ إلاَّ شيئًا يَسيرًا مِنْ هذهِ المخلوقات، فالإنسانُ يَملكُ ما تَحتَ يَده، ولا يَمْلكُ ما تَحتَ يد غيره، وكذا هُو مُلكٌ قاصرٌ مِنْ حيثُ الوصفُ، فالإنسانُ لا يَمْلكُ ما عندَه تمامَ المُلْك، ولهذا لا يَتَصرَّفُ فيه إلاَّ عَلَى حَسَبِ ما أُذنَ لهُ فيه شَرْعًا؛ فلوْ أرادَ أنْ يُحْرِقَ مالَه، أوْ يُعذِّبَ حَيوانَه، قُلنا: لا يجوزُ، أمَّا اللهُ فَهو يَملكُ ذلكَ كُلَّه مُلكًا عَامًّا شاملاً.

– **وأمَّا إفرادُ الله بالتدبير**: فهُو أنْ يعتقدَ الإنسانُ أنَّهُ لا مُدَبِّرَ إلاَّ اللهُ وحدَه، كما قال تعالَى: **{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ...}** إلى قوله: **{فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}**

– **وأمَّا تدبيرُ الإنسانِ فمحصورٌ بما تحتَ يدِه**، ولا يتصرف إلا بما أُذن لَه فيه شَرْعًا.

وهذه الأمور الثلاثة:

– الخلق.

– والملك.

– والتدبير.

هي أصول توحيد الربوبية وإليها ترجع أفراد الأفعال الإلهية، فمن قال في تعريف توحيد الربوبية: **هو إفراد الله بأفعاله** فقد جمع مع الوجازة الإصابة. ا.هـ

وهَذا القِسمُ مِنَ التوحيدِ لَم يُعَارِضْ فيه المشركون الذينَ بُعثَ فيهم الرسولُ –صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّمَ– بلْ كانوا مُقرِّين بِه، قال تعالَى: **{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ}**.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص. ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

فهُم يُقرُّون بأنَّ اللهَ هُو الذي يُدبِّرُ الأمرَ، وهُو الذي بيدِه ملكوتُ السماواتِ والأرضِ.

ولَم يُنكرْهُ أَحَدٌ معلومٌ منْ بني آدمَ، فَما قال أحَدٌ منَ المخْلوقينَ: إنَّ للعالَمِ خالِقَينِ متساوِيَيْن، ولا جحد أَحدٌ توحيدَ الربوبيَّة لا عَلى سبيلِ التَّعطيلِ، ولا عَلَى سبيلِ التَّشريك، إلاَّ:

أ- ما حَصَل منْ فِرعَوْنَ: فإنَّه أنكرَه على سبيلِ التعطيلِ مُكابرةً، فإنه عطَّل اللهَ منْ ربوبيته، وأنكَر وجودَه، قالَ تعالَى حكايَةً عنه: {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}، {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي} وهَذا مُكابرةٌ منهُ؛ لأنهُ يَعْلَمُ أنَّ الرَّبَّ غيرُهُ، كما قال اللهُ تعالَى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}.

– وقالَ تعالَى حكايَةً عَنْ مُوسى وَهو يُنَاظِرُهُ: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}، فَهو في نفسه مُقرٌّ بأنَّ الرَّبَّ هُو اللهُ عزَّ وجلَّ.

ب- وإلا ما حصلَ من المجوسِ: فإنهم أنكروا توحيدَ الربوبيَّة على سبيلِ التَّشريك حيثُ قالوا: إنَّ للعالَمِ خالقَينِ هُما الظُّلْمَةُ والنُّورُ، ومَع ذلكَ لَمْ يَجْعَلُوا هَذين الخالقَين مُتساويين، فَهم يقولونَ: إنَّ النُّورَ خيرٌ مِنَ الظُّلْمَة؛ لأنَّهُ يَخْلُقُ الخيرَ، والظُّلمةَ تَخْلُقُ الشَّرَّ، والذي يَخْلُقُ الخيرَ خيرٌ منَ الذي يَخْلُقُ الشَّرَّ.

وأيضًا: فإنَّ الظُّلمةَ عدَمٌ لا يُضيءُ، والنُّورَ وجودٌ يُضيءُ، فهُو أكْمَلُ في ذاته، ويقولونَ -أيضًا- بفرقٍ ثالث، وهوَ: أنَّ النورَ قديمٌ على اصطلاحِ الفلاسفة.

واختلَفوا في الظُّلمَة هَل هيَ قديمةٌ، أوْ مُحْدَثَةٌ؟

على قولين:

– ودلالةُ العقلِ علَى أنَّ الخالقَ للعالَمِ واحدٌ ظاهرة جليلة، ذكرها الله عز وجل في كتابه فقال:

{مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ}.

– إذْ لَو أَثْبَتْنا أن للعالَمِ خالقَين لكانَ كلُّ خالقٍ يريدُ أنْ ينفردَ بما خلَق، ويَسْتَقلَّ به كعادة الملوك؛ إذْ لا يَرْضَى أنْ يُشاركَهُ أحَدٌ، وإذا استقلَّ به فإنَّه يريدُ – أيضًا – أنْ يكونَ السلطانُ لَه لا يُشاركُهُ فيه أحدٌ، وحينئذ إذا أراد السلطانَ غيره فإما أنْ يَعْجزَ كُلُّ واحد منهما عَن الآخرِ، أوْ يُسَيْطرَ أحدُهُما على الآخرِ، فإن سَيْطَرَ أحدُهما على الآخرِ ثَبَتَت له الربوبيَّةُ دون الآخرِ، وإنْ عَجَز كلٌّ منهما عن الآخرِ زالَت الربوبيَّةُ عنهُما جَميعًا؛ لأنَّ العاجزَ لا يَصلُحُ أنْ يكونَ ربًّا.

أما القسمُ الثاني فهو: توحيدُ الأُلوهيَّة.

ويقالُ لهُ: توحيدُ العبادة أيضاً، فباعتبارِ إضافته إلى اللهِ يُسَمَّى: توحيدَ الألوهيَّة، وباعتبارِ إضافته إلى الخلْق يُسَمَّى توحيدَ العبَادة.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٣٨٠٧٣٠

وحقيقته: إفرادُ اللهِ – عزَّ وجلَّ – بالعبادةِ، فالْمُستَحِقُّ للعبادةِ هُو اللهُ، قالَ تعالَى: **{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ}**.

قال الشيخ **عبد الله أبا بطين** رحمه الله كما في (الدرر السنيَّة) (١/٢٩١): (**توحيد العبادة هو**: إفراد الله سبحانه بأنواع العبادة، **وهو نفس العبادة المطلوبة شرعاً، ليس أحدهما دون الآخر**).

– ولهذا قال ابن عباس: (**كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه: التوحيد**).

وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون.

– **وأما العبادة من حيث هي**؛ فهي أعم من كونها توحيداً عموماً مطلقاً، فكل موحد عابد لله، وليس كل من عبد الله يكون موحداً.

ولذا يقال عن المشرك: إنه يعبد الله؛ مع كونه مشركاً، كما قال **الخليل**: **{أفرأيتم ما كنتم تعبدون (٧٥) أنتم وآباؤكم الأقدمون (٧٦) فإنهم عدو لي إلا رب العالمين}** [الشعراء:٧٥-٧٧] فاستثنى الخليل ربه من معبوداتهم، فدل على أنهم يعبدون الله).

والعبادة في لسان العرب: الخضوع والذل، ومنه قول **طرفة** في معلقته:

إلى أن تحامتني العشيرة كلها ... وأفردت إفراد البعير المعبد

وتُطلَقُ في الشرعِ علَى شيْئَيْن:

الأولُ: التعبُّدُ بمعنى التذلُّلِ للهِ -عَزَّ وجلَّ- بفعلِ أوامرِهِ، واجْتنابِ نواهيهِ، مَحَبَّةً وتعظيمًا.

الثاني: المُتَعَبَّدُ به، ومعناها -كما قال شيخُ الإسلامِ **ابنُ تيميَّةَ** رحمه اللهُ-: (**اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبُّهُ اللهُ ويَرْضَاهُ، منَ الأقوالِ، والأعمالِ الظاهرةِ، والباطنةِ**).

مثالُ ذلكَ: الصلاةُ، ففعلُها عبادةٌ، وهوَ التعبُّدُ، ونَفسُ الصلاة عبادةٌ، وهُو المُتَعَبَّدُ به.

فإفرادُ اللهِ بهذا التوحيد حقيقة هو: أنْ تكونَ عبدًا للهِ وحدَه تُفْرِدُهُ بالتذلُّلِ محبةً وتعظيمًا، وتَعْبُدُهُ بما شرَع:

– قالَ تعالَى: **{لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولاً}**.

– وقال تعالَى: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** فَوصْفُهُ -سُبحانَه- بأنَّهُ ربُّ العالَمين كالتعليلِ لثُبوتِ الألوهيَّةِ لهُ، فهوَ الإلهُ؛ لأنّه ربُّ العَالمين.

– وقال تعالَى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}**، فالمنفردُ بالخلق هوَ المستحقُّ للعبادة؛ إذْ من السَّفَه أنْ تَجْعَلَ المخلوقَ الحادثَ الآيلَ للفناء إلهًا تَعْبُدُهُ، فَهو في الحقيقة لَن يَنْفعَكَ لا

E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

بإيجاد ولا بإعداد ولا بإمداد، فمنَ السَّفَه أنْ تأتيَ إلى قَبْر إنسان صارَ رَميمًا تدعوهُ وتَعْبُدُهُ، وهوَ بحاجة إلى دعائكَ، وأنتَ لستَ بحاجة إلى أنْ تدعُوَه، فهُوَ لا يَمْلكُ لنفسه نَفعًا ولا ضَرًّا فكيفَ يَمْلكُهُ لغيره؟

وهذا القسمُ كَفَرَ به وجَحَدَه أكثرُ الخَلْقِ، ومنْ أجلِ ذلكَ أرسلَ اللهُ الرسلَ، وأنزلَ عليهم الكتُبَ، قالَ اللهُ تعالَى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ}**.

– **ومَعَ هذا فأتْباعُ الرُّسُلِ قلةٌ** قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «**رأيتُ النَّبيَّ ومعهُ الرَّهْطُ، والنبيَّ ومَعَهُ الرَّجُلُ والرَّجُلانِ، والنَّبيَّ وليْسَ معَه أحَدٌ**».

ومِنَ العجَب أنَّ أكثرَ المُصَنِّفين في علمِ التَّوحيدِ منَ المتأخِّرين تعظم عنايتهم بتوحيدِ الربوبيَّة، وكأنَّما يُخاطبون أقوامًا يُنْكِرون وجودَ الرَّبِّ -وإنْ كانَ يوجدُ مَنْ يُنكرُ الربَّ- لكنَّ أكثرَ المسلمينَ واقعون في شرْكِ العبادة.

ولهذا ينبغي أنْ يعتنى بهذا النوعِ منَ التوحيدِ، حتى نُخْرِجَ إليه هؤلاء المسلمين الذينَ يقولون بأنَّهم مسلمونَ، وهُم مُشركون ولا يَعْلَمُون.

قال شيخ الإسلام **محمد بن عبد الوهاب** رحمه الله كما في (الدرر السنية) (٢/١٢٥): **(توحيد الربوبية أقر به الكافر والمسلم.**

– **أمّا توحيد الألوهيّة فهو الفارق بين الكفر والإسلام، فينبغي لكل مسلم أن يميز بين هذا وهذا؛ لأنّ قولك: لا يخلق ولا يرزق إلا الله؛ لا يصيرك مسلماً، حتّى تقول لا إله إلا الله، مع العمل بمعناها؛ فهذه الأسماء؛ كل واحد منها له معنى يخصه)**

أما القسمُ الثالثُ فهو: توحيدُ الأسماءِ والصِّفات.

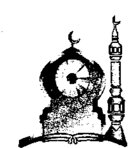
وهُو إفرادُ الله – عَزَّ وجلَّ – بِمَا لَهُ من الأسماءِ والصِّفات، وَهذا يَتَضَمَّنُ شيئين:

الأولُ: الإثباتُ، وذلكَ بأنْ تُثْبِتَ للهِ عزَّ وجلَّ جميعَ أسمائِهِ وصفاتِهِ التي أثْبَتَها لنفسِهِ في كتابهِ أوْ سنَّةِ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم.

الثاني: نَفْيُ المماثلة، وذلكَ بأنْ لا نَجْعَلَ للهِ مَثيلاً في أسمائِهِ وصفاتِه، كما قال تعالَى: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**.

فدلَّت هذهِ الآيَةُ على أنَّ جميعَ صفاته لا يُماثلُهُ فيها أحدٌ منَ المخلوقينَ، فهيَ وإن اشتركتْ في أصلِ المعنى، لكنْ تَخْتَلفُ في حقيقةِ الحالِ، فمَنْ لم يُثْبِتْ ما أثْبَتَه اللهُ لنفسه فهوَ مُعَطِّلٌ، وتعطيلُهُ هذا يُشْبِهُ تعطيلَ **فرعونَ**.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





ووجهُ الاستشهادِ بهذه الآيةِ لكتابِ التوحيدِ: أنَّها دالَّةٌ على إجماعِ الرسلِ -عليهمُ الصلاةُ والسلامُ- على الدعوةِ إلى التوحيدِ، وأنَّهُم أُرْسِلوا بهِ لقولِهِ تعالَى: {أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}.

ومَنْ أثْبتَها مَع التشبيهِ صارَ مُشابِهًا للمشركين الذينَ عَبَدوا مَع اللهِ غيرَه، ومَنْ أثبتَها بدونِ مُماثلةٍ صارَ مِنَ الموحِّدين.

وهذا القسْمُ مِنَ التوحيدِ ضَلَّتْ فيه طوائف من بعضِ الأُمة الإسلاميَّة، وانقسَموا إلى فِرَقٍ كثيرة، فَمنهم مَنْ سَلَكَ مَسلكَ التَّعطيلِ فعطَّلَ ونَفى الصفاتِ زاعمًا أنَّه مُنـــزِّهٌ لله، وقدْ ضَلَّ؛ لأنَّ المُنَـــزِّهَ حقيقةً هُو الذي يَنْفِي عَنه صفاتِ النَّقصِ والعيبِ، ويُنـــزِّهُ كلامَه مِنْ أنْ يكونَ تعْمِيَةً وتَضْليلاً، فإذا قال: بأنّ اللهَ ليسَ لَه سَمْعٌ، ولا بَصَرٌ، ولا علمٌ، ولا قُدْرَةٌ، لم ينَزه اللهَ، بَلْ وصَمَه بأعيَبِ العيوبِ، ووصَم كلامَه بالتعمِيَةِ والتضليلِ؛ لأنَّ اللهَ يُكَرِّرُ ذلكَ في كلامِهِ، ويُثْبِتُهُ فيقول: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ويقول: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ويقول: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

فإذا أثبته في كلامِهِ وهُو خالٍ منهُ، كان في غايَةِ التَّعمِيَةِ والتضليلِ والقَدْحِ في كلامِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

– ومنهم مَنْ سَلَكَ مسلَكَ التمثيلِ زاعِمًا بأنَّه محقِّقٌ لما وصَفَ اللهُ به نفسَه، وقدْ ضلُّوا؛ لأنَّهم لَم يَقْدُروا اللهَ حقَّ قَدْرِهِ؛ إذ وصَمُوهُ بالعيبِ والنقصِ؛ حيث جَعلوا الكاملَ مِنْ كلِّ وجهٍ كالناقصِ مِنْ كلِّ وجهٍ.

وإذا كان اقترانُ تفضيلِ الكاملِ على الناقِص يَحُطُّ مِنْ قدرِه، كما قيل:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السيفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ ... إذا قيلَ إنَّ السيفَ أَمْضَى مِنَ العَصَا

فكيفَ بتمثيلِ الكاملِ بالناقصِ؟

وهذا أعظَمُ ما يكونُ جِنايَةً على اللهِ عزَّ وجلَّ، وإنْ كان المُعَطِّلونَ أعظَمَ جُرْمًا، لكنَّ الكلَّ لَم يَقْدُرِ اللهَ حقَّ قدْرِه.

فالواجبُ: أنْ نؤمنَ بما وصَف اللهُ وسَمَّى بهِ نفسَه في كتابِهِ، وعلَى لسانِ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، مِنْ غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ.

(١) قولُهُ: ﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ استثناءٌ مُفرَّغٌ مِنْ أعمِّ الأحوالِ، أيْ: ما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ لأيِّ شيءٍ؛ إلاَّ للعبادة.

واللامُ في قولِه: ﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ للتعليلِ، وهو لبيانِ الحكمة من الْخَلْقِ، وليسَ التعليلَ الملازمَ للمعلول؛ إذْ لوْ كانَ كذلكَ لَلَزِمَ أنْ يكونَ الخلْقُ كلُّهم عُبَّادًا للهِ يَتعَبَّدونَ لَه، وليسَ الأمرُ كذلكَ، فهذه العلَّةُ غائيَّةٌ، وليسَت مُوجبةً.

– **فالعلَّةُ الغائيَّةُ**؛ لبيانِ الغايَةِ والمقصودِ مِنْ هذا الفعلِ، لكنَّها قدْ تَقعُ، وقدْ لا تَقعُ، مثلَ: بَرَيْتُ القلمَ لأَكْتُبَ به، فقَد تَكْتُبُ، وقدْ لا تَكْتُبُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٣٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

- **والعلّةُ الموجِبةُ** معناها: أنَّ المعلولَ مبنيٌّ عليها، فلا بدَّ أنْ تقعَ، وتكونَ سابقةً للمعلولِ، وملازمةً لهُ، مثلُ: (انْكسَرَ الزُّجاجُ لِشدَّةِ الحرِّ).

- وقولُهُ: **{إلاَّ لِيعْبُدُونِ}** فُسِّرَ: إلاَّ ليوَحِّدُونِ، وَهَذا حقٌّ، وفُسِّرَ بمَعنى: يَتذلَّلُون لي بالطاعة فعلاً للمأمورِ، وترْكًا للمحظورِ، ومنْ طاعتِه أن يُوَحَّدَ سبحانَه وتعالَى، فهذه هيَ الحكمةُ منْ خلقِ الجنِّ والإنسِ.

ولهذا أَعْطَى اللهُ البشرَ عُقولاً، وأرسلَ إليهم رُسلاً، وأنزلَ عليهم كُتُبًا، ولوْ كانَ الغرَضُ منْ خَلْقهم كالغرضِ مِنْ خَلْقِ البهائمِ، لضاعتِ الحكمةُ مِنْ إرسالِ الرُّسلِ، وإنزالِ الكُتُبِ؛ لأنَّهُ في النهايَةِ يكونُ كشجرةٍ نَبَتَتْ، فنَمَتْ، ثمَّ تَحطَّمَتْ.

- ولهذا قال تعالَى: **{إنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}** فلا بدَّ أنْ يَرُدَّكَ إلى معادٍ تُجازَى على عَملكَ، إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ.

وليسَت الحكمةُ مِنْ خلْقِهم نفْعَ اللهِ بذلك، ولهذا قال تعالَى: **{مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ}**.

- وأما قولُهُ تعالَى: **{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ}**.

فهذا ليسَ إقراضًا للهِ سبحانَه، بلْ هوَ غنيٌّ عنه، لكنه سُبحانَه شبَّه معاملةَ عبدِه لهُ بالقَرْضِ؛ لأنَّهُ لا بدَّ مِنْ وفائِه، فكأنَّه التزامٌ مِن اللهِ سبحانَهُ أنْ يُوَفِّيَ العاملَ أجرَ عملِه، كما يُوفِّي المُقْتَرِضُ مَنْ أَقْرَضَهُ.

(٢) قوله: **{أُمَّةٍ}** تُطْلَقُ الأمَّةُ في القرآنِ على معانٍ منها:

الطائفةُ، كما في هذه الآيَةِ.

فكلُّ أمةٍ بُعِثَ فيها رسولٌ، مِنْ عَهدِ نوحٍ إلى عهدِ نبيِّنا **محمدٍ** صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ.

والحكمةُ مِنْ إرسالِ الرُّسلِ تشتمل على ثلاث مقاصد:

الأول: إقامةُ الحُجَّةِ، قال تعالَى: **{رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}**.

الثاني: الرحمةُ، لقولِه تعالَى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}**.

الثالث: بيانُ الطَّريقِ المُوصلِ إلى اللهِ تعالَى؛ لأنَّ الإنسانَ لا يَعْرِفُ ما يَجبُ للهِ على وجهِ التفصيلِ إلاَّ عنْ طريقِ الرُّسلِ.

قولُهُ: **{أَنِ اعْبُدُوا اللهَ}**، (أنْ): **قيل: تفسيريَّةٌ**، وهيَ التي سُبِقَتْ بما يدلُّ على القولِ دونَ حروفِه، كقولِه تعالَى: **{فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ}** والوحيُ فيه معنى القولِ دونَ حروفِه، والبعثُ متضمِّنٌ معنى الوحْيِ؛ لأنَّ

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

كُلِّ رسولٍ مُوحًى إليه.

وقيل: إنَّها مصدريَّةٌ على تقديرِ الباءِ، أيْ: بأنْ اعبدوا، **والراجحُ**: الأوَّلُ لعدمِ التقديرِ.

- قولُهُ: **{أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ}** أيْ: **تذلَّلُوا لهُ بالعبادة**، وسبقَ تعريفُ العبادة.

- قولُهُ: **{وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}** أي: **ابْتَعِدُوا عنه بأنْ تكونوا في جانبٍ**، وهوَ في جانبٍ.

والطاغوتُ: مُشْتَقٌّ من الطُّغْيانِ، وهوَ صفةٌ مُشَبَّهةٌ.

والطغيانُ: مُجَاوَزةُ الحدِّ، كما في قولِهِ تعالَى: **{إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ}** أيْ: تَجَاوَزَ حدَّهُ.

وأَجْمَعُ ما قِيلَ في تعريفهِ، هوَ ما ذكرَه **ابنُ القيِّمِ** رحِمَهُ اللهُ، بأنَّهُ: **(ما تجاوزَ بهِ العبدُ حدَّهُ منْ متبوعٍ، أوْ معبودٍ، أوْ مُطاعٍ)**.

ومُرادُهُ مَنْ كان راضيًا بذلكَ، أوْ يقالُ: هوَ طاغوتٌ باعتبارِ عابدِه، وتابعِه، ومُطيعِه؛ لأنَّهُ تجاوَزَ به حدَّهُ؛ حيثُ نزَّلَهُ فوقَ مَنْزلتِهِ التي جَعَلَها اللهُ لهُ، فتكونُ عبادتُهُ لهذا المعبودِ، واتِّباعُهُ لمتبوعِهِ، وطاعتُهُ لمُطاعِه، طُغْيانًا لمجاوزتِه الحدَّ بذلكَ.

وقد يجتمع المعنيان فيكون طاغوتاً باعتبار عابده وتابعه ومطيعه، وطاغوتاً باعتبار رضاه بذلك.

فالمتبوعُ مثلُ: **الكُهَّانِ**، والسَّحَرةِ، وعلماءِ السُّوءِ.

والمعبودُ مثلُ: **الأصنامِ**.

والمطاعُ مثلُ: **الأمراءِ الخارجينَ عَن طاعةِ اللهِ**، فإذا اتَّخذهم الإنسانُ أربابًا يُحلُّ ما حرَّمَ اللهُ منْ أجلِ تحليلِهم لهُ، ويُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ مِنْ أجلِ تحريمِهم لهُ، فهؤلاءِ طواغيتُ، والفاعلُ تابعٌ للطاغوتِ؛ قال تعالَى: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}** ولمْ يقلْ: إنَّهُم طواغيتُ.

والتوحيدُ لا يَتِمُّ إلاَّ بركْنَيْنِ هما:

- **الإثباتُ.**
- **النفْيُ.**

إذ النفيُ المحضُ تعطيلٌ محضٌ، والإثباتُ المحضُ لا يمنعُ المشاركةَ.

مثالُ ذلكَ: (زيْدٌ قائمٌ) يدلُّ على ثبوتِ القيامِ لزيدٍ، لكنْ لا يدلُّ على انفرادِهِ به.

و(لَم يقُمْ أحدٌ) هذا نفيٌ محضٌ، و(لَمْ يقُمْ إلاَّ زيدٌ) هذا توحيدٌ لهُ بالقيامِ؛ لأنَّهُ اشْتَمَلَ على إثباتٍ ونفيٍ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي

الدرس الثاني

(١) قولُه: {**وقضى**} قضاءُ اللهِ -عزَّ وجلَّ- يَنقَسِمُ إلى قسمين:

الأول: قضاءٌ شَرْعيٌّ.

الثاني: قضاءٌ كَوْنيٌّ.

فالقضاءُ الشرعيُّ: يجوزُ وقوعُه مِن المَقْضي عليه وعدمُه، ولا يكونُ إلا فيما يحبُّه اللهُ.

كالمذكور في هذه الآية: {**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ**} فتكونُ {**قَضَى**} بمعنى: شرَع، أو بمعنى: وصَّى، وما أشْبَهَهما.

والقضاءُ الكونيُّ: لابُدَّ من وقوعه، ويكونُ فيما أحَبَّه اللهُ وفيما لا يُحبُّه كقوله تعالى: {**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا**}. فالقضاءُ هنا كونيٌّ؛ لأنَّ اللهَ لا يَشْرَعُ الفسادَ في الأرضِ، ولا يُحبُّه.

فإن قيل: ثبتَ أنَّ اللهَ قَضَى كَونًا ما لا يُحبُّه، فكيف يَقْضِي اللهُ ما لا يُحبُّه؟

والجوابُ: أنَّ المحبوبَ **قسمان:**

أحدهما: محبوبٌ لذاته.

والآخر: محبوبٌ لغيره.

فالمحبوبُ لغيره: قد يكونُ مَكْرُوهًا لذاته، ولكن يُحَبُّ لما فيه مِنَ الحكمةِ والمصلحةِ، فيكون حينئذٍ محبوبًا مِن وجه؛ مكروهًا مِن وجهٍ آخرَ.

كالفسادِ في الأرضِ الذي وقع مِن بني **إسرائيلَ** هو في حدِّ ذاتِه مكروهٌ لله؛ لأنَّ اللهَ لا يُحبُّ الفسادَ، ولكنْ للحكمةِ التي يَتَضَمَّنُها وكان محبوبًا إلى اللهِ -عزَّ وجلَّ- مِن وجه آخرَ.

ومِنْ ذلك: **القحطُ**، والجدْبُ، والمرَضُ، والفقْرُ؛ لأنَّ اللهَ رحيمٌ لا يُحبُّ أنْ يُؤْذيَ عبادَه بشيءٍ مِن ذلك، بل يريدُ بعباده اليُسرَ، لكن يُقدِّرُه للحكَمِ المُتَرتِّبة عليه، فيكونُ محبوبًا إلى اللهِ من وجه، مكروهًا مِن وجه آخر.

- قال اللهُ تعالى: {**ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**}.

والشاهدُ **من هذه الآية**: قولُه تعالى: {**أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**} فهذا هو التوحيدُ لتضمُّنِه للنفيِ والإثباتِ.

(٢) قولُه: {**وَلا تُشْرِكُوا**} في مقابلِ (لا إلَهَ) لأنها نفيٌ.

- وقولُه: {**وَاعْبُدُوا**} في مقابلِ (إلا اللهُ) لأنها إثباتٌ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

- وقولُه: ﴿شَيْئًا﴾ نكرةٌ في سياقِ النهيِ، فتعُمُّ كلَّ شيءٍ: لا نبيًّا، ولا مَلَكًا، ولا وليًّا، بل ولا أمرًا مِن أمورِ الدُّنيا، فلا تَجْعَلِ الدُّنيا شَريكًا مَع اللهِ.

والإنسانُ إذا كان هَمُّه الدنيا كان عابدًا لها؛ كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**تَعِسَ عبدُ الدينارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرهَمِ، تَعِسَ عَبدُ الخَميلة، تَعِسَ عبدُ الخَميصَة**».

(٣) الخطابُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أمرَه اللهُ أنْ يقولَ للناسِ: ﴿تَعَالَوْا﴾ أي: أَقْبِلوا، وهَلُمُّوا، وأصلُه من العلوِّ كأنَّ المناديَ يُناديكَ أنْ تَعْلُوَ إلى مكانِه، فيقولُ: تَعَالَ، أي: ارْتَفِعْ إليَّ.

- وقولُه: ﴿أَتْلُ﴾ بالجزمِ جوابًا للأمرِ في قولِه: ﴿تَعَالَوْا﴾.

- وقولُه: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿مَا﴾ اسمٌ موصولٌ مفعولٌ لأَتْلُ، والعائدُ محذوفٌ، والتقديرُ: ما حَرَّمَهُ رَبُّكم عليكم.

- وقال: ﴿رَبُّكُمْ﴾ ولم يقلْ: ما حَرَّمَ اللهُ؛ لأنَّ الرَّبَّ هنا أنسبُ؛ حيثُ إنّ الربَّ له مُطْلَقُ التصرفِ في المربوبِ والحكمُ عليه بما تَقْتَضيه حكمتُه.

- قولُه: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ أنْ: تفسيريةٌ، تُفَسِّرُ ﴿أَتْلُ﴾ أي: أتلو عليكم ألا تُشْرِكوا به شيئًا، وليستْ مصدريةً، وقد قيل به، وعلى هذا القولِ تكونُ (لا) زائدةً، ولكنَّ القولَ الأولَ أصحُّ أي: أتلُ عليكم عدَمَ الإشراكِ؛ لأنَّ اللهَ لم يُحَرِّمْ علينا أنْ لا نُشْرِكَ به، بل حَرَّمَ علينا أن نُشْرِكَ به، ومما يُؤَيِّدُ أنَّ (أن) تفسيريةٌ أن (لا) هنا ناهيةٌ لتَتَنَاسَبَ الجُمَلُ، فتكونَ كلُّها طلبيةً.

وقد تضمنت هذه الآيات خمس وصايا في الآية الأولى:

الأولى: توحيد الله.

الثانية: الإحسان بالوالدين.

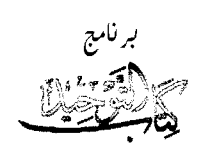
الثالثة: أن لا نقتل أولادنا.

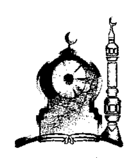
الرابعة: أن لا نقرب الفواحش.

الخامسة: أن لا نقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

وأربعُ وصايا في الآية الثانية:

الأولى: أن لا نقرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن.







الثانية: أن نوفي الكيل والميزان بالقسط.

الثالثة: أن نعدل إذا قلنا.

الرابعة: أن نوفي بعهد الله.

ثم قال عز وجل: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ}** وهذه هي **الوصيةُ العاشرة.**

- فقوله: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي}** يحتمل أنّ المشارَ إليه ما سبق؛ لأنك لو تأملتَه وجدته محيطًا بالشرعِ كله إما نصًّا، وإما إيماءً.

ويُحتمل أنّ المرادَ به ما **عُلِمَ من دين الله**، أي: هذا الذي جاءكم بِهِ الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ هو صراطي، أي الطريقُ الموصلُ إليه سبحانه وتعالى.

- قوله: **{ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** أي: ذلك المذكورُ وصاكم به لتنالوا درجةَ التقوى، والالتزامِ بما أمر اللهُ به ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

(٤) قوله: (**وصية مُحَمَّد**) الوصيةُ بمعنى: العهد، ولا يكون العهدُ وصيةً إلا إذا كانَ في أمرٍ مهمٍّ.

- وقوله: (**الّتي عَلَيها خاتَمُهُ**) **الخاتم**: بمعنى التوقيع.

وهي ليست وصيةً مكتوبةً مختومًا عليها، لأنّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لم يوصِ بشيءٍ، لكن **ابن مسعودٍ** رضيَ اللهُ عنهُ يرى أنّ هذه الآياتِ قد شملت الدِّين كُلّه فكأنها الوصيةُ التي ختَمَ عليها رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وأبقاها لأُمَّته.

وهيَ آياتٌ عظيمةٌ إذا تدبرها الإنسانُ وعمِلَ بها حصَلَت له الأوصافُ الثلاثةُ الكاملةُ العقلُ والتذكُّرُ والتَّقوى.

(٥) قولهُ: (**رديف**) بمعنى **رادفٍ** أي: راكبٌ معه خلفَه، فهو فعيلٌ بمعنى فاعلٍ مثل: رحيمٍ بمعنى راحمٍ، وسميعٍ بمعنى سامعٍ.

قوله: «**ما حَقُّ اللهِ عَلَى العبادِ**» أي: ما أوجَبه عليهِم، وما يجبُ أن يعاملوه به، وألقاه على **معاذٍ** بصيغةِ السؤالِ ليكون أشدَّ حضورًا لقلبه، حَتى يفهَم ما يقوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «**وما حَقُّ العبادِ علَى اللهِ؟**» أي: ما يجبُ أن يعاملَهم به، والعبادُ لم يوجبوا شيئًا، بل اللهُ أوجبه على نفسه فضلاً منه على عباده، قالَ تعالى: **{كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**.

فأوجبَ سبحانَه على نفسه أنْ يرحمَ مَنْ عمِلَ سوءًا بجهالةٍ أي: بسَفَهٍ وعدَم حُسنِ تصرفٍ ثم تابَ مِن بعدِ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٢٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٢٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

ذلك وأصلَح.

ومعنى {كتَب} أي: أوْجبَ.

قال ابن تيمية: (كون المطيع يستحق الجزاء فهو استحقاق إنعام وفضل من الله، ليس استحقاق مقابلة، كما يستحق المخلوق على المخلوق)

قوله: (يَعْبُدُوهُ) أي: يتذللوا له بالطاعة.

قوله: (وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) أي: في عبادتِه وما يختصُّ به، وشيئًا نكرة في سياق النفي، فتعمُّ كلَّ شيءٍ لا رسولاً ولا ملكًا ولا وليًّا ولا غيرهم.

وقوله: (وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) وهذا الحقُّ تفضلَ اللهُ به على عبادِه، ولم يوجبه عليه أحدٌ، ولا تظن أن قوله: «مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» أنه مجردٌ عن العبادة؛ لأن التقدير: مَنْ يعبدُه ولا يشركُ به شيئًا، ولم يذكر قوله: (من يعبده) لأنه مفهومٌ من قوله: «وَحَقُّ العِبَادِ» ومن كان وصفُه العبوديةَ فلا بد أن يكون عابدًا.

ومَن لَم يعبدِ اللهَ ولَم يُشرك بِهِ شيئًا هل يعذبُ؟

الجوابُ: نعم، يُعذب لأن الكلامَ فيه حذفٌ، وتقديرُه: (مَن يعبده ولا يُشْرِكُ به شيئاً)، ويدلُّ لهذا أمران:

الأولُ: قوله: «حَقُّ العِبَادِ» ومن كان وصفُه العبوديةَ فلا بد أن يكون عابدًا.

الثاني: أن هذا مقابلٌ لما تقدم: «أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» فَعُلِمَ أنّ المرادَ بقوله: «لا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» أي: في العبادة.

ومعنى الحديث: أنّ اللهَ لا يعذبُ من لا يشرك به شيئًا، وأنّ المعاصي تكون مغفورة بتحقيقِ التوحيد، ونَهى صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عن إخبارهم لئلا يتكلوا على هذه البشرى؛ لأنّ تحقيقَ التوحيد يستلزمُ اجتناب المعاصي؛ والمعاصي صادرةٌ عن الهوى، وهذا نوعٌ من الشرك، قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ}.

ومناسبةُ الحديثِ للترجمة: بيانُ فضيلةِ التوحيدِ، وأنه مانعٌ من عذابِ اللهِ.

(٦) فيه مسائل:

الأولى: (الحكمةُ من خلقِ الجن والإنس) لقوله: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ}، فالحكمةُ

هي عبادةُ الله، لا أن يتمتعوا بالمآكل والمشارب والمناكح.

(٧) **والثانية:** (**أنّ العبادة هي التوحيد**) أي: أنّ العبادةَ مبنيّةٌ على التوحيد، فكل عبادة لا توحيد فيها ليست بعبادة، لا سيما وأنّ بعضَ السَّلف فسَّروا قوله تعالى: {**إلا لِيَعْبُدُونِ**} إلا ليوحدون.

وهذا مطابقٌ تمامًا لما استنبطه المؤلِّف – رحمه الله – مِن أنّ **العبادة هي التوحيد**، فكل عبادةٍ لا تُبنى على التوحيدِ فهي باطلة، قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله تعالى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

وقوله: (**لأنّ الخصومة فيه**) أي: بينَ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وقريش، فقريشٌ يعبدون الله يطوفون له ويُصلون، ولكن على غير الإخلاص والوجه الشرعي، فهي كالعدم، لعدم الإتيان بالتوحيد، قال تعالى: {**وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إلا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ**}.

(٨) وقوله في **الثالثة:** (**ففيه معنى قوله:** {**وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**}) لَستم عابدين عبادتي، لأنّ عبادتكم مبنيةٌ على الشِّرك، فليست بعبادة لله تعالى.

(٩) **الرابعة:** (**الحكمة في إرسالِ الرسلِ**) أخذها رحمه الله تعالى من قوله تعالى: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**} فالحكمةُ هي: الدعوةُ إلى عبادةِ الله وحده، واجتنابُ عبادةِ الطاغوت.

(١٠) **الخامسة:** (**أنّ الرسالة عمت كل أمةٍ**) أخذَها من قوله تعالى: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً**}.

(١١) **السادسة:** (**أنّ دينَ الأنبياءِ واحدٌ**) أخذها من قوله تعالى: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**}.

ومثله: قوله تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا أَنَا فَاعْبُدُونِ**}.

وهذا لا ينافي قوله تعالى: {**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**} لأنّ الشرعة العملية تختلفُ باختلاف الأممِ والأماكنِ والأزمنة.

– وأما أصلُ الدِّين فواحدٌ، قال تعالى: {**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**}.

(١٢) **السابعة:** (**المسألة الكبيرة أن عبادةَ الله لا تحصُل إلا بالكفرِ بالطاغوت**) ودليله قوله –تعالى–: {**وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**} فمَن عبدَ اللهَ ولَم يكفر بالطاغوتِ فليس بموحد، ولهذا جَعل المؤلفُ رحمه الله هذه

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

المسألة كبيرةً؛ لأنّ كثيرًا من المسلمين جَهلها في زمانه وفي زماننا الآن.

(١٣) **الثامنةُ:** (**أنّ الطاغوتَ عامٌّ في كل ما عُبِدَ من دونِ الله**) فكل ما عُبد من دونِ اللهِ فهو طاغوتٌ، وقد عرَّفه ابن القيم: {**بأنه كلُّ ما تجاوزَ به العبدُ حدَّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مُطاعٍ**}.

فالمعبودُ: كالصنمِ.

والمتبوعُ: كالعالِم.

والمطاعُ: كالأمير.

(١٤) **التاسعةُ:** (**عِظمُ شأنِ الثلاثِ آياتِ المحكماتِ في سورةِ الأنعام**) (**المحكماتُ**) أي: التي ليسَ فيها نسخٌ، أَخَذَ ذلك من قول **ابن مسعود** رضي اللهُ عنه.

(١٥) **العاشرةُ:** (**الآياتُ المحكماتُ في سورةِ الإسراءِ**) وهيَ قوله تعالى: {**وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ**}.

(١٦) (**وفيها ثماني عَشرة مسألةً، بدأها بقوله تعالى: {لا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولاً} وختَمها بقوله تعالى: {وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا}، وقد نَبّهَنا الله سبحانه على عِظم شأنِ هذه المسائلِ بقوله تعالى: {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ}**).

فبدأها اللهُ بالنهيِ عن الشركِ بقوله تعالى: {**لا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولاً**} والقاعدُ ليس قائمًا، لأنه لا خيرَ لمن أشركَ باللهِ، مذمومًا عندَ اللهِ وعندَ أوليائه، مخذولاً لا ينتصرِ في الدنيا ولا في الآخرة.

وختَمها بقوله: {**وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا**} فهذهِ عقوبتُه عندما يُلقى في النارِ كلٌّ يلومُه ويدحَرُه فيندحرُ والعياذُ باللهِ.

(١٧) **الحاديةَ عشرةَ:** (**آيةُ سورةِ النساءِ التي تُسمَّى آيةَ الحقوقِ العشرة بدأها بقوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}**) فأحقُّ الحقوق حقُّ اللهِ، ولا تنفعُ الحقوقُ صاحبها إذا أدّاها إلا به، فبُدئت هذه الحقوقُ به، ولهذا لما سألَ النبيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - **حكيمُ بن حزامٍ** عمَّن كان يتصدقُ ويعتقُ ويصلُ رحِمه في الجاهليةِ هل له من أجرٍ؟

فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**أسلَمْتَ على ما أسْلَفْتَ منَ الخيرِ**» فدلَّ على أنه إذا لم يُسلِم لم يكنْ له أجرٌ، فصارتِ الحقوقُ كلها لا تنفعُ إلا بتحقيقِ حقِّ اللهِ.

(١٨) **الثانيةَ عشرةَ:** (**التنبيهُ على وصيةِ رسولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - عند موته**) وذلك مِن

قولِ **ابنِ مسعودٍ** -رضي الله عنه- ولكنَّ النبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- لم يوصِ بها حقيقةً، بل أشار إلى أننا إذا تَمسَّكنا بكتابِ الله فلنْ نَضلَّ بعده، ومِن أعظم ما جاءَ به كتابُ الله قوله تعالى: **{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ}**.

(**١٩**) **الثالثة عشرة**: (**معرفةُ حقِّ الله علينا**) وذلكَ بأن نعبُده ولا نشركَ به شيئًا.

(**٢٠**) **الرابعة عشرة**: (**معرفةُ حقِّ العبادِ عليه إذا أدّوا حقه**) وذلكَ بأن لا يعذِّب مَن لا يشركُ به شيئًا، أما مَن أشركَ فإنه حقيقٌ أنْ يعذَّبَ.

(**٢١**) **الخامسة عشرة**: (**أنَّ هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة**) وذلك أنَّ **معاذًا** أخبر بها تأثُّمًا، أي: خروجًا عَن إثمِ الكِتمان عند موته بعدَ أنْ ماتَ كثيرٌ من الصحابة، وكان -رضي الله عنه- علم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يخشى أن يُفتتن الناس بها ويتكلوا، ولم يُرد -صلى الله عليه وسلم- كتمها مطلقًا، لأنه لو أراد ذلك لم يخبر بها معاذًا ولا غيره.

(**٢٢**) **السادسة عشرة**: (**جوازُ كتمانِ العلمِ للمصلحة**) إذْ إنَّ كتمان العلمِ على سبيل الإطلاق لا يجوزُ، لأنه ليس بمصلحة، ولهذا أخبرَ النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- **معاذًا** ولم يكتم ذلكَ مُطلَقًا.

وأما كتمان العلمِ في بعضِ الأحوال، أو عَن بعض الأشخاصِ لا على سبيل الإطلاق فجائزٌ للمصلحة، كما كَتَم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، ذلك عَن بقيةِ الصحابة، خَشيةَ أنْ يَتَّكِلُوا عليه، وقال **لمعاذ**: «لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا».

(**٢٣**) **السابعة عشرة**: (**استحبابُ بشارة المسلم بما يَسرُّهُ**) لقوله: (**أَفَلاأُبَشِّرالنَّاسَ؟**) وهذه مِن أحسن الفوائد.

(**٢٤**) **الثامنة عشرة**: (**الخوفُ من الاتكال على سعةِ رحمةِ الله**) وذلك لقوله: «**لاتُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**» لأنَّ الاتكالَ على رحمةِ الله يسبب مفسدةً عظيمةً، هي: الأمنُ مِن مكرِ الله.

(**٢٥**) **التاسعة عشرة**: (**قولُ المسؤول عمّا لا يعلمُ: الله ورسوله أعلمُ**) وذلك لإقرارِ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- **مُعاذًا** لَمَّا قالها، ولم يُنكر النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- على معاذٍ حيثُ عَطَفَ رسولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- على الله بالواو، وأنكرَ على مَن قال: (**مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ**).

وقال: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**».

فيقالُ: إنَّ الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- عنده علْمٌ من العلوم الشرعيةِ ما ليس عند القائل، ولهذا لم ينكر

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الرسولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- على **معاذٍ**، بخلافِ العلوم الكونيةِ القدريةِ فالرسولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- ليسَ عنده علمٌ منها.

فلو قيلَ: هل يحرُم صوْم العيدين؟

جاز أنْ نقول: الله ورسوله أعلم، ولهذا كان الصحابة إذا أَشكَلَتْ عليهم المسائل ذهبوا إلى رسولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- فيبيِّنها لهم.

ولو قيلَ: هل يُتوقَّع نزول مطر في هذا الشهرِ؟

لم يَجُز أن نقولَ: الله ورسولُه أعلَم؛ لأنه مِن العلومِ الكونية.

(٢٦) العشرونَ: (جوازُ تخصيص بعضِ الناسِ بالعلم دون بعضٍ) وذلكَ أنَّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- خصَّ هذا العلم **بمعاذ** دونَ **أبي بكرٍ** **وعمرَ** **وعثمانَ** **وعليٍّ**، فيجوزُ أنْ نخصِّص بعضَ الناس بالعلمِ دون بعضٍ، حيث إنَّ بعض الناس لو أخبرته بشيءٍ مِن العلم افتتن، قال **ابن مسعود**: **(إِنَّكَ لَنْ تُحَدِّثَ قَوْمًا بِحَدِيثٍ لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً)**. وقال علي: **(حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ)**.

فيحدَّث كلُّ أحدٍ حسب مقدرتِه وفهمِه وعقلِه.

(٢٧) الحادية والعشرون: (تواضعه - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - لركوب الحمار مع الإرداف عليه) حيثُ ركِب الحمارَ وأردَفَ عليه، إذْ إنَّ عادة الكبراء عدَم الإرداف، وركب -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- الحمارَ، ولو شاء لركِب ما أراد، ولا منقصةَ في ذلك، إذْ إنَّ مَن تواضعَ لله -عزَّ وجلَّ- رفعهُ.

(٢٨) الثانية والعشرون: (جوازُ الإردافِ على الدابة) لأنَّ النبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- أردَف **معاذًا**، لكنْ يُشترط للإردافِ أنْ تكون الدَّابة قادرةً عليه، فإنْ لم تكن قادرةً لم يَجُزْ ذلكَ.

(٢٩) الثالثة والعشرون: (عِظَمُ شأنِ هذه المسألة) حيثُ أخبرَ النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- **معاذًا**، وجعلَها مِنَ الأمورِ التي يبشَّر بها.

الرابعة والعشرون: (فضيلةُ معاذ) وذلكَ أنَّ النبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- خصَّه بهذا العلمِ، وأردَفه مَعه على الحمارِ.

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الثالث

(١) سَبَقَ أنْ ذَكَرَ المُؤَلِّفُ وجُوبَ التوحيد، وأنَّهُ لاَ بُدَّ منهُ، وأنَّ مَعْنَى قوله تَعَالَى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}** أنَّ العبادَةَ لاَ تَصحُّ إلاَّ بالتَّوْحيد.

وهنا ذَكَرَ المُؤَلِّفُ فَضْلَ التَّوْحيد.

وقَولُهُ: (**وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ**) معطوفٌ عَلَى (**فضل**) فيكونُ المَعْنَى: بابُ فضلِ التوحيد، وبابُ ما يُكَفِّرُ مِن الذُّنوبِ، وعَلَى هذا فالعَائدُ مَحْذُوفٌ، والتَّقْديرُ ما يُكَفِّرُ مِن الذُّنُوبِ، **وعُقِدَ هذَا البَابُ لأَمْرَيْنِ:**

الأوَّلُ: بيانُ فَضْلِ التَّوْحيد.

الثاني: بيانُ ما يُكَفِّرُ من الذُّنوب؛ لأَنَّ مِنْ آثارِ فَضْلِ التَّوحيدِ تَكْفيرُ الذُّنوبِ.

(٢) قولُهُ: **{وَلَمْ يَلْبِسُوا}** أيْ: يَخْلطوا.

(٣) قولُهُ **{بِظُلْمٍ}** الظُّلْمُ هنا مَا يُقَابِلُ الإيمَانَ، وهوَ الشِّرْكُ، ولَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ شَقَّ ذَلكَ عَلَى الصَّحَابَةِ، وقَالُوا: أيُّنا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**لَيسَ الأمرُ كَمَا تظنُّونَ، إنَّما المُرادُ به الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعوا إلَى قَوْلِ الرَّجُلِ الصالحِ - يَعْني لُقْمَانَ -: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}** ؟».

والظُّلْمُ أنْواعٌ ثلاثة:

الأول: أَظْلَمُ الظُّلْمِ، وهوَ الشِّرْكُ في حَقِّ الله.

الثاني: ظُلْمُ الإنْسانِ نَفْسَهُ، فَلاَ يُعْطيها حقَّها، مثلُ: أنْ يَصُومَ فَلاَ يُفْطِرُ، ويقومَ فَلاَ يَنَامُ.

الثالث: ظُلْمُ الإنْسانِ غَيْرَهُ، مثْلُ: أنْ يَتَعَدَّى عَلَى شَخْصٍ بالضَّرْبِ أو القَتْلِ أوْ أَخْذِ مَالٍ ومَا أَشْبَهَ ذلكَ.

وإذا انتَفَى الظُّلْمُ حَصَلَ الأمْنُ، لَكنْ هَلْ هُو أَمْنٌ كَاملٌ؟

الجَوابُ: أَنَّهُ إنْ كَانَ الإيمانُ كَاملاً لَمْ يُخَالِطْهُ مَعصيةٌ، فالأمنُ أمنٌ مطلَقٌ؛ أيْ: كاملٌ، وإذَا كَانَ الإيمانُ مُطْلَقَ إيمانٍ - غيرَ كاملٍ - فَلَهُ مُطْلَقُ الأمْنِ؛ أيْ: أَمْنٌ نَاقصٌ.

كمُرْتَكِبُ الكَبيرة فهو: آمنٌ مِنَ الخُلُودِ في النار، وغَيْرُ آمنٍ من العَذَاب، بَلْ هوَ تَحْتَ المَشيئَة، قَالَ اللهُ تَعَالَى: **{إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}**.

قولُهُ: (**الأَمْنُ**) (ألْ) فيها لِلجنْسِ، ولهذا فَسَّرْنَا الأمْنَ بأنَّهُ إمَّا أمنٌ مطلَقٌ، وإمَّا مُطْلَقُ أَمْنٍ، حَسَبَ الظُّلمِ الذي تَلَبَّسَ به.

قَوْلُهُ: **{وَهُمْ مُهْتَدُونَ}** أيْ: في الدُّنيا إلَى شَرْعِ الله بالعلْمِ والعَمَلِ، فالاهْتدَاءُ بالعلْمِ: **هدَايَةُ الإرْشَاد**.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

والاهْتِدَاءُ بالعَمَلِ: هدَايَةُ تَوْفِيقٍ، ومُهْتَدُونَ في الآخرةِ إِلَى الجنَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} هذه هدَايَةُ الآخرةِ، وهيَ للذين ظَلَمُوا إِلَى صِرَاطِ الجَحِيمِ، فيكونُ مُقَابِلُها أنَّ الذين آمَنُوا ولَمْ يَظْلِمُوا يُهْدَوْنَ إِلَى صِرَاطِ النَّعيمِ.

قال شيخ الإسلام **محمد بن عبد الوهاب** - كما في (الدرر السنّية) (١/١١٥) -: **(لا إله إلا الله شجرة السعادة، إن غرستها في منبت التصديق، وسقيتها من ماء الإخلاص، ورعيتها بالعمل الصالح؛ رسخت عروقها، وثبت ساقها، واخضرت أوراقها، وأينعت ثمارها، وتضاعف أكلها: {تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها} وإن غرست هذه الشجرة، في منبت التكذيب والشقاق، وأسقيتها بماء الرياء والنفاق، وتعاهدتها بالأعمال السيئة، والأقوال القبيحة، وطفح عليها غدير العذر، ولفحها هجير هجر؛ تناثرت ثمارها، وتساقطت أرواقها، وانقشع ساقها، وتقطعت عروقها، وهبت عليها عواصف القذر، ومزقتها كل ممزق {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً})**

ومُنَاسَبةُ الآيَةِ للتَّرْجَمة: أنَّ اللهَ أَثْبَتَ الأَمْنَ لِمَن لَمْ يُشْرِكْ، والذي لَمْ يُشْرِكْ يَكُونُ مُوَحِّدًا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مِنْ فَضَائِلِ التَّوحيدِ اسْتِقْرَارُ الأَمنِ.

(٤) قولُهُ: (مَنْ شَهِدَ أنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ) الشَّهَادَةُ لاَ تَكُونُ إلاَّ عَن عِلْمٍ سَابِقٍ، قَالَ تَعَالَى: {إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} وهذا العِلْمُ قدْ يَكُونُ مُكْتَسَبًا، وَقَدْ يَكُونُ غَرِيزِيًّا.

والعِلْمُ بـ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، غَرِيزِيٌّ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ».

وقَدْ يكونُ مُكْتَسَبًا، وذلكَ بتدبُّرِ آياتِ اللهِ، والتَّفكُّرِ فيها.

ولاَ بدَّ أنْ يوجَدَ العِلْمُ بـ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، ثُمَّ الشَّهَادَةُ بهَا.

وقولُهُ: (لاَ إِلَهَ) أيْ: لاَ مَأْلوهَ، والمأْلوهُ هوَ المعبودُ محبَّةً وتَعْظيمًا، تُحِبُّهُ وتُعظِّمُهُ لِمَا تَعْلَمُ مِنْ صِفَاتِه العَظِيمَةِ وأَفْعَالِه الجَليلَةِ.

قولُهُ: (إِلاَّ اللهُ) أيْ: لاَ مَأْلوهَ إلاَّ اللهُ، ولهذا حُكِيَ عنْ قريشٍ قولُهم: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَـهًا وَاحِدًا إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}.

- أمَّا قولُهُ تَعَالَى: {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ} فهذا التألُّهُ باطلٌ؛ لأنَّهُ بغيرِ حقٍّ، فهوَ مَنْفيٌّ شَرْعًا، وإذا انْتَفَى شَرْعًا فهوَ كالمُنْتَفِي وقُوعًا، فَلاَ قَرَارَ لَهُ: {وَمَثَلُ كَلِمَةٍ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٢٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثَّت من فوق الأرض ما لها من قرار}.

وبهذا يعلم غلط المتكلمين الذين يَقُولُونَ: (إنَّ مَعْنَى إلَه: آلِهٌ، والآلِهُ القَادِرُ عَلَى الاخْتِرَاعِ) فيكُونُ مَعْنَى (لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ) أيْ: لاَ قَادِرَ عَلَى الاخْتِرَاعِ إلاَّ اللهُ.

والتَّوحيدُ عندَهُم: أنْ تُوحِّدَ اللهَ فَتَقُولَ: (هوَ وَاحدٌ في ذَاته لاَ قَسيمَ لَهُ) وواحدٌ في أَفْعَاله لاَ شَريكَ لَهُ، وواحدٌ في صفَاته لاَ شَبيهَ لَهُ، ولوْ كَانَ هذا مَعْنَى (لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ) لَمَا أنْكَرَتْ قريشٌ عَلَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ دَعْوَتَهُ، ولآمَنَتْ به وصَدَّقَتْ؛ لأنَّ قُرَيْشًا تَقُولُ: لاَ خَالقَ إلاَّ اللهُ، و(لاَ خَالقَ) أَبْلَغُ منْ كَلمَة (لاَ قَادرَ)؛ لأنَّ القَادرَ قَدْ يَفْعَلُ، وقَدْ لاَ يَفْعَلُ، أمَّا الخَالقُ فقدْ فَعَلَ وحَقَّقَ بقُدرة منهُ، فَصَارَ فَهْمُ المُشْركينَ خَيْرًا منْ فَهْمِ هؤلاء المُتَكَلِّمينَ والمُنْتَسبينَ للإسْلاَم، فالتوحيدُ الذي جاءَتْ به الرُّسلُ في قوله تَعَالَى: {مَا لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرُهُ} أيْ: منْ إلهٍ حَقيقيٍّ يَسْتَحقُّ أنْ يُعْبَدَ وهُو اللهُ.

يقول الشيخ عبد الله البابطين – كما في (الدرر السنّية) (٢/٢٩٧) –: (وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه، يفسرون الإله بأنه المعبود، وإنما غلط في ذلك بعض المتكلمين، فظن أن الإله هو القادر على الاختراع، وهذه زلة عظيمة، وغلط فاحش، إذا تصوره العامي العاقل تبين له بطلانه، وكأن هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه، ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقرون بأن الله هو القادر على الاختراع، وهم مع ذلك مشركون)

قولُهُ: (مَنْ شَهِدَ أنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ) مَنْ: شَرطيَّةٌ، وجوابُ الشَّرط: «أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ».

والشَّهَادَةُ: هيَ الاعْتِرَافُ باللسان، والاعْتقَادُ بالقَلْب، والتَّصْديقُ بالجَوارِح، وإلاَّ فهيَ كَذبٌ، ولهَذا لَمَّا قالَ المُنافقُونَ للرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: {نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ} وهذه جملةٌ مُؤكَّدةٌ بثلاث مُؤكَّدَات: الشَّهادَة، وإنَّ، واللام، كَذَّبَهم اللهُ بقَوْله: {وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}.

فَلَمْ يَنْفَعْهُم هذا الإقرارُ باللسان؛ لأنَّهُ خَالٍ من الاعتقاد بالقَلْب، وخَالٍ من التَّصديق بالعَمَلِ، فلمْ يَنْفَعْ، فَلاَ تَتَحقَّقُ الشَّهادَةُ إلاَّ بعَقيدَة في القَلْب، واعْتراف باللسان، وتَصْديق بالعَمَل.

وقولُهُ: (لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ) أيْ: لاَ مَعْبودَ عَلَى وَجْه يَسْتَحقُّ أنْ يُعْبَدَ إلاَّ اللهُ، وهذه الأَصْنامُ الَّتي تُعْبَدُ لاَ تَسْتَحقُّ العبَادَةَ؛ لأنَّهُ لَيْسَ فيها منْ خَصَائص الأُلوهيَّة شيءٌ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب : ٣٦٦٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

(٥) قولُهُ: (وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ) قوله: (وحدَهُ) تَوْكِيدٌ للإثْبَاتِ، وقوله: (لاَ شَرِيكَ لَهُ) تَوْكِيدٌ للنَّفْيِ في كلِّ مَا يَخْتَصُّ بِهِ من الرُّبُوبيَّةِ والأُلُوهيَّةِ والأسْمَاءِ والصِّفَاتِ.

قولُهُ: (وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسولُهُ) قولُهُ: (عَبْدُهُ) أيْ: لَيسَ شَرِيكًا مَعَ اللهِ.

وقولُهُ: (وَرَسُولُهُ) أي: المَبْعُوثُ بِمَا أَوْحَى اللهُ إليهِ، فليسَ كَاذِبًا عَلَى اللهِ.

فالرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، عَبْدٌ مَرْبُوبٌ.

وهُو بَشَرٌ مِثْلُنَا، إلاَّ أنَّهُ يُوحَى إليهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

فهوَ رَسُولٌ أَرْسَلَهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بأعظمِ شَرِيعَةٍ إِلَى جميعِ الخَلْقِ، فبَلَّغَها غايَةَ البلاغِ، معَ أنَّهُ أُوذِيَ وقُوتِلَ.

وتَحْقيقُ شَهَادَةَ أنَّ محمدًا رسولُ الله، بأنْ نَعْتَقِدَ ذلكَ بقُلُوبنا، ونَعْتَرِفَ بهِ بألْسِنَتِنا، مع مُتَابَعتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بجَوارِحنا، فنَعْمَلَ بهَدْيِهِ، ولاَ نَعْمَلَ لهُ.

أمَّا ما يَنْقُضُ تَحْقيقَ هذه الشَّهادَة فهوَ شيئان:

الأول: فعْلُ المَعَاصِي، فالمَعْصِيَةُ نَقْصٌ في تَحْقيقِ هذه الشَّهادَةِ؛ لأنَّكَ خَرَجْتَ بمَعْصِيتِكَ من اتِّباعِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

الثاني: الابْتداعُ في الدِّينِ ما ليسَ منهُ، فهو نَقْصٌ في تَحْقيقِ هذه الشَّهادَةِ؛ لأنَّكَ تَقَرَّبْتَ إِلَى اللهِ بمَا لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ ولاَ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، والابْتِدَاعُ في الدِّينِ في الحقيقةِ من الاستهزاءِ باللهِ؛ لأنَّكَ تقرَّبْتَ إليهِ بشيءٍ لَمْ يَشْرَعْهُ.

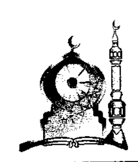
قوله: **(وأن عيسى عبدُ الله ورسوله) قدْ تَطَرَّفَ في عيسَى طَائفتان:**

الأولَى: اليهودُ كذَّبُوهُ، فقالُوا: بأنَّهُ وَلَدُ زِنًا، وأنَّ أُمَّهُ من البَغَايَا، وأنَّهُ ليسَ بنبيٍّ، وقتَلُوهُ شَرْعًا؛ أيْ: مَحْكُومٌ عليهم عندَ اللهِ أنَّهم قَتَلُوهُ في حُكْمِ اللهِ الشرْعيِّ؛ لقولِهِ تعالَى عنهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾.

وأمَّا بالنسبةِ لحُكمِ اللهِ القَدَريِّ فقدْ كَذَبُوا، ومَا قَتَلُوهُ يَقينًا، بلْ رَفَعَهُ اللهُ إليهِ، ولَكنْ شُبِّهَ لَهم، فَقَتَلُوا الـمُشَبَّهَ لهم، وصَلَبُوهُ.

الثانيَةُ: النَّصارَى فقالُوا: إنَّهُ ابنُ اللهِ، وإنَّهُ ثالثُ ثلاثة، وجَعَلوهُ إلَهًا مَعَ اللهِ، وكَذَبُوا فيمَا قَالُوا.

أمَّا عقِيدَتُنا: فنَشْهَدُ أنَّهُ عَبْدُ اللهِ ورسولُهُ، وأنَّ أمَّهُ صدِّيقَةٌ - كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى بذلكَ - وأنَّها أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا، فهيَ عَذْراءُ، ولَكنَّ مثَلَهُ عندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فيَكُونُ.





وفي قوله: (عَبْدُ اللهِ) ردٌّ على النَّصارَى.

وفي قوله: (وَرَسُولُهُ) ردٌّ على اليهود.

(٦) وقولُهُ: (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) أَطْلَقَ اللهُ عليه كلمةً؛ لأَنَّهُ خُلِقَ بها فقال الله: (كن) فكانَ عليه السَّلاَمُ، أما هو في نفسه فليسَ كَلِمَةً؛ لأَنَّهُ يَأْكُلُ، ويَشْرَبُ، ويَبُولُ، ويَتَغَوَّطُ، وتَجْري عليه جميعُ الأحْوَالِ البَشَرِيَّة، قالَ تعالَى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.

وكَلاَمَ اللهِ وصْفٌ قائِمٌ بِهِ، لاَ بَائِنٌ منهُ، أَمَّا عِيسَى فهوَ ذَاتٌ بَائِنَةٌ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ، يَذْهَبُ ويَجِيءُ، ويَأْكُلُ الطَّعَامَ ويَشْرَبُ.

قولُهُ: (أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) أيْ: وجَّهَهَا إليها بقوله: {كُن فَيَكُونُ} كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.

قولُهُ: (وَرُوحٌ مِّنْهُ) أيْ: صارَ جَسَدُهُ عليه السَّلاَمُ بالكَلِمَةِ، فنُفِخَتْ فيه هذهِ الرُّوحُ التي هيَ مِن اللهِ؛ أيْ: خَلْقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِه، أُضِيفَتْ إليه للتَّشْرِيفِ والتَّكْرِيمِ.

وعِيسَى عليه السَّلاَمُ ليسَ رُوحًا، بلْ جَسَدٌ ذُو رُوحٍ، قالَ اللهُ تَعَالَى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ} فبالنَّفْخِ صارَ جَسَدًا، وبالرُّوحِ صارَ جَسَدًا ورُوحًا.

قولُهُ: (مِنْهُ) هذهِ هيَ التي أَضَلَّت النَّصارَى، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا كَثِيرًا، ولكنَّنا نَقُولُ: إنَّ اللهَ قدْ أَعْمَى بصائرَكُم، فإنَّها لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ، ولكنْ تَعْمَى القُلُوبُ التي في الصُّدورِ، فَمِن المَعْلومِ أنَّ عيسَى عليهِ السَّلاَمُ كانَ يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وهذا شَيْءٌ مَعْرُوفٌ، ومِن المَعْلُومِ أيضًا أنَّ اليهودَ يَقُولُونَ أَنَّهم صَلَبُوهُ، وهَلْ يُمْكِنُ لِمَنْ كانَ جُزْءًا من الرَّبِّ أنْ يَنْفَصِلَ عن الرَّبِّ، ويَأْكلَ ويَشْرَبَ، ويُدَّعَى أَنَّهُ قُتِلَ وصُلِبَ؟.

وعلَى هذا تكونُ (مِنْ) بيانية أو للابتداء، وليستْ للتَّبْعِيضِ، فهيَ كقَوْلِه تَعَالَى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ} فلاَ يُمْكِنُ أنْ نَقُولَ: إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ والأَنْهَارَ جزْءٌ مِن اللهِ، وهذا لَمْ يقُلْ به أَحَدٌ.

فقولُهُ: (مِنْهُ) أيْ: رُوحٌ صَادِرَةٌ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ، وليسَتْ جُزْءًا مِن اللهِ كَمَا تَزْعُمُ النَّصارَى.

واعْلَمْ أنَّ مَا أَضَافَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِه يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلاثَة أَقْسَامٍ:

الأَوَّلُ: العَيْنُ القَائِمَةُ بِنَفْسِها، وإضافَتُها مِنْ باب إضافة المَخْلُوقِ إِلَى خَالقه، وهذه الإضافةُ قدْ تَكُونُ على سبيلِ عُمُومِ الخَلْقِ كقولِه تعالَى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ}، وقولُهُ

تَعَالَى: {إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ}.

وقدْ تكونُ علَى سبيلِ الخُصوصِ لشَرَفِيَّتِه، كقولِه تعالَى: {وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ}، وكقولِه تَعَالَى: {نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا} وهذا القسمُ مَخْلوقٌ.

الثاني: أنْ يكونَ شيئًا مُضَافًا إِلَى عَيْنٍ مَخْلوقةٍ يقومُ بهَا، مثَالُهُ قولُهُ تعالَى: {وَرُوحٌ مِنْهُ} فإضافةُ هذه الرُّوحِ إِلَى اللهِ مِنْ بابِ إضافةِ المخلوقِ إِلَى خالقِه تَشْرِيفًا، فهيَ رُوحٌ مِن الأَرْواحِ التِي خَلَقَها اللهُ، وليسَتْ جُزءًا أوْ رُوحًا مِن اللهِ، إذْ إنَّ هذه الرُّوحَ حَلَّتْ في **عيسَى** عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وهوَ عَيْنٌ مُنْفَصِلَةٌ عن اللهِ، وهذا القِسْمُ مَخْلُوقٌ أيضًا.

الثالثُ: أنْ يكونَ وصْفًا غيرَ مُضَافٍ إِلَى عينٍ يَقُومُ بهَا، مثالُ ذلكَ قولُهُ تَعَالَى: {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي} فالرسالةُ والكلامُ أُضيفَا إِلَى اللهِ مِنْ بابِ إضافةِ الصِّفةِ إِلَى المَوْصُوفِ، فإذا أَضَافَ اللهُ لنَفْسِه صِفَةً، فهذه الصِّفَةُ غيرُ مَخْلُوقَةٍ، وبهذا يَتَبَيَّنُ أنَّ **هذه الأقْسامَ الثلاثةَ**: قِسْمانِ منها مَخْلُوقانِ، وقِسْمٌ غيرُ مخلوقٍ.

فالأعيانُ القائِمَةُ بنَفْسِهَا والمُتَّصِلُ بهذه الأعيانِ مخلوقةٌ، والوصْفُ الذي لم يُذْكَرْ لهُ عَيْنٌ يَقُومُ بهَا غيرُ مَخْلُوقٍ؛ لأَنَّهُ يكونُ مِنْ صِفاتِ اللهِ، وصِفاتُ اللهِ غيرُ مَخْلُوقَةٍ؛ ويمكن إرجاع القسمة الثلاثية إلى هذين القسمين الذين ذكرنا.

وقد اجْتَمَعَ القسمانِ في قولِه: «كَلِمَتُهُ»، «**وَرُوحٌ مِنْهُ**»، فـ«**كَلِمَتُهُ**» هذه وصْفٌ مُضَافٌ إِلَى اللهِ، وعَلَى هذا فتكونُ «**كَلِمَتُهُ**» صِفَةً مِنْ صفاتِ اللهِ.

«**وَرُوحٌ منهُ**» هذه أُضِيفَتْ إِلَى عَيْنٍ؛ لأنَّ الرُّوحَ حَلَّت في **عيسَى**، فهيَ مَخْلُوقةٌ.

قَوْلُهُ: (**أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ**) **إدْخالُ الجَنَّةِ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:**

الأوَّلُ: إدخالٌ كاملٌ لم يُسْبَقْ بعذابٍ لِمَنْ أَتَمَّ العَمَلَ.

الثاني: إدخالٌ ناقصٌ مَسْبوقٌ بعذابٍ لِمَنْ نَقَصَ العَمَلَ.

فالمُؤْمِنُ إذا غَلَبَتْ سَيِّئاتُهُ حَسَناتِه، إنْ شاءَ اللهُ عذَّبَهُ بقَدْرِ عَمَلِه، وإنْ شاءَ لَمْ يُعَذِّبْهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}.

(٧) قولُهُ: (**عِتْبانَ**) هوَ **عِتْبانُ بنُ مالكٍ**، أَحَدُ الأنْصارِ رَضِيَ اللهُ عنهم، كَانَ يُصلِّي مَعَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّم، فَضَعُفَ بَصَرُهُ، وشَقَّ عليهِ المَجِيءُ إِلَى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَطَلَبَ مِن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ

أنْ يَخرُجَ إليه، وأنْ يُصلِّيَ في مَكَانٍ مِنْ بَيْتِه، ليَتَّخذَهُ مَصلًّى، فَخرَجَ إليه النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ ومَعَهُ طَائفةٌ مِنْ أَصْحَابه، فَلَمَّا دَخَلَ البَيْتَ قَالَ: «**أَيْنَ تُرِيدُ أنْ أُصلِّيَ**»؟

قَالَ: صَلِّ هَا هُنا، فَصَلَّى بهم النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَليه وَسَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ على طَعَامٍ صَنَعُوهُ له، فَجعَلُوا يَتَذَاكَرُونَ، فذكَرُوا رَجُلاً يُقالُ لَهُ: مَالكُ بنُ الدُّخْشُمِ، فَقَالَ بَعْضُهم: هُو مُنافقٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «لا تَقُلْ هَكَذا، أَلَيْسَ قَالَ: لا إلَهَ إلاَّ اللهُ، وَيُرِيدُ بِذلكَ وَجهَ اللهِ؟» ثُمَّ قَالَ: «فَإنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ . .» الحديث.

فنهاهُم أنْ يَقُولُوا هَكَذا؛ لأنَّهم لاَ يَدْرُونَ عَمَّا في قَلْبِه؛ فهوَ يَشْهَدُ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ، وقدْ قالَ الرَّسُولُ ما قالَ، ولَمْ يُبَرِّئ الرَّجُلَ، بلْ أَتَى بِعِبَارةٍ عَامَّةٍ بأنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ، يَبْتَغِي بذلكَ وجْهَ اللهِ.

ونَهَى أنْ نُطْلِقَ أَلْسِنَتَنا في عبادِ اللهِ الذينَ ظَاهِرُهم الصَّلاَحُ، ونقولَ: هذا مُراء، هذا فاسِقٌ، ومَا أَشْبَهَ ذلكَ؛ لأنَّنا لوْ أَخذْنا بما نَظُنُّ فسَدَت الدُّنيا والآخرَةُ، فَكثيرٌ من الناسِ نَظُنُّ بهم سوءًا، ولكنْ لاَ يَجُوزُ أنْ نقولَ ذلكَ، وظاهِرُهم الصَّلاَحُ، ولهذا قَالَ العُلَماءُ: يَحْرُمُ ظَنُّ السُّوءِ بمُسْلِمٍ ظَاهِرُهُ العَدَالَةُ.

(٨) قولُهُ: (**فإنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النارِ**) أيْ: مَنَعَ مِنَ النَّارِ، أوْ مَنَعَ النَّارَ أنْ تُصيبَهُ.

(٩) قولُهُ: (**مَنْ قَالَ: لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ**) أيْ: يُشْتَرَطُ الإخْلاَصُ، بدليلِ قوله: «يَبْتَغِي بذلكَ وجْهَ اللهِ» أيْ: يَطْلُبُ وجْهَ اللهِ، ومَنْ طَلَبَ وجْهًا لاَ بُدَّ أنْ يَعْمَلَ كلَّ ما في وُسْعِهِ للوصولِ إليه؛ لأنَّ مُبْتَغِيَ الشيءِ يَسْعَى في الوصولِ إليه.

فالحَديثُ واضِحُ الدَّلاَلَةِ على شَرْطيَّةِ العَمَلِ لِمَنْ قالَ: (**لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ**) يَبْتَغِي بذلكَ وجْهَ اللهِ، ولذا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ عندَ قولِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**مِفْتَاحُ الجنَّةِ: لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ**» لكنْ مَنْ أَتَى بمِفْتاحٍ لاَ أَسْنَانَ لَهُ لاَ يُفْتَحُ لَهُ.

- قالَ شيخُ الإسْلاَمِ: (**إنَّ المُبْتَغِيَ لاَ بُدَّ أنْ يُكَمِّلَ وسائلَ البُغْيَةِ، وإذا أَكْمَلَها حُرِّمَتْ عليه النارُ تَحْرِيمًا مُطْلَقًا، فإذا أَتَى بالحَسَناتِ علَى الوجْهِ الأَكْمَلِ، فإنَّ النَّارَ تَحْرُمُ عليه تَحْرِيمًا مُطْلَقًا، وإنْ أَتَى بشيءٍ ناقصٍ فإنَّ الابتغاءَ فيه نَقْصٌ؛ فيكونُ تَحْريمُ النَّارِ عليه فيه نَقْصٌ، لكنْ يَمْنَعُهُ ما مَعَهُ منَ التَّوحيدِ منَ الخلودِ في النارِ.**

وكذا مَنْ زَنَى، أوْ شَرِبَ الخَمْرَ، أوْ سَرَقَ، فإذا فعَلَ شيئًا منْ ذلكَ ثمَّ قَالَ حينَ فعَلَهُ: أَشْهَدُ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ، أَبْتَغِي بذلكَ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وجْهَ اللهِ، فهوَ كَاذبٌ فِي زَعْمِه؛ لأنّ النّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ قالَ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهُوَ مُؤْمِنٌ» فَضْلاً عنْ أنْ يكونَ مُبتغيًا وجْهَ اللهِ).

وفي الحديث ردٌّ علَى المُرْجئة؛ فالمُرْجئةُ يَقُولونَ: يَكْفِي قولُ: (**لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ**) دونَ ابتغاءِ وجْه الله.

وفيه ردٌّ علَى الخَوارجِ والمُعْتزلَة؛ لأنَّ ظاهرَ الحديث أنَّ مَنْ فعَلَ هذه المُحرَّمات لاَ يُخلَّدُ في النَّار، لكنَّهُ مُسْتحقٌّ للعُقُوبَة، وهم **يَقُولُونَ**: إنَّ فاعلَ الكبيرَةِ مُخلَّدٌ في النَّار.

(١٠) قولُهُ: (**أذْكُرُكَ وأدْعُوكَ بِهِ**) صفَةٌ لشيءٍ؛ أيْ: كي أذْكُرَكَ، وأدْعُوكَ بِهِ، وليست جوابَ الطَّلَب، **فَمُوسَى** عليه السَّلامُ **طَلَبَ أمْرَيْنِ**:

أحدهما: ذكْرُ الله.

والآخر: دُعاؤهُ.

فأَجَابَهُ اللهُ بقوله: «**قُلْ: لا إلَهَ إلاّ اللهُ**» وهذه الجُمْلَةُ ذكْرٌ مُتضَمِّنٌ للدُّعاء؛ لأنَّ الذَّاكرَ يُريدُ رضَا الله عنه، والوُصُولَ إلَى دَارِ كَرامته، فهوَ ذكْرٌ مُتضَمِّنٌ للدُّعَاء، قَالَ الشَّاعرُ:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي ... حِبَاؤُكَ إنّ شيمَتَكَ الحِبَاءُ

يعني: عطَاؤُكَ.

واسْتَشْهَدَ **ابنُ عباسٍ** عَلَى أنَّ الذِّكْرَ بمعنَى الدُّعاء بقولِ الشَّاعرِ:

إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ العَبْدُ يَوْمًا ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

(١١) قولُهُ: (**كلُّ عبادكَ يقولونَ هَذا**) ليسَ المعنَى أنَّها كَلمةٌ هَيِّنَةٌ كلٌّ يقولُها؛ لأنَّ **مُوسَى** عليه الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ يَعْلَمُ عظَمَ هذه الكَلمَة، ولكنَّهُ أَرادَ شيئًا يَختصُّ به؛ لأنَّ تَخْصيصَ الإنْسان بالأمر يدلُّ عَلَى مَنْقَبة لهُ ورِفْعَةٍ، فَبَيَّنَ اللهُ **لمُوسَى** أنَّهُ مَهمَا أُعطيَ فَلَنْ يُعْطَى أَفْضَلَ منْ هذه الكَلمَة، وأنَّ (لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ) أَعْظَمُ من السَّمَاوات والأَرْضِ ومَا فيهنَّ؛ لأنَّها تَميلُ بِهنَّ وتَرْجَحُ، فَدَلَّ ذلكَ عَلَى فَضْلِ: (**لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ**) وعِظَمِها، لكنْ لاَ بُدَّ من الإتيان بشُرُوطهَا.

أمَّا مُجرَّدُ أنْ يقولَها القائلُ بلسَانه، فكَم منْ إنْسانٍ يَقُولُها، لكنَّها عندَهُ كالرِّيشَة، لاَ تُساوِي شيئًا؛ لأنَّهُ لَمْ يَقُلْها علَى الوجْه الذي تَمَّتْ به الشُّرُوطُ، وانتَفتْ المَوانعُ.

(١٢) قولُهُ: (**والأَرَضِينَ السبعَ**) في بَعْضِ النُّسَخِ بالرَّفْعِ، وهذا لاَ يَصْلُحُ؛ لأنَّهُ إذا عُطِفَ عَلَى اسمِ (إنَّ) قَبْلَ استكمالِ الخَبَرِ وجَبَ النَّصْبُ.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

(١٣) قولُهُ: (**مَالَتْ**) أيْ: رَجحتْ حتَّى يَملْنَ.

قولُهُ: (**عامِرهُنَّ**) أيْ: ساكنهُنَّ، فالعامرُ للشيءِ هوَ الذي عُمرَ به الشيءُ.

قولُهُ: (**غيرِي**) استَثْنَى نفْسَهُ تبَارَكَ وتَعالَى؛ لأنَّ قولَ: (**لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ**) ثَنَاءٌ عَلَيه، والمُثْنَى عليه أَعْظَمُ من الثَّناءِ.

(١٤) قولُهُ: (**قَالَ اللهُ تَعَالَى: يا ابنَ آدمَ...**) إلخ: هذا مِن الأحاديثِ القُدْسيَّةِ، **والحديثُ القُدْسيُّ**: ما رَوَاهُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ عنْ رَبِّه.

وقدْ أَدْخلَهُ المُحدِّثُونَ في الأحاديثِ النَّبويَّةِ؛ لأنَّهُ مَنْسُوبٌ إلَى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ تَبْليغًا، وليسَ من القرآنِ بالإجماعِ، وإنْ كانَ كلُّ واحدٍ منهما قدْ بَلَّغَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ أُمَّتَهُ عنِ اللهِ عزَّ وجَلَّ.

قولُهُ: (**بقُرَابِ الأرْضِ**) أيْ: مَا يُقَارِبُها إمَّا مَلْئًا، أوْ ثقلاً، أوْ حَجْمًا.

(١٥) قولُهُ (**خَطَايا**) جَمعُ: خَطيئَة، وهيَ الذنبُ، و**الخَطَايا**: الذُّنوبُ، ولوْ كانتْ صغيرةً، لقولِهِ تعالَى: **﴿بلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾**.

(١٦) قولُهُ: (**لاَ تُشْرِكُ بِي شيئًا**) جملةُ «**لاَتُشْرِكُ**» في مَوْضعِ نَصْبٍ علَى الحالِ مِن التاءِ؛ أيْ: لَقيتَني في حَالٍ لا تُشْرِكُ بي شيئًا.

قولُهُ: (**شيئًا**) نَكرةٌ في سياقِ النَّفْيِ تُفيدُ العُمُومَ؛ أيْ: لاَ شرْكًا أَصْغَرَ ولاَ أَكْبَرَ.

وهذا قيدٌ عظيمٌ، قدْ يَتَهاونُ بهِ الإنسانُ، ويقولُ: أنا غيرُ مُشْرِكٍ وهوَ لاَ يَدْري، فحُبُّ المالِ مَثَلاً - بحَيْثُ يُلْهي عنْ طَاعَةِ اللهِ - مِن الإشْرَاكِ، قَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ.. الحديثَ**».

فَسَمَّى النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مَنْ كانَ هَمُّهُ الدِّينارَ عبدًا لهُ.

(١٧) قولُهُ: (**لأَتَيْتُكَ بقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**) أيْ: أنَّ حَسَنَةَ التَّوْحيدِ عَظِيمَةٌ، تُكفِّرُ الخَطَايا الكبيرةَ إذا لَقيَ اللهَ وهوَ لاَ يُشْرِكُ به شيئًا.

والمغفرةُ: سَتْرُ الذَّنْبِ والتَّجاوزُ عنه.

ومناسبةُ الحديثِ للتَّرْجَمَةِ:

أنه في هذا الحديثِ بيان فضلُ التوحيدِ، وأنَّهُ سببٌ لتكفيرِ الذنوبِ، فهوَ مُطَابقٌ لقولِه في التَّرْجَمَةِ: (**وما يُكَفِّرُ من الذُّنوب**).

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

(١٨) قولُهُ:

فيهِ مسَائِلُ:

الأولَى: (سَعَةُ فَضْلِ اللهِ) لقولِهِ: «أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ».

(١٩) **الثانيةُ:** (كثرةُ ثوابِ التوحيدِ عندَ اللهِ) لقولِهِ: «مَالَتْ بِهِنَّ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ».

(٢٠) **الثالثةُ:** (تَكْفيرُهُ معَ ذلكَ الذُّنوبَ) لقولِهِ: «لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» فالإنْسانُ قدْ تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ أحيانًا، فيقعُ في الخَطَايا، لكنَّهُ مُخْلصٌ للهِ في عِبَادته وطَاعَته، فحَسَنَةُ التوحيد تُكفِّرُ عنه الخطَايا إذا لَقِيَ اللهَ بها.

(٢١) **الرابعةُ:** (تفسيرُ الآيَةِ التي في سُورَةِ الأنعامِ) وهيَ قولُهُ تعالَى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}.

فالظلمُ هنا الشِّركُ لقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}».

(٢٢) **الخامسةُ:** (تأمُّلُ الخمسَ اللَّواتي في حديثِ عُبادَةَ) وهن:

- الشَّهادَتَان.
- وأنَّ عيسَى عبدُ اللهِ ورسولُهُ، وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ، ورُوحٌ منهُ.
- وأنَّ الجنَّةَ حقٌّ.
- وأنَّ النارَ حقٌّ.

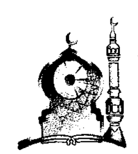
(٢٣) **السادسةُ:** (أنَّكَ إذا جَمَعْتَ بينَهُ وبينَ حديثِ عِتْبانَ، وحديثِ أَبي سعيد، وحديثِ أنسٍ، وما بعدَهُ تَبيَّنَ لكَ مَعْنَى قولِ: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ)، وتَبَيَّنَ خَطَأُ المَغْرُورِينَ) لأنَّهُ لاَ بُدَّ أنْ يَبْتَغِيَ بها وجْهَ اللهِ، وإذا كانَ كذلكَ فَلاَ بدَّ أنْ تَحْمِلَ المرءَ عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ.

(٢٤) **السابعةُ:** (التَّنْبيهُ للشرْطِ الذي في حديثِ عِتْبانَ) وهوَ أنْ يَبْتَغِيَ بقولِهَا وجْهَ اللهِ، ولاَ يَكْفِي مجرَّدُ القولِ؛ لأنَّ المنافقينَ كانوا يَقُولُونَها، ولَمْ تَنْفَعْهم.

(٢٥) **الثامنةُ:** (كونُ الأنبياءِ يَحْتاجُونَ للتَّنْبيهِ عَلَى فَضْلِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) فغَيْرُهم منْ بَابِ أوْلَى.

(٢٦) **التاسعةُ:** (التَّنْبيهُ لرُجْحَانِها بجَميعِ المَخْلوقاتِ، مَعَ أنَّ كثيرًا ممَّن يقولُها يَخِفُّ ميزَانُهُ) فالبَلاَءُ مِن القائلِ لاَ مِن القولِ؛ لأنَّهُ قدْ يكونُ اختَلَّ شرطٌ مِن الشروطِ، أوْ وُجِدَ مانعٌ مِن الموانعِ، فإنَّها تَخِفُّ بِحَسَبِ ما عندَهُ، أمَّا القولُ نَفْسُهُ فَيَرْجَحُ بجَميعِ المَخْلوقاتِ.





(٢٧) **العاشرةُ:** (النَّصُّ عَلَى أنَّ الأَرَضِينَ سَبْعٌ كالسماوات) لأنه لم يَرِدْ في القُرآنِ تَصْرِيحٌ بذلكَ، بلْ وَرَدَ صَرِيحًا أنَّ السَّماواتِ سَبْعٌ بقوله تَعَالَى: **{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ}** وبالنسبة للأَرَضِينَ لم يَرِدْ إلاَّ قولُهُ تَعَالَى: **{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ}** فالمِثْلِيَّةُ بالكَيْفِيَّةِ غيرُ مُرادَة، لظُهُورِ الفَرْقِ بينَ السَّماءِ والأرْضِ في الْهَيْئَةِ، والكَيْفِيَّةِ، والارْتِفَاعِ، والحُسْنِ، فبَقِيَت المِثْلِيَّةُ في العَدَدِ.

أمَّا السُّنَّةُ فهيَ صَرِيحةٌ جدًّا بأنَّها سَبْعٌ.

مثلُ قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: «**مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**».

(٢٨) **الحاديَةَ عشرة:** (**أنَّ لهنَّ عُمَّارًا**) -أي: السَّماوات- وعُمَّارُهُنَّ المَلائكَةُ.

(٢٩) **الثانيَة عشرة:** (**إثباتُ الصفات خلافًا للأشعَرِيَّة**) وفي بَعْضِ النُّسخِ (خلافًا للمُعَطِّلَة)، وهذه أَحْسَنُ؛ لأنَّها أَعَمُّ، حيثُ تَشْمَلُ الأَشْعَرِيَّةَ، والمُعْتَزِلَةَ، والجَهْمِيَّةَ، وغيرَهم، ففيه إثباتُ الوجْه لله سبحانَهُ بقولِه: «**يَبْتَغِي بذلكَ وجْهَ اللهِ**» وإثباتُ الكَلاَمِ بقولِه: «**وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا**» وإثْباتُ القولِ في قولِه: «**قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**».

(٣٠) **الثالثة عشرة:** (**أنَّكَ إذا عَرَفْتَ حَدِيثَ أنسٍ عَرَفْتَ أنَّ قولَهُ في حديث عِتْبانَ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، يَبْتَغِي بذلكَ وجْهَ اللهِ» أنَّهُ تَرَكَ الشِّرْكَ**) وفي بعضِ النُّسخِ: (**إذَا تَرَكَ الشِّرْكَ**) أيْ: أنَّ قولَهُ: «**حَرَّمَ عَلَى النارِ مَنْ قالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، يَبْتَغِي بذلكَ**» يَعْنِي تَرْكَ الشِّرْكِ، وليسَ مجرَّدَ قولِها باللسانِ؛ لأنَّ مَن ابْتَغَى وجْهَ اللهِ في هذا القولِ لاَ يُمْكِنُ أنْ يُشْرِكَ أبدًا.

(٣١) **الرابعة عشرة: (تَأَمُّل الجَمْعِ بينَ كونِ كلٍّ مِنْ عيسَى ومحمدٍ عَبْدَيِ اللهِ ورَسُولَيْه) مِنْ وجْهَيْنِ:**

الأولُ: أنَّهُ جَمَعَ لكلٍّ منهما بينَ العبوديَّة والرسالَة.

الثاني: أنَّهُ جَمَعَ بينَ الرَّجُلَيْنِ، فتَبَيَّنَ أنَّ عيسَى مثلُ مُحَمَّدٍ وأنَّهُ عبدٌ ورسولٌ، وليسَ ربًّا ولاَ ابنًا للرَّبِّ سبحانَهُ.

(٣٢) **الخامسة عشرة:** (**مَعْرِفَةُ اخْتِصَاصِ عيسَى بكَوْنه كَلِمَةَ اللهِ**) أيْ: أنَّ عيسَى انْفَرَدَ عنْ **مُحَمَّدٍ** في أَصْلِ الخِلْقَةِ، فقَدْ كانَ بكَلِمَةٍ، أمَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ فقَدْ خُلِقَ مِنْ مَاءِ أَبِيه.

(٣٣) **السادسة عشرة:** (**مَعْرِفَةُ كونه رُوحًا منهُ**) أيْ: أنَّ عيسَى رُوحٌ مِن اللهِ، و(مِنْ) هنا بَيَانِيَّةٌ، أوْ للابْتِداءِ، وليستْ للتَّبْعيضِ؛ أيْ: رُوحٌ جاءَتْ مِنْ قِبَلِ اللهِ، وليسَت بعضًا من اللهِ، بلْ هيَ مِنْ جُمْلَةِ الأَرْواحِ المَخْلُوقَةِ.

(٣٤) **السابعة عشرة: (مَعْرِفَةُ فَضْلِ الإيمانِ بالجنَّةِ والنَّارِ)** لقولِهِ في حَديثِ **عُبَادَةَ**: «**وأنَّ الجَنَّةَ حقٌّ، والنَّارَ حَقٌّ**» والفَضْلُ أنَّهُ مِنْ أَسْبابِ دُخولِ الجَنَّةِ.

(٣٥) **الثامنة عشرة: (مَعْرِفَةُ قولِهِ: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»** أيْ: عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ ولوْ قلَّ، أوْ عَلَى مَا كَانَ مِن العَمَلِ السيِّئِ ولوْ كثُرَ، بشرط أنْ لاَ يَأْتيَ بمَا يُنافي التَّوْحيدَ، ويُوجبُ الخُلُودَ في النَّارِ، لكنْ لاَ بُدَّ مِن العَمَلِ، ولاَ يَلْزَمُ اسْتِكْمَالُ العَمَلِ الصَّالِحِ، كَمَا قَالَت المُعْتَزِلَةُ والخَوارِجُ.

ولَمْ تُذْكَرْ أركانُ الإسْلاَمِ هنا؛ لأنَّ مِنْهَا مَا يَكْفُرُ الإنسانُ بتَرْكِه، ومنْها مَا لاَ يَكْفُرُ؛ فإنَّ الصَّحيحَ أنَّهُ لاَ يَكْفُرُ إلاَّ بتَرْكِ الشَّهَادَتَيْنِ والصَّلاَةِ، وإنْ كَانَ رُوِيَ عن الإمامِ **أحْمَدَ** أنَّ جميعَ أركانِ الإسْلاَمِ يَكْفُرُ بتَرْكِهَا، لكنَّ الصَّحيحَ خلاَفُ ذلكَ.

(٣٦) **التاسعة عشرة: (مَعْرِفَةُ أنَّ الميزَانَ لَهُ كِفَّتان)** أخَذَها المُؤَلِّفُ مِنْ قولِهِ: «**لوْ أنَّ السَّماواتِ.. إلخ، وُضعَتْ في كِفَّة، ولاَ إلهَ إلاَّ اللهُ في كِفَّة**».

والظَّاهِرُ: أنَّ الذي في الحَديثِ تَمْثيلٌ، يَعْني أنَّ قولَ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، أرْجَحُ مِنْ كلِّ شيءٍ، وليسَ في الحديثِ أنَّ هذا الوزنَ في الآخِرَةِ، وكأنَّ المؤلِّفَ رَحِمَهُ اللهُ حَصَلَ عندَهُ انْتقالٌ ذِهْنيٌّ، فانْتَقَلَ ذِهْنُهُ مِنْ هذا إلَى ميزانِ الآخِرة.

قلت: لم يصرح إمام الدعوة -رحمه الله- بأنه ميزان الآخرة، فمراده بيان أن حقيقة الميزان إذا أطلق في لسان العرب فهو ذو كفتين كما في هذا الحديث، ويعرف به أن لميزان الآخرة كفتين.

(٣٧) **العشرونَ: (معرفةُ ذِكْرِ الوجْه)** وجهُ اللهِ تَعَالَى صفَةٌ مِنْ صِفَاته الخَبَرِيَّة الذَّاتيَّة التي مُسَمَّاهَا بالنِّسْبَة لَنَا أبعاضٌ وأجزاءٌ؛ لأنَّ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى مَا هُو مَعْنًى مَحْضٌ، ومنهُ ما مُسَمَّاهُ بالنِّسْبَة لَنَا أَبْعَاضٌ وأجزاءٌ، ولاَ نَقُولُ بالنِّسبة للهِ تَعَالَى أبعاضٌ، لأنَّنا نَتحاشَى كَلِمَةَ التَّبْعيضِ في جَانبِ اللهِ تَعَالَى.

الفلاحِ دليلٌ على الخَيْبَةِ والخُسْرانِ.

ولكنْ هلْ هذا شِرْكٌ أكبرُ أوْ أصغرُ؟

سبَقَ لنا عندَ التَّرْجَمَةِ أنَّهُ يَختلفُ بحسَبِ اعْتِقادِ صاحِبِه.

(٩) قولُهُ: **(مَنْ تَعَلَّقَ تَميمَةً)** أيْ: عَلقَ بها قلبُهُ واعتَمَدَ عليها في جلْبِ النفعِ ودفْعِ الضَّرَرِ، والتَّميمَةُ شيءٌ يُعَلَّقُ على الأولادِ منْ خرَزٍ أوْ غيرِهِ يَتَّقُونَ بهِ العينَ.

والتمائم كما قال ابن الأثير: **(هي خرزات، كانت العرب تعلقها على أولادهم، يتقون بها العين في زعمهم)**

قولُهُ: **(فَلاَ أَتَمَّ اللهُ لَهُ)** الجملةُ خبريَّةٌ بمعْنَى الدعاءِ، ويَحتَمِلُ أنْ تكونَ خَبَريَّةً مَحْضَةً.

وكِلا الاحتماليْنِ دالٌّ على أنَّ التميمةَ مُحَرَّمَةٌ، سواءٌ نفَى الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أنْ يُتِمَّ اللهُ لهُ، أوْ دَعا بأنْ لا يُتِمَّ اللهُ لهُ، فإنْ كانَ الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أرادَ به الخبرَ فإنَّنا نُخبِرُ بما أَخبَرَ بهِ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وإلاَّ فإنَّنا نَدْعُو بمَا دَعا بهِ الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

(١٠) قولُهُ: **(ودَعَةً)** واحِدَةُ الوَدَعِ، وهيَ أحْجَارٌ تُؤْخَذُ من البَحْرِ يُعَلِّقونَها لدفعِ العينِ، ويزعُمُونَ أنَّ الإنسانَ إذا علَّقَ هذهِ الوَدَعَةَ لم تُصبْهُ العينُ، أوْ لا يُصيبُهُ الجنُّ.

قال ابن الأثير: **(هو شيء أبيض، يجلب من البحر، يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم)**.

وقال السهيلي: **(أنها مشتقة من (ودعته) أي: تركته؛ لأن البحر ينضب عن تلك الخرزات ويدعها، فسميت ودعاً، من باب ما سمي بالمصدر)**

قولُهُ: **(لاَ وَدَعَ اللهُ لَهُ)** أيْ: لا تَركَهُ اللهُ في دَعَةٍ وسُكونٍ، وضِدُّ الدَّعَةِ والسكونِ القَلَقُ والأَلَمُ.

وقيلَ: لا تَرَكَ اللهُ لهُ خيرًا، فَعُومِلَ بنقيضِ قَصْدِه.

(١١) قولُهُ: **(مِن الحُمَّى)** مِنْ هنا للسبَبِيَّةِ، أيْ: في يدِهِ خيطٌ لَبِسَهُ مِنْ أجلِ الحُمَّى لِتَبْرُدَ عليهِ، أوْ يَشْفَى منها.

(١٢) قولُهُ: **(فَقَطَعَهُ)** أيْ: قطَعَ الخيْطَ، وفِعْلُهُ هذا مِنْ تَغْييرِ المنكَرِ باليدِ، وهذا يدلُّ على غَيْرَةِ السلَفِ الصالحِ وقُوَّتِهِم في تغييرِ المنكَرِ باليدِ وغيرِها.

قال في (تيسير العزيز الحميد) ص١٦١: قوله: (فقطعه) **(فيه إنكار هذا، وإن كان يعتقد أنه سبب، فإن الأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، مع عدم الاعتماد عليه، فكيف مما هو شرك كالتمائم،**

تهذيب القول المفيد لفضيلةالشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الرابع

(١) هذا البابُ كالمُتمِّمِ للبابِ الذي قبلَه؛ لأنَّ الذي قبلَه: (**بابُ فضلِ التوحيد، وما يُكفِّرُ من الذنوب**) **فمِن فضلِه هذا الفضلُ العظيمُ الذي يسعَى إليه كلُّ عاقلٍ، وهو دخولُ الجنَّةِ بغيرِ حسابٍ.**

(٢) قولُه: (**مَن**) شرطيةٌ، وفعلُ الشرطِ (**حقَّقَ**) وجوابُه: (**دخَلَ**).

قولُه: (**بلا حسابٍ**) أيْ: لا يُحاسَبُ، لا على المعاصي، ولا على غيرِها.

وتحقيقُ التوحيدِ: تخليصُه من الشِّركِ، ولا يكونُ إلا بأمورٍ ثلاثةٍ:

الأوَّلُ: العِلْمُ، فلا يمكنُ أن تحقِّقَ شيئاً قبل أنْ تعلمَه، قالَ اللهُ تعالى: **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ}**.

الثاني: الاعتقادُ، فإذا علِمْتَ ولم تعتقدْ واستكبرْتَ لم تحقِّق التوحيدَ، قالَ اللهُ -تعالى- عن الكافرين: **{أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَـهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}** فلم يعتقدوا انفرادَ الله بالألوهيَّة.

الثالثُ: الانقيادُ، فإذا علِمْتَ واعتقدتَ ثم لم تَنْقَدْ فإنك لم تحقِّق التوحيدَ، قالَ تعالى: **{إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ}**.

فإذا حَصَلَ هذا وحقّق التوحيدَ فإنَّ الجنَّةَ مضمونةٌ له بغيرِ حسابٍ، ولا نقولُ: إنْ شاءَ اللهُ؛ لأنّ هذا حكايةُ حكمٍ ثابتٍ شرعاً، ولهذا جزَمَ المؤلِّفُ - رحمَه اللهُ تعالى - بذلك في الترجمةِ دونَ أن يقولَ: إنْ شاءَ اللهُ، أما بالنسبةِ للرجلِ المعيَّنِ فإننا نقولُ: إن شاءَ اللهُ.

وقد ذكَرَ **المؤلِّفُ** في هذا البابِ آيتين، **ومناسبتُهما للبابِ** الإشارةُ إلى تحقيقِ التوحيدِ، وأنه لا يكونُ إلا بانتفاءِ الشركِ كلِّه.

(٣) قولُه تعالى: **{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً...}** الآيةَ.

وهذا ثناءٌ من اللهِ -سبحانَه وتعالَى- على إبراهيمَ بأنه إمامٌ متبوعٌ؛ لأنه أحدُ الرسلِ الكرامِ من أُولي العَزْمِ، ثم إنَّه -صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ- قدوةٌ في أعمالِه وأفعالِه وجهادِه، فإنَّه جاهَدَ قومَهُ وحصَلَ منهم عليه ما حصلَ، وأُلقي في النارِ فصبَرَ، ثم ابتلاهُ اللهُ -بحانَه وتعالى- بالأمرِ بذبحِ ابنِه، وهو وحيدُه، وقد بلَغَ معه السعيَ، أيْ: شبَّ وترَعْرَعَ، فليس كبيراً قد طابتِ النَّفْسُ منه، ولا صغيراً لم تتعلَّقْ به النفسُ كثيراً، فصارَ على مُنْتَهَى تعلُّقِ النفسِ به.

فجاءَ الفرجُ من اللهِ تعالى: {وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} ولا يصحُّ ما ذكرَه بعضُهم من أنَّ السكينَ انقلبَتْ، أو أن رقبتَه صارَتْ حديداً. ونحوَ ذلك.

(٤) قولُه: {قانتاً} القنوتُ: دوامُ الطاعةِ، والاستمرارُ فيها عَلَى كُلِّ حالٍ، فهو مُطيعٌ للهِ ثابتٌ على طَاعتِه، مُديمٌ لَهَا في كُلِّ حالٍ.

(٥) قولُه: {حَنِيفاً} أيْ: مائلاً عن الشركِ، مُجَانبًا لكلِّ ما يخالفُ الطاعةَ، فوُصِفَ بالإثباتِ والنَّفْيِ، أيْ: بالوصفيْنِ الإيجابيِّ والسلبيِّ.

وأصل الكلمة الإقبال ولازمها الميل، قال ابن القيم: (**أصل الحنف: الإقبال، ثم وصف بلازمه، وهو الميل؛ لأن المقبل على شيء مائل عن غيره**)

(٦) قولُه: {وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} تأكيدٌ، أيْ: لم يكنْ مُشركاً طولَ حياته، فقد كانَ -عليه الصلاةُ والسلامُ- معصوماً عن الشركِ، مع أن قومَه كانوا مشركين، فوصَفَه اللهُ بامتناعِ الشركِ استمراراً في قوله: {حنيفاً} وابتداءً في قولِه: {وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} والدليلُ على ذلك: أنَّ اللهَ جعلَه إماماً، ولا يجعلُ اللهُ للناسِ إماماً مَن لم يحقِّقِ التوحيدَ أبداً.

(٧) قولُه: {وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ} هذه الآيةُ سبقتها آيةٌ، وهي قولُه: {إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ}.

لكنَّ المؤلِّفَ ذكرَ الشاهدَ، وقولُه: {مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ}أي: مِن خوفِهم منه على علمٍ، و{مُشْفِقُونَ} أي: خائفون من عذابه إن خالفوه.

فالمعاصي بالمعنى الأعمِّ -هيَ- شركٌ؛ لأنَّها صادرةٌ عن هَوًى مخالفٍ للشرعِ، وقد قالَ اللهُ تَعالَى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ}.

- **أمَّا بالنسبةِ للمعنى الأخصِّ، فيُقسِّمُها العلماءُ إلى قسميْنِ:**

الأول: شركٌ.

الثاني: فسوق.

وقولُه: {يُشْرِكُونَ} يُرادُ به الشركُ بالمعنى الأعمِّ؛ إذ تحقيقُ التوحيدِ لا يكونُ إلا باجتنابِ الشِّركِ بالمعنى الأعمِّ، ولكن ليسَ معنى هذا ألا تقعَ منهم المعاصي؛ لأنَّ كلَّ بني آدمَ خطَّاءٌ، ولكن هؤلاء إذا عَصَوْا فإنهم يتوبون، ولا يصرون عليها كما قالَ تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}.

(٨) قولُه: (**عن حُصيْنِ بنِ عبدِ الرحمنِ قالَ: كنتُ عندَ سعيدِ بنِ جُبيْرٍ**): وهما رجلان من التابعين.

(٩) قولُه: (انْقضَّ البارحةَ) أي: سقَطَ.

(١٠) قولُهُ: (**فقلتُ: أنا**) أي: **حُصَيْنٌ**.

(١١) قولُهُ: (**أمَا إني لَمْ أكُن في صَلاة**) أمَا: أداةُ استفتاحٍ.

وقيل: إنَّها بمعنى حقّاً، وعلى هذا فتُفْتَحُ هَمزةُ (إنَّ) فيقالُ: أما أني لَم أكنْ في صلاةٍ، أي: حقّاً لم أكنْ في صلاةٍ.

وقد قالَ هذا رحِمَه اللهُ؛ لئلاَّ يُظَنَّ أنه قائمٌ يصلِّي فيُحْمَدَ بمَا لَمْ يَفْعَلْ، وهذا خِلافُ ما عليه بعضُهم، يفرحُ بتوهم الناسَ أنه قائم يصلي، وهذا مِن نقْصِ التوحيد.

وقولُ **حصين** -رحمه اللهُ- ليسَ مِن بابِ المراءاةِ، بل هو مِن بابِ الحسناتِ، وليسَ كمَن يتْرُكُ الطاعاتِ خوفاً من الرياءِ؛ لأن الشيطانَ قد يلعبُ على الإنسانِ، ويُزيِّنُ له تركَ الطاعةِ خشيَةَ الرياءِ، بل افْعَلِ الطاعةَ، ولكن لا يكنْ في قلبكَ أنّك تُرائي الناسَ.

(١٢) قولُه: (**لُدغتُ**) أي: **لدغَتْهُ عَقْربٌ أو غيرُها**، والظاهرُ أنها شديدةٌ؛ لأنه لم ينَمْ منها.

(١٣) قولُه: (**ارتقَيْتُ**) أي: **استرقَيْتُ**؛ لأنَّ افتعلَ الشيءَ مثلُ استفعلَ، وفي روايةِ **مسلمٍ**: «**استرقيتُ**» أي: طلبتُ الرقيةَ.

(١٤) قولُه: (**فما حَمَلَك عَلَى ذلك**) أي: قالَ **سعيدٌ**: (**ما السببُ أنَّك استرقيتَ؟**)

(١٥) قولُه: (**لا رُقْيَةَ**) أي: **لا قراءةَ على مريضٍ، أو مصابٍ**.

(١٦) قولُه: (**من عينٍ**) ويسَمِّيها العامَّةُ الآن (**النحاتةَ**)، وبعضُهم يسمِّيها (**النفسَ**)، وبعضُهم يسميها (**الحسَدَ**)، وهي نظرَةٌ من حاسدٍ نَفْسُهُ خبيثةٌ، تتكَيَّفُ بكيْفيَّةٍ خاصَّةٍ، فينبعثُ منها ما يؤثِّرُ على المصابِ.

(١٧) قولُه: (**حُمَة**) بضمِّ الحاءِ وفتحِ الميمِ مع تخفيفِها، وهي كلُّ ذاتِ سمٍّ، والمعنى لدَغَته إحدَى ذواتِ السمومِ، والعقربُ منها.

(١٨) فقالَ **سعيدُ بنُ جبيْرٍ**: (**قدْ أحسنَ مَن انتهى إلى ما سَمِعَ، ولكنْ حدَّثَنا ابنُ عبَّاسٍ..**) إلخ.

فيه: أن **حصيناً** أخذ بحديث: «**لا رُقيَةَ إلا من عينٍ أو حُمَة**» وهذا يدلُّ على أنَّ الرُّقْيَةَ من العينِ أو الحُمَةِ مفيدةٌ، وهو أمرٌ واقعٌ؛ فإنَّ الرُّقى تنفعُ - بإذنِ اللهِ - مِن العينِ، ومِن الحُمَةِ أيضاً، وكثيرٌ من الناسِ يقرؤُونَ على الملدوغِ، فيَبْرَأُ حالاً، (**ويدلُّ لهذا قصةُ الرجلِ الذي بعثَه النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ، في سَرِيَّةٍ فاستضافوا قوماً فلَم يُضيِّفُوهم، فلُدِغَ سَيِّدُهم، فقالوا: مَن يرْقي؟**

فقالوا: لعلَّ هؤلاء الرَّكْبَ عندهم راقٍ فجاؤوا إلى السَّرِيَّة.

قالوا: هل فيكم من راقٍ؟

قالوا: نعم، ولكن لا نرْقي لكم إلا بشيءٍ من الغَنَم.

فقالوا: نُعْطيكُم، فاقْتَطَعُوا لهم مِن الغَنَم، ثُمَّ ذهبَ أحدُهم يقرأُ عليه الفاتحةَ، فقامَ كأنَّما نشطَ من عِقالٍ، فانْتَفَعَ اللديغُ بقراءتِها، ولهذا قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: «ومَا يُدْرِيكَ أنها رُقيةٌ» يعني الفاتحةَ.

وكذا: القراءةُ مِن العينِ مفيدةٌ.

ويُستعمَلُ للعينِ طريقةٌ أُخرى غيرُ الرقْيةِ، وهو الاسْتِغْسَالُ، وهي أنْ يُؤْتَى بالعائنِ، ويُطلَبَ منه أنْ يتوضأَ، ثم يُؤخذَ ما تناثرَ من الماءِ من أعضائِه، ويُصَبَّ على المُصَابِ، ويَشْرَبَ منه، ويبرأَ بإذنِ اللهِ.

وهناك طريقةٌ أخرى، ولا مانعَ منها أيضاً، وهي أن يُؤْخَذَ شيءٌ من شعارِه أي: ما يلي جسْمَه من الثيابِ، كالثوبِ، والطاقيَّةِ، والسِّروالِ وغيرِها، أو الترابِ إذا مشَى عليه وهو رَطْبٌ، ويُصَبُّ على ذلك ماءٌ يُرَشُّ به المصابُ، أو يشْرَبُهُ، وهو مُجرَّبٌ.

وأما العائنُ، فينبغي إذا رأَى ما يُعْجبُه أن يُبرِّكَ عليه؛ لقولِ النبيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - لعامرِ بنِ ربيعةَ لما عانَ سهْلَ بنَ حنيفٍ: «هلاَّ برَّكْتَ عليه» أي: قلتَ: بارَكَ اللهُ عليكَ.

قولُه: (ولكنْ حدَّثنا) القائلُ: سعيدُ بنُ جبيرٍ.

(١٩) قولُه: (عُرِضَت عليَّ الأممُ) العارِضُ لها هو اللهُ سبحانَه وتعالى، وهذا في المنامِ فيما يظْهَرُ.

و(الأممُ): جمعُ أُمَّةٍ، وهي أممُ الرُّسُلِ.

(٢٠) قولُه: (الرَّهْطُ) مِن الثلاثةِ إلى التسعةِ.

(٢١) قولُه: (والنَّبيَّ ومعه الرجلُ والرَّجُلانِ) الظاهرُ: أنَّ الواوَ بمعنى أو، أي: ومعه الرجلُ أو الرجلانِ؛ لأنَّه لو كانَ معه الرجلُ والرجلانِ صارَ يُغْني أن يقولَ: ومعه ثلاثةٌ، لكنَّ المعنى: والنبيَّ ومعه الرجلُ، والنبيَّ ومعه الرجلانِ.

(٢٢) قولُه: (والنبيَّ وليسَ معهُ أَحَدٌ) أي: يُبْعَثُ، ولا يكونُ معه أحدٌ، لكنْ يبعثُه اللهُ لإقامةِ الحجَّةِ، فإذا قامَتِ الحُجَّةُ حينئذٍ يُعذَرُ اللهُ من الخلقِ، ويُقيمُ عليهم الحجَّةَ.

(٢٣) قولُه: (إذ رُفِعَ لي) هذا على تقديرِ محذوفٍ، أي: بيْنَمَا أنا كذلكَ إذْ رُفِعَ لي.

(٢٤) قولُه: (**سَوَادٌ عظيمٌ**) المرادُ بالسوادِ هنا الظاهرُ: أنه الأشخاصُ، ولهذا تقولُ: ما رأيتُ سوادَه، فرأى شخْصَه، أيْ: أشخاصاً عظيمةً كانوا من كثرتِهم سواداً؛ لأنَّ السوادَ يُطلَقُ على الشخْصِ.

(٢٥) قولُه: (**فظَنَنْتُ أنَّهم أُمَّتي**) لأنَّ الأنبياءَ عُرِضوا عليه بأمَمِهم، فظنَّ أنَّ هذا السوادَ هم أمَّته عليه الصلاةُ والسلامُ.

(٢٦) قولُه: (**فَقيلَ لي: هذا مُوسى وقومُه**) وهذا يدلُّ على كثرةِ أتباعِ **مُوسى** -عليهِ السلامُ- وقومِه الذين أُرسِلَ إليهِمْ.

(٢٧) قولُه: (**فإذا سَوادٌ عَظيمٌ فقيلَ لي: هَذه أُمَّتُكَ**) وهذا أعظمُ مِن السوادِ الأولِ؛ لأنَّ أُمَّةَ النبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ- أكثرُ بكثيرٍ من أمَّةِ موسى عليه السلامُ.

(٢٨) قولُه: (**بغيرِ حِسابٍ ولا عذابٍ**) أيْ: لا يُعذَّبون ولا يُحاسَبون كرامةً لهم، وظاهرُهُ: لا في قبورِهم، ولا بعدَ قيامِ الساعةِ.

(٢٩) قولُه: (**فخاضَ الناسُ في أولئكَ**) هذا الخوضُ للوصولِ إلى الحقيقة نظريّاً، وعمليّاً حتى يكونوا منهم.

(٣٠) قولُه: (**الذينَ صَحِبوا رسولَ اللهِ**) يَحْتَمِلُ أنَّ المرادَ الصُّحْبَةُ المُطْلَقةُ.

(٣١) قولُه: (**الذينَ وُلِدوا في الإسلامِ**) أيْ: مَن وُلِدَ بعدَ البَعْثَةِ، وأسلَمَ، وهؤلاءِ كثيرونَ، ولو قلنا: وُلِدوا في الإسلامِ مِن الصحابةِ ما بلَغوا سبعين ألفاً؛ إلا أن يكون المراد من الصحابة وغيرهم ممن يكون بعدهم من هذه الأمة.

(٣٢) قولُه: (**فَخَرجَ عليهم رسولُ اللهِ**) أيْ: أخبروه بما قالوا، وما جرى بينَهم.

(٣٣) قولُه: (**لا يَسْتَرْقُون**) في بعضِ رواياتِ **مسلمٍ**: «**لا يَرْقُون**» ولكنَّ هذه الروايةَ خطأٌ كمَا قالَ **شيخُ الإسلامِ**؛ لأنَّ الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ كانَ يَرْقي، ورقاهُ **جبريلُ وعائشةُ**، وكذلك الصَّحابةُ كانوا يَرْقُونَ.

واسْتَفْعَلَ بمعنى طَلَبَ الفعلَ مِثْلَ: اسْتَغْفَرَ أيْ: طَلَبَ المغْفِرَةَ، واستَجارَ: طَلَبَ الجوارَ، وهنا استَرْقَى، أيْ: طَلَبَ الرُّقيةَ، فهؤلاءِ لا يَطلُبون مِن أحدٍ أن يقرأَ عليهم:

- **لقوَّةِ اعتمادِهم على اللهِ.**
- **ولعزَّةِ نفوسِهِم عن التذللِ لغيرِه.**
- **ولما في ذلك مِن التعلُّقِ بغيرِه.**

(٣٤) قولُه: (**ولا يَكْتَوُونَ**) معنى اكْتَوى: طَلَبَ مَن يكويه، وهذا مِثْلُ قوله: «ولا يسْتَرْقُون».

أما بالنسبَةِ لمن أُعدَّ للكيِّ مِن قِبَلِ الحكومةِ فطَلَبُ الكَيِّ منه ليس فيه ذلٌّ؛ لأنَّه مُعَدٌّ مِن قِبَلِ الحكومة يأخذُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٣٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الأجرَ على ذلك مِن الحكومةِ، ولأنَّ هذا الطلبَ مجرَّدُ إخبارٍ من الطالبِ بأنَّه مُحتَاجٌ إلى الكيِّ، وليس سؤالَ تذلُّلٍ.

(٣٥) قولُه: **(ولا يَتطيَّرون)** مأخوذٌ مِن الطَّيْرِ، والمصدرُ منه تَطَيُّرٌ، والطِّيَرَةُ اسمُ المصدرِ، وأصلُه التشاؤمُ بالطَّيْرِ، ولكنَّه أعمُّ من ذلك فهو: التشاؤمُ بمرْئِيٍّ أو مَسْموعٍ، أو زمان، أو مكان.

وهل هذه الأشياءُ تدلُّ على أنَّ مَن لم يتَّصفْ بها فهو مذمومٌ، أو فاته الكمالُ؟

الجوابُ: أنَّ الكمالَ فاتَه إلا بالنسْبَةِ للتطيُّرِ فإنَّه لا يجوزُ؛ لأنَّه ضررٌ وليس له حقيقةٌ أصلاً.

أما بالنسبةِ لطلبِ العلاجِ، فالظاهرُ أنه مثلُه؛ لأنَّه عامٌّ، وقد يُقالُ: إنَّه لولا قولُه: «**ولا يسْتَرْقُون**» لقلتُ: إنَّه لا يدخلُ؛ لأنَّ الاكتواءَ ضررٌ محقَّقٌ: إحراقٌ بالنارِ، وألَمٌ للإنسانِ ونفعُه مُرْتجًى، لكن كلمةُ «**يَسْتَرْقُون**» مُشْكلَةٌ، فالرُّقْيَةُ ليس فيها ضَرَرٌ، إنْ لم تنفعْ لم تضرَّ، وهنا نقولُ الدواءُ مثلُها؛ لأنَّ الدواءَ إذا لم ينفعْ لم يَضُرَّ، وقدْ يَضُرُّ أيضاً؛ لأنَّ الإنسانَ إذا تناولَ دواءً، وليس فيه مرضٌ لهذا الدواءِ فقد يضُرُّه.

وهذه المسألةُ تحتاجُ إلى بحث.

وهل نقولُ -مثلاً- ما تأكَّدت منفعتُه ولَم يكنْ في طلبِ الإنسانِ لهُ إذلالٌ لنفسه فهو لا يضرُّ، أيْ: لا يفوتُ المرءَ الكمالُ به، كجبرِ الكَسْرِ، وقطْعِ العُضْوِ مثلاً، أو كمَا يفْعَلُ الناسُ الآنَ في الزائدةِ وغيرِها؟

ولو قالَ قائلٌ: بالاقْتِصَارِ على ما في هذا الحديثِ، وهو أنَّهم لا يَسْتَرْقُون ولا يكتَوُون، ولا يَتَطيَّرون، وأنَّ ما عدا ذلك لا يَمْنَعُ مِن دخولِ الجنَّةِ بلا حسابٍ ولا عذابٍ، للنصوصِ الواردةِ بالأمرِ بالتدَاوي، والثناءِ على بعضِ الأدويَةِ، كالعَسَلِ والحبَّةِ السوداءِ لكانَ لَه وَجْهٌ.

قال الشيخ **عبد الرحمن بن حسن** في (فتح المجيد) (ص٩٦): **(واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلاً، فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمرٌ فطري ضروري، لا انفكاك لإحد عنه، بل نفس التوكل مباشرةٌ لأعظم الأسباب، كما قال تعالى: {ومن يتوكل على الله فهو حسبه} أي: كافيه.**

وإنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها، توكلاً على الله تعالى، كالاكتواء والإسترقاء، فتركهم له؛ لكونه سبباً مكروهاً، لا سيمّا والمريض يتشبث فيما يظنه سبباً لشفائه بخيط العنكبوت.

أما مباشرةُ الأسباب على وجه لا كراهية فيه؛ فغير قادح في التوكل، فلا يكون تركه مشروعاً؛ لما في (الصحيحين) عن

أبي هريرة مرفوعاً: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله».)

وإذا طَلَبَ منك إنسانٌ أن يَرْقِيَكَ فهل يَفوتُكَ كمالٌ إذا لم تَمْنَعْه؟

الجوابُ: لا يفوتُكَ؛ لأنَّ النبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- لم يَمْنَعْ عائشَةَ أن تَرْقِيَه، وهو أكملُ الخلْقِ توكُّلاً على اللهِ وثقةً بِهِ؛ ولأنَّ قوله: «لا يَسْتَرْقُون» إنَّما كانَ في طَلَبِ هذه الأشياءِ، ولا يَخْفَى الفَرْقُ بين أنْ تَحْصُلَ هذه الأشياءُ بطلَبٍ وبينَ أنْ تحصُلَ بغَيْرِ طلَبٍ.

قال في (فتح المجيد) (ص٩٤): **(والفرق بين الراقي والمسترقي: أنّ المسترقي سائلٌ مستعط ملتفت إلى غير الله بقلبه والراقي محسنٌ)**.

(**٣٦**) قولُه: (**فقالَ:** «أنتَ منهم») وقولُ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، هذا هل هو بوحيٍ من اللهِ إقراريٌّ، أو وحيٍ إلهاميٌّ، أو وحيٍ رسولٍ؟

مثل: هذه الأمورِ يَحْتَمِلُ أنَّها وحيٌ إلهاميٌّ، أو بواسطَةِ الرسولِ، أو وحيٌّ إقراريٌّ، بمعنى أنَّ الرسولَ يقولُها، فإذا أقرَّه اللهُ عليه صارَتْ وَحْياً إقراريًّا.

لكنَّ روايةَ البُخاريِّ: «**اللهُمَّ اجْعَلْه منهم**» تدلُّ على أنَّ الجملةَ: «**أنتَ منهم**» خبرٌ بمعْنَى الدُّعاءِ.

(٣٧) قولُه: (**ثم قامَ رجلٌ آخرُ فقالَ: ادْعُ اللهَ أنْ يجعَلَني منهُم، قالَ:** «**سبَقَكَ بها عُكَّاشَةُ**») لم يُرد النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- أن يقولَ له: لا، ولكن قالَ: (**سبَقَكَ بها**) أيْ: بهذه الْمَنْقَبَةِ والفضيلَةِ، أو بهذه المسأَلَةِ **عُكَّاشَةُ بنُ محْصَنٍ**.

وقد اختلَفَ العلماءُ لماذا قالَ الرسولُ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - هذا الكلامَ؟

فقيلَ: إنَّه كانَ منافقاً، فأرادَ الرسولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- ألاَّ يُجابِهَه بما يَكْرَهُ تأليفاً.

وقيل: خافَ أن ينفتِحَ البابُ، فيطلبَها مَن ليس منهم، فقالَ هذه الكلمةَ التي أصبحَت مَثَلاً.

(٣٨) **قولُه:** (**فيه مسائلُ**) أيْ: في هذا البابِ مسائلُ.

(**٢٩**) **المسألةُ الأولى:** (**معرفةُ مراتِبِ النَّاسِ في التوحيد**) وهذه مأخوذةٌ من قولِه: «**يَدخلون الجنَّةَ بغيرِ حِسابٍ ولا عَذابٍ**» ثُمَّ قالَ: «**هُمُ الذينَ لا يَسْتَرْقونَ، ولا يكْتَوون، ولا يتَطَيَّرونَ**».

(**٣٠**) الثانيةُ: (**ما معنى تحقيقه**) أيْ: تحقيقِ التوحيدِ، وسبقَ لنا في أوَّلِ البابِ: أنَّ تحقيقَه: تخليصُه من

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الشِّرك.

(٣١) الثالثةُ: (ثناؤُه – سبحانَه – على إبراهيمَ بكونه لم يكُ من المشركين) وهو ظاهرٌ في الآيةِ الكريمة، {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} فإنَّ هذه الآيةَ لا شكَّ أنَّها سيقَت للثناء على إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ، وإذا كان مَناطُ الثناء انتفاءَ الشِّركِ عنه دلَّ ذلك على أنَّ كلَّ مَن انْتَفى عنه الشِّركُ فهو مَحَلُّ ثناءٍ من اللهِ سبحانَه وتعالى.

(٣٢) الرابعةُ: (ثناؤُه على ساداتِ الأولياءِ بسلامتِهم من الشِّرك) لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ} وهذه الآيةُ في سياقِ آياتٍ كثيرة، ابْتَدَأَها اللهُ بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}.

فهؤلاء هم ساداتُ الأولياء، وكلامُ المؤلِّفِ من بابِ إضافةِ الصفةِ إلى موصوفِها، أيْ: أولياءُ الساداتِ وليسَ يريدُ -رحِمَه اللهُ- الساداتِ من الأولياءِ، بل يريدُ الأولياءَ الذينَ هُم ساداتُ الخلقِ.

(٣٣) الخامسةُ: (كونُ تركِ الرُّقْيَةِ والكيِّ من تحقيقِ التوحيدِ) لقولِه: «الذينَ لا يَسْتَرْقُونَ، ولا يكْتَوون» فالمرادُ بقولِ المؤلِّفِ: (الرُّقْيَةُ والكيُّ) الاسْتِرْقاءُ والاكْتواءُ.

(٣٤) السادسةُ: (كونُ الجامعِ لتلك الخصالِ هو التوكُّلَ) الخصالُ هي تَركُ الاسترقاءِ، وتركُ الاكتواءِ، وتركُ التطيُّرِ، يعني: أنَّ الجامعَ لهذه الأشياءِ هُو قوةُ التوكُّلِ على اللهِ عزَّ وجلَّ.

(٣٥) السابعةُ: (عُمقُ علمِ الصحابةِ، لمَعْرِفَةِ أنَّهم لم ينالوا ذلك إلا بعملٍ) أي: لم يَنَلْ هؤلاء السبعون ألفاً هذا الثوابَ إلا بعملٍ.

ووجهُه: أنَّ الصحابَةَ خاضوا فيمَن يكونُ له هذا الثَّوابُ العظيمُ، وذَكَرُوا أشياءَ.

(٣٦) الثامنةُ: (حِرصُهم على الخيرِ) وجهُه: خوضُهم في هذا الشيءِ؛ لأنَّهم يُريدون أن يصِلُوا إلى نتيجةٍ؛ حتَّى يقوموا بها.

(٣٧) التاسعةُ: (فضيلةُ هذه الأُمَّةِ بالكميَّةِ والكيفيَّةِ):

أمَّا الكَميَّةُ: فلأنَّ النبيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ – رأى سواداً عظيماً أعظَمَ من السوادِ الذي كانَ مع موسى.

وأمَّا الكيفيَّةُ: فلأنَّ معهم هؤلاء الذين لا يَسْتَرْقُون ولا يكْتَوونَ ولا يتطيَّرون وعلى ربِّهم يتوكَّلُونَ.

(٣٨) **العاشرةُ: (فضيلةُ أصحابِ موسى)** وهو مأخوذٌ من قوله: «إذ رُفِعَ لي سوادٌ عظيمٌ» **ولكن قد يقالُ:** إنَّ التعبيرَ بقولِ: كثرةِ أتباعِ **موسى** أنسبُ لدلالةِ الحديثِ؛ لأن الحديثَ يقولُ: «سَوادٌ عظيمٌ، فَظننتُ أنّهم أُمّتي» وهذا يدلُّ على الكثرةِ، ويمكنُ أن تكون كثرة من آمن منهم فضيلتهم فيتوجه ما ذكره إمام الدعوة.

(٣٩) **الحادية عشرة: (عرضُ الأممِ عليه، عليه الصلاةُ والسلامُ)** وهذا له فائدتان:

الفائدةُ الأولى: تسليةُ الرسولِ -عليه الصلاةُ والسلامُ- حيثُ رأَى مِن الأنبياءِ مَن ليس معه إلا الرجلُ والرجلان، ومِن الأنبياءِ مَن ليس معه أحدٌ، فَيَتَسَلَّى بذلك - عليه الصلاةُ والسلامُ -ويقولُ: **{مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ}**.

الفائدةُ الثانيةُ: بيانُ فضيلتِه عليه الصلاةُ والسلامُ، وشرفِه حيثُ كانَ أكثرَهم أتباعاً وأفضلَهم، فصارَ في عَرْضِ الأممِ عليه هاتان الفائدتان.

(٤٠) **الثانية عشرة: (أنَّ كلَّ أمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مع نبيِّها)** لقوله: «رأيتُ النبيَّ ومَعَه الرجلُ والرجلانِ» ولولا أنَّ كلَّ نبيٍّ متميِّزٌ عن النبيِّ الآخرِ لاخْتَلَطَ بعضُهم ببعضٍ، ولم يُعْرَف الأتباعُ من غيرِ الأتباعِ، ويدُلُّ لذلك قولُه تعالى: **{وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا}** فإنه يدُلُّ على أنَّ كلَّ أمةٍ تكونُ وحدَها.

(٤١) **الثالثةَ عشرة: (قِلةُ مَن استجابَ للأنبياءِ)** وهو واضحٌ من قولِه: «والنبيَّ ومَعَه الرجلُ والرجلانِ، والنبيَّ ولَيس معه أحدٌ».

(٤٢) **الرابعة عشرة: (أنَّ مَن لم يُجبْه أحدٌ يَأْتِي وحدَه)** لقولِه: «والنَّبيَّ ولَيس معه أحدٌ».

(٤٣) **الخامسةَ عشرة: (مرةُ هذا العلمِ، وهو عدمُ الاغترارِ بالكثرة)** فإنَّ الكثرةَ قد تكونُ ضلالاً، قالَ اللهُ تعالى: **{وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ}**.

وأيضاً الكثرةُ من جهةٍ أخرى إذا اغْتَرَّ الإنسانُ بكثرتِه؛ وظنَّ أنَّه لن يُغْلَبَ أو أنه منصورٌ؛ فهذا أيضاً سببٌ للخذلانِ، فالكثرةُ إنْ نظرْنا إلى أنَّ أكثرَ أهلِ الأرضِ ضُلَّالٌ لا تَغْتَرَّ بِهم، فلا تَقُلْ: إنَّ الناسَ على هذا، كيف أَنْفَرِدُ عنهم؟

كذلك: أيضاً لا تغترَّ بالكثرةِ، إذا كانَ معك أتباعٌ كثيرون على الحقِّ، فكلامُ المؤلِّفِ له وجهان:

الوجهُ الأولُ: أن لا نَغْتَرَّ بكثرةِ الهالكين، فنَهْلِكَ معهم.

الوجهُ الثاني: أنْ لا نَغْتَرَّ بكثرةِ الناجين، فيَلْحَقَنَا الإعجابُ بالنفسِ، ينبغي أن يحذر المرء من الزُّهدِ في القِلَّة، فقد تكونُ القِلَّةُ خيراً من الكثرة.

(٤٤) **السادسة عشرة:** (**الرُّخصةُ في الرقيةِ من العينِ والحُمَةِ**) مأخوذةٌ من قولِه: «**لا رُقْيَةَ إلا من عينٍ أو حُمَةٍ**».

(٤٥) **السابعة عشرة:** (**عُمقُ علمِ السلفِ لقولِه:** (**قدْ أَحْسَنَ مَنِ انتَهَى إلى ما سَمِعَ، ولكن كذا وكذا**) **فعُلِمَ أنَّ الحديثَ الأولَ لا يخالفُ الثانيَ**) لأنَّ قولَه: «**لا رُقْيَةَ إلا من عينٍ أو حُمَةٍ**» لا يُخالفُ الثانيَ؛ لأنَّ الثانيَ إنَّما هو في الاسْتِرْقاءِ، والأولُ في الرُّقْيَةِ، فالإنسانُ إذا أَتاه مَن يَرْقِيه ولم يمنَعْه فإنَّه لا يُنافي قولَه: «**ولا يَسْتَرْقُون**» لأنَّ هناك ثلاثَ مراتبَ:

المرتبةُ الأولى: أنْ يَطْلُبَ مَن يرْقِيه، وهذا قد فاتَه الكمالُ.

المرتبةُ الثانيةُ: أنْ لا يَمْنَعَ مَن يَرقيه، وهذا لم يفتْه الكمالُ؛ لأنَّه لم يَسْتَرْقِ ولم يَطْلُبْ.

المرتبةُ الثالثةُ: أنْ يمنعَ مَن يرْقِيَه، وهذا خِلافُ السُّنَّة؛ فإنَّ النبيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ - لم يَمْنَعْ **عائِشَةَ** أن تَرْقِيَه، وكذلك الصحابةُ لم يَمْنَعُوا أحداً أنْ يرْقِيَهُم؛ لأنَّ هذا لا يُؤثِّرُ في التَّوكُّلِ.

(٤٦) **الثامنة عشرة:** (**بُعْدُ السلَفِ عن مدحِ الإنسانِ بما ليس فيه**) يُؤْخَذُ مِن قولِه: (**أَمَا إنِّي لم أكُنْ في صلاةٍ، ولكنِّي لُدِغْتُ**) لأنَّه إذا كانَ رأَى الكوْكَبَ الذي انْقَضَّ استلْزَمَ أنْ يكونَ يَقْظَانَ، واليَقْظَانُ إمَّا أنْ يُصَلِّيَ، وإما أن يكونَ له شُغُلٌ آخرُ، وإمَّا أنْ يكونَ لديه مانِعٌ مِن النومِ.

(٤٧) **التاسعة عشرة:** (قولُه: «**أنتَ منهم**» **عَلَمٌ مِن أعلامِ النبوَّةِ**) يعني: دليلاً على نبوَّةِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، ولأن **عُكَّاشَةَ بنَ مِحْصَنٍ** - رضيَ اللهُ عنه - بقيَ مَحروساً من الكُفرِ حتى ماتَ على الإسلامِ، فيكونُ هذا دليلاً مِن دلائلِ نبوةِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، هذا إذا قلنا: إنَّ الجملةَ خبريَّةٌ ليست جملةً دعائيَّةً.

فإنْ قلنا: إنَّها جملةٌ دعائيَّةٌ فقد نقولُ أيضاً: فيه عَلَمٌ من أعلامِ النبوةِ، وهو أنَّ اللهَ استجابَ دعْوَةَ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، لكنَّ استجابةَ الدعوةِ ليست من خصائصِ الأنْبياءِ؛ فقد تُجابُ دعوةُ مَن ليسَ بنبيٍّ، وحينئذٍ لا يمكنُ أنْ تكونَ عَلَماً من أعلامِ النبوَّةِ إلا حيث جعَلْنا الجملةَ خبريَّةً مَحْضَةً.

(٤٨) **العشرون:** (**فضيلةُ عُكَّاشَةَ**) بكونِه ممَّن يدخلونَ الجنَّة بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ، وهل نَشْهَدُ له بذلكَ؟

نعم؛ لأن الرسولَ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - شهِدَ له بها.

(٤٩) **الحاديةَ والعشرون:** (**استعمالُ المعارِيضِ**) وفي المعاريضِ مَنْدُوحةٌ عَن الكذبِ؛ وذلك لقولِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**سَبَقَكَ بها عُكَّاشَةَ**» فإنَّ هذا في الحقيقةِ ليس هو المانعَ الحقيقيَّ، بل المانعُ ما أشَرْنَا إليه في الشَّرحِ، إمَّا أن يكونَ هذا الرجلُ منافقاً، فلَم يُرِد النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- أن يجعَلَه مع الذين يَدْخُلُونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ، وإمَّا خوفاً مِن انْفِتَاحِ البابِ فيسألُ هذه المرتَبَةَ مَن ليسَ مِن أهلِها.

(٥٠) **الثانيةَ والعشرون:** (**حُسْنُ خُلُقه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ**) وذلك لأنَّه ردَّ هذا الرجلَ، وسدَّ البابَ على وجهٍ ليس فيه غَضاضةٌ على أحدٍ، ولا كراهَةٌ.

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي

الدرس الخامس

(١) **مناسبةُ هذا الباب للبابين قبلَه:** أن المصنف -رحمه الله-:

- ذَكَرَ في أولها **تحقيقَ التوحيد**.

- وذكر في الباب الثاني منهما **أنَّ مَن حقَّقَ التوحيدَ دخلَ الجنَّةَ بغيرِ حساب ولا عذاب**، ثم ثلَّثَ بهذا الباب؛ لأنَّ الإنسانَ قد يرى أنَّه قدْ حقَّقَ التوحيدَ، وهو لم يحقِّقْه، ولهذا قالَ بعضُ السَّلَف: (ما جَاهَدْتُ نَفسي عَلى شيءٍ مجاهَدتَها عَلى الإخلاصِ).

وذلك أنَّ النفسَ متعلِّقةٌ بالدُّنيا، تريدُ حظوظَها مِن مالٍ، أو جاه، أو رئاسة، وقد تريدُ بعمَلِ الآخرة الدُّنْيَا، وهذا نقْصٌ في الإخلاصِ، وقلَّ مَن يكونُ غرَضُه الآخِرَةَ في كلِّ عمَلِه، ولهذا أَعْقَبَ **المؤلِّفُ** -رحمَه اللهُ- ما سبَقَ مِن البابين بهذا الباب، **وهُو الخوفُ من الشِّرك**، وذكَرَ فيه آيتيْن.

(٢) قولُه: **{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ}** **(لا)** نافيةٌ، **(أنْ يُشْرَكَ به)** فعلٌ مضارعٌ مقرونٌ بأن المصدريَّة، فيُحَوَّلُ إلى مصدرٍ تقديرُه: إنَّ اللهَ لا يغْفِرُ الإشراكَ بِه، أو لا يَغْفِرُ إشْرَاكًا به.

فالشِّرْكُ لا يَغْفِرُهُ اللهُ أبدًا؛ لأنه جنايةٌ على حقِّ اللهِ الخاصِّ، وهو التوحيدُ.

أمَّا المعاصي: (كالزِّنا والسرقةِ)، فقد يكونُ للإنسانِ فيها حظُّ نفسٍ بما نالَ مِن شهوة، أمَّا الشِّركُ فهو اعتداءٌ على حقِّ اللهِ تعالى، وليس للإنسانِ فيه حظُّ نفسٍ، وليس شهوةً يريدُ الإنسانُ أن ينالَ مرادَه منها، ولكنَّه ظُلْمٌ، ولهذا قال اللهُ تعالى: **{إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}**.

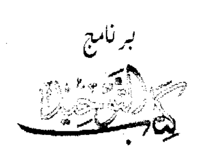
وهل المرادُ بالشركِ هنا الأكبرُ، أم مطلقُ الشركِ؟

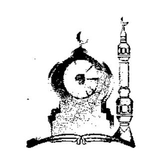
قال بعضُ العلماءِ: (إنه مطلقٌ، يَشْمَلُ كلَّ شِرْكٍ، ولَو أَصغرَ، كالحَلِف بغيرِ الله فإنَّ اللهَ لا يغفرُه، أمَّا بالنسبةِ لكبائرِ الذنوبِ كالسَّرِقَةِ والخمْرِ فإنَّها تحتَ المشيئة، فقد يغْفِرُها اللهُ).

وشيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ المحقِّقُ في هذه المسائِلِ اختلَفَ كلامُه في هذه المسألةِ: **(فمرَّةً قال: الشركُ لا يَغفِرُه اللهُ ولو كانَ أصغرَ.**

ومرَّةً قالَ: الشِّركُ الذي لا يغفرُه اللهُ هو الشِّركُ الأكبرُ).

وعلى كلِّ حالٍ فيجبُ الحذَرُ من الشِّركِ مُطْلَقًا؛ لأنَّ العمومَ يحتَملُ أنْ يكونَ داخلاً فيه الأصغرُ؛ لأنَّ قولَه: **{أَن يُشْرَكَ بِهِ}** (أنْ) ومَا بعدَها في تأويلِ مصْدَرٍ، تقديرُه: إشراكًا به، فهو نكرَةٌ في سياقِ النفيِ، فتفيدُ العمومَ.







(٣) قولُه: {**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ**} المرادُ بالدون هنا مَا هو أقلُّ مِن الشرك، وليس ما سِوى الشِّرْك.

(٤) **الآيةُ الثانيةُ**: قولُه: {**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**} ومعْنَى اجْنُبْني: أيْ: اجْعَلْني في جانبٍ، والأصنامَ في جانبٍ، وهذا أبلغُ مما لو قالَ: امْنَعْني وبنيَّ من عبادةِ الأصنامِ؛ لأنَّه إذا كانَ في جانبٍ عنها كانَ أَبْعَدَ.

قال الشيخ المحدث **سليمان بن عبد الله آل الشيخ** في (تيسير العزيز الحميد) ص١١٨: (**وإنما دعا إبراهيم عليه السلام بذلك؛ لأن كثيراً من الناس افتتنوا بها، كما قال تعالى: {رب إنهن أضللن كثيراً من الناس} فخاف من ذلك، ودعا الله أن يعافيه وبنيه من عبادتها .**

فإذا كان إبراهيم عليه السلام يسأل الله أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، فما ظنك بغيره .

– قال إبراهيم التيمي: (ومن يأمن من البلاء بعد إبراهيم ؟!) **وهذا يوجب للقلب الحي أن يخاف من الشرك، لا كما يقول الجهال: إن الشرك لا يقع في هذه الأمة؛ ولهذا أمنوا الشرك فوقعوا فيه**) ا.هـــ.

فإبراهيمُ –عليه السلامُ- يَخافُ الشركَ على نفسِه، وهو خليلُ الرحمنِ، وإمامُ الحنفاءِ، فما بالُكَ بنا نحنُ إذن؟

فلا تأْمَنِ الشِّركَ، ولا تَأْمَنِ النِّفاقَ؛ إذ لا يأمَنُ النِّفاقَ إلا منافِقٌ، ولا يَخافُ النفاقَ إلا مؤمِنٌ، ولهذا قالَ **ابنُ أبي مُلَيْكَةَ**: (**أَدْرَكْتُ ثلاثينَ من أصحابِ النبيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ – كُلُّهم يخافُ النفاقَ على نفسِه**).

قولُه: {**أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**} (أنْ) وما بعدَها في تأويلِ مصدرٍ، مفعولٌ ثانٍ لقولِه: {**اجْنُبْنِي**}.

والأصنامُ: جَمْعُ صَنَمٍ، وهو: ما جُعِلَ على صورةِ إنسانٍ أو غيرِه يُعبَدُ مِن دونِ اللهِ.

أمَّا الوَثَنُ: هو ما عُبِدَ مِن دونِ اللهِ على أيِّ شكْلٍ كانَ، وفي الحديثِ: «**لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**» فالوَثَنُ أعمُّ من الصَّنَمِ.

قال الشيخ **عبد الرحمن بن حسن** في (فتح المجيد) (ص١٠١): (**وقد يسمى الصنم وثناً، كما قال الخليل عليه السلام: {إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً}**)

ولا شكَّ أنَّ **إبراهيمَ** سألَ ربَّه الثباتَ على التوحيدِ؛ لأنه إذا جنَّبه عبادةَ الأصنامِ صارَ باقيًا على التوحيد.

الشاهدُ من هذه الآية: أنَّ **إبراهيمَ** خافَ الشركَ، وهو إمامُ الحنفاءِ، سيِّدُهم، ما عدا رسولَ الله صَلَّى الله

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية الرياض ١١٦٦٦ ص.ب: ٦٦٠٠١
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

عَلَيه وَسَلَّمَ.

(٥) قولُه: (**أَخْوَفُ ما أخافُ عَلَيْكُمْ**) الخطابُ للمسلمين؛ إذ المسلمُ هو الذي يُخافُ عليه الشِّركُ الأصغرُ، وليس لجميعِ الناسِ.

قولُه: (**الرياءُ**) مشتَقٌّ مِن الرُّؤْيَة، مَصْدَرُ رَاءَى يُرَائِي، والمصدَرُ رِياءٌ، كقَاتَلَ يُقَاتِلُ قِتَالاً.

والرِّياءُ: أنْ يَعْبُدَ اللهَ ليرَاه الناسُ، فيَمْدَحُوه على كونه عابدًا، وليسَ مراده أنْ تكونَ العبادةُ للناسِ؛ لأنَّه لو أرادَ ذلك لكانَ شِرْكًا أكبرَ، **والظاهرُ**: أنَّ هذا على سبيلِ التمثيلِ، وإلا فَقَدْ يكونُ رياءً، وقد يكونُ **سماعًا** أيْ: يَقْصدُ بعبادَته أنْ يَسْمَعَه الناسُ، فيُثنوا عليه، فهذا داخِلٌ في الرياءِ، فالتعبيرُ بالرياءِ من بابِ التعبيرِ بالأغلبِ.

أمَّا إنْ أرادَ أن يَقْتَدوا به فيها فلَيسَ رياءً، بلْ هذا مِن الدعوةِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، والرسولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- يقولُ: «**فعَلْتُ هَذا لتَأْتَمُّوا بي وتَعْلَمُوا صَلاتي**».

والرياءُ ينقسمُ باعتبارِ إبطاله للعبادة إلى قسمين:

الأولُ: أنْ يكونَ في أصلِ العبادةِ، فما قامَ يتَعَبَّدُ إلا للرياءِ، فهذا عملُه باطلٌ مردودٌ عليه؛ لحديث **أبي هريرةَ** في الصحيحِ مرفوعًا، قالَ اللهُ تعالى: «**أنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أشْرَكَ مَعِي فيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ**».

الثاني: أنْ يكونَ الرِّياءُ طارئًا على العبادةِ، فأصْلُ العبادةِ للهِ، لكنْ طرَأَ عليها الرياءُ، **فهذا ينقَسِمُ إلى قسمَيْن:**

الأولُ: أنْ يُدافعَه فهذا لا يَضُرُّه.

مثالُه: رجلٌ صلَّى رَكْعَةً، ثُمَّ جاءَ أناسٌ في الركعةِ الثانيةِ، فحصَلَ في قلبه شيءٌ، بأنْ أطالَ الركوعَ، أو السجودَ، أو تبَاكَى، وما أشبَه ذلك:

فإنْ دَافعَه: فإنه لا يَضُرُّه؛ لأنَّه قامَ بالجهاد.

وإنْ استَرْسَلَ معه: فكلُّ عَمَلٍ ينشأُ عن الرياءِ فهو باطِلٌ، كمَا لَوْ أطالَ القِيامَ، أو الركوعَ، أو السُّجودَ، أو تباكَى، فهذا كلُّ عمله حابطٌ.

ولكن هل البطلانُ يمتدُّ إلى جميعِ العبادةِ أمْ لا؟

نقولُ: لا يخلو هذا من حالين:

الحالُ الأولى: أن يكونَ آخرُ العبادةِ مبنيًّا على أولها، بحيثُ لا يصِحُّ أولُها معَ فسادِ آخرِها فهِيَ كلُّها

فاسدةٌ، وذلك مثلُ الصلاة: فالصلاةُ مثلاً لا يمكنُ أنْ يَفْسُدَ آخرُها، ولا يفْسُدَ أوَّلُها، إذنْ تبطُلُ الصلاةُ.

الحالُ الثانيةُ: أنْ يكونَ أولُ العبادةِ منفصلاً عن آخرِها، بحيثُ يَصِحُّ أولُها دونَ آخرِها، فما سبقَ الرياءَ فهُو صحيحٌ، وما كانَ بعدَه فهو باطلٌ.

مثالُ ذلكَ: رجلٌ عنده مائةُ ريالٍ، فتصدَّق بخمسينَ للهِ بنيَّةٍ خالصَةٍ، ثم تَصَدَّقَ بخمسينَ بقصدِ الرياءِ، فالأولى مقبولَةٌ، والثانيةُ غيرُ مقبولةٍ؛ لأنَّ آخرَها مُنْفَكٌّ عَن أولِها.

(٦) قولُه: (مَن) هذه شرطيَّةٌ تفيدُ العمومَ للذكرِ والأنثَى.

قولُه: (**يدعو من دُونِ اللهِ نِدًّا**) أي: يَتَّخِذُ للهِ ندًّا، سواءً دعاهُ دعاءَ عبادةٍ، أم دعاءَ مسألةٍ؛ **لأنَّ الدعاءَ ينقسمُ إلى قسمين:**

الأولُ: دعاءُ عبادةٍ، كالصومُ، والصلاةُ، وغيرُ ذلك من العباداتِ، فإذا صلَّى الإنسانُ، أو صامَ فقد دعا ربَّه بلسانِ الحالِ أن يغفرَ له، وأن يُجيرَه من عذابه، وأن يُعْطِيَه من نَوَالِه.

ويدلُّ لهذا القسمِ قولُه تعالى: {**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي**} فجعلَ الدعاءَ عبادةً، وهذا القسمُ كلُّه شركٌ، فمَن صرفَ شيئًا من أنواعِ العبادةِ لغيرِ اللهِ، فقد كَفَرَ كُفرًا مُخْرِجًا له عن المِلَّةِ، فلو ركَعَ لإنسانٍ، أو سجَدَ لشيءٍ يُعَظِّمُه كتعظيمِ اللهِ في هذا الركوعِ أو السجودِ لكانَ مُشْرِكًا، ولهذا مَنَع النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- مِن الانْحِنَاءِ عندَ الملاقاةِ لَمَّا سُئِلَ عن الرجلِ يَلْقَى أخاهُ أيَنْحَنِي له؟

قالَ: «**لا**».

خلافًا لما يفعلُه بعضُ الجُهَّالِ إذا سلَّمَ عليكَ انْحَنَى لك، فيجبُ على كلِّ مؤمنٍ باللهِ أن يُنكِرَه؛ لأنَّه عظَّمَك على حسابِ دينه.

الثاني: دعاءُ المسألةِ: فهذا ليسَ كُلُّه شركًا، بل فيه تفصيلٌ، فإنْ كانَ المخلوقُ قادرًا على ذلكَ فليسَ بشركٍ، كقولِكَ: اسْقِني ماءً لمن يستطيعُ ذلكَ.

كما قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ دعاكُمْ فأجيبوهُ**».

وقالَ تعالَى: {**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ**}.

فإذا مدَّ الفقيرُ يدَه وقال: (ارْزُقْني) أي: أَعْطِني فهو جائزٌ، كما قال تعالى: {**فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ**} وأما إنْ دعا المخلوقَ بما لا يقْدِرُ عليه إلا اللهُ فإنَّ دعوتَه شِرْكٌ مُخْرِجٌ من المِلَّة.

مثالُ ذلكَ: أنْ تدعوَ إنْسانًا أن يُنَزِّلَ الغَيْثَ، مُعْتَقِدًا أنَّه قادرٌ على ذلك.

والمرادُ بقولِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «مَن ماتَ وهُو يدعو. .» المرادُ النِدُّ في العبادة، أمَّا النِدُّ في المسألة ففيه التفصيلُ السابقُ.

(٧) قولُه: «دخَلَ النارَ» أي: خالدًا مع أن اللَّفظَ لا يدلُّ عليه؛ لأن دخَلَ فِعْلٌ، والفعلُ يدلُّ على الإطلاقِ؛ لكن قالَ اللهُ تعالى: {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}.

وإذا حُرِّمَت عليه الجنَّةُ لزِمَ أنْ يكونَ خالدًا في النارِ أبدًا، فيجبُ أن نخافَ من الشِّرك ما دامت هذه عقوبتَه، فالمشركُ خَسِرَ الآخرةَ؛ لأنَّه في النارِ خالدٌ، وخَسِرَ الدنيا أيضًا؛ لأنه لم يستَفِدْ منها شيئًا، وقامَت عليه الحُجَّةُ، وجاءَه النذيرُ، ولكنَّه خَسِرَ والعياذُ باللهِ، ولهذا قالَ عزَّ وجلَّ: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ}.

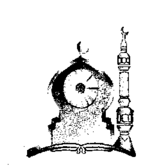
وقالَ تعالى: {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}.

فخَسِرَ نفسَهُ؛ لأنَّه لَم يستَفِدْ منها شيئًا، وخسِرَ أهلَه؛ لأنهم إنْ كانوا من المؤمنين فهُم في الجنة، فلا يَتَمَتَّعُ بِهم في الآخرةِ، وإنْ كانوا في النارِ فكذلكَ؛ لأنه كلَّما دخلَتْ أُمَّةٌ لعنَت أختَهَا، والشِّرْكُ خَفيٌّ جدًّا، فقد يكونُ في الإنسانِ وهو لا يشعرُ إلا بعدَ المحاسبةِ الدقيقة، ولهذا قالَ بعضُ السلَف: (ما جاهدتُ نَفسي علَى شيءٍ ما جاهَدْتُها على الإخلاصِ).

فالشركُ أمرُه صعبٌ جدًّا ليس بالهيِّنِ، ولكن يُيَسِّرُ اللهُ الإخلاصَ على العبدِ، وذلك بأنْ يَجْعَلَ اللهَ نُصْبَ عينيْه، فيَقْصِدُ بعمله وجهَ اللهِ لا يقْصِدُ مدْحَ الناسِ، أو ذمَّهُم، أو ثناءَهم عليه، فالناسُ لا ينْفَعونَه أبدًا، حتى لو خرَجوا معه لتشييعِ جنَازَته لم ينفعْه إلا عملُه، قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «يَخرُجُ مَعَ المَيِّتِ أَهْلُهُ ومَالُهُ وعَمَلُهُ، فيَرْجِعُ اثنانِ: أَهْلُهُ ومَالُهُ، ويَبْقَى عَمَلُهُ».

فالإخلاصُ صعْبٌ جدًّا، إلا أنَّ الإنسانَ إذا كانَ متَّجهًا إلى اللهِ اتِّجاهًا صادقًا سليمًا على صراطٍ مستقيمٍ فإنَّ اللهَ يُعينُه عليه، ويُيَسِّرُه له.

(٨) قولُه: (مَن) شرطيَّةٌ تفيدُ العمومَ، وفعْلُ الشرطِ «لَقِيَ» وهذا الدخولُ لا ينافي أن يُعذَّبَ بقَدْرِ ذنوبه إنْ كانَت عليه ذنوبٌ؛ لدلالةِ نصوصِ الوعيدِ على ذلكَ، وهذا إذا لَم يغْفرِ اللهُ له؛ لأنَّه داخلٌ تحتَ المشيئة.



قولُه: (**شيئًا**) نكرَةٌ في سياقِ الشرطِ، فيَعُمُّ أيَّ شِرْكٍ حتى ولو أشرَكَ مع اللهِ أشرفَ الخلْقِ، وهو الرسولُ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- دخلَ النارَ، فكيف بِمَن يَجْعَلُ الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أعظمَ من اللهِ؟

فيلجأُ إليه عندَ الشدائدِ، ولا يلجأُ إلى اللهِ، بل ربما يلجأُ إلى ما دونَ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

وهل يلْزَمُ مِن دخولِ النارِ الخلودُ لِمَن أشرَكَ؟

هذا بحسَبِ الشِّركِ، إن كانَ الشركُ أصغرَ فإنه لا يلزَمُ مِن ذلك الخلودُ في النارِ، وإنْ كانَ أكبرَ، فإنه يلزَمُ منه الخلودُ في النارِ.

لكن لو أنَّنا حمَلْنا الحديثَ على الشركِ الأكبرِ في الموضعيْن في قولِه: «**مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**».

- وفي قولِه: «**وَمَنْ لَقِيَ اللهَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**» لقُلْنا: مَن لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ بِه شيئًا دخَلَ الجنةَ، وإنْ عُذِّبَ قبلَ الدخولِ في النارِ بما يَسْتَحِقُّ فيكونُ مآلُهُ إلى الجنَّةِ، ومَن لقيَه يُشْرِكُ به شِرْكًا أكبرَ دخَلَ النارَ مخلدًا فيها، ولم نَحْتَجْ إلى هذا التفصيلِ.

(٩) فيه مسائِلُ:

الأولى: (**الخوفُ من الشِّركِ**) لقولِه: {**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**}، ولقولِه: {**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**}.

(١٠) **الثانيةُ:** (**أن الرياءَ مِن الشركِ**) لحديثِ: «**أَخْوَفُ ما أخافُ عليكُم الشِّركُ الأصغرُ**» **فسُئِلَ عنه فقالَ: «الرياءُ»** وقد سبَقَ بيانُ أحكامِه بالنسبةِ إلى إبْطَالِ العبادةِ.

(١١) **الثالثةُ:** (**أنه مِن الشركِ الأصغرِ**) لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لما سُئِلَ عنه قالَ: «الرياءُ» فسمَّاه شِرْكًا أصغرَ.

وهل يُمْكِنُ أن يصلَ إلى الأكبرِ؟

ظاهرُ الحديثِ لا يُمْكِنُ؛ لأنَّه قالَ: «**الشِّركُ الأصغرُ**» **فسُئِلَ عنه؟ فقالَ: «الرياءُ»**.

لكنْ في عباراتِ **ابنِ القيِّمِ** رحِمَه اللهُ، أنَّه إذا ذَكَر الشِّرْكَ الأصغرَ قالَ: (**كيسيرِ الرياءِ**) فهذا يدُلُّ على أنَّ كثيرَه ليسَ مِن الأصغرِ، لكنْ إنْ أرادَ بالكميَّةِ فنَعَم؛ لأنه لو كانَ يُرائي في كلِّ عملٍ لكانَ مُشْرِكًا شِرْكًا أكبرَ؛ لِعدَمِ وجودِ الإخلاصِ في عَمَلٍ يعملُه، أمَّا إذا أرادَ الكيفيَّةَ، فظاهرُ الحديثِ أنَّه أصغرُ مطلقًا.

(١٢) (الرابعة: (أنه أخوفُ ما يخافُ منهُ على الصالحين) وتُؤخَذُ من قوله: «أَخْوَفُ ما أَخافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ» ولأنَّه قدْ يدخُلُ في قلبِ الإنسانِ مِن غيرِ شعورٍ لخفائه، وتَطَّلِعُ النفسُ إليه؛ فإنَّ كثيرًا من النفوسِ تُحِبُّ أنْ تُمْدَحَ بالتَّعَبُّدِ لله.

(١٣) الخامِسَة: (قُرْبُ الجنَّةِ والنَّارِ) لقوله: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ».

(١٤) السادسة: (الجمعُ بينَ قُربِهما في حديثٍ واحدٍ) «مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا . .».

(١٥) السابعة: (أنَّه مَن لَقِيَه يشرِكُ بِهِ شيئًا دخَلَ النارَ، ولو كانَ من أعبدِ الناسِ) تُؤخَذُ مِن العمومِ في قوله: «مَنْ لَقِيَ» لأنَّ (مَن) للعمومِ، لكنْ إنْ كانَ شركُه أكبرَ لم يدخُلِ الجنَّةَ وإنْ كانَ أعبدَ الناسِ؛ لقوله تعالَى: {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ}. وإن كانَ أصغرَ عُذِّبَ بقدرِ ذنوبِه ثم دخَلَ الجنّةَ.

(١٦) الثامنة: (المسألةُ العظيمةُ سؤالُ الخليلِ له ولبنيهِ وقايةَ عبادةِ الأصنامِ) تُؤخَذُ من قوله تعالى: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ}.

(١٧) التاسعة: (اعتبارُه بحالِ الأكثرِ؛ لقوله: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ}) وفيه إشكالٌ؛ إذ المؤلِّفُ يقولُ: (بحالِ الأكثرِ) والآيةُ: {كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ} وفرقٌ بينَ كثيرٍ وأكثرَ، ولهذا قالَ -تعالى- في بني آدمَ: {وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}.

فلم يَقُلْ على أكثرِ الخلْقِ، ولا على الخلقِ، فالآدميُّونَ فُضِّلوا على كثيرٍ ممَّن خلَقَ اللهُ، وليسوا أكرَمَ الخلقِ على اللهِ، ولكنَّه كرَّمَهم.

(١٨) العاشرةُ: (فيه تفسيرُ (لا إلهَ إلا اللهُ) كما ذكرَه البخاريُّ) الظاهرُ أنَّها تُؤخَذُ من جميعِ البابِ؛ لأنَّ لا إلهَ إلا اللهُ فيها نفيٌ وإثباتٌ.

(١٩) (الحادية عشرَة: (فضيلةُ مَن سلِمَ مِنَ الشِّرْكِ) لقوله: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ}. وقوله: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ».

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي

الدرس السادس

(١) **هذا الترتيبُ الذي ذكرهُ المؤلِّفُ مِن أحسنِ ما يكونُ**؛ لأنه لما ذَكَر توحيدَ الإنسانِ بنفسه ذكَر أنه لا يتمُّ الإيمانُ إلا إذا دعا إلى التوحيد، قالَ تعالى: {**وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ (٣)**}.

فلا بدَّ معَ التوحيدِ من الدعوةِ إليه، وإلا كانَ ناقصاً، ولا ريبَ أنَّ هذا الذي سلَكَ هذا السبيلَ لم يسْلُكْهُ إلا وهو يرَى أنه أفضلُ سبيلٍ، وإذا كانَ صادقاً في اعتقادِه، فلا بدَّ أن يكونَ داعياً إليه، والدعاءُ إلى شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ مِن تمامِ التوحيدِ، ولا يتمُّ التوحيدُ إلا به.

(٢) قولُه: {**قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي**} المشارُ إليه ما جاء به النبيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ – مِن الشرعِ عبادةً ودعوةً إلى اللهِ، و{**سَبِيلِي**} طَريقي.

(٣) قولُه: {**أَدْعُو**} حالٌ من الياءِ في قولِه: {**سَبِيلِي**} أو يُحتَمَلُ أن تكونَ استئنافاً لبيانِ تلك السبيلِ.

وقولُه: {**أَدْعُو إِلَى اللّهِ**} **لأن الدُّعَاةَ ينقسِمُون إلى قسمينِ:**

أحدهما: داعٍ إلى اللهِ.

والآخر: داعٍ إلى غيرِه.

فالداعي إلى اللهِ -تعالى-: هو المُخلِصُ الذي يُريدُ أن يُوصِلَ الناسَ إلى اللهِ تعالى.

والدَّاعي إلى غيرِهِ: قد يكونُ داعياً إلى نفسه، يَدْعُو إلى الحقِّ لأجلِ أنْ يُعظَّمَ بينَ الناسِ ويُحترمَ، ولهذا تجِدُه يَغْضَبُ إذا لم يفعَلِ الناسُ ما أَمَرَ به، ولا يغضَبُ إذا ارتَكبوا نهياً أعظمَ منْه، لكنْ لم يَدْعُ إلى ترْكه.

وقدْ يكونُ داعياً إلى منْ يُعظمه.

(٤) قولُه: {**عَلَى بَصِيرَةٍ**} أي: علمٍ، فتضَمَّنَت هذه الدعوةُ الإخلاصَ والعلمَ؛ لأنّ أكثرَ ما يُفْسِدُ الدعوةَ عَدَمُ الإخلاصِ، أو عدمُ العلمِ، وليس المقصودُ هنا بالعلمِ في قولِه: {**عَلَى بَصِيرَةٍ**} العلمَ بالشرعِ فقط، **بل يَشْمَلُ:**

- **العلمَ بالشرعِ.**
- **والعلمَ بحالِ المدعوِّ.**
- **والعلمَ بالسبيلِ المُوصِلِ إلى المقصودِ.**

فيكونُ بصيراً بحكمِ الشرعِ، وبصيراً بحالِ المدعوِّ، وبصيراً بالطريقِ الموصلةِ لتحقيقِ الدعوةِ، ولهذا قالَ النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- **لمعاذ: «إِنَّكَ تَأْتي قَوْماً مِنْ أهلِ الكتَابِ»**.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٦١١ - ص.ب: ١٠٤٤٠٦
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وقولُه: {أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} ذكَروا فيها قولين:

الأولُ: {أنا} مبتدأٌ، وخبرُها{على بَصِيرَةٍ} و{مَنِ اتَّبَعَنِي} معطوفةٌ على {أنا} أي: أنا ومَن اتَّبَعَني على بصيرةٍ، أي: في عِبادتي، ودَعْوَتي.

الثاني: {أنا} توكيدٌ للضميرِ المستترِ في قوله: {أَدْعُو} أي: أدعو أنا إلى اللهِ ومَن اتَّبعَني يدْعُو أيضاً، أي: قُل هذه سبيلي أَدْعُو إلى الله، ويَدْعُو مَن اتَّبعني، وكلانا عَلى بصيرةٍ.

قولُه: {وَسُبْحَانَ اللهِ} أي: وسُبحانَ اللهِ أنْ أكونَ أدْعُو على غيرِ بصيرةٍ.

قولُه: {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} محلُّها مما قبلَها في المعنى توكيدٌ؛ لأن التوحيدَ معناه نفيُ الشِّرْك.

(٥) قولُه: **(بعَث)** أيْ: أرسَلَه، وبعثَه على صفةِ المُعَلِّمِ، والحاكمِ، والداعي، وكان ذلكَ في ربيعِ الأول سنةَ عشرٍ من الهجرةِ، هذا هو المشهورُ، بعثَه هو **وأبا موسى الأشعريَّ**، رضيَ اللهُ عنهما، فبعثَ **معاذاً** إلى صَنْعاءَ، وما حولَها، **وأبا موسى** إلى عَدْنٍ وما حولَها وأمَرَهما: أنِ اجتَمِعا وتَطَاوَعَا، ولا تَفْتَرِقا، ويَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبشِّرا ولا تُنَفِّرا.

(٦) قولُه: **(إنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أهلِ الكِتابِ)** قال ذلك مُرْشِداً له، وهذا دليلٌ على معرفتِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- بأحوالِ الناسِ، وما يَعْلَمُه من أحوالِهم، **فلَه طريقان:**

أحدهما: الوحيُ.

والآخر: العلمُ والتَّجْرِبَةُ.

وقولُه: **(مِن)** بيانيَّةٌ، والمرادُ بالكتابِ: **التوراةُ والإنجيلُ**، فيكونُ المرادُ اليهودَ والنصارى، وهُم أكثرُ أهلِ اليَمنِ في ذلك الوقتِ، وإن كانَ في اليمنِ مشركون، لكنَّ الأكثرَ اليهودُ والنصارى، ولهذا اعْتَمدَ الأكثرَ.

وأخبَرَه النبيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - بذلك لأمرينِ:

الأولُ: أنْ يكونَ بصيراً بأحوالِ مَن يَدْعُو.

الثاني: أنْ يكونَ مُسْتَعِدّاً لهم؛ لأنهم أهلُ كتابٍ، وعندَهم علمٌ.

(٧) قولُه: **(فلْيَكُنْ)** الفاءُ للاستئنافِ، أو عاطفةٌ، واللامُ للأمرِ، و**(أولُ)** اسمُ **(يكن)** وخبرُها **(شهادةَ)** **وقيل:** العكسُ، يعني **(أولَ)** خبرٌ و**(شهادةُ)** اسمُ **(يَكُنْ)** مؤخَّراً.

والظاهرُ أنه يريدُ أن يُبَيِّنَ أنَّ أولَ ما يكونُ الشهادةُ، وإذا كان كذلك يكونُ **(أولُ)** مَرفوعاً على أنه اسمُ يكن، أي: أولُ ما تدْعُوهم إليهِ شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ.

وقولُه: **(شهادةَ)** الشهادةُ هنا مِن العلمِ، قالَ تعالى: {إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} **فالشهادةُ هنا**

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

العلمُ والنُّطقُ باللسان؛ لأنَّ الشاهدَ مُخْبِرٌ عن علمٍ، وهذا المقامُ لا يَكْفِي فيه مجردُ الإخبارِ، بل لا بدَّ من علمٍ وإخبارٍ وقبولٍ وإقرارٍ وإذعانٍ، أي: انقياد.

فلو اعتَقَدَ بقلبِه، ولم يقلْ بلسانه أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، فقد قالَ **شيخُ الإسلامِ**: **(إنه ليس بمسلمٍ بالإجماعِ حتَّى ينطِقَ بها؛ لأنَّ كلمَةَ (أشهدُ) تدلُّ على الإخبارِ، والإخبارُ متضمِّنٌ للنطقِ، فلا بدَّ من النطقِ، فالنيَّةُ فقط لا تُجْزِئُ، ولا تنفعُه عندَ اللهِ حتى ينطقَ، والنبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- قال لعمّه أبي طالبٍ: «قُلْ» ولم يقلْ: اعْتَقِدْ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ)**.

(٨) قولُه: (**لأُعْطِيَنَّ**) هذه جملةٌ مُؤَكَّدةٌ بثلاثِ مُؤَكِّدَاتٍ:

- **القَسَمُ المقدَّرُ.**
- **واللامُ.**
- **والنونُ.**

والتقديرُ: (**والله لأُعْطِيَنَّ**).

قولُه: (**الرايةَ**) هي العَلَمَ، وسُمِّيَ رايةً لأنَّه يُرَى، وهو ما يتَّخذُه أميرُ الجيشِ للعَلامَةِ على مَكَانه.

(٩) قولُه: (**يُحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُهُ**) أثبتَ المحبَّةَ للهِ من الجانبيْن، أيْ: أنَّ اللهَ -تعالى- يُحبُّ ويُحَبُّ، وقد أنكرَ هذا أهلُ التعطيلِ.

وقالوا: **المرادُ بمحبَّةِ اللهِ للعبدِ: إثابَتُه أو إرادةُ إثابَتِه.**

- **والمرادُ بمحبَّةِ العبدِ للهِ: محبَّةُ ثوابِه.**

وهذا تحريفٌ للكلامِ عن ظاهرِه، مخالفٌ لإجماعِ السلَفِ من الصحابةِ والتابعين وأئمَّةِ الهُدَى من بعدِهم، ومحبَّةُ اللهِ -تعالى- ثابتَةٌ له حَقيقَةً، وهي مِن صفَاته الفعلية، وكلُّ شيءٍ من صفاتِ اللهِ يكونُ له سببٌ فهو من الصفاتِ الفعليةِ، والمحبةُ لها سبَبٌ، فقد يُبغضُ اللهُ إنساناً في وقتٍ ويحبُّه في وقتٍ لسببٍ مِن الأسبابِ.

(١٠) قولُه: (**عَلَى يَدَيْه**) أي: يَفْتَحُ اللهُ خَيْبَرَ على يدَيْه، وفي ذلك بِشارةٌ بالنصرِ.

(١١) قولُه: (**يَدُوكُون**) أي: يَخُوضُون، وجملةُ يدوكون خبرُ باتَ.

(١٢) قولُه: (**غَدَوْا عَلَى رسولِ اللهِ**) أيْ: ذهبوا إليه في الغُدْوَةِ مُبَكِّرِين، كلُّهم يَرْجُو أن يُعطاهَا لينالَ محبةَ اللهِ ورسولِه.

(١٣) قولُه: (**فقالَ: أين عليٌّ؟**) القائلُ الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

(١٤) قولُه: (يَشتَكي عَيْنَيْه) أيْ: يتألَّمُ منهما، ولكنَّه يَشْتَكي إلى اللهِ؛ لأنَّ عَيْنَيْه مريضةٌ.

(١٥) وقولُه: (فأرْسَلوا إليه) بأمرِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ.

(١٦) قولُه: (فأُتِيَ به) كأنَّه -رضيَ اللهُ عنه- قد عُمِّمَ على عينيه؛ لأنَّ قولَه: (أُتِي به) أي: يُقادُ.

(١٧) وقولُه: (كأنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ) أي: ليس بهما أثرُ حُمْرةٍ، ولا غيرِها.

قولُه: (فبرَأَ) هذا مِن آياتِ اللهِ الدالة على قدرتِه وصِدْقِ رسولِه صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ، وهذا من مناقبِ أمير المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالبٍ -رضِيَ اللهُ عنه- أنه يُحِبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ لتخصيصِ النبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- له ذلك مِن بينِ سائرِ الصحابة.

(١٨) قولُه: (انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ) أي: مَهْلك، مأخوذٌ مِن رِسْلِ الناقة أي: حليبها، يُحْلَبُ شيئاً فشيئاً، والمعنى: امْشِ هُوَيْنَى هُوَيْنَى؛ لأن المقامَ خطيرٌ، فهوَ يَخْشَى مِن كَمِينٍ، لأنَّ اليهودُ خُبثاءُ أهلُ غدرٍ.

(١٩) قولُه: (حتى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِم) أيْ: ما يَقْرُبُ منهم، وما حولَهم، والنبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- يقولُ: «إنّا إذا نزلنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المُنذرين».

(٢٠) قولُه: (ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ) أي: أهلَ خَيْبَرَ.

قال في (تيسير العزيز الحميد) ص١٢٧، فيما ينقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله: **(وقد علم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم، واتفقت عليه الأمة: أن أصل الإسلام، وأول ما يؤمر به الخلق: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.**

فبذلك يصير الكافر مسلماً والعدو ولياً، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال، ثم إن كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان، وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان، وفيه البداءة في الدعوة والتعليم بالأهم فالأهم)

(٢١) قولُه: (وأَخْبِرْهُمْ بِما يَجِبُ عليهِم) أي: فلا تَكْفِي الدعوةُ إلى الإسلامِ فقط، بل يُخْبِرُهُم بما يَجبُ عليهم فيه، حتى يَقْتَنعوا به، ويَلْتَزِمُوا.

وهذه المسألةُ يَتَرَدَّدُ الإنسانُ فيها: هل يُخبِرُهم بما يَجبُ عليهم من حقِّ اللهِ في الإسلامِ قبلَ أن يُسْلِمُوا أو بعدَه؟

وإذا نَظَرْنا إلى ظاهرِ حديثِ **معاذ** وحديثِ **سهلٍ** هذا فإننا **نقولُ**: الأَوْلَى أنْ تَدْعُوَه للإسلامِ، وإذا أَسْلَمَ تُخْبِرُهُ.

وإذا نَظَرْنَا إلى واقعِ الناسِ الآنَ وأنَّهم لا يُسْلِمُون عن اقْتِنَاعٍ، فقد يُسْلِمُ وإذا أخْبَرْتَه ربما يَرْجِعُ، قلنا: يُخبَرونَ أولاً بما يَجِبُ عليهم مِن حقِّ اللهِ فيه؛ لئلاَّ يرْتدُّوا عن الإسلامِ بعدَ إخبارِهم بما يَجبُ عليهم، وحينئذٍ يجِبُ قَتْلُهم؛ لأنهم مُرْتَدُّون، ويَحْتَمِلُ أنْ يقالَ: تُتْرَكُ هذه المسألةُ للواقعِ وما تَقْتَضيه المصلَحَةُ من تقديمِ هذا أو هذا.

(٢٢) قولُه: (**لأنْ يَهْدِيَ اللهُ**) اللامُ واقعَةٌ في جوابِ القَسَمِ.

قولُه: (**خيرٌ لَكَ**) (أنْ) وما دخلَت عليه في تأويلِ مصدرٍ مبتدأً، و(**خير**) خبرٌ، ونظيرُها قولُه -تعالى-: **{وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ}**.

(٢٣) قولُه: (**حُمْرِ النَّعَمِ**) بتسكينِ الميمِ جمعُ أحْمَرَ، وبالضَّمِّ جمعُ حِمَارٍ، والمرادُ الأوَّلُ.

وحُمْرُ النَّعَمِ هي الإبلُ الحمراءُ، وذكَرَها؛ لأنَّها مَرغُوبَةٌ عندَ العربِ، وهي أحسنُ، وأَنْفَسُ ما يكونُ مِن الإبلِ عندَهم.

وقولُه: (**لأَنْ يهديَ اللهُ بكَ**) ولم يقُلْ: لأنْ تَهْدِيَ؛ لأنَّ الذي يَهْدِي هو اللهُ.

والمرادُ بالهدايةِ هنا: هدايةُ التوفيقِ والدَّلالةِ.

وهل المرادُ الهدايةُ مِن الكفرِ إلى الإسلامِ، أم يَعُمُّ كل هدايةٍ؟

نقولُ: هو موجَّهٌ إلى قومٍ يدْعُوهم إلى الإسلامِ، وهل **نقولُ**: إنَّ القرينةَ الحاليةَ تَقْتَضِي التَّخصيصَ، وأنَّ مَن اهْتَدَى على يَدَيْه رجلٌ في مسألةٍ فرعيَّةٍ مِن مسائلِ الدِّينِ لا يَحْصُلُ له هذا الثوابُ بقرينةِ المقامِ؛ لأنَّ **عليّاً** موجَّهٌ إلى قومٍ كُفَّارٍ يدْعُوهم إلى الإسلامِ، واللهُ أعلَمُ.

(٢٤) فيه مسائِلُ:

الأولى: (**أنَّ الدعْوَةَ إلى اللهِ طريقُ مَن اتَّبعه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ**) وتُؤخذُ مِن قوله تعالى: **{قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي}**.

والأشملُ من ذلك، والأبلغُ في مطابقةِ الآيةِ أن يقالَ: إنَّ الدعوةَ إلى اللهِ طريقُ الرُّسُلِ وأتْباعِهم.

(٢٥) **الثانيةُ**: (**التنبيهُ على الإخلاصِ**) وتُؤخَذُ مِن قولِه: **{أَدْعُو إِلَى اللهِ}** ولهذا قالَ: (**لأنَّ كثيراً من الناسِ لو دَعا إلى الحقِّ فهو يدْعُو إلى نفْسِه**) فالذي يدْعُو إلى اللهِ هو الذي لا يريدُ إلا أنْ يقومَ دينُ اللهِ، والذي يدْعو إلى نفسِه هو الذي يريدُ أنْ يكونَ قولُه هو المقبولَ حقّاً كان أم باطلاً.

(٢٦) **الثالثةُ**: (**أنَّ البصيرةَ مِن الفرائضِ**) وتُؤْخَذُ مِن قولِه تعالى: **{أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ}**

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

ووجهُ كونِ البصيرةِ من الفرائضِ؛ لأنه لا بدَّ للداعيةِ من العلمِ بما يدعو إليه، والدعوةُ فريضةٌ، فيكونُ العلمُ بذلك فريضةً.

(٢٧) **الرابعة:** (**مِن دلائلِ حُسْنِ التوحيدِ كونُه تَنْزيهًا لله – تعالى – عن المسبَّة**) وتُؤخَذُ مِن قوله تعالى: **{وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**.

فسُبحانَ اللهِ دليلٌ على أنَّه واحدٌ لكمالِه، ومعنى عن المسبَّةِ أي: وعَن مماثلة الخالقِ للمخلوقِ؛ إذ تَمْثيلُ الكاملِ بالناقصِ يَجْعَلُه ناقصاً.

(٢٨) **الخامسة:** (**أنَّ مِن قُبحِ الشِّركِ كونَه مسبَّةً لله**) وتؤخذُ من قوله تعالى: **{وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** بعدَ قوله: **{وَسُبْحَانَ اللهِ}**.

(٢٩) **السادسة:** (**وهي من أَهَمِّها: إبعادُ المسلمِ عن المشركين؛ لئلا يصيرَ منهم ولو لم يشرِكْ**) لقولِه تعالى: **{وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**.

ولم يقُلْ: (وَمَا أنا مُشْرِكٌ) لأنه إذا كان بينَهم، ولو لم يكنْ مُشركاً، فهو في ظاهِرِه منهم، ولهذا لما قالَ اللهُ للملائكَةِ: **{اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ}** توجَّهَ الخِطابُ له ولَهُم؛ مع كونه ليس منهم.

(٣٠) **السابعة:** (**كونُ التوحيدِ أوَّلَ واجبٍ**) تُؤْخَذُ من قولِه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**فَلْيَكُنْ أولَ ما تَدْعُوهُم إليهِ شَهادةُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ**».

وفي رواية: «**أَنْ يُوحِّدُوا اللهَ**».

وقد قالَ بعضُ العلماءِ: (أولُ واجبٍ هوَ النظرُ، لكنَّ الصوابَ أنَّ أوَّلَ واجبٍ هو التوحيدُ؛ لأنَّ مَعْرِفَةَ الخالقِ دلَّت عليها الفطْرَةُ).

(٣١) **الثامنة:** (**أنه يُبدأُ به قبلَ كلِّ شيءٍ**) تُؤْخَذُ من قولِه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**ادْعُهُمْ إلى الإسْلامِ، وأَخْبِرْهُمْ بِما يَجِبُ عليهِم مِنْ حَقِّ اللهِ تعالى فيه**».

(٣٢) **التاسعة:** (**أنَّ معنى: «أَنْ يُوحِّدوا اللهَ» معنى شهادة أنْ لا إلهَ إلا اللهُ**)

تُؤْخَذُ مما جاء في الروايتين ففي رواية: «**شهادة أنْ لا إله إلا اللهُ**» وفي الرواية الأخرى: «**أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ**».

(٣٣) **العاشرةُ:** (**أنَّ الإنسانَ قد يكونُ مِن أهلِ الكتابِ وهو لا يَعْرِفُها، أو يَعْرِفُها ولا يَعْمَلُ بهَا**)

ومرادُه بقولِه: (لا يعْرِفُها، أو يَعْرِفُها) شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وتُؤخَذُ من قولِه: «فَلْيكُنْ أوّلَ ما تَدْعوهُم إليْه شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ» إذْ لو كانوا يعرفونَ: (لا إلهَ إلا اللهُ) ويعمَلون بها، ما احْتَاجُوا إلى الدعوةِ إليْها.

(٣٤) **الحادية عشرة:** (التنبيهُ على التعليمِ بالتدريجِ) تُؤْخَذُ من قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- **لمعاذٍ:** «ادعُهُم إلى أنْ يوحّدوا اللهَ، فإنْ هُم أطاعوكَ لذلك، فأعلمْهُم أنّ اللهَ افْتَرَضَ عليهم . .» الحديثَ.

(٣٥) **الثانية عشرة:** (البداءةُ بالأهمِّ فالأهمِّ) تؤخذُ من أمْرِه -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- **معاذاً** بالتوحيدِ لِيَدْعُوَ إليه أوَّلاً ثمَّ الصلاةِ، ثم الزكاةِ.

(٣٦) **الثالثة عشرة:** (مَصْرِفُ الزَّكَاةِ) تُؤْخَذُ مِن قَولِه: «فتُرَدُّ على فُقَرائهِم».

(٣٧) **الرابعة عشرة:** (كَشْفُ العالِمِ الشُّبْهَةَ عن المتعلِّمِ) المرادُ بالشبهةِ هنا: شبهةُ العلْمِ، أي: يكونُ عندَه جهلٌ، تؤْخَذُ مِن قولِه: «إنّ اللهَ افْتَرَضَ عليهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أغْنيائِهِم فتُرَدُّ على فُقَرائهِم».

فبيَّنَ أنَّ هذه الصَّدقةَ تُؤْخَذُ مِن الأغنياءِ، وأنَّ مَصْرِفَها الفقراءُ.

(٣٨) **الخامسة عشْرَة:** (النهيُ عن كَرائِمِ الأموالِ) تُؤْخَذُ من قولِه: «فإيّاكَ وكرائمَ أموالِهِم» إذْ إيَّاكَ تُفيدُ التحذيرَ، والتحذيرُ يَسْتَلْزِمُ النَّهْيَ، وإيَّاكَ تحذيرٌ.

(٣٩) **السادسة عشرة:** (اتقاءُ دعوةِ المظلومِ) تُؤخَذُ من قولِه: «واتَّقِ دَعْوَةَ المظلومِ».

(٤٠) **السابعة عشرة:** (الإِخْبَارُ بأنّها لا تُحجبُ) تُؤْخَذُ من قولِه: «فإنَّهُ لَيسَ بيْنَها وبينَ اللهِ حِجابٌ».

فقَرَنَ الترغيبَ أو الترهيبَ بالأحكامِ، مّما يحثُّ النفسَ إنْ كانَ ترغيباً، ويُبْعِدُها ويَزْجُرُها إن كانَ ترهيباً، لقولِه: «اتَّقِ دَعْوَةَ المظلومِ» فالنفسُ قد لا تَتَّقي لكن إذا قيلَ: ليسَ بيْنَها وبينَ اللهِ حجَابٌ خَافَت ونَفَرَت من ذلك.

(٤١) **الثامنة عشرة: (من أدلّةِ التوحيدِ ما جَرَى على سيدِ المرْسَلين وساداتِ الأولياءِ من المشقّةِ والجوعِ والوباءِ)** الظاهرُ: أنَّ المؤلِّفَ -رحمَه اللهُ- يُريدُ الإشارةَ إلى قصَّةِ خَيْبَرَ؛ إذْ وقَعَ فيها في عَهْدِ النبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- جوعٌ عظيمٌ، حتى إنّهم أكلوا الحميرَ والثُّومَ.

وأمَّا الوباءُ: فهو ما وقَعَ في عهدِ **عليٍّ** رضيَ اللهُ عنه.

وأمَّا المشقَّةُ: فظاهرةٌ.

ووجهُ كونِ ذلك من أدلَّة التوحيد: أنَّ الصبرَ والتحمُّلَ في مثلِ هذه الأمورِ يدلُّ على إخلاصِ الإنسانِ في توحيدِه، وأنَّ قَصْدَه اللهُ، ولذلكَ صبَرَ على البلاء.

(٤٢) **التاسعة عشرة:** (**قولُه: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ» عَلَمٌ مِن أعلامِ النبوَّةِ**) لأنَّ هذا حصَلَ، **فعليُّ بنُ أبي طالبٍ** يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ، ويحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ.

(٤٣) **العشرون:** (**تَفْلُه في عينَيْه عَلَمٌ مِن أعلامِها أيضاً**) لأنَّه بَصَقَ في عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ كأنْ لم يكُن بِهِ وَجَعٌ.

(٤٤) **الحاديةُ والعشرون:** (فَضِيلةُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ (**رضيَ اللهُ عنه**) وهذا ظاهِرٌ؛ لأنَّه يُحِبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُهُ.

(٤٥) **الثانيةُ والعشرون:** (**فَضْلُ الصحابَةِ في دَوْكِهِم تلكَ الليلةَ، وشُغْلِهِم عن بِشارةِ الفتحِ**) لأنهم انْشَغَلُوا عن بشارةِ الفتحِ بالتِمَاسِهِم مَعْرِفَةَ مَن يُحبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحبُّه اللهُ ورسولُهُ.

(٤٦) **الثالثةُ والعشرون:** (**الإيمانُ بالقدَرِ لحصولِهَا لِمَن لَم يَسْعَ لها ومَنْعِهَا عمَّن سعى**) لأنَّ الصحابَةَ غَدَوْا على رسولِ اللهِ مُبَكِّرين، كلُّهم يَرْجُو أنْ يُعطاهَا و لم يُعْطَوْهَا، **وعليُّ بنُ أبي طالبٍ** مريضٌ و لم يسعَ لها، ومع ذلك أُعطِيَ الرَّايةَ.

(٤٧) **الرابعةُ والعشرون:** (**الأدبُ في قولِه: «على رِسْلِكَ»** ووجهُه: أنَّه أَمَرَهُ بالتَّمَهُّلِ وعدَمِ التَّسَرُّعِ.

(٤٨) **الخامسةُ والعشرون:** (**الدعوةُ إلى الإسلامِ قبلَ القتالِ**) لقولِه: «**حتى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِم، ثمَّ ادْعُهُمْ إلى الإِسْلامِ**».

(٤٩) **السادسةُ والعشرون:** (**أنه مشروعٌ لِمن دُعُوا قبلَ ذلك وقُوتِلوا**).

(٥٠) **السابعةُ والعشرون:** (**الدعوةُ بالحكمةِ**) تُؤْخَذُ من قولِه: «**أَخبِرْهُم بما يجبُ عليهِم من حقِّ اللهِ – تعالى – فيه**» لأن مِن الحكمةِ أن تَتِمَّ الدعوةُ، وذلك بأن تأمرَهُ بالإسلامِ أولاً، ثم تُخْبِرَه بما يجبُ عليه مِن حقِّ اللهِ، ولا يكفي أنْ تأمُرَه بالإسلامِ؛ لأنَّه قد يُطَبِّقُ هذا الإسلامَ الذي أَمَرْتَه به، وقد لا يُطَبِّقُه، بل لا بُدّ من تَعاهُدِه حَتَّى لا يَرْجِعَ إلى الكفْرِ.

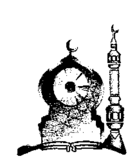
(٥١) **الثامنةُ والعشرون:** (**المعرفةُ بحقِّ اللهِ – تعالى – في الإسلامِ**) تُؤْخَذُ مِن قولِه: «**وأَخْبِرْهُمْ بما يَجِبُ عليهِم مِنْ حَقِّ اللهِ تعالى فيه**».

(٥٢) **التاسعةُ والعشرون:** (ثوابُ مَن اهْتَدَى على يديه رجلٌ واحدٌ) لقولِه: «**لأنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً واحداً خيرٌ لكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**» أي: خيرٌ لك من كلِّ ما يُسْتَحْسَنُ في الدنيا، وليس المعْنَى كما قالَ بعضُهم: خيرٌ لك مِن أنْ تَتَصَدَّقَ بنعَمٍ حُمْرٍ.

(٥٣) (**الثلاثون:** (الحلفُ على الفُتْيا) لقولِه: «**فَواللهِ لأنْ يَهْدِيَ اللهُ.. إلخ**» فأَقْسَمَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- وهو لم يُسْتَقْسَمْ.

والفائدةُ: هي حَثُّه على أنْ يَهْدِيَ اللهُ بِهِ والتوكيدُ عليه، ولكنْ لا يَنْبَغِي الحلِفُ على الفُتْيا إلا لمصْلَحَةٍ وفائدةٍ؛ لأنه قد يَفْهَمُ السامعُ أنَّ المُفْتِيَ لم يَحلِفْ إلا لشكٍّ عندَه.

والإمامُ **أحمدُ** -رحِمَه اللهُ- أحياناً يقولُ في إجابَتِه: (**إي واللهِ**).





تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس السابع

(١) **التفسيرُ** في لسان العرب هو: الكشفُ والإيضاحُ، مأخوذٌ من قولِهم: فَسَرَتْ الثمرةُ قِشْرَها، ومنه تفسيرُ القرآنِ الكريمِ.

والتوحيدُ: تقدَّمَ تعريفُه، والمرادُ به هنا اعتقادُ أنَّ اللهَ واحدٌ في ألوهيَّته.

وقولُه: (**وشهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ**) معطوفٌ على التوحيد، أي: وتفسيرِ شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ.

والعطفُ هنا من باب عطفِ المترادفَيْن؛ لأنَّ التوحيدَ حقيقةً هو شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ.

وهذا البابُ مُهمٌّ؛ لأنه لَمَّا سبَقَ الكلامُ على التوحيدِ وفضلِه والدعوةِ إليه كأنَّ النفسَ الآن اشْرَأَبَّتْ إلى بيانِ ما هو هذا التوحيدُ الذي بُوِّبَ لَه هذه الأبوابُ؟

(وجوبُه، وفضلُه، والدعوةُ إليه) **فيُجابُ بهذا البابِ، وهو تفسيرُ التوحيد**، وقد ذكَرَ المؤلِّفُ خمسَ آيات:

(٢) قولُه تعالَى: {**أولَـئِكَ**} أُولاءِ مبتدأٌ، و{**الَّذِينَ**} بدلٌ منه، و{**يَدْعُونَ**} صلةُ الموصول، وجملةُ {**يَبْتَغُونَ**} خبرُ المبتدأِ، أي: هؤلاءِ الذين يَدْعُوهم هؤلاءِ هم أنْفُسُهم يبْتَغُون إلى ربِّهم الوسيلةَ أيُّهم أقربُ، فكيْفَ تَدْعُونَهم، وهم محتاجون مُفْتَقِرُون؟!! فهذا سَفَهٌ في الحقيقةِ، وهذا يَنْطَبِقُ على كلِّ مَن دُعِي وهو داعٍ، **كعيسى ابنِ مريمَ**، والملائكةِ، والأولياءِ، والصالحين.

وأما الشجرُ والحجرُ؛ فلا يَدْخُلُ في الآية.

فهؤلاءِ الذين زَعَمْتُم أنَّهم أولياءُ مِن دونِ اللهِ لا يملِكُون كشْفَ الضُّرِّ، ولا تحويلَه مِن مكانٍ إلى مكانٍ؛ لأنَّهم هم بأنفسهم يَدْعُون يَبْتَغُون إلى ربِّهم الوسيلةَ أيُّهم أقربُ، وقد قالَ -تعالَى- مُبَيِّنًا حالَ هؤلاءِ المدعُوِّين: **{وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ، وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}**.

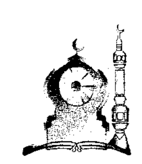
قولُه: {**يَدْعُونَ**} أيْ: **دعاءَ مسألةٍ**، كمَن يَدْعو **عليًّا** عندَ وقوعِهم في الشدائدِ، وكمَن يَدْعُو النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ.

وقد يكونُ دعاءَ عبادةٍ، كمَن يَتذَلَّلُ لهم بالتقرُّبِ والنذرِ والركوعِ والسجودِ.

قولُه: {**يَبْتَغُونَ**} يَطْلُبونَ.

قولُه: {**الوَسِيلَةَ**} أيْ: الشيءَ الذي يُوصِلُهم إلى اللهِ، يعني: يَطْلُبُونَ ما يكونُ وسيلةً إلى اللهِ -سبحانَه وتعالَى- أيُّهم أقربُ إلى اللهِ، وكذلكَ - أيضًا -: يَرْجُونَ رحْمَتَه، ويخافونَ عذابَه.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



ووجهُ مناسبةِ الآيةِ للبابِ: (بابُ تفسيرِ التوحيد، وشهادة أن لا إلهَ إلا اللهُ) أنَّ التوحيدَ يَتضَمَّنُ البراءةَ من الشرك، بحيثُ لا يَدْعُو مَعَ اللهِ أحدًا، لا مَلَكًا مقرَّبًا، ولا نبيًّا مُرْسَلاً، وهؤلاء الذين يَدْعُون الأنبياءَ والملائكةَ لم يتبرَّؤُوا مِن الشرك، بل هم واقعون فيه، ومن العَجَب: أنَّهم يدعون مَن هم في حاجةٍ إلى ما يُقرِّبُهُم إلى الله -تعالى-، فهم غيرُ مُسْتَغْنِين عَن اللهِ بأنْفُسِهم، فكيفَ يُغْنُون غَيْرَهم؟!.

(٣) قولُه: {بَرَاءٌ} على وزنِ فَعَالٌ، وهي صفةٌ مُشَبَّهَةٌ من التَّبرُّء، وهو التَّخلِّي أيْ: إنَّني متخَلٍّ غايةَ التخلِّي عمَّا تَعْبُدُونَ إلا الذي فَطَرَنِي.

وإبراهيمُ -عليه الصلاةُ والسلامُ- قويٌّ في ذاتِ الله، فقالَ ذلك مُعْلنًا به لأبيه وقومِه، وأبوهُ هو آزَرُ.

قولُه: {تَعْبُدُونَ} العبادةُ هنا: التذلُّلُ والخضوعُ؛ لأن في قومِه مَن يَعْبُدُ الأصنامَ.

- ومنهم: مَن يعبُدُ الشمسَ والقمرَ والكواكبَ.

قولُه: {إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي} جَمَعَ بينَ النفيِ والإثباتِ.

- فالنفيُ: {بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ}.

- والإثباتُ: {إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي} فدلَّ على أنَّ التوحيدَ لا يَتمُّ إلا بالكفرِ بما سوَى الله، والإيمان بالله وحدَه، {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} وهؤلاء يَعْبُدُون اللهَ، ويعبدون غيرَه؛ لأنَّه قالَ: {إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي} والأصلُ في الاستثناءِ الاتِّصالُ إلا بدليلٍ، ومع ذلك تبرَّأ منهم.

وفي قولِ إبراهيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: {إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي} ولم يقلْ: (إلا اللهُ) **فائدتان:**

الأولى: الإشارةُ إلى علَّةِ إفرادِ اللهِ بالعبادة؛ لأنه كما أنه مُنْفَردٌ بالخلْقِ فيجبُ أن يُفْرَدَ بالعبادةِ.

الثانيةُ: الإشارةُ إلى بُطلانِ عبادةِ الأصنام؛ لأنَّها لم تَفطُرْكم حتى تَعْبُدُوها، ففيها تعليلٌ للتوحيدِ الجامعِ بينَ النفيِ والإثباتِ، وهذه مِن البلاغةِ التامَّةِ في تعبيرِ إبراهيمَ عليه السلامُ.

ويُستفادُ من الآيةِ: أنَّ التوحيدَ لا يَحْصُلُ بعبادةِ اللهِ مع غيرِه، بل لابدَّ مِن إخلاصِها للهِ، **والناسُ في هذا المقامِ ثلاثةُ أقسامٍ:**

الأول: قسمٌ يعبُدُ اللهَ وحدَه.

الثاني: وقسمٌ يعبُدُ غيرَه فقَط.

الثالث: وقسمٌ يعبُدُ اللهَ وغيرَه، والأوَّلُ فقط هو المُوَحِّدُ.

(٤) قولُه: {أَحْبَارَهُمْ} والمعطوفُ عليها هو المفعولُ الأولُ لاتَّخَذوا، والمفعول الثاني: هو {أرباباً} أي: هؤلاء اليهودُ والنصارَى صيَّروا أحبارَهم، ورُهْبانَهم أربابًا.

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٢ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

والأحبارُ: جمعُ حَبْرٍ وهو العالِمُ، ويقالُ للعالِمِ أيضًا: بَحْرٌ؛ لكَثْرَةِ علْمِه.
والْحَبْرُ: بفتحِ الحاءِ، وكسرِها، يقالُ: حَبْرٌ، وحِبْرٌ.
قولُه: {وَرُهْبَانَهُمْ} أي: عُبَّادَهم.
قولُه: {أرباباً} جمعُ ربٍّ، أيْ: يَجْعَلُونَهم أربابًا مِن دونِ اللهِ، فجعَلوا الأحبارَ أربابًا؛ لأنهم يأْتَمِرُون بأمرِهِم، في مخالفةِ أمرِ اللهِ، فيطيعُونَهم في معصيةِ اللهِ، وجعَلُوا الرُّهْبانَ أرْبَابًا باتِّخاذِهم أولياءَ يَعْبُدونَهم مِن دونِ اللهِ.
قولُه: {مِنْ دُونِ اللهِ} أي: مِن غيرِ اللهِ.
قولُه: {والمسيحَ ابنَ مَرْيَمَ} معطوفٌ على أحبارِهِم، أي: اتَّخذوا المسيحَ ابنَ مريمَ - أيضًا - ربًّا حيثُ قالوا: إنه ثالثُ ثلاثة.
قولُه: {إلا ليَعْبُدُوا} أي: يَتَذَلَّلُوا بالطاعةِ للهِ وحدَه، الذي خلَقَ المسيحَ والأحبارَ والرُّهْبانَ والسماواتِ والأرضَ.
قولُه: {لا إلهَ إلا هُوَ} أيْ: لا مَعْبُودَ حقٌّ إلا هو.
قولُه: {سُبْحَانَه} تنزيهُ اللهِ عمَّا يُشْرِكون.

ووجهُ كونِ هذه الآيةِ تفسيرًا للتوحيدِ وشهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ: أنَّ اللهَ أنْكَرَ عليهم اتِّخاذَ الأحبارِ والرُّهْبانِ أربابًا مِن دونِ اللهِ، وهذه الآيةُ سيأتي لها تَرْجَمةٌ كاملةٌ في كلامِ المؤلِّفِ رَحِمَه اللهُ، فهؤلاءِ جعلوا الأحبارَ شُركاءَ في الطاعة، كُلَّمَا أُمِروا بشيءٍ أطاعوهُم، سواءٌ وافقَ أمرَ اللهِ أمْ لا.
إذًا: فتفسيرُ التوحيدِ -أيضًا- بلا إلهَ إلا اللهُ يستلزِمُ أنْ تكونَ طاعتُك للهِ وحدَه، ولهذا على الرغمِ مِن تأكيدِ النبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- لطاعةِ ولاةِ الأمرِ فقد قالَ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**».
(٥) قولُه: {أنداداً} جمعُ ندٍّ، وهو الشبيهُ والنظيرُ، ولهذا قالَ النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- لمن قالَ له: ما شاءَ اللهُ وشِئْتَ: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟! بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وحدَهُ**».
قولُه: {يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ} هذا وجهُ المشابهةِ، أي: النِّدِّيةُ في المحبة، يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ.
(وحبُّ) مصدرٌ مضافٌ إلى المفعولِ، أي: جعَلُوهم مُساوِين للهِ، واختَلَفَ المفسِّرون في قولِه: {كَحُبِّ اللهِ}.
فقيل: يجعلونَ محبَّةَ الأصنامِ مساويةً لمحبَّةِ اللهِ، فيكونُ في قلوبِهم محبَّةٌ للهِ ومحبَّةٌ للأصنامِ، ويَجْعَلُون محبَّةَ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الأصنامِ كمحبَّةِ اللهِ، فيكونُ المصدرُ مضافًا إلى مَفعوله.

وقيلَ: يُحبُّونَ هذه الأصنامَ كمحبةِ المؤمنين للهِ.

وسياقُ الآيةِ يُؤيِّدُ القولَ الأوَّلَ.

قولُه: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**﴾ **على القول الأول يكونُ معناها: والذين آمنوا أشدُّ حبًّا لله من هؤلاء لله**؛ لأنّ محبةَ المؤمنينَ خالصةٌ، ومحبةَ هؤلاءِ فيها شِرْكٌ بينَ اللهِ وبينَ أصنامِهم.

وعلى القول الثاني معناها: والذين آمَنُوا أشدُّ حُبًّا لله من هؤلاء لأصنامهم؛ لأنَّ محبَّةَ المؤمنين ثابتةٌ في السَّرَّاءِ والضرَّاءِ على برهانٍ صحيحٍ، بخلافِ المشركين فإنَّ محبَّتَهم لأصنامِهم تتضاءَلُ إذا مسَّهُم الضُّرُّ.

فما بالُكَ برَجُلٍ يحبُّ غيرَ اللهِ أكثرَ من محبَّته للهِ؟

وما بالُك برجُلٍ يحبُّ غيرَ اللهِ ولا يُحبُّ اللهَ؟

فهذا أقبحُ وأعظمُ، وهذا موجودٌ في كثيرٍ من المُنتَسِبين للإسلامِ اليومَ؛ فإنَّهم يُحبُّون أولياءهم أكثرَ مِمَّا يُحبُّون اللهَ، ولهذا لو قيلَ لَه: احْلفْ باللهِ، حلَفَ صادقًا أو كاذبًا، أما الوليُّ فلا يحلفُ به إلا صادقًا.

وتجدُ كثيرًا منهم يأتُون إلى مكَّةَ والمدينة؛ ويَرَوْن أن زيارةَ قبرِ الرسولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ- أعظمُ من زيارةِ البيتِ؛ لأنَّهم يَجِدُون في نفوسهم حبًّا لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ- كحبِّ اللهِ أو أعظمَ، وهذا شركٌ؛ لأنّ اللهَ يعْلَمُ أننا ما أحْبَبْنا رسولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ- إلا لحبِّ اللهِ؛ فهو رسولُه، ما أحْبَبْناه لأنه **محمدُ بنُ عبدِ اللهِ**، لكننا أحْبَبْناه؛ لأنه رسولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ- فنحنُ نُحبُّه بمحبَّةِ اللهِ، لكنْ هؤلاء يجعلونَ محبةَ اللهِ تابعةً لمحبَّةِ الرسولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ- إنْ أحَبُّوا اللهَ.

فهذه الآيةُ فيها محنةٌ عظيمةٌ لكثيرٍ من قلوبِ المسلمين اليومَ، الذين يَجْعَلُونَ غيرَ اللهِ مثْلَ اللهِ في المحبَّة.

وفيه أناسٌ -أيضًا- أشْرَكُوا باللهِ في مَحَبَّةِ غيرِه، لا على وجه العبادة الشرعيَّة لكن على وجه العبادة المذكُورةِ في الحديثِ، وهي محبَّةُ الدِّرهمِ والدينارِ والخَميصَةِ والخَميلَةِ، يُوجَدُ أُناسٌ لو فَتَّشْتَ عن قُلوبِهم لوجَدتَ قلوبَهم مَلأى من مَحبَّةِ متاعِ الدُّنيا، وحتَّى هذا الذي جاءَ يُصَلِّي، هو في المسجد، لكن قَلْبُه مشْغولٌ بما يُحبُّه من أمورِ الدنيا.

فهذا نوعٌ من أنواعِ العبادةِ في الحقيقة.

قالَ ابنُ القَيِّمِ -رحِمَه اللهُ-: (**كلُّ الأمورِ تَسيرُ بالمَحبَّةِ، فأنت مثلًا لا تَتَحَرَّكُ لشيءٍ إلا وأنتَ تُحبُّه؛ حتى اللُّقْمَةَ من الطعامِ، لا تأكُلُها إلا لمحبَّتِكَ لها**).

ولهذا قيلَ: إنَّ جميعَ الحركاتِ مَبْناها على المحبَّة، فالمحبَّةُ أساسُ العَمَلِ، فالإشْراكُ بالمحبَّة إشراكٌ باللهِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

والمحبَّة أنواعٌ:

الأوَّلُ: المحبةُ للهِ، وهذه لا تُنافِي التوحيدَ، بل هِي مِن كمالِه، فأَوْثَقُ عُرَى الإيمانِ: الحبُّ في اللهِ، والبُغْضُ في اللهِ.

والمحبَّةُ للهِ هي: أنْ تُحبَّ هذا الشيءَ؛ لأنَّ اللهَ يُحبُّه، سواءٌ كانَ شَخْصًا، أو عَملاً، وهذا مِن تمامِ التوحيد.

الثاني: **المحبةُ الطبيعيَّةُ التي لا يُؤْثِرُها المرءُ على محبةِ اللهِ**، فهذه لا تُنافِي محبَّةَ اللهِ، كمحبَّةِ الزوجةِ، والولدِ، والمالِ، ولهذا لما سُئِل النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: (**مَنْ أحبُّ الناسِ إليكَ؟ قال:** «**عائشَةُ**».

قيلَ: فَمِنَ الرِّجالِ؟

قال: «**أَبوها**».

ومِن ذلك: محبةُ الطعامِ، واللِّباسِ.

الثالثُ: المحبةُ مع اللهِ التي تُنافى محبةَ اللهِ، وهي: أن تكونَ محبةُ غيرِ اللهِ كمحبةِ اللهِ، أو أكثرَ من محبةِ اللهِ، بحيثُ إذا تَعارَضَتْ محبةُ اللهِ ومحبةُ غيرِه قدَّمَ محبةَ غيرِ اللهِ؛ وذلك إذا جعَلَ هذه المحبَّةَ ندًّا للهِ يُقدِّمُها على محبَّةِ اللهِ، أو يُساوِيها بها.

الشاهِدُ مِن هذه الآيةِ: أنَّ اللهَ جعَلَ هؤلاءِ الذين ساوَوْا محبَّةَ اللهِ بمحبةِ غيرِه مُشرِكينَ جاعلينَ للهِ أنْدادًا.

(٦) قولُه: (**مَن قالَ لا إلهَ إلا اللهُ**) أي: لا معبودَ حقٌّ إلا اللهُ، فلفظُ الجلالةِ بَدَلٌ مِن الضميرِ المستَتِرِ في الخَبرِ، ومَن يَرَى أنَّ (**لا**) تَعمَلُ في المعْرِفَةِ يقولون: (**اللهُ**) خبرٌ مِثْلَ: **{إنَّما اللهُ إلهٌ واحدٌ}**

قولُه: (**وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ**) هذا دليلٌ على أنَّه لا يكفي مجرَّدُ التلفُّظِ بلا إلهَ إلا اللهُ، بلْ لا بدَّ أنْ تَكْفُرَ بعبادةِ مَن يُعبدُ مِن دونِ اللهِ، بلْ وتَكْفُرُ - أيضًا - بكلِّ كُفْرٍ.

- **فمَن يقولُ:** لا إلهَ إلا اللهُ ويرَى أنَّ **النصارَى واليهودَ** اليومَ على دينٍ صحيحٍ فليسَ بمسلمٍ.

- **ومَن يرَى الأديانَ أفكارًا** يَختارُ منها ما يريدُ فليسَ بمسلمٍ، بلْ الأديانُ عقائدُ مرسومةٌ مِنْ قِبَلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، يتَمَشَّى الناسُ عليها، ولهذا **يُنكَرُ على بعضِ الناسِ في تعبيرِه بقولِه: (الفكرُ الإسلاميُّ، بل الواجبُ أنْ يقالَ: الدِّينُ الإسلاميُّ، أو العقيدةُ الإسلاميَّةُ، ولا بأسَ بقولِ المفكرِ الإسلاميِّ؛ لأنه وَصْفٌ للشخصِ نَفْسه، لا للدِّينِ الذي هو**

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١١١١ - ص.ب ٤٤٢٦١٠٢
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

عليه).

[قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في (الدرر السنية) (٢/٢٤٣ ــ ٢٤٤): (وأمّا قوله صلى الله عليه وسلم: «وكفر بما يعبد من دون الله» فهذا: شرط عظيم، لا يصح قول: لا إله إلا الله إلا بوجوده، وإن لم يوجد لم يكن من قال لا إله إلا الله معصوم الدم والمال؛ لأن هذا هو معنى لا إله إلا الله؛ فلم ينفعه القول بدون الإتيان بالمعنى الذي دلت عليه؛ من ترك الشرك والبراءة منه وممن فعله.

فإذا أنكر عبادة كل ما يعبد من دون الله، وتبرأ منه، وعادى من فعل ذلك؛ صار مسلماً، معصوم الدم والمال.

– وهذا معنى قوله تعالى: {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميعٌ عليم}.

وقد قيدت (لا إله إلا الله) في الأحاديث الصحيحة بقيود ثقال، لا بد من الإتيان بجميعها، قولاً واعتقاداً وعملاً، فمن ذلك حديث عتبان الذي في (الصحيح):

– «فإن الله حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

– وفي الحديث الآخر: «صدقاً من قلبه».

– «خالصاً من قلبه».

– «مستيقناً بها قلبه» غير شاك، فلا تنفع هذه الكلمة قائلها إلا بهذه القيود إذا اجتمعت له، مع العلم بمعناها ومضمونها، كما قال تعالى: {ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون} وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: {فاعلم أنه لا إله إلا الله} فمعناها يقبل الزيادة، لقوة العلم، وصلاح العمل)]

(٧) قولُه: (وشرْحُ هذه الترجمةِ) المرادُ بالشرحِ هنا: التفصيلُ.

و(الترجمةُ) هي التعبيرُ بلغةٍ عن لغةٍ أُخرى، ولكنَّها تُطلَقُ باصْطِلاحِ المؤلِّفين على العناوينِ، والأبوابِ،

فيقالُ: تَرْجَمَ على كذا، أيْ: بوَّبَ لهُ.

(٨) قولُه: (فيه أكبرُ المسائلِ وأهمُّها، وهيَ تفسيرُ التوحيدِ) فتفسيرُ التوحيدِ لا بدَّ فيه من أمرَيْنِ:

الأولُ: البراءةُ مِمَّا سوَى اللهِ عزَّ وجلَّ، والكُفرُ بغيرِه.

الثاني: إثباتُ الألوهيَّةِ للهِ وحدَه، فلا بدَّ مِن النَّفْيِ والإثباتِ لتحقيقِ التوحيدِ؛ لأنَّ التوحيدَ جَعْلُ الشيءِ واحدًا بالعقيدةِ والعَمَلِ، وهذا لا بدَّ فيه مِن النفيِ والإثباتِ.

(٩) قولُه: (وتفسيرُ الشهادةِ) الشهادةُ: هي التعبيرُ عمَّا تَيَقَّنَه الإنسانُ بقلْبِه. فقولُ: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، أيْ: أَنْطِقُ بِلساني معبِّرًا عمَّا يُكِنُّه قَلْبِي مِن اليقينِ، وهو أنَّه لا إلهَ إلا اللهُ.

(١٠) قولُه: (منها: آيةُ الإسراءِ) وهي قولُه تعالى: {أولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ} الآيةَ، فبيَّن فيها الردَّ على المشركين الذين يَدْعُون الصالحين، وبيَّنَ أنَّ هذا هو الشِّرْكُ الأكْبَرُ؛ لأنَّ الدُّعاءَ من العبادةِ، قالَ تعالى: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي} فدَلَّ على أنَّ الدعاءَ عِبادةٌ؛ لأنَّ آخرَ الكلامِ تعليلٌ لأوَّلِه، فكلُّ مَن دَعا أحدًا غيرَ اللهِ حيًّا أو ميِّتًا فهو مُشْرِكٌ شرْكًا أكْبَرَ.

والدعاءُ ينقسِمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

الأوَّلُ: جائزٌ، وهو أنْ تَدْعُوَ مخلوقًا بأمرٍ مِن الأمورِ التي يمكنُ أن يُدْرِكَهَا بأشياءَ محسوسةٍ معلومَةٍ، فهذا ليس من دعاءِ العبادةِ، بل هو مِن الأمورِ الجائزَةِ، قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: «وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ».

الثاني: أنْ تَدْعُوَ مخلوقًا مُطْلَقًا، سواءٌ كانَ حيًّا أو ميِّتًا فيما لا يَقْدِرُ عليه إلا اللهُ، فهذا شِرْكٌ أَكْبَرُ؛ لأنَّكَ جَعَلْتَه نِدًّا للهِ فيما لا يقْدِرُ عليه إلا اللهُ، مِثْلَ: يا فلانُ، اجْعَلْ ما في بَطْنِ امْرَأَتِي ذَكَرًا.

الثالثُ: أنْ تدعوَ مَخْلُوقًا ميِّتًا لا يُجيبُ بالوسائلِ الحِسِّيَّةِ المعلومَةِ، فهذا شِرْكٌ أكبرُ أيضًا؛ لأنه لا يَدْعُو مَن كانَ هذه حالَه حتى يعْتَقِدَ أنَّ له تَصَرُّفًا خَفِيًّا في الكونِ.

(١١) قولُه: (ومنها آيةُ (براءةَ)، بيَّنَ أنَّ أهلَ الكتابِ اتَّخَذُوا أحبارَهُم ورُهْبَانَهُم أربابًا من دونِ اللهِ) وهذا شِرْكُ الطاعةِ، وهو بتوحيدِ الرُّبوبيَّةِ ألصقُ من توحيدِ الألوهيَّةِ؛ لأنَّ الحكمَ -شرعيًّا كانَ أو كونيًّا- إلى اللهِ تعالى، فَهو من تمامِ رُبُوبيَّتِه:

- قالَ تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ}.
- وقالَ تعالى: {لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

والشيخُ -رحِمَه اللهُ- جَعَلَ شِرْكَ الطاعةِ مِنَ الأكْبَرِ، وهذا فيه تَفْصِيلٌ، وسيأتي -إنْ شاءَ اللهُ- في بابِ مَن

أطاعَ الأمراءَ والعلماءَ في تحليلِ ما حرَّمَ اللهُ، أو بالعكس.

(١٢) قولُه: (ومنها: قولُ الخليلِ - عليه السلامُ - للكفار: {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي} فاستَثْنَى من المعبودين ربَّه) فدلَّ هذا على أن التوحيدَ لا بدَّ فيه من نفيٍ وإثباتٍ؛ بالبراءة مما سوى الله، وإخلاصِ العبادة لله وحدَه.

(وذكَرَ - سُبحانَه - أنَّ هذه البراءةَ وهذه الموالاةَ هي تفسيرُ شهادة أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، فقالَ: {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}) وهي لا إلهَ إلا اللهُ، فكانَ معنى قوله: {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي} هُو معنى قولِ: لا إلهَ إلا اللهُ.

(١٣) قولُه: (ومنها آيةُ البَقَرَةِ في الكفارِ الذينَ قالَ اللهُ فيهم: {وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}) فجَعَلَ اللهُ المحبَّةَ شِرْكًا إذا أَحَبَّ شيئًا سوى الله كمَحبَّته لله، فيكونُ مُشْرِكًا معَ الله في المحبَّة، ولهذا يَجبُ أنْ تكونَ محبَّةُ اللهِ خالصَةً لا يُشارِكُه فيها أحَدٌ، حتى محبَّةُ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ، فلولا أنه رسولٌ مَا وَجَبَتْ طاعتُه ولا محبَّته إلا كمَا نُحبُّ أيَّ مُؤْمِنٍ، ولا يُمْنَعُ الإنسانُ من محبةِ غيرِ اللهِ، بل له أن يحبَّ كلَّ شيءٍ تُبَاحُ محبَّتُه، كالوَلَد، والزوْجَة، ولكن لا يَجْعَلُ ذلك كمحبَّةِ الله.

(١٤) قالَ المؤلِّفُ: (فكيف بمَن أحبَّ النِّدَّ أكبرَ من حبِّ اللهِ؟! وكيف بمَن لم يُحبَّ إلا النِّدَّ وحدَه ولم يُحبَّ اللهَ؟!) فالأقسامُ أربعةٌ:

الأوَّلُ: أنْ يُحبَّ اللهَ حبًّا أشَدَّ من غيرِه، فهذا هو التوحيدُ.

الثاني: أن يُحبَّ غيرَ اللهِ كمحبَّةِ اللهِ، وهذا شِرْكٌ.

الثالثُ: أن يحبَّ غيرَ اللهِ أشدَّ حبًّا من اللهِ، وهذا أعْظَمُ ممَّا قبْلَه.

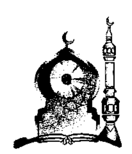
الرابعُ: أن يحبَّ غيرَ اللهِ وليسَ في قلبِه محبَّةٌ لله تعالى، وهذا أعظمُ وأطَمُّ.

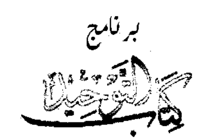
(١٥) قولُه: (ومنها: قولُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: «مَنْ قالَ: لا إلهَ إلا اللهُ» إلخ.

إذًا: فلا بُدَّ من الكفر بالطاغوتِ والإيمان باللهِ، قالَ تعالى: {فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}.

قولُه: (وكَفرَ بما يُعْبَدُ من دُونِ اللهِ) أي: كفرَ بالأصنامِ، وأنكرَ أن تكونَ عبادتُها حقًّا، فلا يكْفي أنْ يقولَ: (لا إلهَ إلا اللهُ) ولا أعْبدُ صَنَمًا، بل لا بدَّ أنْ يقولَ: الأصنامُ التي تُعْبَدُ من دونِ اللهِ أَكْفُرُ بها وبعبادتها.

فمَن رضيَ دينَ النصارَى دينًا يَدينون اللهَ به فهو كافرٌ؛ لأنَّه إذا ساوَى غيرَ دينِ الإسلامِ مع الإسلامِ فقد كذَّبَ قولَه تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ}.





وبهذا يكونُ كافرًا.

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي

الدرس الثامن

(١) قولُهُ: (مِن الشِّرك) (مِنْ) هنا للتَّبْعيضِ، فهذا مِن الشِّركِ، وليسَ كلَّ الشِّركِ.

و(الشِّركُ) اسمُ جِنْسٍ يَشْمَلُ الأصغَرَ والأكبَرَ، ولُبْسُ هذهِ الأشياءِ قدْ يكونُ أصغرَ، وقدْ يكونُ أكبرَ، بحَسَبِ اعْتِقَادِ لابِسِهَا.

وكانَ لُبْسُ هذهِ الأشياءِ مِن الشركِ؛ لأنَّ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ سَبَبًا لَم يَجْعَلْهُ اللهُ سَبَبًا شَرْعِيًّا ولا قَدَرِيًّا فَقَدْ أَشْرَكَ باللهِ.

فقراءةُ الفاتحَةِ سَبَبٌ للشِّفَاءِ شَرْعِيٌّ.

وأكْلُ المُسَهِّلِ سَبَبٌ لانْطِلاقِ البَطْنِ، وهو قَدَرِيٌّ؛ لأنَّهُ يُعْلَمُ بالتَّجَارِبِ.

والناسُ في الأسبابِ طرفانِ ووَسَطٌ:

الأوَّلُ: مَنْ يُنْكِرُ الأسبابَ، وهمْ كلُّ مَنْ قالَ بنَفْيِ حِكْمَةِ اللهِ، كالجَبْرِيَّةِ والأَشْعَرِيَّةِ.

الثاني: مَنْ يَغْلُو في إثْباتِ الأسبابِ حتَّى يَجْعَلُوا ما ليسَ بسَبَبٍ سببًا، وهؤلاءِ هُمْ عامَّةُ الخُرافِيِّينَ من الصُّوفِيَّةِ ونَحْوِهِمْ.

الثالثُ: مَنْ يُؤْمِنُ بالأسبابِ وتأثيراتِها، ولكنَّهم لا يُثْبِتُونَ من الأسبابِ إلاَّ ما أَثْبَتَهُ اللهُ سبحانَهُ ورسُولُهُ، سواءٌ كانَ سَبَبًا شرعيًّا أوْ كونيًّا.

ولا شكَّ أنَّ هؤلاءِ هم الذينَ آمَنُوا باللهِ إيْمَانًا حقيقيًّا، وآمَنُوا بحِكْمَتِه، حيثُ رَبَطُوا الأسبابَ بمُسَبَّبَاتِها، والعِلَلَ بمَعْلُولاتِها، وهذا مِنْ تَمَامِ الحِكْمَةِ.

ولُبْسُ الحَلْقَةِ ونَحْوِها إن اعْتَقَدَ لابِسُها أنَّها مُؤَثِّرَةٌ بنَفْسِها دونَ اللهِ فهوَ مشرِكٌ شِرْكًا أكبرَ في توحيدِ الرُّبوبِيَّةِ؛ لأنَّهُ اعْتَقَدَ أنَّ معَ اللهِ خالِقًا غيرَهُ.

وإن اعْتَقَدَ أنَّها سببٌ ولكنَّهُ ليسَ مُؤَثِّرًا بنفسه، فهوَ مُشْرِكٌ شِرْكًا أصْغَرَ؛ لأنَّهُ اعْتَقَدَ أنَّ ما ليسَ بسببٍ سببًا، فقدْ شارَكَ اللهَ تعالى في الحُكْمِ لهذا الشيءِ بأنَّهُ سَبَبٌ، واللهُ تعالى لَمْ يَجْعَلْهُ سببًا.

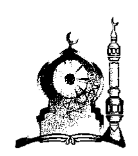
قال ابن تيمية: **(لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سبب إلا بعلم)**

وطريقُ العلمِ بأنَّ الشيءَ سَبَبٌ:

إمَّا عنْ طريقِ الشرعِ: وذلكَ كقراءةِ القرآنِ وشرب فيهما شفاءٌ للناسِ.

وإمَّا عنْ طريقِ القَدَرِ: كمَا إذا جَرَّبْنَا هذا الشيءَ فوجَدْنَاهُ نافعًا في هذا الألمِ أو المرضِ، ولكنْ لا بُدَّ أنْ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



يكونَ أثرُهُ ظاهرًا مباشرًا، كما لو اكْتَوَى بالنارِ فَبَرِئَ بذلكَ مثلاً، فَهَذا سَبَبٌ ظاهِرٌ بَيِّنٌ.

وإنَّما قُلْنا هذا؛ لِئَلاَّ يقولَ قائِلٌ: (أنا جَرَّبْتُ هذا وانْتَفَعْتُ به) وهوَ لَمْ يكُنْ مُباشِرًا كالْحَلْقَة، فقدْ يَلْبَسُها إنسانٌ وهوَ يَعْتَقِدُ أنَّها نافعَةٌ فَيَنْتَفِعُ؛ لأنَّ للانْفعَالِ النَّفْسِيِّ أثرًا بَيِّنًا، فقدْ يَقْرَأُ إنْسَانٌ على مريضٍ فلا يَرْتاحُ لهُ، ثُم يأْتِي آخَرُ يَعْتَقِدُ أنَّ قراءَتَهُ نافعَةٌ، فَيَقْرَأُ عليهِ الآيةَ نفْسَها فيَرْتاحُ لهُ، ويَشْعُرُ بخفَّةِ الأَلَمِ، كذلكَ الذينَ يَلْبَسُونَ الْحلقَ ويَرْبِطُونَ الخُيوطَ قدْ يُحِسُّونَ بخفَّةِ الألمِ وانْدفاعِه وارتفاعِه، بِنَاءً على اعْتِقادِهم نَفْعَهَا.

وخِفَّةُ الألمِ لِمَن اعْتَقَدَ نَفْعَ تلكَ الحَلْقَةِ مُجَرَّدُ شُعُورٍ نَفْسِيٍّ، والشعورُ النَّفْسِيُّ ليسَ طَرِيقًا شَرْعِيًّا لإثباتِ الأسبابِ، كمَا أنَّ الإلهامَ ليسَ طَرِيقًا للتشريعِ.

(٢) قولُهُ: (**لُبْسُ الحَلْقَةِ والخَيْطِ**) **الحَلْقَةُ**: منْ حديدٍ، أوْ ذَهَبٍ، أوْ فِضَّةٍ، أوْ ما أشبهَ ذلكَ، والخيطُ: معروفٌ.

(٣) قولُهُ: (**ونَحْوِهمَا**) **كالْمُرَصَّعاتِ**، وكمَنْ يَصْنَعُ شَكْلاً مُعَيَّنًا منْ نُحاسٍ، أوْ غيرِه لدَفْعِ البلاءِ، أوْ يُعَلِّقُ على نفْسِه شيئًا منْ أجزاءِ الحيواناتِ، والناسُ كانوا يُعَلِّقونَ القِرَبَ الباليَةَ لدَفْعِ العينِ، حتَّى إذا رآها الشخصُ نَفَرَتْ نفسُه فلا يَعينُ.

(٤) قولُهُ: (**لرَفْعِ البلاءِ أوْ دَفْعِه**) والفرقُ بينَهُما: أنَّ الرَّفْعَ بعدَ نزولِ البلاءِ، والدفعَ قَبْلَ نزولِ البلاءِ.

(٥) قولُهُ: (**أَفَرَأَيْتُمْ**) أيْ: أخبِرُوني، وهذا تفسيرٌ باللازمِ؛ لأنَّ مَنْ رأَى أَخْبَرَ، وإلاَّ فَهِيَ اسْتِفْهَامٌ عنْ رُؤْيَةٍ، قالَ تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ أيْ: أَخْبِرْنِي ما حالُ مَنْ كَذَّبَ بالدينِ؟

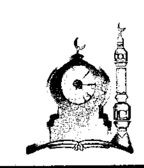
(٦) قولُهُ: ﴿تَدْعُونَ﴾ المرادُ بالدعاءِ: **دعاءُ العبادةِ، ودعاءُ المسألةِ**، فهمْ يَدْعُونَ هذه الأصنامَ دعاءَ عِبادةٍ، فيَتَعَبَّدُونَ لها بالنَّذْرِ والذَّبحِ والرُّكوعِ والسجودِ، ودعاءَ مسْأَلةٍ أيضًا.

فاللهُ سبحانَهُ إذا أرادَ بعَبْدِه ضُرًّا لا تستطيعُ أنْ تَكْشِفَهُ، وإنْ أرادَهُ برحمةٍ لا تستطيعُ أنْ تُمْسِكَ الرحمةَ عنهُ، فهِي لا تَكْشِفُ الضُّرَّ، ولا تَمْنَعُ النفْعَ، فَلمَاذَا تُعْبَدُ؟!

(٧) قولُهُ: ﴿كَاشِفَاتُ﴾ يشْمَلُ الدَّفْعَ والرَّفْعَ، فهيَ لا تَكْشِفُ الضُّرَّ بدَفْعِه وإبعادِه، ولا تَكْشِفُهُ برفعِه وإزالَتِه.

قولُهُ: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللهُ﴾ أيْ: كافِينِي، والحَسْبُ الكفايةُ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾، منَ الحَسْبِ، وهُوَ الكفايةُ.

قولُهُ: ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ قدَّمَ الجارَّ والمجرورَ لإفادةِ الحصْرِ؛ لأنَّ تقديمَ ما حقُّهُ التأخيرُ يُفيدُ الحصْرَ.



والمعنى: إنَّ المُتَوَكِّلَ حقيقةً هُوَ المُتَوَكِّلُ على اللهِ، أمَّا الذي يَتَوَكَّلُ على الأصنامِ والأولياءِ والأضْرِحَةِ فليسَ بِمُتَوَكِّلٍ.

وهذا لا يُنَافِي أنْ يُوَكِّلَ الإنسانُ إنسانًا في شيءٍ ويَعْتَمِدَ عليه؛ لأنَّ هناكَ فَرْقًا بينَ التوكُّلِ على الإنسانِ الذي يفعلُ لكَ شيئًا بأمرِكَ، وبينَ تَوَكُّلِكَ على اللهِ؛ لأنَّ تَوَكُّلَكَ على اللهِ اعْتِقَادُكَ أنَّ بِيَدِهِ النفعَ والضُّرَّ، وأنَّكَ مُتَذَلِّلٌ مُعْتَمِدٌ عليه، مُفْتَقِرٌ إليه.

والشاهدُ مِنْ هذهِ الآيةِ:

أنَّ هذه الأصنامَ لا تنفَعُ أصحابَها، لا بِجَلْبِ نَفْعٍ ولا بِدَفْعِ ضُرٍّ، فليسَتْ أسبابًا لذلكَ، فيُقاسُ عليها كلُّ ما لَيْسَ بسَبَبٍ شَرْعِيٍّ أوْ قَدَرِيٍّ، فيُعْتَبَرُ اتِّخاذُهُ سببًا إشراكًا باللهِ.

وهذا يدلُّ على حِذْقِ المُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللهُ وقُوَّةِ اسْتِنْباطِه، وإلاَّ فالآيةُ بلا شكٍّ في الشِّرْكِ الأكبرِ، الذي تُعْبَدُ فيهِ الأصنامُ، ولكنَّ القياسَ واضِحٌ جدًّا؛ لأنَّ هذه الأصنامَ ليسَت أسْبَابًا تَنْفَعُ، فيُقاسُ عليها كلُّ ما ليسَ بسببٍ، فيُعْتَبَرُ إشراكًا باللهِ.

وهُناكَ شاهدٌ آخرُ في قولِه: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ فإنَّ فيه تفويضَ الكفايةِ إلى اللهِ دونَ الأسبابِ الوهميَّةِ، وأمَّا الأسبابُ الحقيقيَّةُ فلا يُنَافِي تَعَاطِيها تَوَكُّلَ العبدِ على اللهِ تعالى وتفويضَ الأمرِ إليه؛ لأنَّها مِنْ عندِه.

(٨) قولُهُ في حديثِ عِمْرَانَ: (رَأَى رَجُلاً) لَمْ يُبَيِّن اسْمَهُ؛ لأنَّ المُهِمَّ بيانُ القضيَّةِ وحُكْمِهَا، لكنْ وردَ ما يدُلُّ على أنَّهُ عِمْرَانُ نفسُهُ، لكنَّهُ أبْهَمَ نفْسَهُ.

والحَلْقَةُ والصُّفْرُ معروفانِ.

- وأمَّا الواهنَةُ: فوَجَعٌ في الذِّرَاعِ أوْ في العَضُدِ.

قوله: (ما أَفْلَحْتَ) الفلاحُ: هوَ النجاةُ من المَرْهُوبِ وحُصُولُ المطلوبِ.

وهذا الحديثُ مُنَاسِبٌ للبابِ مُنَاسَبَةً تامَّةً؛ لأنَّ هذا الرجلَ لَبِسَ حَلْقَةً مِنْ صُفْرٍ إمَّا لدَفْعِ البلاءِ أوْ لرَفْعِه.

والظاهِرُ أنَّهُ لرَفْعِه؛ لقولِه: «لا تَزِيدُكَ إلاَّ وَهْنًا» والزيادةُ تَكونُ مَبْنِيَّةً على أَصْلٍ.

وهذا الذي لَبِسَ الحَلْقَةَ مِن الواهِنَةِ لن تزيدُهُ إلاَّ وَهْنًا؛ لأنَّهُ سوْفَ يَعْتَقِدُ أنَّها ما دامَتْ عليه فهوَ سالِمٌ، فإذا نزَعَها عادَ عَليه الوَهْنُ، وهذا بلا شكٍّ ضَعْفٌ في النفسِ، لأنَّ الأسبابَ التي لا أثرَ لها بِمُقْتَضَى الشَّرعِ أو العادةِ أو التَّجْرِبَةِ لا يَنْتَفِعُ بها الإنسانُ.

ولُبْسَ الحَلْقَةِ وشِبهِهَا لدفعِ البلاءِ أوْ رفعِه مِن الشِّرْكِ؛ لقولِه: «لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا» وانتفاءُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

والخيوط، والخرز، والطلاسم، ونحو ذلك مما يعلقه الجهال؟)

وفيه: إزالة المنكر باليد بغير إذن الفاعل، وإن كان يظن أن الفاعل يزيله

(١٣) قولُهُ: (وَتَلاَ قولَهُ تعالى: **{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ}**) أيْ: وتلا **حُذَيْفَةُ** هذه الآيةَ، والمرادُ بها المشركونَ الذينَ يُؤْمِنُونَ بتوحيدِ الرُّبوبيَّةِ ويَكْفُرونَ بتوحيدِ الأُلوهيَّةِ.

وقولُهُ: **{وَهُمْ يُشْرِكُونَ}** في مَحَلِّ نَصْبٍ على الحالِ مِنْ (أكثرُ) أيْ: وهمْ مُتَلبِّسونَ بالشِّركِ، وكلامُ **حُذَيْفَةَ** في رَجُلٍ مسلمٍ لَبِسَ خَيْطًا لتبريدِ الحُمَّى أو الشفاءِ منها.

وفيهِ دليلٌ على أنَّ الإنسانَ قدْ يَجْتَمِعُ فيهِ إيمانٌ وشركٌ، ولكن لَيْس شِركًا أكبرَ؛ لأنَّ الشِّركَ الأكبرَ لا يَجْتَمِعُ معَ الإيمانِ، ولكنَّ المرادَ الشركُ الأصغرُ، وهذا أمرٌ معلومٌ.

(١٤) قولُهُ: **فيهِ مسائِلُ:**

الأولى: (**التغليظُ في لُبْسِ الحلْقةِ والخيطِ ونحوِهما لمثلِ ذلكَ**) لقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**انْزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لاَ تَزِيدُكَ إِلاَّ وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**» وهذا تغليظٌ عظيمٌ في لُبْسِ هذهِ الأشياءِ والتعلُّقِ بها.

(١٥) **الثانيةُ:** (**أنَّ الصحابيَّ لوْ ماتَ وهيَ عليهِ ما أفلحَ**) هذا وهوَ صحابيٌّ، فكيفَ بمَنْ دُونَ الصحابيِّ؟! فهوَ أبعدُ عن الفلاحِ.

قالَ المُؤَلِّفُ: (**فيهِ شاهدٌ لكلامِ الصحابةِ: أنَّ الشِّركَ الأصغرَ أكبرُ من الكبائرِ**).

قولُهُ: (**لكلامِ الصحابةِ**) أيْ لقولِهم، وهوَ كذلكَ، فالشِّركُ الأصغرُ أكبرُ من الكبائرِ، قالَ **ابنُ مسعودٍ** رضيَ اللهُ عنهُ: (**لأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا**) وذلكَ لأنَّ سيِّئَةَ الشِّركِ أعظمُ مِنْ سيِّئةِ الكبيرةِ؛ لأنَّ الشِّركَ لا يُغْفَرُ ولوْ كانَ أصغَرَ، بخلافِ الكبائرِ فإنَّها تحتَ المَشيئَةِ.

(١٦) **الثالثةُ:** (**أنَّهُ لم يُعْذَرْ بالجَهالَةِ**) هذا فيه نَظَرٌ؛ لأنَّ قولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**» ليسَ بصريحٍ أنَّهُ لوْ ماتَ قبْلَ العلْمِ.

بلْ ظاهِرُهُ: «**لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**» أيْ: بَعدَ أنْ عَلِمْتَ وأُمِرْتَ بنَزْعِها.

وهذهِ المسألةُ فيها شيءٌ من النظرِ، فنقولُ: الجهلُ نوعانِ:

- **جهلٌ يُعْذَرُ فيهِ الإنسانُ.**

- وجَهْلٌ لا يُعْذَرُ فيه.

فما كانَ ناشئًا عَن تفريطٍ وإهمالٍ معَ قيامِ المُقْتَضِي للتعلُّم فإنَّهُ لا يُعْذَرُ فيه، سواءٌ في الكفرِ أوْ في المعاصي.

وما كانَ ناشئًا عنْ خلافِ ذلكَ، أيْ: أنَّهُ لم يُهْمِلْ ولم يُفرِّطْ ولم يَقُم المُقْتَضِي للتعلُّم، بأنْ كانَ لم يَطْرَأْ على بالِه أنَّ هذا الشيءَ حرامٌ، فإنَّهُ يُعْذَرُ فيه، فإنْ كانَ مُنْتَسِبًا إلى الإسلامِ لم يَضُرَّهُ، وإن كانَ منْتَسِبًا إلى الكفرِ فهوَ كافرٌ في الدُّنيا، لكنْ في الآخرةِ أمْرُهُ إلى اللهِ، وعلى القولِ الراجحِ يُمْتَحَنُ، فإنْ أطاعَ دخَلَ الجنَّةَ، وإنْ عَصَى دخَلَ النَّارَ.

فمَنْ نشَأَ ببادِيةٍ بعيدةٍ ليسَ عندَهُ علماءُ، ولمْ يَخْطُرْ ببالِه أنَّ هذا الشيءَ حرامٌ، أوْ أنَّ هذا الشيءَ واجبٌ، فهذا يُعْذَرُ، كمنْ بلَغَ وهوَ صغيرٌ، في باديةٍ ليسَ عندَهُ عَالمٌ، ويظُنُّ أنَّ الإنسانَ لا تَجبُ عليه العباداتُ إلاَّ إذا بلَغَ خَمْسَ عشْرةَ سنةً، فبقِيَ بعدَ بُلوغِه حتَّى تَمَّ لهُ خمسَ عشرةَ سنةً وهوَ لا يصومُ ولا يُصَلِّي ولا يتَطَهَّرُ منْ جَنَابَة، فهذا لا نأْمُرُهُ بالقضاءِ؛ لأنَّهُ معذورٌ بجهْلِه الذي لَم يُفَرِّطْ فيه بالتعلُّمِ، ولم يطْرَأْ لهُ على بالٍ.

وأمَّا الساكِنِ في المدنِ ممَّنْ يستطيعُ أنْ يسألَ، لكنْ عندَهُ تهاونٌ وغَفْلَةٌ، فهذا لا يُعْذَرُ؛ لأنَّ الغالبَ في المُدُنِ أنَّ هذه الأحكامَ لا تَخفَى عليه، ويُوجَدُ فيها علماءُ يستطيعُ أنْ يَسْأَلَهُم بكلِّ سُهُولَة، فهوَ مُفرِّطٌ، فيلزمُهُ القضاءُ ولا يُعْذَرُ بالجَهْلِ.

(١٧) **الرابعةُ**: (**أنَّها لا تَنْفَعُ في العاجلَة بلْ تَضُرُّ؛ لقوله**: «**لا تَزِيدُكَ إلاَّ وَهْنًا**» والمُؤلِّفُ استَنْبَطَ المسألةَ وأَتى بوَجْه استِنْبَاطِها.

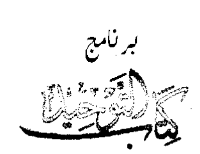
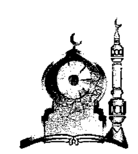
(١٨) **الخامسةُ**: (**الإنكارُ بالتغليظِ على مَنْ فَعَلَ مثلَ ذلكَ**) أيْ: يَنْبَغي أنْ يُنْكرَ إنْكارًا مُغَلَّظًا على مَنْ فعلَ مِثْلَ هذا، ووجهُ ذلكَ: سياقُ الحديثِ الذي أشارَ إليه المُؤلِّفُ، وأيضًا قولُهُ: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَميمَةً فَلاَ أَتَمَّ اللهُ لَهُ**».

(١٩) **السادسةُ**: (**التصريحُ بأنَّ مَنْ تَعَلَّقَ شيئًا وُكِلَ إليه**) تُؤخذُ مِنْ قولِه: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَميمةً فَلاَ أَتَمَّ اللهُ لَهُ**» إذا جَعَلْنا الجملةَ خَبَرِيَّةً، وأنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَميمَةً فإنَّ اللهَ لا يُتِمُّ لهُ، فيكونُ مَوْكولاً إلى هذهِ التميمةِ، ومَنْ وُكِلَ إلى مخلوقٍ فقدْ خُذِلَ، ولكنَّها في البابِ الذي بعدَهُ صَرِيحَةٌ: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْه**».

(٢٠) **السابعةُ**: (**التصريحُ بأنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَميمَةً فقدْ أشركَ**) وهو إحْدَى الروايتيْنِ في حديثِ **عُقْبَةَ بنِ عامرٍ**.

(٢١) **الثامنةُ**: (**أنَّ تَعليقَ الخيطِ من الحُمَّى منْ ذلكَ**) يُؤْخَذُ منْ فعْلِ **حُذَيْفَةَ** أنَّهُ رأَى رجلاً في يدِه خيْطٌ مِن الْحُمَّى فَقَطَعَهُ، وتَلا قولَهُ تعالى: {**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ**

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠


مُـشْرِكُـونَ}.

(٢٢) **التاسعةُ: (تلاوةُ حُذَيْفَةَ الآيَةَ دَليلٌ على أنَّ الصحابةَ يَسْتَدِلُّونَ بالآياتِ التي في الشِّرْكِ الأكبرِ على الأصغرِ، كما ذَكَرَ ابنُ عبَّاسٍ في آيةِ البَقَرَةِ)** أيْ: أنَّ قولَهُ تعالى: **{وَمَـا يُـؤْمِـنُ أَكْـثَـرُهُمْ بِـاللهِ إلاَّ وَهُم مُـشْرِكُـونَ}** في الشركِ الأكبرِ، لكنَّهمْ يستدلُّونَ بالآياتِ الواردةِ في الشِّرْكِ الأكبرِ على الأصغرِ؛ لأنَّ الأَصْغَرَ شِرْكٌ في الحقيقةِ وإنْ كانَ لا يُخْرِجُ مِن المِلَّةِ، ولهذا نقولُ: الشركُ نوعانِ: **أصغرُ** وأكبرُ.

وقولُهُ: **(كمَا ذَكَرَ ابنُ عبَّاسٍ في آيةِ البقرَةِ)** هيَ قولُهُ تعالى: **{وَمِـنَ الـنَّـاسِ مَـنْ يَـتَّـخِذُ مِـنْ دُونِ اللهِ أَنْـدَادًا يُـحِـبُّـونَـهُمْ كَـحُبِّ اللهِ وَالّـذِيـنَ آمَـنُـوا أَشَـدُّ حُـبًّـا لله. . .}** الآيَةَ. فجَعَلَ المحبَّةَ التي تكونُ كمحبَّةِ اللهِ بمترلةِ اتِّخاذِ النِّدِّ للهِ عزَّ وجلَّ.

(٢٣) **العاشرةُ: (أنَّ تعليقَ الوَدَعِ من العيْنِ مِنْ ذلكَ)** أيْ: مِنْ تعليقِ التَّمَائِمِ الشِّرْكيَّةِ؛ لأنَّهُ لا أثرَ لها ثابتٌ شرْعًا ولا قَدَرًا.

(٢٤) **الحاديةَ عشرةَ: (الدعاءُ على مَنْ تَعَلَّقَ تَميمَةً أنَّ اللهَ لا يُتِمُّ لهُ، ومَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فلا وَدَعَ اللهُ لهُ)** تُؤْخَذُ منْ دعاءِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ على هؤلاءِ الذينَ اتَّخذُوا تمائمَ وَوَدَعًا.

ولكنَّ الحديثَ إنَّما قالَهُ الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ على سبيلِ العُمُومِ، فلا نُخاطبُ هذا بالتصريحِ ونقولُ لشخصٍ رأَيْنا عليه تَميمَةً: لا أَتَمَّ اللهُ لكَ؛ وذلكَ لأنَّ مُخاطَبَتَنا الفاعلَ بالتصريحِ والتَّعْيينِ سوفَ يكونُ سببًا لنُفورِهِ، ولكنْ نقولُ: دعِ التمَائِمَ أو الوَدَعَ؛ فإنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَميمَةً فلاَ أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فلاَ وَدَعَ اللهُ لَهُ**».

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس التاسع

(١) قولُ المؤلِّف: (**ما جاءَ في الرُّقَى والتمائمِ**) لم يذكُر **المؤلِّفُ** أنَّ هذا البابَ من الشِّرك؛ لأنَّ الحُكمَ فيهِ يختلفُ عَنْ حُكمِ لُبْسِ الحلَقةِ والخيطِ، ولهذا جزمَ المؤلِّفُ في البابِ الأوَّلِ أنَّها من الشِّركِ بدونِ استثناءٍ.

أمَّا في هذا البابِ **فلمْ يذكرْ أنَّها شرْكٌ**؛ لأنَّ من الرُّقى ما ليسَ بِشرْكٍ؛ وهذا قالَ: (**بابُ ما جاءَ في الرُّقى والتَّمائمِ**).

قولُهُ: (**الرُّقى**) جمعُ رُقْيةٍ، وهيَ القراءةُ.

قولُهُ: (**التمائمُ**) جَمْعُ تميمة، وسُمِّيتْ تميمةً؛ لأنَّهُمْ يروْنَ أنَّهُ يتمُّ بها دَفْعُ العينِ.

(٢) قولُهُ: (**أسفارُهُ**) **السَّفَرُ**: مفارقةُ محلِّ الإقامة.

قولُهُ: «**قلادةٌ منْ وتَرٍ أوْ قلادةٌ**» شكٌّ من الراوي.

والأُولى أرْجَحُ؛ لأنَّ القلائدَ كانتْ تُتَّخذُ من الأوتارِ، ويعتقدونَ أنَّ ذلكَ يدفعُ العينَ عنِ البعيرِ.

وهذا اعتقادٌ فاسدٌ؛ لأنَّهُ تعلَّقَ بما ليسَ بسببٍ، وقدْ سبقَ أنَّ مَنْ تعلَّقَ بما ليسَ بسببٍ شرعيٍّ أوْ حسِّيٍّ فإنَّهُ شرْكٌ؛ لأنَّهُ بتعلُّقه أثبتَ للأشياءِ سببًا لم يُثْبِتْهُ اللهُ لا بشرْعِهِ ولا بِقَدَرِهِ، ولهذا أمرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أنْ تُقْطَعَ هذهِ القلائدُ.

أمَّا إذا كانت هذهِ القلادةُ منْ غيرِ وَتَرٍ، وإنَّما تُستَعْمَلُ للقيادةِ كالزِّمامِ، فهذا لا بأسَ بهِ؛ لعدمِ الاعتقادِ الفاسدِ.

وكانَ الناسُ يعملونَ ذلكَ كثيرًا من الصُّوفِ أوْ غيرِهِ.

قولُهُ: (**في رَقَبةِ بَعيرٍ**) ذُكِرَ البعيرُ؛ لأنَّ هذا هوَ الذي كانَ مُنْتشرًا حينَذاكَ، فهذا القيدُ بناءً على الواقعِ عندَهُم، فيكونُ كالتمثيلِ.

(٣) قولُهُ: (**إنَّ الرُّقى**) الرُّقى: جَمْعُ رُقْيَةٍ، وهذهِ ليسَتْ على عمومِها، بلْ هيَ عامٌّ أُريدَ بهِ خاصٌّ، وهوَ الرُّقى بغيرِ ما وردَ بهِ الشرعُ.

أمَّا ما وردَ بهِ الشرعُ فليسَتْ من الشِّركِ، قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ في الفاتحةِ: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ**».

وهل المرادُ بالرُّقى في الحديثِ ما لَم يَرِدْ به الشرعُ ولوْ كانتْ مباحةً، أو المرادُ ما كانَ فيه شرْكٌ؟

الجوابُ: الثاني؛ لأنَّ كلامَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لا يُناقضُ بعْضُهُ بعضًا.

فالرُّقى المشروعةُ التي وردَ بها الشَّرعُ جائزةٌ، وكذلكَ الرُّقى المباحةُ التي يُرْقَى بها الإنسانُ المريضُ كدُعاءٍ منْ

عندهُ ليسَ فيه شِرْكٌ، جائزةٌ أيضًا.

قولُهُ: (**التَّمائمَ**) فسَّرَهَا المؤلِّفُ بقولِهِ: (**شَيءٌ يُعلَّقُ عَلَى الأوْلادِ يَتَّقُونَ بِهِ العَيْنَ**) وهيَ من الشِّرْكِ؛ لأنَّ الشارعَ لم يجعلْها سببًا تُتَّقى به العينُ.

وإذا كانَ الإنسانُ يُلْبِسُ أبناءَهُ ملابسَ رثَّةً وباليةً خوفًا من العينِ، فهلْ هذا جائزٌ؟

الظاهرُ: أنَّهُ لا بأسَ بِهِ؛ لأنَّهُ لمْ يفعلْ شيئًا، وإنَّما تركَ شيئًا، وهو التحسينُ والتجميلُ.

وقدْ ذَكَرَ **ابنُ القيِّمِ** في (**زادِ المعادِ**) أنَّ **عُثمانَ** رأى صبيًّا مليحًا فقالَ: (**دسِّمُوا نُونَتَهُ**) والنُّونةُ هيَ التي تَخْرُجُ في الوجْهِ عنْدَما يضحَكُ الصبيُّ كالنُّقْرَةِ، ومعنى دسِّمُوا: أيْ سَوِّدُوا.

وأمَّا الخطُّ، وهيَ أوراقٌ من القُرْآنِ تُجْمَعُ وتُوضَعُ في جلدٍ، ويُخَاطُ عليها ويَلْبَسُها الطفلُ على يدِهِ أوْ رقبَتِهِ، ففيها خلافٌ بينَ العلماءِ إذا كانتْ من القرآنِ.

وظاهرُ الحديثِ أنَّها ممنوعةٌ ولا تجوزُ.

ومنْ ذلكَ أنَّ بعضَهُم يكتُبُ القرآنَ كُلَّهُ بحروفٍ صغيرةٍ في أوراقٍ صغيرةٍ، ويضَعُها في صندوقٍ صغيرٍ، ويُعَلِّقُها عَلى الصبيِّ.

وهذا معَ أنَّهُ مُحْدَثٌ فهوَ إهانةٌ للقرآنِ الكريمِ؛ لأنَّ هذا الصبيَّ سَوْفَ يَسيلُ عليهِ لُعَابُهُ، ورُبَّمَا يَتَلَوَّثُ بالنجاسَةِ، ويدْخُلُ بِهِ الحمَّامَ والأماكنَ القَذِرَةَ، وهذا كلُّهُ إهانةٌ للقرآنِ.

قولُهُ: (**التِّوَلَةُ**) شيءٌ يُعلِّقُونَهُ على الزوجِ يزْعُمُونَ أنَّهُ يُقَرِّبُ الزوجةَ إلى زوْجِهَا، والزوجَ إلى امرأتِهِ، وهذا شِرْكٌ؛ لأنَّهُ ليسَ بسببٍ شرعيٍّ ولا قَدَرِيٍّ للمَحَبَّةِ.

ومثلُ ذلكَ: الدِّبْلَةُ، وهو: خاتَمٌ يُشْتَرَى عندَ الزواجِ يُوْضَعُ في يدِ الزوجِ، وإذا أَلْقَاهُ الزوجُ قالت المرأَةُ: إنَّهُ لا يُحِبُّهَا، فهُمْ يعتقدونَ فيهِ النفعَ والضررَ، ويقولونَ: إنَّهُ ما دامَ في يدِ الزوجِ فإنَّهُ يعني أنَّ العَلاقةَ بينَهما ثابتةٌ، والعكسُ بالعكسِ، **فإذا وُجِدَتْ هذه النيَّةُ فإنَّهُ من الشِّرْكِ الأصغرِ.**

وإنْ لمْ توجدْ هذه النيَّةُ، وهيَ بعيدةٌ ألاَّ تَصْحَبَهَا، **ففيه تشبُّهٌ بالنصارى**؛ فإنَّها مأخوذةٌ منهمْ.

وإن كانتْ من الذهبِ فهيَ بالنسبةِ للرجُلِ فيها محظورٌ ثالثٌ، وهو لُبْسُ الذهبِ.

قولُهُ: (**شِرْكٌ**) **وهلْ هيَ شركٌ أصغرُ أوْ أكبرُ؟**

نقولُ: بحَسَبِ ما يُريدُ الإنسانُ منها، إن اتَّخذَها معتقِدًا أنَّ المسبِّبَ هوَ اللهُ فهيَ شركٌ أصغرُ، وإن اعتقدَ أنَّها تفعلُ بنفْسِها فهِيَ شِرْكٌ أكبرُ.

(٤) قولُهُ: (**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا**) أي: اعتمدَ عليه وجعلَهُ أكْبَرَ همِّهِ ومبْلَغَ علمِه، وصارَ يُعلِّقُ رجاءَهُ به وزوَالَ

خوفه به.

و(**شيئًا**) نكرةٌ في سياقِ الشرط، فتَعُمُّ جميعَ الأشياء، فمَنْ تعلّقَ بالله سبحانَهُ وتعالى وجعلَ رغبتَهُ ورجاءَهُ فيهِ وخوفَهُ منهُ فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ: **{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}** أيْ: كَافيه؛ ولهذا كانَ منْ دعاءِ الرسلِ وأتْباعِهِمْ عندَ المصائبِ والشّدائد «**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**» قالَها **إبراهيمُ** حينَ أُلْقِيَ في النارِ، وقالَها **مُحمَّدٌ** وأصحابُهُ حينَ قيلَ لَهُمْ: **{إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ}**.

قولُهُ: (**وُكِلَ إِلَيْه**) أيْ: أُسْنِدَ إليهِ وفُوِّضَ.

والتعلّق بغيرِ اللهِ يقعُ على ثلاثةِ أقسامٍ:

الأوّلُ: ما يُنَافي التوحيدَ منْ أصْلِه، وهو أنْ يتعَلَّقَ بشيءٍ لا يُمْكِنُ أنْ يكونَ لهُ تأثيرٌ، ويعْتَمدُ عليه اعتمادًا كاملاً مُعْرِضًا عن اللهِ، **مثلَ**: تعلُّقِ عُبَّادِ القبورِ بمَنْ فيها عندَ حُلُولِ المصائبِ؛ ولهذا إذا مسَّتْهُم الضرَّاءُ الشديدةُ يقولونَ: يا فُلانُ! أنْقذْنا. فَهذا لا شكَّ أنَّهُ شركٌ أكبرُ مخرجٌ عن المِلَّة.

الثاني: ما يُنَافي كمالَ التوحيدِ، أنْ يعتمدَ على سببٍ شرعيٍّ صحيحٍ معَ الإعْرَاضِ عن المُسبِّبِ وهو اللهُ عزَّ وجلَّ، وعدَمِ صرفِ قلْبِه إليه.

فهذا نوعٌ من الشِّرك، ولا نقولُ: شرْكٌ أكبرُ؛ لأنَّ هذا السببَ جعلَهُ اللهُ سببًا.

الثالثُ: أنْ يتعلَّقَ بالسببِ تعلُّقًا مجرَّدًا لكونْه سببًا فقطْ، معَ اعتمادِه الأصليِّ على اللهِ، فيعتقدُ أنَّ هذا السببَ مِن اللهِ، وأنَّ اللهَ لوْ شاءَ لأبطلَ أثَرَهُ، ولوْ شاءَ لأبْقَاهُ، وأنَّهُ لا أثرَ لسببٍ في مشيئةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فهذا لا يُنَافي التوحيدَ لا كمالاً ولا أصْلاً، وعلى هذا لا إثمَ فيه.

ومَعَ وجودِ الأسبابِ الشرعيَّةِ الصحيحةِ ينبغي للإنسانِ أنْ لا يُعلِّقَ نفْسَهُ بالسببِ، بلْ يُعَلِّقُها باللهِ.

فالمُوَظَّفُ الذي يتعلَّقُ قلْبُهُ بمُرتَّبِه تعلُّقًا كاملاً معَ الإعراضِ عن الاعتقادِ في المسبِّبِ، وهوَ اللهُ، قدْ وقعَ في نوعٍ من الشركِ.

أمَّا إذا اعتقدَ أنَّ المرتَّبَ سببٌ، والمُسبِّبُ هوَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى، وجعلَ الاعتمادَ على المسبِّبِ وهوَ يَشْعُرُ أنَّ المرتَّبَ سببٌ، **فهذا لا يُنافي التوكُّلَ**.

والرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ كانَ يأْخُذُ بالأسبابِ معَ اعتمادِه على المسبِّبِ، وهوَ اللهُ عزَّ وجلَّ.

أمَّا إذا تعلَّقَ بسببٍ لا تأثيرَ لهُ، كالذي يتعلَّقُ بميتٍ في حُصُولِ رزقٍ، أوْ تسهيلِ أمْرٍ، أوْ دَفْعِ ضُرٍّ، فهذا شِرْكٌ أكبرُ.

وجاءَ في الحديثِ: «**مَنْ تَعَلَّقَ**» ولم يَقُلْ: منْ عَلَّقَ؛ لأنَّ المتعلّقَ بالشيءِ يتعلّقُ بهِ بقلْبِه وبنفْسِه، بحيثُ يُنْــزِلُ خوفَهُ ورجاؤَهُ وأملَهُ به، وليسَ كذلكَ مَنْ عَلقَ.

(٥) قولُهُ: (**إذا كانَ المُعلَّقُ مِنَ القرآنِ...**) إلخ، إذا كانَ المعلّقُ من القرآنِ، أو الأدْعيَةِ المُباحَةِ، والأذكارِ الواردةِ، فهذهِ المسألةُ اختلفَ فيها السَّلفُ رَحِمَهُمُ اللهُ.

فمِنْهُمْ مَنْ رخَّصَ في ذلكَ لعُمُومِ قوْلِه تعالى: **{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}** ولَم يذكرِ الوسيلةَ التي نتَوَصَّلُ بها إلى الاستشفاءِ بهذا القرآنِ، فدلَّ على أنَّ كلَّ وسيلةٍ يُتَوَصَّلُ بها إلى ذلكَ فهيَ جائزةٌ، كما لوْ كانَ القرآنُ دواءً حسيًّا.

وقالَ بعضُ العلماءِ: لا يجوزُ تعليقُ القرآنِ للاستشفاءِ به؛ لأنَّ الاستشفاءَ بالقرآنِ وَرَدَ على صفةٍ معيَّنَةٍ، وهيَ القراءةُ به، بمعنى أنَّكَ تَقْرَأُ على المريضِ بهِ، فلا نَتَجَاوزُها، فلوْ جَعَلْنَا الاستشفاءَ بالقرآنِ على صفةٍ لَمْ تَرِدْ، فمعنى ذلكَ أنَّنا فَعَلْنَا سببًا ليسَ مشروعًا.

ولولا الشعورُ النفسيُّ بأنَّ تعليقَ القرآنِ سببٌ للشفاءِ لكانَ انتفاءُ السببيَّةِ على هذهِ الصورةِ أمرًا ظاهرًا؛ فإنَّ التعليقَ ليسَ لهُ علاقةٌ بالمرضِ، بخلافِ النَّفْثِ على مكانِ الألمِ فإنَّهُ يتأثَّرُ بذلكَ.

ولهذا الأقربُ أنْ يُقَالَ: إنَّهُ لا ينبغي أنْ تُعَلَّقَ هذهِ الآياتُ للاستشفاءِ بها، لا سيَّمَا وأنَّ هذا المعلّقَ قدْ يفعلُ أشياءَ تُنافِي قدسيَّةَ القرآنِ، كالغيبَةِ مثلاً، ودخولِ بيتِ الخلاءِ.

وأيضًا إذا عَلَّقَ وشعَرَ أنَّ به شفاءً استغنى بهِ عنِ القراءةِ المشروعةِ، مثلاً: علَّقَ آيةَ الكرسيِّ على صدْرِهِ وقالَ: ما دامَ أنَّ آيةَ الكرسيِّ على صدْري فلَنْ أقرَأَهَا، فيستغني بغيرِ المشروعِ عن المشروعِ، وقدْ يشعرُ بالاستغناءِ عن القراءةِ المشروعةِ إذا كانَ القرآنُ على صدْرِه.

وإنْ كانَ صبيًّا فرُبَّمَا بالَ ووصلَت الرطوبةُ إلى هذا المعلَّقِ.

وأيضًا لم يَرِدْ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ والصحابةِ رضيَ اللهُ عنهمْ فيه شيءٌ.

فالأقربُ أنْ يُقالَ: إنَّهُ لا يُفعَلُ، أمَّا أنْ يَصِلَ إلى درجةِ التحريمِ فأنا أتوقَّفُ فيه، لكنْ إذا تضمَّنَ محظوراً فإنَّهُ يكونُ مُحَرَّماً بسببِ ذلكَ المحظورِ.

وجماع حجج المانعين -كما ذكر **المصنف** رحمه الله- ثلاث:

الأولى: عدم وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة رضي الله عنهم، فالاستشفاء بالقرآن لم ينقل عنهم إلا بالرقية به.

الثانية: **أنه يجر إلى الاستغناء بغير المشروع والعدول عن المشروع المأذون فيه.**

الثالثة: أنه قد يقترن به ما ينافي تعظيم القرآن كالغيبة ودخول الخلاء.

(٦) قولُهُ: (التي تُسَمَّى العزائمَ) أيْ: في عُرفِ الناسِ.

وعزَمَ عليه: أيْ قرأَ عليه، وهذه عزيمةٌ، أيْ: قراءةٌ.

(٧) قولُهُ: (وَخَصَّ منها الدليلُ ما خلا من الشِّرك) أي: الأشياءَ الخاليةَ من الشرك، فهيَ جائزةٌ، سواءٌ كانَ مِمَّا وردَ بلفظِهِ، مثلَ: «اللهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي...» أوْ لمْ يَرِدْ بلفظِهِ، مثلَ: (اللهُمَّ عافِه، اللهُمَّ اشْفِه).

وإنْ كانَ فيها شِركٌ فإنَّها غيرُ جائزةٍ، مثلَ: (يا جِنِّيُّ أَنْقِذْهُ، ويا فُلانُ المَيِّتُ اشفه) ونحوُ ذلكَ.

(٨) قولُهُ: (مِنَ العَيْنِ والحُمَةِ) العينُ معروفةٌ، وهيَ التي تُسَمَّى عندَ العامَّةِ (النَّحاتَةَ).

والحُمَةُ: اللَّدْغَةُ من العقربِ أو الحيَّةِ وما أشْبَهَ ذلكَ.

وظاهرُ كلامِ المؤلِّفِ: أنَّ الدليلَ لم يُرخِّصْ بجوازِ القراءةِ إلاَّ في هذينِ الأمرينِ؛ العينِ، والْحُمَةِ. لكنْ وَرَدَ بغيْرِهما؛ فقَدْ كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ينْفُخُ على يدَيْه عندَ منامِهِ بالمعوِّذاتِ ويمسحُ بِهما ما استطاعَ مِنْ جَسَدِهِ، وهذا من الرُّقْيةِ، وليسَ عيْناً ولا حُمةً.

ولهذا يرى بعضُ أهلِ العلمِ الترخيصَ في الرُّقْيةِ من القرآنِ للعينِ والحمةِ وغيرِهما عامَّةً، ويقولُ: إنَّ معنى قولِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «لاَ رُقْيَةَ إلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ» أيْ: لا يُطْلَبُ الاسترقاءُ إلاَّ مِن العينِ والحُمَةِ، فالمصيبُ بالعينِ (العائنُ) يُطْلَبُ منهُ أنْ يقرأَ على المَعْيُونِ.

وكذلكَ الحمةُ يَطْلُبُ الإنسانُ مِنْ غيْرِه أنْ يقرأَ عليه؛ لأنهُ مفيدٌ كما في حديثِ أبي سعيدٍ في قصَّةِ السريَّةِ.

وشروطُ جوازِ القراءةِ للرُّقى ثلاثةٌ:

الأوَّلُ: أنْ لا يعتقدَ أنَّها تنفعُ بذاتِها دونَ اللهِ، فإن اعتقدَ أنَّها تنفعُ بذاتِها مِن دونِ اللهِ فهوَ مُحَرَّمٌ؛ لأنَّهُ شِرْكٌ، بلْ يَعْتَقِدُ أنَّها سببٌ لا تنفعُ إلاَّ بإذنِ اللهِ.

الثاني: أنْ لا تكونَ مِمَّا يُخالِفُ الشرعَ، كما إذا كانتْ متضمِّنَةً دعاءَ غيرِ اللهِ، أو استغاثةً بالجنِّ، وما أشبهَ ذلكَ؛ فإنَّها محرَّمَةٌ بلْ شِرْكٌ.

الثالثُ: أنْ تكونَ مفهومةً معلومةً، فإنْ كانتْ مِنْ جنْسِ الطلاسمِ والشعوذةِ؛ فإنَّها لا تجُوزُ.

– أمَّا بالنسبةِ للتمائمِ فإنْ كانتْ مِنْ أمرٍ مُحَرَّمٍ، أو اعتقدَ أنَّها نافعةٌ بذاتِها، أوْ كانتْ بكتابةٍ لا تُفْهَمُ، فإنَّها لا تجوزُ بكلِّ حالٍ.

أمَّا إذا تمَّتْ فيها الشروطُ الثلاثةُ السابقةُ في الرُّقْيَةِ وهيَ التميمة القرآنية فإنَّ أَهْلَ العلمِ اختلفوا فيها كما سبقَ.

(٩) قولُهُ: (**مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ**) اللحيةُ عندَ العربِ كانتْ لا تُقَصُّ ولا تُحْلَقُ، كما أنَّ ذلكَ هوَ السُّنَّةُ، **لكنَّهمْ كانوا يعْقدُونَ لأمرينِ اثنينِ:**

الأوَّلُ: افتخارًا وعظمةً، فتجدُ أحدَهُمْ يعْقدُ أطْرَافَهَا، أوْ يعْقدُها مِن الوسطِ عُقْدَةً واحدةً ليُعْلَمَ أنَّهُ رجلٌ عظيمٌ، وأنَّهُ سيِّدٌ في قومِه.

الثاني: خوفًا من العينِ؛ لأنَّها إذا كانتْ حسنةً وجميلةً ثمَّ عُقِدَتْ أصبحتْ قبيحةً، فمَنْ فعَلَ ذلكَ فإنَّ الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بريءٌ منهُ.

وبعضُ العامَّةِ إذا جاءهُم طعامٌ من السُّوقِ أخذوا شيئًا منهُ يرْمُونَهُ في الأرضِ؛ دفعًا للعينِ، وهذا اعتقادٌ فاسدٌ ومخالفٌ لقولِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ مَا بِهَا مِنَ الأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا**».

قولُهُ: (**أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا**) **الوَتَرُ**: نوْعٌ من الخيوطِ العصبيَّةِ تُؤخَذُ من الشاة، وتُتَّخَذُ للقوسِ وَترًا، ويستعملُونَها في أعناقِ إبلِهِم أوْ خيلِهِم، أوْ في أعناقِهِم، يزْعُمونَ أنَّهُ يمنعُ العينَ، وهذا من الشركِ.

قولُهُ: (**أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ**) **الاستنجاءُ**: مأخوذٌ من النَّجْوِ، وهُوَ: إزالةُ أثرِ الخارجِ من السبيلينِ؛ لأنَّ الإنسانَ الذي يتمَسَّحُ بعدَ الخلاءِ يُزيلُ أثَرَهُ.

وَرجيعُ الدَّابَّةِ هوَ روْثُها، فمَن استنجى بهِ فإنَّ **محمَّدًا** بريءٌ منهُ؛ لأنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ نهى عنْهُ؛ لكونِهِ عَلَفًا لبهائمِ الجنِّ.

قولُهُ: (**أَوْ عَظْمٍ**) فمَن استنجى بعَظْمٍ فإنَّ **محمَّداً** بريءٌ منهُ؛ لأنَّهُ طعامُ الجنِّ يجدُونَهُ أوفرَ ما يكونُ لَحْمًا.

قولُهُ: (**فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ**) كلُّ ذَنْبٍ قُرِنَ بالبراءةِ مِنْ فاعلِهِ فهوَ مِنْ كبائرِ الذنوبِ كما هوَ معروفٌ عندَ أهلِ العلمِ.

والشاهدُ منْ هذا الحديثِ قولُهُ: «**مَنْ تَقَلَّدَ وَتَرًا**».

(١٠) قولُهُ: (**وعنْ سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ** قالَ: «**مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً...**» الحديثَ.

وجهُ المشابهةِ بينَ قطْعِ التميمةِ وعتْقِ الرَّقَبةِ: أنَّهُ إذا قَطعَ التميمةَ منْ إنسانٍ فكأنَّهُ أعْتَقَهُ من الشركِ ففكَّهُ من النارِ، ولكنْ يقْطَعُها بالتي هيَ أحسنُ؛ لأنَّ العنفَ يؤدِّي إلى المُشَاحَنَةِ والشِّقاقِ، إلاَّ إنْ كانَ ذا شأنٍ كالأميرِ والقاضي ونحوِهِ ممَّنْ لهُ سُلطةٌ، فلهُ أنْ يقطَعَها مباشرةً.

(١١) قولُهُ: (كَانوا يَكْرَهُونَ التَّمائِمَ كُلَّها مِنَ القُرْآنِ وغَيْرِ القرآنِ) وقدْ سَبَقَ أنَّ هذا هوَ قول ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ، فأصحابُهُ يرونَ ما يراهُ.

فيه مسائلُ:

(١٢) قولُهُ: **الأولى: (تفسيرُ الرُّقى والتمائمِ)** وقدْ سبقَ ذلكَ.

(١٣) **الثانيةُ: (تفسيرُ التِّوَلَةِ)** وقدْ سبقَ ذلكَ، وعِندي أنَّ منها ما يُسَمَّى بالدُّبْلَةِ إن اعتقدوا أنَّها صِلَةٌ بينَ المرءِ وزوْجَتِه.

(١٤) **الثالثةُ: (أنَّ هذه الثلاثةَ كلَّها مِنَ الشِّرك مِنْ غيرِ استثناء)** ظاهرُ كلامِه حتَّى الرُّقَى، وهذا فيه نظرٌ؛ لأنَّ الرُّقى ثَبتَ عَنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أنَّهُ يَرْقِي ويُرْقَى، ولكنَّهُ لا يَسْتَرْقِي، أيْ: لا يطْلُبُ الرُّقيةَ، فإطْلاقُها بالنسبةِ للرُّقَى فيه نظرٌ.

وقدْ سبقَ **للمؤلِّف** رحِمَهُ اللهُ أنَّ الدليلَ خصَّ منها ما خلا من الشركِ.

وبالنسبةِ للتمائمِ فعلى رأْيِ الجمهورِ فيه نظرٌ أيضًا.

وعلى رأيِ **ابنِ مسعودٍ** فصحيحٌ.

وبالنسبةِ للتِّوَلَةِ فهيَ شركٌ بدون استثناء.

(١٥) **الرابعةُ: (أنَّ الرُّقيةَ بالكلامِ الحَقِّ مِنَ العيْنِ والحُمةِ لَيْسَ مِنْ ذلكَ)** قولُهُ: **(الكلامِ الحقِّ)** ضدُّهُ الباطلُ، وكذا المجهولُ الذي لا يُعْلَمُ أنَّهُ حقٌّ أوْ باطلٌ.

والمؤلِّفُ رحِمَهُ اللهُ تعالى خصَّصَ العَينَ أو الْحُمَةَ فقط استناداً لقولِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**لا رُقْيَةَ إلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ**» ولكنَّ الصحيحَ أنَّهُ يشملُ غيْرَهُما كالسِّحرِ.

(١٦) **الخامسةُ: (أنَّ التميمةَ إذا كانَتْ مِنَ القُرآنِ فَقَد اختَلَفَ العلماءُ هَلْ هِيَ مِنْ ذلكَ أمْ لا؟)**

قولُهُ: **(ذلكَ)** المشارُ إليه التمائمُ.

وقدْ سَبَقَ بيانُ هذا الخلافِ، والأحوطُ مذهبُ **ابنِ مسعودٍ**؛ لأنَّ الأصلَ عدمُ المشروعيَّةِ حتَّى يتبيَّنَ ذلكَ مِنَ السُّنَّةِ.

(١٧) **السادسةُ: (أنَّ تعليقَ الأوْتارِ عَلَى الدوابِّ مِنَ العَيْنِ مِنْ ذلكَ)** أيْ: مِن الشِّركِ.

تنبيهٌ:

ظهرَ في الأسواقِ في الآونةِ الأخيرةِ حَلْقَةٌ من النُّحاسِ يقولونَ: إنَّها تنْفعُ من الرُّومَاتيزْم، يزْعُمونَ أنَّ الإنسانَ إذا وضعَها على عضُدِه وفيه رُومَاتيزْمٌ نَفعَتْهُ منْ هذا الرُّوماتيزم، ولا ندْري هَل هذا صحيحٌ أمْ لا؟

لكنَّ الأصلَ أنَّهُ ليسَ بصحيحٍ؛ لأنَّهُ ليسَ عندنا دليلٌ شرعيٌّ ولا دليلٌ حسِّيٌّ يدُلُّ على ذلكَ؛ وهيَ لا تُؤثِّرُ على الجسمِ، فليسَ فيها مادَّةٌ دهنيَّةٌ حتَّى نقُولَ: إنَّ الجسمَ يشْرَبُ هذه المادَّةَ وينتفعُ بها، فالأصلُ أنَّها ممنوعةٌ حتَّى يَثْبُتَ لنا بدليلٍ صحيحٍ صريحٍ واضحٍ أنَّ لها اتصالاً مباشرًا بهذا الروماتيزم، حتَّى يُنْتَفَعَ بها.

(١٨) **السابعةُ:** (**الوعيدُ الشديدُ على مَنْ تَعَلَّقَ وتَرًا**) وذلكَ لبراءةِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ ممَّنْ تعلَّقَ وتَرًا، بلْ ظاهرُهُ أنَّهُ كُفْرٌ مُخرجٌ من المِلَّة، قالَ تعالى: **{وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ}** لكنْ قالَ أهلُ العلمِ: إنَّ البراءةَ هنا براءةٌ منْ هذا الفعلِ، كقوْلِه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**».

(١٩) **الثامنةُ:** (**فضْلُ ثوابِ مَنْ قَطَعَ تَميمةً مِنْ إنسانٍ**) لقولِ سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ: (**كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ**) ولكنْ هلْ قولُهُ حُجَّةٌ أوْ لا؟

إنْ قيلَ: ليسَ بحُجَّة، فكيفَ يقولُ المؤلِّفُ: فضلُ مَنْ قطعَ تميمةً منْ إنسانٍ؟

فيُقالُ: إنَّهُ إنَّما كانَ كذلكَ؛ لأنَّهُ إنقاذٌ لهُ مِنْ رقِّ الشركِ، فهو كَمَنْ أعتَقَهُ، بلْ أبْلَغُ.

ولا يُجْزَمُ بهذا، بَل هُوَ مِنْ بابِ القياسِ، فمَنْ أنْقَذَ نَفْسًا مِن الشِّرْكِ فهو كَمَنْ أنقذَها مِن الرقِّ؛ لأنَّهُ أنقذَهُ مِنْ رقِّ الشيطانِ والهوى.

(٢٠) **التاسعةُ:** (**أنَّ كلامَ إبراهيمَ لا يُخَالفُ ما تقدَّمَ مِن الاختلافِ؛ لأنَّ مُرادَهُ أصحابُ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ**) وليسَ مرادُهُ الصحابةَ ولا التابعينَ عُموماً.

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس العاشر

(١) قَوْلُهُ: (**تبرَّكَ**) تَفعَّلَ مِن البَركَةِ، والبَرَكَةُ: هيَ كثْرةُ الخيرِ وثبوتُهُ، وهيَ مأخوذةٌ من البِرْكةِ بالكسرِ، والبِرْكةُ مَجْمَعُ الماءِ، ومجمعُ الماءِ يتميَّزُ عنْ مَجْرَى الماءِ بأمريْنِ:

الأول: الكثرة.

الثاني: الثبوت.

والتبرُّكُ: طلبُ البركةِ، وطلبُ البرَكةِ **لا يخْلُو منْ أمريْنِ**:

أحدهما: أنْ يكونَ التبرُّكُ بأمرٍ شرعيٍّ معلومٍ، مثلِ القُرْآنِ، قالَ تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ}.

فمِنْ برَكتِه: أنَّ مَنْ أخذَ به حَصَلَ لهُ الفتحُ، فأنقذَ اللهُ بذلكَ أُمَمًا كثيرةً من الشركِ.

ومِنْ بَركَتِه: أنَّ الحرفَ الواحدَ بعَشْرِ حسناتٍ، وهذا يوفِّرُ للإنسانِ الوقتَ والجهدَ، وغيرُ ذلكَ مِنْ بركاتِهِ الكثيرةِ.

الآخر: أنْ يكونَ بأمرٍ حسِّيٍّ معلومٍ، مثلِ: العِلْمِ والدُّعاءِ ونحْوِهِ، فهذا الرَّجُلُ يُتَبَرَّكُ بعِلْمِهِ ودَعْوَتِهِ إلى الخيرِ، فيكونُ هذا برَكَةً؛ لأنَّنا نِلْنا منهُ خيرًا كثيرًا.

- قالَ **أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ**: (**ما هَذهِ بأوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يا آلَ أَبِي بكْرٍ**).

فإنَّ اللهَ يُجري على يد بعضِ الناسِ منْ أُمورِ الخيرِ ما لا يُجْرِيه على يد الآخَرِ.

وهناكَ بركاتٌ مَوْهُومَةٌ باطلةٌ، مثلُ ما يزْعَمُهُ الدَّجَّالونَ أنَّ فُلانًا الميِّتَ الذي يزْعُمُونَ أنَّهُ وليٌّ أنْزَلَ عليكُم منْ برَكَتِه وما أشْبَهَ ذلكَ، فهذهِ بركةٌ باطلةٌ لا أثرَ لها، وقدْ يكونُ للشيطانِ أثرٌ في هذا الأمرِ، لكنَّها لا تَعْدُو أنْ تكونَ آثارًا حسيَّةً، بحيثُ إنَّ الشيطانَ يَخْدمُ هذا الشيخَ، فيكونُ في ذلكَ فتنةٌ.

أمَّا كيفيَّةُ معرفة هلْ هذه من البركات الباطلة أو الصحيحة؟

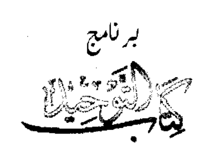
فيُعرفُ ذلكَ بحالِ الشخصِ، فإنْ كانَ منْ أولياءِ اللهِ المُتَّقينَ المُتَّبِعينَ للسُّنَّةِ المُبْتَعدينَ عن البدعةِ، فإنَّ اللهَ قدْ يجعلُ على يديهِ من الخيرِ والبركةِ ما لا يَحْصُلُ لغيرِه.

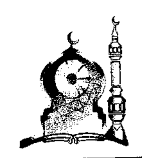
قولُهُ: (**شَجَرٍ**) **اسمُ جِنْسٍ**، فيشملُ أيَّ شجرةٍ تكونُ.

قولُهُ: (**أو حَجَرٍ**) **اسمُ جنسٍ يشملُ أيَّ حجرٍ كانَ**، حتَّى الصخرةِ التي في بيتِ المقدسِ فلا يُتَبَرَّكُ بها.

وكذا **الحجرُ الأسودُ لا يُتبرَّكُ به**، وإنَّما يُتعَبَّدُ للهِ بمسْحِهِ وتقْبِيلِه؛ اتباعًا للرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وبذلكَ تَحْصُلُ بركةُ الثوابِ.

المملكة العربية السعودية – الرياض ١١١١١ – ص.ب: ١١٤٤٠١
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com







ولهذا قالَ عُمرُ رضيَ اللهُ عنهُ: (إنِّي لأَعْلَمُ أنَّكَ حَجَرٌ لا تَضرُّ ولا تَنفعُ، ولولا أنِّي رأيتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ يُقبِّلُكَ ما قبَّلْتُكَ).

فتقبيلُهُ عبادةٌ مَحْضَةٌ خلافًا للعامَّةِ يظنُّون أنَّ به بركةً حسيَّةً؛ ولذلكَ إذا استَلَمَهُ بعضُ هؤلاءِ مسحَ على جميعِ بدنِه تبرُّكًا بذلكَ.

قولُهُ: (ونَحْوِهما) أيْ: مِن البيوتِ والقبابِ والحُجَرِ، حتَّى حُجْرَةَ قبرِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ فلا يُتَمَسَّحُ بها تبرُّكًا، لكنْ لوْ مُسِحَ الحديدُ لِيُنْظَرَ هلْ هوَ أمْلَسُ أوْ لا، فلا بأْسَ، إلاَّ إنْ خُشِيَ أنْ يُقتدَى به فلا يَمْسَحْهُ.

(٢) قولُهُ: {أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى}.

قولُهُ: {اللاَّتَ} تُقْرَأُ بتشديدِ التاءِ وتخفيفِهَا. والتشديدُ قراءةُ ابنِ عبَّاسٍ.

فعلى قراءةِ التشديدِ: تكونُ اسمَ فاعلٍ من اللَّتِّ، وكانَ هذا الصنمُ أصلُهُ رَجُلٌ يَلُتُّ السَّويقَ للحُجَّاجِ، أيْ: يجْعَلُ فيهِ السَّمْنَ، ويُطْعِمُهُ الحُجَّاجَ، فلمَّا ماتَ عكَفُوا على قبْرِهِ وجعلُوهُ صنمًا.

وأمَّا على قراءةِ التخفيفِ: فإنَّ اللاتَ مُشْتَقَّةٌ من اللهِ، أوْ مِن الإلهِ، فهم اشتقُّوا مِنْ أسماءِ اللهِ اسمًا لهذا الصنمِ، وسمَّوْهُ باللاتِ، وهيَ لأهلِ الطائفِ ومَنْ حوْلَهُم من العربِ.

وقولُهُ: {والْعُزَّى} مُؤَنَّثُ أعزَّ، وهو صنمٌ يعبُدُهُ **قريشٌ وبنُو كِنَانَةَ**، مشتَقٌّ من اسمِ اللهِ العزيزِ، كانَ بنخْلَةَ بينَ مكَّةَ والطائفِ.

قوْلُهُ: {وَمَنَاةَ} قيلَ: **مشتَقَّةٌ من المَنَّانِ**.

وقيلَ: مِنْ مِنًى، لكثرةِ ما يُمْنَى عندَهُ مِنَ الدماءِ، بمعنى يُراقُ، ومنهُ سُمِّيَتْ مِنًى لكثرةِ ما يُراقُ فيها من الدماءِ.

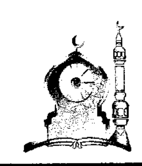
وكانَ هذا الصنمُ بينَ مكَّةَ والمدينةِ **لِهُذَيْلٍ وخُزاعَةَ**، وكانَ **الأوسُ والخزرجُ** يُعَظِّمُونَها ويُهِلُّونَ منها للحجِّ.

قولُهُ: {الثَّالِثَةَ الأُخْرَى} **إشارةً إلى أنَّ التي تُعظِّمُونَها** وتذبحونَ عندَها وتكثرُ إراقةُ الدماءِ حولَها أنَّها أُخْرَى، بمعنى مُتأخِّرةٍ، أيْ: ذميمةٌ حقيرةٌ، منْ: فلانٌ آخرٌ، أيْ: ذميمٌ حقيرٌ، أي: متأخِّرٌ.

فهذهِ الأصنامُ الثلاثةُ المعبودةُ عندَ العربِ ما حالُها بالنسبةِ لما رأى النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، لا شيءَ، وإنما ذكرَ هذه الأصنامَ الثلاثةَ؛ لأنَّها أشهرُ الأصنامِ وأعظَمُها عندَ العربِ.

قولُهُ: {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى} هذا أيضًا استفهامٌ إنكاريٌّ على المشركينَ الذي يجعلونَ للهِ البناتِ ولهم البنينَ، فإذا وُلِدَ لهم الولدُ الذَّكرُ فرِحُوا واستبشَرُوا به، وإذا وُلِدتِ الأُنْثَى ظلَّ وجهُ

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com



الإنسانِ منهم مُسْوَدًّا وهوَ كظيمٌ، ومعَ ذلكَ يقولونَ: الملائكةُ بناتُ اللهِ، فيجعلونَ البناتِ للهِ، والعياذُ باللهِ، ولَهُمْ مَا يشتهونَ.

قال **العماد** ابن كثير في (تفسير القرآن العظيم) (٢٨/٦) في قوله تعالى: **{ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى }** (**أي: أتجعلون له ولدا، وتجعلون ولده أنثى، وتختارون لأنفسكم الذكر !**).

قال في (تيسير العزيز الحميد) (ص ١٧٨) معلقاً على هذه الآية: (**وقال غيره: يجوز أن يراد: اللات والعزى ومناة إناث؛ وقد جعلتموهن شركاء، ومن شأنكم أن تحتقروا الإناث، وتستنكفوا من أن يولد لكم، أو ينسبن إليكم، فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أنداداً لله، وتسمونهن آلهة؟ !**).

قال الشيخ سليمان: **قلت: ما أقرب هذا القول إلى سياق الآية.**

قولُهُ: {تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} ضيزَى: جائرةٌ؛ لأنَّهُ على الأقلِّ إذا أردْتُم القسمةَ فاجعلوا لكُم مِن البناتِ نصيبًا، واجعلوا للهِ مِن البنينَ نصيبًا، أمَّا أنْ تجْعلُوا ما تخْتارُونَهُ لأنفُسِكُم وهم البنونَ، وتجعلوا ما تكرهونَ للهِ، فهذه قسمةٌ جائرةٌ.

قولُهُ: { إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ }: الضميرُ في { هي } يعودُ إلى الأصنامِ، أيْ: هذه الأصنامُ التي سمَّيْتُمُوها اللاتَ والعُزَّى ومَنَاةَ اتَّخذْتُمُوهَا آلهةً تعبدُونَها هيَ أسماءٌ سمَّيْتُمُوهَا، ولكنْ ما أنزلَ اللهُ بها مِنْ سلطان، أي: مِنْ حُجَّة ودليلٍ، بلْ أبْطَلَها اللهُ سبحانهُ، قالَ تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }.

و { سلطان } هنا بمعنى حُجَّة.

قولُهُ: { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ }: { إِنْ } هنا بمعنى ما، وعلامةُ (إن) التي بمعنى (ما) أنْ تأتيَ بعْدَها (إلاَّ)، قالَ تعالى: { إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ }، يعني: ما هذا إلاَّ مَلَكٌ كريمٌ، وقالَ تعالى: { إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ }، أي: ما هذا إلاَّ قولُ البشرِ، وقالَ تعالى: { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ }، أيْ: **ما يتَّبعونَ إلاَّ الظنَّ.**

والظنُّ الذي يتَّبِعُونَهُ هوَ أنَّها آلهةٌ، وأنَّ للهِ البناتِ، ولَهُم البنونَ، والظنُّ لا يُغْني من الحقِّ شيئًا، كما قالَ تعالى في الآية.

قولُهُ: { وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ } كذلكَ أيضًا يتَّبعُونَ ما قوى الأنفسُ، وهذا أضرُّ شيءٍ على الإنسانِ أنْ يتَّبعَ ما يَهْوَى، فالإنسانُ الذي يعبدُ اللهَ بالهوى فإنَّهُ لا يعبدُ اللهَ حقًّا، إنَّما يعبدُ عقْلَهُ وهواهُ، قالَ تعالى: { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ }، لكنِ الذي يعبدُ اللهَ بالهُدَى لا بالهوَى هوَ الذي على الحقِّ.

قولُهُ: { وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى }: أيْ: على يدِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ، فكانَ الأجدرُ بهِمْ أنْ يتَّبعُوا الهدى دونَ الهوى.

ومناسبةُ الآيةِ للترجمةِ:

أنَّهم يعتقدونَ أنَّ هذه الأصنامَ تنفعُهمْ وتضرُّهمْ؛ ولهذا يأتونَ إليها يدْعُونَها ويذْبَحُونَ لها ويتقرَّبونَ إليها، وقدْ يبْتَلِي اللهُ المرءَ، فيحْصُلُ لهُ ما يريدُ من اندفاعِ ضُرٍّ، أوْ جلبِ نفعٍ بهذا الشِّرْكِ؛ ابتلاءً منَ اللهِ وامتحانًا، وهذا قدْ تقدَّمَ لنا لهُ نظائرُ، أنَّ اللهَ يبتلي المرءَ بتيسيرِ أسبابِ المعصيةِ لهُ؛ حتَّى يعْلَمَ اللهُ منْ يخافُهُ بالغيبِ.

(٣) قولُهُ: (**خَرَجْنا مَعَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ**) أيْ: بعدَ غزوةِ الفتحِ؛ لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ لَمَّا فَتَحَ مكَّةَ تجمَّعتْ لهُ **ثقيفٌ وهَوَازِنُ** بجمعٍ عظيمٍ كثيرٍ جدًّا.

قولُهُ: (**حُدَثَاءُ**) **جمعُ حديث**، أيْ: إنَّنا قريبُو عهدٍ بكُفْرٍ، وإنَّما ذَكَرَ ذلكَ رضيَ اللهُ عنهُ للاعتذارِ لطلَبِهِم وسُؤَالِهِم، ولوْ وقَرَ الإيمانُ في قلوبِهِمْ لمْ يسألُوا هذا السؤالَ.

قولُهُ: (**يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا**) أيْ: يقيمونَ عليها، **والعُكوفُ**: مُلازمةُ الشيءِ، ومنهُ قولُهُ تعالى: { وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ }.

قولُهُ: (**يَنُوطُونَ**) أيْ: يُعلِّقونَ بها أسْلِحَتَهُمْ تبرُّكًا.

قولُهُ: (**يُقَالُ لَهَا: ذاتُ أَنْواط**) أيْ: إنَّها تُلَقَّبُ بهذا اللقبِ؛ لأنَّهُ تُناطُ فيها الأسلحةُ، وتُعَلَّقُ عليها رجاءَ بركَتِها، فالصحابةُ رضيَ اللهُ عنْهُم قالُوا للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: (**اجْعَلْ لَنا ذاتَ أَنْواطٍ كما لَهُم ذاتُ أنواطٍ**) أيْ: سِدْرَةً نُعلِّقُ أسلحتَنَا عليها تبرُّكًا بها، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: «**اللهُ أَكْبَرُ**» كَبَّرَ تعظيمًا لهذا الطلبِ، أي: استعظامًا لهُ وتعجُّبًا، لا فرحًا بهِ، كيفَ يقولونَ هذا القولَ وهُمْ آمنوا بأنَّهُ لا إلهَ إلاَّ اللهُ؟

قولُهُ: «إنَّها السُّنَنُ» أي: الطرقُ التي يسلُكُها العِبادُ، «**قُلْتُمْ والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى**: { اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ }» أيْ: إنَّ الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ

قاسَ ما قالَهُ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهُم على ما قالَهُ بنو إسرائيلَ لموسى حينَ قالوا: (اجعلْ لنا إلهًا كما لهمْ آلهةٌ) فأنْتُمْ طَلَبْتُمْ ذاتَ أنواطٍ كما أنَّ لهؤلاءِ المشركينَ ذاتَ أنواطٍ.

وقولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «والَّذي نفسي بيدِه» المرادُ أنَّ نفسَهُ بيدِ اللهِ لا منْ جهةِ إماتَتِها وإحيائِها فحسْبُ، بلْ منْ جهةِ تدْبيرِها وتصريفِها أيضًا، ما منْ دابَّةٍ إلاَّ هوَ آخذٌ بناصيَتِها سبحانَهُ وتعالى.

قولُهُ: «لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ» أيْ: لتَفعَلُنَّ مثلَ فعْلِهِمْ، ولتقولُنَّ مثلَ قوْلِهِمْ، وهذهِ الجملةُ لا يُرادُ بها الإقرارُ، وإنَّما يُرادُ بها التحذيرُ؛ لأنَّهُ من المعلومِ أنَّ سُنَنَ مَنْ كانَ قبْلَنَا ممَّا جَرى تشبيهُهُ سُنَنٌ ضالَّةٌ، حيثُ طلبوا آلهةً معَ اللهِ، فأرادَ النبيُّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أنْ يُحذِّرَ أُمَّتَهُ أنْ تَرْكَبَ سُنَنَ مَنْ كانَ قبلَها منَ الضَّلالِ والغَيِّ.

والشاهدُ منْ هذا الحديثِ: قوْلُهُم: (**اجْعَلْ لَنا ذاتَ أنْواطٍ كَما لَهُمْ ذَاتُ أنواطٍ**)، فأنكرَ عليهم النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

(٤) فيهِ مسائلُ:

الأولى: (**تفسيرُ آيةِ النجمِ**) أيْ: قولُهُ تعالى: { أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ }.

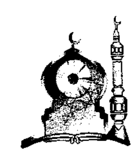
(٥) **الثانيةُ:** (**معرفةُ صورةِ الأمرِ الذي طلَبُوا**) وهوَ أنَّهُمْ طلبوا من النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أنْ يجعلَ لهمْ ذاتَ أنواطٍ، كما أنَّ للمشركينَ ذاتَ أنواطٍ، وهم إنَّما أرادوا أنْ يتبرَّكوا بهذهِ الشجرةِ لا أنْ يعْبُدُوها، فدلَّ ذلكَ على أنَّ التبرُّكَ بالأشجارِ ممنوعٌ، وأنَّ هذا منْ سُنَنِ الضالِّينَ السابقينَ من الأُمَمِ.

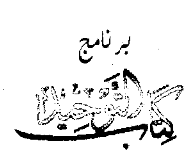
(٦) **الثالثةُ:** (**كونُهُم لمْ يفعلوا**) أيْ: لمْ يُعَلِّقوا أنْوَاطًا على الشجرةِ، ويَطْلُبوا من الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أنْ يُقِرَّهُم على هذا العملِ، بلْ طَلَبُوا من الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أنْ يجعلَ لهمْ ذلكَ.

(٧) **الرابعةُ:** (**كونُهُم قَصدوا التقرُّبَ إلى اللهِ بذلكَ لظَنِّهِمْ أنَّهُ يُحِبُّهُ**) أيْ: بتعليقِ الأسلحةِ ونحْوِها على الشجرةِ التي يُعَيِّنُهَا الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا طلبوا ذلكَ من الرسولِ لتَكْتَسِبَ بهذا معنى العبادةِ.

(٨) **الخامسةُ:** (**أنَّهُم إذا جهِلُوا هذا فغيْرُهُم أوْلَى بالجهلِ**) لأنَّ الصحابةَ لا شكَّ أعلمُ الناسِ بدينِ اللهِ،







فإذا كانَ الصحابةُ يجهلونَ أنَّ التبرُّكَ بهذا نوعٌ من اتِّخاذها إلهًا، فغَيْرُهُم منْ بابٍ أوْلى، وقصدَ المؤلِّفُ رحِمَهُ اللهُ بهذا أنْ لا نغْتَرَّ بعملِ الناسِ؛ لأنَّ عملَ الناسِ قدْ يكونُ عنْ جهلٍ، فالعبرةُ بما دلَّ عليهِ الشَّرعُ لا بعملِ الناسِ.

(٩) **السادسة: (أنَّ لَهُمْ من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليسَ لغيْرِهم)** وهذا معلومٌ من الآيات: { لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى } فالصحابةُ رضيَ اللهُ عنهمْ لَهُمْ من الحسناتِ والوعدِ بالمغفرةِ وأسبابِ المغفرةِ ما ليسَ لغيْرِهمْ، ومعَ ذلكَ لَمْ يَعْذرْهُم النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بهذا الطلبِ.

(١٠) **السابعة: (أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لَمْ يعذرْهُم بلْ ردَّ عليهِمْ بقوْلِهِ: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» فغَلَّظَ الأمرَ بهذهِ الثلاثِ)**: وهيَ:

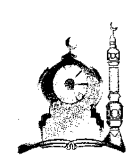
- قولُهُ: «اللهُ أكبرُ».
- وقوله: «إنَّها السُّنَنُ».
- وقوله: «لتركَبُنَّ سننَ مَنْ كانَ قبلَكُم».

فغلَّظَ الأمرَ بهذا؛ لأنَّ التكبيرَ استعظامٌ للأمرِ الذي طلَبُوهُ، وقوله: «إنَّها السننُ» تحذيرٌ أيضًا، وقوله: «لتركَبُنَّ سننَ مَنْ كانَ قبلَكُم» تحذيرٌ ثانٍ.

(١١) **الثامنة: (الأمرُ الكبيرُ -وهوَ المقصودُ- أنَّهُ أخبرَ أنَّ طلَبَهُم كطلبِ بني إسرائيلَ لَمَّا قالوا لموسى:** { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ }) فهؤلاءِ طلبوا سِدْرَةً يتبرَّكُونَ بها كما يتبرَّكُ المشركونَ بها، وأولئكَ طلبوا إلهًا كما لَهُمْ آلهةٌ، فيكونُ في كِلاَ الطلبيْنِ منافاةٌ للتوحيدِ؛ لأنَّ التبرُّكَ بالشجرِ نوعٌ من الشِّركِ، واتخاذُ إلهٍ شركٌ واضحٌ.

(١٢) **التاسعة: (أنَّ نفيَ هذا منْ معنى (لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ) معَ دقَّته وخفائه على أولئكَ)** أيْ: أنَّ نفيَ التبرُّكِ بالأشجارِ ونحْوِها منْ معنى لا إلهَ إلاَّ اللهُ، فإنَّ لا إلهَ إلاَّ اللهُ تنفي كلَّ إلهٍ سوى اللهِ، وتنفي الأُلوهيَّةَ عمَّا سِوَى اللهِ عزَّ وجلَّ، فكذلكَ البركةُ لا تكونُ منْ غيرِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى.

(١٣) **العاشرة: (أنَّهُ حلَفَ على الْفُتْيا، وهو لا يَحْلِفُ إلاَّ لمصلحةٍ)** أي: النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ حلفَ



على الفُتيا في قولِه: «قلتُمْ والّذي نفْسي بيَدِه».

والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لا يحلفُ إلاَّ لمصلحةٍ أوْ دَفْعِ مضَرَّةٍ ومفسدةٍ، فليسَ ممَّنْ يحْلِفُ على أيِّ سببٍ يكونُ، كما هيَ عادةُ بعضِ الناسِ.

(١٤) **الحادية عشْرة: (أنَّ الشِّرْكَ فيه أصغرُ وأكبرُ؛ لأنَّهم لمْ يرْتَدُّوا بهذا)** حيثُ لمْ يطلبوا جَعْلَ ذاتِ الأنواطِ لعبَادَتها بلْ للتبرُّك بها، والشركُ فيه أصغرُ وأكبرُ، وفيهِ خفيٌّ وجليٌّ.

- **فالشِّرْكُ الأكبرُ:** ما يُخرِجُ الإنسانَ من المِلَّة.
- **والشركُ الأصغرُ:** ما دُونَ ذلكَ.

لكنَّ كلمةَ **(ما دُونَ ذلكَ)** ليسَتْ ميزانًا واضحًا؛ **ولذلكَ اختلفَ العُلماءُ في ضابطِ الشركِ الأصغرِ على قولَيْنِ:**

القولُ الأوَّلُ: أنَّ الشِّرْكَ الأصغرَ: كلُّ شيءٍ أطْلَقَ الشارعُ عليهِ أنَّهُ شرْكٌ، ودلَّت النصوصُ على أنَّهُ ليسَ من الأكبرِ، مثلَ: «مَنْ حَلَفَ بغَيْرِ اللهِ فقَدْ أَشْرَكَ».

نقولُ: الشِّركُ هنا أصغرُ؛ لأنَّهُ دلَّت النصوصُ على أنَّ مُجَرَّدَ الحلفِ بغيرِ اللهِ لا يُخْرِجُ من المِلَّة.

القولُ الثاني: أنَّ الشِّرْكَ الأصغرَ: ما كانَ وسيلةً للأكبرِ، وإنْ لمْ يُطْلِق الشرعُ عليه اسمَ الشرك، مثلَ: أنْ يعتمدَ الإنسانُ على شيءٍ كاعتمادِه على اللهِ لكنَّهُ لمْ يتَّخذْهُ إلهًا، فهذا شرْكٌ أصغرُ؛ لأنَّ هذا الاعتمادَ الذي يكونُ كاعتمادِه على اللهِ يؤدِّي به في النهايةِ إلى الشِّركِ الأكبرِ. وهذا التعريفُ أوْسَعُ من الأوَّلِ؛ لأنَّ الأوَّلَ يمنعُ أنْ تُطْلِقَ على شيءٍ أنَّهُ شرْكٌ إلاَّ إذا كانَ لديكَ دليلٌ، والثاني يجعلُ كلَّ ما كانَ وسيلةً للشركِ فهوَ شركٌ، وربَّما نقولُ على هذا التعريفِ: إنَّ المعاصيَ كلَّها شركٌ أصغرُ؛ لأنَّ الحاملَ عليها الهوَى، وقدْ قالَ تعالى: { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ } ولهذا أطلقَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ الشِّركَ على تاركِ الصلاةِ معَ أنَّهُ لم يُشْرِكْ، فقالَ: «بيْنَ الرَّجُلِ وبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ».

فالحاصلُ: أنَّ المؤَلِّفَ رحمَهُ اللهُ يقولُ: إنَّ هذا الشِّركَ فيهِ أكبرُ وأصغرُ؛ لأنَّهم لم يرْتَدُّوا بهذا، وسبقَ وجهُ ذلكَ.

أما الشركُ الجليُّ والخفيُّ:

فبعْضُهُمْ قالَ: إنَّ الجليَّ والخفيَّ هوَ الأكبرُ والأصغرُ.

وبعضُهُمْ قالَ: الجليُّ ما ظهَرَ للناسِ منْ أصغرَ أوْ أكبرَ، كالحلف بغيرِ اللهِ والسجودِ للصنمِ، والخفيُّ ما لا يعْلَمُهُ الناسُ منْ أصغرَ أوْ أكبرَ، كالرياءِ واعتقادِ أنَّ معَ اللهِ إلهًا آخرَ.

وهذا هوَ المطابقُ للَّفْظِ، أنَّ الجليَّ: ما انجلى أمْرُهُ، والخفيَّ: ما خَفِيَ أمْرُهُ.

- فقدْ يكونُ الحلفُ بغيرِ اللهِ إذا أعْلَنَهُ الإنسانُ منْ بابِ الجليِّ؛ لأنَّهُ أظهرُ وأعْلَنُ.
- والرياءُ منْ بابِ الخفيِّ؛ لأنَّهُ لا يَطَّلِعُ عليه أحدٌ.

(١٥) الثانية عشْرة: (قولُهُ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ»)

معناهُ: أنَّهُ يعتذرُ عمَّا طَلَبُوا حيثُ طَلَبُوا أنْ يجْعَلَ لَهُمْ ذاتَ أنواطٍ فهمْ يعتذرونَ لجهْلِهِم بكوْنِهم حُدَثَاءَ عهْدٍ بكُفْرٍ، وأمَّا غيْرُهم ممَّنْ سبقَ إسلامُهُ فلا يجْهَلُ ذلكَ.

وعلى هذا فنقولُ: إنَّهُ ينبغي للإنسانِ أنْ يُقدِّمَ الْعُذْرَ عنْ قوْلِهِ أوْ فعْلِه، حتَّى لا يُعرِّضَ نفسَهُ إلى القولِ بما ليسَ فيه.

ومعلومٌ حديثُ صفيَّةَ حينَ شيَّعَها الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وهوَ مُعْتَكِفٌ فمرَّ رجُلانِ من الأنصارِ، فقالَ: «إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ».

(١٦) الثالثة عشرة: (التكبيرُ عندَ التعجُّبِ...) إلخ، تُؤْخَذُ منْ قوْلِهِ: «اللهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ» أي: اللهُ أكبرُ وأعظمُ مِنْ أنْ يُشْرَكَ به.

وفي روايةِ الترمذيِّ أنَّهُ قالَ: «سُبْحَانَ اللهِ» أيْ: تنْـزِيهٌ للهِ عمَّا لا يليقُ به.

(١٧) الرابعة عشرة: (سدُّ الذرائعِ) الذرائعُ هي: الطرقُ المُوصِلَةُ إلى الشَّيْءِ.

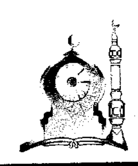
والذرائعُ نوعانِ:

الأول: ذرائعُ إلى أمورٍ مطلوبةٍ، فهذهِ لا تُسَدُّ، بلْ تُفْتَحُ وتُطْلَبُ.

الثاني: ذرائعُ إلى أمورٍ مذمومةٍ، فهذهِ تُسَدُّ، وهوَ مرادُ المُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

وذاتُ أنواطٍ وسيلةٌ إلى الشركِ الأكبرِ، فإذا وَضَعُوا عليها أسلحَتَهُم وتبرَّكُوا بها يتدرَّجُ بهم الشيطانُ إلى عبادَتِها وسُؤَالِهِم حوائجَهُم منها مُبَاشرةً؛ فلهذا سدَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ الذرائعَ.

(١٨) الخامسة عشرة: (النهيُ عن التشبُّهِ بأهلِ الجاهليَّةِ) تُؤْخَذُ منْ قولِه: «قُلْتُمْ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ» فأَنْكَرَ عليهِمْ، وبهذا نعرفُ أنَّ الجاهليَّةَ لا تختَصُّ بمَنْ كانَ قَبْلَ زمنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، بلْ كُلُّ مَنْ



جَهِلَ الحقَّ وعَمِلَ عَمَلَ الجاهلينَ فهوَ منْ أهلِ الجاهليَّة.

(١٩) **السادسة عشرة:** (**الغضبُ عندَ التعليمِ**) والحديثُ ليسَ بصريحٍ في ذلكَ، وربَّما يُؤْخَذُ منْ قرائنِ قوْلِه: «**اللهُ أكبرُ! إنَّهَا السُّنَنُ...**» لأنَّ قوَّةَ هذا الكلامِ تُفيدُ الغضبَ.

(٢٠) **السابعة عشرة:** (**القاعدةُ الكُلِّيَّةُ؛ لقولِه:** «**إنَّهَا السُّنَنُ**» أي: الطُّرُقُ، وأنَّ هذه الأُمَّةَ ستَتَّبِعُ طُرُقَ مَنْ كانَ قبْلَها، وهذا لا يعني الحلَّ، ولكِنَّهُ للتحذيرِ، والرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**ستفترقُ هذهِ الأُمَّةُ إلى ثلاثٍ وسَبْعينَ فِرْقةً كُلُّهَا في النَّارِ إلاَّ واحدةً**».

ومثْلُهُ قولُهُ: «**ليَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتي أقوامٌ يستحلُّونَ الحِرَ والحريرَ**» الحديثَ، وقوْلُهُ: «**إنَّ الظَّعينةَ تذهبُ منْ كذا إلى كذا لا تخشَى إلاَّ اللهَ**» وما أشبهَ ذلكَ مِن الأمورِ التي أخبرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ وُقُوعِها معَ تحْرِيمِها.

(٢١) **الثامنة عشرة:** (**أنَّ هذا عَلَمٌ منْ أعلامِ النبوَّةِ؛ لكوْنِه وقعَ كما أخبرَ**)

فإنْ قالَ قائلٌ: إنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قدْ خطَبَ الناسَ بعرَفَةَ وقالَ: «**إنَّ الشيْطانَ قدْ أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصلُّونَ في جزيرةِ العَرَبِ**».

الجوابُ: إنَّ **يَأْسَهُ لا يدُلُّ على عدمِ الوقوعِ**، بلْ إنَّ الأمرَ يقعُ على خلافِ ما توقَّعَهُ الشيطانُ؛ لأنَّ الشيطانَ لمَّا حَصَلَت الفتوحاتُ وقوِيَ الإسلامُ ودخلَ الناسُ في دينِ اللهِ أفواجًا يَئِسَ أنْ يُعْبَدَ سوى اللهِ في هذه الجزيرةِ، ولكنَّ حكمةَ اللهِ تأْبى إلاَّ أنْ يكونَ ذلكَ، وهذا نقُولُهُ ولا بُدَّ لِئَلاَّ يُقالَ: إنَّ جميعَ الأفعالِ التي تقعُ في الجزيرةِ العربيَّةِ لا يُمْكِنُ أنْ تكونَ شرْكًا.

ومعلومٌ أنَّ الشيخَ **محمَّدَ بنَ عبدِ الوهَّابِ** رَحِمَهُ اللهُ **جدَّدَ التوحيدَ في الجزيرةِ العربيَّةِ**، وأنَّ الناسَ كانوا في ذلكَ الوقتِ فيهم المشركُ وغيرُ المشركِ.

فالحديثُ أخبرَ عمَّا وقعَ في نفسِ الشيطانِ ذلكَ الوقتَ، ولكنَّهُ لا يدُلُّ على عدمِ الوقوعِ.

وهذا الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**لتركبُنَّ سُنَنَ مَنْ كانَ قبْلَكُمْ**» وهوَ يُخاطِبُ الصحابةَ وهمْ في جزيرةِ العربِ.

(٢٢) **التاسعة عشرة:** (**أنَّ كلَّ ما ذمَّ اللهُ بهِ اليهودَ والنصارى في القرآنِ أنَّهُ لنا**) هذا ليسَ على إطْلاقِهِ وظاهِرِه، بلْ يُحْمَلُ قولُهُ: (**لَنَا**) أيْ: **لبعْضنا**، ويكونُ المرادُ بهِ المجموعَ لا الجميعَ كما قالَ العلماءُ في

قوله تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ} والرسُلُ كانوا من الإنسِ فقطْ، فقوْلُهُ: (أَنَّهُ لَنَا) أيْ: قدْ يكونُ منْ بعْضنا.

فإذا وقعَ تشبُّهٌ باليهودِ والنصارى فإنَّ الذمَّ الذي يكونُ لهم يكونُ لنا، وما منْ أحد من الناسِ إلاَّ وفيه شبَهٌ باليهودِ أو النصارى، فالَّذي يعصي اللهَ على بصيرةٍ فيه شبَهٌ من اليهودِ، و الذي يَعْبُدُ اللهَ على ضلالةٍ فيه شبهٌ من النصارى، والذي يَحْسُدُ الناسَ على ما آتاهُم اللهُ منْ فضْله فيه شبَهٌ من اليهودِ، وهَلُمَّ جرًّا.

وإنْ كانَ يَقْصِدُ رَحِمَهُ اللهُ: أَنَّهُ لا بُدَّ أنْ يكونَ في الأُمَّةِ خَصْلَةٌ، فهذا على إطلاقِه وظاهرِه؛ لأنَّهُ قلَّ مَنْ يَسْلَمُ.

وإنْ أرادَ أنَّ كُلَّ ما ذُمَّ به اليهودُ والنصارى فهوَ لهذه الأُمَّةِ على سبيلِ العمومِ، فلا.

(٢٣) العِشْرُونَ: (أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عندَهُم أنَّ العباداتِ مَبْنَاهَا على الأمرِ...) إلخ وهذا واضحٌ؛ فالعباداتُ مَبْنَاهَا على الأمرِ، فما لَمْ يثْبُتْ فيه أمرُ الشارعِ فهوَ بدعةٌ، قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

وقالَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

فمَنْ تعبَّدَ بعبادةٍ طُولِبَ بالدليلِ؛ لأنَّ الأصلَ في العباداتِ الحظرُ والمنعُ إلاَّ إذا قامَ الدليلُ على مشرُوعيَّتِها.

وأمَّا الأكلُ والمعاملاتُ والآدابُ واللباسُ وغيْرُها فالأصلُ فيها الإباحةُ، إلاَّ ما قامَ الدليلُ على تحريمِه.

وقولُهُ: (مسائلِ القبرِ) التي يُسْأَلُ فيها الإنسانُ في قبْرِه:

مَنْ ربُّكَ؟

مَنْ نبيُّكَ؟

ما دينُكَ؟

ففي هذه القِصَّةِ دليلٌ على مسائلِ القبرِ الثلاثِ، وليسَ مُرادُهُ أنَّ فيها دليلاً على أنَّ الإنسانَ يُسْأَلُ في قبْرِه، أيْ: دليلٌ على إثباتِ الرُّبوبيَّةِ والنبوَّةِ والعبادةِ.

(أمَّا مَنْ رَبُّكَ؟

فواضحٌ.

وأمَّا مَنْ نبيُّكَ؟

فمنْ إخْبارِه بالغيبِ) قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ» فوقعَ كما

أخبرَ.

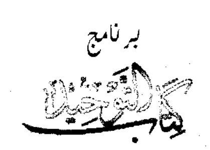
(أمَّا ما دينُكَ؟ فمِنْ قوْلِهِم: { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا }) أيْ: مَأْلوهًا معبُودًا، والعبادةُ هيَ الدِّينُ.

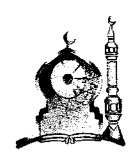
والمؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ، فَهْمُهُ دقيقٌ جدًّا لمعاني النصوصِ، فأحيانًا يصعُبُ على الإنسانِ بيانُ وجْهِ استنباطِ المسألةِ من الدليلِ.

(٢٤) **الحاديةُ والعشرونَ: (أنَّ سُنَّةَ أهلِ الكتابِ مذمومةٌ كسُنَّةِ المشركينَ)** تُؤْخَذُ منْ قَوْلِه: «**كَمَا قَالَتْ بَنُوإِسْرَائِيلَ لِمُوسَى**».

(٢٥) **الثانيةُ والعشرونَ: (أنَّ المُنتَقِلَ من الباطلِ الذي اعتادَهُ قَلْبُهُ لا يُؤْمَنُ أنْ يكونَ في قلْبِه بقيَّةٌ منْ تلكَ العادةِ)** وهذا صحيحٌ، فالإنسانُ المُنْتَقِلُ منْ شيءٍ سَوَاءً باطلاً أوْ لا، لا يُؤْمَنُ أنْ يكونَ في قلْبِه بقيَّةٌ منْهُ، وهذهِ البقيَّةُ لا تَزُولُ إلاَّ بعدَ مُدَّةٍ؛ لقولِهِ: (**وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ**) فكأنَّهُ يقولُ ما سأَلْنَاهُ إلاَّ لأنَّ عنْدَنا بقيَّةً منْ بقايا الجاهليَّةِ؛ ولهذا كانَ من الحكمةِ تغْريبُ الزَّاني بعد جَلْدِه عنْ مكانِ الجريمةِ؛ لئَلاَّ يعودَ إليها.

فالإنسانُ ينبغي لهُ أنْ يبتعدَ عنْ مواطنِ الكفرِ والشكِّ والفُسوقِ حتَّى لا يقعَ في قلْبِه شيءٌ منها.







تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الحادي عشر

(١) قولُهُ: (**في الذَّبْحِ**) أيْ: ذَبْحِ البهائمِ.

قولُهُ: (**لغيرِ اللهِ**) اللامُ للتعليلِ والقصدِ، أيْ: قاصدًا بذَبْحِه غيرَ اللهِ.

والذبحُ لغيرِ اللهِ ينقسمُ إلى قسميْنِ:

الأول: أنْ يذبَحَ لغيرِ اللهِ تقرُّبًا وتعظيمًا، فهذا شِرْكٌ أكبرُ مُخرجٌ عن المِلَّةِ.

الثاني: أنْ يذْبحَ لغيرِ اللهِ فرَحًا وإكرامًا، فهذا لا يُخْرِجُ منَ المِلَّةِ، بلْ هوَ مِن الأمورِ العاديَّةِ التي قدْ تكونُ مطلُوبةً أحيانًا وغيرَ مطلوبة أحيانًا، فالأصْلُ أنّها مُباحَةٌ.

ومرادُ المؤَلِّفِ هنا القسْمُ الأوَّلُ.

قولُهُ: (**لغيرِ اللهِ**) يشملُ الأنبياءَ، والملائكةَ، والأولياءَ وغيْرَهُم، فكلُّ مَنْ ذبحَ لغيرِ اللهِ تقرُّبًا وتعظيمًا فإنَّهُ داخلٌ في هذه الكلمة بأيِّ شيءٍ كانَ.

وقولُهُ في الترجمةِ: (**بابُ ما جاءَ في الذَّبحِ لغيرِ اللهِ**) مثلُ هذهِ الترجمة يُتَرجِمُ بها العلماءُ للأمورِ التي لا يَجزِمُونَ بحُكْمِها، أو التي فيها تفصيلٌ، وأمَّا الأمورُ التي يَجْزِمُونَ بها فإنَّهُم يقولونَ: (**بابُ تحريمِ الذبحِ لغيرِ اللهِ**) وهكذا.

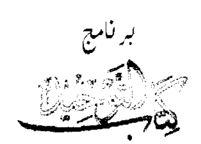
والمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ لا شكَّ أنَّهُ يَرى تحريمَ الذَّبْحِ **لغيرِ اللهِ على سبيلِ التقرُّبِ والتعظيمِ**، وأنَّهُ شِرْكٌ أكبرُ، لكنَّهُ أرادَ أنْ يُمَرِّنَ الطالبَ على أخْذِ الْحُكْمِ من الدليلِ، وهذا نوعٌ من التربيةِ العلميَّةِ، أنَّ المعلِّمَ أو المؤَلِّفَ يدعُ ذكر الْحُكَمَ ثمَّ يأتي بالأدِلَّةِ لأجْلِ أنْ يَكِلَ الحُكْمَ إلى الطالبِ فيَحْكُمَ بهِ على حَسَبِ ما سيقَ لهُ منْ هذهِ الأدلَّةِ.

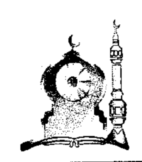
(٢) قولُهُ: { **قُلْ** } **الخطابُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ**، أيْ: قُلْ لهؤلاءِ المشركينَ مُعْلنًا لَهُمْ قيامَكَ بالتوحيدِ الخالصِ؛ إذْ هذهِ السورةُ مكِّيَّةٌ.

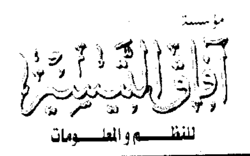
قولُهُ: { **إنَّ صَلاَتِي** } الصلاةُ في **اللغةِ: الدُّعاءُ**.

وفي الشَّرْعِ: عبادةٌ للهِ ذاتُ أقوالٍ وأفعالٍ معلومةٍ، مُفْتَتَحَةٌ بالتكبيرِ، مُخْتَتَمَةٌ بالتسليمِ.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في (قرة عيون الموحدين) ص ٦٩: (وقوله: **{صلاتي} يشمل الفرائض والنوافل.**







والصلوات كلها عبادة، وقد اشتملت على نوعي الدعاء:

- دعاء المسألة.

- ودعاء الطلب.

فما كان فيها من السؤال، والطلب فهو دعاء مسألة، وما كان فيها من الحمد، والثناء، والتسبيح، والركوع والسجود وغير ذلك من الأركان والواجبات فهو دعاء عبادة، وهذا هو التحقيق في تسميتها صلاة؛ لأنها اشتملت على نوعي الدعاء، الذي هو صلاة لغة وشرعاً) .

قولُهُ: { وَنُسُكِي }: **النُّسُكُ لغةً:** العبادةُ.

وفي الشَّرْعِ: ذبْحُ القُرْبانِ.

فهلْ تُحْمَلُ هذه الآيةُ على المعنى اللغويِّ أوْ على المعنى الشرعيِّ؟

ما جاءَ في لسانِ الشرعِ يُحْمَلُ على الحقيقةِ الشَّرعيَّةِ، كما أنَّ ما جاءَ في لسانِ العُرفِ فهوَ محمولٌ على الحقيقةِ العُرفيَّةِ.

وعلى هذا فَيُحْمَلُ النُّسُكُ في الآيةِ على المعنى الشرعيِّ.

وقيلَ: تُحْمَلُ على المعنى اللغويِّ؛ لأنَّهُ أعمُّ، فالنُّسُكُ العبادةُ، كأنَّهُ يقولُ: أنا لا أدْعُو إلاَّ اللهَ، ولا أعْبُدُ إلاَّ اللهَ، وهذا عامٌّ للدعاءِ والتعبُّدِ.

وإذا حُمِلَتْ على المعنى الشَّرعيِّ صارتْ خاصَّةً في نوعٍ من العباداتِ، وهيَ الصَّلاةُ والنُّسُكُ، ويكونُ هذا كمثالٍ؛ فإنَّ الصلاةَ أعلى العباداتِ البدنيَّةِ، والذَّبحَ أعلى العباداتِ الماليَّةِ؛ لأنَّهُ على سبيلِ التعظيمِ فلا يقَعُ إلاَّ قُرْبَةً، هكذا قرَّرَ شيخُ الإسلامِ **ابنُ تيميَةَ** في هذه المسألةِ.

ويُحْتَاجُ إلى مناقشةٍ في مسألةِ أنَّ القُرْبانَ أعلى أنواعِ العباداتِ الماليَّةِ؛ فإنَّ الزكاةَ لا شكَّ أنَّها أعظمُ، وهيَ عبادةٌ ماليَّةٌ.

وهناكَ قولٌ ثالثٌ: أنَّ الصَّلاةَ هيَ الصلاةُ المعروفةُ شرعًا، والنُّسُكَ العبادةُ مُطْلَقًا، ويكونُ ذِكرُ الصلاةِ بخُصُوصِها مَع دُخُولِها في مُطلَقِ العبادةِ مِنْ عَطْفِ العامِّ على الخاصِّ.

قولُهُ: { مَحْيَايَ وَمَمَاتِي } أيْ: حياتِي وموْتِي، أي: التصرُّفَ فِيَّ وتدبيرَ أُمُورِي حيًّا وميِّتًا للهِ.

وفي قولِهِ: { صَلاتِي وَنُسُكِي } إثباتُ توحيدِ العبادةِ.

وفي قوْلِه: { مَحْيَايَ وَمَمَاتِي } إثباتُ توحيدِ الربُوبيَّة.

قولُهُ: { لِلَّهِ } اللهُ: عَلَمٌ على الذاتِ الإلهيَّة.

قولُهُ: { رَبِّ الْعَالَمِينَ } المرادُ بالعالمينَ: ما سوى الله، وسُمِّيَ بذلكَ؛ لأنَّهُ علَمٌ على خالقِه.

والرَّبُّ هنا: المالكُ المُتصرِّفُ، وهذه ربوبيَّةٌ مُطْلَقةٌ.

قولُهُ: { لاَ شَرِيكَ لَهُ } الجملةُ حاليَّةٌ منْ قوْلِه: {لِلَّهِ} أيْ: حالَ كوْنِه لا شريكَ لهُ، واللهُ سبحانَهُ لا شريكَ لهُ في عبادَتِه، ولا في رُبُوبيَّتِه، ولا أسمائِه وصفاتِه؛ ولهذا قالَ تعالى: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }.

قولُهُ: { بِذَلِكَ } الجارُّ والمجرورُ متعلِّقٌ بأُمِرْتُ، فيكونُ دالًّا على الحَصْرِ والتخصيصِ، وإنَّما خُصَّ بذلكَ؛ لأنَّهُ أعظمُ المأموراتِ وهو الإخلاصُ للهِ تعالى ونفيُ الشِّرْكِ فكأنَّهُ ما أمرَ إلاَّ بهذا.

ومعلومٌ أنَّ مَنْ أخلصَ للهِ تعالى فسيقومُ بعبادةِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى في جميعِ الأمورِ.

قولُهُ: { أُمِرْتُ } إبهامُ الفاعلِ هنا منْ بابِ التعظيمِ والتفخيمِ، وإلاَّ فمن المعلومِ أنَّ الآمرَ هوَ اللهُ تعالى.

قوْلُهُ: { وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } يحتملُ: أنَّ المُرادَ الأوَّليَّةُ الزمنيَّةُ، فيتعَيَّنُ أنْ يكونَ المرادُ: أنا أوَّلُ المسلمينَ منْ هذه الأُمَّةِ؛ لأنَّهُ سبَقَهُ في الزمنِ مَنْ أسْلَمُوا.

ويحْتَمِلُ: أنَّ المرادَ الأوَّليَّةُ المعنويَّةُ؛ فإنَّ أعْظَمَ الناسِ إسلامًا وأتمَّهُم انقيادًا هوَ الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فتكونُ الأوَّليَّةُ أوَّليَّةً مُطْلَقةً.

قولُهُ: { الْمُسْلِمِينَ } الإسلامُ عندَ الإطلاقِ يشملُ الإيمانَ؛ لأنَّ المرادَ به الاستسلامُ للهِ ظاهرًا وباطنًا، ويدلُّ لذلكَ قولُهُ تعالى: { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ }، وهذا إسلامُ الباطنِ.

وقوْلُهُ: { وَهُوَ مُحْسِنٌ } هذا إسلامٌ للظاهرِ، وكذا قولُهُ تعالى: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ } يشملُ الإسلامَ الباطنَ والظاهرَ، وإذا ذُكرَ الإيمانُ دخلَ فيه الإسلامُ، قالَ تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ }.

ومتى وُجدَ الإيمانُ حقًّا لَزِمَ منْ وجودِه الإسلامُ.

وأمَّا إذا قُرِنَا جميعًا صارَ الإسلامُ في الظاهرِ، والإيمانُ في الباطنِ، مثلَ حديثِ جبريلَ، وفيه: «أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ» فأخْبَرَهُ عنْ أعمالٍ ظاهرةٍ، و«أَخْبِرْنِي عنِ الإيمانِ» فأخْبَرَهُ عنْ أعمالٍ باطنةٍ.

وكذا: قولُهُ تعالى: { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ }.

والشاهدُ منْ هذه الآيةِ التي ذكرَها المؤلِّفُ: أنَّ الذَّبحَ لا بُدَّ أنْ يكونَ خالصًا لله.

(٣) قولُهُ: { فَصَلِّ } الفاءُ للسببيَّةِ عاطفةٌ على قولِه: { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ } أيْ: بسببِ إعطائِنا لكَ ذلكَ صَلِّ لربِّكَ وانْحَرْ شُكْرًا لله تعالى على هذه النعمةِ.

والمرادُ بالصلاةِ هنا الصلاةُ المعروفةُ شرْعًا.

وقولُهُ: { وَانْحَرْ } المرادُ بالنَّحْرِ الذَّبحُ، أي: اجْعَلْ نحْرَكَ لله كما أنَّ صلاتَكَ لهُ، فأفادتْ هذه الآيةُ الكريمةُ أنَّ النَّحْرَ من العبادةِ؛ ولهذا أمرَ اللهُ به وقرَنَهُ بالصلاةِ.

قال ابن تيمية: (أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه السورة -يعني الكوثر- بأجلِّ القرب إلى الله؛ إذ الصلاة أجل العبادات البدنية، والنحر أجل العبادات المالية) ا.هـ.

كذا قال أبو العباس -رحمه الله- (وفي كون النحر أجل العبادات المالية نظر؛ لمقام الزكاة في الشرع فهي أجل).

وقولُهُ: {وَانْحَرْ} مُطْلَقٌ، فيدخلُ فيه كلُّ ما ثبَتَ في الشَّرعِ مشروعيَّتُهُ للنحرِ، وهيَ ثلاثةُ أشياءَ: الأضاحيُّ، والهدايا، والعقائقُ. فهذه الثلاثةُ يُطْلَبُ من الإنسانِ أنْ يفعلَها.

أمَّا الهدايا: فمنها واجبٌ، ومنها مُسْتَحَبٌّ.

- فالواجبُ كما في التمتُّعِ: { فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ }.
- وكما في المُحْصَرِ: { فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ }.
- وكما في حَلْقِ الرأسِ: { فَفِدْيَةٌ مِن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ }.

هذا إنْ صحَّ أنْ نقُولَ: إنَّها هدْيٌ، ولكن الأَوْلَى أنْ نُسَمِّيَها كما سمَّاها اللهُ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّها بمنزلةِ الكفَّارَةِ.

وأمَّا الأضاحيُّ: فاختلفَ العلماءُ فيها:

- فمنْهُمْ مَنْ قالَ: إنَّها واجبةٌ.
- ومنهمْ مَنْ قالَ: إنَّها مُستحبَّةٌ.

وأكثرُ أهلِ العلمِ على أنَّها مستحبَّةٌ، وأنَّهُ يُكرَهُ للقادرِ ترْكُها.

ومذهبُ أبي حنيفةَ رَحِمَهُ اللهُ أنَّها واجبةٌ على القادرِ، واختارهُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَةَ.

والأُضْحيَّةُ ليْسَتْ عن الأمواتِ كما يفْهَمُهُ العوامُّ، بلْ هيَ للأحياءِ، وأمَّا الأمواتُ فليسَ من المشروعِ أنْ يُضَحَّى لَهُم استقلالاً، إلاَّ إنْ أَوْصَوْا به فعلَى ما أَوْصَوْا به؛ لأنَّ ذلكَ لم يَرِدْ عن الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ.

وأمَّا العقيقةُ: وهيَ التي تُذْبَحُ عن المولودِ في يومِ سابعِه، إنْ كانَ ذكرًا فاثنتان، وإنْ كانَت أُنْثى فواحدةٌ، وتُجزئُ

الواحدةُ معَ الإعسارِ في الذُّكورِ، وهيَ سُنَّةٌ عندَ أكثرِ أهلِ العلمِ.

وقالَ **بعضُ أهلِ العلمِ**: **إنَّها واجبةٌ**؛ لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**كُلُّ غُلَامٍ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ**».

(٤) قوْلُهُ: **(كلماتٍ)** جمعُ كلمةٍ، والكلمةُ في اصطلاحِ النحويِّينَ: القولُ المُفْرَدُ.

أمَّا باعتبارِ اللغةِ: فهيَ لكلِّ ما أفادَ، قالَ الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ**».

وقالَ تعالَى: { **كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا** } وهيَ قوْلُهُ: { **رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ** }.

قالَ شيخُ الإسلامِ: **(لا تُطْلَقُ الكلمةُ في اللغةِ العربيَّةِ إلَّا على الجملةِ المفيدةِ)**.

(٥) قوْلُهُ: «**لَعَنَ اللهُ**» اللعنُ من اللهِ: الطَّرْدُ والإبعادُ عنْ رحمةِ اللهِ.

فإذا قيلَ: لعَنَهُ اللهُ، فالمعنَى: طَرَدَهُ وأبْعَدَهُ عنْ رحْمَتِهِ.

وإذا قيلَ: اللهُمَّ الْعَنْ فلانًا، فالمعنَى: أبْعِدْهُ عنْ رحْمَتِكَ، واطْرُدْهُ عنها.

وقولُهُ: «**لَعَنَ**» يُحتَمَلُ أنْ تكونَ الجملةُ خبريَّةً، وأنَّ الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يُخبِرُ أنَّ اللهَ لَعَنَ مَنْ ذَبحَ لغيرِ اللهِ.

- ويُحتَمَلُ أنْ تكونَ إنشائيَّةً بلفظِ الخبرِ، أي: **اللهُمَّ الْعَنْ مَنْ ذَبحَ لغيرِ اللهِ**، والخبرُ أبْلَغُ؛ لأنَّ الدعاءَ قدْ يُستَجابُ، وقدْ لا يُستَجابُ.

قولُهُ: «**مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**» **عامٌّ يشملُ مَنْ ذبح بعيرًا**، أوْ بقرةً، أوْ دَجاجةً، أوْ غيْرَهَا.

قولُهُ: «**لِغَيْرِ اللهِ**» **يشملُ كلَّ مَنْ سوى اللهِ**، حتَّى لوْ ذَبحَ لنبيٍّ، أوْ مَلَكٍ، أوْ جنِّيٍّ، أوْ غيْرِهِم.

(٦) قوْلُهُ: «**والِدَيْهِ**» **يشملُ الأبَ والأمَّ**، ومَنْ فوْقَهُما؛ لأنَّ الجدَّ أبٌ، كما أنَّ أولادَ الابنِ والبنتِ أبناءٌ.

والمسألةُ هنا ليسَتْ ماليَّةً، بلْ هيَ من الحقوقِ، ولَعْنُ الأدْنَى أشدُّ منْ لعْنِ الأعلى؛ لأنَّهُ أوْلَى بالبرِّ.

قولُهُ: «**مَنْ لَعَنَ والِدَيْهِ**» أيْ: سبَّهُما وشتَمَهُمَا، فاللَّعْنُ من الإنسانِ السبُّ والشتْمُ، فإذا سَبَبْتَ إنسانًا أوْ شتَمْتَهُ فهذا لَعْنُهُ؛ لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قيلَ لهُ: **كيفَ يَلْعَنُ الرجلُ والديْهِ؟**

قالَ: «**يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**».

وأخذَ الفقهاءُ منْ هذا الحديثِ قاعدةً وهيَ: **(أنَّ السببَ بمنزلةِ المباشرةِ في الإثمِ، وإنْ كانَ يُخالفُهُ في**

الضمانِ على تفصيلٍ في ذلكَ عندَ أهلِ العلمِ).

(٧) قولُهُ: «مَنْ آوَى مُحْدِثًا» أيْ: ضَمَّهُ إليهِ وحَمَاهُ، والإِحْدَاثُ: يشملُ الإحداثَ في الدِّينِ كالبدَعِ التي أحْدَثَها الجَهْمِيَّةُ والمعتزِلَةُ، وغيْرُهُم.

والإحداثُ في الأمرِ: أيْ: في شُئُونِ الأُمَّةِ، كالحدودِ وشَبَهِها، فمَنْ آوَى مُحْدِثًا فهوَ ملعونٌ، وكذا مَنْ ناصَرَهُمْ؛ لأنَّ الإيواءَ هوَ كفُّ الأذى عنْهُ، فمَنْ ناصرَهُ فهوَ أشدُّ وأعظمُ.

والمُحْدِثُ أشدُّ منهُ؛ لأنَّهُ إذا كانَ إيواؤُهُ سببًا للَّعْنَةِ فإنَّ نفْسَ فعْلِه جُرْمٌ أعظمُ.

ففيهِ التحذيرُ من البدعِ والإحداثِ في الدِّينِ، قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» وظاهرُ الحديثِ: ولَوْ كانَ أمْرًا يسيرًا.

(٨) قولُهُ: «مَنَارَ الأَرْضِ» أيْ: علامَاتِها ومَرَاسِيمَها التي تُحَدِّدُ بينَ الجيرانِ، فمَنْ غيَّرَها ظُلْمًا فهوَ ملعونٌ، وما أكثرَ الذينَ يُغَيِّرونَ منارَ الأرضِ، لا سيَّمَا إذا زادَتْ قيمتُها، وما علِمُوا أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» فالأمرُ عظيمٌ معَ أنَّ هذا الذي يقْتَطِعُ من الأرضِ ويُغَيِّرُ المنارَ ويأخذُ ما لا يستحقُّ، لا يدْري، قدْ يستفيدُ منها في دُنْيَاهُ، وقدْ يَمُوتُ قبْلَ ذلكَ، وقدْ يُسَلَّطُ عليهِ آفةٌ تَأْخُذُ ما أَخَذَ.

فالحاصلُ: أنَّ هذا دليلٌ على أنَّ تغييرَ منارِ الأرضِ مِنْ كبائرِ الذنوبِ، ولهذا قَرَنَهُ اللهُ تعالى بالشِّركِ وبالعقوقِ وبالإحداثِ، مِمَّا يدلُّ على أنَّ أمْرَهُ عظيمٌ، وأنَّهُ يجبُ على المرْءِ أنْ يَحْذَرَ منهُ، وأنْ يخافَ اللهَ سبحانَهُ وتعالى حتَّى لا يَقَعَ فيه.

(٩) قولُهُ: «فِي ذُبَابٍ» في للسببيَّةِ، وليسَتْ للظرْفِيَّةِ، أيْ: بسببِ ذُبابٍ. ونظيرُهُ قولُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «دَخَلَتِ النَّارَ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا . . .» الحديثَ، أيْ: بسببِ هِرَّةٍ.

(١٠) قولُهُ: «فَدَخَلَ النَّارَ» معَ أنَّهُ ذبحَ شيئًا حقيرًا لا يُؤْكَلُ، لكنْ لمَّا نوى التقرُّبَ بهِ إلى هذا الصنمِ صارَ مُشرِكًا فدخلَ النارَ.

(١١) **فيهِ مسائلُ:**

الأولى: (تفسيرُ { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي }) وقدْ سبَقَ ذلكَ في أوَّلِ البابِ.

(١٢) **الثانيةُ:** (تفسيرُ { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ }) وقدْ سبقَ ذلكَ في أوَّلِ البابِ.

المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٢ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

(١٣) **الثالثة:** (**البداءةُ بلَعْنَة مَنْ ذبحَ لغيرِ الله**) بدأ به؛ لأنَّهُ من الشرك، واللهُ إذا ذَكَرَ الحقوقَ يَبْدأُ أوَّلاً بالتوحيد؛ لأنَّ حقَّ اللهِ أعظمُ الحقوق، قالَ تعالى: { **وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** } وقالَ تعالى: { **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** } وينبَغي أنْ يبْدأَ في المناهي والعقوباتِ بالشركِ وعقوبتِه.

(١٤) **الرابعة:** (**لعْنُ مَنْ لَعَنَ والدَيْه**) ولعنُ الرجُلِ للرجلِ **لهُ معنيانِ:**

الأوَّلُ: الدعاءُ عليهِ باللعنِ.

الثاني: سبُّهُ وشتْمُهُ؛ لأنَّ الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فسَّرَهُ بقوْلِه: «**يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**».

(١٥) **الخامسة:** (**لعْنُ مَنْ آوى مُحدِثًا**) وقدْ سبقَ أنَّهُ يشملُ الإحداثَ في الدِّينِ والحدود، فمَنْ آوى مُحْدِثًا ببدعةٍ فهو داخلٌ في ذلكَ، ومَنْ آوى محدِثًا بجريمة فهو داخلٌ في ذلكَ.

(١٦) **السادسة:** (**لعْنُ مَنْ غيَّرَ منارَ الأرضِ**) وسواءٌ كانتْ بيْنَكَ وبينَ جارِكَ، أوْ بيْنَكَ وبينَ السُّوقِ مثلاً؛ لأنَّ الحديثَ عامٌّ.

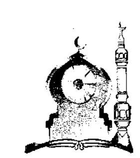
(١٧) **السابعة:** (**الفرقُ بينَ لعْنِ المُعَيَّنِ ولعْنِ أهلِ المعاصي على سبيلِ العُمومِ**) فالأوَّلُ ممنوعٌ، والثاني جائزٌ، فإذا رأَيْتَ مَنْ آوى محْدثًا فلا تقُلْ: لعَنَكَ اللهُ، بلْ قُلْ: لعنَ اللهُ مَنْ آوى مُحدِثًا على سبيلِ العمومِ، والدليلُ على ذلكَ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لَمَّا صارَ يَلْعَنُ أُناسًا مِن المشركينَ مِنْ أهلِ الجاهليَّة بقوْلِه: «**اللهُمَّ الْعَنْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا**» نُهِيَ عَن ذلكَ بقوْلِه تعالى: { **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** }.

فالمُعَيَّنُ ليسَ لكَ أنْ تَلْعَنَهُ، وكَمْ منْ إنسانٍ صارَ على وصْفٍ يستحقُّ به اللعنةَ ثُمَّ تابَ فتابَ اللهُ عليه، إذَنْ يُؤْخَذَ هذا مِنْ دليلٍ مُنْفَصِلٍ، وكأنَّ المُؤَلِّفَ رحِمَهُ اللهُ قالَ: الأصلُ عدمُ جوازِ إطلاقِ اللعنِ، فجاءَ هذا الحديثُ لاعنًا للعمومِ، فيبقى الخصوصُ على أصلِه؛ لأنَّ المسلمَ ليسَ بالطَّعَّانِ ولا باللَّعَّانِ، والرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ليسَ طَعَّانًا ولا لعَّانًا، ولعلَّ هذا وجهُ أخْذِ الحُكْمِ من الحديث، وإلاَّ فالحديثُ لا تَفْريقَ فيه.

(١٨) **الثامنة:** (**هذه القصَّةُ العظيمةُ وهيَ قصَّةُ الذُّبابِ**) كأنَّ المؤلِّفَ رحِمَهُ اللهُ يُصَحِّحُ الحديثَ، ولهذا بَنى عليه حُكْمًا، والحكْمُ المأخوذُ مِنْ دليلٍ فرعٌ عنْ صِحَّتِه، والقصَّةُ معروفةٌ.

(١٩) **التاسعة:** (**كوْنُهُ دخلَ النارَ بسببِ ذلكَ الذُّبابِ الذي لمْ يَقْصِدْهُ، بلْ فَعَلَهُ تخلُّصًا مِنْ شرِّهِمْ**)

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



هذه المسألةُ ليسَتْ مُسلَّمَةً؛ فإنَّ قولَهم: قَرِّبْ ولوْ ذبابًا، يقتضي أنَّهُ فعَلَهُ قاصدًا التقرُّبَ، أمَّا لوْ فعَلَهُ تخلُّصًا منْ شرِّهم فإنَّهُ لا يَكْفُرُ لعدمِ قصْدِ التقرُّبِ؛ ولهذا قالَ الفقهاءُ: لوْ أُكْرِهَ على طلاقِ امرأَتِه فطلَّقَ تبَعًا لقولِ المُكْرِه لَمْ يَقَعِ الطلاقُ، فإنْ قصدَ الطلاقَ فإنَّ الطلاقَ يقعُ، وإنْ طلَّقَ دَفْعًا للإكراهِ لم يَقَعْ، وهذا حقٌّ لقولِه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنيَّاتِ**».

وظاهرُ القصَّةِ أنَّ الرجلَ ذَبحَ بنيَّةِ التقرُّبِ؛ لأنَّ الأصلَ أنَّ فعْلاً بُنِيَ عَلى طَلَبٍ يكونُ مُوافقًا لهذا الطلبِ.

ونحنُ نرى خلافَ ما يرى **المؤلِّفُ** رحِمَهُ اللهُ، أيْ: أنَّهُ لوْ فعَلَهُ بقَصْدِ التخلُّصِ ، ولَمْ يَنْوِ التقَرُّبَ لهذا الصنمِ لا يَكْفُرُ؛ لعمومِ قولِه تعالى: { **مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا** }.

وهذا الذي فعَلَ ما يُوْجِبُ الكُفْرَ تخلُّصًا مُطْمَئِنٌّ قلْبُهُ بالإيمانِ.

والصوابُ أيضًا: أنَّهُ لا فرْقَ بينَ القولِ المُكْرَه عليه والفعْلِ، وإنْ كانَ بعضُ العلماءِ يُفرِّقُ ويقولُ: إذا أُكْرِهَ على القولِ لَمْ يَكْفُرْ، وإذا أُكرِهَ على الفعلِ كَفَرَ، ويستدلُّ بقصَّةِ الذبابِ. **وقصةُ الذبابِ فيها نظَرٌ منْ حيثُ حُجِّيَّتِهَا**، وفيها نظرٌ منْ حيثُ الدلالَةُ لما سبقَ أنَّ الفعلَ المبنيَّ على طلبٍ يكونُ موافقًا لهذا الطلبِ.

ولوْ فُرِضَ أنَّ الرجلَ تقرَّبَ بالذبابِ تخلُّصًا منْ شرِّهم فإنَّ لدينَا نصًّا مُحْكَمًا في المسألةِ، وهو قولُهُ تعالى: { **مَنْ كَفَرَ بِاللهِ** } الآيةَ، ولم يقلْ بالقولِ، فما دامَ عنْدَنا نصٌّ قرآنيٌّ صريحٌ فإنَّهُ لوْ وَرَدَت السُّنَّةُ صحيحةً على وجه مُشْتَبِهٍ فإنَّها تُحْمَلُ على النصِّ الْمُحْكَمِ.

والخُلاصَةُ: أنَّ مَنْ أُكْرِهَ على الكفرِ لَمْ يكُنْ كافرًا ما دامَ قلْبُهُ مُطْمَئِنًّا بالإيمانِ ولَمْ يَشْرَحْ بالكُفْرِ صدرًا.

(٢٠) **العاشرةُ: (معرفةُ قَدْرِ الشِّرْكِ في قلوبِ المؤمنينَ..)** إلخ وقدْ بيَّنها المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ.

مسألةٌ: هلَ الأَوْلَى للإنسانِ أنْ يَصْبِرَ إذا أُكْرِهَ على الكُفْرِ ويُقْتَلَ؟

أوْ يُوافِقَ ظاهِرًا ويتأوَّلَ؟

هذه المسألةُ فيها تفصيلٌ:

أوَّلاً: أنْ يُوافِقَ ظاهرًا وباطنًا، وهذا لا يجوزُ؛ لأنَّهُ رِدَّةٌ.

ثانيًا: أنْ يُوافِقَ ظاهرًا لا باطنًا، ولكنْ يقْصِدُ التخلُّصَ من الإكراهِ، فهذا جائزٌ.

ثالثًا: أنْ لا يُوافِقَ **لا ظاهرًا ولا باطنًا ويُقْتَلُ**، وهذا جائزٌ وهوَ من الصَّبْرِ.

لكنْ أيُّهمَا أوْلَى؛ أنْ يصبِرَ ولوْ قُتِلَ، أوْ أنْ يُوافِقَ ظاهرًا؟

فيه تفصيلٌ: إذا كانَ الإكراهُ لا يترتَّبُ عليه ضررٌ في الدِّينِ للعامَّة فإنَّ الأَوْلَى **أنْ يُوافقَ ظاهرًا لا باطنًا**، لا سيَّمَا إذا كانَ بقاؤُهُ فيه مصلحةٌ للناسِ، مثلَ: صاحبِ المالِ الباذلِ فيما يَنْفَعُ، أو العلْمِ وما أشْبَهَ ذلكَ، حتَّى وإنْ لَمْ يكُنْ فيه مصلحةٌ، ففي بقائِه على الإسلامِ زيادةُ عَمَلٍ، وهو خيْرٌ، هُوَ قدْ رُخِّصَ لهُ أنْ يكفُرَ ظاهرًا عندَ الإكراهِ، فالأَوْلَى أنْ يتأوَّلَ ويُوافقَ ظاهرًا لا باطنًا.

أمَّا إذا كانَ في مُوافقتِه وعدمِ صبْرِه ضررٌ على الإسلامِ فإنَّهُ يَصْبِرُ، وقدْ يجبُ الصبرُ؛ لأنَّهُ منْ بابِ الصبرِ على الجهادِ في سبيلِ اللهِ، وليسَ منْ بابِ إبقاءِ النفْسِ؛ ولهذا لَمَّا شَكَى الصحابةُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ ما يجدُونَهُ منْ مضايقةِ المشركينَ قَصَّ عليهم قصَّةَ الرجلِ فيمَنْ كانَ قبْلَنَا بأنَّ الإنسانَ كانَ يُمْشَطُ ما بينَ لَحْمِه وجلْدِه بأمشاطِ الحديدِ ويصْبِرُ، فكأنَّهُ يقولُ لهم: **اصْبِرُوا على الأذى**.

ولوْ حصَلَ مِن الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم في ذلكَ الوقتِ موافقةٌ للمشركينَ وهمْ قِلَّةٌ لَحَصَلَ بذلكَ ضرَرٌ عظيمٌ على الإسلامِ.

والإمامُ **أحمدُ** رَحِمَهُ اللهُ في المحْنةِ المشهورةِ لوْ وافقَهُم ظاهرًا لحصلَ في ذلكَ مَضَرَّةٌ على الإسلامِ.

(٢١) الحاديةَ عشْرَةَ: (أنَّ الذي دخلَ النارَ مُسْلِمٌ؛ لأنَّهُ لوْ كانَ كافرًا لم يقُلْ: «دخلَ النارَ في ذُبَابٍ»)

وهذا صحيحٌ، أيْ: أنَّهُ كانَ مسلمًا ثُم كفَرَ بتقريبِه للصنمِ، فكانَ تقريبُهُ هُوَ السببَ في دخولِه للنَّارِ.

ولوْ كانَ كافرًا قبلَ أنْ يُقرِّبَ الذبابَ لكانَ دخولُهُ النارَ لكُفْرِه الأوَّلِ، لا بتقريبِه الذبابَ.

(٢٢) الثانيةَ عشرةَ: (فيهِ شاهدٌ للحديثِ الصحيحِ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِه، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ») والغرضُ منْ هذا الترغيبُ والترهيبُ. فإذا عَلِمَ أنَّ الجنَّةَ أقربُ إليه منْ شِراكِ النعلِ، فإنَّهُ يَنْشَطُ على السَّعْيِ فيقولُ ليْسَتْ بعيدةً.

والنارُ إذا قيلَ لهُ: إنَّها أقربُ منْ شراكِ النعلِ يَخَافُ ويتوقَّى في مشْيِه؛ لِئَلاَّ يَزِلَّ فيَهْلِكَ، ورُبَّ كلمةٍ تُوصِلُ الإنسانَ إلى أعلَى علِّيِّينَ، وكلمةٍ أُخْرَى تُوصِلُهُ إلى أسفلَ سافلينَ.

(٢٣) الثالثةَ عشرةَ: (معرفةُ أنَّ عملَ القلبِ هوَ المقصودُ الأعظمُ حتَّى عندَ عَبَدَةِ الأوثانِ) والحقيقةُ أنَّ هذهِ المسألةَ مَع التاسعةِ فيهما شبْهُ تناقُضٍ؛ لأنَّهُ في هذهِ المسألةِ أحالَ الحُكْمَ على عمَلِ القلبِ، وفي التاسعةِ أحَالَهُ على الظاهرِ، فقالَ: بسببِ ذلكَ الذبابِ الذي لَمْ يقْصِدْهُ بلْ فعَلَهُ تخلُّصًا منْ شرِّهِم.

ومُقتضى ذلكَ أنَّ باطنَهُ سليمٌ، وهنا يقولُ: إنَّ العملَ بعملِ القلبِ، ولا شكَّ أنَّ ما قالهُ المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ حقٌّ بالنسبةِ إلى أنَّ المَدَارَ على القلبِ.

والحقيقةُ **أنَّ العملَ مُرَكَّبٌ على القلبِ**، والناسُ يختلفونَ في أعمالِ القلوبِ أكثرَ مِن اختلافِهم في أعمالِ الأبدانِ، والفرقُ بيْنَهُم قَصْدًا وذُلًّا أعظمُ من الفرقِ بينَ أعمالِهم البدنيَّةِ؛ لأنَّ مِن الناسِ مَنْ يعبدُ اللهَ لكنْ عنْدَهُ مِن الاستكبارِ ما لا يَذِلُّ مَعَهُ ولا يُذْعِنُ لكلِّ حقٍّ.

وبعضُهم يكونُ عنْدَهُ ذلٌّ للحقِّ، لكنْ عندَهُ نقصٌ في القَصْدِ، فتجدُ عنْدَهُ نوعًا مِن الرياءِ مثلاً. فأعمالُ القلبِ وأقوالُهُ لها أهمِّيَّةٌ عظيمةٌ، فعلَى الإنسانِ أنْ يُخْلِصَها للهِ.

وأقوالُ القلبِ هيَ: اعتقادَاتُهُ، كالإيمانِ باللهِ، وملائكتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسلِهِ، واليومِ الآخرِ، والقدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ.

وأعمالُهُ هيَ: تحرُّكَاتُهُ، كالحُبِّ، والخوفِ، والرجاءِ، والتوكُّلِ، والاستعانةِ، وما أشْبَهَ ذلكَ.

والدواءُ لذلكَ: القرآنُ والسُّنَّةُ، والرجوعُ إلى سيرةِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بمعرفةِ أحوَالِهِ وأقوالِهِ، وجهادِهِ ودعوتِهِ، هذا مِمَّا يُعِينُ على جهادِ القلبِ.

ومِنْ أسبابِ صلاحِ القلبِ أنْ لا تُشْغِلَ قلْبَكَ بالدُّنْيَا.

E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٣٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الثاني عشر

(١) هذا الانتقالُ مِن المؤلِّفِ مِنْ أحسنِ ما يكون؛ ففي البابِ السابقِ **ذَكَرَ الذَّبْحَ لغيرِ اللهِ، فنفسُ الفعلِ لغيرِ اللهِ.**

وفي هذا البابِ ذكَرَ الذَّبحَ للهِ، ولكنَّهُ في مكانٍ يُذْبَحُ فيه لغيرِه، كمَنْ يُريدُ أنْ يُضَحِّيَ للهِ في مكانٍ يُذبَحُ فيه للأصنامِ، فلا يجوزُ أنْ تُذْبَحَ فيه؛ لأنَّهُ مُوافَقَةٌ للمشركينَ في ظاهرِ الحالِ، ورُبَّما أنَّ الشيطانَ أدخَلَ في قلْبِكَ نيَّةً سيِّئةً، فيكونُ اعتقادُكَ أنَّ الذبحَ في هذا المكانِ أفضلُ، وما أشبهَ ذلكَ، وهذا خطرٌ.

(٢) قولُهُ: **{لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا} ضميرُ الغَيْبَةِ يعودُ إلى مسجدِ الضِّرَارِ**؛ حيثُ بُنِيَ على نيَّةٍ فاسدةٍ، قالَ تعالى: **{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}**.

فالْغَرَضُ مِن اتِّخَاذِ هذا المسجدِ:

- **مُضَارَّةُ مسجدِ قُبَاء**؛ ولهذا يُسمَّى مسجدَ الضِّرارِ.
- **والكفرُ باللهِ**؛ لأنَّهُ يُقَرَّرُ فيه الكفرُ والعياذُ باللهِ؛ لأنَّ الذينَ اتَّخذُوهُ هُم المنافقونَ.
- **والتفريقُ بينَ المؤمنينَ**؛ فبَدَلاً مِنْ أنْ يُصَلِّيَ في مسجدِ قُبَاءٍ صَفٌّ أوْ صَفَّانِ، يُصَلِّي فيه نصفُ صفٍّ، والباقونَ في المسجدِ الآخرِ، والشَّرعُ لهُ نظَرٌ في اجتماعِ المؤمنينَ.
- **والإرصادُ لِمَنْ حاربَ اللهَ ورسولَهُ.**

ووجهُ المُنَاسَبةِ مِن الآيَةِ: أنَّهُ لَمَّا كانَ مسجدُ الضِّرَارِ مِمَّا اتُّخذَ للمَعَاصي ضِرارًا وكُفرًا وتفريقًا بينَ المؤمنينَ؛ نَهى اللهُ رَسُولَهُ أنْ يقومَ فيه، معَ أنَّ صلاتَهُ فيه للهِ، فدلَّ على أنَّ كلَّ مكانٍ يُعصى اللهُ فيه أنَّهُ لا يُقامُ فيه.

فهذا المسجدُ مُتَّخَذٌ للصلاةِ لكنَّهُ محلُّ معصيةٍ فلا تُقامُ فيه الصلاةُ.

وكذا لوْ أرادَ إنسانٌ أنْ يَذْبَحَ في مكانٍ يُذْبَحُ فيه لغيرِ اللهِ كانَ حرامًا؛ لأنَّهُ يُشْبِهُ الصلاةَ في مسجدِ الضِّرَارِ.

وقريبٌ مِنْ ذلكَ النهيُ عن الصلاةِ عندَ طلوعِ الشمسِ وعندَ غُروبِها؛ لأنَّهما وَقْتَانِ يسْجُدُ فيهما الكُفَّارُ للشمسِ.

فهذا باعتبارِ الزمنِ والوقتِ، والحديثُ الذي ذكَرَهُ المؤلِّفُ باعتبارِ المكانِ.

(٣) قولُهُ: (نَذَرَ) النَّذْرُ **في اللغةِ:** الإلزامُ والعهدُ.

واصطلاحًا: إلزامُ المُكلَّف نفْسَهُ لله شيئًا غيرَ واجب.

وقالَ بعضُهم: **لا نحتاجُ أنْ نُقيِّدَ بغيرِ واجبٍ**، وأنَّهُ إذا نذَرَ الواجبَ صحَّ النذرُ، وصارَ المنذورُ واجبًا مِنْ وجْهَيْنِ؛ مِنْ جهةِ النذرِ، ومِنْ جهةِ الشرعِ.

والنذرُ في الأصلِ مكروهٌ، بلْ إنَّ بعضَ أهلِ العلمِ يميلُ إلى تحْريمِه؛ لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ نَهى عنهُ وقال: «**لا يأْتي بخَيْرٍ، وإنَّما يُسْتَخْرَجُ به منَ البَخيلِ**» ولأنَّهُ إلزامٌ لنفسِ الإنسانِ بما جعلَهُ اللهُ في حلٍّ منهُ، وفي ذلكَ زيادةُ تكليفٍ على نفسه.

ولأنَّ الغالبَ أنَّ الذي يَنْذرُ يَنْدَمُ، وتجِدُهُ يسألُ العلماءَ يمينًا وشمالاً يُريدُ الخلاصَ ممَّا نذَرَ لثقَله ومشقَّته عليه، ولا سيَّما ما يفْعَلُهُ بعضُ العامَّة إذا مَرِضَ أوْ تأخَّرَ لهُ حاجةٌ يُريدُها، تجدُهُ يَنْذرُ كأنَّهُ يقولُ: إنَّ اللهَ لا يُنْعِمُ عليهِ بجَلْبِ خيرٍ أوْ دفْعِ الضَّرَرِ إلاَّ بهذا النذْرِ.

قولُهُ: (**ببُوَانَةَ**) الباءُ بمعنى (في) وهيَ للظرفيَّة، والمعنى: بمكانٍ يُسمَّى بُوَانَةَ.

قولُهُ: «**هلْ كانَ فيها وثَنٌ**» **الوثنُ**: كلُّ ما عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ مِنْ شَجرٍ أوْ حَجَرٍ، سواءٌ نُحتَ أوْ لمْ يُنْحَتْ.

والصَّنمُ: يَختَصُّ بما صنَعَهُ الآدميُّ.

قولُهُ: «**الْجَاهليَّة**» نسبةٌ إلى ما كانَ قبْلَ الرسالة، وسُمِّيَتْ بذلكَ؛ لأنَّهُم كانوا على جَهْلٍ عظيمٍ.

قولُهُ: «**يُعْبَدُ**» صفةٌ لقوْلِه: «**وثَنٌ**» وهوَ بيانٌ للواقعِ؛ لأنَّ الأوثانَ هيَ التي تُعْبَدُ مِنْ دونِ الله.

قولُهُ: (**قَالُوا: لا**) السائلُ واحدٌ، لكنَّهُ لَمَّا كانَ عنْدَهُ ناسٌ أجَابُوا النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، ولا مانعَ أنْ يكونَ المجيبُ غيرَ السائلِ.

قولُهُ: «**عيدٌ**» **الْعيدُ**: اسمٌ لما يعُودُ أوْ يتكرَّرُ، والْعَوْدُ بمعنى الرجوعِ؛ أيْ: هل اعتادَ أهلُ الجاهليَّة أنْ يَأْتُوا إلى هذا المكانِ ويتَّخِذُوا هذا اليومَ عِيدًا وإنْ لَمْ يكُنْ فيه وثنٌ؟

قالُوا: لا.

فسألَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عنْ أمْرَيْنِ: عَن **الشِّركِ، ووسائله**.

- **فالشِّركُ**: «**هلْ كانَ فيها وثَنٌ؟**»

- **ووسائلُهُ**: «**هلْ كانَ فيها عيدٌ منْ أعيادهم؟**»

(٤) قولُهُ: «**أَوْفِ بنَذْرِكَ**» فعْلُ أمْرٍ مبنيٌّ على حذْفِ حرْفِ العلَّة (الياء)، والكسرةُ دليلٌ عليها.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

وهل المرادُ به المعنى الحقيقيُّ، أو المرادُ به الإباحةُ؟

الجوابُ: يُحتَمَلُ أنْ يُرادَ به الإباحةُ، ويُحتَمَلُ أنْ يُرادَ به المعنى الحقيقيُّ.

فَبالنِّسْبَةِ لنَحْرِ الإبلِ المرادُ به المعنى الحقيقيُّ، وبالنسبة للمكان المرادُ به الإباحةُ؛ لأنَّهُ لا يتعَيَّنُ أنْ يذْبَحَها في ذلكَ المكانِ، إذْ إنَّهُ لا يتعَيَّنُ أيُّ مكانٍ في الأرضِ إلاَّ ما تَمَيَّزَ بفَضْلٍ، والمُتَمَيِّزُ بفَضْلٍ المساجدُ الثلاثةُ.

فالأمرُ هنا بالنسبة لنحرِ الإبلِ مِنْ حيثُ هوَ نحرٌ واجبٌ، وبالنسبةِ للمكانِ فالأمرُ للإباحة؛ بدليلِ أنَّهُ سأَلَ هذَيْنِ السؤالَيْنِ، فلوْ أُجيبَ بنعَمْ لقالَ: لا تُوف.

فإذا كانَ المقامُ يَحْتَمِلُ النَّهيَ والترخيصَ، فالأمرُ للإباحة.

وقولُهُ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ» علَّلَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ذلكَ بانتفاءِ المانعِ فقالَ: «فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ».

قولُهُ: «لاَ وَفَاءَ» لا نافيَةٌ للجنسِ، «وَفَاءَ» اسْمُهَا، «لِنَذْرٍ» خبَرُها.

قولُهُ: «فِي مَعْصِيَةِ اللهِ» صفةٌ لنذرٍ؛ أيْ: لا يُمكِنُ أنْ تُوَفِّيَ بِنذرٍ في معصيَةِ اللهِ؛ لأنَّهُ لا يُتَقَرَّبُ إلى اللهِ بمعصيَتِه، وليسَت المعصيَةُ مباحةً حتَّى يُقَالَ: افعَلْهَا.

قال ابن قاسم في (حاشية كتاب التوحيد) ص١٠٥: (**قوله عليه الصلاة والسلام: «أوف بنذرك» دل على أن الوصف سبب الحكم، فيكون سبب الأمر بالوفاء: خلو المكان عن هذين الوصفين، فلو كان في ذلك المكان الذي نذر أن ينحر فيه وثن أو عيد؛ لمنعه ولم يستفصل في نيته، فدل على أنه لا عبرة هنا بالنية، فلما خلا من الموانع أمره أن يوفي بنذره، وذلك في حجة الوداع**)

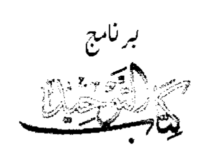
وأقسامُ النَّذْرِ ستة:

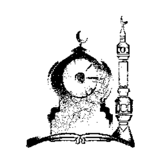
الأوَّلُ: ما يَجِبُ الوفاءُ بهِ، وهوَ نذْرُ الطاعة؛ لقوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ».

الثاني: ما يَحْرُمُ الوفاءُ بهِ، وهوَ نذْرُ المعصيَةِ؛ لقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلاَ يَعْصِهِ» وقولِهِ: «فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ».

الثالثُ: ما يَجْرِي مَجْرَى اليمينِ، وهوَ نذْرُ المُباحِ، فيُخَيَّرُ بينَ فِعْلِهِ وكَفَّارةِ اليمينِ، مثلُ: لوْ نذَرَ أنْ يَلْبَسَ هذا الثوبَ، فإنْ شاءَ لبِسَهُ، وإنْ شاءَ لَمْ يلْبَسْهُ وكفَّرَ كفَّارةَ يمينٍ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠






الرابعُ: نَذْرُ اللِّجَاجِ والغضب.

وسُمِّيَ **بهذا الاسم**؛ لأنَّ اللِّجَاجَ والغضبَ يَحْمِلان عليه غالبًا، وليسَ بلازمٍ أنْ يكونَ هناكَ لجَاجٌ وغضَبٌ، وهوَ الذي يُقْصَدُ به معنى اليمين؛ الحثُّ أو المنعُ أو التصديقُ أو التكذيبُ.

مثلُ لوْ قالَ: حصَلَ اليومَ كذا وكذا.

فقالَ الآخرُ: لَمْ يحْصُلْ.

فقالَ: **وإنْ كانَ حاصلاً فَعَلَيَّ للهِ نَذْرٌ أنْ أصومَ سنةً**، فالغرضُ منْ هذا النذْرِ التكذيبُ.

فإذا تبيَّنَ أنَّهُ حاصلٌ فالنَّاذرُ مُخَيَّرٌ بينَ أنْ يصومَ سنةً، وبينَ أنْ يُكفِّرَ كفَّارةَ يمينٍ؛ لأنَّهُ إنْ صامَ فقدْ وَفَّى بنذْرِه، وإنْ لَمْ يصُمْ حَنَثَ، والحانثُ في اليمينِ يُكفِّرُ كفَّارةَ يمينٍ.

الخامسُ: نذْرُ المكْرُوه، فيُكْرَهُ الوفاءُ به وعليه كفَّارةُ يمينٍ.

السادسُ: النذرُ المُطْلَقُ، وهوَ الذي ذُكِرَ فيه صيغةُ النَّذْرِ، مثلُ أنْ يقولَ: للهِ عَلَيَّ نَذْرٌ.

فهذا كفَّارَتُهُ كفَّارةُ يمينٍ، كما قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «**كَفَّارَةُ النَّذْرِ إِذَا لَمْ يُسَمَّ كَفَّارَةُ يَمِينٍ**».

مسألةٌ: هلْ يَنْعَقِدُ نذْرُ المعصيَة؟

الجوابُ: نَعَمْ ينْعَقِدُ؛ ولهذا قالَ الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِه**» ولوْ قالَ: مَنْ نَذَرَ أنْ يعصيَ اللهَ فلا نَذْرَ لهُ، لكانَ لا ينْعَقِدُ.

ففي قولِه: «**فَلَا يَعْصِه**» دليلٌ على أنَّهُ يَنْعَقِدُ، لَكِنْ لا يُنَفَّذُ.

وإذا انْعَقَدَ هلْ تلْزَمُهُ كفَّارةٌ أوْ لا؟

اختلفَ في ذلكَ أهلُ العلمِ، وفيها روايتانِ عنِ الإمامِ **أحمدَ**.

فقالَ بعضُ العلماءِ: إنَّهُ لا تَلْزَمُهُ الكفَّارةُ، واستدَلُّوا بقولِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ**» وبقولِه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِه**» ولَمْ يذكُرِ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ كفَّارةً، ولوْ كانَتْ واجبةً لذَكَرَها.

القولُ الثاني: تجبُ الكفَّارةُ، وهوَ المشهورُ منَ المذهبِ؛ لأنَّ الرسولَ ذَكَرَ في حديثٍ آخرَ غيرِ الحديثَيْنِ أنَّ كفَّارَتَهُ كفَّارةُ يمينٍ، وكوْنُ الأمرِ لا يُذْكَرُ في حديثٍ لا يقْتَضِي عدَمَهُ، فعدَمُ الذِّكرِ ليْسَ ذكرًا للعدمِ.

نَعَمْ لوْ قالَ الرسولُ: **لا كفَّارةَ**، صارَ في الحديثَيْنِ تعارضٌ، وحينئذ نطْلُبُ الترجيحَ، لكنَّ الرسولَ لَمْ يَنْفِ

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

الكفَّارةَ بلْ سَكَتَ، والسُّكوتُ لا يُنافي المنطوقَ.

فالسكوتُ وعدَمُ الذِّكْرِ يكونُ اعتمادًا على ما تقدَّمَ، فإنْ كانَ الرسولُ قالَهُ قَبلَ أنْ يَنْهَى هذا الرجلَ فاعتمادًا عليه لَمْ يقُلْهُ؛ لأنَّهُ ليسَ بلازمٍ أنَّ كُلَّ مسألةٍ فيها قيْدٌ أوْ تخصيصٌ يذْكُرُها الرسولُ عندَ كلِّ عُمُومٍ، فلوْ كانَ يلْزَمُ هذا لكثر المنقول من السُّنَّةُ، لكنَّ الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ إذا ذَكَرَ حديثًا عامًّا ولهُ ما يُخَصِّصُهُ حُملَ عليه، وإذا سكتَ عَن شيءٍ وقدْ نَطَقَ به في مكانٍ آخرَ حُملَ عليه.

وأيضًا مِنْ حيثُ القياسُ، لوْ أنَّ الإنسانَ أقسَمَ ليفعلَنَّ مُحرَّمًا وقالَ: واللهِ لأفعَلَنَّ هذا الشيءَ، وهوَ مُحَرَّمٌ فلا يفْعَلْهُ، ويُكَفِّرُ كفَّارةَ يمينٍ، معَ أنَّهُ أقْسَمَ على فِعْلٍ مُحرَّمٍ، والنَّذْرُ شبيهٌ بالقسَمِ، وعلى هذا فكفَّارَتُهُ كفَّارةُ يمينٍ، **وهذا القولُ أصَحُّ**.

قولُهُ: «**وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ**» الّذي لا يملكُهُ ابنُ آدمَ **يحتملُ معْنَيَيْنِ**:

الأوَّلُ: ما لا يملكُ فعْلَهُ شرعًا، كما لوْ قالَ: للهِ عَلَيَّ أنْ أعتقَ عبدَ فُلانٍ، فلا يصحُّ؛ لأنَّهُ لا يملكُ إعتاقَهُ.

الثاني: ما لا يملكُ فعْلَهُ مُقدَّرًا، كما لوْ قالَ: للهِ عَلَيَّ نذرٌ أنْ أطيرَ بيدَيَّ، فهذا لا يصحُّ؛ لأنَّهُ لا يملكُهُ. والفقهاءُ رحِمَهُم اللهُ يُمَثِّلونَ بمثلِ هذا المستحيلِ.

ويُستفادُ مِن الحديثِ: أنَّهُ لا يُذْبَحُ بمكانٍ يُذْبَحُ فيهِ لغيرِ اللهِ، وهوَ ما ساقَهُ المُؤلِّفُ منْ أجلِهِ، **والحكمةُ مِنْ ذلكَ ثلاثةُ أمورٍ**:

الأوَّلُ: أنَّهُ يُؤدِّي إلى التشبُّهِ بالكُفَّارِ.

الثاني: أنَّهُ يُؤدِّي إلى الاغترارِ بهذا الفعلِ؛ لأنَّ مَنْ رَآكَ تَذْبَحُ بمكانٍ يَذْبَحُ فيهِ المشركونَ ظنَّ أنَّ فِعْلَ المشركينَ جائزٌ.

الثالثُ: أنَّ هؤلاءِ المشركينَ سوفَ يَقْوَوْنَ على فعْلِهِم إذا رَأَوْا مَنْ يفعلُ مثلَهم.

ولا شكَّ أنَّ تقويَةَ المشركينَ مِن الأمورِ المحظورةِ، وإغاظَتَهُم من الأعمالِ الصالحةِ، قالَ اللهُ تعالى: **{وَلاَ يَطَأُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ}**.

(٥) فيهِ مسائلُ:

الأولى: (تفسيرُ قوْلِه: **{لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا}**) وقدْ سبَقَ ذلكَ في أوَّلِ البابِ.

(٦) **الثانيةُ**: (**أنَّ المعصيَةَ قدْ تُؤثِّرُ في الأرضِ، وكذلكَ الطاعةُ**) أيْ: لَمَّا كانَتْ هذهِ الأرضُ مكانَ شرْكٍ

حُرِّمَ أنْ يَعْمَلَ الإنسانُ ما يُشْبِهُ الشِّركَ فيها لُمشَابَهةِ المشركينَ.

أمَّا بالنسبةِ للصلاةِ في الكنيسة، فإنَّ الصلاةَ تُخَالفُ صلاةَ أهلِ الكنيسة، فلا يكونُ الإنسانُ مُتَشَبِّهًا بهذا العملِ، بخلافِ الذَّبْحِ في مكانٍ يُذْبَحُ فيه لغيرِ اللهِ؛ فإنَّ الفعلَ واحدٌ بنوعِه وجنْسِه. ولهذا لوْ أرادَ إنسانٌ أنْ يُصَلِّيَ في مكانٍ يُذبحُ فيه لغيرِ اللهِ لجازَ ذلكَ؛ لأنَّهُ ليسَ مِنْ نوعِ العبادةِ التي يفْعَلُها المشركونَ في هذا المكانِ.

وكذا الطاعةُ تُؤَثِّرُ في الأرضِ؛ ولهذا فإنَّ المساجدَ أفضلُ من الأسواقِ، والقديمُ منها أفضلُ من الجديدِ.

(٧) الثالثةُ: (ردُّ المسألةِ المُشْكلَةِ إلى المسألةِ الْبَيِّنَةِ ليَزُولَ الإشْكَالُ) فالمَنْعُ مِن الذَّبحِ في هذا المكانِ أمرٌ مُشْكِلٌ، لكنَّ الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بيَّنَ ذلكَ بالاستفصالِ.

(٨) الرابعةُ: (استِفْصَالُ الْمُفْتِي إذا احتاجَ إلى ذلكَ) لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ استَفْصَلَ، **لكنْ هلْ يجبُ الاستفصالُ على كلِّ حالٍ، أوْ إذا وُجدَ الاحتمالُ؟**

الجوابُ: لا يَجبُ إلاَّ إذا وُجدَ الاحتمالُ؛ لأنَّنا لو استفْصَلْنا في كلِّ مسألةٍ لطالَ الأمرُ.

فمثلاً: لوْ حصَلَ سُؤَالٌ عنْ مسألةٍ في البيعِ، ثمَّ استفْصَلْنا عن الثمنِ هلْ هوَ معلومٌ، وعن المُثَمَّنِ هلْ هوَ معلومٌ، وهلْ وقعَ البيعُ مُعَلَّقًا أوْ غيرَ مُعَلَّقٍ، لطالَ الأمرُ.

أمَّا إذا وُجدَ الاحتمالُ فيجبُ الاستفصالُ، مثلُ: أنْ يَسْأَلَ عنْ رجُلٍ ماتَ عنْ بِنْتٍ، وأخٍ، وعمٍّ شقيقٍ، فيجبُ الاستفصالُ عن الأخِ هلْ هوَ شقيقٌ أوْ لأمٍّ؟

فإنْ كانَ لأُمٍّ سقَطَ، وأخذَ الباقيَ العمُّ، وإلاَّ سقَطَ العمُّ وأخذَ الباقيَ الأخُ.

(٩) الخامسةُ: (أنَّ تخصيصَ البُقْعَةِ بالنَّذْرِ لا بأسَ بهِ إذا خلا من الموانعِ) لقولِه: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ**».

وسواءٌ كانتْ هذهِ الموانعُ واقعةً أوْ مُتَوَقَّعَةً.

فالواقعةُ: أنْ يكونَ فيها وثَنٌ أوْ عيدٌ مِنْ أعيادِ الجاهليَّةِ.

والمُتَوَقَّعَةُ: أنْ يُخْشَى مِن الذَّبحِ في هذا المكانِ تعْظيمُهُ؛ فإذا خُشيَ كانَ ممنوعًا، مثلُ: (لوْ أرادَ أنْ يَذْبَحَ عندَ جبلٍ) فالأصلُ أنَّهُ جائزٌ، لكنْ لوْ خُشيَ أنَّ العوامَّ يعتقدونَ أنَّ في هذا المكانِ مزيَّةً، كانَ **ممنوعًا**.

(١٠) السادسةُ: (المنعُ منهُ إذا كانَ فيه وَثَنٌ مِنْ أوثانِ الجاهليَّةِ ولوْ بعدَ زوالِه) لقولِه: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**» لأنَّ «كَانَ» فعلٌ ماضٍ، والمحظورُ بعدَ زوالِ الوثنِ باقٍ؛ لأنَّهُ رُبَّمَا يُعادُ.

(١١) السابعةُ: (المنعُ منهُ إذا كانَ فيهَا عيدٌ مِنْ أعيادِهم ولوْ بعدَ زوالِه) لقولِه: «**فَهَلْ كَانَ فِيها عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**».

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

(١٢) **الثامنة:** (**أنَّهُ لا يجوزُ الوفاءُ بما نذَرَ في تلكَ البقعةِ؛ لأنَّهُ نذْرُ معصيةٍ**) لقولِهِ: «**فإنَّهُ لا وَفَاءَ لنَذْرٍ في مَعْصيَةِ اللهِ**».

(١٣) **التاسعة:** (**الحذَرُ منْ مشابهةِ المشركينَ في أعيادِهم ولوْ لَمْ يقْصِدْهُ**) وقدْ نصَّ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْميَّةَ على أنَّ حصولَ التَّشبُّهِ لا يُشترطُ فيهِ القصدُ، فإنَّهُ يُمنعُ منهُ ولوْ لمْ يقْصِدْهُ، لكنْ معَ القصدِ يكونُ أشدَّ إثمًا؛ ولهذا قالَ شيخُ الإسلامِ **مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ**: (**ولوْ لمْ يقْصِدْهُ**).

(١٤) **العاشرةُ:** (**لا نَذْرَ في معصيَةِ اللهِ**) هكذا قالَ المؤلِّفُ، ولفظُ الحديثِ المذكورِ: «**لاَ وَفَاءَ لنَذْرٍ**» وبيْنَهُما فرقٌ، فإذا كانت العبارةُ (**لا نَذْرَ في معصيَةٍ**) فالمعنى أنَّ النذْرَ لا ينْعَقدُ، وإذا كانَ (**لاَ وَفَاءَ**) فالمعنى أنَّ النذرَ يَنْعَقدُ لكنْ لا يُوَفَّى، وقدْ وردَت السُّنَّةُ بهذا وبهذا.

لكن (لا نَذْرَ) يُحْمَلُ على أنَّ المرادَ لا وفاءَ لنذرٍ؛ لقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ في الحديثِ الصحيحِ: «**وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلاَ يَعْصِه**».

(١٥) **الحاديَةَ عَشْرَةَ:** (**لا نذْرَ لابنِ آدمَ فيما لا يمْلِكُ**) يُقَالُ فيهِ ما قيلَ في (**لا نَذْرَ في معصيَةٍ**). والمعنى: لا وفاءَ لنذرٍ فيما لا يملِكُ ابنُ آدمَ، ويشملُ ما لا يمْلِكُهُ شرعًا، وما لا يَملكُهُ قدرًا.

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الثالث عشر

(١) (**النَّذْرُ لغيرِ اللهِ**) مِثْلُ أنْ يقولَ: لفلانٍ عَلَيَّ نَذْرٌ، أوْ لهذا القبرِ عَلَيَّ نذرٌ، أوْ لجبريلَ عَلَيَّ نذرٌ، وما أشبهَ ذلكَ.

والفرقُ بينَهُ وبينَ نذرِ المعصيَةِ: أنَّ النذرَ لغيرِ اللهِ ليسَ للهِ أصلاً، ونذرُ المعصيَةِ للهِ ولكنَّهُ على معصيَةٍ منْ معاصيهِ، مِثْلُ أنْ يقولَ: للهِ عَلَيَّ نذرٌ أنْ أفعلَ كذا وكذا منْ معاصي اللهِ، فيكونُ النذرُ للهِ والمنذورُ معصيَةً.

ونظيرُ هذا الحَلفُ باللهِ على شيءٍ مُحَرَّمٍ، والحَلفُ بغيرِ اللهِ، فالحَلفُ بغيرِ اللهِ مِثْلُ: (والنَّبيِّ لأفعلنَّ كذا وكذا) نظيرُهُ النذْرُ لغيرِ اللهِ.

والحَلفُ باللهِ على مُحَرَّمٍ مِثْلُ: واللهِ لأسْرِقَنَّ، نظيرُ نذْرِ المعصيَةِ.

وحُكمُ النذْرِ لغيرِ اللهِ شرْكٌ؛ لأنَّهُ عبادةٌ للمنذورِ لهُ، وإذا كانَ عبادةً فقدْ صرَفَها لغيرِ اللهِ، فيكونُ مُشْرِكًا.

وهذا النَّذْرُ لغيرِ اللهِ لا يَنْعقدُ إطلاقًا، ولا تَجبُ فيهِ كفَّارةٌ، بَلْ شرْكٌ تَجبُ التوبةُ منهُ، كالحَلْفِ بغيرِ اللهِ فلاَ يَنْعَقدُ، ولَيْسَ فيه كفَّارةٌ.

وأمَّا نذرُ المعصيَةِ فيَنْعقدُ، لكنْ لا يجوزُ الوفاءُ بهِ، وعليهِ كفَّارةُ يمينٍ، كالحلفِ باللهِ على المُحَرَّمِ يَنْعقدُ وفيهِ كفَّارةٌ.

(٢) قولُهُ: {**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ**} هذهِ الآيَةُ سيقَتْ لِمَدْحِ الأبْرارِ {**إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا**} ومدْحُهم بهذا يَقْتَضِي أنْ يكونَ عبادةً؛ لأنَّ الإنسانَ لا يُمْدَحُ ولا يَسْتحقُّ دُخُولَ الجنَّةِ إلاَّ بفعلِ شيءٍ يكونُ عبادةً.

ولوْ أعقبَ المؤلِّفُ هذهِ الآيَةَ بقولِه تعالى: {**وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ**} لكانَ أوْضَحَ؛ لأنَّ قولَهُ: {**وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ**} أَمْرٌ، والأمرُ بِوَفَائِه يَدُلُّ على أنَّهُ عبادةٌ؛ لأنَّ العبادةَ ما أُمِرَ به شرعًا.

ووجهُ استدلالِ المؤلِّفِ بالآيَةِ على أنَّ النَّذرَ لغيرِ اللهِ مِن الشركِ: أنَّ اللهَ تعالَى أَثْنَى عَلَيْهِم بذلكَ، وجَعَلَهُ مِن الأسبابِ التي بها يَدْخُلُونَ الجنَّةَ، ولا يكونُ سببًا يَدْخُلونَ بهِ الجنَّةَ إلاَّ وهوَ عبادةٌ، فيَقْتَضِي أنَّ صَرْفَهُ لغيرِ اللهِ شرْكٌ.

(٣) قولُهُ: {**وَمَا أَنفَقْتُمْ**}، {**ما**} شَرْطيَّةٌ، و{**أَنفَقْتُم**} فعلُ الشرْطِ، وجوابُهُ: {**فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ**}.

قولُهُ: {**مِنْ نَفَقَةٍ**} بيانٌ لـ{**مَا**} في قولِه: {**مَا أَنْفَقْتُمْ**}.

والنَّفَقَةُ: بَذْلُ المالِ، وقدْ يكونُ في الخيرِ، وقدْ يكونُ في غيرِه.

قولُهُ: {أَوْ نَذَرْتُمْ} مَعْطوفٌ على قولِهِ: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ}.

قولُهُ: {فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ} تعليقُ الشيءِ بعِلْمِ اللهِ دليلٌ على أنَّهُ مَحَلُّ جزاءٍ؛ إذْ لا نَعْلَمُ فائدةً لهذا الإخبارِ بالعلْمِ إلاَّ لترَتُّبِ الجزاءِ عليه.

وتَرَتُّبُ الجزاءِ عليهِ يَدُلُّ عَلَى أنَّهُ مِن العبادةِ التي يُجازَى الإنسانُ عليها، وهذا وجهُ استدلالِ المُؤَلِّفِ بهذهِ الآيَةِ.

(٤) قولُهُ: «مَنْ نَذَرَ» جُمْلَةٌ شرْطيَّةٌ تُفيدُ العُمومَ.

وهلْ يَشْمَلُ الصغيرَ؟

قال بعضُ العلماءِ: تَشْمَلُهُ، فيَنْعقِدُ النَّذرُ منهُ.

وقيلَ: **لا تَشْمَلُهُ**؛ لأنَّ الصغيرَ ليسَ أهْلاً للإلزامِ ولا للالتزامِ. وبناءً على هذا يكونُ خُرُوجُ الصغيرِ مِنْ هذا العُمومِ؛ لأنَّهُ ليسَ أهلاً للإلْزامِ ولا للالْتِزامِ.

قولُهُ: «**أَنْ يُطِيعَ اللهَ**» **الطاعَةُ**: هيَ مُوافَقَةُ الأمرِ؛ أيْ: أنْ تُوافِقَ اللهَ فيما يُريدُ منْكَ. إنْ أَمَرَكَ فالطَّاعةُ فِعْلُ المأمورِ به، وإنْ نَهاكَ فالطاعةُ تَرْكُ المَنْهيِّ عنهُ، هذا معنَى الطاعَةِ إذا جاءَتْ مُفْرَدَةً.

أمَّا إذا قِيلَ: طَاعَةٌ ومَعْصيَةٌ، فالطَّاعَةُ لفِعْلِ الأوامرِ، والمَعْصيَةُ لفعْلِ النَّواهي.

قولُهُ: «**فَلْيُطِعْهُ**» الفاءُ واقعةٌ في جوابِ الشرْطِ؛ لأنَّ الجُمْلَةَ إنْشائيَّةٌ طلبيَّةٌ، واللامُ لامُ الأمرِ.

وظاهرُ الحديثِ: يَشْمَلُ ما إذا كانَت الطاعَةُ المَنْذُورَةُ جنسُها واجبٌ؛ كالصَّلاَةِ والحَجِّ وغيرِهما، أوْ غيْرُ واجبٍ؛ كتَعْليمِ العلْمِ وغَيْرِه.

وقالَ بَعْضُ أهلِ العلْمِ: لاَ يَجبُ الوفاءُ بالنَّذْرِ إلاَّ إذا كانَ جنْسُ الطاعة واجبًا، وعُمُومُ الحديث يَرُدُّ عليهم.

وظاهرُ الحَديث: أيضًا يَشْمَلُ مَنْ نَذَرَ نذرًا مُطْلَقًا لَيْسَ لَهُ سَبَبٌ، مِثْلُ: (للهِ عَلَيَّ أنْ أَصُومَ ثلاثَةَ أيَّامٍ) **ومَنْ نَذرَ نَذْرًا مُعَلَّقًا**، مثلُ: (إنْ نَجَحْتُ فَللَّه عَلَيَّ أنْ أصُومَ ثلاثَةَ أيَّامٍ).

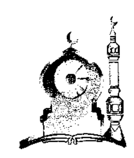
ومَنْ فرَّقَ بينَهُما فلَيْسَ بجَيِّدٍ؛ لأنَّ الحديثَ عامٌّ.

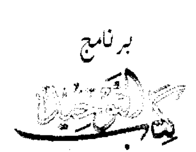
واعْلَمْ أنَّ النذرَ لا يأتي بخيرٍ ولوْ كانَ نَذْرَ طاعة، وإنَّما يُسْتخرَجُ به من البخيلِ؛ ولهذا نَهَى عنهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وبعضُ العلماءِ يُحرِّمُهُ، وإليهِ يَميلُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْميَّةَ أنَّ عَقْدَ النَّذْرِ حَرَامٌ؛ لأنَّكَ تُلزِمُ نَفْسَكَ بأمْرٍ أنْتَ في عافيَةٍ منهُ. وكَمْ مِنْ إنْسانٍ نَذَرَ وأخيرًا نَدَمَ وربَّما لَمْ يَفْعَلْ.

ويَدُلُّ لقُوَّةِ القولِ بتَحْريمِ النذْرِ قولُهُ تعالَى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ} **التزامٌ مُؤكَّدٌ بالقَسَمِ**، قالَ اللهُ تعالى: {قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ} أيْ: بِدُونِ يَمينٍ، والإنسانُ الذي لا

المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com







يَفْعَلُ الطاعةَ إلاّ بنذْرٍ وحَلِفٍ عَلَى نَفْسه، معناهُ: أنَّ الطاعةَ ثقيلةٌ عليه.

- والنَّذْرُ المُعَلَّقُ مثلُ قولِه تعالَى: {وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ}.

هذا نَذْرٌ مُعَلَّقٌ على عطاءِ الله: {فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} وهذا أَمْرٌ عَظيمٌ.

وممَّا يَدُلُّ على القوْلِ بالتحْرِيمِ أيضًا، خُصُوصًا النذرَ المُعَلَّقَ: أنَّ الناذرَ كأنَّهُ غيرُ واثقٍ باللهِ عزَّ وجلَّ، فكأنَّهُ يَعْتَقِدُ أنَّ اللهَ لا يُعْطِيه الشِّفاءَ إلاَّ إذا أَعْطَى مُقابِلَهُ؛ ولهذَا إذَا أَيِسُوا من الْبُرْءِ ذَهَبُوا يَنْذُرونَ. وفي هذا سُوءُ ظَنٍّ باللهِ عزَّ وجلَّ.

والقولُ بالتحريمِ قَوْلٌ وَجيهٌ.

فإنْ قيلَ: كيفَ تُحرِّمونَ ما أَثْنَى اللهُ عَلَى مَنْ وَفَّى بِه؟

فالجوابُ: إنَّنا لا نقولُ: إنَّ الوفاءَ هوَ المحرَّمُ، حتَّى يُقالَ: إنَّنا هَدَمْنا النصَّ، إنَّما نقولُ: المُحَرَّمُ أو المكروهُ كَرَاهةً شَديدةً هوَ عَقْدُ النذْرِ.

وفرْقٌ بينَ عقْدِه ووفائِه، فَالعَقْدُ ابْتدائِيٌّ، وَالْوَفَاءُ تنفيذٌ لِمَا نَذَرَ.

قولُهُ: «**وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلاَ يَعْصِه**» (لا): ناهيَةٌ، والنهيُ بِحَسَبِ المَعْصِيَةِ، فإنْ كانَتِ المَعْصِيَةُ حَرامًا، فالوفاءُ بالنذرِ حرامٌ.

وإنْ كانَتِ المعصيَةُ مكروهةً، فالوفاءُ بالنَّذرِ مكْروهٌ؛ لأنَّ المَعْصِيَةَ الوقوعُ فيما نُهِيَ عنهُ، والمنهيُّ عنهُ يَنْقَسِمُ عندَ أهلِ العلْمِ إلى قِسْمَيْنِ:

- منهيٌّ عنهُ نَهْيَ تحريمٍ.
- ومَنْهِيٌّ عنهُ نَهْيَ تَنْزِيه.

لكن في جعل المكروه المنهي عنه نهي تنزيه معصيةً نظر، فالمعصية شرعاً تختص بالمحرم

(٥) فيه مسائلُ:

الأولى: (وُجُوبُ الوفاءِ بالنذرِ) ويَعْنِي نذْرَ الطاعةِ فقطْ؛ لقولِه: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ**» ولقولِ المُؤلِّفِ في المَسْأَلَةِ: إنَّ نَذْرَ المَعْصِيَةِ لا يَجُوزُ الوفاءُ به.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

(٦) **الثانيةُ: (إذا ثَبتَ كَوْنُهُ عبادةً للهِ، فصَرْفُهُ إلى غيرِ اللهِ شرْكٌ)** وهذه قاعدةٌ في توحيدِ العبادة، فأيُّ فعْلٍ كانَ عبادةً فَصَرْفُهُ لغيرِ اللهِ شرْكٌ.

(٧) **الثالثةُ: (أنَّ نذرَ المَعْصِيَةِ لا يَجُوزُ الوفاءُ بهِ)** لقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فلا يَعْصِه**».

***

بابٌ من الشركِ الاستعاذةُ بغيرِ اللهِ

(٨) قولُهُ: **(من الشِّرك) (من): للتَّبْعيض.**

وهذِهِ الترجمةُ لَيْسَتْ عَلَى إطْلَاقِها؛ لأنَّهُ إذا استعاذَ بشَخْصٍ مِمَّا يَقْدرُ عليه؛ فإنَّهُ جائزٌ كالاسْتعانَة.

(٩) قولُهُ تعالى: **{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ}** الواوُ: حرْفُ عطف، و(**أنَّ**) فُتحَتْ هَمْزَتُها بسَبَبِ عَطْفِها على قولِهِ: **{أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ}** فيُؤَوَّلُ بمصْدَرٍ؛ أيْ: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ استماعُ نفرٍ وكونُ رِجالٍ مِن الإنسِ يَعُوذونَ برجالٍ من الجنِّ.

قولُهُ: **{مِنَ الإِنْسِ}** صفةٌ لـ**{رِجَالٌ}** لأنَّ **{رِجَالٌ}** نكرَةٌ، وما بعدَ النَّكرةِ صفةٌ لَهَا.

قولُهُ: **{يَعُوذُونَ}** الجملةُ خبرُ كانَ، ويُقَالُ: عاذَ به ولاذَ به، فالعياذُ مِمَّا يُخَافُ، واللِّياذُ فيما يُؤَمَّلُ.

قولُهُ: **{يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ}** أيْ: يَلْتجِئونَ إليهم مِمَّا يُحاذِرُونَهُ يَظُنُّونَ أنَّهم يُعيذُونَهم، ولكنْ زَادُوهم رَهَقًا؛ أيْ: خوفًا وذُعْرًا.

وكانت العربُ في الجاهليَّةِ إذا نَزَلُوا في وادٍ نَادَوْا بأعْلَى أصْواتِهم: **أَعُوذُ بسيِّدِ هذا الوادِي مِنْ سُفَهَاءِ قَوْمِه.**

قولُهُ: **{رَهَقًا}** **أشدُّ مِنْ مُجَرَّدِ الذُّعْرِ والخَوْف**، فكأنَّهم معَ ذُعْرِهم وخَوْفِهم أرْهَقَهم وأضْعَفَهم شَيْءٌ؛ فالذعرُ والخوفُ **في القلوب**، والرَّهَقُ **في الأبْدَان.**

وهذه الآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أنَّ الاسْتعاذَةَ بالجنِّ حرامٌ؛ لأنَّها لا تُفيدُ المُسْتعيذَ بلْ تَزيدُهُ رَهَقًا، فَعُوقِبَ بنَقيضِ قَصْدِه، وهذا ظاهرٌ. فتكونُ الواوُ ضميرَ الجنِّ والهاءُ ضَميرَ الإنْسِ.

وقيلَ: إنَّ الإنسَ زادُوا الجنَّ رَهَقًا؛ أي: اسْتكْبارًا وعُتُوًّا.

ولكنَّ الصحيحَ أنَّ الفاعلَ الجنُّ كما سبقَ.

ووجهُ الاستشهادِ بالآيَةِ: ذمُّ المُستَعيذينَ بغيرِ اللهِ.

والمُستَعيذُ بالشَّيْءِ لاَ شكَّ أنَّهُ قدْ علَّقَ رجاءَهُ بهِ، واعتَمدَ عليهِ. وهذا نوعٌ من الشرْكِ.

(١٠) وقولُهُ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً**» يَشْمَلُ مَنْ نَزَلَهُ عَلَى سَبِيلِ الإقامَةِ الدَّائمةِ أو الطارِئةِ؛ بدَليلِ أنَّهُ نَكرَةٌ في سِياقِ الشرْطِ، والنَّكرَةُ في سياقِ الشرْطِ تُفيدُ العُمُومَ.

وقولُهُ: «**أَعُوذُ**» بمعْنَى: أَلْتَجِئُ وأَعْتَصِمُ.

قولُهُ: «**كَلِمَاتِ**» المرادُ بالكلماتِ هنا: الكلماتُ الكونيَّةُ والشرعيَّةُ.

قولُهُ: «**التَّامَّاتِ**» **تمامُ الكلامِ بأمرَيْنِ:**

أحدهما: الصدقُ في الأخبارِ.

والآخر: العدلُ في الأحكامِ، قالَ اللهُ تعالَى: {**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً**}.

قولُهُ: «**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**» أيْ: منْ شرِّ الذي خلَقَ؛ لأنَّ اللهَ خَلَقَ كلَّ شَيْءٍ؛ الخيرَ والشرَّ، ولكنَّ الشرَّ لا يُنْسَبُ إليهِ؛ لأنَّهُ خَلَقَ الشرَّ لحِكْمَةٍ، فعَادَ بهذه الحكْمَةِ خَيْرًا، فكانَ خيرًا.

وعلى هذا نَقُولُ: الشرُّ ليسَ في فِعْلِ اللهِ، بلْ في مَفْعُولاَتِهِ؛ أيْ: مَخْلُوقاتِهِ.

وعَلَى هذا تكونُ «مَا» مَوْصولَةً لاَ غيرُ، أيْ منْ شرِّ الذي خلَقَ، لأنَّكَ لوْ أوَّلْتَها إلى المَصْدَرِيَّةِ وقُلْتَ: **مِنْ شرِّ خَلْقِكَ**، لكانَ الخلْقُ هنا مصدرًا يَجوزُ أنْ يُرادَ به الفعلُ، ويجوزُ أيضًا المفعولُ، لكنْ لوْ جَعَلْتَها اسْمًا مَوْصولاً تعيَّنَ أنْ يكونَ المرادُ بها المفعولُ وهوَ المخلوقُ.

وليسَ **كُلُّ ما خلَقَ اللهُ فيهِ شرٌّ**، لكنْ تَسْتَعيذُ منْ شرِّهِ إنْ كانَ فيهِ شرٌّ؛ لأنَّ مخلوقاتِ اللهِ **تَنْقَسِمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:**

الأول: شرٌّ محضٌ، كالنَّارِ وإبليسَ باعتبارِ ذاتَيْهِما.

أمَّا باعتبارِ الحكمةِ التي خَلَقَهُما اللهُ منْ أجْلِها فهي خيرٌ.

الثاني: خيرٌ محضٌ، كالجنَّةِ، والرُّسلِ، والملائكةِ.

الثالث: فيهِ شرٌّ وخيرٌ، كالإنْسِ والجنِّ والحيوانِ.

وأنْتَ إنَّما تَسْتَعيذُ منْ شرِّ ما فيهِ شرٌّ.

قولُهُ: «**لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ**» نكرةٌ في سياقِ النفْيِ فتُفيدُ العمومَ؛ منْ شرِّ كلِّ ذي شَرٍّ من الجنِّ وإنسٍ وغيرِهم، والظَّاهِرِ والخَفيِّ حتَّى يَرْتَحِلَ منْ مَنْزِلِهِ؛ لأنَّ هذا خبرٌ لا يُمكنُ أنْ يَتخَلَّفَ مَخْبَرُهُ؛ لأنَّهُ حقٌّ وصِدْقٌ، لكنْ إنْ تَخلَّفَ هذا المَخْبَرُ فهوَ لوُجُودِ مانعٍ يَمْنَعُ منْ حُصولِ أَثَرِ ذلكَ الخَيْرِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٣٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٢٠

- قالَ القُرْطُبِيُّ: (وقدْ جَرَّبْتُ ذلكَ حتَّى إنِّي نَسيتُ ذاتَ يومٍ، فَدَخَلْتُ مَنْزِلِي ولمْ أَقُلْ ذلكَ، فلدَغَتْني عقْرَبٌ).

والشاهدُ مِنَ الحديثِ: قولُهُ: «أَعُوذُ بكَلِمَاتِ اللهِ».

والمُؤَلِّفُ يقولُ في التَّرْجَمَةِ: **(الاسْتعاذَةُ بغيرِ اللهِ) وهنا اسْتعاذَةٌ بالكلماتِ، ولَمْ يَسْتَعِذْ باللهِ، فلماذا؟**

أُجِيبُ: إنَّ كلماتِ اللهِ صفَةٌ مِنْ صفاتِه؛ ولهذا استدلَّ العلماءُ بهذا الحديثِ على أنَّ كلامَ اللهِ مِنْ صفَاتِه غَيرُ مَخْلوقٍ؛ لأنَّ الاستعاذَةَ بالمَخْلوقِ لا تَجُوزُ في مثلِ هذا الأمرِ، ولوْ كانَت الكلماتُ مخلوقةً ما أرشدَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ إلى الاسْتعاذةِ بها.

ولهذا كانَ المرادُ منْ كلامِ المُؤَلِّفِ: الاستعاذةُ بغيرِ اللهِ؛ أيْ: أوْ صِفَةٍ مِنْ صِفاتِه.

وفي الحَديثِ: «**أَعُوذُ بعِزَّةِ اللهِ وقُدْرَتِه مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وأُحَاذِرُ**» وهنا اسْتَعاذَ بعزَّةِ اللهِ و لَمْ يَسْتَعِذْ باللهِ.

والعزَّةُ والقُدْرَةُ مِنْ صفاتِ اللهِ، وهيَ لَيْسَتْ مَخْلوقةً، ولهذا يَجُوزُ القَسَمُ باللهِ وبصفاتِه؛ لأنَّها غَيْرُ مَخْلوقةٍ.

أمَّا القَسَمُ بالآياتِ:

- **فإنْ أرادَ الآياتِ الشرْعيَّةَ فجائزٌ.**
- **وإنْ أرادَ الآياتِ الكونيَّةَ فغيرُ جائزٍ.**

بقِيَ بيانُ حُكمِ الاستعاذةِ بالمخلوقِ؛ ففيها تفصيلٌ:

- **فإنْ كانَ المَخْلوقُ لاَ يَقْدِرُ عليهِ فهيَ مِن الشرْكِ**، كما نَقَلَ ذلكَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيميَّةَ: **(لا يجوزُ الاستعاذةُ بالمَخْلوقِ عندَ أحدٍ مِنَ الأئمَّةِ، وهذا ليسَ عَلَى إطْلاقِه، بلْ مُرادُهم ممَّا لا يَقْدِرُ عليهِ إلاَّ اللهُ؛ لأنَّهُ لا يَعْصِمُكَ مِن الشرِّ الذي لا يَقْدِرُ على دفعِه إلا اللهُ).**

- ومِنْ ذلكَ أيضًا الاسْتعاذَةُ بأصْحابِ القُبُورِ؛ فإنَّهم لاَ يَنْفعونَ ولا يضرُّونَ.

- **أمَّا الاسْتعاذَةُ بمَخْلوقٍ فيما يَقْدِرُ عليهِ فهيَ جائزةٌ**، وقدْ أشارَ إلى ذلكَ الشارحُ الشيخُ **سُلَيْمانُ** في (**تَيْسِيرِ العَزيزِ الحَميدِ**).

وهوَ مُقْتَضَى الأحَاديثِ الواردَةِ في (صَحيحِ مُسْلِمٍ)، لَمَّا ذَكَرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ الفِتَنَ قالَ: «**فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ**».

وكذلكَ قصَّةُ المرأةِ التي عَاذَتْ بـأُمِّ سَلَمَةَ، والغلامِ الذي عاذَ بالنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وكذلكَ في قصَّة

الذينَ يَسْتَعيذُونَ بالحَرَمِ والكَعْبَةِ، ومَا أَشْبَهَ ذلكَ.

وهذا هُو مُقْتَضَى النظرِ، فإذا اعْتَرَضَنِي قُطَّاعُ طريقٍ، فعُذْتُ بإنْسانٍ يَسْتَطِيعُ أنْ يُخلِّصَنِي منهم، فلاَ شَيْءَ فيه.

لكنَّ تعليقَ القلبِ بالمخلوقِ لاَ شَكَّ أنَّهُ من الشِّرْك، فإذا عَلَّقْتَ قَلْبَكَ ورَجَاءَكَ وخوْفَكَ وجَميعَ أُمُورِكَ بشَخْصٍ مُعَيَّنٍ وجَعَلْتَهُ مَلْجأً فهذا شركٌ؛ لأنَّ هذا لاَ يَكُونُ إلاَّ للهِ.

وعَلَى هذَا؛ فكَلاَمُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ في قَوْلِه: إنَّ الأئمَّةَ لا يُجوِّزونَ الاستعاذةَ بمخلوقٍ، مُقَيَّدٌ بِمَا لاَ يَقْدِرُ عَلَيْه إلاَّ اللهُ، ولَوْلاَ أنَّ النصوصَ وردَتْ به لأخَذْنا الكَلاَمَ على إطْلاَقِه وقُلْنا: لاَ يَجُوزُ الاستعاذةُ بغيرِ اللهِ مُطْلَقًا.

(١١) **فيهِ مسائلُ:**

الأولى: (**تَفْسيرُ آيَةِ الجنِّ**) وقدْ سَبَقَ ذلكَ في أوَّلِ الباب.

(١٢) **الثانيةُ:** (**كونُهُ من الشِّرْك**) أي: الاسْتعاذَةُ بغَيْرِ اللهِ. وقَدْ سَبَقَ التَّفْصيلُ في ذلكَ.

(١٣) **الثالثةُ:** (**الاسْتدلاَلُ على ذلكَ بالحَديث؛ لأنَّ العلماءَ يَسْتَدِلُّونَ به عَلَى أنَّ كَلمات اللهِ غَيرُ مَخْلُوقَةٍ؛ لأنَّ الاسْتعَاذَةَ بالمَخْلُوقِ شرْكٌ**) ووجْهُ الاسْتشْهادِ: أنَّ الاسْتعاذَةَ بكلماتِ اللهِ لا تَخْرُجُ عنْ كَوْنِها اسْتعاذةً باللهِ؛ لأنَّها صفَةٌ منْ صفاته.

(١٤) **الرابعةُ:** (**فَضيلةُ هذا الدُّعاءِ معَ اختصارِه**) أيْ: فَائدَتُهُ، وهيَ أنَّهُ لاَ يَضُرُّكَ شَيْءٌ ما دُمْتَ في هذا المنزلِ.

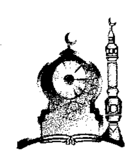
(١٥) **الخامسةُ:** (**أنَّ كوْنَ الشَّيْءِ يَحْصُلُ به مَنْفَعَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ منْ كَفِّ شرٍّ أوْ جَلْبِ نَفْعٍ، لا يدلُّ على أنَّهُ لَيْسَ من الشِّرك**) ومَعْنَى كَلاَمه: أنَّهُ قدْ يكونُ الشيءُ من الشرْكِ ولوْ حَصَلَ لكَ فيه مَنْفعةٌ، فلاَ يَلْزَمُ منْ حُصولِ النفعِ أنْ يَنْتَفِيَ الشرْكُ، فالإنسانُ قدْ يَنْتَفعُ بمَا هوَ شرْكٌ.

مثالُ ذلكَ: الجنُّ، فقدْ يُعيذُونَكَ، وهذا شرْكٌ معَ أنَّ فيه مَنْفَعةً.

مثالٌ آخَرُ: قدْ يَسْجُدُ إنْسانٌ لمَلك، فيَهَبُهُ أموالاً وقُصُورًا، وهذا شركٌ معَ أنَّ فيه مَنْفعةً.

ومنْ ذلكَ ما يَحْصُلُ لغُلاَةِ المدَّاحينَ لمُلوكِهِم لأجْلِ العطَاءِ، فلاَ يُخرِجُهم ذلكَ عنْ كَوْنِهم مُشْركينَ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠




تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الرابع عشر

(١) قولُهُ: (**مِن الشِّرك**) (**مِن**) للتَّبعيضِ، فيَدُلُّ على أنَّ الشِّركَ ليسَ مُختصًّا بهذا الأمرِ.

والاستغاثةُ: طَلَبُ الغَوْث، وهوَ إزالةُ الشِّدَّة، قال ابن فارس: (**الغوث: كلمة واحدة، من الإغاثة، وهي: طلب النصرة والإعانة عند الشدة**) .

وكَلامُ **المُؤَلِّف** رَحِمَهُ اللهُ لَيْسَ على إطْلاَقه، بلْ يُقَيَّدُ بِمَا لا يَقْدرُ عليه المُسْتَغَاثُ بِه، إمَّا لكَوْنِه ميِّتًا أوْ غائبًا، أوْ يكونُ الشيءُ مِمَّا لا يَقْدرُ على إزالَتِه إلاَّ اللهُ تعالَى.

فَلو استَغَاثَ بِمَيِّت لِيُدافِعَ عنهُ، أوْ بغائِب أوْ بحَيٍّ حَاضِرٍ لِيُنْزِلَ المَطَرَ، **فهذا كُلُّهُ من الشرْك**.

ولو استَغَاثَ بِحَيٍّ حَاضِرٍ فيما يَقْدرُ عليه كانَ جائزًا؛ قالَ اللهُ تعالَى: **{فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ}**.

وإذا طَلَبْتَ مِنْ أحَدِ الغَوْثَ، وهوَ قادرٌ عليه، يَجبُ عليكَ تَصْحيحًا لتَوْحيدكَ أنْ تَعْتَقدَ أنَّهُ مُجَرَّدُ سبب، وأنَّهُ لا تَأْثيرَ لهُ بذَاته في إزَالَة الشدَّة؛ لأنَّكَ رُبَّما تَعْتَمدُ عليه وتَنْسَى خَالقَ السبَب، وهذا قادحٌ في كَمال التوْحيد.

قولُهُ: (**أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ**) مَعْطُوفٌ عَلَى قوله: (**أَنْ يَسْتَغيثَ**) فيكونُ المَعْنَى: من الشِّرْك أنْ يَدْعُوَ غَيْرَ الله؛ **وذلكَ لأنَّ الدُّعاءَ من العبادَة**، قالَ اللهُ تعالَى: **{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}** عبادَتي أيْ: دُعَائي؛ فَسَمَّى اللهُ الدعاءَ عبادَةً، وقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**».

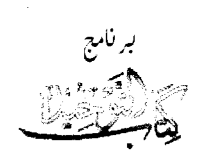
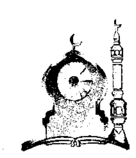
ومُرَادُ المُؤَلِّف بقَوْله: (**أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ**) **دُعَاءُ العبادة، أوْ دُعَاءُ المسألة فيما لا يُمْكنُ للمَسْئُول إجَابَتُهُ**.

قولُهُ: (**أَنْ يَسْتَغيثَ**) (**أَنْ**) ومَا دَخلَتْ عَلَيه في تأويلِ مَصْدرٍ مبتدأٌ مُؤَخَّرٌ، وخَبَرُها مُقَدَّمٌ، وهوَ قولُهُ: (**من الشِّرْك**) والتقديرُ: من الشرْك الاسْتغاثَةُ بغيرِ الله.

وقولُهُ: (**أَوْ يَدْعُوَ**) هذا منْ باب عَطْف العامِّ عَلَى الخاصِّ؛ لأنَّ الاسْتغاثَةَ دُعَاءٌ بإزالَة الشِّدَّة فقطْ، والدُّعاءُ عامٌّ لكونه لجَلْب مَنْفعة أوْ لدَفْع مَضَرَّة.

(٢) قولُهُ: **{وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ}** ظاهرُ سياقِ الآيَة أنَّ الخِطَابَ للرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ، سَوَاءٌ كانَ خاصًّا به، أوْ عامًّا لهُ ولغيره.

فإنَّ بعضَ العلماء قالَ: (لا يَصحُّ أنْ يَكُونَ للرسُول صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ؛ لأنَّ الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ


يَسْتَحيلُ أنْ يَقَعَ منهُ ذلكَ، والآيَةُ على تقديرِ قُلْ، وهذا ضعيفٌ جدًّا، وإخراجٌ للآياتِ عنْ سياقِها).

والصوابُ: أنَّهُ إمَّا خاصٌّ بالرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، والحُكْمُ لَهُ ولغَيْرِه، وإمَّا عامٌّ لكلِّ مَنْ يَصِحُّ خِطَابُهُ، ويَدْخُلُ فيهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

وكونُهُ يُوَجَّهُ إليهِ مثلُ هذا الخطابِ لا يَقْتَضِي أنْ يكونَ مُمْكنًا منهُ، قالَ تعالى: **{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}**.

فَالْخطَابُ لهُ ولجَميعِ الرُّسُلِ، ولا يُمْكنُ أنْ يَقعَ منهُ باعتبارِ حَالِهِ لاَ باعْتبارِ كونِهِ إنسانًا وبَشَرًا.

والحِكْمَةُ من النهْيِ أنْ يكونَ غيرُهُ مُتَأَسِّيًا به.

فإذا كانَ النهيُ مُوَجَّهًا إلى مَنْ لاَ يُمْكنُ منهُ باعتبارِ حَالِه، فهُو إلى مَنْ يُمْكنُ منهُ منْ بابِ أَوْلَى.

وقولُهُ: **{وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ}** الدعاءُ طَلَبُ ما يَنْفَعُ، أوْ طَلَبُ دَفعِ ما يَضُرُّ، وهوَ نوعانِ كما قالَ أهلُ العِلْمِ:

الأوَّلُ: دُعَاءُ عبادة.

وهوَ أنْ يكونَ قائمًا بأَمْرِ اللهِ؛ (كالمُصَلِّي، والصَّائمِ، والمُزَكِّي) يُريدُ بذلكَ الثَّوابَ والنَّجاةَ مِن العِقَاب، ففِعْلُهُ مُتَضَمِّنٌ للدُّعَاءِ بلسانِ الحالِ، وقدْ يَصْحَبُ فعلَهُ هذا دُعَاءٌ بلسانِ المقالِ.

الثاني: دُعَاءُ مسألة، وهوَ طلبُ ما يَنْفَعُ، أوْ طَلَبُ دَفْعِ ما يَضُرُّهُ.

فالأوَّلُ: لا يَجُوزُ صَرْفُهُ لغَيْرِ اللهِ.

والثاني: فيهِ تَفْصِيلٌ سَبَقَ.

قال شيخ الإسلام (١٥/١١/١٢) (الدعاء: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما، وهما متلازمان.

فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ويدفعه، وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود، لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر.

وهذا كثير في القرآن، يبين تعالى أن المعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر، فهو يدعو للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعوا خوفاً ورجاءً دعاء العبادة.

فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة) .

(٣) قولُهُ: {مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ}، {ما لا يَنْفَعُكَ} أيْ: ما لا يَجْلِبُ لكَ النَّفْعَ لوْ عبدْتَهُ. {ولاَ يَضُرُّكَ} قيلَ: لا يَدْفَعُ عَنْكَ الضُّرَّ.

وقيلَ: لوْ ترَكْتَ عبادَتَهُ لاَ يَضُرُّكَ؛ لأنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ الانْتقامَ. وهوَ الظاهِرُ من اللفظ.

وقولُهُ: {ولاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ}أيْ: لأنَّهُ لا يَنْفَعُكَ ولا يَضُرُّكَ.

وهذا القيدُ ليسَ شرطًا بحَيْثُ يكونُ لهُ مفهومٌ، فيكونُ لكَ أنْ تَدْعُوَ مَنْ يَنْفَعُكَ ويَضُرُّكَ.

بلْ هوَ لبيانِ الواقعِ؛ لأنَّ المَدْعُوَّ مِنْ دون اللهِ لاَ يَحْصُلُ منهُ نَفْعٌ ولاَ ضَرَرٌ، قالَ اللهُ تعالَى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}.

فَعَلَى هذَا لا يَكُونُ هذا القيدُ شَرْطًا، وهذه يُسَمِّيها بعضُ الناسِ صفةً كاشفةً.

قولُهُ: {فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ} أيْ: إنْ دَعَوْتَ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكَ ولا يَضُرُّكَ، والخطابُ للرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

وَ{إِذًا} أيْ:حالَ فعْلِكَ مِن الظالمينَ، وهوَ قيدٌ؛ لأنَّ {إِذًا} للظَّرْفِ الحاضرِ؛ أيْ: فإنَّكَ حالَ فعْلِه من الظالمينَ، لكنْ قدْ تَتُوبُ منهُ فيَزُولُ عنكَ وصْفُ الظُّلْمِ؛ فالإنسانُ قبلَ الفعْلِ ليسَ بظالمٍ، وبعدَ التوبَةِ ليسَ بظالمٍ، لكنْ حينَ فعْلِ المعصيَةِ يكونُ ظالمًا، قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» فنَفَى الإيمانَ عنهُ حالَ الفعْلِ.

ونَوْعُ الظلمِ هنا ظُلْمُ شرْكٍ، قالَ اللهُ تعالَى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} وعبَّرَ اللهُ بقوله من الظالمينَ، ولَمْ يَقُلْ من المُشْرِكينَ؛ ليُبَيِّنَ أنَّ الشركَ ظلمٌ؛ فكَوْنَ الداعِي لغيرِ اللهِ مشركًا أمْرٌ بيِّنٌ، لكنْ كونُهُ ظالمًا قدْ لا يكونُ بيِّنًا من الآيَة.

(٤) قولُهُ: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ}أيْ: يُصِبكَ بضُرٍّ؛ كالمَرَضِ والفَقْرِ ونَحْوِه.

قولُهُ: {فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ} أيْ: لا أحَدٌ يَكْشِفُهُ أبدًا إذا مَسَّكَ اللهُ بضرٍّ إلاَّ اللهُ، وهذا كقولِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ».

قولُهُ: {وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ} هُنَا قالَ: {يُرِدْكَ} وفي الضُّرِّ قالَ: {يَمْسَسْكَ} فهلْ هذا منْ بابِ تَنْوِيعِ العبارةِ، أوْ هناكَ فَرْقٌ معْنَوِيٌّ؟

الجوابُ: هناكَ فَرْقٌ معْنَوِيٌّ، وهوَ أنَّ الأشياءَ المكروهةَ لا تُنْسَبُ إلى إرادةِ اللهِ، بَلْ تُنْسَبُ إلى فعْله؛ أيْ: مفعوله.

فالمَسُّ مِنْ فعْلِ اللهِ، والضُّرُّ مِنْ مَفْعُولاَتِه، فاللهُ لاَ يُرِيدُ الضُّرَّ لذاتِه، بلْ يُرِيدُهُ لغيرِه لِمَا يَترتَّبُ عَلَيهِ مِن الخيرِ، ولِمَا وراءَ ذلكَ مِن الحِكَمِ البالغةِ.

أمَّا الخيرُ فهوَ مُرَادٌ للهِ لذاتِه، ومفعولٌ لهُ.

ويَقْرُبُ مِنْ هذا ما في سورةِ الجنِّ: **{وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}**.

فإذا أُصِيبَ الإنسانُ بمرضٍ فاللهُ لم يُرِدْ بهِ الضَّرَرَ، بلْ أرادَ المرضَ وهوَ يَضُرُّهُ، لكنْ لَمْ يُرِد ضَرَرَهُ بلْ أرادَ خيرًا مِنْ وراءِ ذلكَ.

وقدْ تَكُونُ الحِكْمَةُ ظاهرةً في نفسِ المُصابِ، وقدْ تَكُونُ ظاهرةً في غَيْرِه، كَمَا قالَ تَعَالَى: **{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}**فالمهم

وليسَ لنا أنْ نَتَحجَّرَ حِكْمَةَ اللهِ؛ لأنَّها أوْسَعُ مِنْ عُقُولنا، لكنَّنا نَعلَمُ عِلْمَ اليقينِ أنَّ اللهَ لا يُرِيدُ الضَّرَرَ لأنَّهُ ضَرَرٌ، فالضَّرَرُ عندَ اللهِ ليسَ مُرَادًا لذاتِه، بلْ لغَيْرِه، ولا يَتَرَتَّبُ عليه إلاَّ خيرٌ.

أمَّا الخيرُ فهوَ مُرادٌ لذاتِه، ومفعولٌ لهُ، واللهُ أعلَمُ بما أرادَ بكلاَمِه، لكنْ هذا الذي يَتَبَيَّنُ لي.

قولُهُ: **{فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ}** أيْ: لا يَستَطيعُ أحدٌ أنْ يَرُدَّ فَضْلَ اللهِ أبدًا، ولو اجْتَمَعَت الأُمَّةُ على ذلكَ، وفي الحديثِ: «**اللهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ**» فنَعْتَمِدُ علَى اللهِ في جَلْبِ المَنافعِ، ودَفْعِ المضارِّ، وبقاءِ ما أنعمَ علينا به.

ونَعْلَمُ أنَّ الأمَّةَ مهما بَلَغَتْ من المكرِ والكَيْدِ والحِيَلِ لِتَمْنَعَ فَضْلَ اللهِ فإنَّها لا تَستَطيعُ.

قولُهُ: **{يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ}** الضميرُ إمَّا أنْ يَعودَ إلى الفضْلِ؛ لأنَّهُ أقربُ، أوْ إلى الخَيْرِ؛ لأنَّهُ هوَ الذي يُتحدَّثُ عنهُ، ولا يَختَلفُ المَعْنَى بذلكَ.

قولُهُ: **{مَنْ يَشَاءُ}** كُلُّ فعْلٍ مُقيَّدٍ بالمَشيئةِ فإنَّهُ مُقيَّدٌ بالحِكْمَةِ؛ لأنَّ مَشيئةَ اللهِ ليستْ مُجرَّدَةً، يَفْعَلُ ما يَشاءُ لِمُجرَّدِ أنَّهُ يَفْعَلُهُ فقطْ؛ فمِنْ صفاتِ اللهِ الحِكْمَةَ، ومِنْ أسْمائهِ الحكيمَ، قالَ اللهُ تَعالَى: **{وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}**.

قولُهُ: **{مِنْ عِبَادِهِ}** العُبُوديَّةُ هنا عامَّةٌ؛ لأنَّ قولَهُ: **{بِخَيْرٍ}** يَشْمَلُ خَيْرَ الدُّنيا والآخرَةِ. وخَيْرُ الدُّنيا يُصيبُ الكُفَّارَ.

قولُهُ: **{وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}** أيْ: ذُو المَغْفرةِ.

والمَغْفرةُ سَتْرُ الذَّنْبِ والتَّجاوُزُ عنهُ، مأْخُوذَةٌ مِن الْمِغْفَرِ، وهوَ ما يُتَّقَى به السِّهامُ، والْمِغْفَرُ فيه سَتْرٌ ووِقايَةٌ.

والرَّحيمُ: أَيْ: ذُو الرحمة، وهيَ صفَةٌ تليقُ باللهِ عزَّ وجَلَّ، تَقْتَضِي الإحسانَ والإنعامَ.

والشاهدُ هو قولُهُ: **{وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ}** في الآيَةِ الأُولَى.

فقدْ نبَّهَ اللهُ نَبِيَّهُ أنَّ مَنْ يَدْعُو أحَدًا مِنْ دونِ اللهِ؛ أيْ: مِنْ سِوَاهُ، لا يَنْفَعُهُ ولا يَضُرُّهُ.

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الخامس عشر

(1) قَوْلُهُ: {فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ} لوْ أَتَى المُؤَلِّفُ بأوَّلِ الآيَةِ {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا} لكانَ أوْلَى؛ فهم يَعْبُدُونَ هذه الأوثانَ مِنْ شجرٍ وحجرٍ وغيرِها، وهيَ لا تَمْلِكُ لَهُم رِزْقًا أبدًا، لوْ دَعَوْهَا إلى يَوْمِ القيامةِ ما أَحْضَرَتْ لَهُم ولاَ حَبَّةَ بُرٍّ، ولاَ دفَعَتْ عَنْهُم أدْنَى مَرَضٍ أوْ فَقْرٍ.

فإذا كانَتْ لا تَمْلِكُ الرِّزْقَ فَالَّذي يَمْلِكُهُ هوَ اللهُ؛ ولهذا قالَ: {فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ} أي: اطْلُبوا عندَ اللهِ الرزقَ؛ لأنَّهُ سُبْحَانَهُ هوَ الذي لاَ يَنْقَضِي مَا عندَهُ {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ}.

والرزقُ هوَ العَطَاءُ، كما قالَ تَعَالَى: {فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ}.

وقولُهُ: {عِنْدَ اللَّهِ} عِنْدَ اللهِ حالٌ من الرِّزْقِ، وقُدِّمَت الحَالُ معَ أنَّ مَوْضعَها التأخيرُ عنْ صاحِبِها لإفادةِ الحصرِ؛ إذْ إنَّ تَقديمَ ما حقُّهُ التأخيرُ يُفيدُ الحَصْرَ؛ أيْ: فابْتَغُوا الرِّزْقَ حالَ كَوْنِه عندَ اللهِ لا عندَ غيرِه.

قولُهُ: {وَاعْبُدُوهُ} أيْ: تَذَلَّلوا لهُ بالطَّاعَةِ؛ لأنَّ العبادةَ مأْخوذةٌ من التعْبيدِ وهوَ التذْليلُ.

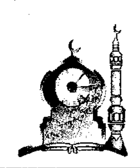
لأنَّكُم إذا تَذَلَّلْتُم لهُ بالطَّاعَةِ فهوَ مِنْ أسبابِ الرزقِ، قالَ تعالَى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} فأَمَرَ أنْ نطْلُبَ الرزقَ عندَهُ، ثُمَّ أعْقَبَهُ بقَوْلِه: {وَاعْبُدُوهُ} إشارةٌ إلى أنَّ تحقيقَ العبادةِ مِنْ طلبِ الرزقِ؛ لأنَّ العابدَ ما دامَ يُؤْمِنُ أنَّ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لهُ مُخْرَجًا، ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ، فعبادَتُهُ تَتَضَمَّنُ طَلَبَ الرِّزْقِ بلِسانِ الحالِ.

قولُهُ: {وَاشْكُرُوا لَهُ} إذَا أضَافَ اللهُ الشكرَ لهُ مُتَعَدِّيًا باللاَّمِ فهوَ إشارةٌ إلى الإخْلاَصِ؛ أيْ: واشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ للهِ، فاللامُ هنا لإفادةِ الإخلاصِ؛ لأنَّ الشاكرَ قدْ يَشْكُرُ اللهَ عزَّ وجلَّ، ولكنْ لبَقَاءِ النِّعْمةِ، وهذا لا بأْسَ به، ولكنْ كونُهُ يَشْكُرُ للهِ، وتَأْتِي إرادةُ بَقَاءِ النعمةِ تَبَعًا هذا هوَ الأَكْمَلُ والأفْضَلُ.

والشُّكْرُ فَسَّرُوهُ بأنَّهُ: القيامُ بطاعة المُنعم، وقالُوا: **إنَّهُ يكونُ في ثلاثةِ مواضعَ:**

الأول: في القلبِ: وهوَ أنْ يَعْتَرِفَ بقَلْبِه أنَّ هذه النعمةَ من اللهِ، فَيَرَى أنَّ للهِ فَضْلاً عَلَيْه بِهَا، قالَ تَعَالَى: {وَمَا

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com



بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}.

الثاني: اللّسَانُ: وهوَ أنْ يَتحدَّثَ بها على وَجْهِ الثناءِ على اللهِ والاعْترَافِ وعَدَمِ الجُحود، لا على سَبيلِ الفَخْرِ والخُيَلاَءِ والترفُّعِ على عبادِ اللهِ.

فيَتَحدَّثُ بالغنَى لا لِيَكْسرَ خاطرَ الفقيرِ، بلْ لأجْلِ الثناءِ على اللهِ.

الثالث: الجَوَارِحُ: وهوَ أنْ يَسْتَعْمِلَها في طاعةِ المُنْعِمِ، على حَسَبِ ما يَخْتَصُّ بها. فمثلاً: شُكْرُ اللهِ عَلَى نعمةِ العلْمِ أنْ تعْمَلَ بِه، وتُعلِّمَهُ الناسَ.

قولُهُ: {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} الجارُّ والمجرورُ مُتعلِّقٌ بـ{تُرْجَعُونَ}.

وتقديمُهُ يدلُّ على الحصرِ؛ أيْ أنَّ رُجوعَنا إلى اللهِ سُبْحَانَهُ، وهوَ الذي سَيُحَاسِبُنا على ما حَمَّلَنَا إيَّاهُ مِن الأَمْرِ بالعبادةِ، والأمرِ بالشُّكرِ، وطلبِ الرزقِ منهُ.

والشاهدُ منْ هذهِ الآيَةِ: {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ}.

إذا كانَتْ الأصنامُ لا تَمْلكُ الرِّزقَ، فكيفَ يُستغاثُ بها؟!

(2) قولُهُ: {وَمَنْ أَضَلُّ}، {مَنْ} اسمُ استفهامٍ مُبْتدأٌ، و{أَضَلُّ} خبرُهُ، والاستفهامُ يُرادُ بهِ هنا النَّفيُ؛ أيْ: لا أَحدَ أَضَلُّ.

وأضلُّ: اسمُ تفضيلٍ؛ أيْ: لا أحدَ أَضَلُّ مِنْ هذَا.

والضلالُ: أنْ يَتيهَ الإنْسانُ عن الطريقِ الصحيحِ.

وإذَا كانَ الاستفهامُ مُرادًا بهِ النَّفْيُ كانَ أبلغَ من النفيِ المجرَّدِ؛ لأنَّهُ يُحوِّلُهُ مِنْ نَفْيٍ إلى تَحدٍّ؛ أيْ: بَيِّنْ لِي عَنْ أَحَدٍ أَضَلَّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دونِ اللهِ؟

فهوَ مُتَضَمِّنٌ للتحدِّي، وهوَ أبلغُ مِنْ قولِهِ: {لا أَضَلَّ مِمَّنْ يَدْعُو}؛ لأنَّ هذا نَفْيٌ مُجَرَّدٌ، وذاكَ نَفْيٌ مُشْرَبٌ مَعْنَى التَّحدِّي.

قولُهُ: {مِمَّنْ يَدْعُو} مُتَعَلِّقٌ بأَضَلّ، ويُرادُ بالدُّعَاءِ هنا دُعَاءُ المسألةِ ودُعَاءُ العبادةِ.

قولُهُ: {مِنْ دُونِ اللَّهِ} أيْ: سِوَاهُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

(3) قولُهُ: {مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}.

{مَنْ} مَفعولُ يَدْعُو؛ أيْ: لوْ بَقِيَ كُلَّ عُمرِ الدُّنيا يَدْعُو ما اسْتجابَ لهُ، قالَ اللهُ تعالى: {إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ} والخبرُ هنا عن اللهِ تعالى، قالَ تعالَى: {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} يَعْني نَفْسَهُ سبحانَهُ وتعالى.

وقولُهُ: {مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ} أَتَى (بِمَنْ) وهيَ للعاقلِ معَ أَنَّهُم يَعْبُدونَ الأصنامَ والأحجارَ والأشجارَ، وهيَ غيرُ عاقلة، لكنَّهُم لَمَّا عَبَدُوهَا أَنْزَلُوهَا مَنْزِلةَ العاقلِ فَخُوطِبوا بِمُقتضَى ما يَدَّعونَ؛ لأَنَّهُ أَبْلَغُ في إقامةِ الحُجَّةِ علَيْهِمْ في أَنَّهُم يَدْعُونَ مَنْ يَرَوْنَهُمْ عُقَلاءَ، ومعَ ذلكَ لا يَسْتَجيبونَ لهم.

وهذا مِنْ بلاغةِ القرآنِ؛ لأَنَّهُ خاطَبَهُم بِمَا تَقْتَضيهِ حالُهُم لِيُقيمَ الحُجَّةَ عَلَيهِمْ؛ إذْ لوْ قيلَ: ما لاَ يَسْتَجيبُ لهُ، لَقَالُوا: لنا عُذْرٌ في عَدَمِ الاسْتجابةِ؛ لأَنَّهم غيرُ عُقَلاءَ.

قولُهُ: {وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ} الضميرُ في قولِهِ: {هُمْ} يَعودُ على {مَنْ} باعتبارِ المَعْنَى؛ لأَنَّهم جماعة، وضَميرُ يَسْتَجيبُ يَعودُ على{مَنْ} باعتبارِ اللفظِ؛ لأَنَّهُ مُفْرَدٌ. فأَفْرَدَ الضميرَ باعتبارِ لفظِ {مَنْ} وجَمَعَهُ باعتبارِ المعنَى؛ لأنَّ {مَنْ} تعودُ على الأصنامِ وهيَ جماعةٌ، و{مَنْ} قدْ يُراعَى لفْظُها ومَعْنَاهَا في كَلاَمٍ واحدٍ، ومنهُ قولُهُ تَعالَى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا}.

فهنا رَاعَى اللفظَ، ثُمَّ المعْنَى، ثُمَّ اللفظَ.

قولُهُ: {عَنْ دُعَائِهِمْ} الضميرُ في دعائِهِمْ يَعُودُ إلى المَدْعُوِّينَ، وهل المَعْنَى: {وَهُمْ} أي: الأصنامُ، {عَنْ دُعَائِهِمْ} أيْ: دُعَاءِ الداعينَ إِيَّاهم، فيكونُ مِنْ بابِ إضافةِ المصدرِ إلى مفعولِهِ؟

أو المَعْنَى: {وَهُمْ} عَنْ (دُعاءِ) العابدينَ لهم، فيكونُ (دُعَاءِ) مضافًا إلى فاعلِه، والمفعولُ محذوفٌ.

الأوَّلُ: أبلغُ أيْ: عَن دُعَاءِ العابدينَ إِيَّاهُم، أبلغُ مِنْ دعاءِ العابدينَ عَلَى سبيلِ الإطلاقِ. فإذا قُلْتَ: {عَنْ دُعَائِهِمْ} أيْ: عنْ دُعَاءِ العابدينَ إِيَّاهُم، وجَعَلْتَ الضَّميرَ هنا يَعودُ على المَدْعُوِّينَ، صَارَ المَعْنَى أنَّ هذه الأصنامَ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

غافلةٌ عنْ دعوةِ هؤلاءِ إيَّاهُم، ويكونُ هذا أبلغَ في أنَّ هذهِ الأصنامَ لا تُفيدُهم شيئًا في الدنيا ولا في الآخرةِ.

قولُهُ: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾ أيْ: يومَ القيامةِ.

﴿كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ هلِ المَعْنَى كانَ العَابِدُونَ للمعبودِينَ أعداءً؟ أوْ كانَ المعبودونَ للعابدينَ أعداءً؟

الجوابُ: يَشْمَلُ المَعْنَيَيْنِ، وهذا مِنْ بَلاغَةِ القرآنِ.

والشاهدُ من هذه الآيةِ هو قولُهُ: ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

فإذا كانَ مَنْ سِوَى اللهِ لا يَستجيبُ إلى يومِ القيامةِ، فكيفَ يليقُ بكَ أنْ تَستَغيثَ بهِ دونَ اللهِ؟ فبطَلَ تعلُّقُ هؤلاءِ العابدينَ بمعبوداتِهِمْ.

(4) قولُهُ: ﴿الْمُضْطَرَّ﴾ أصْلُها الْمُضْتَرُّ؛ أي: الذي أصابهُ الضَّرَرُ، قالَ تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ فلا يُجيبُ الْمُضْطَرَّ إلاَّ اللهُ، لَكِنْ قَيَّدَهُ بقولِهِ: ﴿إِذَا دَعَاهُ﴾.

أمَّا إذا لمْ يَدْعُهُ فقدْ يَكْشِفُ اللهُ ضُرَّهُ، وقدْ لا يَكْشِفُهُ.

(5) قولُهُ: ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ أيْ: يُزيلُ السُّوءَ.

والسُّوءُ: ما يَسُوءُ المرءَ، وهوَ دُونَ الضَّرُورَةِ؛ لأنَّ الإنسانَ قدْ يُسَاءُ بما لا يَضُرُّهُ، لكنْ كُلُّ ضَرُورَةٍ سُوءٌ.

وقولُهُ: ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ هلْ هيَ مُتَعلِّقةٌ بما قبلَها في المعنَى، وأنَّهُ إذا أجابَهُ كشفَ سُوءَهُ، أوْ هيَ مُستَقِلَّةٌ يُجيبُ المُضْطَرَّ إذا دعاهُ، ثَمَّ أمرٌ آخَرُ يَكْشِفُ السُّوءَ؟

الجوابُ: المعنى الأخيرُ أعمُّ؛ لأنَّها تَشْمَلُ كشفَ سوءِ المضطرِّ وغيرِهِ، ومَنْ دعا اللهَ ومَنْ لَمْ يَدْعُهُ. وعلى التقديرِ الأوَّلِ تكونُ خاصَّةً بكشفِ سوءِ المضطرِّ.

ومعلومٌ أنَّهُ كُلَّما كانَ المعنَى أعمَّ كانَ أَوْلَى، ويُؤَيِّدُ العمومَ قولُهُ بعدها: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾.

والذينَ يَجْعَلُهم اللهُ خُلَفاءَ الأرضِ همْ عِبادُ اللهِ الصالحونَ.

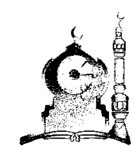
قولُهُ: ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ الاستفهامُ للإنكارِ، أوْ بِمَعْنَى النَّفْيِ، وهما متقاربانِ؛ أيْ: هلْ أحدٌ مَعَ اللهِ يَفْعلُ ذلكَ؟

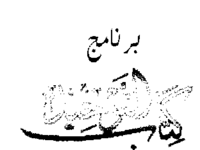
الجوابُ: لا.

وإذا كانَ كذلكَ فَيَجِبُ أنْ تُصْرَفَ العبادةُ للهِ وحدَهُ، وكذلكَ الدعاءُ.

E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







فالواجبُ على العبدِ أنْ يُوَجِّهَ السؤالَ إلى اللهِ تعالى، ولا يَطْلُبَ مِنْ أحدٍ أنْ يُزيلَ ضَرُورَتَهُ ويَكْشِفَ سُوءهُ وهوَ لا يَسْتَطِيعُ.

ومما قد يشكل أنَّ الإنسانَ المضطرَّ يَسْأَلُ غيرَ اللهِ، ويُسْتَجابُ لهُ، كَمَن اضْطُرَّ إلى طعامٍ وطلبَ مِنْ صاحبِ الطعامِ أنْ يُعْطيَهُ فأعطاهُ، فَهَلْ يَجُوزُ أمْ لاَ؟

الجوابُ: أنَّ هذا جائزٌ -كما تقدم عند الكلام على الدعاء-، لكنْ يَجبُ أنْ نَعْتقدَ أنَّ هذا مُجَرَّدُ سبب لا أنَّهُ مُسْتَقِلٌّ، فاللهُ جعلَ لكلِّ شيءٍ سببًا، فيُمْكِنُ أنْ يَصْرِفَ اللهُ قَلْبَهُ فلا يُعْطِيكَ، ويُمْكِنُ أنْ تَأْكُلَ ولاَ تَشْبَعَ، فَلاَ تَزُولُ ضَرُورَتُكَ، ويُمْكِنُ أنْ يُسَخِّرَهُ اللهُ ويُعْطِيَكَ.

(7) قولُهُ: **(في زمنِ النبيِّ)** أيْ: عَهْدِهِ.

قولُهُ: **(مُنَافِقٌ)** المنافقُ: هوَ الذي يُظهِرُ الإسلامَ ويُبطِنُ الكفرَ، وهؤلاءِ ظَهَرُوا بعدَ غزوةِ بدرٍ.

ولم يُسَمَّ المنافقُ في هذا الحديثِ، ويُحْتَمَلُ أنَّهُ **عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ**؛ لأنَّهُ مشهورٌ بإيذاءِ المسلمينَ، ويُحْتَمَلُ غيرُهُ.

وأَذِيَّةَ المنافقينَ للمُسْلمينَ ليستْ بالضَّربِ أو القَتْلِ؛ لأنَّهم يَتَظاهَرونَ بمَحَبَّةِ المسلمينَ، ولكنْ بالقولِ والتَّعْريضِ كما صَنَعُوا في قصَّةِ الإفْكِ.

(8) قولُهُ: **(فَقَالَ بَعْضُهُمْ)** أي: الصحابة.

قولُهُ: **(نَسْتَغِيثُ)** أيْ: نَطْلُبُ الغَوْثَ، وهوَ إزالةُ الشدَّةِ.

قولُهُ: **(مِنْ هذا المنافقِ)** إمَّا بزَجْرِهِ، أوْ تَعْزيرِهِ، أوْ بما يُنَاسِبُ المقامَ.

وفي الحديثِ إيجازُ حَذْفٍ دلَّ عليه السِّياقُ؛ أيْ: فَقَامُوا إلى رسولِ اللهِ فقالُوا: يا رسولَ اللهِ، إنَّا نَسْتَغِيثُ بكَ مِنْ هذا المنافقِ.

(9) قولُهُ: **(إنَّهُ لاَ يُسْتَغَاثُ بي)** ظاهرُ هذهِ الجملةِ النفيُ مطلقًا، ويُحْتَمَلُ أنَّ المُرادَ لا يُسْتَغَاثُ بهِ في هذهِ القضيَّةِ المُعَيَّنةِ.

فَعَلَى الأوَّلِ؛ يكونُ نفيُ الاستغاثةِ مِنْ بابِ سدِّ الذَرائعِ والتأدُّبِ في اللفظِ، وليسَ مِنْ بابِ الحُكْمِ بالعُمُومِ؛ لأنَّ نفيَ الاستغاثةِ بالرسولِ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ ليسَ عَلَى إطلاقِهِ، بلْ تَجُوزُ الاستغاثةُ بهِ فيما يَقْدِرُ عَلَيْهِ.

أمَّا إذا قُلْنا: إنَّ التَّفْيَ عائدٌ على القضيَّةِ المُعَيَّنةِ التي استغاثُوا بالنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ منها؛ فإنَّهُ يكونُ عَلَى الحقيقةِ؛ أيْ: عَلَى النفيِ الحقيقيِّ؛ أيْ: لا يُستغاثُ بي في مِثْلِ هذهِ القَضيَّةِ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ كانَ يُعَامِلُ المنافقينَ معاملةَ المُسْلمينَ، ولا يُمْكِنُهُ حَسَبَ الحُكْمِ الظَّاهرِ للمنافقينَ أنْ يَنْتَقِمَ مِنْ هذا المنافقِ انتقامًا ظاهرًا؛

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

إذْ إنَّ المنافقِينَ يَسْتَتِرُونَ.

وعَلَى هذا؛ فلا يُسْتَغاثُ للتَّخَلُّصِ مِن المنافقِينَ إلاَّ باللهِ.

قال في (تيسير العزيز الحميد) ص243(قوله: «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله» قال بعضهم: فيه التصريح بأنه لا يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأمور، وإنما يستغاث بالله.

والظاهر أن مراده -صلى الله عليه وسلم- إرشادهم إلى التأدب مع الله في الألفاظ؛ لأن استغاثتهم به -صلى الله عليه وسلم- من المنافق؛ من الأمور التي يقدر عليها، إمّا بزجره أو تعزيره ونحو ذلك، فظهر أن المراد بذلك: الإرشاد إلى حسن اللفظ، والحماية منه صلى الله عليه وسلم لجناب التوحيد، وتعظيم الله تبارك وتعالى، فإذا كان هذا كلامه في الاستغاثة به فيما يقدر عليه فكيف بالاستغاثة به أو بغيره في الأمور المهمة التي لا يقدر عليها أحد إلا الله سبحانه).

(10) **فيه مسائلُ:**

الأولَى: (أنَّ عَطْفَ الدعاءِ عَلَى الاستغاثةِ مِنْ عطفِ العامِّ عَلَى الخاصِّ) حَيْثُ قالَ في التَّرْجمة: بابُ من الشرْكِ أنْ يَسْتَغِيثَ بغَيْرِ اللهِ أوْ يَدْعُوَ غيرَهُ. ووجْهُ ذلكَ أنَّ الاسْتِغَاثَةَ طَلَبُ إزالَةِ الشِّدَّةِ، والدُّعاءَ طلبُ ذلكَ وغيرِهِ.

إذن الاستغاثةُ نوعٌ مِن الدعاءِ، والدعاءُ أعمُّ، فهوَ مِنْ بابِ عطفِ العامِّ عَلَى الخاصِّ. وهذا سائغٌ في اللغةِ العربيَّةِ، فهوَ كقولِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾.

(11) **الثانيةُ: تفسيرُ قَوْلِهِ:** ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ الخِطَابُ في هذهِ الآيَةِ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ خَاصَّةً؛ بدليلِ الآياتِ التي قبلَها، قالَ تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

فإنْ قيلَ: كيفَ يَنْهَاهُ اللهُ عَن أَمْرٍ لاَ يُمْكِنُ أنْ يَقَعَ منْهُ شرْعًا؟

أجِيبُ: أنَّ الغَرَضَ هوَ التَّنديدُ بمَنْ فَعَلَ ذلكَ، كأنَّهُ يقولُ: لا تَسْلُكْ هذا الطريقَ التي سَلَكَها أهلُ الضَّلاَلِ،

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وإنْ كانَ الرسولُ لا يُمْكِنُ أنْ يقعَ منهُ ذلكَ شرعًا.

(12) **الثالثةُ**: (**أنَّ هذا هوَ الشِّرْكُ الأكبرُ**) يُؤْخَذُ مِنْ قولِه تَعالَى: **{فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ}** مُضَافًا إلى قَوْلِه تعالَى: **{إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}**.

(13) **الرابعةُ**: (**أنَّ أَصْلَحَ الناسِ لوْ فَعَلَهُ إرْضَاءً لغيرِه صارَ من الظالمينَ**) تُؤْخَذُ مِنْ كونِ الخِطَابِ للرسولِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ، وهوَ أَصْلَحُ الناسِ.

فمَنْ فَعَلَ ذلكَ إرضاءً لغيرِه صارَ من الظالمينَ، حتَّى ولوْ فَعَلَهُ مجاملةً لإنسانٍ مشركٍ، فدَعَا صَاحِبَ قبرٍ إرضاءً لذلكَ الْمُشْرِك، فإِنَّهُ يكونُ مشركًا؛ إذْ لا تَجُوزُ الْمُحَابَاةُ في دينِ اللهِ.

(14) **الخامسةُ**: (**تَفْسِيرُ الآيَةِ التي بَعْدَها**) وهيَ قولُهُ تعالَى: **{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ}** الآيَةَ، فإذا كانَ لا يَكْشِفُ الضُّرَّ إلاَّ اللهُ وجَبَ أنْ تكونَ العبادةُ لهُ وحدَهُ، والاستغاثةُ بهِ وحدَهُ.

(15) **السادسةُ**: (**كونُ ذلكَ لا يَنْفَعُ في الدُّنيا مَعَ كونِه كُفْرًا**) تُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِه تعالى: **{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ}** فَلَمْ يَنْتَفِعْ مِنْ دُعَائِه هذَا فَخَسِرَ في الدُّنيا بذلكَ، وفي الآخرَةِ بكُفْرِه.

(16) **السابعةُ**: (**تفسيرُ الآيَةِ الثالثةِ**) وهيَ قولُهُ تعالى: **{فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ}**.

وقولُهُ: **{عِنْدَ اللَّهِ}** حالٌ مِن الرزقِ، وعليهِ يكونُ ابتغاءُ الرزقِ عندَ اللهِ وحدَهُ.

(17) **الثامنةُ**: (**أنَّ طلبَ الرزقِ لا ينبغي إلاَّ من اللهِ، كما أنَّ الْجَنَّةَ لا تُطْلَبُ إلاَّ منهُ**)

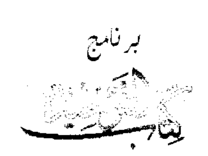
تُؤْخَذُ مِنْ قوْلِه تعالى: **{وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}**؛ لأنَّ العبادةَ سببٌ لدخولِ الجنَّةِ.

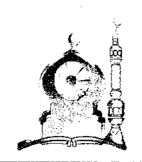
وقدْ أشارَ اللهُ إلى ذلكَ بقوْلِه: **{إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}**.

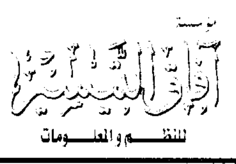
(18) **التاسعةُ**: (**تفسيرُ الآيَةِ الرابعةِ**) وهيَ قولُهُ تعالى: **{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}**.

(19) **العاشرةُ**: (**أنَّهُ لا أَضَلَّ ممَّنْ دَعَا غيرَ اللهِ**) تُؤْخَذُ منْ قوْلِه تعالى: **{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ**

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}؛ لأنَّ الاستفهامَ هنا بمَعْنَى النفيِ.

(**20**) **الحاديَة عَشْرَة**: (**أَنَّهُ غَافِلٌ عنْ دعاءِ الداعِي لا يَدْرِي عنهُ**) لقولِه تعالى: {وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} وهمْ: أي المَدْعُوُّونَ، عَنْ دُعَائِهِم؛ أيْ دُعاءِ الداعينَ، أوْ عنْ دعاءِ الداعينَ إيَّاهُمْ.

فالاحتمالُ في الضميرِ الثاني، وهوَ قولُهُ: {عَن دُعَائِهِمْ}.

أمَّا الضَّميرُ الأوَّلُ فَإِنَّهُ يعودُ إلى المدعُوِّينَ لاَ ريبَ. وقدْ سَبَقَ بيانُهُ بالتَّفْصيلِ.

(**21**) **الثانيَة عشرة**: (**أنَّ تلكَ الدَّعْوةَ سببٌ لِبُغْضِ المَدْعُوِّ للدَّاعِي وعَدَاوته لهُ**) تُؤْخَذُ مِنْ قولِهِ تعالَى: {وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}.

(**22**) **الثالثة عشرة**: (**تَسْميَةُ تلكَ الدعوةِ عبادةً للمدعوِّ**) تُؤْخَذُ مِنْ قولِه تعالَى: {وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}.

(**23**) **الرابعة عشرة**: (**كُفْرُ المَدْعُوِّ بتلكَ العبادةِ**) مَعْنَى كُفْرِ المدعوِّ ردُّهُ وإنكارُهُ.

فإذا كانَ يومُ القيامةِ تبرَّأَ منهُ وأَنْكَرَهُ، تُؤْخَذُ مِنْ قولِهِ: {وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}.

(**24**) **الخامسة عشرة**: (**هيَ سَبَبُ كونِه أضلَّ الناسِ**) **وذلكَ لأمورٍ أربعةٍ**:

الأول: أَنَّهُ يَدْعُو مِنْ دونِ اللهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لهُ.

الثاني: أنَّ المَدْعُوِّينَ غافِلُونَ عنْ دُعائِهِم.

الثالث: أنَّهُ إذا حُشِرَ النَّاسُ كانُوا لهم أعداءً.

الرابع: أنَّهُ كافرٌ بعبادَتِهِم.

(**25**) **السادسة عشرة**: (**تفسيرُ الآيَةِ الخامسةِ**) وهيَ قولُهُ تعالى: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ}، وقَدْ سَبَقَ ذلكَ.

(**26**) **السابعة عشرة**: (**الأمرُ العَجيبُ، وهوَ إقرارُ عَبَدَةِ الأوثانِ أَنَّهُ لا يُجيبُ المُضْطَرَّ إلاَّ اللهُ**) وهوَ كما

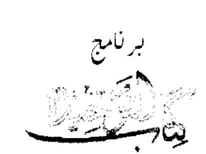
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

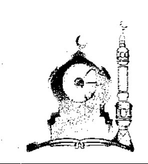
قالَ رَحِمَهُ اللهُ: وهذا مَوْجُودٌ الآنَ، فمِن الناسِ مَنْ يَسْجُدُ للأصْنامِ التي صَنَعُوهَا بأنْفُسِهِم تعظيمًا، فإذا وقَعُوا في الشدَّة دَعَوا اللهَ مُخْلصينَ لهُ الدينَ، وكانَ عليهم أنْ يَلْجَأُوا للأصنامِ لوْ كانَتْ عبادتُها حقًّا، إلاَّ أنَّ من المشركينَ اليومَ مَنْ هُمْ أشدُّ شِرْكًا من المُشْرِكينَ السابقينَ، فإذا وَقَعُوا في الشِّدَّة دعَوْا أولياءَهم **كَعَليٍّ والحُسَيْن**.

وإذا كانَ الأمرُ سهلاً دَعَوا اللهَ، وإذا حَلَفوا حَلِفًا هُمْ فيهِ صادِقُونَ حَلَفُوا **بِعَليٍّ** أوْ غَيْرِهِ مِنْ أوليائِهم، وإذا حَلَفُوا حَلِفًا همْ فيهِ كاذِبُونَ حَلَفُوا باللهِ ولَمْ يُبالُوا.

(27) **الثامنة عشرة: (حِمايَةُ المُصْطَفَى صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حِمَى التوحيدِ، والتأدُّبُ معَ اللهِ)** اختارَ المُؤَلِّفُ أنَّ قوْلَهُ: «**لا يُسْتَغَاثُ بِي**» منْ بابِ التأدُّبِ بالألفاظِ، والبعدِ عن التعلُّقِ بغيرِ اللهِ، وأنْ يكونَ تعلُّقُ الإنسانِ دائمًا باللهِ وحدَهُ، فهوَ يُعَلِّمُ الأمَّةَ أنْ تَلْجَأَ إلى اللهِ وحدَهُ إذا وقَعَتْ في الشدائدِ، ولا تَسْتَغيثَ إلاَّ بهِ وحدَهُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٣٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس السادس عشر

(1) مناسبةُ البابِ لما قبْلهُ: لَمّا ذَكَرَ رَحِمَهُ اللهُ الاستعاذةَ

، والاستغاثةَ بغيرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، **ذَكَرَ** البراهينَ الدَّالَّةَ عَلَى **بُطْلانِ عبادةِ ما سوَى اللهِ**؛ ولهذا جَعَلَ الترجمةَ لهذا البابِ نَفْسَ الدَّليلِ، وذَكَرَ رَحِمَهُ اللهُ ثَلاثَ آياتٍ:

- قولُهُ: {أَيُشْرِكُونَ} الاستفهامُ للإنْكَارِ والتَّوْبِيخِ؛ أيْ: يُشْرِكُونَهُ مَعَ اللهِ.

- قولُهُ: {مَا لَا يَخْلُقُ} هنا عَبَّرَ بـ{مَا} دُونَ (مَنْ).

- وفي قولِهِ: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ} عَبَّرَ بـ{مَنْ}.

والمناسبةُ ظاهرةٌ؛ لأنَّ الدَّاعينَ هناكَ نَزَّلُوهم مترلةَ العاقلِ.

أمَّا هنا فالمَدْعُوُّ جمادٌ؛ لأنَّ الذي لا يَخْلُقُ شيئًا، ولا يَصْنَعُهُ جَمادٌ لا يُفيدُ.

- قولُهُ: {شَيْئًا} نَكرةٌ في سياقِ النَّفْيِ، فتفيدُ العمومَ.

- قولُهُ: {وَهُمْ يُخْلَقُونَ} وَصَفَ هذهِ الأصنامَ بالعجزِ والنَّقصِ، والربُّ المعبودُ لا يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا بلْ هوَ الخالقُ، فلا يجوزُ عليهِ الحدوثُ، ولا الفناءُ.

والمخلوقُ حادثٌ، والحادثُ يَجُوزُ عليهِ العدمُ؛ لأنَّ ما جازَ انْعِدَامُهُ أوَّلاً جازَ انعدامُهُ آخرًا.

فكيفَ يُعْبَدُ هَؤُلاءِ مِنْ دونِ اللهِ؟

إذ المخلوقُ هوَ بنفْسِه مُفْتَقِرٌ إلى خالقِه، وهوَ حادثٌ بعدَ أنْ لَمْ يكُنْ، فهوَ ناقِصٌ في إيجادِهِ وبَقَائِه.

قولُهُ: {وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا} أيْ: لا يَقْدِرُونَ على نَصْرِهِمْ لوْ هاجَمَهُمْ عَدُوٌّ، لأنَّ هؤلاءِ المعبودينَ قاصِرُونَ.

والنَّصرُ: **الدفعُ عن المخذولِ** بحيثُ يَنْتَصِرُ عَلَى عَدُوِّهِ.

قولُهُ: {وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} أيْ: زيادةً على ذلكَ هُمْ عاجِزُونَ عن الانتصارِ لأنْفُسِهم، فكيفَ يَنْصُرُونَ غَيْرَهُمْ؟

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

فبيَّنَ اللهُ عَجْزَ هذه الأصنامِ، **وأنَّها لا تَصلُحُ أنْ تَكُونَ معبودةً مِنْ أربعةِ وُجُوهٍ، هيَ:**

الأول: أنَّها لا تَخلُقُ، ومَنْ لا يَخلُقُ لا يَستَحقُّ أنْ يُعبَدَ.

الثاني: أنَّهم مَخلُوقونَ من العدمِ، فهمْ مُفتَقِرونَ إلى غيرِهم ابتداءً ودَوامًا.

الثالث: أنَّهم لاَ يَستَطيعُونَ نَصرَ الدَّاعينَ لَهُم.

وقولُهُ: {لاَ يَسْتَطِيعُونَ} أبْلَغُ مِنْ قولِهِ: {لاَ يَنصُرُونَهُمْ} لأنَّهُ لوْ قالَ: {لاَ يَنصُرُونَهُمْ} فقدْ يقولُ قائلٌ: لكنَّهمْ يَستَطيعُونَ.

لكنْ لَمَّا قالَ: {لاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا}، كانَ أبْلَغَ لظهورِ عَجْزِهِمْ.

الرابع: أنَّهُمْ لا يَستَطيعُونَ نَصرَ أنْفُسِهِمْ.

(2) قولُهُ: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ} يَشمَلُ دُعاءَ المسألةِ، ودُعاءَ العبادةِ.

و{مِن دُونِهِ} أيْ: سِوَى اللهِ.

قولُهُ: {وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ} أيْ: أنَّ هذهِ الأصنامَ لوْ دَعوْتُموها ما سَمِعَتْ، ولوْ فُرِضَ أنَّها سَمِعَتْ ما استجابَتْ؛ لأنَّها لا تَقدِرُ على ذلكَ.

ولهذا قالَ إبراهيمُ عليهِ السلامُ لأبيهِ: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا}.

فإذا كانتْ كذلكَ؛ فأيُّ: شيءٍ يَدْعُو إلى أنْ تُدْعَى منْ دونِ اللهِ؟!

بلْ هذا سَفَهٌ، قالَ تعالى: {وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ}.

قولُهُ: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ}، هوَ كقولِهِ تعالى: {وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}.

فهؤلاءِ المعبودونَ إنْ كانُوا يُبْعَثُونَ ويُحشَرُونَ فكُفْرُهمْ بشرْكِهمْ ظاهرٌ كمَنْ يَعبدُ عُزَيْرًا والمسيحَ.

وإنْ كانُوا أحْجارًا وأشْجارًا ونَحْوَها؛ فيَحتَمِلُ أنْ يَشمَلَها بظاهرِ الآيةِ، وهوَ أنَّ اللهَ يأتي بهذهِ الأشْجارِ ونحوِها فتَكْفُرُ بشرْكِ مَنْ يُشْرِكُ بها.

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

ويُؤَيِّدُهُ قولُهُ تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ}، وما ثَبتَ في (الصَّحيحَيْن) عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «أَنَّهُ عِنْدَ بَعْثِ النَّاسِ يُقَالُ لِكُلِّ أُمَّةٍ: لِتَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ» فالحجرُ يكونُ إمامَهُمْ يومَ القيامةِ، ويكونُ لهُ كلامٌ يَنْطِقُ به، ويَكفُرُ بشركِهم، فإذا كانت تُحْضَرُ وتُحْصَبُ في النارِ إهانةً لعابديها، وتُحضَرُ لِتُتْبَعَ إلى النَّارِ، فلاَ غَرْوَ أنْ تَكْفُرَ بعابديها إذا أُحْضِرَتْ.

قولُهُ: {وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}معناهُ: أنَّهُ لا يُخْبِرُكَ بالخَبرِ مِثْلُ خبيرٍ به، وهوَ اللهُ؛ لأنَّهُ لا يَعْلَمُ أحدٌ ما يكونُ في يومِ القيامةِ إلاَّ اللهُ، وهوَ خَبَرُ صِدْقٍ؛ لأنَّ اللهَ تَعَالَى يقولُ: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً}.

والخبيرُ: العالمُ ببواطنِ الأمورِ.

مسألةٌ: هلْ يَسْمَعُ الأمواتُ السلامَ وَيَرُدُّونَهُ عَلَى مَنْ سلَّمَ عَلَيْهِم؟

اخْتُلِفَ في ذلكَ على قولَيْنِ:

القولُ الأوَّلُ: أنَّ الأمواتَ لا يَسْمَعُونَ السَّلامَ، وأنَّ قولَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ حينَ زيارَةِ المَقْبَرةِ: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ» دُعاءٌ لا يُقصَدُ به المُخاطَبَةُ، ثمَّ على فَرْضِ أنَّهم يَسْمَعُونَ كما جاءَ في الحديثِ الذي صحَّحَهُ ابنُ عبدِ البرِّ وأقرَّهُ ابنُ القيِّمِ: «بِأَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا سَلَّمَ عَلَى شَخْصٍ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ فَرَدَّ السَّلاَمَ» فيقال: عَلَى تَقْديرِ صحَّةِ هذا الحديثِ، لا يَلْزَمُ أنْ يَسْمَعُوا كُلَّ شيءٍ بل يسمعون السلام ويردونه.

ثمَّ لوْ فُرِضَ أنَّهم يَسْمَعُونَ غيرَ السَّلامِ، فإنَّ اللهَ صرَّحَ بأنَّ المَدْعُوِّينَ منْ دونِ اللهِ بأنَّهم لاَ يَسْمَعُونَ دُعاءَ مَنْ يَدْعُوهُمْ، فلا يُمْكِنُ أنْ نقولَ إنَّهم يَسْمَعُونَ دعاءَ مَنْ يَدعوهُمْ؛ لأنَّ هذا كُفرٌ بالقرآنِ.

فتَبَيَّنَ بهذا أنَّهُ لا تَعارُضَ بَيْنَ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ» وبينَ هذهِ الآيَةِ.

وأمَّا قولُهُ: {وَلَوْ سَمِعُوا} فمعناهُ لوْ سَمِعُوا فَرْضًا ما اسْتَجابُوا لَكُم؛ لأنَّهم لا يَسْتَطِيعُونَ.

القولُ الثاني: أنَّ الأمواتَ يَسْمَعُونَ.

واسْتَدَلُّوا على ذلكَ: بالخِطَابِ الواقعِ في سلامِ الزائرِ لهمْ بالمقبرةِ.

وبما ثَبتَ في (الصَّحيحِ) منْ أنَّ المُشَيِّعِينَ إذا انصرَفُوا سَمِعَ المُشَيَّعُ قَرْعَ نعالِهِمْ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

والجوابُ عنْ هذَيْن الدليلَيْن:

أمَّا الأوَّلُ: فإنَّهُ لا يَلْزَمُ مِن السَّلَامِ عَلَيْهِمْ أنْ يَسْمَعُوا؛ ولهذا كانَ المسلمونَ يُسَلِّمُونَ على النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في حياتِهِ في التَّشهُدِ وهوَ لا يَسْمَعُهُمْ قَطعًا.

وأمَّا الثاني: فهوَ واردٌ في وَقْتٍ خاصٍّ، وهوَ انْصِرَافُ المشيِّعِينَ بعدَ الدَّفنِ.

وعَلَى كُلٍّ فالقَوْلَانِ مُتَكَافِئَانِ، واللهُ أعْلَمُ.

قولُهُ: (**شُجَّ**) الشَّجَّةُ الجُرحُ في الرَّأْسِ والوجهِ خاصَّةً.

قولُهُ: (**وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ**) السِّنَّانِ المُتَوَسِّطَانِ يُسَمَّيَانِ ثَنَايَا، ومَا وراءَهُما يُسَمَّيَانِ رَبَاعِيَتَيْنِ.

قال النووي في (شرح مسلم) (125/7): قوله: (**وكسرت رباعيته**) **هي بتخفيف الياء، وهي السن التي تلي الثنية من كل جانب، وللإنسان أربع رباعيات.**

وفي هذا وقوع الأسقام والابتلاء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم؛ لينالوا جزيل الأجر، ولتعرف أممهم وغيرهم ما أصابهم، ويتأسوا بهم).

قولُهُ: **فقَالَ**: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟!**» الاستفهامُ يُرادُ بِهِ الاستبعادُ؛ أيْ: بعيدٌ أنْ يُفْلِحَ قومٌ شجُّوا نَبيَّهُم صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

قولُهُ: «**يُفْلِحُ**» من الفلاحِ، وهوَ الفوزُ بالمطلوبِ، والنجاةُ من المَرْهُوبِ.

(3) قولُهُ: (**فنَزَلَتْ**: {**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**}) أيْ: نَزَلَتْ هذه الآيَةُ.

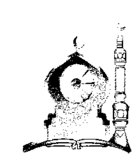
والخطابُ فيها للرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ.

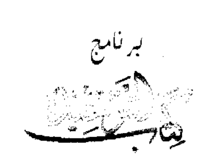
و{**شَيْءٌ**} نَكِرَةٌ في سياقِ النَّفيِ فتَعُمُّ.

قولُهُ: {**الْأَمْرِ**} أي: الشَّأْنِ، والمرادُ: شأنُ الخلقِ. فَشَأْنُ الخلقِ إلى خالقِهِمْ، حتَّى النبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ليسَ لهُ فيهِمْ شيءٌ.

ففي الآيَةِ خطابٌ للرسولِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ، وقدْ شُجَّ وجْهُهُ، وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، ومعَ ذلكَ ما عَذَرَهُ اللهُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





سُبْحَانَهُ في كلمةٍ واحدة: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟ !».

فإذا كانَ الأمرُ كذلكَ فما بالُكَ بِمَنْ سِوَاهُ؟

فليسَ لهم مِن الأمْرِ شَيْءٌ؛ كالأصْنامِ والأوْثانِ والأنْبياءِ. فالأمرُ كلُّهُ للهِ سبحانَهُ وتَعَالَى، كَمَا أنَّهُ الخالقُ وحدَهُ. والحمدُ للهِ الذي لَمْ يَجْعَلْ أَمْرَنَا إلى أحدٍ سِوَاهُ؛ لأنَّ المخلوقَ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا ولا ضرًّا، فكيفَ يملكُ لغيرِه؟!

قولُهُ: (فَنَزَلَتْ) الفاءُ للسَّبَبِيَّةِ، وعليهِ فيكونُ سببَ نزولِ هذهِ الآيَةِ هذا الكلامُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ؟ !».

(4) قولُهُ: (إذَا رَفَعَ رأْسَهُ مِن الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأخِيرَةِ مِن الفَجْرِ) قيَّدَ مَكَانَ الدعاءِ مِن الصلواتِ بالفَجْرِ، ومكانَهُ مِن الرَّكَعَاتِ بالأخيرةِ، ومكانَهُ من الركْعَةِ ما بعدَ الرَّفْعِ مِن الرُّكُوعِ.

(5) قولُهُ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلانًا وَفُلانًا» اللَّعْنُ: الطَّرْدُ والإبعادُ عنْ رحمةِ اللهِ؛ أيْ: أَبْعِدْهُم عنْ رَحْمَتِكَ، واطْرُدْهم منها. و(فُلانًا وَفُلانًا) بيَّنَهُ في الروايَةِ الثانيَةِ أنَّهم صفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ، وسُهَيْلُ بنُ عمرٍو، والحارثُ بنُ هشامٍ.

(6) قولُهُ: (بعْدَمَا يقولُ: «سمِعَ اللهُ لمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا ولَكَ الْحَمْدُ») أيْ: يقولُ ذلكَ إذا رَفَعَ رأسَهُ وقالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ.

(7) قولُهُ: (فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾) هُنَا قالَ: (فَأَنْزَلَ) وفي الحديثِ السابقِ قالَ: (فَنَزَلَتْ) وكلُّها بالْفَاءِ.

وعَلَى هذا يكونُ سببَ نزولِ الآيَةِ دعوةُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على هؤلاءِ، وقولُهُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟ !» ولا مانِعَ أنْ يَكُونَ للآيَةِ سَبَبَا نُزُولٍ.

وقدْ أسلمَ هؤلاءِ الثلاثةُ، وحَسُنَ إسلامُهُم رَضِيَ اللهُ عنهم. فتأمَّل كيف تنقلب العداوةَ ولايَةً؛ لأنَّ القلوبَ بِيَدِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى، ولوْ أنَّ الأمرَ كانَ عَلَى ظَنِّ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لبَقِيَ هؤلاءِ على الكفرِ حتَّى الموتِ، إذ لوْ قُبِلَت الدَّعْوَةُ عليهم وطُرِدُوا عن الرَّحمةِ لَمْ يَبْقَ إلاَّ العذابُ.

ولكنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ليسَ لهُ من الأمرِ شيءٌ، فالأمرُ كُلُّهُ للهِ. ولهذا هدَى اللهُ هؤلاءِ القومَ وصَارُوا

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

مِنْ أولياءِ اللهِ الذَّابِّينَ عنْ دينِهِ، بعْدَ أنْ كانُوا أعداءَ اللهِ القائمينَ ضِدَّهُ. واللهُ سبحانَهُ يَمُنُّ على مَنْ يَشَاءُ مِنْ عبادِهِ.

(8) قولُهُ: (قَامَ) أيْ: خطيبًا.

قولُهُ: (أُنْزِلَ عليْهِ) أيْ: أُنْزِلَ عليهِ بواسطةِ جبريلَ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾.

قولُهُ: ﴿وَأَنذِرْ﴾ أيْ: حَذِّرْ وَخَوِّفْ.

والإنذارُ: الإعلامُ المقرونُ بتخويفٍ.

قولُهُ: ﴿عَشِيرَتَكَ﴾ العشيرةُ قبيلةُ الرجُلِ مِن الجَدِّ الرابعِ فما دُونَ.

قولُهُ: ﴿الْأَقْرَبِينَ﴾ أي: الأقربُ فالأقربُ، فأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ في عشيرةِ الرجلِ أولادُهُ، ثمَّ آباؤُهُ، ثمَّ إخوانُهُ، ثمَّ أعمامُهُ، وهكذا.

ويُؤْخَذُ مِنْ هذا أنَّ الأَقْرَبَ فالأقربَ أَوْلَى بالإِنْذارِ؛ لأنَّ الحُكْمَ المُعَلَّقَ عَلَى وصْفٍ يَقْوَى بقُوَّةِ هذا الوصفِ، وذلكَ أنَّ الوَصْفَ المُوجِبَ للحُكْمِ كُلَّما كانَ أظْهَرَ وأبْيَنَ كانَ الحُكْمُ فيه أظْهَرَ وأَبْيَنَ.

وقولُهُ: (حينَ أُنْزِلَ عليْهِ) يُفِيدُ أنَّهُ لمْ يتَأَخَّرْ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، بلْ قامَ فقالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ» أيْ: يا جماعةَ قريشٍ.

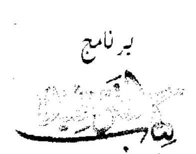
(9) قولُهُ: «اشْتَرُوا أَنْفسَكُمْ» أيْ: أَنْقِذُوها؛ لأنَّ المُشْتَرِيَ نَفَسَهُ كأَنَّهُ أَنْقَذَها مِنْ هَلَاكٍ، والمُشْتَرِي رَاغِبٌ. ولهذا عَبَّرَ بالاشتراءِ كأَنَّهُ يقولُ: اشْتَرُوا أَنْفُسَكُم رَاغِبِينَ.

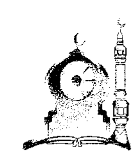
وفي قولِهِ: «اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ» مِن الحضِّ على هذا الأمرِ ما هوَ ظاهرٌ؛ لأنَّ المشتريَ يكونُ راغبًا.

قولُهُ: «لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا» هذا هوَ الشاهدُ؛ أيْ: لا أَدْفَعُ، أَوْ لا أَنْفَعُ؛ أيْ: لا أَنْفَعُكُم بِدَفْعِ شيءٍ عنكم دونَ اللهِ، ولا أَمْنَعُكُم مِنْ شيءٍ أرادَهُ اللهُ لكم؛ لأنَّ الأمرَ بيَدِ اللهِ.

ولهذا أمرَ اللهُ نبيَّهُ بذلكَ فقالَ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (21) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







قولُهُ: «شَيْئًا» نَكرَةٌ في سياقِ النَّفْيِ، فَتَعُمُّ أيَّ شيءٍ.

(**10**) قولُهُ: «**يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**» هوَ عمُّ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وعبدُ **المُطَّلِبِ** جَدُّ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

فإنْ قيلَ: كيفَ يقولُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: **عَبْدَ المُطَّلِبِ** مَعَ أَنَّهُ لا يَجُوزُ أنْ يُضافَ عَبْدٌ إلاَّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ؟

فالجوابُ: أنَّ هذا ليسَ إنْشاءً، بلْ هوَ خَبَرٌ، فاسْمُهُ **عبدُ المُطَّلِبِ** ولَمْ يُسَمِّهِ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ، لكن اشْتُهِرَ **بعبد المُطَّلب**.

(**11**) قولُهُ: «**لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا**» أيْ: لا أَنْفَعُكَ بشيءٍ دونَ اللهِ، ولا أَمْنَعُكَ مِنْ شيءٍ أرادَهُ اللهُ لكَ، فالنبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لا يُغْنِي عَنْ أحدٍ شيئًا، حتَّى عَن أبيه وأُمِّه.

(**12**) قولُهُ: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ**» أي: اطْلُبِيني مِنْ مالي ما شِئْتِ فَلَنْ أمْنَعَكِ؛ لأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ مَالِكٌ لمالِه، ولكنْ بالنِّسْبَةِ لحقِّ اللهِ قالَ: «**لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**».

فهذا كلامُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لأَقاربِه الأقربينَ؛ عمِّه وعمَّتِه وابنتِه. فما بالُكَ بمَنْ هم أبعدُ؟

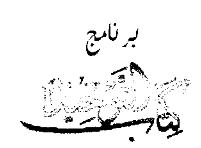
فعدمُ إغنائِه عنهم شيئًا مِنْ بابِ أَوْلَى، فهؤلاءِ الذينَ يَتَعَلَّقُونَ بالرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ، ويَلُوذُونَ ويَسْتَجيرُونَ بهِ، قدْ غرَّهُم الشَّيْطانُ واحْتَالَهُم عنْ طريقِ الحقِّ؛ لأنَّهم تَعَلَّقوا بما ليسَ بمُتَعَلَّقٍ، فالذي يَنْفَعُ بالنِّسْبةِ للرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ هوَ الإيمانُ به واتِّبَاعُهُ.

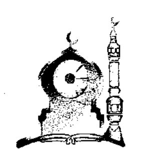
أمَّا دُعاؤُهُ والتَّعَلُّقُ به ورجاؤُهُ **فيما يُؤَمَّلُ**، وخَشْيَتُهُ في ما يُخافُ منهُ، فهذا شِركٌ باللهِ، وهوَ مِمَّا يُبْعِدُ عن الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ وعن النَّجاةِ منْ عذابِ اللهِ.

ففي الحديثِ امتثالُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لأمرِ ربِّهِ في قولِه تعالَى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فإنَّهُ قامَ بهذا الأمرِ أتمَّ القيامِ، فدَعَا وعَمَّ وخصَّصَ وبيَّنَ أنَّهُ لا يُنْجِي أحدًا مِنْ عَذَابِ اللهِ بأيِّ وسيلةٍ، بَل الذي يُنْجِي هوَ الإيمانُ به واتِّباعُ ما جاءَ به.

وإذا كانَ القُرْبُ من النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لا يُغْنِي عن القريبِ شيئًا، دلَّ ذلكَ عَلَى مَنْعِ التَّوسُّلِ بجاهِ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؛ لأنَّ جاهَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ لا يَنْتَفِعُ بهِ إلاَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ. ولهذا كانَ أصَحَّ قَوْلَيْ أهلِ العلْمِ تَحْرِيمُ التوسُّلِ بجاهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ.

(13) **فيهِ مسائلُ:**

الأولى: (**تفسيرُ الآيتَيْنِ**) وهما آيتَا الأعرافِ. وسَبَقَ ذلكَ في أوَّلِ البابِ. والاسْتِفْهامُ فيهما للتَّوْبِيخِ والإنْكَارِ، وكذلكَ سَبَقَ تَفْسيرُ الآيَةِ الثالثةِ؛ وهي آيةُ فاطرٍ.

(14) **الثانيةُ:** (**قِصَّةُ أُحُدٍ**) حيثُ شُجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ... الحديثَ.

(15) **الثالثةُ:** (**قُنُوتُ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ... إلخ**) أرادَ المُؤَلِّفُ بهذه المسألة أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ سَيِّدَ المُرْسَلِينَ، وأَصْحَابَهُ سَادَاتِ الأولياءِ، ما أَنْقَذُوا أَنْفُسَهم، فكيفَ يُنْقِذُونَ غَيْرَهُم؟!

وليسَ مُرَادُهُ رَحِمَهُ اللهُ مُجَرَّدَ إثباتِ القُنُوتِ والتأمينِ عليه، ولهذا جاءت العباراتُ بسيِّدِ وساداتٍ، فلا أحدَ أَقْرَبُ إلى اللهِ من الرسولِ وأصحابِهِ، ومعَ ذلكَ يَلْجَأُونَ إلى اللهِ سُبْحَانَهُ في كَشْفِ الكُرُباتِ، ومَنْ كانت هذه حالُهُ فكيفَ يُمْكِنُ أن يُلْجَأَ إليهِ في كَشْفِ الكُرُباتِ؟!

فليسَ مُرادُ **المُؤَلِّفِ** إثباتَ مسألةٍ فقهيَّةٍ.

(16) **الرابعةُ:** (**أنَّ المَدْعُوَّ عليْهِمْ كُفَّارٌ**) تُؤْخَذُ مِنْ قوْلِهِ تعالى: **{أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ}**، فهذا دليلٌ على أنَّهم الآنَ لَيْسُوا عَلَى حالٍ مَرْضِيَّةٍ، ثمَّ إنَّهُ مَعْرُوفٌ أنَّ **صَفْوَانَ بنَ أُمَيَّةَ وسُهَيْلَ بنَ عمرٍو والحارثَ بنَ هشامٍ** وقتَ الدعاءِ عليهم كانوا كُفَّارًا.

وهذهِ المسألةُ؛ أيْ: أنَّ المَدْعُوَّ عليهم كُفَّارٌ، تَرْمِي إلى أنَّ الرسولَ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ وإنْ كانَ يَرَى أنَّهُ دعا عليهم بحقٍّ، فقدْ قَطَعَ اللهُ سبحانَهُ وتعالى أنْ يَكُونَ لهُ من الأمرِ شيءٌ؛ لأنَّهُ قدْ يَقُولُ قائلٌ: إذا كانوا كُفَّارًا أَلَيْسَ يَمْلكُ الرسولُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ يَدْعُوَ عَلَيْهِم؟

نقولُ: حتَّى في هذهِ الحالِ لاَ يَمْلكُ مِنْ أَمْرِهم شيئًا، هذا وَجْهُ قولِ المُؤَلِّفِ أنَّ المَدْعُوَّ عليهم كُفَّارٌ.

وليسَ مُرادُهُ الإعلامَ بِكُفْرِهم؛ لأنَّ هذا مَعْلُومٌ لاَ يَسْتَحِقُّ أنْ يُعْنَوْنَ لهُ.

بل المرادُ في هذهِ الحالِ الذي كانَ هؤلاءِ كُفَّارًا لَمْ يَمْلك النبيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ شيئًا بالنسبةِ إليهم.

(17) **الخامسةُ:** (**أنَّهم فَعَلُوا أشياءَ ما فَعَلَها غَالبُ الكُفَّارِ**) أيْ: أنَّهم مَعَ كُفْرِهم كانُوا مُعْتَدِينَ، ومَعَ ذلكَ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

قِيلَ لَهُ فِي حَقِّهِم: {لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ}.

وإلاَّ فَهُم شَجُّوا النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وَمَثَّلوا بالقَتْلَى؛ مثل **حَمْزَةَ بن عبد المُطَّلِب**. وكذلكَ أيضًا حَرَصُوا عَلَى قَتْلِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ، مَعَ أنَّ كُلَّ هؤلاءِ فيهم مِنْ بَنِي عَمِّهِم، وفيهم من الأنصارِ.

(**18**) **السادسةُ**: (**أَنْزَلَ اللهُ عليهِ في ذلكَ**: {لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ}) أيْ: معَ ما تَقَدَّمَ من الأمورِ التي تَقْتَضي أنْ يكونَ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ حقٌّ بأنْ يَدْعُوَ عَلَيْهِم، أَنْزَلَ اللهُ: {لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ}، فالأمرُ للهِ وحدَهُ، فإذا كانَ الرسولُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قَدْ قُطِعَ عنهُ هذا الشيءُ، فغَيْرُهُ مِنْ بابِ أَوْلَى.

(**19**) **السابعةُ**: (**قولُهُ**: {أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ}، **فتابَ عَلَيْهِم فآمَنُوا**) وهذا دَليلٌ عَلَى كَمالِ سُلْطانِ اللهِ وقُدْرَتِه؛ فهؤلاءِ الذينَ جَرَى منْهم ما جَرَى تابَ اللهُ عَلَيْهِم وآمَنُوا؛ لأنَّ الأمرَ كُلَّهُ بيَدِه سبحانَهُ، وهوَ الذي يُذِلُّ مَنْ يشاءُ ويُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ؛ فَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ومَنْ دُونَهُ لا يَسْتَطيعُونَ أنْ يُغَيِّرُوا شيئًا مِنْ أمْرِ اللهِ.

(**20**) **الثامنةُ**: (**القنوتُ في النوازلِ**) وهذهِ هيَ المسألةُ الفقهيَّةُ، فإذا نَزَلَ بالمسلمينَ نازلةٌ فإنَّهُ يَنْبَغي أنْ يُدْعَى لَهُم حَتَّى تَنْكَشِفَ.

وهذا القُنُوتُ مشروعٌ في كلِّ الصلواتِ، كما في حديثِ **ابنِ عبَّاسٍ** رضيَ اللهُ عنهما الذي رَوَاهُ **أحْمَدُ** وغيرُهُ، إلاَّ أنَّ الفقهاءَ رحمَهُم اللهُ اسْتَثْنَوا الطَّاعُونَ وقَالُوا: لا يُقْنَتُ لهُ؛ لعدمِ وُرودِ ذلكَ، وقَدْ وَقَعَ في عهدِ **عُمَرَ** رَضِيَ اللهُ عنهُ ولَمْ يَقْنُتْ. ولأنَّهُ شهادةٌ؛ فلا يَنْبَغي الدُّعاءُ برَفْعِ سَبَبِ الشَّهَادَةِ.

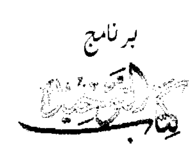
وظاهرُ السُّنَّةِ: أنَّ **القُنُوتَ إنَّما يُشْرَعُ في النَّوازلِ التي تكونُ مِنْ غيرِ اللهِ**، مثلِ: إيذاءِ المسلمينَ والتَّضْييقِ عَلَيْهِم.

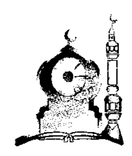
أمَّا ما كانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ؛ فإنَّهُ يُشْرَعُ لهُ ما جَاءتْ به السُّنَّةُ، مثلُ: الكُسُوفِ، فيُشْرَعُ لهُ صلاةُ الكسوفِ، والزلازلُ شُرِعَ لها صلاةُ الكُسُوفِ، كما فَعَلَ **ابنُ عبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهما وقالَ: (**هذه صلاةُ الآياتِ**) وَ**الْجَدْبُ** يُشْرَعُ لهُ الاسْتِسْقَاءُ، وهكذا.

وما عَلِمْتُ لِسَاعَتِي هذهِ أنَّ القُنُوتَ شُرِعَ لأمرٍ نَزَلَ من اللهِ، بَلْ يُدْعَى لهُ بالأَدْعِيَةِ الوَارِدةِ الخَاصَّةِ، لكنْ إذا ضُيِّقَ عَلَى المُسْلِمينَ وأُوذُوا وما أَشْبَهَ ذلكَ؛ فإنَّهُ يُقْنَتُ اتِّباعًا للسُّنَّةِ في هذا الأمرِ.

ثُمَّ مَن الذي يَقْنُتُ، الإمامُ الأعظمُ، أوْ إمامُ كُلِّ مسجدٍ، أوْ كُلُّ مُصَلٍّ؟

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







المَذْهَبُ: أنَّ الذي يَقْنُتُ هوَ الإمامُ الأعْظَمُ فقطْ؛ الذي هوَ الرئيسُ الأعْلَى للدَّوْلَة.

وقيلَ: يَقْنُتُ كُلُّ إمامِ مَسْجِد.

وقيل: يَقْنُتُ كلُّ مُصَلٍّ، وهوَ الصَّحيحُ؛ لِعُمُومِ قولِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**» وهذا يَتَنَاولُ قُنُوتَهُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ عِنْدَ النَّوازِلِ.

(21) **التاسعةُ: (تَسْمِيَةُ المدعوِّ عليهم في الصلاةِ بأسمائِهم وأسماءِ آبائِهم)** وهمْ صفوانُ بنُ أُمَيَّةَ، وسُهَيْلُ بنُ عمرٍو، والحَارثُ بنُ هشامٍ، فسَمَّاهُم بأسمائِهم وأسماءِ آبائِهم، لكنْ هلْ هذا مَشْرُوعٌ أوْ جَائِزٌ؟

الجوابُ: هذا جائزٌ، وعليه؛ فإذا كانَ في تَسْمِيَةِ المَدْعُوِّ عليهم مَصْلَحةٌ كانَت التَّسْمِيَةُ أَوْلَى، لوْ دَعَا إنْسانٌ لأُناسٍ مُعَيَّنِينَ في الصَّلَاةِ جازَ؛ لأنَّهُ لا يُعَدُّ منْ كلامِ الناسِ، بلْ هوَ دُعاءٌ، والدُّعاءُ مُخاطَبَةُ اللهِ تَعالَى، ولاَ يَدْخُلُ في عُمُومِ قولِهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: «**إنَّ هَذهِ الصَّلَاةَ لا يَصْلُحُ فيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ**».

مَسْأَلَةٌ: هَل الذي نُهِيَ عنهُ الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ الدُّعاءُ أوْ لَعْنُ المُعَيَّنِينَ؟

الجوابُ: المنهيُّ عنهُ هوَ لَعْنُ الكُفَّارِ في الدُّعاءِ عَلَى وجهِ التَّعْيِين، أمَّا لَعْنُهُم عمومًا فلا بَأْسَ به، وقَدْ ثَبَتَ عَن **أبي هُرَيْرَةَ** أنَّهُ كانَ يَقْنُتُ ويَلْعَنُ الْكَفَرةَ عُمُومًا، ولاَ بَأْسَ بِدُعائِنا عَلَى الكَافِرِ بقَوْلنا: **اللهُمَّ أَرِح المسلمينَ منهُ، واكْفِهم شَرَّهُ**، واجْعَلْ شَرَّهُ في نَحْرِه، ونحوِ ذلكَ.

أمَّا الدعاءُ بالهلاكِ لعمومِ الكُفَّارِ فإنَّهُ مَحَلُّ نظرٍ؛ ولهذا لم يَدْعُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ عَلَى **قُرَيْشٍ** بالهلاكِ، بَلْ قالَ: «**اللهُمَّ عَلَيْكَ بِهِمْ، اللهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِني يُوسُفَ**» وهذا دعاءٌ عليهم بالتَّضْيِيقِ، والتَّضْيِيقُ قَدْ يَكُونُ مِنْ مَصْلَحةِ الظَّالِمِ بحيثُ يَرْجِعُ إلى اللهِ عنْ ظُلْمِه.

فالمُهِمُّ أنَّ الدُّعاءَ بالهلاكِ لجميعِ الكُفَّارِ عِنْدي تَرَدُّدٌ فيه.

وقدْ يُسْتَدَلُّ بدعاءِ خُبَيْبٍ حَيْثُ قالَ: «**اللهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، ولا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا**» على جوازِ ذلكَ؛ لأنَّهُ وَقَعَ في عَهْدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، ولأنَّ الأمرَ وَقَعَ كما دَعَا؛ فإنَّهُ ما بَقِيَ مِنْهُم أحَدٌ عَلَى رَأْسِ الحَوْلِ، ولَمْ يُنْكِر اللهُ تَعَالَى ذلكَ، ولا أنْكَرَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، بلْ إنَّ إجابةَ اللهِ دُعَاءَهُ يَدُلُّ عَلَى رِضَاهُ به وإقْرَارِه عليه.

فهذا **قدْ يُسْتَدَلُّ** به **عَلَى جَوَازِ الدُّعاءِ عَلَى الكُفَّارِ بالْهَلاكِ**، لَكِنْ يُحْتَاجُ أنْ يُنْظَرَ في القِصَّةِ فقدْ يكونُ لها أسبابٌ خاصَّةٌ لا تَأْتِي في كلِّ شيءٍ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

ثمَّ إنَّ خُبَيْبًا دَعَا بالهلاكِ لفئةٍ مَحْصُورَةٍ مِن الكُفَّارِ لاَ لجَمِيعِ الكفَّار.

وفيهِ: أيضًا، إنْ صحَّ الحديثُ، دُعَاؤُهُ عَلَى عُتْبَةَ بنِ أبي لَهَبٍ: «اللهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلاَبِكَ».

فيهِ: دليلٌ عَلَى الدُّعاءِ بالْهَلاَكِ، لكنْ هذا عَلَى شَخْصٍ مُعَيَّنٍ لاَ عَلَى جَمِيعِ الكُفَّارِ.

(22) **العاشرةُ: (لَعْنُ المُعَيَّنِ في القُنُوتِ)** هذا غريبٌ، فإنْ أرادَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ أنَّ هذا أَمْرٌ وَقَعَ، ثُمَّ نُهِيَ عنهُ فَلاَ إشْكَالَ، وإنْ أرادَ أنَّهُ يُسْتَفادُ منْ هذا جَوَازُ لَعْنِ المُعَيَّنِ في القُنُوتِ أبدًا، فهذا فيهِ نَظَرٌ؛ لأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ نُهِيَ عنْ ذلكَ.

(23) **الحاديَةَ عشرةَ: (قِصَّتُهُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لَمَّا أُنْزِلَ عليهِ: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ})** وهيَ أنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الآيَةُ نادَى قُرَيْشًا، فَعَمَّ ثمَّ خصَّ، فامْتَثَلَ أَمْرَ اللهِ في هذهِ الآيَةِ.

(24) **الثانيَةَ عشرةَ: (جِدُّهُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ في هذا الأمرِ بحَيْثُ فعلَ ما نُسِبَ بسَبَبِهِ إلى الجُنُونِ)** أي: اجْتِهَادُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ في هذا الأمرِ بحيثُ قالُوا: إنَّ مُحَمَّدًا جُنَّ، كيفَ يَجْمَعُنا ويُنَادِينَا هذا النِّدَاءَ.

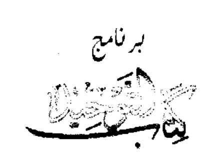
وقولُهُ: **(وكَذَا لوْ فعَلَهُ مُسْلِمٌ الآنَ)** أيْ: لوْ أنَّ إنْسَانًا جَمَعَ النَّاسَ ثمَّ قامَ يُحَذِّرُهُم لتَحْذِيرِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، لقالُوا: مَجْنونٌ؛ إلاَّ إذا كانَ مُعْتادًا عندَ الناسِ، قالَ تَعَالَى: {وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} وقالَ تَعَالَى: {يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}.

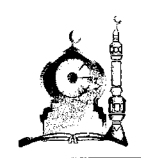
فهذا يَخْتَلِفُ باخْتِلاَفِ البلادِ والزَّمَانِ.

ثمَّ إنَّهُ يَجِبُ عَلَى الإنْسَانِ أنْ يَبْذُلَ جُهْدَهُ واجْتِهادَهُ في الدَّعْوةِ إلَى اللهِ بالحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قامَ بهذا الأمرِ ولَمْ يُبَالِ بمَا رُمِيَ به من الجُنُونِ.

(25) **الثالثةَ عشرةَ: (قولُهُ للأبعدِ والأقربِ: «لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا»)** صدقَ رَحِمَهُ اللهُ فيما قالَ؛ فإنَّهُ إذَا كانَ هذا القائلُ سيِّدَ المُرْسَلِينَ، وقالَهُ لسَيِّدَةِ نسَاءِ العَالَمِينَ، ثم نحنُ نُؤْمِنُ أنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ لاَ يَقُولُ إلاَّ الحَقَّ، وأنَّهُ لا يُغْني عن ابْنَتِه شيئًا.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي

الدرس السابع عشر

مناسبةُ الترجمةِ: أنَّ هذا مِن البراهينِ الدَّالَّةِ على أنَّهُ لا يَسْتَحِقُّ أحدٌ أنْ يَكُونَ شَرِيكًا مَعَ اللهِ؛ لأنَّ الملائكةَ وَهُمْ أَقْرَبُ ما يكونُ من الخلقِ للهِ عزَّ وجلَّ، مَا عدا خَوَاصَّ بَنِي آدمَ، يَحْصُلُ مِنْهم عِندَ كَلاَمِ اللهِ سُبْحَانَهُ الفزَعُ.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله في (شرح التوحيد) ص265:

(أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم من عُبد من دون الله، فإذا كان هذا حالهم مع الله تعالى، وهيبتهم منه، وخشيتهم له، فكيف يدعوهم أحد من دون الله؟

ففيه الرد على جميع فرق المشركين الذين يدعون مع الله من لا يداني الملائكة، ولا يساويهم في صفة من صفاتهم).

(1) قولُهُ تَعَالَى: {حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ} قالَ ذلكَ ولَمْ يَقُلْ: فَزِعَتْ قُلُوبُهم؛ إذْ عنْ تُفيدُ المُجَاوَزَةَ.

والمعْنَى: جَاوَزَ الفزَعُ قُلُوبَهُم؛ أيْ: أُزِيلَ الفزَعُ عنْ قُلُوبِهِم.

والفَزَعُ: الخوفُ المُفَاجِئُ؛ لأنَّ الخوفَ المُسْتَمِرَّ لا يُسمَّى فَزَعًا.

وأصْلُهُ: النُّهوضُ مِن المَخُوفِ.

وقولُهُ: {عَن قُلُوبِهِمْ} أيْ: قُلُوبِ المَلاَئكةِ؛ لأنَّ الضميرَ يَعودُ عليهِم؛ بدليلِ ما سَيَأْتِي مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرةَ، وَلاَ أَحَدَ مِن الخَلْقِ أَعْلَمَ بتفْسيرِ القرآنِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ. قال ابن عطية: (وهذا الذي تظاهرت عليه الأحاديث الصحيحة).

وقال ابن كثير: (هذا هو الحق الذي لا مرية فيه، وتظاهرت عليه الأحاديث والآثار)

قولُهُ: {قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ} جوابُ الشَّرْطِ.

والمعنَى: قالَ بعضُهم لبعضٍ.

وإنَّما قُلْنا ذلكَ؛ لأنَّ في الكلامِ قائلاً ومَقُولاً لهُ، فلوْ جَعَلْنا الضميرَ في {قَالُوا} عَائدًا عَلَى الجَميعِ، فأينَ المقولُ لهُ؟

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ... ص.ب ...
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

والمعنَى: أيُّ شيءٍ قالَ ربُّكم؟

وقولُهُ: {قَالُوا الْحَقَّ} أيْ: قالَ المَسْئُولُونَ.

و{الْحَقَّ} صِفَةٌ لمصدرٍ مَحْذُوفٍ مَعَ عامِلِهِ، والتقديرُ: قالَ القولَ الحقَّ.

والمعنى: أنَّ اللهَ سُبْحانَهُ قالَ القولَ الحقَّ؛ لأنَّهُ سُبْحانَهُ هوَ الحقُّ، ولا يَصْدُرُ عنهُ إلاَّ الحقُّ، ولا يقولُ ولا يَفْعَلُ إلاَّ الحقَّ.

والحقُّ في الكلامِ: هوَ الصِّدقُ في الأخبارِ، والعدلُ في الأحكامِ، كما قالَ اللهُ تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}.

ولا يُفْهَمُ منْ قولِهِ: {قَالُوا الْحَقَّ} أنَّهُ قدْ يكونُ قولُهُ باطلاً، بلْ هوَ بيانٌ للواقعِ.

فإنْ قيلَ: ما دامَ بيانًا للواقعِ ومَعْرُوفًا عندَ الملائكةِ أنَّهُ لا يَقُولُ إلاَّ الحقَّ، فلماذا الاستفهامُ؟

أُجيبُ: أنَّ هذا منْ بابِ الثناءِ عَلَى اللهِ بمَا قالَ، وأنَّهُ سبحانَهُ لا يقولُ إلاَّ الحقَّ.

قولُهُ تَعالَى: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} أي: العَلِيُّ في ذاتِهِ وصفاتِهِ.

والكبيرُ: ذُو الكِبْرياءِ، وهيَ العَظَمَةُ التي لا يُدانيها شَيءٌ؛ أي: العَظِيمُ الذي لاَ أَعْظَمَ منهُ.

والعُلُوُّ قسمان:

الأوَّلُ: عُلُوُّ الصفاتِ.

وقَدْ أَجْمَعَ عليهِ كلُّ مَنْ يَنْتَسِبُ للإسلامِ حتَّى الجَهْمِيَّةُ ونَحْوُهم.

الثاني: عُلُوُّ الذاتِ.

وقَدْ أنكرَهُ كثيرٌ من المُنْتَسِبينَ للإسلامِ مثلُ الجَهْمِيَّةِ وبَعْضِ الأشاعرةِ غيرِ المُحقِّقينَ منهم؛ فإنَّ المُحقِّقينَ منهم أَثْبَتُوا عُلُوَّ الذاتِ.

وعُلُوُّهُ لا يُنافِي كونَهُ معَ الخلقِ يَعلَمُهُم ويَسْمَعُهُم ويَراهُم؛ لأنَّهُ لَيْسَ كمثلِه شيءٌ في جميعِ صفاتِهِ.

ومناسبةُ الآيَةِ للتوحيدِ: أنَّهُ إذا كانَ مُنْفَرِدًا في العَظَمَةِ والكِبْرياءِ فَيَجِبُ أنْ يكونَ مُنْفَرِدًا في العبادةِ.

(2) قولُهُ: «**قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ**» المُرادُ بالأمرِ الشأنُ، ويكونُ القضاءُ بالقَوْلِ؛ لقَوْلِه تَعالَى: {إِذَا قَضَى

اللَّهُ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

قولُهُ: «**خُضْعَانًا**» أيْ: خُضُوعًا لقَوْله.

(**3**) قولُهُ: «**صَفْوَان**» هوَ الحَجَرُ الأمْلَسُ الصُّلْبُ، والسِّلْسِلَةُ عليه يكونُ لها صَوْتٌ عظيمٌ.

(**4**) قولُهُ: «**يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ**» النفوذُ: هوَ الدخولُ في الشَّيءِ، ومنهُ: نَفَذَ السَّهْمُ الرَّمِيَّةَ؛ أيْ: دخَلَ فيها.

والمعنَى: أنَّ هذا الصوتَ يَبْلُغُ منْهم كُلَّ مَبْلَغٍ.

(**5**) قَوْلُهُ: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ**﴾ أيْ: أُزِيلَ عنها الفزعُ.

قولُهُ: ﴿**قَالُوا**﴾ أيْ: قالَ بعضُهُم لبعضٍ.

قولُهُ: ﴿**مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ**﴾ أيْ: قالُوا: قالَ الحقَّ؛ أيْ: قالَ القولَ الحقَّ، فالحقُّ صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ معَ عامله، تقديرُهُ: قالَ القولَ الحقَّ.

وهذا القولُ الذي يَقُولُونَهُ هلْ هُمْ يَقُولُونَهُ لأنَّهم سَمِعُوا ما قالَ وعَلِمُوا أنَّهُ حقٌّ، أوْ أنَّهم كانُوا يَعْلَمُونَ أنَّهُ لا يَقُولُ إلاَّ الحقَّ؟

يَحْتَمِلُ أنْ يَكُونُوا قَدْ عَلِمُوا ما قالَ، وقَالُوا: إنَّهُ الحقُّ، فيكونُ هذا عائدًا إلى الوَحْيِ الذي تَكَلَّمَ اللهُ به.

ويَحْتَمِلُ أنَّهم قَالُوا ذلكَ لعِلْمِهِم أنَّ اللهَ سبحانَهُ لا يقولُ إلاَّ الحقَّ، فلذلكَ قَالُوا هذا؛ لأنَّ ذلكَ صِفَتُهُ سبحانَهُ وتَعَالَى.

وهذا الحديثُ مُطَابِقٌ للآيَة تمامًا.

وعَلَى هذا يَجبُ أنْ يَكُونَ هذا تفسيرَ الآيَة، ولا يُقْبَلُ لأيِّ قَائلٍ أنْ يُفَسِّرَها بغيرِه؛ لأنَّ تَفْسيرَ القرآنِ إذا كانَ بالقرآنِ أو السُّنَّة فإنَّهُ نَصٌّ لاَ يُمْكنُ لأحد أنْ يَتَجاوَزَهُ.

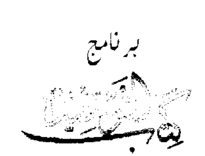
(**6**) قولُهُ: «**فَيَسْمَعُهَا مُسترِقُ السَّمْعِ**» أيْ: هذه الكلمةَ التي تكلَّمَتْ بها الملائكةُ.

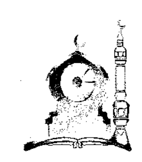
و«**مُسْتَرِقُ**» مُفْرَدٌ مضافٌ، فَيَعُمُّ جَميعَ المُسْتَرِقينَ.

وتأمَّلْ كلمةَ: (يَسْتَرِقُ) ففيها دليلٌ عَلَى أنَّهُ يُبادرُ فيَخْتَلِسُها اخْتِلاَسًا بسُرْعَة.

ويُؤَيِّدُهُ قولُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







(7) قولُهُ: «وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ» يُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ هذا مِنْ كَلامِه صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ، أوْ مِنْ كَلَامِ أَبِي هُرَيْرةَ، أوْ مِنْ كلامِ سُفْيَانَ، والأصل كونها من كلامه صلى الله عليه وسلم.

(8) قولُهُ: (وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّه) أيْ: أنَّها واحدٌ فَوْقَ الثاني؛ أي: الأَصابعُ، فَالْجِنُّ يَتَرَاكَبُونَ واحدًا فوقَ الآخرِ، إلى أنْ يَصِلُوا إلى السَّماءِ فَيَقْعُدُونَ، لكلِّ واحدٍ مَقْعَدٌ خاصٌّ، قالَ تعالى: {وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا}.

(9) قولُهُ: «فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ» أيْ: يَسْمَعُ أعْلَى المُسْتَرِقِينَ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيها إلى مَنْ تحتَهُ؛ ويُخْبِرُهُ بِها.

و«مَنْ» اسمٌ مَوْصولٌ، وقولُهُ: «تَحْتَهُ» شِبْهُ جُمْلَةٍ صلةُ الموصولِ؛ لأنَّهُ ظَرْفٌ.

(10) قولُهُ: «ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَتَّى يُلْقِيَهَا» أيْ: يُلْقِيَ الكَلِمَةَ آخِرُهُم الذي في الأرضِ عَلَى لسانِ السَّاحرِ أو الكاهنِ.

والسَّحَرةُ قَدْ يكونُ لَهُمْ مِن الْجِنِّ مَنْ يَسْتَرِقُ لَهُم السَّمْعَ.

ولا يَصِلُ هؤلاءِ المُسْتَرِقُونَ إلاَّ إلى السَّماءِ الدُّنيا؛ لقولِه تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا}، فلا يُمْكِنُ نُفوذُهُ إلى مَا فَوْقَ.

(11) قولُهُ: «فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ» إلخ.

الشِّهابُ: جُزْءٌ مُنْفَصِلٌ من النُّجوم ثاقبٌ قَوِيٌّ يَنْفُذُ فيما يَصْطَدِمُ به.

قالَ العلماءُ في تفسيرِ قولِه تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ} أيْ: جَعَلْنا شِهَابَهَا الذي يَنْطَلِقُ منها. فهذا مِنْ بابِ عَوْدِ الضميرِ إلى الجُزْءِ لا إلى الكُلِّ.

فالشُّهُبُ: نَيَازِكُ تَنْطَلِقُ من النُّجوم.

وهيَ كمَا قالَ أهلُ الفَلَكِ: تَنْزِلُ إلى الأرضِ، وقدْ تُحدِثُ تصدُّعًا فيها.

أمَّا النَّجْمُ فَلَوْ وَصَلَ إلى الأرضِ لأَحْرَقَها.

واختَلَفَ العلماءُ، هل المُسْتَرِقُونَ انقَطَعُوا عن الاسْتِرَاقِ بَعْدَ بَعْثَةِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ إلى الأبدِ، أو انْقَطَعُوا في وَقْته فقطْ؟

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٢١٢ - ص.ب: ٢٦١٤٤٦
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

والثاني: هوَ الأقربُ، أنَّهم انْقَطَعُوا في وقتِ البعثةِ فقطْ، حتَّى لا يَلْتَبِسَ كلامُ الكُهَّانِ بالوَحْيِ. ثمَّ بعدَ ذلكَ زالَ السببُ الذي منْ أجْلِه انقطَعوا.

(**12**) قولُهُ: «**فَيَكْذِبُ مَعَهَا مائَةَ كَذْبَةٍ**» هلْ هذا على سبيلِ التَّحْديدِ؟

أو المُرَادُ المبالغةُ؛ أيْ: أنَّهُ يَكْذِبُ مَعَها كَذَبَاتٍ كثيرةً؟

الثاني: هوَ الأقربُ، وقدْ تزيدُ عنْ ذلكَ وقدْ تَنْقُصُ.

«**فَيُقَالُ: أليسَ قدْ قالَ لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟**» والنَّاسُ في هذهِ الأمورِ الغَريبةِ عَلَى حَسَبِ ما أَخْبَرَ بهِ المُخْبِرُ، يَأْخُذُونَ كلَّ ما يقولُهُ صِدْقًا، فإذا أَخْبَرَ بشيءٍ فوقَعَ، ثُمَّ أَخْبَرَ بشيءٍ قَالُوا: إذنْ لا بُدَّ أنْ يَصْدُقَ.

(**13**) قولُهُ: (**وعَنِ النَّوَّاسِ...**) هذا الحديثُ لمْ يُخرِّجْهُ المُؤَلِّفُ، لكنْ ذَكَرَهُ **ابنُ كثيرٍ** منْ روايةِ **ابنِ أَبِي حَاتِمٍ**، وذَكَرَ فيهِ عِلَّةً، وهيَ أنَّ في سَنَدِهِ **الوليدَ بنَ مسلمٍ** وهوَ مُدَلِّسٌ، وقَدْ رَواهُ عنْ شَيْخِه بالْعَنْعَنَةِ، فيكونُ في الحديثِ ضَعْفٌ.

إلاَّ أنَّهُ قدْ رَوَى **مُسْلِمٌ** و**أحمدُ** منْ حديثِ **ابنِ عَبَّاسٍ** حديثًا قدْ يكونُ شَاهِدًا لهُ؛ حيثُ أَخْبَرَ أنَّ اللهَ إذا تَكَلَّمَ بالوحيِ سَمِعَهُ حملةُ العرشِ فسبَّحُوا، ثمَّ سَمِعَهُ أهلُ كلِّ سماءٍ فيُسَبِّحُونَ كَمَا سَبَّحَ أهلُ السماءِ السابعةِ، حتَّى يَصِلَ إلى السماءِ الدُّنيا فَتَخْطَفُهُ الجنُّ أو الشياطينُ.

وهذَا وإنْ لَمْ يَكُنْ فيهِ ذِكْرُ رَجْفَةِ السَّماءِ أو السجودِ، لكنْ يَدُلُّ عَلَى أنَّ لهُ أصلاً.

(**14**) قولُهُ: «**إذَا أَرَادَ أَنْ يُوحِيَ بالأَمْرِ**» أيْ: بالشَّأْنِ.

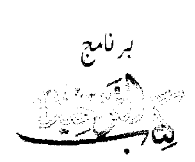
(**15**) قولُهُ: «**تَكَلَّمَ بالْوَحْيِ**» جملةٌ شرطيَّةٌ تَقْتَضِي تأَخُّرَ المشروطِ عنِ الشرطِ، فالإرادةُ سابقةٌ، والكلامُ لاحقٌ، فيكونُ فيهِ ردٌّ عَلَى الأشاعرةِ الذينَ يَقُولونَ: إنَّ اللهَ لا يَتَكَلَّمُ بإرادةٍ، وأنَّ كَلامَهُ أَزَلِيٌّ كالسَّمْعِ والبَصَرِ، ففيهِ إثباتُ الكلامِ الحادثِ، ولا يَنْقُصُ كمالُ اللهِ إذا قُلْنا: إنَّهُ يَتَكَلَّمُ بمَا شَاءَ، كيفَ شاءَ، مَتَى شاءَ.

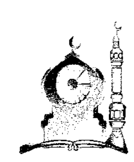
بلْ هوَ صفةُ كمالٍ، لكنَّ النقصَ أنْ يُقالَ: إنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ بحَرْفٍ وصَوْتٍ، إنَّما الكلامُ معنًى قائمٌ بنفسِه.

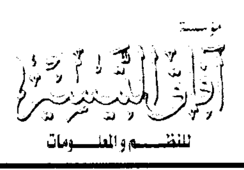
(**16**) قولُهُ: «**أَوْ قَالَ: رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ**» شَكٌّ منَ الرَّاوي، وإنَّما تَأْخُذُ السَّماوَاتِ الرَّجْفَةُ أو الرِّعْدَةُ؛ لأنَّهُ سُبحانَهُ عظيمٌ يَخَافُهُ كُلُّ شَيْءٍ، حتَّى السَّماواتُ.

(**17**) قولُهُ: «**فإذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صُعِقُوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا**» فإنْ قيلَ: كَيْفَ يُمْكِنُ أنْ يُصْعَقُوا وَيَخِرُّوا سُجَّدًا؟

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







فالجوابُ: أنَّ الصَّعْقَ هنا -واللهُ أعْلَمُ- يكونُ قبلَ السجود، فإذا أَفَاقُوا سَجَدُوا.

(18) قولُهُ: «**فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ**».

«أَوَّلَ» بالنَّصْبِ خبرٌ مُقَدَّمٌ، وَ«جِبْرِيلُ» بالرَّفْعِ اسمُ يكونُ مُؤَخَّرٌ.

(19) قولُهُ: «**بِمَا أَرَادَ**» أيْ: بِمَا شَاءَ؛ لأنَّ اللهَ تعالى يَتَكَلَّمُ بِمَشيئةٍ.

(20) قولُهُ: «**ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلائِكَةِ**» لأنَّهُ يُرِيدُ النُّزُولَ مِنْ عندِ اللهِ إلى حيثُ أَمَرَهُ اللهُ أنْ يَنْتَهِيَ إليه بالوَحْيِ.

(21) قولُهُ: «**قَالَ الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**» سَبَقَ في تَفْسِيرِ ذلكَ: أنَّهُ يَحْتَمِلُ قالَ الحقَّ في هذهِ القَضِيَّةِ المُعَيَّنَةِ، أوْ قالَ الحقَّ؛ لأنَّ مِنْ عَادَتِه سبحانَهُ ألاَّ يقولَ إلاَّ الحقَّ.

وأيًّا كانَ فإنَّ جبريلَ لا يُخْبِرُ الملائكةَ بِمَا أَوْحَى اللهُ إليهِ، بَلْ يَقُولُ: قَالَ الحقَّ مُبْهَمًا؛ ولهذا سُمِّيَ عليهِ السلامُ بالأَمينِ.

والأمينُ: هوَ الذي لاَ يَبُوحُ بالسِّرِّ.

قولُهُ: «**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**» تَقَدَّمَ الكلامُ عليه.

(22) قولُهُ: «**فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ**» أيْ: قالَ الحقَّ وهوَ العليُّ الكبيرُ.

(23) قولُهُ: «**فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**» أيْ: يَصِلُ بالوحيِ إلى حَيْثُ أمرَ اللهُ مِن الأنبياءِ والرُّسلِ.

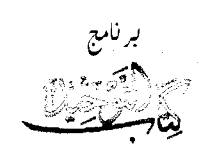
(24) **فيهِ مسائلُ:**

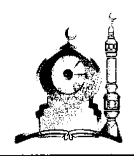
الأولَى: (تفسيرُ الآيَة) أيْ: قولِه تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ الآيَةَ، وقَدْ سَبَقَ تفسيرُها.

(25) **الثانيةُ**: (ما فيه من **الحُجَّة عَلَى إبطالِ الشرك**) وذلكَ أنَّ الملائكةَ وهُمْ مَنْ هُم في القوَّة والعظمة يُصْعَقُونَ ويَفْزَعُونَ مِنْ تَعْظِيمِ اللهِ، فكيفَ بالأصنامِ التي تُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ، وهيَ أقلُّ منهم بكثيرٍ، فكيفَ يتعلَّقُ الإنسانُ بها؟!

ولذلكَ قيلَ: إنَّ هذه الآيَةَ هيَ التي تَقْطَعُ عُرُوقَ الشرك مِن القلبِ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا عَرَفَ عَظَمَةَ الرَّبِّ سبحانَهُ حيثُ تَرْتَجِفُ السماواتُ ويُصْعَقُ أهلُهَا بمجرَّدِ تَكَلُّمِه بالوحيِ، فكيفَ يُمْكِنُ للإنسانِ أنْ يُشْرِكَ باللهِ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠






شيئًا مخلوقًا رُبَّمَا يَصْنَعُهُ بيدِهِ؟!

حتَّى كانَ جُهَّالُ العربِ يَصْنَعُونَ آلهةً مِن التَّمْرِ إذا جاعَ أحَدُهُم أَكَلَها، ويَنْزِلُ أحدُهم بالوادِي فيأخذُ أربعةَ أحجارٍ؛ ثلاثةً يجعلُها تحتَ القِدْرِ، والرابعُ وهوَ أحسنُها يجعلهُ إلهًا لهُ!

(26) **الثالثة:** (**تفسيرُ قولِه: {قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}**) وسَبَقَ تفسيرُها.

(27) **الرابعة:** (**سببُ سُؤالِهم عنْ ذلكَ**).

فالسُّؤَالُ: ماذا قالَ ربُّكم؟

وسببُهُ شدَّةُ خوفِهم منهُ وفزعُهم خوفًا منْ أنْ يكونَ قدْ قالَ فيهم ما لا يُطيقُونَهُ مِن التَّعْذيبِ.

(28) **الخامسة:** (**أنَّ جبْريلَ يُجيبُهُم بعدَ ذلكَ بقولِه: قَالَ كذا وكذا**) أيْ: يقولُ: قالَ الحقَّ.

(29) **السادسة:** (**ذُكِرَ أنَّ أوَّلَ مَنْ يرْفَعُ رأسَهُ جبريلُ**) لحديثِ النَّوَّاسِ بنِ سَمْعانَ.

وفيهِ: فضيلةُ جبريلَ.

(30) **السابعة:** (**أنَّهُ يقولُ لأهلِ السماواتِ كُلِّهِم**) لأنَّهم يَسْأَلُونَهُ، وفي هذا دليلٌ عَلَى عَظَمَتِه بيْنَهم.

(31) **الثامنة:** (**أنَّ الغَشْيَ يَعُمُّ أهلَ السماواتِ كُلَّهَم**) تُؤْخذُ مِنْ قَوْلِهِ: «**فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صُعِقُوا وَخَرُّوا لِلهِ سُجَّدًا**».

(32) **التاسعة:** (**ارْتِجَافُ السَّماواتِ لكلامِ اللهِ**) لقولِهِ: «**أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ**» أيْ: لأجْلِهِ؛ تعظيمًا للهِ.

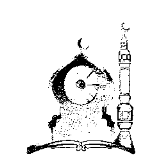
(33) **العاشرة:** (**أنَّ جبريلَ هوَ الذي يَنْتَهِي بالوحيِ إلى حيثُ أمرَهُ اللهُ**) أيْ: لا أحدَ يَتَولَّى إيصَالَ الوحيِ بعدَ جبريلَ حتَّى يُوصِلَهُ إلى حيثُ أَمَرَهُ بهِ؛ لأنَّهُ الأمينُ عَلَى الوحيِ.

(34) **الحاديَة عشرَة:** (**ذِكْرُ استراقِ الشياطينِ**) أي: الذينَ يَسْتَرِقُونَ ما يُسْمَعُ في السماواتِ فَيُلْقُونَهُ على الكُهَّانِ، فَيَزِيدُ فيهِ الكُهَّانُ ويَنْقُصُونَ.

(35) **الثانيَة عشرَة:** (**صفةُ رُكُوبِ بعضِهِم بعضًا**) وصفَها سفيانُ رَحِمَهُ اللهُ بأنْ حَرَّفَ يَدَهُ وَبَدَّدَ بينَ أصابعِه.

(36) **الثالثة عشرَة:** (**إرسالُ الشُّهُبِ**) يعني التي تُحْرِقُ مُسْتَرِقِي السَّمعِ، قالَ تعالى: {**إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ**

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾.

(37) **الرابعة عشرة: (أَنَّهُ تَارَةً يُدْرِكُهُ الشِّهَابُ قبلَ أنْ يُلْقِيهَا)** وتارةً يُلْقِيهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِن الإنْسِ قبلَ أنْ يُدْرِكَهُ.

(38) **الخامسة عشرة: (كونُ الكاهنِ يصدُقُ بعضَ الأحيانِ)** لأنَّهُ يأتي بما سَمِعَ مِن السَّماءِ ويزيدُ عليه، وإذا وقعَ ما في السَّماءِ صارَ صادقًا.

فإن قيل: كيفَ يسمعُ المسترقونَ الكلمةَ وعندما يَسْأَلُ الملائكةُ جبريلَ يُجابونَ بـ«قَالَ الْحَقَّ» فقطْ؟

فالجوابُ: أنَّ الوحيَ لا يعلمُهُ أهلُ السماءِ، بلْ هوَ من اللهِ إلى جبريلَ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

أمَّا الأمورُ القدريَّةُ التي يتكلَّمُ اللهُ بها فَلَيْسَتْ خاصَّةً بـجبريلَ، بلْ رُبَّما يعْلَمُها أهلُ السماءِ مُفَصَّلةً، ثُمَّ يَسْمَعُها مُسْتَرِقُو السمعِ.

(39) **السادسة عشرة: (كَوْنُهُ يَكْذِبُ معها مائةَ كَذْبَةٍ)** أيْ: يَكْذِبُ مَعَ الكلمةِ التي تلقَّاها من المُسْتَرِقِ، وقولُهُ: «مائةَ كَذْبَةٍ» هذا على سبيلِ المبالغةِ ليسَ على سبيلِ التَّحديدِ.

(40) **السابعة عشرة: (أَنَّهُ لَمْ يَصْدُقْ إلاَّ بتلكَ الكلمةِ التي سُمِعَتْ من السماءِ)** وأمَّا ما قالَهُ مِنْ عِنْدِهِ فهوَ تخرُّصٌ، فالكلمةُ التي سَمِعَها تَصْدُقُ، والذي يُضيفُهُ كُلُّهُ كذبٌ يُمَوِّهُ به على الناسِ.

(41) **الثامنة عشرة: (قبولُ النفوسِ للباطلِ)** كيفَ يَتَعلَّقونَ بواحدةٍ ولا يَعْتَبِرونَ بمائةٍ؟!

وهذا صحيحٌ، وليسَ صفةً عامَّةً لعامَّةِ الناسِ، بلْ لأهلِ الجهلِ والسَّفَهِ، فهم يتعلَّقونَ بالكاهنِ مِنْ أجلِ صِدْقِهِ مرَّةً واحدةً، وأمَّا مائةُ كَذْبَةٍ فلا يَعْتَبِرونَ بِها، ولا شَكَّ أنَّ بعضَ السُّفهاءِ يَغْتَرُّونَ بالصالحِ المغمورِ بالمفاسدِ، ولكنْ لا يَغْتَرُّ بهِ أهلُ العقلِ والإيمانِ.

(42) **التاسعة عشرة: (كونُهم يَتَلَقَّى بعضُهم مِنْ بعضٍ تلكَ الكلمَةَ ويَحْفَظُونَها...)** إلخ.

الكلمةُ: هيَ الصِّدْقُ؛ لأنَّها هيَ التي تُرَوِّجُ بضاعتَهم، ولوْ كانتْ بضاعتُهُم كُلُّها كَذِبًا ما راجَتْ بينَ الناسِ.

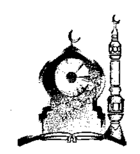
(43) **العشرونَ: (إثباتُ الصفاتِ)** خلافًا للأَشْعَرِيَّةِ المُعَطِّلَةِ.

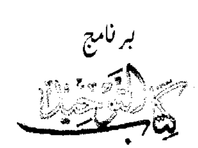
الأَشْعَرِيَّةُ هُم الذينَ يَنْتَسِبونَ إلى **أَبِي الحَسَنِ الأشعريِّ**.

وسُمُّوا مُعَطِّلَةً؛ لأنَّهم يُعَطِّلونَ النصوصَ عَن المَعْنَى المرادِ بها، ويُعَطِّلونَ ما وَصَفَ اللهُ بهِ نَفْسَهُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







والمرادُ تَعْطيلُ أكثرِ ذلكَ؛ **فإنَّهم يُعطِّلونَ أكثرَ الصِّفات، ولا يُعطِّلونَ جَميعَها.**

(44) الحاديةَ والعشرونَ: (**التصريحُ بأنَّ تلكَ الرَّجْفَةَ والغَشْيَ خَوْفًا من اللهِ عزَّ وجلَّ، فيدُلُّ على عظمةِ الخالقِ جلَّ وعَلاَ**) حيثُ بلَغَ خَوْفُ الملائكةِ منهُ هذا المبلَغَ.

(45) الثانيةَ والعشرونَ: (**أنَّهم يَخِرُّونَ للهِ سُجَّدًا**) أيْ: تعظيمًا للهِ واتِّقَاءً لِمَا يَخْشَوْنَهُ، فتُفيدُ تعظيمَ اللهِ عزَّ وجلَّ كالَّتي قبْلَها.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٢ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي

الدرس الثامن عشر

(**1**) ذَكَرَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ الشَّفَاعَةَ في (كِتَابِ التَّوحِيدِ) لأنَّ المُشْرِكِينَ الذينَ يَعْبُدُونَ الأصْنَامَ يقولونَ: إنَّها شُفَعَاءُ لهم عندَ اللهِ، وهم يُشْرِكُونَ باللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى فيها بالدُّعاءِ والاسْتِغَاثَةِ، ومَا أَشْبَهَ ذلكَ.

وهم بذلكَ يَظُنُّونَ أنَّهم مُعَظِّمُونَ للهِ، ولكنَّهم مُنْتَقِصُونَ لهُ؛ لأنَّهُ عَلِيمٌ بكُلِّ شَيْءٍ ولهُ الحُكْمُ التَّامُّ المُطْلَقُ والقُدْرَةُ التامَّةُ، ومَنْ كَانَ كذلكَ فإنَّهُ لاَ يَحتَاجُ إلَى شُفَعَاءَ.

والمُلُوكُ في الدُّنيا يَحْتاجُونَ إلَى شُفَعَاءَ، إمَّا لقُصُورِ عِلْمِهِم، أوْ لنَقْصِ قُدْرَتِهِم، فيُسَاعِدُهم الشُّفَعَاءُ في ذَلِكَ، أوْ لقُصُورِ سُلْطَانِهم فَيَتَجرَّأُ عَلَيْهم الشُّفَعَاءُ فيَشْفَعُونَ بدون اسْتِئْذَانٍ، ولكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ كَامِلُ العِلْمِ والقُدْرَةِ والسُّلْطَانِ، فَلاَ يَحْتَاجُ لأَحَدٍ أنْ يَشْفَعَ عندَهُ، ولهذا لا تكونُ الشَّفَاعَةُ عندَهُ سبحانَهُ إلاَّ بإذْنِهِ لكَمَالِ سُلْطَانِهِ وعَظَمَتِهِ.

ثُمَّ الشَّفَاعَةُ لاَ يُرادُ بهَا مَعُونَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ في شَيْءٍ ممَّا شُفِعَ فيه، فهذا مُمْتَنِعٌ كَمَا سَيأْتِي في كَلاَمِ شَيْخِ الإِسْلاَمِ ابنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ، ولَكِنْ يُقْصَدُ بهَا أَمْرَانِ هُمَا:

- **إكْرَامُ الشَّافِعِ.**
- **ونَفْعُ المَشْفُوعِ لهُ.**

والشَّفَاعَةُ **لُغَةً:** اسْمٌ مِنْ: شَفَعَ يَشْفَعُ، إذا جَعَلَ الشَّيْءَ اثْنَيْنِ، والشَّفْعُ ضِدُّ الوَتْرِ، قَالَ تَعَالَى: **{وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}**.

واصْطِلاَحًا: التَّوَسُّطُ للغَيْرِ بجَلْبِ مَنْفَعَةٍ أوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ.

مثالُ جَلْبِ المَنْفَعَةِ: شَفَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لأَهْلِ الجَنَّةِ بدُخُولِها.

ومثَالُ دَفْعِ المَضَرَّةِ: شَفَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لِمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أنْ لاَ يَدْخُلَها.

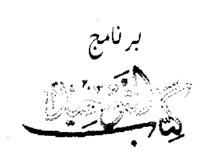
قال في (قرة عيون الموحدين) ص100:

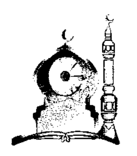
الشفاعة نوعان:

- شفاعة منفيّة في القرآن، وهي الشفاعة للكافر والمشرك، قال تعالى: {من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة}، وقال: {فما تنفعهم شفاعة الشافعين}.

والنوع الثاني: الشفاعة التي أثبتها القرآن، وهي خالصة لأهل الإخلاص، وقيدها الله تعالى بأمرين:

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكه العربيه السعوديه - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







الأول: إذنه للشافع أن يشفع، كما قال: **{من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}**

الثاني: رضاه عمن أذن للشافع أن يشفع فيه، لما قال تعالى: **{ولا يشفعون إلا لمن ارتضى}**.

(**2**) قولُهُ: **{وأنذر به}** الإنْذَارُ: هوَ الإعْلامُ المُتضَمِّنُ للتَّخويف، أَمَّا مُجرَّدُ الخَبَرِ فليسَ بإنْذَارٍ، والخَطَابُ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ.

والضَّميرُ في **{به}** يَعودُ للقرْآنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: **{وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها}**.

– وقَالَ تَعَالَى: **{لتنذر به وذكرى للمؤمنين}**.

– وقولُهُ: **{يخافون أن يحشروا}** أيْ: يَخافُونَ ممَّا يَقعُ لَهُم مِنْ سُوءِ العَذَابِ في ذلكَ الحشرِ.

والحَشْرُ: الجَمْعُ، وقَدْ ضُمِّنَ هنا مَعْنَى الضَّمِّ والانْتِهَاءِ، ومَعْنَى (**يُحْشَرُونَ**) أيْ: يُجْمَعُونَ حَتَّى يَنْتَهوا إِلَى اللهِ.

وقولُهُ: **{ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع}**، وليٌّ أيْ: ناصرٌ يَنْصُرُهم. **{ولا شفيع}** أيْ: شَافِعٌ يَتوسَّطُ لَهُم، وهذا مَحَلُّ الشَّاهِد، فَفي هذه الآيَة نَفْيُ الشَّفَاعَة مِنْ دون الله؛ أيْ: مِنْ دون إذنه.

ومَفْهُومُها: أَنَّها ثَابتَةٌ بإذنه وهذا هوَ المَقْصُودُ، فالشَّفَاعَةُ مِنْ دونه مُسْتَحيلَةٌ، وبإذْنه جَائِزَةٌ ومُمْكنَةٌ.

أَمَّا عندَ المُلُوك فَجَائِزَةٌ بإذْنهم وبغَيْرِ إذْنهم، فيُمْكنُ لِمَنْ كَانَ قَريبًا منَ السُّلْطَان أَنْ يَشْفَعَ بدون أَنْ يَسْتَأْذنَ.

ويُفيدُ قولُهُ: **{من دونه}** أنَّ لهم بإذنه وليًّا وشَفيعًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **{إنما وليكم الله ورسوله}**.

(**3**) قولُهُ تَعَالَى: **{لله الشفاعة}** مُبْتَدأٌ وخَبَرٌ، وقُدِّمَ الخَبَرُ للحَصْرِ، والمعنَى: للهِ وحْدَهُ الشَّفَاعَةُ كلُّهَا، لاَ يُوجَدُ شَيْءٌ منها خَارِجًا عنْ إذنِ اللهِ وإرادَته، فأَفَادَت الآيَةُ في قوله: **{جميعا}** أنَّ هناكَ أَنْواعًا للشَّفَاعَة.

وقدْ قسَّمَ أهْلُ العِلْمِ - رَحِمَهم اللهُ - الشَّفَاعَةَ إلَى قِسْمَيْن كبيرين:

القِسْمُ الأولُ: الشَّفَاعَةُ الخَاصَّةُ بالرسول صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهيَ أنواعٌ:

النَّوْعُ الأوَّلُ: الشَّفَاعَةُ العُظْمَى، وهيَ مِن المَقامِ المَحْمُود الذي وَعَدَهُ اللهُ، فإنَّ النَّاسَ يَلْحَقُهم يومَ القيامة في

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

ذلكَ المَوْقفِ العَظيمِ مِن الغَمِّ والكَرْبِ مَا لاَ يُطيقُونَهُ، فَيَشْفَعُ إِلَى اللهِ لِيُريحَ أَهْلَ المَوْقفِ مما هم فيه بعد أن يتدافعها الأنبياء آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، عليهم الصلاة والسلام ثم تنتهي إليه.

الثَّانِي: شَفَاعَتُهُ في أهْلِ الجنَّة أنْ يَدْخُلُوها؛ لأنَّهم إذا عَبَرُوا الصِّرَاطَ وَوَصَلُوا إِلَيْها وجَدُوهَا مُغْلَقَةً، فَيَطْلُبونَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُم، فيَشْفَعُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ إِلَى اللهِ في فَتْحِ أَبْوابِ الجَنَّة لأَهْلِها، ويُشيرُ إِلَى ذلكَ قولُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ فقَالَ: ﴿وَفُتِحَتۡ﴾ فهناكَ شيءٌ مَحْذُوفٌ؛ أيْ: وحَصَلَ ما حَصَلَ مِن الشَّفَاعَة، وفُتِحَتِ الأبْوابُ، أمَّا النَّارُ فَقَالَ فيها: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾.

الثَّالِثُ: شَفَاعَتُهُ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ في عَمِّه أَبي طَالِب أَنْ يُخفَّفَ عنه العَذَابُ، وهذه مُسْتَثْناةٌ مِنْ قَولِه تَعَالَى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ وقولِه تَعَالَى: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ وذلكَ لِمَا كانَ لأَبي طَالب مِنْ نُصْرَةٍ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ ودفَاعٍ عنه، وهوَ لَمْ يَخْرُجْ مِن النَّارِ لكنْ خُفِّفَ عنه، حَتَّى صَارَ - والعِياذُ باللهِ - في ضَحْضَاحٍ مِنْ نارٍ وعليه نَعْلاَن منها يَغْلي منهما دمَاغُهُ، وهذه الشَّفَاعَةُ خاصَّةٌ بالرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، لاَ أَحَدَ يَشْفَعُ في كَافِرٍ أَبَدًا إلاَّ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، ومَعَ ذلكَ لَمْ تُقْبَل الشَّفَاعَةُ كَامِلَةً وإِنَّما هيَ تَخْفيفٌ فقطْ.

القِسْمُ الثَّانِي: الشَّفَاعَةُ العَامَّةُ لَهُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ولجَميعِ المُؤْمِنينَ:

وهي ثلاثة أنواعٌ:

النوعُ الأولُ: الشَّفاعةُ فيمَن اسْتَحَقَّ النارَ أنْ لاَ يَدْخُلَها، وهذه قَدْ يُسْتَدَلُّ عليها بقولِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يموتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِه أَرْبَعُونَ رَجُلاً لاَ يُشْرِكُونَ باللهِ شَيْئًا إِلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فيه» فإنَّ هذه شَفَاعَةٌ قبلَ أنْ يَدْخُلَ النارَ فيُشَفِّعُهُم اللهُ في ذلكَ، وقال ابن القيم: (وهذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه).

النوعُ الثاني: الشَّفَاعَةُ فيمَنْ دَخَلَ النَّارَ أنْ يَخْرُجَ منها، وَقَدْ تَواتَرَتْ بهَا الأحاديثُ، وأَجْمَعَتْ عليها الصَّحَابَةُ، واتَّفَقَ عليها أهلُ المللِ ما عَدَا طَائفتَيْنِ وهما: المُعْتَزِلَةُ والخَوَارِجُ، فإنَّهم يُنْكرونَ الشَّفَاعَةَ في أَهْلِ المَعَاصي مُطْلَقًا؛ لأَنَّهم يَرَوْنَ أنَّ فَاعِلَ الكَبيرةِ مُخَلَّدٌ في النَّارِ، ومَن اسْتَحَقَّ الخُلُودَ فلاَ تَنْفَعُ فيه الشَّفَاعَةُ، فهم يُنْكِرُونَ أنَّ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٣٨٠٧٣٠

النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ أوْ غَيْرُهُ يَشْفَعُ في أَهْلِ الكَبَائرِ أَنْ لاَ يَدْخُلُوا النَّارَ، أوْ إذا دَخَلُوها أنْ يَخْرُجُوا منها، لكنَّ قَوْلَهم هذا بَاطِلٌ بالنَّصِّ والإجماعِ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر ثابتة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد اتفق عليها السلف الصالح؛ من الصحابة وتابعيهم بإحسان وأئمة المسلمين).

النوعُ الثالثُ: الشَّفَاعةُ في رَفْعِ دَرَجَاتِ المُؤْمنينَ، وهذه تؤْخَذُ مِنْ دُعاءِ المُؤْمنينَ بَعْضهم لبعضٍ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ في أَبِي سَلَمَةَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ وارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وأَفْسِحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فيه، واخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ».

والدُّعاءُ شَفَاعَةٌ كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسلمٍ يمُوتُ فيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبعونَ رَجُلاً لاَ يُشْرِكُونَ باللهِ شَيْئًا إلاَّ شَفَّعَهُم اللهُ فيه».

قال ابن القيم: (هي نوع ينكرها كثير من الناس) .

إشْكَالٌ وجَوَابُهُ:

فإنْ قِيلَ: إنَّ الشَّفَاعَةَ لاَ تَكُونُ إلاَّ بإذْنِهِ سُبْحَانَهُ، فكيفَ يُسَمَّى دُعاءُ الإنْسَانِ لأَخيه شَفَاعَةً وهوَ لَمْ يَسْتَأْذِنْ مِنْ ربِّه؟

فالجَوابُ: أنَّ اللهَ أَمَرَ بأنْ يَدْعُوَ الإنسانُ لأَخيهِ المَيِّتِ، وأَمْرُهُ بالدُّعَاءِ إذْنٌ وزيادةٌ.

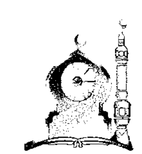
وأَمَّا الشَّفَاعَةُ المَوْهُومَةُ التي يَظُنُّها عُبَّادُ الأصنامِ مِنْ مَعْبُوديهم، فهيَ شَفَاعَةٌ باطِلَةٌ؛ لأنَّ اللهَ لا يأذنُ لأَحَدٍ بالشَّفَاعَةِ إلاَّ مَن ارْتَضَاهُ مِن الشُّفَعَاءِ والمَشْفُوعِ لَهُم.

إذًا قولُهُ: {لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} تُفيدُ أنَّ الشَّفَاعَةَ مُتَعَدِّدَةٌ كَمَا سَبَقَ.

(4) قولُهُ تَعَالَى: {مَنْ ذَا الَّذِي} مَن: اسمُ اسْتِفْهَامٍ بِمَعْنَى النَّفْيِ؛ أيْ: لاَ يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَ اللهِ إلاَّ بإذنه.

{ذَا} هلْ تجْعَلُ {ذَا}اسْمًا مَوْصُولاً، أوْ لا يَصِحُّ أنْ تَكُونَ اسْمًا مَوْصُولاً هنا لِوُجُودِ الاسْمِ المَوْصُولِ (الذي)؟

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٣٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



الثاني: هوَ الأَقْرَبُ، وإنْ كَانَ بَعْضُ المُعْربِينَ قَالَ: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (الذي) تَوْكِيدًا لَهَا.

والصَّحِيحُ: أنَّ {ذَا} هنا إمَّا مُرَكَّبَةٌ مَعَ {مَنْ} أوْ زَائِدَةٌ للتَّوْكِيدِ، وأيًّا كانَ الإعْرَابُ فالمَعْنَى: **أَنَّهُ لاَ أَحَدَ يَشْفَعُ عِنْدَ اللهِ إلاَّ بإذْنِ اللهِ**.

وسَبَقَ أنَّ النَّفْيَ إذا جَاءَ في سياقِ الاسْتِفْهامِ فإنَّهُ يكونُ مُضَمَّنًا مَعْنَى التَّحَدِّي؛ أيْ: إذا كَانَ أَحَدٌ يَشْفَعُ بغَيْرِ إذْنِ اللهِ فَأْتِ بهِ.

قولُهُ {عِنْدَهُ} ظَرْفُ مَكَانٍ، وهوَ سبحانَهُ في العُلُوِّ؛ فَلاَ يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ ولوْ كَانَ مُقَرَّبًا -كالمَلاَئِكَةِ المُقَرَّبِينَ- إلاَّ بإذْنهِ الكَوْنِيِّ، والإذْنُ لاَ يكُونُ إلاَّ بَعْدَ الرِّضَا.

وأَفَادَتِ الآيَةُ: أنَّهُ يُشْتَرَطُ للشَّفَاعَةِ إذنُ اللهِ فيها لكَمَالِ سُلْطَانهِ جَلَّ وعَلاَ، فإنَّهُ كُلَّمَا كَمُلَ سُلْطَانُ المَلِكِ فإنَّهُ لاَ أَحَدَ يَتَكَلَّمُ عِنْدَهُ ولوْ كَانَ بخَيْرٍ إلاَّ بَعْدَ إذْنهِ، ولذلكَ يُعْتَبَرُ اللَّغَطُ في مَجْلِسِ الكَبِيرِ إهَانَةً لهُ ودَليلاً علَى أنَّهُ ليسَ كَبِيرًا في نُفُوسِ مَنْ عندَهُ، وقد كانَ الصَّحَابَةُ مَعَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ كأنَّما عَلَى رُءُوسِهِم الطَّيْرُ من الوَقَارِ وعَدَمِ الكَلاَمِ، إلاَّ إذا فُتِحَ الكَلاَمُ فإنَّهم يَتَكَلَّمُونَ.

(5) قولُهُ تَعَالَى: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ}{كَمْ} خَبَرِيَّةٌ للتَّكْثِيرِ، والمَعْنَى: مَا أَكْثَرَ المَلاَئِكَةَ الذينَ في السَّمَاءِ، ومَعَ ذلكَ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهم شيئًا إلاَّ بَعْدَ إذنِ اللهِ ورِضَاهُ.

قولُهُ: {إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى}.

فللشَّفَاعَةِ شَرْطَانِ هما:

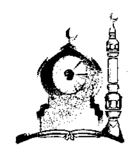
- **الإذْنُ مِن اللهِ**: لقولهِ: {أَنْ يَأْذَنَ اللهُ}.

- **ورِضَاهُ عن الشَّافِعِ والمَشْفُوعِ لهُ**: لقولهِ: {وَيَرْضَى} وكَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى}

فَلاَ بُدَّ مِنْ إذنهِ تَعَالَى ورِضَاهُ عن الشَّافِعِ والمَشْفُوعِ لَهُ؛ إلاَّ في التَّخْفِيفِ عنْ **أَبي طَالِب**، وقَدْ سَبَقَ ذلكَ.

وهذه الآيَةُ في سياقِ بَيَانِ بُطْلاَنِ أُلُوهيَّةِ اللاَّتِ والعُزَّى، قَالَ تَعَالَى بعدَ ذِكْرِ المِعْرَاجِ ومَا حَصَلَ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ فيهِ: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} أي: العَلاَمَاتِ الدَّالَّةِ عليهِ عزَّ وجلَّ، فكيفَ به سبحانَهُ؟

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



فهوَ أكبَرُ وأعظَمُ.

ثُمَّ قالَ: {أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى} وهذا استِفْهامٌ للتَّحْقيرِ، فبعدَ أنْ ذَكَرَ اللهُ هذه العَظَمَةَ قالَ: أخبِرُوني عنْ هذه اللاَّت والعُزَّى ما عَظَمَتُها؟

وهذا غايَةٌ في التَّحْقيرِ، ثُمَّ قَالَ: {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى (21) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى (22) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى (23) أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى (24) فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى (25) وَكَم مِّن مَّلَكٍ} الآيَةَ.

فإذا كَانَت المَلائكَةُ -وهيَ في السَّماواتِ في العُلُوِّ- لاَ تُغْني شفَاعَتُهُم إلاَّ بعدَ إذْنه تَعالَى ورضَاهُ، فكيفَ باللاَّتِ والعُزَّى وهيَ في الأرضِ؟!

ولهذا قالَ: {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ} مَعَ أنَّ المَلائكَةَ تَكُونُ في السَّماواتِ وفي الأرضِ، ولكنْ أرادَ المَلائكَةَ التي في السَّماواتِ العُلَى، وهيَ عندَ اللهِ سبحانَهُ، فحتَّى المَلائكَةُ المُقرَّبونَ حَمَلَةُ العَرْشِ لاَ تُغْني شَفَاعَتُهُم إلاَّ منْ بعدِ أن يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشاءُ ويَرْضَى.

(6) قولُهُ تَعالَى: {قُلِ ادْعُوا} الأمرُ في قولِهِ {ادْعُوا} للتَّحدِّي والتَّعجيزِ، وقولُهُ: {ادْعُوا} يحتَملُ مَعْنَيَيْنِ:

الأولى: أحْضِرُوهم.

الثاني: ادْعُوهُم دُعَاءَ مَسْأَلَةٍ.

فلوْ دَعَوْهم دعَاءَ مَسْأَلَةٍ لاَ يَستَجيبُونَ لَهُم كَمَا قالَ تَعالَى: {إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}.

ومعنَى: {يَكْفُرُونَ} يَتَبرَّءُونَ، ومَعَ هذه الآياتِ العَظيمَةِ يَذْهَبُ بَعْضُ النَّاسِ يُشْرِكُ باللهِ ويَسْتَنْجِدُ بغَيْرِ اللهِ، وكذلكَ لوْ دَعَوْهم دُعَاءَ حُضُورٍ لَمْ يَحْضُرُوا، ولوْ حَضَروا مَا انْتَفعُوا بحُضُورِهم.

قولُهُ: {لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} واحِدَةِ الذَّرِّ، وهيَ صِغَارُ النَّمْلِ، ويُضْرَبُ بِهَا المَثَلُ في القِلَّةِ.

قولُهُ: {مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} وكذلكَ مَا دونَ الذَّرَّةِ لاَ يَمْلِكُونَهُ، والمَقصُودُ بذِكْرِ الذَّرَّةِ المُبالَغَةُ، وإذَا قُصدَ المُبالَغَةُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٣٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

بالشَّيْءِ قِلَّةً أوْ كَثْرَةً فلاَ مَفْهُومَ لَهُ، فالْمُرادُ الحُكْمُ العَامُّ، فَمَثَلاً قولُهُ تَعَالَى: {إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} أيْ: مَهْمَا بالَغْتَ فِي الاسْتِغْفَارِ.

ولاَ يُرَدُّ عَلَى هذا: أَنَّ اللهَ أَثْبَتَ مُلْكًا للإِنْسانِ؛ لأنَّ مُلْكَ الإنْسانِ قَاصِرٌ وغيرُ شامِلٍ، ومُتَجَدِّدٌ وزائلٌ، وليسَ كمُلْكِ اللهِ.

قولُهُ: {وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ} أيْ: مَا لِهَؤلاَءِ الذينَ تَدْعُونَ مِنْ دونِ اللهِ، {فيهما} أيْ: فِي السَّماواتِ والأرْضِ.

{مِن شِرْكٍ} أيْ: مُشَارَكَةٍ، أيْ: لاَ يَمْلِكُونَهُ انْفِرادًا ولاَ مُشَارَكَةً.

وقولُهُ: {مِن شِرْكٍ} مُبْتَدأٌ مُؤَخَّرٌ دَخَلَتْ عليهِ{مِنْ} الزَّائِدَةُ لَفْظًا لكنَّها للتَّوكِيدِ مَعْنًى.

وكُلُّ زيادةٍ لَفْظِيَّةٍ في القُرْآنِ فَهِي زِيادَةٌ في المَعْنَى، وأَتَتْ {مِنْ} للمُبَالَغَةِ في النَّفْيِ، وأنَّهُ ليسَ هناكَ شِرْكٌ لاَ قَلِيلٌ ولاَ كثيرٌ.

قولُهُ: {وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ} الضَّميرُ في {وَمَا لَهُ} يَعُودُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وفي {مِنْهُم} يَعُودُ إِلَى الأَصْنامِ؛ أيْ: مَا للهِ تَعَالَى مِنْ هذه الأَصْنامِ ظَهيرٌ.

و {مِنْ} حَرْفُ جرٍّ زائدٌ، و{ظَهِيرٍ} مُبْتَدأٌ مُؤَخَّرٌ بمَعْنَى: مُعِينٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} أيْ: مُعِينًا، وقَالَ تَعَالَى: {وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ} أيْ: مُعينٌ.

أيْ: ليسَ للهِ مُعينٌ يُعينُهُ في أَفْعَالِه، وبذلكَ يَنْتَفِي عنْ هذه الأصنامِ كلُّ مَا يَتَعَلَّقُ به العَابِدُونَ، فَهِي لاَ تَمْلِكُ شيئًا عَلَى سَبِيلِ الانْفِرَادِ وَلاَ الْمُشَارَكَةِ ولاَ الإعَانَةِ؛ لأَنَّ مَنْ يُعِينُكَ وإِنْ كانَ غيرَ شَرِيكٍ لَكَ يَكُونُ لهُ مِنَّةٌ عَلَيْكَ، فَرُبَّمَا تُحَابِيه في إِعْطَائه مَا يُرِيدُ.

فإذَا انْتَفَتْ هذه الأُمُورُ الثَّلاَثَةُ، لَمْ يَبْقَ إلاَّ الشَّفَاعَةُ، وقَدْ أَبْطَلَها اللهُ بقولِه: {وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} فَلاَ تَنْفَعُ عِنْدَ اللهِ الشَّفَاعَةُ لِهَؤلاءِ؛ لأَنَّ هذه الأَصْنامَ لاَ يَأْذَنُ اللهُ لِهَا، فانْقَطَعَتْ كُلُّ الوَسَائلِ والأَسْبابِ

E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

للمُشْرِكينَ، وهذا منْ أكْبرِ الآياتِ الدَّالَّة عَلَى بُطْلانِ عِبادَةِ الأَصْنام؛ لأنَّها لاَ تَنْفعُ عَابدِيهَا، لاَ اسْتِقْلالاً ولاَ مُشَارَكةً، ولاَ مُسَاعَدةً ولاَ شَفَاعَةً، فتَكُونُ عِبادَتُها بَاطِلةً، قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} حتَّى ولوْ كَانَ المَدْعُوُّ عَاقلاً، لقولِه: {مَنْ} ولَمْ يَقُلْ: (مَا) ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (5) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}.

وكُلُّ هذه الآياتِ تَدُلُّ عَلَى أنَّهُ يَجبُ عَلَى الإنْسَانِ قَطْعُ جميعِ تَعَلُّقَاتِه إلاَّ باللهِ عِبادَةً وخَوْفًا، ورَجاءً واسْتِعانَةً، ومَحبَّةً وتَعْظِيمًا، حتَّى يكونَ عَبْدًا للهِ حَقِيقَةً؛ يكونُ هَوَاهُ وإرادَتُهُ وحُبُّهُ وبُغْضُهُ ووَلاَؤُهُ ومُعادَاتُهُ للهِ وفي اللهِ؛ لأنَّهُ مَخْلُوقٌ للعِبادَةِ فَقَطْ، قَالَ تَعَالَى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} أيْ: لاَ نَأْمُرُكُم ولاَ نَنْهاكُم، إذْ لَو خَلَقْنَاكُم فقطْ للأَكْلِ والشُّربِ والنِّكاحِ لَكَانَ ذَلكَ عَيْنَ العَبَثِ، ولَكنْ هناكَ شَيْءٌ وَرَاءَ ذَلكَ وهوَ عِبادَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ في هذه الدُّنيا.

وقولُهُ: {إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} أيْ: وحَسِبْتُم أنَّكم إلَيْنا لاَ تُرْجَعُونَ فنُجازِيكُم، وإذا كَانَ هذَا هوَ حُسْبَانَكم فهوَ حُسْبَانٌ باطِلٌ.

(7) قولُهُ: (قَالَ أبو العبَّاسِ) هوَ شيخُ الإسلامِ تَقِيُّ الدِّينِ أحمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ بنِ عبدِ السَّلاَمِ بنِ تَيْمِيَّةَ

(8) قولُهُ: (لغيرِه مُلْكٌ) أيْ: لغيرِ اللهِ في قولِه: {لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}.

(9) قولُهُ: (أوْ قِسْطٌ منهُ) في قولِه: {وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ}.

(10) قولُهُ: (أوْ يكونَ عَوْنًا للهِ) في قولِه تَعَالَى: {وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} بدُونِ اسْتِثْناءٍ.

(11) قولُهُ: (ولَمْ يَبْقَ إلاَّ الشَّفَاعَةُ) فبَيَّنَ أنَّها لاَ تَنْفَعُ إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّبُّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى}.

- وقَالَ: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} ومَعْلُومٌ أنَّهُ لاَ يَرْضَى هذه الأصنامَ؛ لأنَّها بَاطِلةٌ، وحينَئذٍ فتَكُونُ شَفَاعَتُها مُنْتَفِيَةً.

واعْلَمْ أنَّ شِرْكَ المُشْرِكينَ في السَّابقِ كَانَ في عِبادَةِ الأصنامِ، أمَّا الآنَ فهوَ في طَاعَةِ المَخْلُوقِ في المَعْصِيَةِ، فإنَّ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

هؤلاءِ يُقدِّسُونَ زُعَمَاءَهُم أَكْثَرَ مِنْ تَقْدِيسِ اللهِ إنْ أَقَرُّوا بِهِ، فيُقَالُ لَهُم: إنَّهم بَشَرٌ مِثْلُكم خَرَجَوا مِنْ مَخْرَجِ البَوْلِ والحَيْضِ، وليسَ لَهُم شِرْكٌ في السَّماواتِ ولاَ في الأَرْضِ، ولاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ لَكُم عِنْدَ اللهِ، إذًا فكيفَ تَتَعَلَّقُونَ هِم؟

حتَّى إنَّ الوَاحِدَ منهم يَرْكَعُ لرَئِيسِهِ أوْ يَسْجُدُ لهُ كَمَا يَسْجُدُ لِرَبِّ العَالَمينَ؟

والواجبُ علينا نحوَ وُلاَةِ الأُمُورِ طَاعَتُهُم، وطَاعَتُهُم مِنْ طَاعَةِ اللهِ ولَيْسَت اسْتِقْلالاً، أَمَّا عِبَادَتُهم كَعِبَادَةِ اللهِ فهذه جَاهِليَّةٌ وكُفْرٌ.

فهذه الشَّفَاعَةُ التي يَظُنُّها المُشْرِكونَ هيَ مُنْتَفِيَةٌ يومَ القيامةِ كَمَا نَفَاهَا القُرْآنُ، فاللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى نَفَى أنْ تَنْفَعَهم أَصْنَامُهُم، بلْ قَالَ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ حتَّى الأَصْنَامُ لاَ تَنْفَعُ نَفْسَها ولاَ يُشْفَعُ لَهَا، فكيفَ تكونُ شافعةً؟ بلْ هيَ في النَّارِ وعَابِدُوهَا.

(12) قولُهُ: (وَأَخْبَرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: **أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ**) أيْ: وكَمَا أَخْبَرَ، والواوُ عَاطِفَةٌ، ويَجُوزُ أنْ تَكُونَ اسْتِئْنَافِيَّةً.

فإذا كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ -وهوَ أَعْظَمُ النَّاسِ جَاهًا عندَ اللهِ- لاَ يَشْفَعُ إلاَّ بعدَ أنْ يَحْمَدَ اللهَ ويُثْنِيَ عليهِ، فيَحْمَدُ اللهَ بمَحَامِدَ عَظِيمَةٍ يَفْتَحُها اللهُ عليهِ لَمْ يكنْ يَعْلَمُها مِنْ قبلُ، ويَطُولُ سُجُودُهُ، فكيفَ بهذه الأَصْنَامِ؛ هَلْ يُمْكِنُ أنْ تَشْفَعَ لأَصْحَابِهَا؟!.

(13) قولُهُ: «**ارْفَعْ رَأْسَكَ**» أيْ: من السُّجُودِ.

(14) قولُهُ: «**وقُلْ يُسْمَعْ**» السَّامِعُ هوَ اللهُ، و«**يُسْمَعْ**» جَوابُ الأَمْرِ مَجْزُومٌ.

(15) قولُهُ: «**وَسَلْ تُعْطَ**» أيْ: سَلْ مَا بَدَا لكَ تُعْطَ إيَّاهُ، و«**تُعْطَ**» مَجْزُومٌ بحَذْفِ حَرْفِ العِلَّةِ جَوَابًا لـ «سَلْ».

(16) قولُهُ: «**واشْفَعْ تُشَفَّعْ**» وحينَئِذ يَشفَعُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ في الخَلاَئِقِ أَنْ يُقْضَى بينَهُم.

(17) قولُهُ: (وقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ لهُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: **مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِكَ؟**) هذا السُّؤَالُ مِنْ أَبِي

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

هُرَيْرَةَ للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ، فَقَالَ لهُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: «لَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي أَحَدٌ غَيْرُكَ عنهُ لِمَا أَرَى مِنْ حِرْصِكَ عَلَى العِلْمِ» وفي هذا دَليلٌ عَلَى أنَّ مِنْ وَسَائِلِ تَحْصِيلِ العِلْمِ السُّؤَالَ.

(**18**) قولُهُ: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِه**» وعليهِ فالمُشْرِكُونَ ليسَ لَهُم حَظٌّ من الشَّفَاعَةِ؛ لأنَّهم لاَ يَقُولونَ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} وقَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُم: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}.

والحَقِيقَةُ: أنَّ صَنِيعَهُم هوَ العُجَابُ، قالَ تَعَالَى: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ}.

وقَالَ تَعَالَى: {وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}.

وقولُهُ: «خَالِصًا مِنْ قَلْبِه» خَرَجَ بذلكَ مَنْ قَالَهَا نِفَاقًا، فإنَّهُ لاَ حَظَّ لَهُ في الشَّفَاعَةِ، فإنَّ المُنَافِقَ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، ويَقُولُ: أَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، لَكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَابَلَ شَهَادَتَهم هذه بِشَهَادَتِهِ عَلَى كَذِبِهِم، قَالَ تَعَالَى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} أيْ: في شَهَادَتِهم في قَوْلِهم: إنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ، فَهُم كَاذِبُونَ في شَهَادَتِهم، وفي قَوْلِهم: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ؛ لأنَّهم لوْ شَهِدُوا ذلكَ حقًّا مَا نَافَقُوا، ولاَ أَبْطَنُوا الكُفْرَ.

قولُهُ: «**خَالِصًا**» أيْ: سَالِمًا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، فَلاَ يَشُوبُهَا رِيَاءٌ ولاَ سُمْعَةٌ، بَلْ هيَ شَهَادَةُ يَقِينٍ.

قولُهُ: «**مِنْ قَلْبِه**» لأنَّ المَدَارَ عَلَى القَلْبِ وهوَ ليسَ مَعْنًى مِن المَعَانِي، بلْ هوَ مُضْغَةٌ في صُدُورِ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} وقَالَ تَعَالَى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} وقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ».

وبِهَذَا يَبْطُلُ قولُ مَنْ قَالَ: إنَّ العَقْلَ فِي الدِّمَاغِ، ولاَ يُنْكَرُ أنَّ للدِّمَاغِ تَأْثِيرًا فِي الفَهْمِ والعَقْلِ، لَكِنَّ العَقْلَ في القَلْبِ، ولِهَذَا قَالَ أحمدُ: (العَقْلُ فِي القَلْبِ ولهُ اتِّصَالٌ فِي الدِّمَاغِ).

ومَنْ قَالَ كَلِمَةَ الإِخْلاَصِ خَالِصًا مِنْ قَلْبِه، فَلاَ بُدَّ أَنْ يَطْلُبَ هذا المَعْبُودَ بِسُلُوكِ الطُّرُقِ المُوصِلَةِ إليه، فيقومَ بأَمْرِ اللهِ ويَدَعَ نَهْيَهُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

(19) قولُهُ: (فتلكَ الشَّفَاعَةُ لأَهلِ الإخْلاَصِ) لأَنَّ مَنْ أَشْرَكَ باللهِ قَالَ اللهُ فيه: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}.

(20) قولُهُ: (وحَقِيقَتُهُ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هوَ الذي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الإخْلاَصِ، فيَغْفِرُ لهم بواسطَةِ دُعاءِ مَنْ أَذنَ لهُ أنْ يَشْفَعَ) وحَقيقَتُهُ – أيْ: حَقيقَةُ أَمْرِ الشَّفَاعَةِ والفَائِدَةُ منها – أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أَرَادَ أنْ يَغْفِرَ للمَشْفُوعِ لهُ، ولكنْ بواسطَةِ هذه الشَّفَاعَةِ.

والْحِكْمَةُ منْ هذه الوَاسطَةِ بَيَّنَها بقوله: (لِيُكْرِمَهُ ويَنَالَ المَقَامَ المَحْمُودَ) ولوْ شَاءَ اللهُ لَغَفَرَ لَهُم بلاَ شَفَاعَةٍ، ولَكنَّهُ أَرَادَ بَيَانَ فَضْلِ هذا الشَّافِعِ وإكْرَامَهُ أمامَ الناسِ، ومِن المعلومِ أنَّ مَنْ قَبِلَ اللهُ شَفَاعَتَهُ فهوَ عندَهُ بِمَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ، فيَكُونَ في هذا إكْرَامٌ للشَّافعِ منْ وجْهَيْنِ:

الأوَّلُ: إكْرَامُ الشافعِ بقَبُولِ شَفَاعَتِه.

الثاني: ظُهُورُ جَاهِه وشَرَفِه عندَ اللهِ تَعَالَى.

قولُهُ: (المقامُ المحمودُ) أي: المَقَامُ الذي يُحْمَدُ عليه، وأَعْظَمُ النَّاسِ في ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ؛ فإنَّ اللهَ وَعَدَهُ أنْ يَبْعَثَهُ مَقَامًا مَحْمُودًا، ومِن المَقَامِ المَحْمُودِ: أنَّ اللهَ يَقْبَلُ شَفَاعَتَهُ بَعْدَ أنْ يَتَرَاجَعَ الأنبياءُ أُولُو العَزْمِ عنها.

ومَنْ يَشْفَعْ مِن المُؤْمنِينَ يَوْمَ القِيامَةِ فَلَهُ مَقَامٌ يُحْمَدُ عليه عَلَى قَدْرِ شَفَاعَتِه.

(21) قولُهُ: (فالشَّفَاعَةُ التي نَفَاهَا القُرْآنُ مَا كَانَ فيها شِرْكٌ) هذا مِنْ كَلاَمِ شيخِ الإسْلاَمِ ابنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ.

(22) قولُهُ: (ولهذا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بإِذْنِهِ في مَوَاضِعَ) ومنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ}.

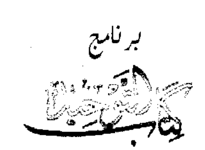
– وقولُهُ: {وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}.

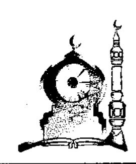
– وقولُهُ: {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى}.

(23) قولُهُ: (وقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ أنَّها لاَ تَكُونُ إلاَّ لأَهْلِ الإخْلاَصِ والتَّوْحيدِ) أَمَّا أَهْلُ الشِّرْكِ فإنَّ الشَّفَاعَةَ لاَ تَكُونُ لَهُم؛ لأَنَّ شُفَعَاءَهُم هُم الأَصْنَامُ، وهيَ باطلَةٌ.

ووجْهُ إدخالِ بابِ الشَّفَاعَةِ في كِتَابِ التَّوْحيدِ: أنَّ الشَّفَاعَةَ الشِّرْكيَّةَ تُنَافي التَّوْحيدَ، والبَرَاءةُ منها هيَ حَقيقةُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٢٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







التَّوْحِيد.

(24) **فيهِ مَسَائلُ:**

الأولى: (**تَفْسيرُ الآيات**) وهيَ خَمْسٌ، وسَبَقَ تَفْسيرُها في مَحَالِّها.

(25) **الثانيةُ:** (**صِفَةُ الشَّفَاعَةِ المَنْفِيَّةِ**) وهيَ ما كانَ فيها شِرْكٌ، فكُلُّ شَفَاعَةٍ فيها شِرْكٌ فإنَّها مَنْفِيَّةٌ.

(26) **الثالثةُ:** (**صِفَةُ الشَّفَاعَةِ المُثْبَتَةِ**) وهيَ شَفَاعَةُ أهلِ التوحيدِ بشرطِ إذنِ اللهِ تعَالَى ورِضَاهُ عَنِ الشافِعِ والمَشْفُوعِ لَهُ.

(27) **الرابعةُ:** (**ذِكْرُ الشفاعَةِ الكُبْرَى**) وهيَ المَقَامُ المَحْمُودُ: وهيَ الشَّفَاعَةُ في أهلِ المَوْقفِ أنْ يُقْضَى بَيْنَهم، وقولُ الشَّيْخِ: (**وهيَ المَقَامُ المَحْمُودُ**) أيْ: منهُ.

(28) **الخامِسةُ:** (**صِفَةُ مَا يَفْعَلُهُ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ**) وأنَّهُ لاَ يَبْدَأُ بالشَّفَاعَةِ بلْ يَسْجُدُ فإذا أُذِنَ لهُ شَفَعَ، كَمَا قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ رَحِمَهُ اللهُ وهوَ ظَاهِرٌ، وهذا يَدُلُّ علَى عَظَمَةِ الرَّبِّ، وكَمَالِ أَدَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ.

(29) **السَّادِسَةُ:** (**مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بهَا؟**)

هم أهلُ التوحيدِ والإخْلاَصِ، مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، خالِصًا مِنْ قَلْبِه.

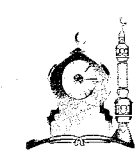
و(**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**) مَعْناهُ: **لاَ مَعْبُودَ حَقٌّ إِلاَّ اللهُ**، وليسَ المعنَى: لاَ مَعْبُودَ إِلاَّ اللهُ؛ لأَنَّهُ لوْ كَانَ كذلكَ لَكَانَ الواقِعُ يُكذِّبُ هذا، إذْ إنَّ هناكَ مَعْبُودَاتٍ مِنْ دونِ اللهِ تُعْبَدُ وتُسَمَّى آلِهَةً، ولكنَّها باطِلَةٌ، وحينَئذٍ يَتَعَيَّنُ أنْ يَكُونَ المُرادُ: لاَ إِلَهَ حَقٌّ إِلاَّ اللهُ.

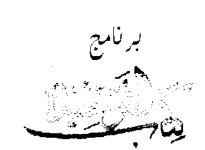
(**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**) تَتَضَمَّنُ **نَفْيًا وإِثْبَاتًا**، هذا هوَ التَّوْحِيدُ؛ لأَنَّ الإثْباتَ المُجَرَّدَ لاَ يَمْنَعُ المُشَارَكَةَ، والنَّفْيَ المُجَرَّدَ تَعطيلٌ مَحْضٌ، فلوْ قُلْتَ: لاَ إِلَهَ، مَعْنَاهُ عطَّلْتَ كُلَّ إِلَهٍ، ولوْ قُلْتَ: اللهُ إِلَهٌ، ما وحَّدْتَ؛ لأَنَّ مثلَ هذه الصِّيغَةِ لاَ تَمْنَعُ المُشَارَكَةَ. ولِهَذا قالَ اللهُ تَعَالَى: **{وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ}** لَمَّا جاءَ الإثباتُ فقطْ أَكَّدَهُ بقولِهِ: واحِدٌ.

(30) **السابِعةُ:** (**أَنَّها لاَ تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ باللهِ**) لقولِهِ تَعَالَى: **{فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}** وغيرِ ذلكَ مِمَّا نَفَى اللهُ فيهِ الشَّفَاعَةَ للمُشْرِكِينَ، ولِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: «**خَالِصًا مِنْ قَلْبِه**».

(31) **الثامنةُ:** (**بيانُ حَقِيقَتِهَا**) وحَقِيقَتُها: أنَّ اللهَ تَعَالَى يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الإِخْلاَصِ فيَغْفِرُ لَهُم بَواسِطَةِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ لِيُكْرِمَهُ ويَنَالَ المَقَامَ المَحْمُودَ.

E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس التاسع عشر

(1) مُنَاسَبةُ هذا البَابِ لِمَا: مَنَاسَبَتُهُ أَنَّهُ نَوْعٌ فيه فإذا كَانَ لاَ أَحَدَ يَسْتَطيعُ أَنْ يَنْفعَ أَحَدًا بالشَّفَاعَة والخَلاَصِ من العَذَابِ، كذلكَ لاَ يَسْتَطيعُ أَحَدٌ أَنْ يَهْدِيَ أَحَدًا حَتَّى يَقُومَ بمَا أَمَرَ اللهُ به.

قولُهُ تَعَالَى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} الخَطَابُ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ، وكَانَ يُحِبُّ هِدَايَةَ عَمِّه أَبِي طَالِبٍ أَوْ مَنْ هوَ أَعَمُّ منهُ.

فأَنْتَ يا مُحَمَّدُ المُخَاطَبُ بكَافِ الخطَابِ، ولهُ المَنْزِلَةُ الرَّفيعَةُ عندَ الله، لاَ تَسْتَطيعُ أن تَهْدِيَ مَنْ أَحْبَبْتَ هدَايتَهُ، ومَعْلُومٌ أَنَّهُ إذا أَحَبَّ هدَايتَهُ فَسَوْفَ يَحْرِصُ عَلَيه، ومَعَ ذلكَ لاَ يَتَمَكَّنُ مِنْ هذا الأَمْرِ؛ لأَنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ بيد الله، قَالَ تَعَالَى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ}.

وقَالَ تَعَالَى: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ} فَأَتَى بـ (أَلْ) الدَّالَّة عَلَى الاسْتغْرَاق؛ لأَنَّ (أَلْ) في قَوْله (الأَمْرُ) للاسْتغْرَاق، فهيَ نَائبَةٌ مَنَابَ كُلٍّ؛ أيْ: وإليه يُرْجَعُ كُلُّ الأَمْرِ، ثُمَّ جَاءَتْ مُؤَكَّدَةً (بكُلِّ)، وذلكَ تَوْكيدَان.

والْهدَايَةُ الَّتي نَفَاهَا اللهُ عَن رَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ هي هِدَايَةُ التَّوْفيقِ، والَّتي أَثْبَتها هي هِدَايَةُ الدَّلاَلَة والإِرْشَاد، ولهَذا أَتَتْ مُطْلَقَةً لبَيانِ أَنَّ الذي بيدِه هوَ هِدَايَةُ الدَّلاَلَة فقطْ، لاَ أَنْ يَجْعلَهُ مُهْتَديًا، قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.

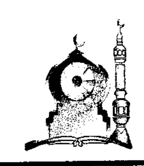
فَلَمْ يُخَصِّصْ سُبْحَانَهُ فَلاَنًا وفُلاَنًا ليُبيِّنَ أَنَّ المُرادَ أَنَّكَ تَهْدِي هِدَايَةَ دَلاَلَة، فَأَنْتَ تَفْتَحُ الطَّريقَ أمامَ النَّاسِ فقطْ، وتُبَيِّنُ لَهُم وتُرْشدُهم، وأَمَّا إدْخَالُ النَّاسِ في الهدَايَة، فهذا أمرٌ ليسَ إلى الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، إنَّما هوَ ممَّا تَفرَّدَ اللهُ به سُبْحَانَهُ، فنَحْنُ عَلَيْنَا أَنْ نُبيِّنَ ونَدْعُوَ، وأَمَّا هِدَايَةُ التَّوْفيقِ -أيْ: أَنَّ الإنْسَانَ يَهْتَدي- فهذا إلى الله سبحانَهُ وتَعالَى، وهذا هوَ الجَمْعُ بينَ الآيتين.

وقَوْلُهُ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} ظَاهِرُهُ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ يُحِبُّ أَبَا طَالِبٍ، فكيفَ يُؤَوَّلُ ذلكَ؟

والجَوَابُ: **إمَّا أنْ يُقَالَ**: إنَّهُ عَلَى تَقْديرِ أَنَّ المَفْعُولَ مَحْذُوفٌ، والتَّقْديرُ: مَنْ أَحْبَبْتَ هِدَايتَهُ، لاَ: مَنْ أَحْبَبْتَهُ هوَ. **أو يُقَالَ**: إنَّهُ أَحَبَّ عَمَّهُ مَحَبَّةً طَبيعيَّةً كمَحَبَّة الابنِ أَبَاهُ ولوْ كَانَ كَافرًا.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





أو **يُقالُ**: إنَّ ذلكَ قَبْلَ النَّهْيِ عَن مَحَبَّةِ المُشْرِكينَ.

والأوَّلُ أَقْرَبُ؛ أيْ: مَنْ أَحْبَبْتَ هدايَتَهُ لاَ عَيْنَهُ، وهذا عَامٌّ **لأبي طَالِب** وغيره.

ويَجُوزُ أَنْ يُحبَّهُ مَحبَّةَ قَرَابَة، ولاَ يُنَافِي هذا المَحبَّةَ الشَّرْعيَّةَ، وَقَدْ أُحبُّ أَنْ يَهْتَدِيَ هذا الإنْسانُ -وإنْ كُنْتُ أَبْغَضُهُ شَخْصيًّا لكُفْرِه- ولكنْ لأَنِّي أُحبُّ أنَّ النَّاسَ يَسْلُكُونَ دينَ الله.

(2) قولُهُ: (**فَقَالَ لَهُ**: «**يَا عَمِّ، قلْ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ**»)

قولُهُ: «**قلْ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ**» يَجُوزُ أَنَّهُ قَالَهُ عَلَى سَبيلِ الأَمْرِ والإلْزَامِ؛ لأَنَّهُ يَجبُ أَنْ يَأْمُرَ كُلَّ أَحَد أنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ.

ويَجُوزُ أَنَّهُ قَالَهُ عَلَى سَبيلِ الإرْشَادِ والتَّوْجيه.

ويَجُوزُ أَنَّهُ قَالَهُ عَلَى سَبيلِ التَّرَجِّي والتَّلَطُّف معَهُ، وأَبُو طَالِبٍ والذينَ عندَهُ يَعْرِفُونَ هذه الكَلمةَ ويَعْرِفُونَ مَعْنَاها؛ ولهَذا بَادَرَ بالإنْكَار.

قولُهُ: «**كَلمَةً**» مَنْصُوبَةً؛ لأَنَّها بَدَلُ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، ويَجُوزُ إِذَا لَمْ تَكُن الرِّوايَةُ بالنَّصْبِ أَنْ تَكُونَ بالرَّفْعِ؛ أيْ: هيَ كَلمَةٌ، ولَكنَّ النَّصبَ أَوْضَحُ.

قولُهُ: «**أُحَاجُّ**» المعنى: أَذْكُرُهَا حُجَّةً لَكَ عندَ الله، وليسَ أُخاصمُ وأُجادلُ لكَ بهَا عندَ الله، وإنْ كانَ بعضُ أهلِ العلْمِ قَالَ: إنَّ مَعْنَاهَا (أُجَادلُ اللهَ بهَا)، ولَكنَّ الذي يَظْهَرُ لي أَنَّ المَعْنَى: «**أُحَاجُّ لَكَ بهَا عندَ الله**» أيْ: أَذْكُرُهَا حُجَةً لَكَ، كَمَا جَاءَ في بَعْضِ الرِّوَايات: «**أَشْهَدُ لَكَ بهَا عندَ الله**».

(3) قولُهُ: (**فَقَالاَ لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ ملَّة عَبد الْمُطَّلب؟**) القَائلاَن هُمَا: **عبدُ الله بنُ أَبي أُمَيَّة، وأبو جَهْلٍ**، والاسْتفْهَامُ للإنكارِ عليه؛ لأَنَّهُما عَرَفَا أَنَّهُ إذَا قَالَهَا - كَلمَةَ الإخْلاَصِ - وَحَّدَ، وملَّةُ **عبد المُطَّلب** الشِّرْكُ، وذَكَرَا لَهُ ما تَهيجُ بِهِ نَعْرَتُهُ، وهيَ ملَّةُ عبد المُطَّلب حَتَّى لاَ يَخْرُجَ عَن ملَّة آبائه.

وقَدْ مَاتَ أبو جهلٍ عَلَى ملَّة عبد المُطَّلب، أَمَّا **عبدُ الله بنُ أَبي أُمَيَّةَ، والمُسَيَّبُ** الذي رَوَى الحديثَ فَأَسْلَمَا، فَأَسْلَمَ منْ هؤلاءِ الثَّلاَثَة رَجُلاَن رَضيَ اللهُ عَنْهُما.

قولُهُ: (**ملَّة عبد المطَّلب**) أيْ: دينِ **عبد المُطَّلب**.

(4) قولُهُ: (**فَأَعَادَ عَلَيْه النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ**) أيْ قولَهُ: «قُلْ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، كَلمَةً أُحَاجُّ لَكَ بهَا عنْدَ الله».

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

قولُهُ: (فأَعَادَا عَلَيْه) أيْ قَوْلَهُمَا: (أَتَرْغَبُ عنْ ملَّة عبد المُطَّلب؟).

قولُهُ: (فَقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ: «لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ» إلخ، جُمْلَةُ: «لأَسْتَغْفِرَنَّ لكَ» مُؤَكَّدَةٌ بثلاثة مُؤَكِّدات:

- القَسَم.
- واللاَّم.
- ونُون التَّوْكيد الثَّقيلَة.

والاسْتغْفَارُ: طَلَبُ المَغْفرَة، وكَأَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ في نَفْسه شَيْءٌ من القَلَق حَيْثُ قَالَ: «مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَوَقَعَ الأَمْرُ كَمَا تَوَقَّعَ ونُهيَ عنه.

قولُهُ: «مَا لَمْ أُنْهَ عنْكَ» فعْلٌ مُضَارعٌ مَبْنيٌّ للمَجْهُول، والنَّاهي عنه هوَ اللهُ.

(5) قَوْلُهُ: {مَا كَانَ} اعْلَمْ: أنَّ جملة (مَا كَانَ) أوْ (مَا يَنْبَغي) أوْ (لاَ يَنْبَغي) ونَحْوَها، إذَا جاءَتْ في القُرْآن والحَديث فالمُرَادُ أنَّ ذَلكَ مُمْتَنعٌ غَايَةَ الامْتنَاع، كَقَوْله تَعَالَى: { مَا كَانَ للهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ }.

- وقوله: { وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا }.

- وقوله: { لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ }، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ لاَ يَنَامُ ولاَ يَنْبَغي لَهُ أَنْ يَنَامَ».

وقولُهُ: {أَن يَسْتَغْفِرُوا} أيْ: يَطْلُبوا المَغْفرَةَ للمُشْركينَ.

وقولُهُ: {وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ} أيْ: حَتَّى ولوْ كانُوا أَقَاربَ لَهُم، ولهَذا لَمَّا اعْتَمَرَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ ومَرَّ بقَبْر أُمِّه اسْتَأْذَنَ اللهَ أَنْ يَسْتَغْفرَ لَهَا فَمَا أَذنَ اللهُ لَهُ، فاسْتَأْذَنَهُ أَنْ يَزُورَ قَبْرَها فَأَذنَ لهُ، فَزَارَهُ للاعْتبَار وبَكَى وأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ منَ الصَّحَابَة.

فاللهُ مَنَعَهُ منْ طَلَب المَغْفرَة للمُشْركينَ؛ لأَنَّ هؤلاء المُشْركينَ لَيْسُوا أَهْلاً للمَغْفرَة، إذَا دَعَوْتَ اللهَ أَنْ يَفْعَلَ مَا لاَ يَليقُ فَهو اعْتدَاءٌ في الدُّعَاء.

(6) قولُهُ: (وأَنْزَلَ اللهُ في أبي طَالب) أيْ: في شَأْنه.

(7) قولُهُ: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ } الخطَابُ للرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ؛ أيْ: لاَ تُوَفِّقُ مَنْ أَحْبَبْتَ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

للهدَايَة.

قولُهُ: {يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} أيْ: يَهْدِي هِدَايَةَ التَّوْفِيقِ مَنْ يَشَاءُ، واعْلَمْ أنَّ كُلَّ فِعْلٍ يُضَافُ إلى مَشيئَةِ اللهِ تَعَالَى فهوَ مَقْرُونٌ بالْحِكْمَة؛ أيْ: مَن اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أنْ يَهْدِيَهُ فإنَّهُ يهْتَدِي، ومَن اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أنْ يُضِلَّهُ أَضَلَّهُ.

وهذا الحَدِيثُ يَقْطَعُ وسَائلَ الشِّرْكِ بالرَّسُولِ وغيرِهِ، فالذينَ يَلْجَأُونَ إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ، ويَسْتَنْجِدُونَ به مُشْرِكُونَ، فَلاَ يَنْفعُهُم ذلكَ؛ لأَنَّهُ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ أنْ يَسْتَغْفِرَ لِعَمِّهِ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ قَامَ مَعَهُ قِيامًا عَظِيمًا، نَاصَرَهُ وآزَرَهُ في دَعْوَتِهِ، فكيفَ بغيرِهِ مِمَّن يُشْرِكُونَ باللهِ؟!.

قال في (فتح المجيد) ص244 : (ومن حكمة الرب تعالى في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام؛ ليبين لعباده أن ذلك إليه، وهو القادر عليه دون من سواه.

فلو كان عند النبي صلى الله عليه وسلم -الذي هو أفضل خلقه- من هداية القلوب وتفريج الكروب، ومغفرة الذنوب، والنجاة من العذاب؛ لكان أحق الناس بذلك وأولاهم به عمّهُ، الذي كان يحوطه ويحميه وينصره ويؤويه . فسبحان من بهرت حكمتُهُ العقول، وأرشد العباد إلى ما يدلهم على معرفته وتوحيده وإخلاص العمل له، وتجريده) .

فيهِ مَسَائِلُ:

(8) الأُولَى: (تَفْسِيرُ قولِهِ تَعَالَى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}

) أيْ: مَنْ أَحْبَبْتَ هِدَايَتَهُ، وسَبَقَ تَفْسِيرُهَا، وبَيَّنَّا أنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ إذَا كَانَ لاَ يَسْتَطِيعُ أنْ يَهْدِيَ أَحَدًا وهوَ حَيٌّ، فكيفَ يَسْتَطِيعُ أنْ يَهْدِيَ أَحَدًا وهوَ مَيِّتٌ؟ وأَنَّهُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى في حَقِّهِ: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا}.

(9) الثَّانِيَةُ: (تَفْسِيرُ قولِهِ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ} الآيَةَ)

وقَدْ سَبَقَ تَفْسِيرُهَا، وبَيَانُ تَحْرِيمِ اسْتِغْفَارِ الْمُسْلِمِينَ للمُشْرِكِينَ ولوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى.

(10) الثَّالِثَةُ: (وهيَ المَسْأَلَةُ الكَبِيرَةُ) أيْ: الكبيرةُ مِنْ هذا البَابِ، قولُهُ – أيْ قولُ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ

- لعمِّه: «قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» وعمُّهُ عرَفَ المَعْنَى أنَّهُ التَّبرُّؤُ مِنْ كُلِّ إلَهٍ سِوَى اللهِ، ولِهَذا أَبَى أنْ يَقُولَهَا؛ لأنَّهُ يَعْرِفُ مَعْنَاهَا ومُقْتَضَاهَا ومَلْزُومَاتها.

وقولُهُ: (**بخلاَفِ مَا عَلَيْهِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ**) كأنَّهُ يُشيرُ إلى تَفْسيرِ المُتَكلِّمينَ لمَعْنَى: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، حيثُ يَقُولُونَ: إنَّ الإِلَهَ هوَ القَادِرُ عَلَى الاختِرَاعِ، وأنَّهُ لاَ قَادِرَ عَلَى الاختْرَاعِ والإِيجَادِ والإبْدَاعِ إلاَّ اللهُ، وهذا تَفْسيرٌ باطِلٌ كما تقدم.

(11) **الرَّابعَةُ**: (**أنَّ أبَا جَهْلٍ ومَنْ مَعَهُ يَعْرِفُونَ مُرادَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ**) أي: في قول: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، ولذا ثَارُوا وقَالُوا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَن مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلبِ؟ وهوَ أيضًا أَبَى أنْ يَقُولَهَا لأنَّهُ يَعْرِفُ مُرَادَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ بِهَذه الكَلِمَةِ، قَالَ تَعَالَى: { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ }.

فالحَاصِلُ: أنَّ الذينَ يدَّعُونَ أنَّ مَعْنَى (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) أنه لاَ قَادِرَ عَلَى الاخْتِرَاعِ إِلاَّ هوَ، أوْ يَقُولُونَها وهم يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ كالأَوْلياء، هم أَجْهَلُ مِنْ **أَبي جَهْلٍ**.

واحْتَرَزَ **المُؤَلِّفُ** في عَدَمِ ذِكْرِ مَنْ كانَ مَعَ **أَبي جَهْلٍ**؛ لأنَّهم أَسْلَمُوا، وبذلكَ صَارُوا أَعْلَمَ مِمَّن بعدَهم؛ خَاصَّةً مَنْ بعدَهم في العُصُورِ المُتَأَخِّرَةِ في زَمَنِ **المُؤَلِّفِ** رَحِمَهُ اللهُ.

(12) **الخامسةُ**: (**جِدُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ، ومُبَالَغَتُهُ في إِسْلاَمِ عَمِّهِ**) حِرْصُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ وكَوْنُهُ يَتَحَمَّلُ أنْ يُحَاجَّ بالكلمةِ عندَ اللهِ واضِحٌ مِنْ نَصِّ الحديثِ **لسَبَبَيْنِ هما**:

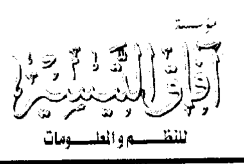
- القَرَابَةُ.
- ولِمَا أَسْدَى للرَّسُولِ والإِسْلاَمِ **من المَعْرُوفِ**، فهوَ عَلَى هذا مَشْكُورٌ وإنْ كانَ عَلَى كُفْرِه مَأْزُورًا في النَّارِ.

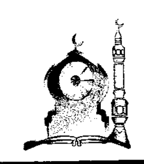
(13) **السَّادِسَةُ**: (**الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ إِسْلاَمَ** عبد المُطَّلب) بدَليلِ قَوْلِهِمَا: أَتَرْغَبُ عَن مِلَّةِ عبد المُطَّلبِ؟ حينَ أَمَرَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ أنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَدَلَّ عَلَى أنَّ مِلَّةَ **عبد المُطَّلب** الكُفْرُ والشِّرْكُ.

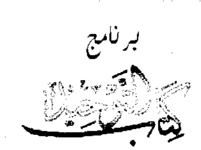
وفي الحَديثِ رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ بإسْلاَمِ **أبي طَالب** أوْ نُبُوَّتِهِ، كَمَا تَزْعُمُهُ الرَّافضَةُ قَبَّحَهُمُ اللهُ، وأنَّ آخرَ مَا قَالَ هوَ: عَلَى مِلَّةِ **عبد المُطَّلب**، وأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ.

(14) **السَّابِعَةُ**: (**كونُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ استَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ له**) الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ أَقْرَبُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٣٦ جوال: ٠٥٥٣٨٠٧٣٠







النَّاسِ أنْ يُجيبَ اللهُ دُعَاءَهُ، ومَعَ ذلكَ اقْتَضَتْ حكْمَةُ اللهِ أنْ لاَ يُجيبَ دُعَاءَهُ لعَمِّه أَبِي طَالب؛ لأَنَّ الأَمْرَ بيد اللهِ لاَ بيدِ الرَّسُولِ ولاَ غيرِه، قَال تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ ليسَ لأحد تَصرُّفٌ في هذا الكون إلاَّ رَبَّ الكَوْن.

وكذا أُمُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ في الاستْغفَارِ لَهَا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الكُفْرِ لَيْسوا أهْلاً للمَغْفرة بأَيِّ حَالٍ، ولاَ يُجابُ لَنَا فيهم، ولاَ يَحلُّ الدُّعَاءُ لَهُم بالمَغْفرَة والرَّحْمَة، وإنَّما يُدْعَى لَهُم بالْهدَايَة وهم أَحْيَاءٌ.

(15) **الثَّامِنةُ:** (**مَضرَّةُ أَصْحَاب السُّوءِ عَلَى الإِنْسَان**) المَعْنَى: أَنَّهُ لَوْلاَ هذان الرَّجُلاَن لَرُبَّمَا وُفِّقَ أبو طَالب إِلَى قَبُولِ مَا عَرَضَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ، لكنَّ هؤلاَءِ - والعياذُ بالله - ذَكَّرَاهُ نَعْرَةَ الجَاهليَّة، ومَضَرَّةُ رُفَقَاء السُّوءِ ليسَ خاصًّا بالشِّرْك، ولَكنْ في جَميعِ سُلُوك الإِنْسَان.

(16) **التاسعة:** (**مَضرَّةُ تَعْظيمِ الأَسْلاَف والأَكَابر**) لأنَّ أَبَا طَالب اختَارَ أَنْ يَكُونَ عَلَى ملَّة عَبْد المُطَّلب حينَ ذَكَّرُوهُ بأَسْلاَفه مَعَ مُخَالَفته لَشريعَة النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ.

وهذا ليسَ عَلَى إطْلاَقه، فَتَعْظيمُهم إنْ كَانُوا أَهْلاً لذلكَ فَلاَ يَضُرُّ، بلْ هوَ خَيْرٌ، فَأَسْلاَفُنا منْ صَدْرِ هذه الأُمَّة لاَ شَكَّ أنَّ تَعْظيمَهم وإِنْزَالَهم مَنَازلَهم خَيْرٌ لاَ ضَرَرَ فيه.

وإنْ كَانَ تَعْظيمُ الأَكَابرِ لمَا هُم عَلَيْه من العلْمِ والسِّنِّ فليسَ فيه مَضَرَّةٌ.

وإنْ كَانَ تَعْظيمُهم لمَا هم عَلَيْه من البَاطلِ فهوَ ضَرَرٌ عَظيمٌ عَلَى دينِ المَرْءِ.

(17) **العَاشِرةُ:** (**الشُّبْهَةُ للمُبْطلينَ في ذلكَ**) لاسْتدْلاَل **أَبِي جَهْلٍ** بذلكَ:

شُبَهُ المُبْطلينَ في تَعْظيمِ الأَسْلاَف، هيَ اسْتدْلاَلُ أبي جَهْلٍ بذلكَ في قوله: (**أَتَرْغَبُ عَنْ ملَّة عَبْد المُطَّلب؟**)

وهذه الشُّبْهَةُ ذَكَرَها اللهُ في القُرْآنِ في قَوله تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾.

فالمُبْطلُونَ يَقُولُونَ في شُبْهَتهم أنَّ أَسْلاَفَهم عَلَى الحقِّ وسَيَقْتَدُونَ بهم، ويَقُولُونَ: كيفَ نُسَفِّهُ أَحْلاَمَهم؟ ونُضَلِّلُ ما هم عليه؟

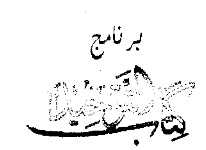
وهذا يُوجَدُ في المُتَعَصِّبينَ لمَشَايخهم وكُبَرَائهم ومذَاهبهم، حَيْثُ لاَ يَقْبَلُونَ قُرْآنًا ولاَ سُنَّةً في مُعَارضَة الشَّيْخ أو الإمامِ، حتَّى إنَّ بعضَهم يَجْعَلُهُم مَعْصُومينَ كالرَّافضَة والتِّيجَانيَّة والقَاديانيَّة وغيرِهم، فهم يَرَوْنَ أنَّ إمامَهم لاَ يُخْطئُ، والكتَابُ والسُّنَّةُ يُمْكنُ أنْ يُخْطئَا.

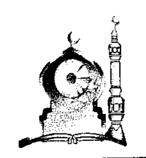
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

والواجبُ على المرءِ أنْ يَكُونَ تَابعًا لِمَا جَاءَ به الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ، وأنَّ مَنْ خَالَفَهُ من الكُبَرَاءِ والأَئِمَّةِ فإنَّهم لاَ يُحتَجُّ بِهِم على الكتاب والسُّنَّة، لكنْ يُعْتَذرُ لهم عنْ مُخَالَفَة الكتاب والسُّنَّة إنْ كَانُوا أَهْلاً للاعْتِذَارِ، بحَيْثُ لَمْ يُعْرَفْ عنهم مُعَارَضَةٌ للنُّصُوصِ، فيُعْتَذَرُ لهم بِمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ العِلْمِ، ومِنْ أَحْسَنِ مَا أُلِّفَ في ذلكَ كِتَابُ شَيْخِ الإِسْلاَمِ (رَفْعُ المَلاَمِ عن الأئمَّة الأعلام)، أمَّا مَنْ يُعْرَفُ بمَعَارَضَةِ الكِتَابِ والسُّنَّة، فَلاَ يُعْتَذَرُ لهُ.

(18) **الحاديَةَ عشْرَة: (الشاهدُ لكونِ الأعمالِ بالخَوَاتِيمِ)** وهذا مَبْنِيٌّ على القَوْلِ بأنَّ مَعْنَى (حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ) أيْ: ظَهَرَتْ عَلَيْه عَلاَمَاتُها وَلَمْ يَنْزِلْ به كَمَا سَبَقَ.

(19) **الثانيَةَ عشْرَة: (التَّأَمُّلُ في كِبَرِ هذه الشُّبْهَةِ في قُلُوبِ الضَّالِّينَ.. إلخ)** وهذه الشُّبْهَةُ هيَ: تَعْظِيمُ الأَسْلاَفِ والأَكَابِرِ.







تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي

الدرس العشرون

(1) قولُهُ: (**سَبَبُ كُفْرِ بَنِي آدَمَ**) **السَّبَبُ في اللُّغَةِ:** مَا يُتَوصَّلُ به إلى غَيْرِه.

وأمَّا في الاصطِلاحِ عندَ أهْلِ الأصُولِ: فهوَ الذي يَلْزَمُ مِنْ وُجُوده الوُجُودُ، ومنْ عَدَمه العَدَمُ.

أيْ: إذا وُجِدَ السَّبَبُ وُجِدَ المُسبَّبُ، وإذَا عُدِمَ السَّبَبُ عُدِمَ المُسبَّبُ، إلاَّ أنْ يَكُونَ هُنَاكَ سَبَبٌ آخَرُ يَثْبُتُ بِهِ المُسبَّبُ.

الغُلُوُّ: هوَ مُجَاوَزَةُ الحَدِّ في الثَّنَاء مَدْحًا أوْ قَدْحًا.

والقَدْحُ: يُسَمَّى ثناءً، ومنهُ الجَنَازَةُ التي مَرَّتْ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا.

والغُلُوُّ هنا: مُجَاوَزَةُ الحَدِّ في الثَّنَاء مَدْحًا.).

قال شيخ الإسلام: (**الغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد في شيء في حمده أو ذمه على ما يستحق**)

قولُهُ: (**الصَّالِحِينَ**) **الصَّالِحُ:** هوَ الذي قَامَ بحَقِّ الله وحَقِّ العِبَاد.

وفي هذه التَّرْجَمَة إضَافَةُ الشَّيْءِ إلى سَبَبِه دونَ أنْ يُنْسَبَ إلى الله بقَوْله: (**إنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وتَرْكِهِم دِينَهُم هوَ الغُلُوُّ في الصَّالِحِينَ**) وهذا جَائِزٌ إذا كَانَ السَّبَبُ حَقِيقَةً وصَحِيحًا، وذَلِكَ إذا كَانَ السَّبَبُ قَدْ أُثْبِتَ مِنْ قِبَلِ الشَّرْعِ، أو الحِسِّ، أو الوَاقِعِ.

وقدْ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ: «**لَوْلاَ أَنَا؛ لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**» يَعْنِي عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ.

(2) قولُهُ: ﴿**لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾ أيْ: لاَ تَتَجَاوَزُوا الحَدَّ مَدْحًا أوْ قَدْحًا.

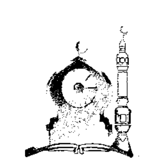
والأَمْرُ واقِعٌ كذلكَ بالنِّسْبَة لأَهْلِ الكِتَاب عُمُومًا، فإنَّهم غَلَوْا في **عيسَى** بنِ مَرْيَمَ عَلَيْه السَّلاَمُ مَدْحًا وقَدْحًا؛ حَيْثُ قَالَ النَّصارَى: إنَّهُ ابنُ الله وجَعَلُوهُ ثَالثَ ثَلاَثَة.

واليَهُودُ غَلَوْا فيه **قَدْحًا** وقَالُوا: (إنَّ أُمَّهُ زَانِيَةٌ، وإنَّهُ ولَدُ زِنًا) قَاتَلَهُم اللهُ، فَكُلٌّ مِن الطَّرَفَيْنِ غَلاَ في دِينِه وتَجَاوَزَ الحَدَّ بَيْنَ إفْرَاط وتَفْرِيط.

قولُهُ: ﴿**وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ**﴾ وهوَ مَا قَالَهُ سُبْحانَهُ وتَعَالَى عنْ نَفْسه بأَنَّهُ إلَهٌ وَاحِدٌ، أَحَدٌ صَمَدٌ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً ولاَ وَلَدًا.

قولُهُ: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ**﴾ هذه صِيغَةُ حَصْرٍ، وطَرِيقُهُ ﴿**إِنَّمَا**﴾ فيكونُ المَعْنَى: مَا المَسِيحُ

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٣٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com



عِيسَى بنُ مَرْيَمَ إلاَّ رَسُولُ اللهِ، وأَضَافَهُ إلى أُمِّهِ لِيَقْطَعَ قَوْلَ النَّصارَى الذينَ يُضيفُونَهُ إلى اللهِ.

وفي قَوْلِهِ: {رَسُولُ اللهِ} إبْطَالٌ لِقَوْلِ اليهودِ: إنَّهُ كَذَّابٌ، ولِقَوْلِ النَّصارَى: إنَّهُ إلَهٌ.

وفي قَوْلِهِ: {وَكَلِمَتُهُ} إبْطَالٌ لِقَوْلِ اليهودِ: (إنَّهُ ابنُ زِنًا).

وكَلِمَتُهُ التي أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ: أنْ قَالَ لَهُ كُنْ فَكَانَ.

قولُهُ: {وَرُوحٌ مِنْهُ} أيْ: أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- كَغَيْرِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ جَسَدٍ ورُوحٍ، وأَضَافَ رُوحَهُ إليه تَشْرِيفًا وتَكْرِيمًا، كَمَا في قولِهِ تَعَالَى في آدَمَ: {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} فهذا للتَّشْرِيفِ والتَّكْرِيمِ.

قولُهُ: {إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} أيْ: تَنْزِيهًا لَهُ أنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ؛ لأَنَّهُ مَالِكٌ لِمَا في السَّماواتِ ومَا في الأَرْضِ، ومِنْ جُمْلَتِهِم عِيسَى بنُ مَرْيَمَ عَلَيهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، فهوَ مِنْ جُمْلَةِ المَمْلُوكِينَ المَرْبُوبِينَ، فكيفَ يكونُ إلَهًا مَعَ اللهِ أوْ وَلَدًا للهِ؟!.

والشَّاهِدُ مِنْ هذه الآيَةِ قولُهُ: {لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} **فنَهَى عَنِ الغُلُوِّ في الدِّينِ؛ لأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ مَفاسِدَ كَثِيرَةً:**

مِنْهَا: أَنَّهُ تَنْزِيلٌ للمَغْلُوِّ فيه فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ إنْ كَانَ مَدْحًا، وتَحْتَها إنْ كَانَ قَدْحًا.

ومنـهـا: أَنَّهُ يُؤَدِّي إلى عِبادَةِ هذا المَغْلُوِّ فيه كَمَا هوَ الوَاقِعُ مِنْ أَهْلِ الغُلُوِّ.

ومنـهـا: أَنَّهُ يَصُدُّ عنْ تَعْظِيمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى؛ لأنَّ النَّفْسَ إِمَّا أنْ تَنْشَغِلَ بالبَاطِلِ أوْ بالحَقِّ، فإذا انْشَغَلَتْ بالغُلُوِّ بِهَذا المَخْلُوقِ وإطْرَائِهِ وتَعْظِيمِهِ تَعَلَّقَتْ بِهِ، ونَسِيَتْ مَا يَجِبُ للهِ تَعَالَى مِنْ حُقُوقٍ.

ومنـهـا: أنَّ المَغْلُوَّ فيه إنْ كانَ مَوْجُودًا فإنَّهُ يَزْهُو بنَفْسِهِ، ويَتَعاظَمُ ويُعْجَبُ بِهَا، وهذه مَفْسَدَةٌ تُفْسِدُ المَغْلُوَّ فيه إنْ كَانَتْ مَدْحًا، وتُوجِبُ العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ، وقِيامَ الحُرُوبِ والبَلاَءِ بَيْنَ هَذَا وهَذَا، إنْ كَانَتْ قَدْحًا.

قولُهُ: {فِي دِينِكُمْ} الدِّينُ يُطْلَقُ عَلَى العَمَلِ والجَزَاءِ، والمُرَادُ به هنا: **العَمَلُ**.

والمَعْنَى: لاَ تَجْعَلُوا عِبَادَتَكُم غُلُوًّا في المَخْلُوقِينَ وغَيرِهِم.

وهَلْ يَدْخُلُ في هَذَا الغُلُوُّ في العِبَادَاتِ؟

الجَوابُ: **نَعَمْ يَدْخُلُ الغُلُوُّ في العِبَادَاتِ**، مِثْلُ: أنْ يُرْهِقَ الإنسانُ نَفْسَهُ بالعِبادَةِ ويُتْعِبَها، فإنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وسَلَّمَ نَهَى عنْ ذلكَ، أو يَزيدَ عنِ المَشْرُوعِ كَأَنْ يَرْمِيَ بِحَمَرَاتٍ كبيرة، أوْ يَأْتِيَ بأَذْكارٍ زَائدةٍ عنِ المَشْرُوعِ أَدْبَارَ الصَّلَواتِ تَكْمِيلاً للوَارِدِ، أوْ غيرِ هذا، فالنَّهْيُ عن الغُلُوِّ في الدِّينِ يَعُمُّ الغُلُوَّ منْ كُلِّ وَجْهٍ.

(3) قولُهُ: {لاَ تَذَرُنَّ} أيْ: لاَ تَدعُنَّ وتَترُكُنَّ، وهذا نَهْيٌ مُؤَكَّدٌ بالنُّون.

قَوْلُهُ: {آلِهَتَكُمْ} هَلِ المُرَادُ: لاَ تَذَرُوا عِبادَتَها، أوْ: تُمكِّنُوا أَحَدًا منْ إهَانَتِها؟

الجَوابُ: المَعْنَيانِ كلاهما؛ أي: انْتصِروا لآلِهتِكُم ولاَ تُمكِّنُوا أَحَدًا مِنْ إهَانَتِهَا ولاَ تَدعُوهَا للنَّاسِ، ولاَ تَدعُوا عِبادَتَها أيضًا، بل احْرِصُوا عليها، وهذا مِن التَّواصِي بالباطلِ، عكسَ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَتَواصَوْنَ بالحَقِّ.

قولُهُ تَعالَى: { وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا } هذه الخَمْسَةُ كَانَ لَهَا مَزِيَّةٌ عَلَى غَيْرِهَا؛ لأنَّ قولَهُ: {آلِهَتَكُمْ} عامٌّ يَشْمَلُ كُلَّ مَا يَعْبُدُونَ، وكَأَنَّها كِبارُ آلِهَتِهِم فَخصُّوها بالذِّكْرِ.

والآلِهَةُ: جَمْعُ (إلَهٍ) وهوَ: كُلُّ مَا عُبِدَ سَوَاءٌ بِحقٍّ أوْ بِباطلٍ، لكنْ إذَا كَانَ المَعْبُودُ هوَ اللهُ فهوَ حَقٌّ، وإنْ كَانَ غَيْرَ اللهِ فهوَ بَاطِلٌ.

قالَ ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما في هذه الآيَة: (**هذه أسْماءُ رِجَالٍ صَالحينَ منْ قَوْمِ نُوحٍ**).

وفي هَذَا التَّفْسِيرِ إِشْكَالٌ حَيْثُ قَالَ: هَذِه أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، وظَاهِرُ القُرْآنِ أَنَّها قَبْلَ نُوحٍ، قَالَ تَعَالَى: { قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (21) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (22) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ }.

فظَاهِرُ الآيَةِ الكَرِيمَةِ: أنَّ قَوْمَ نُوحٍ كَانُوا يَعْبُدُونَها، ثُمَّ نَهَاهُم نُوحٌ عَن عِبَادَتِهَا وأَمَرَهُم بِعِبَادَةِ اللهِ وحْدَهُ، ولكنَّهم أبَوْا وقَالُوا: { لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ } وهَذَا - أَعْنِي القَوْلَ بأَنَّهُم قَوْمُ نُوحٍ - قَولُ **مُحمَّد بنِ كَعْبٍ ومُحمَّد بنِ قَيْسٍ**، وهوَ الرَّاجِحُ لِمُوافَقَتِه ظَاهِرَ القُرْآنِ، ويَحْتَمِلُ -وهوَ بَعِيدٌ- أَنَّ هذا في أوَّلِ رِسَالَةِ نُوحٍ، وأَنَّهُ اسْتَجَابَ لَهُ هؤلاَءِ الرِّجَالُ وآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذلكَ مَاتُوا قَبْلَ نُوحٍ ثُمَّ عَبَدُوهُم، لَكنَّ هذا بَعِيدٌ حَتَّى مِنْ سِيَاقِ الأَثَرِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

فالمُهِمُّ في تَفْسِيرِ الآيَةِ أَنْ يُقَالَ: هذه أَصْنَامٌ في قَوْمِ نُوحٍ كَانُوا رِجَالاً صَالحِينَ، فَطَالَ عَلَى قَوْمِهِمُ الأَمَدُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

فَعَبَدُوهُم.

(4) قولُهُ: (**أَوْحَى الشَّيطَانُ**) أيْ: وحْيَ وَسْوَسَةٍ، ولَيْس وحْيَ إِلْهَامٍ.

(5) قولُهُ: (**أَن انْصِبُوا إلى مَجَالِسِهِم**) الأَنْصَابُ: جَمْعُ نُصْبٍ، وهوَ كُلُّ مَا يُنْصَبُ مِنْ عَصًا أَوْ حَجَرٍ أَوْ غَيْرِه.

(6) قولُهُ: (**وسَمُّوها بِأَسْمَائِهِم**) أيْ: ضَعُوا أَنْصَابًا في مَجَالِسِهِم وقولُوا: هذا **وَدٌّ**، وهَذَا **سُواعٌ**، وهَذَا **يَغُوثُ**، وهَذَا **يَعُوقُ**، وهذا **نَسْرٌ**، لأَجلِ إِذَا رَأَيْتُمُوهم تَتَذَكَّرُوا عِبَادَتَهم فَتَنْشَطُوا عليها، هكذا زَيَّنَ لَهُم الشَّيْطَانُ، وهَذَا غُرُورٌ وَوَسْوَسَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ كَمَا قَالَ لآدَمَ: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾.

وإذا كَانَ لاَ يَتَذَكَّرُ عِبَادَةَ اللهِ إلاَّ بِرُؤْيَةِ أَشْبَاحِ هؤلاءِ فهذه عِبَادَةٌ قَاصِرَةٌ أَوْ مَعْدُومَةٌ.

(7) قولُهُ: (**فَفَعَلُوا، ولَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إذا هَلَكَ أولئكَ ونُسِيَ العِلْمُ، عُبِدتْ مِنْ دونِ اللهِ**) ذَكَرَ **ابنُ عبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ **آدَمَ** و**نُوحٍ** عَشَرَةُ قُرُونٍ، والقَرْنُ مائةُ سَنَةٍ، حَتَّى إذَا طَالَ عَلَيْهِم الأَمَدُ حَصَلَ النِّزَاعُ والتَّفَرُّقُ؛ فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ الآيَةَ.

والآيَةُ تَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرَهُ **ابنُ عَبَّاسٍ**، إلاَّ أنَّ ظَاهِرَ السِّيَاقِ أَنَّ هؤلاءِ القَوْمَ الصَّالِحينَ كَانُوا قَبْلَ **نُوحٍ** صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ، وقدْ عَرَفْتَ القَوْلَ الرَّاجِحَ.

(8) قولُهُ: (**الأَمَدُ**) الزَّمَنُ، وهذا كَتَفْسِيرِ **ابنِ عباسٍ**، إلاَّ أنَّ **ابنَ عباسٍ** يقولُ: (**إِنَّهم جَعَلُوا الأَنْصَابَ في مَجَالِسِهِم**) وهنا يَقُولُ: (**عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِم**) ولاَ يَبْعُدُ أَنَّهم جَعَلُوا هذا وهذا، أَوْ أَنَّهم قُبِرُوا في مَجَالِسِهِم فَتَكُونُ هيَ مَحَلَّ القُبُورِ.

والشَّاهِدُ قولُهُ: (**ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِم الأَمَدُ فعَبَدُوهم**) فَسَبَبُ العِبَادَةِ إِذًا الغُلُوُّ في هؤلاءِ الصَّالِحينَ حَتَّى عَبَدُوهم.

(9) قولُهُ: «**لاَ تُطْرُونِي**» الإِطْرَاءُ: المُبَالَغَةُ في المَدْحِ.

وهذا النَّهْيُ يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مُنْصَبٌّ عَلَى هذا التَّشْبِيهِ وهوَ قولُهُ: «**كَمَا أَطْرَتِ النَّصارَى ابنَ مَرْيَمَ**» حيثُ جَعَلُوهُ إِلَهًا، أو ابْنًا للهِ.

ويَحْتَمِلُ أنَّ النَّهْيَ عَامٌّ، فَيَشْمَلُ مَا يُشَابِهُ غُلُوَّ النَّصارَى في **عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ** ومَا دونَهُ، ويكونُ قولُهُ: «**كَمَا أَطْرَتْ**» لمُطْلَقِ التَّشْبِيهِ لاَ للتَّشْبِيهِ المُطْلَقِ؛ لأَنَّ إِطْرَاءَ النَّصارَى **عِيسَى بنَ مَرْيَمَ** سَبَبُهُ الغُلُوُّ في هذا الرَّسُولِ الكَرِيمِ

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٣٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، حيثُ جَعَلُوهُ ابْنًا للهِ وثَالِثَ ثَلاثَةٍ، والدَّلِيلُ عَلَى أنَّ المُرَادَ هذا قولُهُ: «**إنَّما أَنَا عَبْدٌ، فقُولوا: عَبْدُ اللهِ ورَسُولُهُ**».

(**10**) قولُهُ: «**إنَّما أنا عَبْدٌ**» أيْ: ليسَ لِي حقٌّ مِن الرُّبُوبيَّةِ، ولاَ ممَّا يَخْتَصُّ به اللهُ عزَّ وجلَّ أَبَدًا.

(**11**) قولُهُ: «**فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**» هذانِ الوَصْفَانِ أَصْدَقُ وَصْفٍ وأَشْرَفُهُ في الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فَأَشْرَفُ وَصْفٍ للإنْسانِ أنْ يكونَ مِنْ عِبَادِ اللهِ. قَالَ تَعَالَى: { **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا** }، وقَالَ تَعَالَى: { **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ** } فَوَصَفَهم اللهُ بالعُبُودِيَّةِ قبلَ الرِّسَالَةِ، مَعَ أنَّ الرِّسَالَةَ شَرَفٌ عَظِيمٌ، لَكِنَّ كَوْنَهم عِبَادًا للهِ عَزَّ وجَلَّ أَشْرَفُ وأَعْظَمُ، وأَشْرَفُ وَصْفٍ لَهُ وأَحَقُّ وَصْفٍ به.

فمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ عَبْدٌ لاَ يُعْبَدُ، ورَسُولٌ لاَ يَكْذِبُ، ولهذا نَقُولُ في صَلاَتِنا عِنْدَمَا نُسَلِّمُ عَلَيْهِ ونَشْهَدُ لهُ بالرِّسالَةِ: (**وَأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ**) فهذا أَفْضَلُ وَصْفٍ اخْتَارَهُ النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لنفْسِه.

واعْلَمْ أنَّ الحُقُوقَ ثلاثةُ أقسامٍ وهيَ:

الأوَّلُ: حَقٌّ للهِ لاَ يُشرَكُ فيه غَيْرُهُ لاَ مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولاَ نَبيٌّ مُرْسَلٌ، وهوَ مَا يَخْتَصُّ بِهِ مِن الرُّبُوبِيَّةِ، والأُلُوهِيَّةِ، والأَسْمَاءِ والصِّفاتِ.

الثاني: حقٌّ خاصٌّ للرُّسُلِ، وهوَ إعَانَتُهم وتَوْقِيرُهم وتَبْجِيلُهم بِمَا يَسْتَحِقُّونَ.

الثالثُ: حَقٌّ مُشْتَرَكٌ وهوَ: الإيمَانُ باللهِ ورُسُلِه، وهذه الحُقُوقُ مَوْجُودَةٌ في الآيَةِ الكَرِيمَةِ وهيَ قولُهُ تَعَالَى: { **لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ** } فهذا حَقٌّ مُشْتَرَكٌ، { **وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ** } هذا خاصٌّ بالرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، { **وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** } هذا خاصٌّ باللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

- والذينَ يَغْلُونَ في الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَجْعَلُونَ حَقَّ اللهِ لَهُ فيَقُولُونَ: { **وَتُسَبِّحُوهُ** } أي: الرَّسُولَ، فيُسَبِّحُونَ الرَّسُولَ كَمَا يُسبِّحُونَ اللهَ، وَلاَ شَكَّ أنَّهُ شِرْكٌ؛ لأَنَّ التَّسْبِيحَ مِنْ حُقُوقِ اللهِ الخَاصَّةِ به بخِلاَفِ الإيمَانِ فهوَ مِن الحُقُوقِ المُشْتَرَكَةِ بَيْنَ اللهِ ورَسُولِه.

ونَهَى عن الإطْرَاءِ في قولِه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**كَمَا أَطْرَتِ النَّصارى عيسى ابنَ مَرْيَمَ**» لأَنَّ الإطْرَاءَ والغُلُوَّ يُؤَدِّي

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

إلى عبادَته، كَمَا هوَ الوَاقعُ الآنَ، فيُوجَدُ عندَ قَبْرِه في المَدينَة مَنْ يَسْأَلُهُ فيَقُولُ: (يا رَسُولَ الله، المَدَدَ المَدَدَ، يا رَسُولَ الله، أَغِثْنا، يا رَسُولَ الله، بلاَدُنا يابسَةٌ..) وهكذا، ورَأَيْتُ بعَيْنَيَّ رَجُلاً يَدْعُو اللهَ تَحْتَ مِيزَاب الكَعْبَة مُوَلِّيًا ظَهْرَهُ البَيْتَ مُسْتَقْبلاً المَدينةَ؛ لأنَّ اسْتقْبالَ القَبْرِ عندَهُ أَشْرَفُ من اسْتقْبال الكَعْبَة، والعياذُ بالله.

- ويَقُولُ بعضُ المُغَالينَ: الكَعْبَةُ أَفْضَلُ من الحُجْرَة، فأَمَّا والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ فيها فَلاَ والله، ولاَ الكَعْبَةُ، ولاَ العَرْشُ وحَمَلَتُهُ، ولاَ الجَنَّةُ، فهوَ يُريدُ أنْ يُفَضِّلَ الحُجْرَةَ عَلَى الكَعْبَة، وعَلَى العَرْشِ وحَمَلَته، وعَلَى الجَنَّة، وهذه مُبَالَغَةٌ لاَ يَرْضَاهَا النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ لَنَا ولاَ لنَفْسه.

وصَحيحٌ أنَّ جَسَدَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ أَفْضَلُ ولَكنَّ كَوْنَهُ يَقُولُ: إنَّ الحُجْرَةَ أَفْضَلُ من الكَعْبَة والعَرْشِ والجَنَّة؛ لأنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ فيها، هَذَا خَطَأٌ عَظيمٌ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلاَمَةَ منْ ذلكَ.

(12) قولُهُ: «إِيَّاكُمْ» للتَّحْذير.

قولُهُ: «والغُلُوَّ» مَعْطُوفٌ عَلَى إيَّاكُم، وقد اضْطَرَبَ فيه المُعْربونَ اضْطرَابًا كثيرًا، وأَقْرَبُ مَا قيلَ للصَّواب وأَقَلُّهُ تَكَلُّفًا أَنَّ (إيَّا) مَنْصُوبَةٌ بفعْلِ أَمْرٍ مُقَدَّرٍ، تَقْديرُهُ: إيَّاكَ أُحَذِّرُ، أي: احْذَرْ نَفْسَكَ أنْ تَغُرَّكَ، والغُلُوُّ مَعْطُوفٌ عَلَى إيَّاكَ؛ أيْ: واحْذَرِ الغُلُوَّ.

والغُلُوُّ كَمَا سَبَقَ: هوَ مُجاوَزَةُ الحَدِّ مَدْحًا أوْ ذمًّا، وقَدْ يَشْمَلُ ما هوَ أَكْثَرُ منْ ذلكَ أيضًا، فيُقَالُ: مُجَاوَزَةُ الحَدِّ في الثَّنَاء وفي التَّعَبُّد وفي العَمَلِ؛ لأَنَّ هذا الحَديثَ وَرَدَ في رَمْيِ الجَمَرَات، حيثُ رَوَى ابنُ عباسٍ قَالَ: (قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ غَدَاةَ العَقَبَة وهوَ عَلَى نَاقَته: «الْقُطْ لِي حَصًى» فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْف، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّه ويَقُولُ: «أَمْثَالَ هَؤُلاَء فَارْمُوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ») هذا لَفْظُ ابن ماجه.

(13) و«الغُلُوُّ» فَاعلُ «أَهْلَكَ».

قولُهُ: «مَنْ كَان قَبْلَكُمْ» مَفْعولٌ مُقَدَّمٌ.

قولُهُ: «فإنَّما» أَدَاةُ حَصْرٍ، والحَصْرُ: إثْبَاتُ الحُكْمِ للمَذْكُورِ ونَفْيُهُ عَمَّا عَدَاهُ.

قولُهُ: «أهلَكَ» يحْتَملُ مَعْنَيَيْن:

الأَوَّلُ: أنَّ المُرَادَ هَلاَكُ الدِّينِ، وعَلَيْه يَكُونُ الْهَلاَكُ واقعًا مُبَاشَرَةً من الغُلُوِّ؛ لأنَّ مُجَرَّدَ الغُلُوِّ هَلاَكٌ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الثاني: أنَّهُ هلاَكُ الأَجْسامِ، وعَلَيْهِ يَكُونُ الغُلُوُّ سَبَبًا للهلاَكِ؛ أيْ: إذا غَلَوْا خرَجُوا عَن طَاعَةِ اللهِ فَأَهْلَكَهُم اللهُ.

وهلِ الحَصْرُ في قولِهِ: «**فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُم الغلُوُّ**» حقِيقِيٌّ أوْ إضافِيٌّ؟

الجَوَابُ: إنْ قِيلَ: إنَّهُ حَقِيقِيٌّ، حَصَلَ إشْكَالٌ وهوَ أنَّهُ هناكَ أَحَاديثُ أضافَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ الهَلاَكَ فيها إلى أَعْمَالٍ غيرِ الغُلُوِّ.

مثلُ قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ**» فهنا حَصْرَانِ مُتَقَابِلاَنِ، فإذَا قُلْنَا: إنَّهُ حَقِيقِيٌّ، بِمَعْنَى أنَّهُ لاَ هَلاَكَ إلاَّ بِهَذا حَقِيقَةً، صَارَ بَيْنَ الحَدِيثَيْنِ تَنَاقُضٌ.

وإنْ قِيلَ: إنَّ الحَصْرَ إضَافِيٌّ، أيْ: باعْتِبَارِ عَمَلٍ مُعَيَّنٍ، فإنَّهُ لاَ يَحْصُلُ تَنَاقُضٌ بحَيْثُ يُحْمَلُ كُلٌّ منْهُمَا عَلَى جِهَةٍ لاَ تُعَارِضُ الحديثَ الآخَرَ، لِئلاَّ يكُونَ في حَديثِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ تَنَاقُضٌ، وحينَئذٍ يكُونُ الحَصْرُ إضَافِيًّا.

فيُقَالُ: أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم الغُلُوُّ، هذا الحَصْرُ باعْتِبَارِ الغُلُوِّ في التَّعَبُّدِ في الحَديثِ الأوَّلِ، وفي الآخرِ يُقَالُ: أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم باعْتِبَارِ الحُكْمِ، فيَهْلِكُ النَّاسُ إذا أَقَامُوا الحَدَّ عَلَى الضَّعِيفِ دُونَ الشَّرِيفِ.

وفي هذا الحَديثِ يُحَذِّرُ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، أُمَّتَهُ من الغُلُوِّ، ويُبَرْهِنُ عَلَى أنَّ الغُلُوَّ سَبَبٌ للهَلاَكِ؛ لأنَّهُ مُخَالِفٌ للشَّرْعِ، ولإهْلاَكِهِ للأُمَمِ السَّابِقَةِ.

فيُسْتَفَادُ منهُ تَحْرِيمُ الغُلُوِّ منْ وجْهَيْنِ:

الوجْهُ الأوَّلُ: تَحْذيرُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، والتَّحْذِيرُ نَهْيٌ وزيادَةٌ.

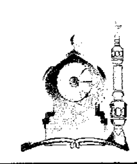
الوجْهُ الثَّانِي: أنَّهُ سَبَبٌ لإهْلاَكِ الأُمَمِ كَمَا أَهْلَكَ كلَّ مَنْ قبلَنا، ومَا كَانَ سَبَبًا للهَلاَكِ كانَ مُحَرَّمًا.

والنَّاسُ في العِبَادَةِ طَرَفَانِ ووَسَطٌ: فَمِنْهم المُفْرِطُ، ومنهم المُفرِّطُ، ومنهم المُتوسِّطُ.

فدِينُ اللهِ بَيْنَ الغَالِي فيهِ والجَافِي عنه، وكونُ الإنسانِ مُعْتَدلاً لاَ يَميلُ إلَى هذا ولاَ إلى هذا، هذا هوَ الواجِبُ، فَلاَ يَجُوزُ التَّشَدُّدُ في الدِّينِ والمُبَالَغَةُ، ولاَ التَّهاونُ وعَدَمُ المُبَالاَةِ، بلْ كُنْ وسَطًا بَيْنَ هذا وهذا.

(14) قولُهُ: «**المُتَنَطِّعُونَ**» المُتَنَطِّعُ: هوَ المُتعَمِّقُ المُتقَعِّرُ المُتَشَدِّقُ، سَواءٌ كَانَ في الكَلاَمِ أوْ في الأفعالِ، فهوَ هَالِكٌ حَتَّى ولوْ كَانَ ذلكَ في الأقوالِ المُعْتادَةِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



(15) **فيهِ مَسائِلُ:**

الأولى: (**أنَّ مَنْ فَهِمَ هذا الباب**) أيْ: بِمَا مَرَّ مِنْ تَفْسِيرِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ: { وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ } - وبَايَنَ بعدَهُ تَبَيَّنَ لهُ غُرْبَةُ الإسْلَامِ.

وهذا حقٌّ، فإنَّ الإسْلَامَ المَبْنِيَّ على التَّوْحيدِ الخَالِصِ غَرِيب.

(16) **الثَّانِيَةُ:** (**مَعْرِفَةُ أوَّلِ شِرْكٍ حَدَثَ في الأَرْضِ**) وجْهُ ذلكَ: أنَّ هذه الأَصْنامَ التي عَبَدَها قَوْمُ نُوحٍ كَانُوا أَقْوامًا صَالِحينَ، فَحَدَثَ الغُلُوُّ فيهم، ثُمَّ عَبَدُوهم مِنْ دونِ اللهِ، ففيهِ الحَذَرُ من الغُلُوِّ في الصَّالِحينَ.

(17) **الثَّالِثَةُ:** (**مَعْرِفَةُ أوَّلِ شيءٍ غُيِّرَ به دينُ الأَنْبياء**) ومَا سَبَبُ ذلكَ، مَعَ مَعْرِفَةِ أنَّ اللهَ أَرْسَلَهُم.

أوَّلُ شيءٍ غُيِّرَ به دِينُ الأنبياءِ هوَ الشِّرْكُ، وسَبَبُهُ هوَ الغُلُوُّ في الصَّالحينَ.

وقولُهُ: (**مَعَ مَعرفةِ أنَّ اللهَ أَرْسَلَهُم**) قَالَ اللهُ تَعَالَى: { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ } أيْ: كَانُوا أُمَّةً واحِدَةً عَلَى التَّوْحيدِ فاخْتَلَفُوا، فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ وأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فيه، فَهَذَا أَوَّلُ مَا حَدَثَ مِنَ الشِّرْكِ في بَنِي آدَمَ.

(18) **الرابعةُ:** (**قَبُولُ البِدَعِ معَ كَوْنِ الشَّرَائعِ والفِطَرِ تَرُدُّها**).

قولُهُ: (**قَبُولُ البِدَعِ**) أيْ: أنَّ النُّفُوسَ تَقْبَلُها لاَ لأنَّها مَشْرُوعَةٌ، بَلْ إنَّ الشَّرَائعَ تَرُدُّها، وكذلكَ الفِطَرُ السَّليمَةُ تَرُدُّها؛ لأَنَّ الفِطَرَ السَّلِيمَةَ جُبِلَتْ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا } فالفِطَرُ السَّلِيمَةُ لاَ تَقْبَلُ تَشْرِيعًا إلاَّ مِمَّنْ يمْلِكُ ذلكَ.

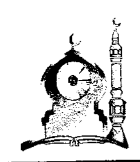
(19) **الخامسةُ:** (**أنَّ سَبَبَ ذلكَ كُلِّه مَزْجُ الحَقِّ بالباطِلِ**) أَرَادَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ أنْ يُبَيِّنَ أنَّ مَزْجَ الحَقِّ بالباطِلِ حَصَلَ بِأَمْرَيْنِ:

الأوَّلُ: (**مَحَبَّةُ الصَّالحِينَ**) ولِهَذا صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُم مَحَبَّةً لَهُم، ورَغْبَةً في مُشَاهَدَةِ أَشْبَاحِهِم.

الثاني: (**أنَّ أَهْلَ العِلْمِ والدِّينِ أَرادُوا بذلكَ خَيْرًا**) وهُوَ أنْ يَنْشَطُوا عَلَى العِبَادَةِ، ولَكِنَّ مَنْ بعدَهم أَرادُوا شَرًّا غيرَ الخَيْرِ الذي أَرادَهُ أولئكَ، ويُؤْخَذُ مِنْهُ: أنَّ مَنْ أَرادَ تَقْوِيَةَ دينه ببدعة فإنَّ ضَرَرَها أكثرُ مِنْ نَفْعِها.

مثالُ ذلكَ: أولئكَ الذينَ يَغْلُونَ في الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، ويَجْعَلُونَ لهُ المَوالِدَ، وهُم يُريدُونَ بذلكَ خَيْرًا، لَكِنْ أَرادُوا خَيْرًا بِهَذه البِدْعَةِ فَصَارَ ضَرُّها أَكْثَرَ مِنْ نفعها؛ لأنَّها تُعْطِي الإنسانَ نَشَاطًا غيرَ مَشْرُوعٍ في

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٦٦٦ - ص.ب ١١٤٤٠
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



وَقْتٍ مُعيَّنٍ، ثُمَّ يَعْقُبُهُ فُتورٌ غيرُ مشروعٍ في بَقيَّةِ العَامِ.

ولهذا تَجدُ هؤلاءِ الذينَ يُغَالُون في هذه البِدَعِ فَاترينَ في الأُمُورِ المَشْرُوعَةِ الوَاضحَةِ ليسوا كنَشَاطِ غَيْرِهم، وهذا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَأْثيرِ البِدَعِ في القُلُوبِ، وأنَّها مَهْمَا زيَّنَها أَصْحَابُها لاَ تَزيدُ الإنْسَانَ إلاَّ ضَلالاً؛ لأَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقُولُ: «**كُلُّ بدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**».

(20) **السادسةُ: (تَفْسيرُ الآيَةِ التي في سُورَةِ نُوحٍ)** وقَدْ سَبَقَ ذلكَ وبيانُ أنَّهم يَتَوَاصَوْنَ بالبَاطلِ، وهذا خلافُ طَريقِ المُؤْمنينَ الذينَ يَتَوَاصَوْنَ بالحَقِّ والصبْرِ والمَرْحَمَةِ، ويُشْبِهُهُم أَهْلُ البَاطلِ والضَلاَلِ الذينَ يَتَوَاصَوْنَ بمَا هُم عَلَيْه، سَوَاءٌ كَانُوا رُؤَسَاءَ سيَاسيِّينَ أَوْ رؤساءَ دينيِّينَ يَنْتَسبونَ إلى الدِّينِ، فتَجدُ الواحدَ منْهم لاَ يَمُوتُ إلاَّ وقَدْ وَضَعَ لَهُ رَكيزَةً منْ بعدِه يُنَمِّي هذا الأمرَ الذي هُوَ عَلَيْه.

(21) **السَّابِعَةُ: (جِبِلَّةُ الآدَميِّ في كَوْنِ الحَقِّ يَنْقُصُ في قَلْبِه والباطِلِ يَزيدُ)** هذه العبَارَةُ تُقيَّدُ منْ حيثُ كونُهُ آدَميًّا بقَطْعِ النَّظَرِ عَلَى مَنْ يَمُنُّ اللهُ عَلَيْه منْ تَزْكيَةِ النَّفْسِ، فإنَّ اللهَ يَقُولُ: **{ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا }**.

قولُهُ: **(جبلَّةُ)** عَلَى وَزْنِ فعلَّة، وهوَ مَا يُجْبَلُ المَرْءُ عَلَيْه أيْ: يُخْلَقُ عَلَيْه ويُطْبَعُ ويُبْدَعُ، بمَعْنَى الطَّبيعَةِ التي عَلَيْها الإنْسَانُ منْ حيثُ هوَ إنْسانٌ، بقَطْعِ النَّظرِ عَنْ كونِه زَكَّى نَفْسَهُ أوْ دَسَّاها.

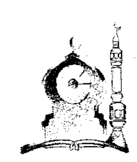
(22) **التَّامنَةُ: (فيه شَاهدٌ لمَا نُقلَ عَنِ السَّلَفِ أنَّ البِدَعَ سَبَبُ الكُفْرِ)** قالَ أهلُ العلمِ: إنَّ الكُفْرَ لَهُ أَسْبَابٌ مُتَعَدِّدَةٌ ولاَ مَانعَ أنْ يَكُونَ للشَّيْءِ الوَاحد أَسْبَابٌ مُتَعَدِّدَةٌ، ومنْ ذلكَ الكُفْرُ، ذَكَرُوا منْ أَسْبَابه البدْعَةَ.

وقَالُوا:(إنَّ البدْعَةَ لاَ تَزَالُ في القَلْبِ يُظْلِمُ منها شيئًا فشيئًا حَتَّى يَصلَ إلَى الكُفْرِ) واسْتَدَلُّوا بقَوْلِه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ: «**كُلُّ بدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وكُلُّ ضَلاَلَةٍ في النَّارِ**».

(23) **التَّاسعَةُ: (مَعْرِفَةُ الشَّيْطَانِ بمَا تَؤُولُ إليه البِدْعَةُ ولوْ حَسُنَ قَصْدُ الفَاعلِ)** لأنَّ الشَّيْطانَ هوَ الذي سَوَّلَ لهَؤُلاَءِ المُشْركينَ أنْ يُصَوِّرُوا هذه التَّماثيلَ والتَّصَاويرَ؛ لأَنَّهُ يَعْرِفُ أنَّ هذه البدْعَةَ تَؤُولُ إلى الشِّرْك.

وقولُهُ: **(ولَوْ حَسُنَ قَصْدُ الفَاعلِ)** أيْ: أنَّ البدْعَةَ شرٌّ ولوْ حَسُنَ قَصْدُ فاعلهَا، ويَأْثَمُ إنْ كَانَ عَالمًا أنَّها بدْعَةٌ ولوْ حَسُنَ قَصْدُهُ؛ لأَنَّهُ أَقْدَمَ عَلَى المَعْصيَة، كَمَنْ يُجيزُ الكَذبَ والغشَّ ويدَّعي أنَّهُ مَصْلَحَةٌ، أمَّا لوْ كانَ جَاهلاً فإنَّهُ لاَ يَأْثَمُ؛ لأَنَّ جَميعَ المَعَاصي لاَ يَأْثَمُ بهَا إلاَّ مَعَ العلْمِ، وَقَدْ يُثابُ عَلَى حُسْنِ قَصْده، وقَدْ نَبَّهَ عَلَى ذلكَ شَيْخُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



الإِسْلَامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ في كِتَابِهِ (اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ): (فَيُثَابُ عَلَى نِيَّتِهِ دونَ عَمَلِهِ، فعَمَلُهُ هذا غَيْرُ صَالِحٍ ولاَ مَقْبُولٍ عِنْدَ اللهِ ولاَ مَرْضِيٍّ لكنْ لِحُسْنِ نِيَّتِهِ مَعَ الجَهْلِ يكُونُ لَهُ أَجْرٌ، ولِهَذَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ للرَّجُلِ الذي صَلَّى وأَعَادَ الوُضُوءَ بَعْدَمَا وَجَدَ المَاءَ وصَلَّى ثَانِيَةً: «لَكَ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ» لِحُسْنِ قَصْدِهِ؛ ولأنَّ عَمَلَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ في الأَصْلِ، لكنْ لوْ أَرَادَ أَحَدٌ أنْ يَعْمَلَ العَمَلَ مَرَّتَيْنِ - مَعَ عِلْمِهِ أنَّهُ غَيْرُ مَشْرُوعٍ - لَمْ يكنْ لهُ أَجْرٌ؛ لأَنَّ عَمَلَهُ غيرُ مشروعٍ لكونِهِ خِلاَفَ السُّنَّةِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ للذي لَمْ يُعِدْ: «أَصَبْتَ السُّنَّةَ»).

(24) **العَاشِرَةُ: (مَعْرِفَةُ القَاعِدَةِ الكُلِّيَّةِ وهيَ النَّهْيُ عَنِ الغُلُوِّ ومَعْرِفَةُ ما يَؤُولُ إليه)** هذا ما حَذَّرَ منهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ؛ لأَنَّ الغُلُوَّ مُجَاوَزَةُ الحَدِّ، وهُوَ كَمَا يكونُ في العِبَادَاتِ يكونُ في غيرِها.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾.

- وقَالَ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ وقَدْ سَبَقَ بيانُ ذلكَ.

(25) **الحَادِيَةَ عشرة: (مَضَرَّةُ العُكُوفِ عَلَى القَبْرِ مِنْ أَجْلِ عَمَلٍ صَالِحٍ)** المَضَرَّةُ الحَاصِلَةُ: هيَ أَنَّها تُوصِلُ إلى عِبَادَتِهِم.

(26) **الثَّانِيَةَ عشرة: (مَعْرِفَةُ النَّهْيِ عَنِ التَّمَاثِيلِ والحِكْمَةِ في إِزَالَتِها)** التماثيلُ: هِيَ الصُّوَرُ عَلَى مثالِ رَجُلٍ، أوْ حَيَوَانٍ، أوْ حَجَرٍ، والغَالِبُ أنَّها تُطْلَقُ عَلَى مَا صُنِعَ لِيُعْبَدَ مِنْ دونِ اللهِ، والحِكْمَةُ في إِزَالَتِها سَدُّ ذَرَائِعِ الشِّرْكِ.

(27) **الثَّالثةَ عشرة: (مَعْرِفَةُ عِظَمِ شأنِ هذه القِصَّةِ)** أيْ: قِصَّةِ هؤلاءِ الذينَ غَلَوْا في الصَّالِحينَ وغَيْرِ الصَّالِحينَ لكن اعْتَقَدُوا فيهم الصَّلاَحَ، حَتَّى تَدَرَّجَ بِهِم الأمرُ إلى عِبَادَتِهِم مِنْ دونِ اللهِ، فَتَجِبُ مَعْرِفَةُ هذه القِصَّةِ، وأنَّ أَمْرَ الغُلُوِّ عَظِيمٌ، ونَتَائِجَهُ وخيمَةٌ، فالحَاجَةُ شديدةٌ إلى ذلكَ، والغَفْلَةُ عنها كثيرةٌ، والنَّاسُ لوْ تَدَبَّرْتَ أَحْوالَهم، وسَبَرْتَ قُلُوبَهم وجَدْتَ أَنَّهم في غَفْلَةٍ عَنْ هذا الأَمْرِ، وهذا مَوْجُودٌ في البِلاَدِ الإِسْلاَمِيَّةِ.

(28) **الرابعة عشرة: (وهِيَ أَعْجَبُ العَجَبِ: قِرَاءَتُهم إِيَّاهَا في كُتُبِ التفسيرِ والحديثِ)**

قولُهُ: **(وأعْجَبُ)** أيْ: أكثرُ عجبًا وأشدُّ.

والعَجَبُ نوعان:

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

الأوَّلُ: بمعنى الاستحسان، وهوَ مَا إذَا تَعلَّقَ بمَحْمُودٍ كَقَوْلِ عَائِشَةَ في الحَديثِ: (كَانَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ يُعْجبُهُ التَّيَمُّنُ في تَنَعُّله وتَرَجُّله وطُهوره، وفي شَأْنه كلّه).

الثَّاني: بمَعْنَى الإنْكَار، وذلكَ فيمَا إذَا تَعلَّقَ بمذْمُومٍ، قَالَ تَعَالَى: { وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ } وكَلاَمُ المُؤَلِّف هنا منْ باب الإنْكَار.

وكَلاَمُ المُؤَلِّف هنا عَمَّا كَانَ في زَمَنه حَيْثُ غَفَلُوا عَنْ هذه القصَّة مَعَ قراءَتهم لَهَا في كُتُب التَّفْسير والحَديث.

قولُهُ: (**فاعْتَقدُوا أنَّ مَا نَهَى اللهُ وَرَسُولُهُ عنه هوَ الكُفرُ المُبيحُ للدَّم والمَال**) أيْ: مَن اعْتَقدَ أنَّ الشِّرْكَ والكُفْرَ منْ أَفْضَل العبَادَات وأنَّهُ مُقرِّبٌ إلى الله فهَذَا كُفْرٌ مُبيحٌ لدَمه ومَاله، هَذَا مَا أَرَادَ المُؤَلِّفُ، وإنْ كَانَ لاَ يُسْعفُهُ ظَاهرُ كَلاَمه، ثُمَّ بَدَا لي مَا لَعَلَّهُ المرادُ: أنَّ هؤلاءِ الغَالينَ اعْتَقدُوا أنَّ المَنْهيَّ عنه هوَ الكُفْرُ المُبيحُ للدَّمِ والمَال، وأمَّا مَا دونَهُ من الغُلُوِّ فلاَ نَهْيَ فيه، واللهُ أعْلَمُ.

(29) **الخامسة عشرة:** (**التَّصْريحُ بأنَّهم لَمْ يُريدُوا إلاَّ الشَّفَاعَةَ**) أيْ: مَا أَرادُوا إلاَّ الشَّفَاعَةَ ومَعَ ذلكَ وقَعُوا في الشِّرْك.

(30) **السادسة عشرة:** (**ظَنُّهم أنَّ العلماءَ الذينَ صَوَّرُوا الصُّوَرَ أَرَادُوا ذلكَ**) أيْ: أَرَادُوا أنْ تَشفَعَ لَهُم، بَلْ ظَنُّوا أنَّها تُنَشِّطُهم عَلَى العبَادَة، وهذا ظَنٌّ فَاسدٌ كَمَا سَبَقَ.

(31) **السابعة عشرة:** (**البيانُ العَظيمُ في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ: «لاَ تُطْرُوني..» الحديثَ**) و مَعْنَى **الإطْرَاء:** الغُلُوُّ في المَدْح، والمُبَالَغةُ فيه، وهذا الذي نَهَى عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ وَقَعَ فيه بَعْضُ هذه الأُمَّة، بَلْ أَشَدَّ حَتَّى جعَلُوا النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ المَرْجعَ في كُلِّ شَيْءٍ، وهذا أَعْظَمُ منْ قَوْل النَّصَارَى: المَسيحُ ابنُ الله وثَالثُ ثَلاَثَة.

ومعنى: (بَلَّغَ) أيْ: أَوْصَلَ وبَيَّنَ.

(32) **الثامنة عشرة:** (**نَصيحَتُهُ إيَّانَا بهلاَك المُتَنطِّعينَ**) وذلكَ بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**» فَلَمْ يُردْ مُجرَّدَ الخَبَر، ولكن التَّحْذيرَ من التَّنطُّع.

(33) **التاسعة عشرة:** (**التَّصْريحُ بأنَّها لَمْ تُعْبَدْ حَتَّى نُسيَ العلْمُ**) أيْ: لَمْ تُعبَدْ هذه التماثيلُ إلاَّ بعدَ أنْ

المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

نُسيَ العِلْمُ واضْمَحَلَّ، ففيهِ دَليلٌ عَلَى مَعْرِفَة قَدْرِ وُجُودِه -أي: العِلْمِ- وأنَّ وُجُودَهُ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ للأُمَّة؛ لأَنَّهُ إذا فُقِدَ العِلْمُ حَلَّ الجَهْلُ مَحَلَّهُ، وإذا حَلَّ الجَهْلُ فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حَالِ النَّاسِ فَسَوْفَ لاَ يَعْرِفُونَ كيفَ يَعْبُدُونَ اللهَ، ولاَ كيفَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْه.

(34) **العشرونَ:** (**أنَّ سَبَبَ فَقْدِ العِلْمِ موتُ العُلَمَاءِ**) فهذا مِنْ أَكْبَرِ الأسْبابِ لفَقْدِ العِلْمِ، فإذا مَاتَ العُلَمَاءُ لَمْ يَبْقَ إلاَّ جُهَّالُ الخَلْقِ يُفْتُونَ بغيرِ عِلْمٍ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٢٠

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الحادي والعشرون

(**1**) قولُهُ: (**التَّغْليظُ**) التَّشْديدُ.

قولُهُ: (**مَنْ عَبَدَ اللهَ عندَ قبرِ رجلٍ صالحٍ**) أي: عَمِلَ عملاً تَعَبَّدَ للهِ به من قراءةٍ أو صلاةٍ أو صدقةٍ أو غيرِ ذلك.

قولُه: (**فكيفَ إذا عَبَدَه**)؟ أيْ: يكونُ أَشَدَّ وأَعْظَمَ؛ وذلكَ لأنَّ المَقابرَ والقبورَ للصَّالحين، أو مَنْ دونَهم مِنَ المسلمينَ أهلُها بحاجة إلى الدعاءِ، فهم يُزارُون لِيُنْفَعوا، لا لِيُنْتَفَعَ بهم، إلاَّ باتِّباعِ السُّنَّةِ في زيارةِ المَقابرِ، والثَّوابِ الحاصلِ بذلكَ، لكنْ هذا ليس انْتفاعًا بأشخاصِهم، بل انْتفاعٌ بعملِ الإنسانِ نفسِه بما أَتَى بِه مِنَ السُّنَّةِ.

فالزِّيارةُ التي يُقْصَدُ منها الانْتفاعُ بالأمواتِ زيارةٌ بِدْعيَّةٌ.

والزِّيارةُ الَّتي يُقْصَدُ بها نَفْعُ الأمواتِ، والاعْتبارُ بحالِهم زيارةٌ شرعيَّةٌ.

(**2**) قولُهُ: (**في** (الصَّحيحِ)»أي: (الصَّحيحين) وقد سَبَقَ الكلامُ على مثلِ هذه العِبارةِ، في بابِ تَفْسيرِ التَّوحيدِ، وشَهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ.

(**3**) قولُهُ: (**أمُّ سَلَمَةَ**) كانَتْ مِمَّنْ هاجَرَ مع زَوْجِها إلى أَرْضِ الحَبَشَةِ، ولما تُوُفِّيَ زوجُها أبو سَلَمةَ تَزَوَّجَها النَّبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- وأَخْبَرَتْه بما رَأَتْ وهو في مَرضِ مَوْتِه، كما في (**الصحيحِ**).

قولُها: (**من الصُّوَرِ**) الظاهرُ أنَّ هذه الصُّورَ صورٌ مُجَسَّمةٌ، وتَماثيلُ مَنْصُوبةٌ.

(**4**) قولُهُ: «**أُولئكَ**» المُشارُ إليهم نَصارَى الحَبَشَةِ، ويُحْتَمَلُ أن يُرادَ مَن فَعَلُوا هذه الأفعالَ أيًّا كانوا.

وقولُهُ: «**أُولئكِ**» يَجوزُ في الكافِ الكَسْرُ إذا كانَ الخِطابُ لأمِّ سَلَمةَ، والفَتْحُ إذا كانَ الخِطابُ باعْتبارِ الجِنْسِ.

وقد ذَكَرَ العلماءُ أنَّ في كافِ الخِطابِ المُتَّصِلِ باسمِ الإشارةِ ثلاثةَ أوْجُهٍ:

الوجهُ الأولُ: أنْ يَكونَ مُطابقًا للمُخاطَبِ، المُفْرَدُ للمفردِ، والمُثَنَّى للمُثَنَّى، الجَمْعُ للجَمْعِ، مُذَكَّرًا كان أم مُؤَنَّثا.

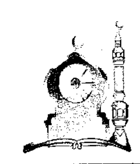
الوجهُ الثاني: الفتحُ مُطْلَقًا.

الوجهُ الثالثُ: الكَسْرُ للمُؤَنَّثِ مُطْلَقًا، والفتحُ للمذكَّرِ مُطْلَقًا.

وأَشْهَرُها: أنْ يَكونَ مُطابقًا للمُخاطَبِ، ثُمَّ الفتحُ مُطْلَقًا، ثُمَّ الفتحُ للمُذَكَّرِ، والكسرُ للمُؤَنَّثِ.

قولُهُ: «**الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أوِ العَبْدُ الصَّالِحُ**» (أو) شَكٌّ من الرَّاوي.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



(5) قولُهُ: «بَنوا عَلَى قَبْرِهِ» أيْ: قَبْرِ ذلكَ الرَّجلِ الصالحِ.

قولُه: «وَصَوَّروا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ» أيْ: التي رَأَتْ، والأَقْرَبُ: أنَّها صورةُ ذلكَ الرَّجلِ الصَّالحِ، وربَّما أنَّهم يُضيفُون إلى صورتِهِ صورةَ بعضِ الصَّالحين، وربَّما تَكونُ الصُّوَرُ على أحجامٍ مُختَلفة، فتَجتَمِعُ منها صُوَرٌ كثيرةٌ.

(6) قولُهُ: «أُولَئِكَ شِرارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ» لأنَّ عَمَلَهم هذا وَسيلةٌ إلى الكفرِ والشِّركِ، وهذا أعظمُ الظُّلمِ وأَشَدُّه، فما كانَ وسيلةً إليه فإنَّ صاحبَه جديرٌ بأنْ يكونَ مِنْ شرارِ الخَلْقِ عندَ اللهِ -سبحانَه وتعالى-.

قال ابن القيم الجوزيّة في (إغاثة اللهفان) (190/1): (فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل؛ وهما الفتنتان التي أشار إليهما الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها: مارية.

فذكرت له ما رأت فيها من الصور فقال صلى الله عليه وسلم: (أولئك إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله تعالى» أخرجه البخاري وأحمد. فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور، وهذا كان سبب عبادة اللات) .

(7) قولُهُ: (ولَهُما عَنْها) الضميرُ يَعودُ على البُخاريِّ ومُسْلمٍ، وإنْ لم يَسْبِقْ لهما ذِكْرٌ، لكنَّه لَمَّا كانَ ذلكَ مُصْطَلَحًا مَعْروفًا صَحَّ أنْ يَعودَ الضميرُ عليهما، وهما لم يُذْكَرا، اعْتِمادًا على المعروفِ المَعْهودِ.

وقولُه: (عَنْها) أيْ: عَنْ عائشةَ.

(8) قالَتْ: (لما نُزِلَ برسولِ اللهِ) أي: نَزَلَ به مَلَكُ الموتِ لقَبْضِ رُوحِه.

قولُهُ: (طَفِقَ) مِنْ أفعالِ الشُّروعِ، ، واسْمُها مُسْتَتِرٌ، وجملةُ (يَطْرَحُ) خبرُها.

قولُهُ: (خَميصةً) هي كِساءٌ مُربَّعٌ، له أعلامٌ كانَ يَطْرَحُهُ النبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- على وجهِه.

(9) قولُهُ: (فإذا اغْتَمَّ بِها) أي: أَصابَهُ الغَمُّ بسببِها، وقد احْتُضِرَ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-.

(10) قولُهُ: (وهو كذلكَ) أيْ: وهو في هذهِ الحالِ عندَ الاحْتِضارِ.

(11) قولُهُ: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليهودِ والنَّصارَى، اتَّخَذوا قُبُورَ أَنبيائِهِم مَسَاجِدَ» يَقولُ هذا في سِياقِ الموتِ.

و«لعنةُ اللهِ» أيْ: طَرْدُه وإبْعادُه، وهذه الجملةُ يُحْتَمَلُ أنَّه يُرادُ بها ظاهرُ اللَّفظِ، أي: أنَّ النبيَّ -صلَّى اللهُ عليه

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٢١٢ - ص.ب: ٢١١٤٢٦
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وسَلَّمَ- يُخْبِرُ بأنَّ اللهَ لَعَنَهم.

ويُحْتَمَلُ أنْ يُرادَ بها الدُّعاءُ فَتَكونَ خبريَّةً لفظًا، إنْشائيَّةً مَعْنًى، والمعنى على هذا الاحتِمالِ أنَّ النبيَّ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- دَعا عَلَيْهِم، وهُوَ في سِياقِ الموتِ بِسببِ هذا الفعلِ.

قولُهُ: «**اتَّخَذوا قُبورَ أَنْبيائِهم مَسَاجِدَ**» الجملةُ هذه تعليلٌ لقولِهِ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليهودِ والنَّصارَى**» كأنَّ قائلاً يَقولُ: لماذا لَعَنَهم النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ؟

فكان الجوابُ: أنَّهم اتَّخَذُوا قبورَ أنبيائِهم مَساجِدَ، أي: أَمْكِنةً للسُّجودِ، سَواءٌ بَنَوْا مَساجِدَ أم لا، يُصَلُّون ويَعْبُدون اللهَ تعالى فيها، مع أنَّها مَبْنيَّةٌ على القبورِ.

(**12**) قولُهُ: (**يُحَذِّرُ ما صَنَعوا**) أي: أنَّه -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- قالَ ذلكَ في سِياقِ الموتِ تَحْذيرًا لأُمَّتِه مِمَّا صَنَعَ هؤلاءِ؛ لأنه عَلِمَ أنَّه سَيَموتُ، وأنَّه ربَّما يَحْصُلُ هذا ولو في المُسْتَقْبَلِ البعيدِ.

(**13**) قولُهُ: (**ولولا ذلك أُبْرِزَ قَبْرُهُ**) أُبْرِزَ، أي: أُخْرِجَ مِنْ بيتِه؛ لأنَّ البُروزَ مَعْناه الظهورُ، أيْ: لولا التَّحْذيرُ وخَوْفُه أنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا لأُخْرِجَ ودُفِنَ في البَقيعِ مَثَلاً، لكنَّه في بيتِه أَصْوَنُ له، وأَبْعَدُ عَنِ اتِّخاذِه مَسْجِدًا، فلهذا لم يُبْرَزْ قبرُه، وهذا أحدُ الأسبابِ الَّتي أَوْجَبَتْ أن لا يُبْرَزَ مَكانُ قَبْرِه -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-.

ومِنْ أَسْبابِ ذلكَ: إخْبارُه -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-، أنه ما قُبِضَ نبيٌّ إلا دُفِنَ حيث قُبِضَ. ولا مانِعَ أنْ يَكونَ للحُكْمِ الواحدِ سَبَبان فأَكْثَرُ، كما أنَّ السَّببَ الواحدَ قد يَتَرَتَّبُ عليه حُكْمانِ، كغُروبِ الشَّمسِ يَتَرَتَّبُ عليه جَوازُ إفطارِ الصَّائمِ، وصَلاةُ المَغْرِبِ.

(**14**) قولُهُ: (**غَيْرَ أنه خُشِيَ أن يُتَّخَذَ مَسْجِدًا**) خُشِيَ فيها رِوايَتان: خُشِيَ، وخَشِيَ.

فعلى رِوايةِ (**خُشِيَ**) يكونُ الذين وقَعَتْ منهم الخَشْيَةُ الصَّحابةَ -رَضِيَ اللهُ عنهم-.

وعلى رِوايةِ (**خَشِيَ**) يكونُ الذي وَقَعَت منه الخَشْيةُ النَّبيَّ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-.

والحَقيقةُ: أنَّ الأَمْرَ كلَّه حاصلٌ، فالرَّسولُ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- أَخْبَرَ بأنَّه ما قُبِضَ نبيٌّ إلا دُفِنَ حيث قُبِضَ، ولَعَنَ اليَهودَ والنَّصارَى؛ لأنَّهم اتَّخَذُوا قبورَ أنبيائِهم مَساجِدَ خَوْفًا من اتِّخاذِ قبرِه مسجدًا، والصَّحابةُ، -رَضِيَ اللهُ عنهم-، اتَّفَقُوا على أنْ يُدْفَنَ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- في بيتِه بَعْدَ تَشاوُرِهم؛ لأنَّهم خَشُوا ذلكَ.

ويَجوزُ أنْ يَكونَ بعضُهم أَشارَ بأنْ يُدْفَنَ في بيتِه، وليسَ في ذِهْنِه إلاَّ هذه الخَشْيةُ، وبعضُهم أَشارَ أنْ يُدْفَنَ في بيتِه، وعندَه عِلمٌ بأنَّه -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- قال: «**ما قُبِضَ نبيٌّ إلا دُفِنَ حيث قُبِضَ**» وخَوْفًا من اتِّخاذِه مَسْجِدًا.

http://www.aragattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١١١١ - ص.ب: ١١٤٤٦
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وفي هذا الحديثِ والحديثِ السَّابقِ: التَّحذيرُ مِنَ اتِّخاذِ قبورِ الأنبياءِ مساجدَ، وهُم أَفْضَلُ الصَّالحين؛ لأنَّ مَرْتَبةَ النَّبيِّين هي المَرْتبةُ الأُولَى مِن المَراتبِ الأَرْبعِ الَّتي قالَ اللهُ -تعالى- عنها: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾.

اعتراضٌ وجوابُه:

إذا قالَ قائلٌ: إن قبر الرَّسولِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- الآنَ في وَسَطِ المَسْجِدِ فما هو الجوابُ؟

قلنا: الجوابُ على ذلِكَ مِنْ وجوهٍ:

الوجهُ الأوَّلُ: أنَّ المسجدَ لم يُبْنَ على القبرِ، بَلْ بُنِيَ المسجدُ في حَياةِ النَّبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ-.

الوجهُ الثاني: أنَّ النَّبيَّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- لم يُدْفَنْ في المسجدِ حتَّى يُقالَ: إنَّ هذا مِنْ دَفْنِ الصَّالحين في المسجدِ، وإنَّه حَلالٌ، بل دُفِنَ في بيتِه.

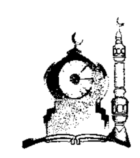
الوجهُ الثالثُ: أنَّ إِدْخالَ بُيوتِ الرَّسولِ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- ومنها بيتُ عائشةَ مع المسجدِ لَيسَ باتِّفاقٍ مِنَ الصَّحابةِ، بَلْ بعدَ أن انْقَرَضَ أَكْثَرُهم ولم يَبْقَ منهم إلاَّ القَليلُ وذلك عامَ (94هـ) تَقْرِيبًا، فليسَ مِمَّا أَجازَهُ الصَّحابةُ، أو أَجْمَعُوا عليه مَعَ أنَّ بعضَهم خالَفَ في ذلِكَ، ومِمَّن خالَفَ -أيضًا- **سَعيدُ بنُ المُسَيِّبِ**، مِن التَّابعين، فلم يَرْضَ بهذا العملِ.

الوجهُ الرابعُ: أنَّ القبرَ لَيسَ في المسجدِ حتَّى بعدَ إدخالِه؛ لأنَّه في حُجْرةٍ مُسْتَقِلَّةٍ عَنِ المسجدِ، فليسَ المسجدُ مَبْنيًّا عليه، ولهذا جُعِلَ هذا المكانُ مَحفوظًا ومَحُوطًا بثلاثةِ جُدْرانٍ، وجُعِلَ الجِدارُ في زَاوِيةٍ مُنْحَرِفةٍ عَنِ القِبْلةِ، أيْ: مُثَلَّثٍ، والركنُ في الزَّاويةِ الشَّماليةِ بحيثُ لا يَسْتَقْبِلُه الإنسانُ إذا صَلَّى؛ لأنَّه مُنْحَرِفٌ.

فبهذا كلِّه يَزُولُ الإشكالُ الَّذي يَحْتَجُّ به أهلُ القبورِ علينا.

ويَقولون: هذا مُنْذُ عَهْدِ التَّابعين إلى اليومِ، والمسلمون قَدْ أَقَرُّوه، ولم يُنْكِرُوه.

فنقولُ: إنَّ الإنْكارَ قَدْ وُجِدَ حتَّى في زَمَنِ التَّابِعين، ولَيْسَ مَحَلَّ إجْماعٍ، وعلى فَرْضِ أنَّه إجْماعٌ فقد تَبَيَّنَ الفَرْقُ مِن الوُجوهِ الأربعةِ الَّتي ذَكَرْناها.





تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الثاني والعشرون

(1) قولُهُ: (**بخَمْسٍ**) أي: خمسِ لَيالٍ، لكنَّ العربَ تُطْلِقُها على الأيَّامِ واللَّيالي.

قولُه: «**أَبْرَأُ**» البَرَاءةُ هي: التَّخَلِّي، أيْ: أَتَخَلَّى أنْ يكونَ لي منكم خَليلٌ.

قولُه: «**خَليلٌ**» هو الذي يَبْلُغُ في الحبِّ غايتَه؛ لأنَّ حُبَّه يكونُ قد تَخَلَّلَ الجسمَ كلَّه، كما قالَ الشَّاعرُ يُخاطِبُ مَحْبوبتَه:

قد تَخَلَّلتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ منّي ... وبذا سُمّيَ الخليلُ خليلاً

والخُلَّةُ أَعْظَمُ أنواعِ المحبَّةِ وأَعْلاها، ولم يُثْبِتْها اللهُ -عزَّ وجلَّ- فيما نَعْلَمُ إلا لاثنين مِنْ خَلْقِه، وهما إبراهيمُ في قولِه تعالى: ﴿**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾.

ومحمدٌ لقولِه -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-: «**إنَّ اللهَ قد اتَّخَذَني خَليلاً، كَمَا اتَّخَذَ إبراهيمَ خليلاً**».

(2) قولُهُ: «**فَإِنَّ اللهَ قَد اتَّخَذَني خَليلاً، كَمَا اتَّخَذَ إبراهيمَ خليلاً**» هذا تَعْليلٌ لقولِه: «**إنِّي أَبْرَأُ إلى اللهِ أَنْ يَكُونَ لي مِنْكُمْ خَليلٌ**» فالنَّبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- لَيْسَ في قَلْبِه خُلَّةٌ لأحدٍ إلاَّ للهِ -عزَّ وجلَّ-.

(3) قولُهُ: «**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتي خَليلاً لاتَّخَذْتُ أَبا بَكْرٍ خَليلاً**» وهذا نصٌّ صريحٌ على أنَّ أبا بَكْرٍ أَفْضَلُ مِن عَليٍّ -رَضِيَ اللهُ عنهما-، وفي هذا ردٌّ على الرَّافضةِ الذين يَزْعُمُون أنَّ عَليًّا أَفْضَلُ مِنْ أبي بَكْرٍ.

وقولُهُ: «**لو**» حرفُ امْتِناعٍ لامْتِناعٍ، فيَمْتَنِعُ الجوابُ لامتناعِ الشَّرطِ، وعلى هذا امْتَنَعَ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- مِنَ اتِّخاذِ أبي بَكْرٍ خليلاً؛ لأنَّه يَمْتَنِعُ أنْ يَتَّخِذَ مِنْ أُمَّتِه خليلاً.

(4) قولُهُ: «**ألا وإنَّ مَن كان قَبْلَكم**» «ألا» للتَّنْبيهِ، وهذه الجملةُ مِنَ الحديثِ الأوَّلِ، لكنَّه ابْتَدَأَها بالتَّنبيهِ لأهميَّةِ المَقامِ.

قولُهُ: «**ألا فَلا تَتَّخذوا**» هذا تنبيهٌ آخَرُ للنَّهْيِ عَنِ اتِّخاذِ القبورِ مَساجدَ، وهذا عامٌّ يَشْمَلُ قبرَه وقبرَ غيْرِه.

قولُه: «**فإِنِّي أَنْهاكُمْ عَنْ ذلكَ**» هذا نَهْيٌ باللفظِ دونَ الأداةِ تأكيدًا لهذا النهيِ؛ لأهميَّةِ المَقامِ.

(5) قولُهُ: (**فقد نَهَى عنه في آخرِ حَياتِه..**) هذا مِن كَلامِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تَيْميَّةَ.

وقولُهُ: (**فقد نَهَى عنه في آخرِ حَياتِه**) الضَّميرُ يَعُودُ إلى النَّبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-، والمَنْهيُّ عنه هو اتِّخاذُ القبورِ مَساجدَ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

(6) قولُه: (ثم إنَّه لَعَنَ وهو في السِّياقِ مَن فَعَلَهُ) فالنَّبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- وهو عِنْدَ فِراقِ الدُّنيا، لَعَنَ مَن اتَّخَذَ القبورَ مَساجِدَ.

(7) قولُهُ: (والصَّلاةُ عِنْدَها من ذلكَ، وإن لم يُبْنَ مَسْجِدٌ) عندَها، أيْ: القبور، وقولُهُ: (مِنْ ذلكَ) أي: من اتِّخاذِها مَساجِدَ، وعلى هذا فلا تَجُوزُ الصَّلاةُ عندَ القبورِ، ولهذا نَهَى النَّبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- كما في (صحيحِ مُسْلِمٍ) مِنْ حديثِ أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيِّ أنْ يُصَلَّى إلى القبورِ فقالَ: «لا تُصَلُّوا إلى القبورِ».

(8) قولُهُ: (وهو معنى قولِها: خَشِيَ أن يُتَّخَذَ مَسجدًا) الضَّميرُ في (قولِها) يَرْجِعُ إلى عائشةَ،رَضِيَ اللهُ عنها.

(9) قولُهُ: (فإنَّ الصَّحابةَ لم يَكُونوا لِيَبْنُوا حولَ قبرِهِ مَسجدًا) هذا من كلامِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ تعالى- قد يُقالُ: (خَشِيَ أن يُتَّخَذَ مَسجدًا) معناه: خَشِيَ أنْ يُبْنَى عليه مَسجدٌ، لكنْ يُبْعِدُه أنَّ الصَّحابةَ لا يُمْكِنُ أنْ يَبْنُوا حَوْلَ قبرِه مَسجدًا؛ لأنَّ مَسجدَه مُجاوِرٌ لبيتِه، فكيفَ يَبْنُون مَسجدًا آخَرَ؟!

هذا شيءٌ مُسْتَحِيلٌ بِحَسَبِ العادةِ، فيَكونُ معنى قولِها: (خَشِيَ أن يُتَّخَذَ مَسْجِدًا) أي: مَكانًا يُصَلَّى فيه وإنْ لم يُبْنَ المسجدُ.

ولا رَيْبَ أنَّ أصلَ تحريمِ بناءِ المساجدِ على القبورِ؛ أنَّ المساجدَ مَكانُ الصَّلاةِ، والناسُ سيَأْتُون إليها للصَّلاةِ فيها، فإذا صَلَّى الناسُ في مسجدٍ بُنِيَ على قبرٍ فكَأنَّهم صَلَّوا عندَ القبرِ، والمَحْذورُ الذي يُوْجَدُ في بناءِ المساجدِ على القبورِ يُوجَدُ فيما إذا اتُّخِذَ هذا المَكانُ للصَّلاةِ، وإنْ لم يُبْنَ مسجدٌ.

فتَبَيَّنَ بهذا أنَّ اتِّخاذَ القبورِ مَساجِدَ له مَعْنَيان:

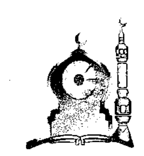
الأوَّلُ: أن تُبْنَى عليها مَساجدُ.

الثاني: أن تُتَّخَذَ مَكانًا للصَّلاةِ عندَها وإنْ لم يُبْنَ المسجدُ، فإذا كانَ هؤلاءِ القومُ مَثَلاً يَذْهَبون إلى هذا القبرِ، ويُصَلُّون عندَه ويَتَّخِذُونه مُصَلًّى، فإنَّ هذا بمعنى بناءِ المساجدِ عليها، وهو أيضًا من اتِّخاذِها مَساجدَ.

(10) قولُهُ: (وكلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَت الصَّلاةُ فيه فقد اتُّخِذَ مَسجدًا) وهذا يَشْهَدُ له العُرْفُ، فإنَّ النَّاسَ الَّذين لهم مَساجدُ في مَكانِ أعمالِهم؛ كالوزاراتِ والإداراتِ، لو سَأَلْتَ واحدًا منهم أينَ المَسجدُ؟

لأَشارَ إلى المكانِ الذي اتَّخذُوه مُصَلًّى يُصَلُّون فيه، مع أنَّه لم يُبْنَ، لكن لَمَّا كانَت الصَّلاةُ تُقصَدُ فيه صارَ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



يُسَمَّى مَسجدًا.

(11) قولُهُ: (بَلْ كلُّ موضعٍ يُصَلَّى..) فقولُهُ: (مَسجدًا) أي: مَكانًا للسُّجود، وهذا مَعْنًى ثالثٌ زائدٌ على المعنيين الأوَّلَيْنِ، وهو أنْ يُقالَ: كلُّ شيءٍ تُصَلِّي فيه فإنَّه مَسجدٌ ما دُمْتَ تُصَلِّي فيه، كما يُقالُ للسَّجادةِ التي تُصَلِّي عليها: مَسجدٌ أو مُصَلًّى، وإنْ كانَ الغالبُ عليها اسمَ مُصَلًّى.

والخلاصةُ:

أنَّهُ لا يَجوزُ بناءُ المساجدِ على القبورِ؛ لأنَّها وَسيلةٌ إلى الشِّرْك، وهو عبادةُ صاحبِ القبرِ.

ولا يَجوزُ أيضًا أنْ تُقْصَدَ القبورُ للصَّلاة عندَها، لأنَّ هذا من اتِّخاذها مَساجدَ؛ والعِلَّةَ من اتِّخاذها مساجدَ موجودةٌ في الصَّلاةِ عندَها، فلو فُرِضَ أنَّ رَجُلاً يَذْهَبُ إلى المَقْبَرة، ويُصَلِّي عندَ قبرِ وَلِيٍّ من الأَوْلياءِ على زَعْمه، قُلْنا: إنَّكَ اتَّخَذْتَ هذا القبرَ مَسْجدًا، وإنَّك مُسْتَحقٌّ لما استَحَقَّه اليهودُ والنَّصارَى مِنَ اللَّعْنة، وفي كلامِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تَيميَّةَ دليلٌ على صِحَّةِ تَسْمَيَةِ كلِّ شيءٍ يُصَلَّى فيه مسجدًا بالمعنى العامِّ.

(12) قولُه: (مَرْفوعًا) المرفوعُ: ما أُسْنِدَ إلى النَّبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-.

(13) قولُه: «إنَّ مِنْ شِرارِ النَّاسِ» مِنْ: للتَّبْعيضِ، وشِرار: جمعُ شرٍّ، مثلُ صِحاب جمعُ صَحْبٍ، والمعنى: أصحابُ الشَّرِّ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ الناسَ يَتَفاوَتون في الشَّرِّ، وأنَّ بعضَهم أَشَرُّ مِنْ بعضٍ.

قولُه: «مَنْ تُدْرِكُهُم السَّاعةُ» مَن: اسمٌ مَوْصولٌ؛ اسمُ إنَّ، والسَّاعةُ، أيْ: يومُ القيامة، وسُمِّيَتْ بذلكَ؛ لأنَّها داهيةٌ، وكلُّ شيءٍ داهيةٍ عَظِيمةٍ يُسَمَّى ساعةً، كَمَا يُقالُ: هذه ساعتُك. في الأمورِ الدَّاهيةِ الَّتي تُصيبُ الإنسانَ.

قولُه: «وَهُمْ أَحياءٌ» الجملةُ حالٌ من الهاءِ في «تُدْرِكُهُمْ».

وفي قولِهِ: «تُدْرِكُهُم السَّاعةُ وَهُمْ أَحياءٌ» إشْكالٌ، وهو أنَّه ثَبَتَ عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ قولُه: «لا تَزالُ طائفةٌ مِنْ أُمَّتي على الحقِّ ظاهرينَ لا يَضرُّهُمْ مَنْ خذَلَهُمْ حتَّى يأْتيَ أَمْرُ اللهِ».

وفي روايةٍ: «حتَّى تقومَ السَّاعَةُ».

فكيفَ نُوَفِّقُ بينَ الحديثين؟

لأنَّ ظاهرَ الحديثِ الذي سَاقَه المؤلِّفُ أنَّ كلَّ مَنْ تُدْرِكُهم السَّاعةُ، وهم أحياءٌ، فَهُمْ مِنْ شِرارِ الخَلْقِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

والجمعُ بينَهُما: أنْ يُقالَ: إنَّ المرادَ بقولِه: «حتَّى تقُومَ السَّاعةُ» أيْ: إلى قُرْبِ قيامِ السَّاعةِ، وليْسَ إلى قيامِها بالفعلِ؛ لأنَّها لا تَقُومُ إلا على شِرارِ الخلْقِ، فاللهُ يُرْسِلُ رِيحًا تَقْبِضُ نَفْسَ كلِّ مُؤْمِنٍ، ولا يَبْقَى إلا شِرارُ الخلْقِ، وعليهِم تَقُومُ السَّاعةُ.

(14) قولُهُ: «**الَّذينَ يَتَّخذُونَ القُبورَ مَساجِدَ**» فَهُم مِنَ شِرارِ الخَلْقِ، وإنْ لم يُشْرِكوا؛ لأنَّهم فَعَلوا وَسيلةً مِنْ وسائلِ الشِّرْكِ، والوَسائلُ لها أحكامُ المَقاصِدِ، وإنْ كانَتْ دونَ مَرْتبتِها، لكنَّها تُعْطَى حُكْمَها بالمعنى العامِّ، فإنْ كانَتْ وسيلةً لواجبٍ صارَتْ واجبةً، وإنْ كانَتْ وسيلةً لمُحَرَّمٍ فهي مُحَرَّمةٌ.

فشَرُّ النَّاسِ كما في هذا الحديثِ يَنْقَسِمون إلى صِنْفَيْنِ:

الأوَّلُ: الذين تُدْرِكُهم السَّاعةُ، وهم أحياءٌ.

الثاني: الذين يَتَّخذون القبورَ مَساجدَ.

وفي قولِهِ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-: «إنَّ مِنْ شِرارِ النَّاسِ» دليلٌ على أنَّ النَّاسَ يَتَفاوَتون في الشَّرِّ؛ لأنَّ بعضَهم أَشَدُّ مِنْ بعضٍ فيه، كما أنَّهم يَتَفاوَتون في الخيرِ أيضًا؛ لقولِهِ تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ واللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

وذلكَ مِنْ حيثُ الكَمِّيَّةُ: مثلَ مَنْ صَلَّى رَكْعَتينِ فَلَيْسَ كمَن صَلَّى أَرْبعًا.

ومن حيثُ الكيفيَّةُ: فمَنْ صَلَّى، وهو قانِتٌ خاشِعٌ حاضِرُ القلبِ، ليس كمَنْ صَلَّى وهو غافلٌ.

ومن حيثُ النوعيَّةُ: فالفرضُ أَفْضَلُ مِن النَّفْلِ، وجِنْسُ الصَّلاةِ أفضلُ مِنْ جِنسِ الصَّدَقةِ؛ لأنَّ الصَّلاةَ أفضلُ الأعمالِ البَدَنيَّةِ.

وهذا الذي تَدُلُّ عليه الأَدلَّةُ هو مَذْهَبُ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ، وهو التَّفاضُلُ في الأعمالِ، حتَّى في الإيمانِ الذي هو في القلبِ يَتَفاضَلُ النَّاسُ فيه، بَلْ إنَّ الإنسانَ يُحِسُّ في نفسِه أنَّه في بعضِ الأحيانِ يَجِدُ في قلبِه مِن الإيمانِ ما لا يَجِدُه في بعضِ الأحيانِ، فكَيْفَ بَيْنَ شخصٍ وشخصٍ؟

فهو يَتَفاضَلُ أكْثَرَ.

وخُلاصةُ البابِ:

أنَّه يَجبُ البُعْدُ عَن الشِّرْكِ ووَسائلِه، ويُغَلَّظُ على مَنْ عبدَ اللهَ عندَ قبرِ رجلٍ صالحٍ.

وكلامُ المؤلِّف -رَحِمَهُ اللهُ- في قولِه: (فيمَن عَبَدَ اللهَ) يَشْمَلُ الصَّلاةَ وغيرَها، والأحاديثُ التي ساقَها في الصَّلاةِ، لكنَّه-رَحِمَهُ اللهُ- كأنَّه قاسَ غيرَها عَلَيْها، فمَنْ زَعَمَ أنَّ الصَّدقةَ عندَ هذا القبرِ أفْضَلُ مِنْ غيرِه فهو شَبيهٌ بمَن اتَّخَذَه مَسجدًا؛ لأنَّه يَرَى أنَّ لهذه البُقْعةِ أو لِمَنْ فيها شأنًا يَفْضُلُ بِه على غيرِه، فالشَّيخُ عَمَّمَ، والدَّليلُ خاصٌّ.

فإنْ قيل: لا يُسْتَدَلُّ بالدَّليلِ الخاصِّ على العامِّ؟

أجيبُ: أنَّ الشَّيخَ أرادَ بذلكَ أنَّ العِلَّةَ هي تعظيمُ هذا المكانِ لكَوْنِه قَبْرًا، وهذا كما يُوجَدُ في الصَّلاةِ يُوجَدُ في غيرِها مِن العِباداتِ، فيكونُ التَّعْميمُ مِنْ بابِ القِياسِ، لا مِنْ بابِ شُمولِ النَّصِّ له لفظًا.

(15) فيه مسائلُ:

الأولى: ما ذكَرَ الرَّسولُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- فيمَنْ بَنَى مَسجدًا يَعْبُدُ اللهَ فيه عندَ قبرِ رجلٍ صالحٍ، ولو صَحَّتْ نيَّةُ الفاعلِ:

تُؤْخَذُ مِنْ لَعْنِ النَّبيِّ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- الذين اتَّخَذُوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ.

قولُهُ: **(ولو صَحَّت نيَّةُ الفاعلِ)** لأنَّ الحُكْمَ عُلِّقَ على مُجَرَّدِ صورتِه، فهذا العملُ لا يَحْتاجُ إلى نيَّةٍ؛ لأنَّه مُعلَّقٌ بمجرَّدِ الفعلِ.

فالنِّيَّةُ تُؤَثِّرُ في الأعمالِ الصَّالحةِ وتَصْحيحِها، وتُؤَثِّرُ في الأعمالِ التي لا يَقْدِرُ عليها فيُعْطَى أجْرَها، وما أَشْبَهَ ذلكَ، بخلافِ ما عُلِّقَ على فعلٍ مجرَّدٍ فلا حاجَةَ فيه إلى النِّيَّةِ، أيْ: ولو كانَ يَعْبُدُ اللهَ، ولو كانَ يُريدُ التَّقرُّبَ إلى اللهِ ببناءِ هذا المسجدِ اعتِبارًا بما يَؤُولُ إليه الأمرُ، وبالنَّتيجةِ السَّيِّئةِ التي تَتَرَتَّبُ على ذلك، وهذه النُّقْطةُ تَتَدَرَّجُ منها إلى نُقْطةٍ أُخْرَى، وهي التَّحذيرُ مِنْ مُشابَهةِ المُشرِكين، وإنْ لم يَقْصِد الإنسانُ المُشابَهةَ، وهذه قد تَخْفَى على بعضِ النَّاسِ حيثُ يَظُنُّ أنَّ التَّشبُّهَ إنَّما يَحْرُمُ إذا قُصِدَت المُشابَهةُ، والشَّرْعُ إنَّما عَلَّقَ الحُكْمَ بالتَّشبُّهِ، أيْ: بأنْ يُفْعَلَ ما يُشْبِهُ فعلَهم، سَواءٌ قُصِدَ أو لم يُقْصَدْ.

ولهذا قالَ العُلماءُ في مَسألةِ التَّشبُّه: (وإنْ لم يَنْوِ ذلكَ، فإن التَّشبيهَ يَحْصُلُ بمُطْلَقِ الصُّورةِ).

فإنْ قيل: قاعدةُ «إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ» هل تُعارِضُ ما ذَكَرْنا؟

الجوابُ: لا تُعارِضُه؛ لأنَّ ما عُلِّقَ بالعملِ ثَبَتَ له حُكْمُه، وإنْ لم يَنْوِ الفعلَ، كالأشياءِ المُحَرَّمةِ؛ كالظِّهارِ والزِّنا

وما أشْبَهَها.

(16) **الثانية:** النَّهْيُ عَنِ التَّماثِيلِ وغِلَظُ الأمرِ في ذلكَ:

تُؤْخَذُ مِنْ قولِهِ: «**وصَوَّرُوا فيه تلك الصُّورَ**» ولا سيَّما إذا كانَتْ هذه الصُّوَرُ مُعَظَّمةً عادةً؛ كالرُّؤَساءِ والزُّعَماءِ والأبِ والأخِ والعمِّ.

أو شَرْعًا: مثلَ: الأَوْلياءِ والصَّالحين والأنبياءِ، وما أَشْبَهَ ذلكَ.

(17) **الثالثة: العِبْرةُ في مُبالَغتِه** -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- في ذلكَ كَيْفَ بَيَّنَ لهم هذا أوَّلاً، ثُمَّ قَبْلَ مَوْتِه بخمسٍ قالَ ما قالَ، ثُمَّ لَمَّا كانَ في السِّياقِ لم يَكْتَفِ بما تَقَدَّمَ؟:

وهذا مما يَدُلُّ على حِرْصِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- على حِمايةِ جانبِ التَّوحيدِ؛ لأنَّه خُلاصةُ دَعوةِ الرُّسلِ؛ ولأنَّ التَّوحيدَ أَعْظَمُ الطَّاعاتِ، فالمعاصي، ولو كَبُرَتْ، أَهْوَنُ مِنَ الشِّرْكِ، حتَّى قالَ ابنُ مَسْعودٍ: (**لأَنْ أَحْلِفَ باللهِ كاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بغَيْرِه صَادِقًا**) لأنَّ الحَلِفَ بغيرِه نوعٌ من الشِّرْكِ، والحَلِفَ باللهِ كاذبًا مَعْصيةٌ، وهي أَهْوَنُ مِنَ الشِّرْكِ.

فالشِّرْكُ أَمْرُه عظيمٌ جدًّا، ونحن نُحَذِّرُ إخوانَنا المُسْلمينَ مِمَّا هم عليه الآنَ من الانْكِبابِ العظيمِ على الدُّنيا حتَّى غَفَلوا عمَّا خُلِقُوا له، واشْتَغَلُوا بما خُلِقَ لهم، فعامَّةُ النَّاسِ الآنَ تَجِدُهم مُشْتَغلين بالدُّنيا ليس في أفكارِهم إلا الدُّنيا، قائِمين وقاعِدين ونائِمين ومُسْتَيْقِظين، وهذا في الحقيقةِ نوعٌ مِنَ الشِّرْكِ؛ لأنَّه يُوجِبُ الغَفْلةَ عَنِ اللهِ -عزَّ وجلَّ-، ولهذا سَمَّى النبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- مَنْ فعلَ ذلك عبدًا لِمَا تَعَبَّدَ له، فَقَالَ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ**».

ولو أَقْبَلَ العبدُ على اللهِ بقلبِه وجَوارِحِه لَحَصَلَ ما قُدِّرَ له مِنَ الدُّنيا، فالدُّنيا وَسيلةٌ ولَيْسَتْ غايةً، وتَعِسَ مَنْ جَعَلَها غايةً، كيف تَجْعَلُها غايةً وأَنْتَ لا تَدْرِي مَقامَكَ فيها، وكيف تَجْعَلُها غايةً، وسُرورُها مَصْحُوبٌ بالأحزانِ؟

كما قالَ الشَّاعرُ:

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسَرُّ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

فالحاصلُ: أنَّ النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- بُعِثَ لتَحْقيقِ عبادة الله، ولهذا كانَ حريصًا على سَدِّ كلِّ الأبوابِ الَّتي تُؤَدِّي إلى الشِّرك، فالرسولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- حَذَّرَ منَ اتِّخاذِ القبورِ مساجدَ ثلاثَ مرَّاتٍ:

الأولى: في سائرِ حَياته.

والثانية: قَبْلَ موته بخمسٍ.

والثالثة: وهو في السِّياق.

(18) **الرابعة:** نَهْيُه عَنْ فعْله عندَ قبره قَبْلَ أنْ يُوجَدَ القبرُ: تُؤْخَذُ منْ قوله: «**أَلا فَلا تَتَّخذوا القُبورَ مَسَاجِدَ**» فإنَّ قبرَه داخلٌ في ذلكَ بلا شكٍّ، بَلْ أوَّلُ ما يَدْخُلُ فيه.

(19) **الخامسة:** أنَّه منْ سُنَنِ اليهودِ والنَّصارَى في قبورِ أنبيائهم: تُؤْخَذُ منْ قولِه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: «**اتَّخذوا قُبورَ أنبيائهم مَسَاجِدَ**» وبِئْسَ رجلٌ جَعَلَ إمامَه اليهودَ والنَّصارَى، وتَشَبَّهَ بهم في قَبيحِ أعمالِهم.

(20) **السادسة:** لَعْنُه إيَّاهُم على ذلكَ، تُؤْخَذُ منْ قولِه: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليهودِ والنَّصارَى**».

(21) **السابعة:** أنَّ مُرادَه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- تَحْذيرُه إيَّانا عَنْ قبرِه،

تُؤْخَذُ منْ قولِ عائشةَ: «**يُحَذِّرُ ما صَنَعوا**» أي: ما صنَعَه اليهودُ والنَّصارَى في قبورِ أنبيائِهم.

(22) **الثامنة:** العلَّةُ في عدمِ إبرازِ قبرِه: تُؤْخَذُ منْ قولِ عائشةَ: «**ولولا ذلكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أنَّه خَشِيَ أنْ يُتَّخَذَ مسجدًا**».

هناك علَّةٌ أخرى، وهي: إخبارُه بأنَّه ما منْ نبيٍّ يَموتُ إلا دُفِنَ حيثُ يَموتُ، ولا يَمْتَنِعُ أنْ يكونَ للحُكْمِ علَّتانِ، كما لا يَمْتَنِعُ أنْ يَكونَ للعلَّة حُكْمانِ.

(23) **التاسعة:** في معنى اتِّخاذِها مَسجدًا:

سَبَقَ أنْ ذكَرْنا أنَّ لها معنيين:

الأول: بناءُ المساجدِ عليها.

والثاني: اتِّخاذُها مَكانًا للصَّلاةِ تُقْصَدُ فيُصَلَّى عندَها، بَلْ إنَّ مَنْ صَلَّى عندَها و لم يَتَّخِذْها للصَّلاةِ فَقَد اتَّخَذَها مَسجدًا بالمعنى العامِّ.

(24) **العاشرةُ: أنَّه قَرَنَ بينَ مَن اتَّخذَها مَسْجدًا، وبينَ مَنْ تقومُ عَلَيْهِم السَّاعةُ، فذكَرَ الذَّريعةَ إلى الشِّرْكِ قَبْلَ وُقوعِهِ مع خاتمته:**

ومعنى هذا أنَّ الرَّسولَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- ذَكَرَ التَّحْذيرَ من الشِّرْك قَبْلَ أنْ يموتَ.

وقولُه: «**مَعَ خاتمته**» وهيَ: **أنَّ مَنْ تَقومُ عليهم شرارُ الخَلْق**، والذينَ تَقومُ عَلَيْهِم السَّاعةُ، وهُم أحياءٌ هؤلاءِ كُفَّارٌ، والذين يَتَّخِذُون القبورَ مَساجدَ هؤلاءِ فَعلوا أسبابَ الشِّرْك والكُفْر.

(25) **الحاديةَ عشرةَ: ذِكْرُه في خُطْبته قَبْلَ موته بخمسٍ الرَّدَّ على الطَّائفتين اللَّتين هما أَشَرُّ أهلِ البِدَعِ:**

قولُه:(**قبلَ موته بخمسٍ**) أي: خمسِ لَيالٍ، والعربُ يُعَبِّرُون عن الأيَّام باللَّيالي وبالعَكْس.

قولُه: (**أَشَرُّ أهلِ البِدَعِ**) يُقالُ: أَشَرُّ، ويُقالُ: شَرٌّ، بحذف الهَمْزة، وهو الأَكْثَرُ اسْتِعْمالاً.

وإنَّما تَكَلَّمَ **المؤلِّفُ** -رَحِمَهُ اللهُ- عَنْ حالِ الرَّافضة والجَهْمِيَّة، وحُكْمِهما قَبْلَ ذِكْرِ اسمِهما مِنْ أجلِ تَهْييجِ النَّفْسِ على معرفتِهما والاطِّلاعِ عَلَيْهِما؛ لأنَّ الإنسانَ إذا ذُكِرَ له الحُكْمُ والوَصْفُ قَبْلَ ذِكْرِ المَوْصُوف والمَحْكومِ عَلَيْه، صارَتْ نفسُه تَتَطَلَّعُ وتَتَشَوَّقُ إلى هذا، فلو قالَ مِنْ أوَّلِ الكلامِ: **الرَّدُّ على الرَّافضة والجَهْمِيَّة**، فلا يَكونُ للإنسانِ التَّشَوُّقُ مثلَما لو تَكَلَّمَ عن حالِهما وحُكْمِهما أوَّلاً.

وحالُهما: أنَّهما أَشَرُّ أهلِ البِدَعِ.

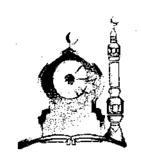
وحُكْمُهُما: أنَّ بعضَ أهلِ العِلْمِ أَخْرَجَهم من الثِّنْتَين والسَّبعينَ فِرْقةً.

والرَّافضةُ: اسمُ فاعلٍ مِنْ رَفَضَ الشَّيءَ إذا استَبْعَدَه، وسُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم رَفَضوا **زَيْدَ بنَ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ** حينَ سَأَلُوه: ما تَقولُ في **أبي بَكْرٍ وعُمَرَ**؟ فأَثْنَى عليهما، وقالَ: هما وَزيرا جَدِّي، فرَفَضُوه وتَرَكُوه وكانوا في السَّابقِ معه، لكنْ لَمَّا قالَ الحقَّ المُخالفَ لأهوائِهم نَفَرُوا منه، والعياذُ بالله فسُمُّوا رافضةً.

وأصلُ مَذْهبِهم مِنْ **عبْدِ اللهِ بنِ سَبَأٍ**، وهو يَهوديٌّ تَلَبَّسَ بالإسلام، فأَظْهَرَ التَّشَيُّعَ لآلِ البيتِ والغُلُوَّ فيهم؛ لِيَشْغَلَ النَّاسَ عن دينِ الإسلامِ ويُفْسِدَه، كما أَفْسَدَ **بُولصُ** دينَ النَّصارَى عندَما تَلَبَّسَ بالنَّصْرانيَّة.

وأمَّا **الجَهْمِيَّةُ**: فَهُم أتباعُ **الجَهْمِ بنِ صَفْوانَ**، وأوَّلُ بِدْعته أنَّه أنكرَ صفاتِ الله، وقالَ: إنَّ اللهَ لم يَتَّخِذْ إبراهيمَ خليلاً، ولم يُكَلِّمْ موسَى تَكْليمًا، فأَنْكَرَ المَحبَّةَ والكلامَ، ثم بدأَتْ هذه البِدْعةُ تَنْتَشِرُ وتَتَّسِعُ، فاعْتَنَقَها طَوائفُ غيرُ الجَهْمِيَّة؛ كالمُعْتَزِلة ومُتَأَخِّري الرَّافضة؛ لأنَّ الرَّافضةَ كانوا بالأوَّلِ مُشَبِّهةً، ولهذا قالَ أهلُ العِلْمِ: أوَّلُ مَنْ عُرِفَ بالتَّشْبيهِ **هِشامُ بنُ الحَكَمِ الرَّافضيُّ**، ثم تحوَّلوا مِنَ التَّشْبيهِ إلى التَّعْطيلِ، وصاروا يُنْكِرون الصِّفات.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠




فمَذْهبُهم مِنْ أَخبَثِ المذاهبِ، إن لم نَقُلْ أَخبَثُها، لكنْ أَخبَثُ منه مَذهبُ الرَّافضةِ، حتَّى قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَه اللهُ-: (إنَّ جميعَ البدَعِ أصلُها مِنَ الرَّافضة).

فهم أصلُ البَلِيَّةِ في الإسلامِ، ولهذا قال المؤلِّفُ: (أَخْرَجَهم بعضُ أهلِ العلْمِ من الثِّنْتَين والسَّبعينَ فرْقةً)

ولعلَّ الصَّوَابَ مِنَ الثلاث والسبعينَ فِرْقةً، أو أنَّ الصَّوابَ أَخرَجَهم إلى الثِّنْتَين والسبعين، أيْ: أَخرَجَهُم مِنَ الثالثةِ الَّتي كانَ عليها الرَّسولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- وأصحابُهُ؛ لأنَّ المَعْروفَ أنَّ هذه الأمَّةَ تَفتَرِقُ على ثلاثٍ وسبعينَ فِرْقةً، كلُّها في النَّارِ إلا واحِدةً، وهي مَنْ كانَتْ على ما كانَ عليه النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- وأصحابُه.

وصدَقَ -رَحِمَهُ اللهُ- في قوله عن هاتين الطَّائفتين؛ الرَّافضة والجَهْمِيَّة: (شَرُّ طوائف أهلِ البدَعِ)

وقولُ المؤلِّف: (وبسببِ الرَّافضةِ حَدَثَ الشِّرْكُ، وعبادةُ القبورِ، وهُم أوَّلُ مَنْ بَنَى عليها المَساجدَ).

ولهذا يَجبُ الحَذَرُ مِنْ بدْعَتهم وبدْعة الجَهْمِيَّة وغيرِها، ولا شكَّ أنَّ البدَعَ دَرَكاتٌ، بعضُها أسفلُ مِنْ بعضٍ، فعلى المرءِ الحَذَرُ من البدَعِ، وأنْ يَكونَ مُتَّبعًا لِمَنْهجِ السَّلَفِ الصَّالحِ في هذا البابِ وفي غيرِه.

(26) الثانية عَشْرَة: ما بُلِيَ به -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- مِنْ شِدَّة النَّزْعِ:

تُؤْخَذُ مِنْ قولها: «طفِقَ يَطرَحُ خَميصةً لهُ على وَجْهِه، فإذا اغتَمَّ بها كَشَفَها».

وفي هذا دَليلٌ على شِدَّة نَزْعِه، وهكذا كانَ الرَّسولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ-، يَمْرَضُ ويُوعَكُ كما يُوعَكُ الرَّجلانِ من النَّاسِ، وهذا مِنْ حِكْمةِ اللهِ -عزَّ وجلَّ- فهو -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ- شُدِّدَ عليه البَلاءُ في مُقابَلة دَعْوته، وأُوذِيَ إيذاءً عظيمًا، وكذلك -أيضًا- فيما يُصيبُه مِن الأمراضِ يُضاعَفُ عليه، والحِكْمةُ مِنْ ذلكَ: لأجلِ أنْ يَنالَ أَعلَى دَرَجات الصَّبْر؛ لأنَّ الإنسانَ إذا ابْتُلِيَ بالشَّرِّ وصَبَرَ كانَ ذلكَ أَرْفَعَ لِدرجَته.

والصَّبْرُ دَرَجةٌ عاليةٌ لا تُنالُ إلا بوجودِ أسبابِها، ومنها الابْتلاءُ، فيَصْبِرُ ويَحْتَسِبُ حتَّى يَنالَ دَرَجةَ الصَّابرينَ.

(27) الثالثة عشرة: ما أُكْرِمَ به مِنَ الخُلَّة: ويَدُلُّ عليها قولُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ-: «إنَّ اللهَ اتَّخَذَني خَليلاً، كَمَا اتَّخَذَ إبراهيمَ خليلاً» ولا شكَّ أنَّ هذه الكَرَامةُ العظيمةُ؛ لأنَّنا لا نَعْلَمُ أحدًا نالَ هذهِ المَرْتَبةَ إلا رَسولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ-، وإبراهيمَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ.

(28) الرابعة عشرة: التَّصْريحُ بأنَّها أعْلَى مِنَ المَحبَّة: ودليلُ ذلكَ: أنَّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- كانَ يُحِبُّ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٣٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

أبا بَكْرٍ، وكانَ أَحَبَّ النَّاسِ إليه، فأَثْبَتَ له المحبَّةَ ونَفَى عنه الخُلَّةَ، فدَلَّ هذا على أنّها أَعْلَى مِنَ المحبَّة، والتَّصْريحُ لَيْسَ مِنَ هذا الحديثِ فَقَطْ، بَلْ بضمِّه إلى غيرِه، فَقَدْ وردَ مِنْ حديثٍ آخرَ أنَّه صرَّحَ: بأنَّ أبا بكرٍ أَحَبُّ الرِّجالِ إليه. ثُمَّ قالَ هنا: «لَوْكُنْتُ مُتَّخِذًا أَحَدًا خَليلًا لاتَّخَذْتُ أَبا بَكْرٍ خَليلًا» فدَلَّ على أنَّ الخُلَّةَ أَعْلَى مِنَ المحبَّة.

(29) الخامسة عشرة: التَّصْريحُ بأنَّ الصِّدِّيقَ أَفْضَلُ الصَّحابة: تُؤْخَذُ مِنْ قولِه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: «ولَوْكُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَليلًا لاتَّخَذْتُ أَبا بَكْرٍ خَليلًا» فلو كانَ غيرُه أَفْضَلَ مِنْه عندَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-، لَكانَ أَحَقَّ بذلكَ.

ومن المَسائلِ الهامَّة أيضًا: أنَّ الأَفْضَلِيَّةَ في الإيمانِ والعملِ الصالحِ فوقَ الأَفْضَلِيَّة بالنَّسَب؛ لأنَّنا لو رَاعَيْنا الأفضليَّةَ بالنَّسَبِ لَكانَ **حَمْزَةُ بنُ عبدِ المُطَّلب، والعَبَّاسُ** -رَضِيَ اللهُ عنهما- أَحَقَّ مِنْ أبي بكرٍ في ذلكَ، ومِنْ ثَمَّ قُدِّمَ أبو بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عنه- على **عليِّ بنِ أَبي طالبٍ** وغَيرِه مِنْ آلِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-.

(30) السادسة عشرة: الإشارةُ إلى خلافته: لم يَقُلْ: التَّصْريحُ، وإنَّما قالَ: الإشارةُ؛ لأنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-، لم يَقُلْ: إنَّ أبا بَكْرٍ هو الخَليفةُ مِنْ بعدِه، لكنْ لَمَّا قالَ: «لَوْكُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَليلًا لاتَّخَذْتُ أَبا بَكْرٍ خَليلًا» عُلِمَ أنه- رَضِيَ اللهُ عنه- أَوْلَى النَّاسِ بِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ-، فيَكونُ أَحَقَّ النَّاسِ بخلافَته.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

تهذيب القول المفيد لفضيلةالشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الثالث والعشرون

(**1**) هذا البابُ له صلةٌ بما قَبْلَهُ: وهو أنَّ **الغُلُوَّ في قبورِ الصَّالحينَ يُصَيِّرُها أوثانًا تُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ**، أيْ: يَؤُولُ الأمرُ بالغالين إلى أنْ يَعْبُدُوا هذه القبورَ أو أصحابَها.

والغُلُوُّ: مُجاوَزةُ الحدِّ مَدْحًا أو ذَمًّا، والمرادُ هنا: مَدْحًا.

والقبورُ لها حقٌّ علينا مِنْ وجهَيْنِ:

الأول: أن لا نُفرِّطَ فيما يَجبُ لها مِن الاحترامِ، فلا تَجُوزُ إهانَتُها، ولا الجُلوسُ عَلَيْها، وما أَشْبَهَ ذلكَ.

الثاني: أنْ لا نَغْلُوَ فيها، فنَتَجاوَزَ الحَدَّ.

وفي (صَحيحِ مُسْلِمٍ) قال عَلِيُّ بنُ أبي طالبٍ لأَبِي الهَيَّاجِ الأَسَدِيِّ: (**أَلاَ أَبْعَثُكَ على ما بَعَثَني عَلَيْهِ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «أَنْ لا تَدعَ تِمْثالاً إِلا طَمَسْتَه، ولا قبرًا مُشْرِفًا إلا سَوَّيْتَه»** وفي رِوايةٍ: «**ولا صُورةً إلا طَمَسْتَها**».

والقبرُ المُشْرِفُ: هو الَّذي يَتَمَيَّزُ عَنْ سائرِ القبورِ، فلا بُدَّ أنْ يُسَوَّى لِيُسَاوِيَها؛ لِئلاَّ يُظَنَّ أنَّ لِصاحبِ هذا القبرِ خُصوصيَّةً ولو بَعْدَ زَمَنٍ؛ إذ هو وَسيلةٌ إلى الغُلُوِّ فيه.

قولُهُ: (**الصَّالحين**) يَشْمَلُ الأنبياءَ والأولياءَ، بل ومَنْ دونَهم.

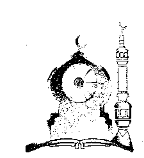
قولُه: (**أوثانًا**) جَمْعُ وَثَنٍ: وهو كلُّ ما نُصِبَ للعِبادةِ، وقد يُقالُ له: صَنَمٌ، والصَّنَمُ: تِمْثالٌ مُمَثَّلٌ، فيَكونُ الوَثَنُ أَعَمَّ.

ولكنَّ ظاهرَ كَلامِ المؤلِّفِ: (أنَّ كلَّ ما يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ يُسَمَّى وَثَنًا، وإنْ لم يَكُنْ على تِمْثالٍ نُصِبَ؛ لأنَّ القبورَ قَدْ لا يَكونَ لها تِمْثالٌ يُنْصَبُ على القبرِ فيُعْبَدَ).

قولُه: (**تُعْبَدُ من دونِ اللهِ**) أيْ: مِنْ غيرِه، وهو شاملٌ لما إذا عُبِدَتْ وحدَها، أو عُبِدَتْ مَعَ اللهِ؛ لأنَّ الواجبَ في عِبادةِ اللهِ إفرادُه فيها، فإذا قُرِنَ بها غيرُه صارَتْ عبادةً لغيرِ اللهِ، وقد ثَبَتَ في الحديثِ القُدُسيِّ أنَّ اللهَ -تعالى- يَقولُ: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فيه مَعي غَيْري تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ**».

(**2**) قولُهُ: «**اللهُمَّ**» أصلُها: يا اللهُ، فحُذِفَتْ (يا) النِّداءِ؛ لأجلِ البَدَاءةِ باسمِ اللهِ، وعُوِّضَ عنها الميمُ الدَّالَّةُ على الجمعِ، فكأنَّ الدَّاعِيَ جَمَعَ قلبَه على اللهِ، وكانَتِ الميمُ في الآخرِ لأجلِ البَدَاءةِ باسمِ اللهِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



قولُه: «لا تَجْعَلْ قَبْرِيَ وَثَنًا يُعْبَدُ» لا: للدُّعاءِ؛ لأنَّها طَلبٌ من اللهِ، وتَجعَلْ: تُصيِّرْ.

والمفعولُ الأوَّلُ لها: «قَبْرِي» والثاني: «وَثَنًا».

وقولُهُ: «يُعْبَدُ» صفةٌ لوَثَنٍ وهي صفةٌ كاشفةٌ؛ لأنَّ الوَثَنَ هو: الذي يُعبَدُ مِنْ دونِ اللهِ.

وإنَّما سَأَلَ النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- ذلكَ؛ لأنَّ مَنْ كانَ قَبْلَنا جعَلوا قُبورَ أنبيائِهم مَساجِدَ، وعَبَدُوا صالحِيهم، فسَأَلَ النبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- رَبَّه ألاَّ يَجْعَلَ قَبْرَه وَثنًا يُعْبَدُ؛ لأَنَّ دَعْوتَه كلَّها بالتوحيدِ ومُحاربةِ الشِّرْكِ.

(3) قولُه: «اشْتَدَّ» أي: عَظُمَ.

قولُهُ: «غَضَبُ اللهِ» صفةٌ حقيقيةٌ ثابتةٌ للهِ -عزَّ وجلَّ- لا تُماثِلُ غَضَبَ المَخْلوقينَ، لا في الحقيقةِ ولا في الأَثَرِ.

(4) قولُهُ: «اتَّخَذُوا قُبورَ أَنبيائِهِم مَساجِدَ» أي: جَعَلُوها مَساجِدَ، إما بالبناءِ عَلَيْها، أو بالصَّلاةِ عِنْدَها، فالصَّلاةُ عندَ القبورِ من اتِّخاذِها مَساجِدَ، والبناءُ عَلَيْها من اتِّخاذِها مَساجِدَ.

وهنا نَسْأَلُ هل استَجابَ اللهُ دَعْوةَ نبيِّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- بأَنْ لا يَجْعَلَ قَبْرَه وثنًا يُعْبَدُ؟ أم اقْتَضَتْ حِكْمَتُه غيرَ ذلكَ؟

الجوابُ: يقولُ ابنُ القَيِّمِ: (إنَّ اللهَ اسْتَجابَ له، فلم يُذكَرْ أنَّ قبرَه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- جُعِلَ وَثَنًا، بل إنَّه حُمِيَ بثلاثةِ جُدْرانٍ، فلا أحدَ يصلُ إليه حتَّى يَجْعَلَه وثنًا يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ، ولم يُسْمَعْ في التَّاريخِ أنَّه جُعِلَ وثنًا).

قال ابنُ القَيِّمِ في (النُّونيَّة):

فأَجَابَ رَبُّ العالَمينَ دُعاءَه   وأَحَاطَه بثلاثةِ الجُدْرانِ

صحيحٌ أنَّه يُوجَدُ أُناسٌ يَغْلُون فيه، ولكنْ لم يَصِلُوا إلى جَعْلِ قبرِه وثنًا، ولكنْ قد يَعْبُدُون الرَّسولَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- ولو في مَكانٍ بعيدٍ، فإنْ وُجِدَ مَنْ يَتَوجَّهُ له -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- بدُعائِه عِنْدَ قبرِه فيكونُ قد اتَّخذَه وثنًا، لكنَّ القبرَ نفسَه لم يُجْعَلْ وثنًا.

(6) قولُه: (ولابنِ جَريرٍ) هو: مُحَمَّدُ بنُ جَريرِ بنِ يَزيدَ الطَّبَريُّ الإمامُ المشهورُ في التَّفْسيرِ، تُوُفِّيَ سنة (310 هـ).

و(تفسيرُه): هو أصلُ التفسيرِ بالأَثَرِ، ومَرْجِعٌ لجميعِ المُفَسِّرِينَ بالأَثَرِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٣٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

(7) قَولُهُ: (عن سُفْيانَ) إمَّا سُفْيانُ الثَّوْرِيُّ، أو ابنُ عُيَيْنَةَ، وهذا مُبْهَمٌ، والمُبْهَمُ يُمْكِنُ معرفتُه بمعرفةِ شيوخِه وتلاميذِه، وفي الشَّرحِ -أعْني (تَيْسيرَ العزيزِ الحميدِ)- يَقولُ: الظَّاهرُ: (أنَّه الثَّوْرِيُّ).

(8) قولُهُ: (عَنْ مُجاهِدٍ) هو: مُجاهِدُ بنُ جَبْرٍ المَكِّيُّ إمامُ المُفسِّرينَ من التَّابعينَ، ذُكِرَ عنه أنَّه قالَ: (عَرَضْتُ المُصْحَفَ على عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عنهما- مِنْ فاتحتِه إلى خاتمتِه، فما تَجاوَزْتُ آيةً إلا وَقَفْتُ عندَها أسْألُهُ عَنْ تفسيرِها).

(9) قولُهُ: {أَفَرَأَيْتُمُ} الهَمْزَةُ: للاستفهامِ، والمرادُ بِه التَّحْقيرُ، والخِطابُ لعابدي هذه الأصنامِ اللاَّتِ والعُزَّى.. إلخ.

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ -تعالى- قِصَّةَ المِعْراجِ، وما حَصَلَ فيهِ من الآياتِ العظيمةِ الَّتي قالَ عَنْها: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}.

قالَ: {أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى} أي: ما نِسبةُ هذهِ الأصنامِ للآياتِ الكبيرةِ الَّتي رَآها النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- ليلةَ المِعْراجِ.

قولُهُ: {اللاَّتَ} «كانَ يَلُتُّ لَهُم..» إلخ على قِراءةِ التَّشْديدِ مِنْ لَتَّ يَلُتُّ فهو لاتٌّ.

أمَّا على قِراءةِ التَّخفيفِ فوجهُها أنَّها خُفِّفَتْ لتَسْهيلِ الكلامِ، أيْ: حُذِفَ منها التَّضعيفُ تَخفيفًا.

وقَدْ سَبَقَ أنَّهم قالوا: إنَّ اللاَّتَ مِن الإلَهِ وأصلُه رجلٌ يَلُتُّ السَّويقَ للحُجَّاجِ، فلمَّا ماتَ عَظَّمُوه وعَكَفُوا على قبرِه ثُمَّ جَعَلُوه إلهًا، وجَعَلُوا التَّسميةَ الأُولَى مُقْتَرِنَةً بالتَّسميةِ الأخيرةِ، فيَكونُ أصلُه مِنْ لَتِّ السَّويقِ، ثُمَّ جَعلوه من الإلَه، وهذه على قِراءةِ التَّخفيفِ أظْهَرُ من التَّشديدِ، فالتَّخفيفُ يُرَجِّحُ أنَّه من الإلَه، والتَّشديدُ يُرَجِّحُ أنَّ أصلَهُ رجلٌ يَلُتُّ السَّويقَ.

وغَلَوْا في قبرِه وقَالُوا: هذا الرَّجُلُ المُحْسِنُ الذي يَلُتُّ السَّويقَ للحُجَّاجِ ويُطْعِمُهُم إيَّاه، ثُمَّ بعدَ ذلكَ عَبَدُوه، فصارَ الغُلُوُّ في القبورِ يُصَيِّرُها أوثانًا تُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ.

وفي هذا: التَّحذيرُ مِن الغُلُوِّ في القُبورِ، ولهذا نُهِيَ عن تَجْصيصِها والبناءِ عَلَيْها والكِتابةِ عَلَيْها خَوْفًا مِنْ هذا

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

المَحْظورِ العظيمِ الَّذي يَجْعَلُها تُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ، وكانَ الرسولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- يَأْمُرُ إذا بَعَثَ بَعْثًا: بأن لا يَدَعُوا قبرًا مُشْرِفًا إلاَّ سَوَّوْه؛ لِعلمِه أنَّه مَعَ طولِ الزَّمانِ سيُقالُ: لولا أنَّ له مَزِيَّةً ما اخْتَلَفَ عَنِ القبورِ، فالذي يَنْبَغِي أنْ تكونَ القبورُ مُتَساوِيةً، لا مِيزَةَ لواحدٍ مِنْها عَنِ البقيَّةِ.

قال ابن القيم في (إغاثة اللهفان) (191/1): [قال شيخنا: وهذه العلة التي لأجلها نهي الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم للكواكب ونحو ذلك. فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر.

ثم قال: فلأجل هذه المفاسد حسم النبي صلى الله عليه وسلم مادتها؛ حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً] .

(10) قولُهُ: (السَّوِيقَ) هو: عِبارةٌ عَنِ الشَّعيرِ يُحَمَّصُ، ثم يُطْحَنُ، ثُمَّ يُخْلَطُ بتمرٍ أو شِبهِه، ثُمَّ يُؤْكَلُ.

(11) وقولُهُ: (كانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ، فماتَ، فَعَكَفُوا على قَبْرِه) يَعْنِي: ثُمَّ عَبَدُوه وجَعَلُوه إلهًا مع اللهِ.

(12) قولُهُ: (وكذا قالَ أبو الجَوْزاءِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ للحاجِّ) والغَرِيبُ: أنَّ النَّاسَ في جاهليَّتِهم يُكْرِمُون حُجَّاجَ بيتِ اللهِ، ويَلُتُّون لهم السَّوِيقَ، وكانَ العَبَّاسُ -أيضًا- يَسْقِي لهم مِنْ زَمْزَمَ، ورُبَّما يَجْعَلُ في زَمْزَمَ نَبِيذًا يُحَلِّيه؛ زَبِيبًا أو نحوَه، وفي الوقتِ الحاضرِ صارَ النَّاسُ بالعكسِ يَسْتَغِلُّونَ الحُجَّاجَ غايةَ الاسْتِغْلالِ-والعِياذُ باللهِ-، حتَّى يَبِيعُوا عَلَيْهِم ما يُساوِي رِيالاً برِيالَين وأَكْثَرَ، حَسَبَ ما يَتَيَسَّرُ لهم، وهذا في الحقيقةِ خَطَأٌ عظيمٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى يَقولُ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. فكيفَ بِمَنْ يَفْعَلُ الإلحادَ؟!

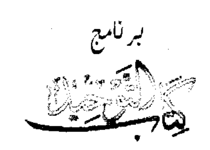
(13) قولُهُ: «لَعَنَ» اللَّعْنُ: هو الطَّردُ والإبعادُ عن رحمةِ اللهِ، ومعنى لَعَنَ رسولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- أيْ: دَعا عَلَيْهِم باللَّعنةِ.

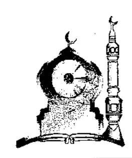
قولُهُ: «زائراتِ القُبورِ» زائرات: جَمعُ زائرةٍ، والزيارةُ هنا: معناها: الخروجُ إلى المَقابِرِ.

وهيَ أنواعٌ:

منها ما هو سُنَّةٌ: وهي زيارةُ الرِّجالِ؛ للاتِّعاظِ والدُّعاءِ للموتى.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com







ومنها ما هو بِدْعَةٌ: وهي زِيارتُهم لِلدُّعاءِ عندَهم، وقراءةِ القرآنِ ونحوِ ذلك.

ومنها ما هو شِرْكٌ: وهي زِيارتُهم؛ لِدعاءِ الأمواتِ والاسْتِنْجادِ بهم والاستغاثةِ ونحوِ ذلك.

وزائرٌ: اسمُ فاعلٍ يَصْدُقُ بالمرَّةِ الواحدةِ، وفي حديثِ **أبي هُرَيْرَةَ**: «**لَعَنَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ زَوَّاراتِ القُبورِ**» بتَشْديدِ الواوِ، وهي صيغةُ مُبالغةٍ تَدُلُّ على الكَثْرةِ، أي: كَثْرةِ الزِّيارة.

(14) قولُهُ: «**والمُتَّخذِينَ عَلَيْها المَساجدَ**» هذا الشَّاهدُ مِن الحديثِ، أي: الذين يَضَعُون عَلَيْها المساجدَ.

وقد سَبَقَ أنّ اتِّخاذَ المَساجِدِ له صُورتان:

الأولى: أنْ يَتَّخذَها مُصَلَّى يُصَلِّي عندَها.

الثانية: بناءُ المساجدِ عَلَيْها.

قولُهُ: «**والسُّرُجَ**» جمعُ سِراجٍ، تُوقَدُ عَلَيْها السُّرُجُ ليلاً ونهارًا؛ تَعْظيمًا وغُلُوًّا فيها.

وهذا الحديثُ يَدُلُّ على تَحْريمِ زِيارةِ النِّساءِ لِلقبورِ، بَلْ على أنَّه مِنْ كبائرِ الذُّنوبِ؛ لأنَّ اللَّعنَ لا يَكونُ إلا على كبيرةٍ، ويَدُلُّ على تَحْريمِ اتِّخاذِ المساجدِ والسُّرُجِ عَلَيْها، وهو كبيرةٌ مِنْ كبائرِ الذُّنوبِ لِلَعْنِ فاعله.

ومناسبة الحديث للباب:

أنَّ اتِّخاذَ المساجدِ عَلَيْها وإسْراجَها غُلُوٌّ فيها فيُؤَدِّي بَعْدَ ذلكَ إلى عِبادتِها.

مسألةٌ:

ما هيَ الصِّلةُ بَيْنَ الجُمْلةِ الأُولَى: «زائراتِ القبورِ»، والجملةِ الثانيةِ: «المُتَّخذِينَ عَلَيْها المَساجدَ والسُّرُجَ»؟

الصِّلةُ بَيْنَهُمَا ظاهرةٌ: هي أنَّ المَرْأةَ لِرقَّةِ عاطفتِها، وقلَّةِ تَمْييزِها، وضَعْفِ صَبْرِها ربَّما تَعْبُدُ أصحابَ القبورِ تَعَطُّفًا على صاحبِ القبرِ، فلهذا قَرَنَها بالمُتَّخذِينَ عَلَيْها المساجدَ والسُّرُجَ.

وهَلْ يَدْخُلُ في اتِّخاذِ السُّرُجِ على المَقابرِ ما لو وُضِعَ فيها مَصابيحُ كَهْرَباءَ لإنارتِها؟

الجوابُ: أمَّا في المَواطنِ الَّتي لا يَحتاجُ النَّاسُ إليها كَمَا لو كانَت المَقْبَرةُ واسعةً، وفيها مَوْضِعٌ قد انْتَهى النَّاسُ مِن الدَّفْنِ فيه، فلا حاجةَ إلى إسْراجِه فلا يُسْرَجُ، أمَّا الموضعُ الذي يُقْبَرُ فيه فيُسْرَجُ ما حولَه فقَدْ يُقالُ بِجَوازِه؛ لأنَّها لا تُسْرَجُ إلا باللَّيلِ، فَلَيْسَ في ذلكَ ما يَدُلُّ على تعظيمِ القبرِ، بَل اتُّخذَتْ للحاجة.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

ولكن الَّذي نَرَى أنَّه يَنْبَغي المَنْعُ مُطْلَقًا للأسبابِ التَّاليةِ:

الأول: أنَّه لَيْسَ هناك ضَرورةٌ.

الثاني: أنَّ النَّاسَ إذا وَجَدوا ضَرورةً لذلكَ، فعندَهم سيَّاراتٌ يُمْكِنُ أنْ يُوقِدُوا الأَنْوارَ الَّتي فيها، ويَتَبَيَّنَ لهم الأمرُ، ويُمْكِنُهم أنْ يَحْمِلُوا سِراجًا مَعَهم.

الثالث: أنَّه إذا فُتِحَ هذا البابُ فإنَّ الشَّرَّ سَيَتَّسِعُ في قلوبِ النَّاسِ، ولا يُمْكِنُ ضَبْطُه فيما بعدُ، فلو فَرَضْنا أنَّهم جَعَلوا المِصْباحَ بعدَ صلاةِ الفَجْرِ، ودَفَنُوا المَيِّتَ، فمَنْ الذي يَتَوَلَّى قَفْلَ هذه الإضاءةِ؟

الجوابُ: قد تُتْرَكُ، ثم يَبْقَى كأنَّه مُتَّخَذٌ عَلَيْها السُّرُجُ، فالَّذي نَرَى: أنَّه يُمْنَعُ نهائيًّا

أمَّا إذا كانَ في المَقْبرةِ حُجْرةٌ يُوْضَعُ فيها اللَّبِنُ ونحوَه، فلا بأسَ بإضاءَتِها؛ لأنَّها بعيدةٌ عَن القبورِ، والإضاءةُ داخلةٌ لا تُشاهَدُ، فهذا نَرْجُو أنْ لا يكونَ به بأسٌ.

والمُهِمُّ: أنَّ وَسائلَ الشِّرْكِ يَجبُ على الإنسانِ أنْ يَبْتَعِدَ عنها ابْتعادًا عظيمًا، ولا يُقَدِّرَ للزَّمَنِ الذي هُوَ فيه الآنَ، بَلْ يُقَدِّرَ للأزمانِ البعيدةِ، فالمسألةُ لَيْسَتْ هَيِّنةً.

وفي الحديثِ ما يَدُلُّ على تَحْرِيمِ زِيارةِ النِّساءِ للقبورِ، وأنَّها من كَبائرِ الذُّنوبِ، والعلماءُ اخْتَلَفُوا في ذلكَ على ثلاثة أقوال:

القولُ الأوَّلُ: تحريمُ زِيارةِ النِّساءِ للقبورِ، بَلْ إنَّها مِنْ كَبائرِ الذُّنوبِ لهذا الحديثِ.

القولُ الثاني: كَراهةُ زِيارةِ النِّساءِ للقبورِ كَراهةً لا تَصِلُ إلى التَّحْرِيمِ، وهذا هو المَشْهورُ مِنْ مَذْهبِ أحمدَ عِنْدَ أصحابِه لحديثِ أُمِّ عَطِيَّةَ: (نُهِينا عَن اتِّباعِ الجَنائزِ، ولمْ يُعْزَمْ عَلَيْنا).

القولُ الثالثُ: أنَّها تَجوزُ زِيارةُ النِّساءِ للقبورِ؛ لحديثِ: المرأةِ الَّتي مَرَّ النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- بها وهي تَبْكي عِنْدَ قَبرٍ فقَالَ لَها: «اتَّقي اللهَ واصْبِرِي» فقالَتْ له: إِلَيْكَ عَنِّي، فإنَّكَ لم تُصَبْ بمِثْلِ مُصيبَتِي، فانْصَرَفَ الرَّسُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- عنها فقِيلَ لها: هَذا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ-، فَجاءَتْ إلَيْه تَعْتَذِرُ، فلم يَقْبَلْ عُذْرَها وقال: «إنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى».

فالنَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- شاهَدَها عِنْدَ القبرِ و لم يَنْهَها عَن الزِّيارةِ، وإنَّما أَمَرَها أنْ تَتَّقِيَ اللهَ وتَصْبِرَ.

ولِمَا ثَبَتَ في (صحيح مُسْلم) مِنْ حَديثِ عائشةَ الطَّويلِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٢١٢ - ص.ب: ١٤٤٦٠٦
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وفيه: أنَّ النبيَّ -صلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ- خرجَ إلى أهلِ البقيعِ في اللَّيلِ واستغفرَ لهم ودعَا لهم، وأنَّ جبريلَ أتاهُ في اللَّيلِ وأمرَهُ فخرجَ -صلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ- مُختفيًا عنْ عائشةَ، وزارَ ودعَا ورجعَ ثمَّ أخبرَها الخبرَ فقالتْ: ما أقولُ لهم يا رسولَ اللهِ؟

قالَ قولي: «السَّلامُ عليْكم يا أهلَ الدِّيارِ من المؤمنينَ والمسلمينَ.. إلخ».

قالوا: فعلَّمها النَّبيُّ -صلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ- دُعاءَ زيارةِ القُبورِ، وتعْليمُه هذا دليلٌ على الجَوازِ.

ورأيتُ قولاً رابعًا: أنَّ زيارةَ النِّساءِ للقُبورِ سُنَّةٌ كالرِّجالِ لقولِه -صلَّى اللهُ علَيْه وسلَّمَ-: «**كُنتُ نهيْتُكُم عن زيارةِ القُبورِ فزوروها فإنَّها تذكِّرُكُم الآخرةَ**» وهذا عامٌّ للرِّجالِ والنِّساءِ.

وأنَّ عائشةَ -رضيَ اللهُ عنها- زارتْ قبرَ أخيها، فقالَ لها عبدُ اللهِ بنُ أبي مُليْكةَ: أليْسَ النَّبيُّ -صلَّى اللهُ علَيْه وسلَّمَ- قد نَهى عن زيارةِ القُبورِ؟

قالتْ: (**إنَّه أمَرَ بها بعْدَ ذلكَ**) وهذا دَليلٌ على أنَّه منْسُوخٌ.

والصَّحيحُ القولُ الأوَّلُ: ويُجابُ عنْ أدلَّةِ الأقوالِ الأُخرى بأنَّ الصَّريحَ منها غيرُ صحيحٍ، والصَّحيحَ غيرُ صريحٍ؛ **فمن ذلك:**

أوَّلاً: دَعْوَى النَّسْخِ غيرُ صحيحةٍ؛ لأنَّها لا تُقبَلُ إلا بشرْطَينِ:

الأول: تعذُّرُ الجمعِ بينَ النَّصَّينِ، والجمعُ -هنا- سَهْلٌ وليسَ بمُتعذِّرٍ؛ لأنَّه يُمكنُ أنْ يُقالَ: إنَّ الخطابَ في قولِه: «**كُنتُ نهيْتُكُم عنْ زيارةِ القُبورِ فزوروها**» للرِّجالِ، والعلماءُ اختلَفُوا فيما إذا خُوطِبَ الرِّجالُ بحُكمٍ هَلْ يَدْخُلُ فيه النِّساءُ أو لا؟

وإذا قُلْنا بالدُّخولِ -وهو الصَّحيحُ- فإنَّ دُخولَهُنَّ في هذا الخطابِ منْ بابِ دُخولِ أفرادِ العامِّ في العُمُومِ.

وعلى هذا يَجوزُ أنْ يُخصَّصَ بَعْضُ أفرادِ العامِّ بحُكْمٍ يُخالفُ العامَّ، وهنا نَقولُ: قدْ خصَّ النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيْه وسلَّمَ النِّساءَ منْ هذا الحُكْمِ، فأمْرُهُ بالزِّيارةِ للرَّجلِ فقطْ؛ لأنَّ النِّساءَ أُخرِجْنَ بالتَّخْصيصِ منْ هذا العُمومِ بلَعْنِ الزَّائراتِ.

و-أيضًا- ممَّا يُبْطِلُ النَّسْخَ قولُهُ: «**لعَنَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيْه وسلَّمَ زائراتِ القُبورِ، والمتَّخذينَ علَيْها المساجدَ**

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

والسُّرُجَ» ومن المَعْلومِ أنَّ قولَهُ: «والمُتَّخذين عَلَيْها المساجدَ والسُّرُجَ» لا أحَدَ يَدَّعي أنه مَنْسُوخٌ، والحديثُ واحدٌ، فادِّعاءُ النَّسْخِ في جانبٍ منه دونَ آخرَ غَيْرُ مُسْتَقيمٍ، وعلى هذا يَكُونُ الحديثُ مُحْكَمًا غيرَ مَنْسوخٍ.

الثاني: العلمُ بالتَّاريخِ، وهنا لم نَعْلَمْ بالتَّاريخِ؛ لأنَّ النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- لم يَقُلْ: كُنْتُ لَعَنْتُ مَنْ زارَ القُبورَ، بَلْ قال: كُنْتُ نَهَيْتُكُم، والنَّهْيُ دونَ اللَّعْنِ.

وأيضًا: فإنَّ قولَه: «كُنْتُ نَهَيْتُكُم» خِطابٌ للرِّجالِ، ولَعْنُ زائراتِ القبورِ خِطابٌ للنِّساءِ، فلا يُمْكِنُ حَمْلُ خِطابِ الرِّجالِ على خِطابِ النِّساءِ، إذًا فالحديثُ لا يَصِحُّ فيه دَعْوَى النَّسْخِ.

وثانيًا: الجوابُ عَنْ حديثِ المرأةِ وحديثِ عائشةَ:

- أنَّ المرأةَ لم تَخرُجْ للزِّيارةِ قَطْعًا: لكنَّها أُصيبَتْ ومِنْ عِظَمِ المُصيبةِ عَلَيْها لم تَتَمالَكْ نَفْسَها لِتَبْقَى في بيتِها، ولذلكَ خَرَجَتْ وجَعَلَتْ تَبْكي عندَ القبرِ مِمَّا يَدُلُّ على أنَّ في قلبِها شيئًا عظيمًا لم تَتَحَمَّلْه حتَّى ذَهَبَتَ إلى ابْنِها وجَعَلَتْ تَبْكي عِنْدَ قبرِه، ولهذا أَمَرَهَا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- أنْ تَصْبِرَ؛ لأنَّه عَلِمَ أنَّها لم تَخرُجْ للزِّيارةِ، بَلْ خَرَجَتْ لِمَا في قلبِها مِنْ عَدَمِ تَحَمُّلِ هذه الصَّدْمةِ الكبيرةِ، فالحديثُ ليس صَرِيحًا بأنَّها خَرَجَتْ للزِّيارةِ، وإذا لم يَكُنْ صَرِيحًا فلا يُمْكِنُ أنْ يُعارَضَ الشَّيْءُ الصَّريحُ بشَيْءٍ غيرِ صَريحٍ.

وأمَّا حديثُ عائشةَ: فإنَّها قالَتْ للرَّسولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: «ماذا أَقُولُ؟ فَقَالَ قُولي: السَّلامُ عَلَيْكُم» فهل المرادُ أنَّها تَقُولُ ذلكَ إذا مَرَّتْ، أو إذا خَرَجَتْ زائرةً؟ فهو مُحْتَمِلٌ.

فلَيْسَ فيه تَصْريحٌ بأنَّها إذا خَرَجَتْ زائرةً؛ إذ مِنَ المُمْكِنِ أن يُرادَ به إذا مَرَّتْ بها مِن غيرِ خُروجٍ للزِّيارةِ، وإذا كان ليس صَرِيحًا فلا يُعارِضُ الصَّريحَ.

وأمَّا فِعْلُها مع أخيها -رَضِيَ اللهُ عنهما-: فإنَّ فعلَها مع أخيها لم يَسْتَدِلَّ عَلَيْها عبدُ اللهِ بنُ أبي مُلَيْكَةَ بلَعْنِ زائراتِ القُبُورِ، وإنَّما اسْتَدَلَّ عَلَيْها بالنَّهْيِ عَنْ زيارةِ القبورِ؛ لأنَّه لو اسْتَدَلَّ عَلَيْها بالنَّهْيِ عَنْ زيارةِ النِّساءِ للقبورِ، أو بلَعْنِ زائراتِ القبورِ، لكنَّا نَنْظُرُ بماذا سَتُجيبُه؟

فهو اسْتَدَلَّ عَلَيْها بالنَّهْيِ عَنْ زيارةِ القبورِ مُطْلَقًا، ومعلومٌ أنَّ النَّهْيَ عَنْ زيارةِ القبورِ كانَ عامًّا، ولهذا أجابَتْهُ بالنَّسْخِ العامِّ، وقالَتْ: إنَّه قَدْ أَمَرَ بذلكَ، ونحنُ وإنْ كُنَّا نَقُولُ: إنَّ **عائشةَ** -رَضِيَ اللهُ عنها- اسْتَدَلَّتْ بلفظِ العُمومِ فهي كَغَيرِها مِنَ العُلماءِ لا يُعارَضُ بقولِها قولُ الرَّسولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-، على أنَّه رُوِيَ عَنْها أنَّها قالَتْ:

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

«لَوْ شَهِدْتُكَ مَا زُرْتُكَ» وهذا دَليلٌ على أنّها -رَضِيَ اللهُ عنها-، خَرَجَتْ لِتَدْعُوَ له؛ لأنّها لم تَشْهَدْ جنازَتَه، لكنَّ هذه الرِّوايَةَ طَعَنَ فيها بعضُ العلماءِ وقالَ: إنّها لا تَصِحُّ عَنْ عائشةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْها، لكنّنا نَبْقَى على الرِّوايةِ الأُولَى الصَّحيحةِ، إذْ لَيْسَ فيها دَليلٌ على أنَّ الرَّسولَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- نَسَخَهُ، وإذا فَهِمَتْ هي فلا يُعارَضُ بقولِها قولُ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.

إشكالٌ وجوابُه:

في قولِه: «زَوَّاراتِ القبورِ» ألاَ يُمْكِنُ أنْ يُحْمَلَ النَّهْيُ على تَكرارِ الزِّيارةِ؛ لأنَّ «زَوَّارات» صيغةُ مُبالَغةٍ؟

الجوابُ: هذا مُمْكِنٌ، لكنَّنا إذا حَمَلْناه على ذلكَ فإنَّنا أَضَعْنا دَلالةَ المُطْلَقِ «زائرات».

والتَّضعيفُ قَدْ يُحْمَلُ على كَثْرةِ الفاعِلِين، لا على كَثْرةِ الفِعْلِ فـ«زَوَّارات» يَعْني النِّساءَ إذا كُنَّ مائةً كانَ فِعلُهُنَّ كثيرًا، والتَّضْعيفُ باعتبارِ الفاعلِ موجودٌ في اللُّغةِ العربيةِ، قالَ تعالى: {جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ}.

فلمَّا كانَت الأبوابُ كَثيرةً كانَ فيها التَّضْعيفُ؛ إذْ البابُ لا يُفْتَحُ إلا مَرَّةً واحِدةً، و-أيضًا- قِراءةُ: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِّحَتْ} فهِيَ مِثلُها.

فالرَّاجحُ: تحريمُ زِيارةِ النِّساءِ للمَقابِرِ، وأنَّها مِنْ كَبائرِ الذُّنوبِ، وانْظُرْ كَلامَ شيخِ الإسلامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ في (مَجْموعِ الفَتاوَى) (343/24)

فيه مسائلُ:

(15) الأولى: (تفسيرُ الأوثانِ) وهي: كلُّ ما عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ سَواءٌ كانَ صَنَمًا أو قبرًا أو غيرَه.

(16) الثانيةُ: (تفسيرُ العبادةِ) وهي: التَّذَلُّلُ والخُضوعُ للمعبودِ خوفًا ورَجاءً ومَحبَّةً وتعظيمًا لِقولِه: «لا تجْعَلْ قَبْري وثَنًا يُعْبَدُ».

(17) الثالثةُ: (أنَّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- لم يَسْتَعِذْ إلا ممَّا يَخافُ مِنْ وقوعِه) وذلكَ في قولِه: «اللهُمَّ لا

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٣٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

تجعَلْ قبْري وثَنًا يُعْبَدُ».

(18) الرابعة: (قَرْنُه بهذا اتِّخاذَ قبورِ الأنبياءِ مساجدَ) وذلكَ في قولِه: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

(19) الخامسة: (ذِكْرُ شدَّةِ الغضبِ من اللهِ) تُؤْخَذُ مِنْ قولِهِ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ».

وفيه: إثباتُ الغضبِ من اللهِ حقيقةً، لكنَّه كغيرِه من صفاتِ الأفعالِ الَّتي نَعْرِفُ معناها ولا نَعْرِفُ كَيْفِيَّتَها.

وفيه أنَّه يَتَفَاوَتُ: كما ثبتَ في الحديثِ الصحيحِ حديثِ الشفاعةِ: «إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغضبْ مثلَه قَبْلَهُ ولا بعدَهُ».

(20) السَّادسة: (وهيَ مِنْ أَهَمِّها معرفةُ صِفةِ عِبادةِ اللاَّتِ الَّتي هِيَ مِنْ أكبرِ الأوثانِ) وذلكَ في قولِهِ: «فَمَاتَ فعكَفُوا عَلَى قَبْرِه».

(21) السَّابعة: (مَعرفةُ أنَّه قبرُ رجلٍ صالحٍ) تُؤْخَذُ مِنْ قولِهِ: (كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ) أي: للحُجَّاجِ؛ لأنَّه مُعظَّمٌ عندَهم، والغالِبُ لا يَكونُ مُعَظَّمًا إلا صاحبُ دينٍ.

(22) الثَّامنة: (أنَّه اسمُ صاحبِ القبرِ، وذِكْرُ مَعْنى التَّسمية) وهو أنَّه كانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ.

(23) التَّاسعة: (لَعْنُهُ زَوَّاراتِ القبورِ) أيْ: النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ، وذَكَرَ -رَحِمَهُ اللهُ- لفظَ: «زَوَّارات القبورِ» مُراعاةً للَّفْظِ الآخَرِ.

(24) العاشرةُ: (لَعْنُهُ مَنْ أَسْرَجَها) وذلكَ في قولِهِ: «والمُتَّخذِينَ عَلَيْها المَسَاجِدَ والسُّرُجَ».

وهنا مسألةٌ مُهمَّةٌ لم تُذْكَرْ وهِيَ:

أنَّ الغُلُوَّ في قبورِ الصَّالحينَ يُصَيِّرُها أوثانًا، كما في قبرِ اللاَّتِ، وهذه مِنْ أَهَمِّ المسائلِ، ولم يَذْكُرْها المؤلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- ولعلَّهُ اكْتَفَى بالتَّرْجَمةِ عَنْ هذه المسألةِ بما حَصَلَ للاَّتِ، فإذا قِيلَ بذلكَ فَلَهُ وَجْهٌ.

مسألةٌ: المَرْأةُ إذا ذهبَتْ للرَّوْضةِ في المسجدِ النَّبويِّ لتُصَلِّيَ فيها، فالقبرُ قريبٌ منها فتَقِفُ وتُسَلِّمُ، ولا مانعَ

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٢٩
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

فيه، والأَحْسَنُ البُعدُ عن الزِّحامِ، ومُخالَطةِ الرِّجالِ، ولئلاَّ يَظُنَّ مَنْ يُشاهِدُها أنَّ المَرْأَةَ يَجوزُ لها قَصْدُ الزِّيارةِ فيَقَعُ الإنسانُ في مَحْذورٍ، وتَسْليمُ المَرْءِ على النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- يَبْلُغُه حيثُ كانَ.

(25) قولُه: (**المُصْطَفَى**) أصلُها: المُصْتَفَى مِن الصَّفْوَةِ وهو خِيارُ الشَّيْءِ، فالنَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- أفضلُ المُصْطَفَيْنَ؛ لأنَّه أَفْضَلُ أُولِي العَزْمِ مِن الرُّسلِ، والرُّسلُ هم المُصْطَفَوْنَ، والمرادُ به: **محمَّدٌ** -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ-، والاصْطِفاءُ على دَرَجاتٍ أَعْلاها اصْطِفاءُ أُولي العَزْمِ من الرُّسلِ، ثم الرُّسلِ ثُمَّ اصْطِفاءُ الأنبياءِ، ثم اصْطِفاءُ الصِّدِّيقين، ثم اصطفاءُ الشُّهَداءِ، ثم اصطفاءُ الصَّالحين.

قولُهُ: (**حِمايةِ**) مِن حَمَى الشَّيءَ إذا جَعَل له مانِعًا يَمْنَعُ مَنْ يَقْرَبُ حولَهُ، ومِنْه حِمايةُ الأَرْضِ عَن الرَّعْيِ فيها ونحوَ ذلكَ.

قولُهُ: (**جَنابَ**) بمعنى: جانبَ، والتَّوْحيدُ: تَفْعيلٌ مِن الوَحْدةِ، وهو إفرادُ اللهِ -تعالى- بما يَجبُ له مِن الرُّبوبيَّةِ، والأُلوهيَّةِ، والأسماءِ والصِّفاتِ.

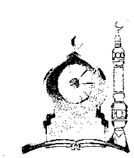
قولُهُ: (**وسَدِّهِ كُلَّ طَريقٍ**) أيْ: مع الحمايةِ لم يَدَعِ الأبوابَ مفتوحةً يَلِجُ إليها مَنْ شاءَ، ولكنَّه سَدَّ كلَّ طريقٍ يُوصِلُ إلى الشِّركِ؛ لأنَّ الشِّركَ أعظمُ الذُّنوبِ، قال اللهُ -تعالى-: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ}**. قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ: الشِّركُ الأصغرُ لا يَغْفِرُهُ اللهُ؛ لعُمومِ قولِهِ: **{أَن يُشْرَكَ بِهِ}**.

وعلى هذا فجميعُ الذُّنوبِ دونَه لقولِه: **{وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ}** فيَشْمَلُ كبائرَ الذُّنوبِ وصَغائرَها، فالشِّركُ لَيْسَ بالأمرِ الهَيِّنِ الذي يُتَهاوَنُ به، فالشِّركُ يُفسِدُ القلبَ والقَصْدَ، وإذا فَسَدَ القَصْدُ فَسَدَ العملُ؛ إذ العملُ مَبْناه على القَصْدِ، قالَ -تعالى-: **{مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**.

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ-: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**».

إذًا: الرَّسولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ-، حَمَى جَنابَ التَّوحيدِ حمايةً مُحْكَمةً، وسَدَّ كلَّ طريقٍ يُوصِلُ إلى الشِّركِ ولو مِن بعيدٍ؛ لأنَّ مَنْ سارَ على الدَّرْبِ وَصَلَ، والشَّيْطانُ يُزَيِّنُ للإنسانِ أعمالَ السَّوْءِ شيئًا فشَيئًا حتَّى يَصِلَ إلى الغايَةِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٢٠



(**26**) قولُهُ: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} الجملةُ مُؤكَّدةٌ بثلاث مُؤكِّدات:

- **القسَم، واللاَّم، وقد**: وهي مُؤكِّدَةٌ لجميعِ مَدخُولِها بأنَّه رَسولٌ، وأنَّه مِن أنفُسِهِم، وأنَّه عزيزٌ عَلَيْه ما يَشُقُّ علينا، وأنَّه بالمؤمنينَ رؤُوفٌ رحيمٌ، فالقَسَمُ مُنْصَبٌّ على كلِّ هذه الأوصافِ الأربعة.

والخطابُ في قوله: {جَاءَكُمْ}.

قِيلَ: للعَرَبِ لِقولِهِ: {مِنْ أَنْفُسِكُمْ} فالرَّسولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- مِن العربِ، قالَ تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ}.

ويُحتَمَلُ أنْ يكونَ عامًّا للأمَّة كلِّها، ويكونُ المرادُ بالنَّفْسِ هنا الجِنْسَ، أيْ: لَيْسَ مِن الجنِّ ولا الملائكةِ، بَلْ هو مِن جِنْسِكُم كَمَا قالَ -تعالى-: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}.

وعلى الاحْتمالِ الأوَّل فيه إشْكالٌ؛ لأنَّ النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- بُعِثَ إلى جميعِ النَّاسِ مِن العربِ والعَجَمِ.

ولكنْ يُقالُ في الجوَابِ:

أنَّه خُوطِبَ العربُ بهذا؛ لأنَّ مِنَّةَ اللهِ عَلَيْهِم به أَعْظَمُ مِنْ غيرِهم حيثُ كانَ مِنْهُم، وفي هذا تشريفٌ لَهُم بلا رَيْبٍ.

والاحتمالُ الثَّاني أَوْلَى؛ للعُمومِ، ولقولِهِ: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ} ولَمَّا كانَ المرادُ العربَ قالَ: {مِنْهُمْ} لا {مِنْ أَنْفُسِهِمْ} قال اللهُ -تعالى-: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ}، وقالَ -تعالى- عن إبْراهيمَ وإسْماعِيلَ: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ}.

وعلى هذا فإذا جاءتْ {مِنْ أَنفُسِهِم} فالمرادُ: عُمومُ الأُمَّة، وإذا جاءتْ {مِنهم} فالمرادُ: العربُ، فعلى الاحتمالِ الثَّاني لا إشْكالَ في الآية.

قولُهُ: {رَسُولٌ} أيْ: مِن اللهِ كَمَا قالَ تعالى: {رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً}.

وفَعُولٌ هنا: بمعنى مُفْعَلٍ، أي: مُرْسَلٌ.

و{مِنْ أَنْفُسِكُمْ} سَبَق الكلامُ فيها.

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

(27) قولُهُ: ﴿عَزِيزٌ﴾ أيْ: صَعْبٌ؛ لأنَّ هذه المادَّةَ العينَ والزَّايَ في اللُّغةِ العربيةِ تَدُلُّ على الصَّلابةِ ومِنْهُ: أَرْضٌ عَزازٌ أيْ: صَلْبةٌ قويَّةٌ، والمعنى: أنَّه يَصْعُبُ عَلَيْه ما يَشُقُّ عَلَيْكُم، ولهذا بُعثَ بالحَنيفيَّة السَّمْحَة، وما خُيِّرَ بينَ شيئين إلا اختارَ أَيْسَرَهما ما لم يَكُنْ إثمًا، وهذا مِن التَّيْسيرِ الذي بُعثَ به الرَّسُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ-.

قولُهُ: ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ ما: مصدريَّةٌ، ولَيْسَتْ موصولةً، أي: عَنَتُكُم، أي: مَشَقَّتُكم؛ لأنَّ العَنَتَ بمعنى المَشَقَّة قالَ -تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾أيْ: المَشَقَّةَ، والفعلُ بَعْدَ «ما» يُؤَوَّلُ إلى مَصْدرٍ مَرْفوعٍ، لكنْ بماذا هو مرفوعٌ؟

يَخْتَلفُ باخْتِلاف﴿عَزِيزٌ﴾ إذا قلْنا: بأنَّ ﴿عَزِيزٌ﴾ صفةٌ لرَسولٍ صارَ المَصْدرُ المُؤَوَّلُ فاعلاً به، أي: عزيزٌ عَلَيْه عَنَتُكُم، وإنْ قلْنا: عَزيزٌ خبرٌ مُقَدَّمٌ صار عَنَتُكم مُبْتَدأً، والجُمْلةُ حينَئذٍ تَكونُ كلُّها صفةً لرسولٍ، أو يُقالُ: عَزيزٌ مُبتدأٌ، وعَنَتُكم فاعلٌ سَدَّ مَسَدَّ الخبرِ على رَأْيِ الكُوفيِّين الذي أَشَارَ إليه ابنُ مالكٍ في قوله:

..................وقدْ يَجُوزُ نَحْوُ فائزٌ أُولو الرَّشَدْ

قولُهُ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ الحِرْصُ: بَذْلُ الجُهْدِ لإدراكِ أَمْرٍ مَقْصُودٍ، والمعنى: باذِلٌ غايةَ جُهدِه في مَصْلَحتِكم، فهو جامعٌ بينَ أمرَيْنِ: دَفْعِ المَكْرُوهِ الَّذي أفادَه قولُهُ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾وحُصولِ المَحْبوبِ الَّذي أَفادَه قولُهُ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ فكَانَ النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- جامعًا بينَ هذينِ الوَصْفين، وهذا مِنْ نِعْمةِ اللهِ عَلَيْنا وعلى الرَّسولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- أنْ يكونَ على هذا الخُلُقِ العظيمِ المُمَثَّلِ بقولِه -تعالى-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

قولُهُ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بالمُؤْمنينَ: جارٌّ ومَجْرورٌ خبرٌ مُقَدَّمٌ، ورَؤُوفٌ مُبتدأٌ مُؤَخَّرٌ، ورحيمٌ: مُبتدأٌ ثانٍ، وتَقديمُ الخبرِ يُفيدُ الحَصْرَ.

والرَّأْفةُ: أَشَدُّ الرَّحْمة وأَرَقُّها.

والرَّحْمةُ: رِقَّةٌ بالقلب تَتَضَمَّنُ الحُنُوَّ على المَرْحُومِ، والعَطْفَ عَلَيْه بجَلْبِ الخيرِ لَهُ ودَفْعِ الضَّرَرِ عَنْهُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وقولُنا: رِقَّةٌ في القلبِ، هذا باعتبارِ المَخْلوقِ، أمَّا بالنِّسبةِ للهِ -تعالى- فلا نُفسِّرُها بهذا التَّفسيرِ؛ لأنَّ اللهَ -تعالى- لَيْسَ كمثلِه شيءٌ، ورَحْمةُ اللهِ أعظمُ مِنْ رَحمةِ المخلوقِ لا تُدانيها رحمةُ المخلوقِ ولا تُماثِلُها، فَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- أنَّه قالَ: «**إنَّ للهِ مائةَ رحمةٍ وَضَعَ منها رَحْمَةً واحدةً يَتَراحَمُ بها الخَلْقُ مُنذُ خُلقُوا إلى يَوْمِ القِيامَةِ حَتَّى إنَّ الدَّابَّةَ لَتَرْفَعُ حافِرَها عَنْ وَلَدِها خَشْيَةَ أَنْ تُصيبَهُ**».

فَمَنْ يُحْصي هذه الرَّحمةَ الَّتي في الخَلائقِ مُنْذُ خُلقُوا إلى يومِ القِيامةِ كَمِّيَّةً؟ ومَنْ يَسْتَطيعُ أنْ يُقَدِّرَها كَيْفيَّةً؟ لا أحدَ يَسْتَطيعُ إلا اللهُ -عزَّ وجلَّ- الَّذي خَلَقَها.

فهذه رحمةٌ واحدةٌ، فإذا كانَ يومُ القيامةِ رَحِمَ الخَلْقَ بتسعٍ وتسعينَ رحمةً، بالإضافةِ إلى الرَّحمةِ الأُولَى، وهَلْ هذه الرَّحمةُ تُدانيها رحمةُ المَخْلوقِ؟

الجوابُ: أبدًا لا تُدانيها، والقَدْرُ المُشْتَرَكُ بَيْنَ رحمةِ الخالقِ ورحمةِ المَخْلوقِ أنَّها صفةٌ تَقْتَضي الإحْسانَ إلى المَرْحومِ، ورحمةُ الخالقِ غيرُ مَخْلوقةٍ؛لأنَّها مِنْ صفاتِه، ورحمةُ المخلوقِ مخلوقةٌ؛ لأنَّها مِنْ صِفاتِه، فصفاتُ الخالقِ لا يُمْكِنُ أنْ تَنْفَصِلَ عنه إلى مخلوقٍ؛ لأنَّنا لو قُلْنا بذلكَ لَقُلْنا بحُلولِ صفاتِ الخالقِ بالمخلوقِ، وهذا أمرٌ لا يُمْكِنُ؛لأنَّ صفاتِ الخالقِ يَتَّصِفُ بها وحْدَه، وصفاتِ المخلوقِ يَتَّصِفُ بها وَحْدَه، لكنَّ صِفاتِ الخالقِ لها آثارٌ تَظْهَرُ في المخلوقِ، وهذه الآثارُ هي الرَّحمةُ التي نَتَراحَمُ بها.

قولُهُ: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} أيْ: أنَّ النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- في غيرِ المؤمنين ليس رَؤُوفًا ولا رحيمًا، بَلْ هو شَديدٌ عَلَيْهِم كَمَا وَصَفَهُ اللهُ هو وأصحابَه بذلِكَ في قولِه: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}.

قولُه: {فَإِنْ تَوَلَّوْا} أيْ: أَعْرَضوا مع هذا البَيانِ الواضحِ بوصفِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.

وهذا التفاتٌ مِنَ الخطابِ إلى الغَيْبةِ؛ لأنَّ التَّوَلِّيَ مع هذا البَيانِ مَكْروهٌ، ولهذا لم يُخاطَبوا به فلمْ يَقُلْ: فإنْ تَوَلَّيْتُم والبَلاغيُّون يُسَمُّونَه الْتفاتًا.

ولو قِيلَ: إنّه انْتقالٌ لكانَ أَحْسَنَ.

قولُهُ: {فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ} الخِطابُ للنَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- أيْ: قلْ ذلكَ مُعْتَمِدًا على اللهِ مُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

مُعْتَصِمًا به: حَسْبِيَ اللهُ، وارتباطُ الجوابِ بالشَّرطِ واضحٌ، أيْ: فإنْ أَعْرَضوا فلا يُهِمَّنَّكَ إعراضُهم، بَلْ قُلْ بلسانك وقلبِك: حَسْبِيَ اللهُ، و{حَسْبِيَ} خبرٌ مُقَدَّمٌ و{اللهُ}مبتدأٌ مُؤَخَّرٌ، ويَجوزُ العكسُ بأنْ نَجْعَلَ: {حَسْبِيَ} مُبْتَدأً، ولفظُ الجَلالةِ خَبَرٌ، لكن لَمَّا كانَتْ (حَسْبُ) نَكرةً لا تَتَعَرَّفُ بالإضافةِ كانَ الأَوْلَى أنْ نَجْعَلَها هِيَ الخبرَ.

قولُهُ: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} أي: لا مَعْبودَ حقٌّ حقيقٌ بالعِبادةِ سِوَى اللهِ عزَّ وجلَّ.

قولُهُ: {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} عَلَيْهِ جارٌّ ومجرورٌ مُتعلِّقٌ بـ{تَوَكَّلْتُ}، وقُدِّمَ للحَصْرِ.

والتَّوَكُّلُ هو: الاعتمادُ على اللهِ بجَلْبِ المَنافِعِ، ودَفْعِ المَضارِّ مَعَ الثِّقةِ به، وفعلِ الأسبابِ النَّافعةِ.

وقولُهُ: {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} مَعَ قولِهِ: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} فيها جمعٌ بَيْنَ توحيدَي الرُّبوبيَّةِ والعُبوديَّةِ، واللهُ تعالى يَجْمَعُ بَيْنَ هذين الأمرين كثيرًا.{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، وقَوْلِهِ: {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}.

قولُهُ: {وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} الضَّميرُ يَعودُ على اللهِ -سبحانَهُ-، وربُّ العرشِ أي: خالقُه، وإضافةُ الرُّبوبيَّةِ إلى العَرْشِ، وإنْ كانَتْ رُبوبيَّةُ اللهِ عامَّةً، تَشْريفٌ للعَرْشِ وتعظيمٌ له.

ومناسَبةُ التَّوَكُّلِ لقولِه: {رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}؛ لأنَّ مَنْ كانَ فوقَ كلِّ شيءٍ، ولا شيءَ فوقَه، فإنَّه لا أحدَ يَغْلِبُه، فهو جديرٌ بأن يُتَوَكَّلَ عَلَيْه وحدَه.

وقولُهُ: {الْعَرْشِ} فسَّرَهُ بعضُ النَّاسِ بالكُرْسِيِّ، ثُمَّ فَسَّروا الكُرْسِيَّ بالعِلْمِ، وحينَئذٍ لا يَكونُ هناكَ كُرْسِيٌّ ولا عَرْشٌ، وهذا التَّفسيرُ باطلٌ.

والصَّحيحُ: أنَّ العَرْشَ غيرُ الكُرْسِيِّ، وأنَّ الكُرْسِيَّ غيرُ العلمِ، ولا يَصِحُّ تفسيرُه بالعلمِ، بَلْ الكُرْسِيُّ مِنْ مخلوقاتِ اللهِ العظيمةِ الَّذي وَسِعَ السَّماوَاتِ والأَرْضَ، والعَرْشُ أَعْظَمُ وأعظمُ، ولهذا وَصَفَهُ بأنَّه عظيمٌ بقولِه -تعالى-: {وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} وبأنَّه مجيدٌ بقولِه: {ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ}على قراءةِ كَسْرِ الدَّالِ، وبأنَّه كريمٌ في قولِه: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} لأنَّه أعظمُ المخلوقاتِ الَّتي بلَغَنا علْمُها، وأَعْلاها؛ لأنَّ اللهَ استَوَى عَلَيْه.

وقولُه: {فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ} أي: كافيني، وهكذا يَجبُ أنْ يُعْلِنَ المؤمنُ اعتمادَه على ربِّه، ولا سِيَّما في مثلِ هذا

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

المَقامِ الذي يَتخلَّى النَّاسُ عَنْهُ؛ لأنَّه قالَ: {فَإِن تَوَلَّوْا}.

وهذه الكلمةُ؛ كَلِمةُ الحَسْبِ تُقالُ في الشَّدائد، قالَها **إبراهيمُ** حينَ أُلْقِيَ في النَّارِ، والنَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وأصحابُه حينَ قِيلَ لهم: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}.

(28) قولُهُ: «**لا تَجْعَلُوا**» الجملةُ -هنا- نَهْيٌ، فلا ناهيةٌ، والفعلُ مَجْزومٌ وعلامةُ جَزْمِه حَذْفُ النُّونِ، والواوُ فاعلٌ.

قولُهُ: «**بُيوتَكُم**» جمعُ بيت، وهو: مَقَرُّ الإنسانِ وسَكَنُه، سَواءٌ كانَ مِنْ طِينٍ أو حِجارةٍ أو خَيْمةٍ وما أَشْبَهَ ذلِكَ، وغالِبُ ما يُرادُ به الطِّينُ والحجارةُ.

قولُهُ: «**قُبورًا**» مفعولٌ ثانٍ لتَجْعَلُوا، وهذه الجملةُ اختُلِفَ في معناها، فَمِنْهُم مَنْ قالَ: لا تَجْعَلُوها قبورًا أيْ: لا تَدْفِنُوا فيها، وهذا لا شكَّ أنَّه ظاهرُ اللَّفظ، ولكنْ أُوردُ على ذلكَ دَفْنُ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في بيته، وأُجيبَ عنه بأنَّه مِنْ خَصائصه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-، فالنَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- دُفِنَ في بيته لسبَبَين:

الأول: ما رُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ أنَّه سَمِعَ النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- يَقولُ: «**ما مِنْ نَبِيٍّ يَموتُ إلاّ دُفِنَ حَيْثُ قُبِضَ**» وهذا ضَعَّفَه بعضُ العلماءِ.

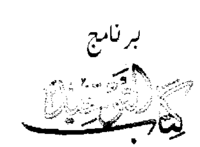
الثاني: ما رَوَتْهُ **عائشةُ** -رَضِيَ اللهُ عنها-: (**أنه خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا**).

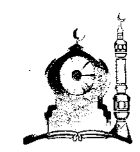
وقالَ **بعضُ العلماءِ**: المرادُ بـ«**لا تَجْعَلُوا بُيوتَكُم قُبورًا**» أي: لا تَجْعَلُوها مِثلَ القبورِ، أيْ: المَقْبرةِ لا تُصَلُّون فيها؛ وذلكَ لأنَّه مِن المُتَقَرِّرِ عِنْدَهم: أنَّ المَقابرَ لا يُصَلَّى فيها، وأيَّدُوا هذا التَّفسيرَ بأنَّه سَبَقَها جملةٌ في بعضِ الطُّرقِ: «**اجْعَلُوا مِنْ صَلاتِكُم في بُيوتِكُمْ، ولا تَجْعَلُوها قُبورًا**» وهذا يَدُلُّ على أنَّ المُرادَ: لا تَدَعُوا الصَّلاةَ فيها).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (**أي: لا تجعلوها خالية من الصلاة فيها والدعاء والقراءة؛ فتكون بمنزلة القبور**) .

وكلا **المَعْنَيَيْنِ صحيحٌ**؛ فلا يَجوزُ أنْ يُدْفَنَ الإنسانُ في بيته، بل يُدْفَنُ مَعَ المسلمين؛ لأنَّ هذه هي العادةُ المُتَّبعةُ مُنْذُ عَهْدِ النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- إلى اليومِ، ولأنَّه إذا دُفِنَ في بيته فإنَّه ربَّما يَكونُ وَسيلةً إلى الشِّرك، فربَّما يُعَظَّمُ هذا المَكانُ، ولأنَّه يُحْرَمُ من دَعَوات المسلمينَ الذين يَدْعُونَ بالمَغْفرة لأمْوات المسلمين عِنْدَ زيارتهم للمقابرِ،

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







ولأنَّه يُضَيِّقُ على الوَرَثَةِ مِنْ بَعْدِه فيَسْأَمُون منه، وربَّما يَسْتَوْحِشُون منه، وإذا باعُوه لا يُساوِي إلاَّ شيئًا قليلاً، ولأنَّه قَدْ يَحْدُثُ عِنْدَه مِن الصَّخَبِ واللَّعِبِ واللَّغْوِ والأفعالِ المُحَرَّمةِ ما يَتَنافَى مع مَقْصودِ الشَّارِعِ، فإنَّ الرَّسولَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- يَقولُ: «زُورُوا القُبورَ فإنَّها تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ».

وأمَّا أنَّ المعنى: لا تَجْعَلُوها قُبُورًا، أي: مِثْلَ القُبورِ في عَدَمِ الصَّلاةِ فيها فهو دَليلٌ على أنَّه يَنْبَغِي -إنْ لم نَقُلْ: يَجِبُ- أنْ يَجْعَلَ الإنسانُ مِنْ صَلاتِه في بيتِه ولا يُخَلِّيَه مِن الصَّلاةِ.

وفيه أيضًا: أنَّه مِن المُتَقَرِّرِ عندَهم أنَّ المَقْبَرةَ لا يُصَلَّى فيها.

إذًا فيكونُ هذا النَّهْيُ عَنْ تَرْكِ الصَّلاةِ في البُيوتِ؛ لئلاَّ تُشْبِهَ المَقابِرَ، فيكونُ فيه دَليلٌ واضحٌ على أنَّ المَقابِرَ لَيْسَتْ مَحَلاًّ للصَّلاةِ، وهذا هو الشَّاهِدُ مِن الحديثِ للبابِ؛ لأنَّ اتِّخاذَ المَقابِرِ مَساجدَ سببٌ قريبٌ جدًّا للشِّرْك.

واتِّخاذُها مَساجدَ سَبَقَ أنَّ له مَرْتَبَتَيْنِ:

الأولى: أن يَبْنِيَ عَلَيْها مَسجدًا.

الثانية: أنْ يَتَّخِذَها مُصَلًّى يَقْصِدُها لِيُصَلِّيَ عندَها.

والحديثُ يَدُلُّ على أنَّ الأَفْضَلَ: أنَّ المرْءَ يَجْعَلُ مِنْ صَلاتِه في بيتِه، وذلكَ جميعُ النَّوافِلِ؛ لقولِه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ-: «أفضَلُ صلاةِ المَرْءِ في بيتِه إلا المَكْتُوبَةَ» إلا ما وَرَدَ الشَّرْعُ أنْ يُفْعَلَ في المسجدِ مثلَ: صلاةِ الكُسُوفِ، وقِيامِ اللَّيْلِ في رَمَضانَ، حتَّى ولو كُنْتَ في المدينةِ النَّبَوِيَّةِ؛ لأنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- قالَ ذلكَ وهو في المدينةِ، وتَكونُ المُضاعَفَةُ بالنِّسبةِ للفَرائِضِ، أوالنَّوافِلِ الَّتِي تُسَنُّ لها الجَماعةُ.

قال ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم): **(فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى، ومن تشبه بهم من هذه الأمة)** .

قولُهُ: «**عيدًا**» **العيدُ**: اسمٌ لما يُعْتادُ فعلُه، أو التَّرَدُّدُ إليه، فإذا اعْتادَ الإنسانُ أنْ يَعْمَلَ عملاً، كَمَا لو كانَ كُلَّما حالَ عَلَيْه الحَوْلُ صَنَعَ طعامًا ودَعَا النَّاسَ، فهذا يُسَمَّى عيدًا؛ لأنَّه جَعَلَهُ يَعُودُ ويَتَكَرَّرُ.

وكذلكَ مِن العيدِ: أنْ تَعْتادَ شيئًا فتَتَرَدَّدَ إليه مثلَ: ما يَفْعَلُ بعضُ الجَهَلَةِ في شَهْرِ رَجَبٍ، وهو ما يُسَمَّى بالزِّيارةِ الرَّجَبِيَّةِ، حيثُ يَذْهَبُونَ مِنْ مَكَّةَ إلى المدينةِ، ويَزُورون كما زَعَمُوا قبرَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- وإذا

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

أَقْبَلُوا على المدينة تَسْمَعُ لهم صياحًا، وكانوا سابقًا يَذْهَبُون مِنْ مَكَّةَ إلى المدينةِ على الحَميرِ خاصَّةً، ولما جاءَت السَّيَّاراتُ صاروا يَذْهَبُون على السَّيَّارات.

وأيُّهما المرادُ مِنْ كلامِ النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ-؟

الأوَّلُ، أيْ: العملُ الَّذي تَكرَّرَ بتكَرُّرِ العام، أو التَّرَدُّدُ إلى المكان؟

الظاهرُ: الثاني، أيْ: لا تَتَرَدَّدُوا على قبري وتَعْتادُوا ذلك، سَواءً قَيَّدُوه بالسَّنة أو بالشَّهْرِ أو بالأسبوعِ فإنَّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- نَهَى عَنْ ذلكَ، وإنما يُزارُ لِسببٍ، كَمَا لو قَدِمَ الإنسانُ مِنْ سَفَرٍ فذَهَبَ إلى قَبرِه فزارَه، أو زارَه لِيَتَذَكَّرَ الآخرةَ كغيرِه مِن القبورِ.

وما يَفْعَلُه بعضُ النَّاسِ في المدينةِ كلَّما صَلَّى الفَجْرَ ذَهَبَ إلى قَبْرِ النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ -مِنْ أجلِ السَّلامِ عَلَيْه، فيَعْتَادُ هذا كلَّ فَجْرٍ، يَظُنُّون أنَّ هذا مثلُ زيارتِه في حَياتِه، فهذا مِن الجَهْلِ، وما عَلِمُوا أنَّهم إذا سَلَّمُوا عَلَيْه في أيِّ مَكانٍ فإنَّ تَسْليمَهُم يَبْلُغهُ.

(**29**) قولُهُ: «**وَصَلُّوا عَلَيَّ**» هذا أمرٌ، أيْ: قولوا: اللهُمَّ صَلِّ على **مُحَمَّدٍ**، وقد أمَرَ اللهُ بذلِكَ في قولِه: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

وفَضْلُ الصَّلاةِ على النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- مَعْروفٌ، ومِنْهُ: (**أنَّ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مَرَّةً واحدةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بها عَشْرًا**).

والصَّلاةُ مِن اللهِ على رسولِه لَيْسَ معناها كَمَا قالَ بعضُ أهلِ العلمِ: إنَّ الصَّلاةَ مِن اللهِ الرَّحمةُ، ومِن الملائكةِ الاسْتِغْفارُ، ومِن الآدَمِيِّين الدُّعاءُ.

فهذا لَيْسَ بصحيحٍ، بَلْ إنَّ صَلاةَ اللهِ على المرءِ ثَناؤُه عَلَيْه في المَلأِ الأعلى، كَمَا قالَ **أبو العاليةِ**، وتَبِعَه على ذلِكَ المُحَقِّقُون مِنْ أهلِ العلمِ، **ويرد عليه أن ثناء الله على العبد في الملأ الأعلى غيب لا يعلم إلا بطريق النقل، وتفسير الصلاة به لم يعرف في القرآن ولا في السنة ولا في كلام الصحابة.**

ويَدُلُّ على بُطْلانِ القَوْلِ الأوَّلِ قولُهُ تعالى: {أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ}. فعطَفَ الرَّحمةَ على الصَّلوات، والأَصْلُ في العطفِ المُغايَرةُ، ولأنَّ الرَّحمةَ تَكونُ لكلِّ أحد، ولهذا أَجْمَعَ العلماءُ على أنه يَجوزُ أن تَقولَ: فلانٌ -رَحِمَه اللهُ-، واختَلَفُوا هل يَجوزُ أن تَقولَ: فُلانٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْه؟.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٣٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

فَمَنْ صَلَّى على **مُحَمَّد** أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِ فِي المَلأ الأَعْلَى عَشْرَ مَرَّات، وهذه نعمةٌ كبيرةٌ.

قولُهُ: «**فَإِنَّ صَلاتَكُم تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**» حيثُ: ظرفٌ مَبْنِيٌّ على الضَّمِّ في مَحَلِّ نَصْبٍ، ويُقالُ فيها: حيثُ، وحَوْثُ، وحاثُ، لكنَّها قليلةٌ.

كيفَ تَبْلُغه الصَّلاةُ عَلَيْه؟

الجوابُ: نقولُ: إذا جاءَ مثلُ هذا النَّصِّ، وهو مِنْ أمورِ الغيبِ، فالواجبُ أَنْ يُقالَ: الكَيْفُ مجهولٌ، لا نَعْلَمُ بأيِّ وَسيلةٍ تَبْلُغُه، لكنْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: «**إِنَّ للهِ مَلائكةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلامَ**» فإنْ صَحَّ فهذهِ هي الكيفيَّةُ.

(**30**) قولُهُ: (**رَواه أَبُو داودَ بإسناد حَسَنٍ، ورُواتُه ثقاتٌ**) هذا التَّعْبيرُ مِن النَّاحية الاصْطلاحية ظاهرُه أنَّ بينَهما اخْتلافًا، ولكنَّنا نَعْرِفُ أنَّ الحَسَنَ: هو أنْ يَكونَ الرَّاوي خَفيفَ الضَّبْط، فمعناه أنَّ فيه نَوْعًا من الثِّقَة، فيُجْمَعُ بينَ كلامِ المؤلِّف -رَحِمَهُ اللهُ- وبينَ ما ذَكَرَهُ عَنْ رواية **أَبِي دَاوُدَ** بإسناد حَسَنٍ: أنَّ المرادَ بالثِّقَة لَيْسَ غايةَ الثِّقَة؛ لأنَّه لو بَلَغَ إلى حَدِّ الثِّقَة الغايةَ لَكانَ صحيحًا؛ لأنَّ ثقةَ الرَّاوي تَعُودُ على تَحَقُّقِ الوصفَيْنِ فيه، وهما: **العَدالةُ والضَّبْطُ**، فإذا خَفَّ الضَّبْطُ خَفَّت الثِّقَةُ، كَمَا إذا خَفَّت العَدالةُ أيضًا تَخِفُّ الثِّقَةُ فيه.

فَيُجْمَعُ بَيْنَهُما على أنَّ المرادَ: مُطْلَقُ الثِّقَة، ولكنَّه لا شكَّ فيما أَرَى أنَّه إذا أَعْقَبَ قولَهُ: (**حَسَنٌ**) بقوله: (**رواتُه ثقاتٌ**) أنَّه أعلى مما لو اقتصرَ على لفظ: (حسن).

(**31**) قولُهُ: (**وعَنْ عليِّ بن الحُسَيْنِ**) هو **عليُّ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عليِّ بن أبي طالبٍ**، يُسَمَّى **بزَيْنِ العابدينَ** مِنْ أَفْضَلِ أهلِ البيتِ عِلْمًا وزُهْدًا وفقْهًا.

والحُسَيْنُ: معروفٌ، ابنُ **فاطمةَ** -رَضِيَ اللهُ عنها-، وأَبُوه: **عليٌّ** -رَضِيَ اللهُ عنه-.

(**32**) قولُهُ: (**يَجِيءُ إلى فُرْجَة**) هذا الرَّجلُ لا شكَّ أنَّه لم يَتَكَرَّرْ مَجيئُه إلى هذه الفُرْجَة إلاَّ لاعْتقاده أنَّ فيها فَضْلاً ومَزِيَّةً، وكونُهُ يَظُنُّ أنَّ الدُّعاءَ عندَ القبرِ له مَزِيَّةٌ فَتْحُ باب ووَسيلةٌ إلى الشِّرْك، بَلْ جميعُ العبادات إذا كانَتْ عِنْدَ القبرِ فلا يَجوزُ أنْ يُعْتَقَدَ أنَّ لها مَزِيَّةً، سَواءٌ كانَتْ صَلاةً أو دُعاءً أو قِراءةً، ولهذا نَقولُ تُكْرَهُ القِراءةُ عِنْدَ القبرِ إذا كانَ الإنسانُ يَعْتَقدُ أنَّ القراءةَ عِنْدَ القبرِ أَفْضَلُ.

قولُه: (**فَنَهَاهُ**) أي: طَلَبَ منه الكَفَّ.

(**33**) قولُه: (**أَلا أُحَدِّثُكُمْ حَديثًا**) قالَ: أُحَدِّثُكم، والرَّجلُ واحدٌ؛ لأنَّ الظاهرَ: أنَّه كانَ عِنْدَ أصحابه

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكه العربيه السعوديه - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

يُحَدِّثُهم، فجاءَ هذا الرَّجلُ إلى الفُرْجَة.

و(**ألا**) أداةُ عَرْضٍ، أيْ: أَعْرِضُ عَلَيْكُم أن أُحَدِّثَكم، وفائدتُها: تَنبيهُ المُخاطَبِ إلى ما يُرِيدُ أنْ يُحَدِّثَه به.

(**34**) قولُه: (**عَنْ أَبِي عَنْ جَدِّي**) أَبوهُ: الحُسَيْنُ، وجَدُّه: عليُّ بنُ أبي طالب.

(**35**) قولُهُ: (**عَنْ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ**) السَّنَدُ مُتَّصِلٌ، وفيه عَنْعَنةٌ، لكنَّها لا تَضُرُّه؛ لأنَّها مِنْ غيرِ مُدَلِّسٍ، فتُحْمَلُ على السَّماعِ.

(**36**) قولُهُ: «**لا تَتَّخذوا قَبْري عيدًا**» يُقالُ فيه كَمَا في الحديثِ السَّابقِ: إنَّه نَهَى أنْ يُتَّخَذَ قبرُه عِيدًا يُعْتادُ ويُتَكَرَّرُ إليه؛ لأنَّه وَسيلةٌ إلى الشِّرك.

(**37**) قولُهُ: «**ولا بُيوتَكُم قُبورًا**» سَبَق مَعْناه.

(**38**) قولُهُ: «**وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ تَسْليمَكُمْ يَبْلُغُني أَيْنَ كُنْتُم**» اللَّفْظُ هكذا، وأَشُكُّ في صِحَّته؛ لأنَّ قولَهُ: «**صَلُّوا عَلَيَّ**» يَقْتَضِي أنْ يُقالَ: فإنَّ صَلاتَكُم تَبْلُغُني إلاَّ أنْ يُقالَ هذا مِنْ باب الطَّيِّ والنَّشْر.

والمعنى: صَلُّوا عَلَيَّ وسَلِّموا، فإنَّ تَسْليمَكم وصَلاتَكُم تَبْلُغُني، وكأنَّه ذَكَرَ الفِعلين والعِلَّتين، لكنْ حَذَفَ مِن الأُولَى ما دَلَّتْ عَلَيْه الثَّانيةُ، ومِن الثانية ما دلَّتْ عَلَيْه الأُولَى.

وقولُهُ: «**وَصَلُّوا عَلَيَّ**» سَبَق معناها، والمرادُ: صَلُّوا عَلَيَّ في أيِّ مكانٍ كُنْتُم، ولا حاجةَ إلى أنْ تَأْتُوا إلى القَبْرِ وتُسَلِّموا عَلَيَّ وتُصَلُّوا عَلَيَّ عِنْدَه.

قولُه: «**يَبْلُغُني**» تَقَدَّمَ كيفَ يَبْلُغُه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ-.

(**39**) قولُهُ: (**رَوَاه في** «المُختارة» الفاعلُ: مُؤَلِّفُ المُخْتارة، و«المُخْتارة»: اسمٌ للكِتابِ، أيْ: الأحاديثُ المختارةُ.

والمؤَلِّفُ هو: الضياء المَقْدِسيُّ مِن الحَنابلة.

(**40**) **فيه مسائلُ:**

الأُولى: (تفسيرُ آيةِ «براءة» وسَبَقَ ذلكَ في أَوَّلِ الباب.

(**41**) **الثانيةُ**: (**إبعادُه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- أُمَّتَه عَنْ هذا الحِمَى غايةَ البُعدِ**) تُؤْخَذُ مِنْ قولِه: «**لا تَجْعَلُوا بُيوتَكُم قُبورًا، ولا تَجْعَلُوا قَبْرِيَ عِيدًا**».

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

(42) **الثالثة:** (**ذِكْرُ حِرْصِه علَيْنا ورأْفَته ورَحْمَته**) وهذا مَذْكورٌ في آية "بَراءةٌ".

(43) **الرَّابعة:** (**نَهْيُه عَنْ زيارةِ قبرِه على وجهٍ مَخْصوصٍ**) تُؤْخَذُ مِنْ قولِه: «**وَلا تَجْعَلُوا قَبْري عِيدًا**»

فقولُهُ: «**عيدًا**» هذا هو الوجهُ المَخْصوصُ.

وزيارةُ قبرِ النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- مِنْ أَفْضَلِ الأعمالِ مِنْ جِنْسِها، فزيارتُه فيها سَلامٌ عَلَيْه، وحَقُّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- أَعْظَمُ مِنْ حقِّ غيرِه.

وأَمَّا مِنْ حيثُ التَّذْكيرُ بالآخرةِ فلا فَرْقَ بينَ قبرِه وقبرِ غيرِه.

(44) **الخامسة:** (**نَهْيُه عَنِ الإكثارِ مِن الزِّيارةِ**) تُؤْخَذُ مِنْ قولِه: «**وَلا تَجْعَلُوا قَبْري عِيدًا**» لكنَّه لا يَلْزَمُ مِنْهُ الإكثارُ؛ لأنَّه قَدْ لا يَأْتي إلاَّ بعدَ سَنَةٍ، ويَكونُ قد اتَّخذَه عيدًا، فإنَّ فيه نوعًا من الإكثار.

(45) **السَّادسة:** (**حَثُّه على النَّافلةِ في البيتِ**) تُؤْخَذُ مِنْ قولِه: «**ولا تَجْعَلُوا بُيوتَكُم قُبورًا**»

وسَبَقَ أنَّ فيها معنيين:

المعنى الأوَّلُ: أنْ لا يُقْبَرَ في البيت، وهو ظاهرُ الجُمْلة.

والثاني: الذي هو مِنْ لازِمِ المعنى أنْ لا تُتْرَكَ الصَّلاةُ فيها.

(46) **السَّابعة:** (**أنَّه مُقَرَّرٌ عِنْدَهُم أنَّه لا يُصَلَّى في المَقْبَرةِ**) تُؤْخَذُ مِنْ قولِه: «**لا تَجْعَلُوا بُيوتَكُم قُبورًا**» لأنَّ المعنى: لا تَجْعَلُوها قُبورًا، أي: لا تَتْرُكُوا الصَّلاةَ فيها على أحدِ الوَجْهَين، فكأنَّه مِن المُتَقرِّرِ عِنْدَهُم أنَّ المَقابرَ لا يُصَلَّى فيها.

(47) **الثَّامنة:** (**تعليلُ ذَلكَ بأنَّ صَلاةَ الرَّجلِ وسَلامَه عَلَيْه يَبْلُغُه، وإنْ بَعُدَ فلا حاجةَ إلى ما يتوَهَّمُه مَنْ أرادَ القُرْبَ**) أي: كَوْنُه نَهى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- أنْ يُجْعَلَ قَبْرُهُ عيدًا، العِلَّةُ في ذلكَ: أنَّ الصَّلاةَ تَبْلُغُه حيثُ كانَ الإنسانُ، فلا حاجةَ إلى أنْ يَأْتِيَ إلى قبرِه، ولهذا نُسَلِّمُ ونُصَلِّي عَلَيْه في أيِّ مكانٍ فيَبْلُغُه السَّلامُ والصَّلاةُ، ولهذا قالَ عليُّ بنُ الحُسَيْنِ: ما أَنْتَ ومَنْ في الأَنْدَلُسِ إلاَّ سَواءٌ.

(48) **التَّاسعة:** (**كَوْنُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- في البَرْزَخِ تُعْرَضُ أعمالُ أُمَّته في الصَّلاة والسَّلام عَلَيْه**) أيْ: فَقَطْ فكلُّ مَنْ صَلَّى عَلَيْه أو سَلَّمَ عُرِضَتْ عَلَيْهِ صَلاتُه وسَلامُه، ويُؤْخَذُ مِنْ قولِه: «**فإنَّ تَسْليمَكُمْ يَبْلُغُني أين كُنْتُم**».

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الرابع والعشرون

(**1**) سببُ مجيءِ **المؤلِّف** بهذا الباب دحض حُجَّة مَنْ يقولُ: إنَّ الشركَ **لا يُمْكِنُ أَنْ يقعَ في هذه الأُمَّة**، وأنكَروا أنْ تكونَ عبادةُ القبورِ والأولياءِ من الشركِ؛ لأنَّ هذه الأمَّةَ معصومةٌ منهُ لقولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**».

والجوابُ: عنْ هذا سبقَ عندَ الكلامِ على المسألةِ الثامنةَ عشرةَ منْ مسائلِ بابِ (**مَنْ تبرَّكَ بشجرٍ أوْ حجرٍ ونحْوِهما**).

قولُهُ: (**أنَّ بعضَ هذه الأُمَّة**) أيْ: لا كُلَّها؛ لأنَّ في هذه الأمَّةِ طائفةً لا تزالُ منصورةً على الحقِّ إلى قيامِ الساعة، لكنَّهُ سيأتي في آخرِ الزمانِ رِيحٌ تَقْبِضُ رُوحَ كلِّ مسلمٍ فلا يَبقى إلاَّ شرارُ الناسِ.

قولُهُ: (**الأوْثانَ**) جمعُ وثَنٍ، هُوَ كلُّ ما عُبِدَ منْ دُونِ اللهِ.

(**2**) قولُه تعالى: {أَلَمْ تَرَ} الاستفهامُ هنا للتقريرِ والتعجُّبِ، والرُّؤْيَةُ بصَرِيَّةٌ، بدليلِ أنَّها عُدِّيَتْ بإلى، وإذا عُدِّيتْ بإلى صارَتْ بمعنى النظرِ.

والخطابُ إمَّا للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أوْ لكلِّ مَنْ يَصِحُّ توجيهُ الخطابِ إليه، أيْ: ألَمْ ترَ أيُّها المُخاطَبُ؟

قولُهُ: {إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا} أيْ: أُعْطُوا، ولم يُعْطَوا كلَّ الكتابِ؛ لأنَّهمْ حُرِمُوا بسببِ معصيتِهِم، فليسَ عنْدَهُم العلمُ الكاملُ بما في الكتابِ.

قولُهُ: {نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ} المُنَزَّلِ، والمُرادُ بالكتابِ التوراةُ والإنجيلُ.

وقدْ ذكَرُوا لذلكَ مثلاً وهوَ **كعبُ بنُ الأشرفِ** حينَ جاءَ إلى مَكَّةَ فاجتمعَ إليه المشركونَ وقالوا: ما تقولُ في هذا الرجلِ، أي: النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، الذي سفَّهَ أحلامَنا ورأى أنَّهُ خيرٌ منَّا؟

فقالَ لَهُمْ: أنْتُم خيرٌ منْ مُحمَّدٍ؛ ولهذا جاءَ في آخرِ الآيةِ: {وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا}.

– قولُهُ: {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} أيْ: يُصَدِّقونَ بهمَا ويُقَرِّرُونَهُمَا ولا يُنْكِرُونَهُمَا، فإذا أقرَّ الإنسانُ هذه

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الأوثانَ فقدْ آمنَ بها.

والجبتُ قيلَ: السحرُ.

وقيلَ: هوَ الصَّنمُ، والأصحُّ أنَّهُ عامٌّ لكلِّ صنمٍ، أوْ سحرٍ، أوْ كهانة، أوْ ما أشْبَهَ ذلكَ.

والطاغوتُ: ما تجاوزَ به العبدُ حدَّهُ مِنْ معبودٍ أوْ مَتبوعٍ أوْ مُطاعٍ، وتقدم شرح هذه الجملة.

ووجهُ المناسبةِ في الآيةِ للبابِ لا يتبيَّنُ إلاَّ بالحديثِ، وهُوَ: «لتركبُنَّ سُنَنَ مَنْ كانَ قبلَكُمْ» فإذا كانَ الذينَ أُوتوا نصيبًا مِن الكتابِ يُؤْمِنُونَ بالجبتِ والطاغوتِ، وأنَّ مِنْ هذه الأمَّة مَنْ يرْتكبُ سُنَنَ مَنْ كانَ قبلَهُ، يلْزَمُ مِنْ هذا أنَّ في هذه الأمَّةِ مَنْ يُؤْمنُ بالجبتِ والطاغوتِ، فتكونُ الآيةُ مطابقةً للترجمة تمامًا.

(**3**) قولُهُ: { قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ } الخطابُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ردًّا على هؤلاءِ اليهودِ الذي اتَّخذُوا دينَ الإسلامِ هُزُوًا ولَعبًا.

وقولُهُ: {أُنَبِّئُكُمْ} أيْ: أُخبرُكُم.

والاستفهامُ هنا للتقريرِ والتشويقِ، أيْ: سأُقرِّرُ علَيْكُم هذا الخبرَ.

قولُهُ: { بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ} شرٌّ هنا اسمُ تفضيلٍ، وأصلُها أشرُّ، لكنْ حُذفَت الهمزةُ تخفيفًا لكثرةِ الاستعمالِ، ومثلُها كلمةُ خيرٍ مُخَفَّفَةٌ مِنْ أخْيَرَ، والناسُ مُخَفَّفةٌ مِن الأُناسِ، وكذا كلمةُ اللهِ مُخَفَّفةٌ مِن الإلهِ.

وقولُهُ: {ذَلِكَ} المشارُ إليهِ ما كانَ عليهِ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابُهُ، فإنَّ اليهودَ يزعمونَ أنَّهم هُم الذينَ على الحقِّ، وأنَّهُم خيرٌ من الرسولِ صلَّى اللهُ عليه وآلِهِ وسلَّمَ وأصحابِه، وأنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابَهُ ليْسُوا على الحقِّ، فقالَ اللهُ تعالى: { قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ }.

والمثوبةُ: مِنْ ثابَ يثُوبُ، إذا رجعَ، ويُطلقُ على الجزاءِ، أيْ: بشرٍّ مِنْ ذلكَ جزاءً عندَ اللهِ.

قولُهُ: {عِنْدَ اللَّهِ} أيْ: في علمهِ وجزائه عقوبةً أوْ ثوابًا.

(**4**) قولُهُ: { مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ } مَن: اسمُ موصولٍ خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، تقديرُهُ: هوَ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ؛ لأنَّ الاستفهامَ انتهى عندَ قولِهِ: { مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ }.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

- وجوابُ الاستفهامِ: { مَنْ لَعَنَهُ اللهُ }.

ولعَنَهُ: أيْ: طرَدَهُ وأبْعَدَهُ عَنْ رحمته.

قولُهُ: { وَغَضِبَ عَلَيْهِ } أيْ: أحلَّ عليه غَضَبَهُ.

والغضبُ: صفةٌ مِنْ صفاتِ اللهِ الحقيقيَّةِ تقتضِي الانتقامَ مِن المغضوبِ عَلَيْهِ، ولا يصِحُّ تحريفُهُ إلى معنى الانتقامِ، وقدْ سَبَقَ الكلامُ عليه.

والقاعدةُ العامَّةُ عندَ أهلِ السُّنَّةِ :

أنَّ آياتِ الصفاتِ وأحاديثَها تجْرِي على ظاهِرِها اللائقِ باللهِ عزَّ وجلَّ، فلا تُجْعَلُ مِنْ جنسِ صفاتِ المخلوقينَ، ولا تُحرَّفُ فَتُنْفَى عَن اللهِ، فلا نَغْلُو في الإثباتِ ولا في النفْيِ.

قولُهُ: { وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ } القِرَدَةُ: جمعُ قِرْدٍ، وهوَ حيوانٌ معروفٌ أقْرَبُ ما يكونُ شبهًا بالإنسانِ.

والخنازيرُ: جمعُ خنزيرٍ، وهوَ ذلكَ الحيوانُ الخبيثُ المعروفُ الذي وصَفَهُ اللهُ بأنَّهُ رِجْسٌ.

والإشارةُ هنا إلى اليهودِ، فإنَّهم لُعنُوا كَمَا قالَ تعالى: { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ } الآيةَ.

- وجُعِلُوا قردةً بقولِهِ تعالى: { كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ }.

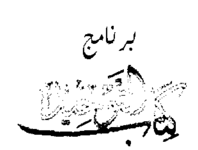
- وغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم بقولِهِ: { فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ }.

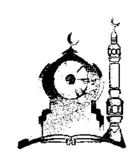
- قولُهُ: { وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ } فيها قراءتَانِ في {عَبَدَ} وفي {الطاغوتَ}.

الأولى: بضمِّ الباءِ {عَبُدَ} وعليها تُكْسَرُ التاءُ في الطاغوتِ؛ لأنَّهُ مجرورٌ بالإضافةِ.

الثانيةُ: بفتحِ الباءِ {عَبَدَ} على أنَّهُ فعلٌ ماضٍ معطوفٌ على قولِهِ: {لَعَنَهُ اللهُ} صلةُ الموصولِ، أيْ: ومَنْ عَبَدَ الطاغوتَ، ولَمْ يُعِدْ {مَنْ} معَ طُولِ الفصلِ؛ لأنَّ هذا ينْطَبِقُ على موصوفٍ واحدٍ، فلوْ أُعيدَتْ {مَنْ} لأَوْهَمَ أنَّهُم جماعةٌ آخرونَ، وهُم جماعةٌ واحدةٌ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







فعلى هذهِ القراءةِ يكونُ {عَبَدَ} فعلاً ماضيًا، والفاعلُ ضميرٌ مستترٌ جوازًا تقديرُهُ هوَ، يعودُ على {مَنْ} في قولِهِ: { مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ } و{الطَّاغُوتَ} بفتحِ التاءِ مفعولٌ بهِ.

وبهذا نعرفُ اختلافَ الفاعلِ في صلةِ الموصولِ وما عُطِفَ عليهِ؛ لأنَّ الفاعلَ في صلةِ الموصولِ هوَ {اللَّهُ} والفاعلَ في {عَبَدَ} يعودُ على مَنْ، وعلى كلِّ حالٍ فالمرادُ بها عابدُ الطاغوت.

فالفرقُ بينَ القراءتينِ بالباءِ فَقَطْ، فعلى قراءةِ الفعلِ مفتوحةٌ، وعلى قراءةِ الاسمِ مضمومةٌ.

والطاغوتُ على قراءةِ الفعلِ في {عَبَدَ} تكونُ مفتوحةً {عَبَدَ الطَّاغُوتَ}، وعلى قراءةِ الاسمِ تكونُ مكسورةً بالإضافةِ {عَبُدَ الطَّاغُوتِ}.

وذُكِرَ في تركيبِ {عَبَدَ} معَ {الطاغوتَ} أربعٌ وعشرونَ قراءةً، ولكنَّها قِراءاتٌ شاذَّةٌ غيرَ القراءتينِ السَّبْعِيَّتَيْنِ؛ {عَبَدَ} و{عَبُدَ}.

قال شيخ الإسلام – كما في (الفتاوى) (455/14) –: **(قوله: {وعبد الطاغوت} الصواب عطفه على قوله {من لعنه الله} فعل ماض معطوف على ما قبله من الأفعال الماضية.**

لكن المتقدمة ـ أي الأفعال ـ الفاعل الله مظهراً أو مضمرا، وهذا الفعل اسم من عبد الطاغوت وهو الضمير في عبد، ولم يعد حرف {من} لأن هذه الأفعال لصنف واحد وهم اليهود).

(5) قولُهُ تعالى: { قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا }.

هذهِ الآيةُ في سياقِ قصَّةِ أصحابِ الكهفِ، وقصتُّهُمْ عجيبةٌ كَمَا قالَ اللهُ تعالى: { أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا }.

وهُم فتيةٌ آمنوا باللهِ وكانوا في بلادِ شركٍ فخرَجُوا مِنها إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، فيَسَّرَ اللهُ لهم غَارًا فدخلوا فيهِ وناموا نومةً طويلةً بلَغَتْ { ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا }، وهُمْ نائمونَ لا يحتاجونَ إلى أَكْلٍ وشُرْبٍ، ومِنْ حكمةِ اللهِ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

أنَّ اللهَ يُقلِّبُهُم ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالِ حتَّى لا يَتَرَسَّبَ الدمُ في أحدِ الجانبيْنِ، ولَمَّا خرجوا بعَثوا بأحدهم إلى المدينةِ ليشتريَ لَهُم طعامًا، وآخرُ الأمرِ أنَّ أهلَ المدينةِ اطَّلَعُوا على أمْرِهم، وقالُوا: لا بُدَّ أنْ نبْنِيَ على قُبُورِهم مسجدًا.

وقولُهُ: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ المرادُ بِهم الحُكَّامُ في ذلِكَ الوقتِ، قالوا مُقْسِمِينَ مؤَكِّدِينَ: لَنَتَّخِذَنَّ عليهِمْ مسْجِدًا.

وبناءُ المساجدِ على القبورِ مِنْ وسائلِ الشركِ كما سَبَقَ.

(6) قولُهُ: «**لَتَتَّبِعُنَّ**» اللامُ مُوطِّئَةٌ للقسمِ، والنونُ للتوكيدِ، فالكلامُ مُؤَكَّدٌ بثلاثِ مُؤَكِّدَاتٍ:

- **القسمُ المُقَدَّرُ.**
- **واللامُ.**
- **والنونُ.**

والتقديرُ: واللهِ لَتَتَّبِعُنَّ.

قولُهُ: «**سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» فيها رِوَايَتَانِ: «سُنَنَ» و«سَنَنَ».

أمَّا «سُنَنَ» بضَمِّ السينِ جمعُ سُنَّةٍ وهيَ الطريقةُ.

وأمَّا «سَنَنَ» بالفتحِ، فهيَ مُفْرَدٌ بمعنى الطريقِ.

وفَعَلٌ تأْتِي مفردةً، مثلَ فَنَنٍ جمعُها أفنانٌ، وسببٍ جمعُها أسبابٌ.

وقولُهُ: «**مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» أيْ: من الأُمَمِ.

وقوْلُهُ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» لَيْسَ على ظاهِرِه، بَلْ هوَ عامٌّ مخصوصٌ؛ لأنَّنا لوْ أخَذْنا بظاهِرِه كانَتْ جميعُ هذهِ الأمَّةِ تَتَّبِعُ سُنَنَ مَنْ كانَ قبلَها، لكنَّنا نقولُ: إنَّهُ عامٌّ مخصوصٌ؛ لأنَّ في هذهِ الأُمَّةِ مَنْ لا يَتَّبِعُ تلكَ السننَ، كما أخبرَ النبيُّ صلَّى اللهُ علَيْه وسلَّمَ؛ لأنَّهُ لا تزالُ طائفةٌ منْ هذه الأُمَّةِ على الحقِّ.

وقَدْ يُقالُ: إنَّ الحديثَ على عُمُومِه، وإنَّهُ لا يلْزَمُ أنْ تَتَّبِعَ هذهِ الأُمَّةُ الأممَ السابقةَ في جميعِ سُنَنِها، بَلْ منها مَنْ يَتْبَعُها في شيءٍ، وبعضُ الأُمَّةِ يتبعُها في شيءٍ آخرَ، وحينئذٍ لا يقتضي خروجَ هذهِ الأمَّةِ مِن الإسلامِ، وهذا أوْلَى لبقاءِ الحديثِ على عُمُومِهِ، ومِن المعلومِ أنَّ مِنْ طُرُقِ مَنْ كانَ قبلَنا ما لا يُخرِجُ مِن المِلَّةِ، مثلَ: أكْلِ الرِّبا والحسدِ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

والبغيِ والكذبِ، ومنهُ ما يُخرِجُ مِن الملّةِ، كعبادةِ الأوثانِ.

والسننُ: هيَ الطَّرائقُ، وهيَ متنوِّعةٌ، منها ما هوَ اعتداءٌ على حقِّ الخالقِ، ومنها ما هوَ اعتداءٌ على حقٍّ لمخلوقٍ، ولْنَستَعْرِضْ شيئًا مِنْ هذه السُّنَنِ:

فمِنْ هذهِ السننِ: عبادةُ القبورِ والصالحينَ، فإنَّها موجودةٌ في الأممِ السابقةِ، وقدْ وُجِدَتْ في هذهِ الأمَّةِ، قالَ تعالى عَنْ قومِ نوحٍ: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾.

ومِنْ ذلكَ الغُلُوُّ في الصالحينَ: كَمَا وُجِدَ في الأممِ السابقةِ وُجِدَ في هذهِ الأمَّةِ، ومنها دُعَاءُ غيرِ اللهِ، وقَدْ وُجِدَ في هذهِ الأمَّةِ.

ومِنْها: بناءُ المساجدِ على القبورِ موجودٌ في السابقينَ، وقدْ وُجِدَ في هذهِ الأمَّةِ.

ومنها: وصفُ اللهِ بالنقائصِ والعُيُوبِ، فَقَدْ قالت اليهودُ: ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾، وقالوا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ وقالوا: إنَّ اللهَ تَعِبَ مِنْ خلْقِ السماواتِ والأرضِ.

وقدْ وُجِدَ في هذهِ الأمَّةِ مَنْ قالَ بذلكَ أوْ أشدَّ منهُ، فَقَدْ وُجِدَ مَنْ قالَ: لَيْسَ لهُ يدٌ، ومِنْهُمْ مَنْ قالَ: لا يستطيعُ أنْ يفعلَ ما يُريدُ، فلمْ يستَوِ على العرشِ، ولا ينزلُ إلى السماءِ الدنيا ولا يتكلَّمُ، بَلْ وُجِدَ في هذهِ الأمَّةِ مَنْ يقولُ: بأنَّهُ لَيْسَ داخلاً في العالمِ، ولَيْسَ خارجًا عَنْهُ، ولا مُتَّصلاً به، ولا مُنْفَصلاً عنهُ، فوصفوهُ بما لا يُمْكِنُ وُجودُه.

ومنهم مَنْ قالَ: لا تجوزُ الإشارةُ الحسِّيَّةُ إليهِ، ولا يفعلُ، ولا يغْضَبُ، ولا يرْضَى، ولا يُحبُّ، وهذا مذهبُ الأشاعرةِ.

ومنها: أكْلُ السُّحتِ، فَقَدْ وُجِدَ في الأممِ السابقةِ وَوُجِدَ في هذهِ الأمَّةِ.

ومنها: أكْلُ الرِّبا، فَقَدْ وُجِدَ في الأممِ السابقةِ ووُجِدَ في هذهِ الأمَّةِ.

ومنها: التَّحايُلُ على محارمِ اللهِ، فَقَدْ وُجِدَ في الأممِ السابقةِ ووُجِدَ في هذهِ الأمَّةِ.

ومنها: إقامةُ الحدودِ على الضعفاءِ ورفعُها عَن الشرفاءِ، فقدْ وُجِدَ في الأممِ السابقةِ ووُجِدَ في هذهِ الأمَّةِ.

ومِنْها: تحريفُ كلامِ اللهِ عَنْ مواضعهِ لفظًا ومعْنًى، كاليهودِ حينَ قيلَ لهُم: ﴿ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾، فدَخَلُوا على قَفاهُمْ وقالوا: حنْطَةٌ، ولم يقولوا: حطَّةٌ.

ووُجِدَ في هذهِ الأمَّةِ مَنْ فعلَ كذلكَ، فحرَّفَ لفظَ الاستواءِ إلى الاستيلاءِ، قالَ تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

اسْتَوَى﴾ وقالوا هُم: الرحمنُ على العرشِ اسْتَوْلَى.

فإذا تأمَّلْتَ كلامَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وجدْتَهُ مُطَابِقًا للواقعِ «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» ولكنْ يبقى النظرُ هَلْ هذا الحديثُ للتحذيرِ أوْ للإقرارِ؟

الجوابُ: لا شكَّ أنَّهُ للتحذيرِ ولَيْسَ للإقرارِ، فلا يقولُ أحدٌ: سأَحْسُدُ وسآكُلُ الرِّبا، وسأعتدي على الخلْقِ؛ لأنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ ذلكَ، فَمَنْ قالَ ذلكَ فإنَّنا نقولُ لهُ: أخْطَأْتَ؛ لأنَّ قولَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا شكَّ أنَّهُ للتحذيرِ، ولهذا **قالَ الصحابةُ: اليهودُ والنصارى؟**

قالَ: فَمَنْ؟

ثُمَّ نقولُ لهمْ أيضًا: إنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أخبرَ بأشياءَ ستَقَعُ، ومَعَ ذلكَ أخبرَ بأنَّها حرامٌ بنصِّ القرآنِ.

فمِنْ ذلكَ أنَّهُ أخبرَ أنَّ الرجلَ يُكْرِمُ زوجتَهُ ويَعُقُّ أُمَّهُ، وأخبرَ أنَّ الإنسانَ يعْصِي أباهُ ويُدْنِي صديقَهُ، وهذا لَيْسَ بجائزٍ بنصِّ القرآنِ، لكنْ قصدَ التحذيرَ مِنْ هذا العملِ.

وَوُجِدَ في الأممِ السابقةِ مَنْ يقولُ للمؤمنينَ: إنَّ هؤلاءِ لضالُّونَ، وَوُجِدَ في هذه الأمَّةِ مَنْ يقولُ: هؤلاءِ رَجْعِيُّونَ.

فالمعاصِي لها أصلٌ في الأممِ على حَسَبِ ما سَبَقَ، ولكنْ مَنْ وفَّقَهُ اللهُ للهدايةِ اهتدى.

والحاصلُ: أنَّكَ لا تكادُ تجدُ معصيةً في هذه الأمَّةِ إلاَّ وَجَدْتَ لها أصلاً في الأممِ السابقةِ، ولا تجدُ معصيةً في الأممِ السابقةِ إلاَّ وَجَدْتَ لها وارثًا في هذه الأمَّةِ.

أمَّا مناسبةُ الحديثِ للبابِ:

فلأنَّهُ لَمَّا عَبَدَتِ الأممُ السابقةُ الأصنامَ والأوثانَ، فسيكونُ في هذه الأمَّةِ مَنْ يعْبُدُ الأصنامَ والأوثانَ.

(7) قولُهُ: «**حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ**» حَذْوَ بمعنى محاذيًا، وهيَ منصوبةٌ على الحالِ مِنْ فاعلِ «**تَتَّبِعُنَّ**» أيْ: حالَ كونِكُم مُحَاذِينَ لهم حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ.

والقُذَّةُ: هيَ ريشةُ السهمِ، والسهمُ لهُ رِيَشٌ لا بُدَّ أنْ تكونَ متساويةً تمامًا، وإلاَّ صارَ الرَّمْيُ بهِ مُخْتَلًّا.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

(**8**) قولُهُ: «**حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**» هذه الجملةُ تأكيدٌ منْهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للمُتَابَعَة.

وجُحْرُ الضبِّ مِنْ أصغرِ الجحور، ولوْ دخلُوا جُحْرَ أسدٍ مِنْ بابِ أَوْلى أنْ نَدْخُلَهُ، فالنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ ذلكَ على سبيلِ المبالغةِ، كقولهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**» ومَنِ اقْتَطَعَ ذراعًا فَمِنْ بابِ أَوْلَى.

(**9**) قولُهُ: (**قالُوا: اليهودُ والنَّصَارى؟**) يجوزُ فيها وجهان:

الأولُ: نصبُ اليهودِ والنصارى على أَنَّهُ مفعولٌ لفعلٍ محذوفٍ ، تقديرُهُ: أتعني اليهودَ والنصارى؟

الثاني: الرفعُ على أَنَّهُ خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ تقديرُهُ: أهُم اليهودُ والنصارى؟ وعلى كلِّ تقديرٍ فالجملةُ إنشائيَّةٌ؛ لأنَّهمْ يسألونَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فهيَ استفهاميَّةٌ، والاستفهامُ مِنْ بابِ الإنشاء.

واليهودُ: أتباعُ موسى عليهِ السلامُ، وسُمُّوا يهودًا نسبةً إلى يَهُوذَا مِنْ أحفادِ إسحاقَ؛ أوْ لأنَّهم هادوا إلى اللهِ، أيْ: رجعُوا إليهِ بالتوبةِ مِنْ عبادةِ العجْلِ.

والنصارى: همْ أتباعُ عيسى عليهِ الصلاةُ والسلامُ، وسُمُّوا بذلكَ نسبةً إلى بَلْدَةٍ تُسمَّى النَّاصِرَةَ.

وقيلَ: مِن النُّصْرةِ، كَمَا قالَ تعالى: **{ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ }**.

(**10**) قولُهُ: (**قالَ:** «**فَمَنْ؟**») مَنْ هُنا اسمُ استفهامٍ، والمرادُ بهِ التقريرُ، أيْ: فَمَنْ أعني غيرَ هؤلاءِ، أوْ فمَنْ هُم غيرُ هؤلاءِ؟

فالصحابةُ رَضِيَ اللهُ عنهم لَمَّا حدَّثَهُم صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بهذا الحديثِ كأنَّهُ حصَلَ في نفوسِهِم بعضُ الغرابةِ، فلَمَّا سأَلُوا قرَّرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهم اليهودُ والنصارى.

مسألةٌ: ما هيَ الحكمةُ مِن ابتلاءِ الأمَّةِ بهذا الأمرِ «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ» إلخ، وأنْ يكونَ فيها مِنْ كلِّ مساوئِ مَنْ سبقَها؟

الجوابُ: الحكمةُ لِيتبيَّنَ بذلكَ كمالُ الدينِ، فإنَّ الدينَ يُعَارِضُ كلَّ هذهِ الأخلاقِ، فإذا كانَ يُعارضُها دلَّ هذا على أنَّ كلَّ نقصٍ في الأممِ السابقةِ فإنَّ هذهِ الشريعةَ جاءتْ بتكميلِهِ؛ لأنَّ الأشياءَ لا تتبيَّنُ إلاَّ بضدِّها كَمَا قيلَ: وبضدِّها تتبيَّنُ الأشياءُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

تنبيهٌ:

قولُهُ: «**حذو القذة بالقذة**» فلمْ أجدْهُ في مَظَانِّه في (الصحيحيْن)، فليُحَرَّرْ.

(**11**) قولُهُ: «**زَوى لِيَ**» بمعنى: جمعَ وضمَّ، أيْ: جمعَ لهُ الأرضَ وضمَّها.

قولُهُ: «**فرَأَيْتُ**» أيْ: بعيْنَيَّ، فهيَ رؤيةٌ عينيَّةٌ.

قولُهُ: «**مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا**» وهذا لَيْسَ على اللهِ بعزيزٍ؛ لأنَّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، فَمِنْ قُدْرَتِه أنْ يجمعَ الأرضَ حتَّى يُشَاهِدَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ما سيبلغُ مُلكُ أمَّتِه.

وهل المرادُ هنا بالزَّوْي أنَّ الأرضَ جُمعَتْ، أوْ أنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قَوِيَ نظرُهُ حتَّى رأى البعيدَ؟

الأقربُ إلى ظاهرِ اللفظِ أنَّ الأرضَ جُمعَتْ، لا أنَّ بصرَهُ قَوِيَ حتَّى رأى البعيدَ.

وقالَ بعضُ العلماءِ: (**المرادُ قوَّةُ بصرِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، أيْ: أنَّ اللهَ أعطاهُ قوَّةَ بصرٍ حتَّى أبصرَ مشارقَ الأرضِ ومغاربِها، لكنَّ الأقربَ الأوَّلُ**).

ونحنُ إذا أردْنَا تقريبَ هذا الأمرِ نجدُ أنَّ صورةَ الكرةِ الأرضيَّةِ الآنَ مجموعةٌ يُشَاهِدُ الإنسانُ فيها مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، فاللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، فهوَ قادرٌ على أنْ يجْمَعَ لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الأرضَ حتَّى تكونَ صغيرةً فيُدْرِكَها مِنْ مشارقِها إلى مغاربِها.

اعتراضٌ وجوابُهُ:

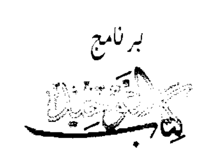
فإنْ قيلَ: هذا إنْ حُمِلَ على الواقعِ فَلَيْسَ بموافقٍ للواقعِ؛ لأنَّهُ لوْ حُصِرَتِ الأرضُ بحيثُ يُدْرِكُهَا بصرُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المُجَرَّدُ، فأينَ يذهبُ الناسُ والبحارُ والجبالُ والصَّحَارِي؟

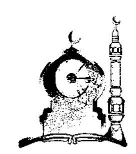
والجوابُ: بأنَّ هذا من الأمورِ الغيبيَّةِ التي لا يجوزُ أنْ تُورَدَ عليها كَيْفَ وَ لِمَ؟

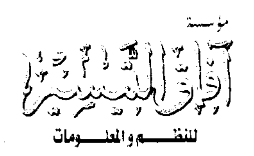
بَلْ نقولُ: إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ؛ إذْ قوَّةُ اللهِ سبحانَهُ أعظمُ مِنْ قُوَّتِنا وأعظمُ مِنْ أنْ نُحيطَ بها، ولهذا أخبرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّ الشيطانَ يجْرِي مِن ابنِ آدمَ مجرى الدَّمِ، فلا يجوزُ أنْ نقولَ: كيفَ يجْرِي مجرى الدمِ؟ فاللهُ أعلمُ بذلكَ.

وهذه المسائلُ التي لا نُدْرِكُها يجبُ التسليمُ المَحْضُ لها، ولهذا نقولُ في بابِ الأسماءِ والصفاتِ: تُجرَى على ظاهرِها معَ التنزيهِ عَنِ التكييفِ والتمثيلِ، وهذا ما اتَّفقَ عليه أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







وقولُهُ: «**فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا**» أيْ: أماكنَ الشَّرْقِ والغَرْبِ منْها.

(12) قولُهُ: «**وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**» والمرادُ: أُمَّةُ الإجابة التي آمنَتْ بالرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، سيبلغُ ملكُها ما زُوِيَ للرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ منها، وهذا هوَ الواقعُ، فإنَّ مُلْكَ هذه الأمَّة اتَّسَعَ من المشرقِ ومن المغربِ اتِّسَاعًا بالغًا، لكنَّهُ من الشمالِ والجنوبِ أقلُّ بكثيرٍ، والأمَّةُ الإسلاميَّةُ وصَلَتْ من المشرقِ إلى السِّندِ والهندِ وما وراءَ ذلكَ، ومن المغربِ إلى ما وراءِ المحيطِ، وهذا يُحقِّقُ رُؤْيَا النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

(13) قولُهُ: «**وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ والأَبْيَضَ**» الذي أعطاهُ هُوَ اللهُ.

والكَنْزَانِ: هما الذهبُ والفضَّةُ كنوزُ **كسْرَى وقَيْصَرَ**.

فالذهبُ عندَ **قيصرَ**، والفضَّةُ عنْدَ **كسْرَى**، وكلٌّ منْهُما عندَهُ ذهبٌ وفضَّةٌ، لكن الأغلبُ على كنوزِ **قيصرَ** الذهبُ، وعلى كنوزِ كسرى الفضَّةُ.

وقولُهُ: «**وَأُعْطِيتُ**» هَلْ هُوَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أُعطيَهَا في حياتِه أمْ بعدَ موتِه؟

الجوابُ: **بعدَ موْته أُعطيَتْ أُمَّتُهُ ذلكَ**، لكنْ ما أُعْطِيَتْ أُمَّتُهُ فهو كالمُعْطَى لهُ؛ لأنَّهُ امتدادُ مُلْكِ الأمَّة، لا لأنَّها أُمَّةٌ عربيَّةٌ كمَا يقولُهُ الجُهَّالُ، بَلْ لأنَّها أمَّةٌ إسلاميَّةٌ أخذَتْ بما كانَ عليهِ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

(14) قولُهُ: «**وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ**» هكذا في الأصلِ «**بعَامَّةٍ**» والمعنى بمَهْلَكَةٍ عامَّةٍ، وفي روايةٍ في بعضِ النُّسَخِ: «**بِسَنَةٍ عَامَّةٍ**».

والسَّنَةُ: الجَدْبُ والقحطُ، وهو يُهلكُ ويُدمِّرُ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**اللهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ**» وقالَ تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ** ﴾ ويُحْتَمَلُ أنْ يكونَ المعنى بعامٍ واحدٍ، فتكونُ الباءُ للظرفيَّةِ، وعَامَّة: أيْ: عُمُومًا تعمُّهُمْ، هذه دعْوَةٌ.

(15) قولُهُ: «**وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ**» أيْ: لا يُسلِّطَ عليْهم عدوًّا، والعَدُوُّ: ضدُّ الوَليِّ، وهوَ: المُعَادي المُبْغضُ الحاقدُ، وأعداءُ المسلمينَ هنا هم الكفَّارُ، ولهذا قالَ: «**مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ**».

ومعنى «**يَسْتَبِيحَ**» يستحلَّ، والبيضةُ: **ما يُجْعَلُ على الرأسِ وقايةً من السِّهامِ**، والمرادُ: يظْهَرُ عليهم ويغلِبُهم.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٣٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

(16) قولُهُ: «إذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ» اعلمْ أنَّ قضاءَ اللهِ نوعانِ:

1- قضاءٌ شرعيٌّ قدْ يُرَدُّ، فقدْ يُريدُهُ اللهُ ولا يقْبَلُونَهُ.

2- قضاءٌ كونيٌّ لا يُردُّ ولا بُدَّ أنْ يَنْفُذَ.

وكلا القضائَيْنِ قضاءٌ بالحقِّ، وقدْ جَمَعَهُما قولُهُ تعالى: { وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ }.

ومثالُ القضاءِ الشرعيِّ قولُهُ تعالى: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } لأنَّهُ لوْ كانَ كونيًّا لكانَ كلُّ الناسِ لا يعبدونَ إلاَّ اللهَ.

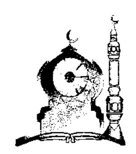
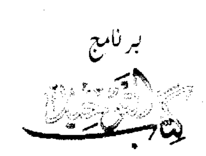
ومثالُ القضاءِ الكونيِّ قولُهُ تعالى: { وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا } لأنَّ اللهَ تعالى لا يقْضِي شرعًا بالفسادِ، لكنَّهُ يقضِي به كونًا وإنْ كانَ يكرهُهُ سبحانَهُ، فإنَّ اللهَ لا يُحبُّ الفسادَ ولا المفسدينَ، لكنَّهُ يقضِي بذلِكَ لحكمةٍ بالغةٍ، كَمَا قسَّمَ خلْقَهُ إلى مؤمنٍ وكافرٍ، لِمَا يترتَّبُ على ذلكَ مِن المصالِحِ العظيمةِ.

والمرادُ بالقضاءِ في هذا الحديثِ القضاءُ الكونيُّ، فلا أحدَ يستطيعُ ردَّهُ مهما كانَ من الكُفْرِ والفسوقِ، فقضاءُ اللهِ نافذٌ على أكبرِ الناسِ عُتُوًّا واستكبارًا، فَقَدْ نَفَذَ على فرعونَ وأُغرقَ بالماءِ الذي كانَ يفْتَخِرُ به، وعلى طواغيتِ بني آدمَ فأهلكَهُم اللهُ ودمَّرَهُم.

وفي قولِهِ: «إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ» مِنْ كمالِ سُلطانِ اللهِ وقُدْرَتِهِ وربُوبيَّتِهِ ما هوَ ظاهرٌ؛ لأنَّهُ ما مِنْ مَلِكٍ سوى اللهِ إلاَّ يُمْكِنُ أنْ يُردَّ ما قضى به، أمَّا قضاءُ اللهِ فلا يُمْكِنُ ردُّهُ.

واعلمْ أنَّ قضاءَ اللهِ الكونيَّ كمشيئتِهِ لا يكونُ إلاَّ لحكمةٍ، كقضائِهِ الشرعيِّ فهوَ لا يقضِي قضاءً إلاَّ والحكمةُ تقتضيهِ، كَمَا لا يشاءُ شيئًا إلاَّ والحكمةُ تقتضيهِ، ويدلُّ عليهِ قولُهُ تعالى: { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } فيتبينُ أنَّهُ لا يشاءُ شيئًا إلاَّ عَنْ عِلْمٍ وحكمةٍ، ولَيْسَ لمُجَرَّدِ المشيئةِ، خلافًا لِمَنْ أنكرَ حكمةَ اللهِ مِن الجهْميَّةِ وغيرِهم، فقالوا: إنَّهُ لا يفعلُ الأشياءَ إلاَّ لمجرَّدِ المشيئةِ، فجعلوا على زعمِهِم المخلوقينَ أكْمَلَ تصرُّفًا من اللهِ؛ لأنَّ كلَّ عاقلٍ مِن المخلوقينَ لا يتصرَّفُ إلاَّ لحكمةٍ، ولهذا كانَ الذي يتصرَّفُ بسفهٍ يُحْجَرُ عليه، قالَ تعالى: { وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا }.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

فنحنُ نقولُ: إنَّ اللهَ جلَّ وعلا لا يفعلُ شيئًا ولا يحكمُ بشيءٍ إلاَّ لحكمةٍ، ولكنْ هَلْ يلْزَمُ من الحكمةِ أنْ نُحيطَ بها علْمًا؟

الجوابُ: لا يلْزَمُ؛ لأنَّنا أقصرُ منْ أنْ نُحيطَ علْمًا بحكَمِ اللهِ كُلِّها عزَّ وجلَّ، صحيحٌ أنَّ **بعضَ** الأشياءِ نَعْرِفُ حكمَتَها، لكنَّ بعضَ الأشياءِ تعْجَزُ العقولُ عنْ إدراكها.

والمقصودُ منْ قولِه: «**إذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإنَّهُ لاَ يُرَدُّ**» بيانُ أنَّ من الأشياءِ التي سألَها النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما لمْ يُعْطَهَا؛ لأنَّ اللهَ قضى بعلْمِه وحكمتِه ذلكَ، ولا يُمْكنُ أنْ يُرَدَّ ما قضاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ.

والقضاءُ قدْ يتوقَّفُ على الدعاءِ، بلْ إنَّ كلَّ القضاءِ أوْ أكثرَ القضاءِ لهُ أسبابٌ إمَّا معلومةٌ أوْ مجهولةٌ، فدخولُ الجنَّةِ لا يُمْكنُ إلاَّ بسَبَبٍ يترتَّبُ دخولُ الجنَّة عليه، وهوَ الإيمانُ والعملُ الصالحُ.

كذلكَ حصولُ المطلوبِ، قدْ يكونُ اللهُ عزَّ وجلَّ مَنَعَهُ حتَّى نسألَ، لكنَّ من الأشياءِ ما لا تقتضي الحكمةُ وُجُودَهُ، وحينئذٍ يُجَازَى الداعي بما هوَ أكملُ، أوْ يُؤَخَّرُ لهُ ويُدَّخَرُ لهُ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، أوْ يُصْرَفُ عنهُ من السوءِ ما هوَ أعظمُ. والدعاءُ إذا تمَّتْ فيهِ شروطُ القبولِ ولمْ يُجَبْ فإنَّنا نَجْزمُ بأنَّهُ ادُّخرَ لهُ.

(**17**) وقولُهُ: «**وَإنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتكَ أَنْ لاَ أُهْلكَهُمْ بسَنَة بعَامَّة**»، هذه واحدةٌ.

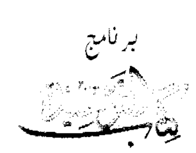
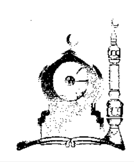
والثانيةُ: قولُهُ: «**وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا منْ سوَى أَنْفُسهمْ فَيَسْتَبيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَو اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بأَقْطَارهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلكُ بَعْضًا وَيَسْبي بَعْضُهُمْ بَعْضًا**» وهذهِ الإجابةُ قُيِّدَتْ بقولِهِ: «**حتَّى يكونَ بعضُهم يُهْلكُ بعضًا ويَسْبي بعْضُهُم بعضًا**» إذا وقعَ ذلكَ منهمْ فقَدْ يُسلَّطُ عليهم عدوًّا منْ سوى أنفسِهم فيستبيحُ بيضتَهم، فكأنَّ إجابَةَ اللهِ لرسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الجملةِ الأُولَى بدونِ استثناءٍ، وفي الجملةِ الثانيةِ باستثناءِ «**حتَّى يكونَ بعضُهم...**».

وهذه هيَ الحكمةُ منْ تقديمِ قولِهِ: «**إذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإنَّهُ لاَ يُرَدُّ**» فصارتْ إجابةُ اللهِ لرسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُقَيَّدَةً.

ومنْ نعمةِ اللهِ أنَّ هذه الأُمَّةَ لنْ تَهْلكَ بسَنَة بعَامَّة أبدًا، فكلُّ مَنْ يَدينُ بدينِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فإنَّهُ لنْ يهْلكَ، وإنْ هلكَ قومٌ في جهةٍ بسَنَة فإنَّهُ لا يهْلكُ الآخرونَ.

فإذا صارَ بعضُهم يقْتُلُ بعضًا، ويَسْبي بعضُهم بعضًا، فإنَّهُ يُسلِّطُ عليهم عدوًّا منْ سوى أنفسِهم، وهذا هوَ الواقعُ، فالأُمَّةُ الإسلاميَّةُ حينَ كانتْ أُمَّةً واحدةً عوْنًا في الحقِّ ضدَّ الباطلِ كانتْ أُمَّةً مَهيبَةً.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠


ولَمَّا تفرَّقَتْ وصارَ بعضُهم يُهْلِكُ بعضًا ويَسْبِي بعضُهم بعضًا، سلَّطَ اللهُ عليهم عدُوًّا منْ سوى أنفسِهم، وأعظمُ مَنْ سُلِّطَ عليهم فِيمَا أعلمُ التَّتَارُ، فقدْ سُلِّطوا على المسلمينَ تسليطًا لا نظيرَ لهُ.

وفي **الحديث دليلٌ على تحريمِ القتالِ** بينَ المسلمينَ، وإهلاكِ بعضِهم بعضًا، وسبيِ بعضِهم بعضًا، وأنَّهُ يجبُ أنْ يكونوا أُمَّةً واحدةً حتَّى تبْقَى هيبتُهم بينَ الناسِ وتخْشَاهُم الأممُ.

(18) قولُهُ: «**وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**» بَيَّنَ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ لا يخَافُ على الأُمَّةِ إلاَّ الأئمَّةَ المضلِّينَ.

والأئمَّةُ: جمعُ إمامٍ، والإمامُ قدْ يكونُ إمامًا في الخيرِ أو الشرِّ، قالَ تعالى في أئمَّةِ الخيرِ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾.

وقالَ تعالى عنْ آلِ فرعونَ أئمَّةِ الشَّرِّ: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ ﴾.

والذي في حديثِ البابِ: «**الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**» أئمَّةَ الشرِّ، وصدقَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، إنَّ أعظمَ ما يُخافُ على الأُمَّةِ الأئمَّةُ المُضلُّونَ، كرُؤَسَاءِ الجهميَّةِ والمعتزلةِ وغيرِهم الذينَ تفرَّقت الأمَّةُ بسببِهم.

والمرادُ بقولِهِ: «**الأئمةَ المضلِّينَ**» الذينَ يقودونَ الناسَ باسمِ الشرعِ، والذينَ يأخذونَ الناسَ بالقهرِ والسلطانِ، فيشملُ الحُكَّامَ الفاسدينَ، والعلماءَ المضلِّينَ، الذينَ يَدَّعُونَ أنَّ ما هُمْ عليهِ شَرْعُ اللهِ، وهُم أشدُّ الناسِ عداوةً لهُ.

(19) قولُهُ: «**وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ...**» الخ، هذا منْ آياتِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وهذا حَقٌّ واقعٌ، فإنَّهُ لَمَّا وَقَعَ السَّيفُ في هذهِ الأُمَّةِ لم يُرْفَعْ، فما زالَ بينَهم القتالُ منذُ قُتِلَ الخليفةُ الثالثُ **عثمانُ** رَضِيَ اللهُ عنهُ، وصارت الأُمَّةُ يَقْتُلُ بعضُهم بعضًا، ويسْبِي بعضُهم بعضًا.

(20) قولُهُ: «**وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ**» الحيُّ بمعنى القبيلة.

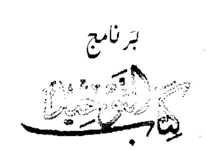
وهل المرادُ باللُّحُوقِ هنا اللُّحُوقُ البدنيُّ، بمعنى أنَّه يذْهَبُ هذا الحيُّ إلى المشركينَ ويدْخُلُونَ فيهِمْ؟

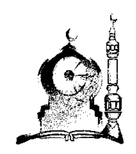
أو اللحوقُ الحُكْميُّ، بمعنى أنْ يعمَلُوا بعملِ المشركينَ، أو الأمرانِ معًا؟

الظاهرُ: أنَّ المُرادَ جميعُ ذلكَ.

وأمَّا الحيُّ: فالظاهرُ أنَّ المرادَ به الجنسُ، وليسَ واحدَ الأحياءِ، وإنْ قيلَ: إنَّ المرادَ واحدُ الأحياءِ، فلا بُدَّ أنْ يكونَ لهذا الحيِّ أثَرُهُ وقيمتُهُ في الأمَّةِ الإسلاميَّةِ بحيثُ يتبيَّنُ ويظهَرُ، ورُبَّما يكونُ لهذا الحيِّ إمامٌ يزيغُ والعياذُ باللهِ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







ويُفسدُ فيتَّبِعُهُ كلُّ الحيِّ ويتبيَّنُ ويظهرُ أمرُهُ.

(21) قولُهُ: «**وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ**» الْفِئَامُ ، أي: الجماعاتُ، وهذا وَقَعَ، ففي كلِّ جهةٍ منْ جهاتِ المسلمينَ يَعْبُدُونَ القبورَ ويُعَظِّمونَ أصحابَها ويسألونَهم الحاجاتِ والرغباتِ، ويَلْتَجِئُونَ إليهم.

وفئامٌ، أيْ: ليْسُوا أحياءً، فقدْ يكونُ بعضُهم منْ قبيلة، والبعضُ الآخرُ منْ قبيلة، فيجتمعونَ.

(22) قولُهُ: «**وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ**» حصَرَهُم النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعددٍ، وكلُّهمْ يزعُمُ أنَّهُ نبيٌّ أُوحِيَ إليهِ وهُمْ كذَّابُونَ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خاتمُ النبيِّينَ ولا نبيَّ بعدَهُ.

فَمَنْ زعَمَ أنَّهُ نبيٌّ بعدَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فهوَ كاذبٌ كافرٌ حلالُ الدمِ والمالِ، وَمَنْ صَدَّقَهُ في ذلكَ فهوَ كافرٌ حلالُ الدمِ والمالِ وليسَ من المسلمينَ ولا منْ أُمَّة مُحَمَّد صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، ومَنْ زعمَ أنَّهُ أفضلُ منْ **محمَّدٍ**، وأنَّهُ يتلقَّى من اللهِ مباشرةً، **ومحمَّدٌ** صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يتلقَّى منهُ بواسطةِ المَلَك فهوَ كاذبٌ كافرٌ حلالُ الدمِ والمالِ.

وقولُهُ: «**كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ**» هلْ ظهرُوا أمْ لا؟

الجوابُ: ظهرَ بعضُهم، وبعضُهم يُنْتَظَرُ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يحْصُرْهم في زمنٍ معيَّنٍ، وما دامت الساعةُ لمْ تقُمْ فهم يُنْتَظَرُونَ.

(23) قولُهُ: «**كُلُّهُمْ يَزْعُمُ**» أيْ: يدَّعي.

قولُهُ: «**وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**» أيْ: آخرُهُم. وأكَّدَ ذلكَ بقوْلِه: «**لاَنَبِيَّ بَعْدِي**» فإنْ قيلَ: ما الجوابُ عمَّا ثبتَ في نُزُولِ عيسى ابنِ مريمَ في آخرِ الزمانِ معَ أنَّهُ نبيٌّ، ويضعُ الجزيةَ ولا يقْبَلُ إلاَّ الإسلامَ؟

فالجوابُ: أنَّ نُبُوَّتَهُ سابقةٌ لنُبُوَّة **محمَّد صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ**، وأمَّا كوْنُهُ يضعُ الجزيةَ ولا يَقْبَلُ إلاَّ الإسلامَ فليسَ تشْريعًا جديدًا يَنْسَخُ قبولَ الجزية، بلْ هوَ تشريعٌ منْ **مُحَمَّد** صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؛ لأنَّهُ أخبرَ به مُقَرِّرًا لهُ.

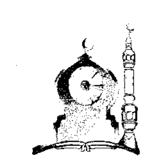
(24) قولُهُ: «**وَلاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً**» المعنى: **أنَّهُم يَبْقَونَ** إلى آخرِ وجودهم مَنْصُورينَ.

هذا منْ نعمةِ اللهِ، فلمَّا ذكَرَ أنَّ حيًّا من الأحياءِ يلْتَحِقُونَ بالمشركينَ، وأنَّ فِئَامًا يعبدونَ الأصنامَ، وأنَّ أُناسًا يدَّعونَ النبوَّةَ، فيكونُ هنا الإخلالُ بالشهادتين؛ شهادة أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ بالشرك، وأنَّ **محمَّدًا** رسولُ اللهِ بادِّعَاءِ النبوَّة، وذلكَ أصْلُ التوحيد، بلْ أصلُ الإسلامِ **شهادةُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ**.

فلَمَّا بيَّنَ ذلكَ لمْ يجعل الناسَ يَيْأَسُونَ فقالَ: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً**» **والطائفةُ:** الجماعةُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





وقولُهُ: «على الحقِّ» جارٌّ ومجرورٌ خبرُ «تزَالُ».

قولُهُ: «منصورةً» خبرٌ ثان، ويجوزُ أنْ يكونَ حالاً، والمعنى: لا تزالُ على الحقِّ وهيَ كذلكَ أيضًا منصورةٌ.

(25) قولُهُ: «لاَ يَضرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ» خذَلَهُم، أيْ: لا ينصُرُهم ويُوافقُهم على ما ذهبوا إليه.

وفي هذا دليلٌ على أنَّهُ سَيُوجَدُ مَنْ يَخْذُلُهم لكنَّهُ لا يضُرُّهم؛ لأنَّ الأمورَ بيدِ اللهِ، وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ».

وكذلكَ لا يضُرُّهم مَنْ خالَفَهم؛ لأنَّهمْ منصورونَ بنصرِ اللهِ، فاللهُ عزَّ وجلَّ إذا نَصَرَ أحدًا فلنْ يستطيعَ أحدٌ أنْ يُذلَّهُ.

قولُهُ: «حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ» أي: الكونيُّ، وذلكَ عندَ قيامِ الساعةِ، عنْدَما يأتي أمرُهُ سُبحانَهُ وتعالى بأنْ تُقْبَضَ نفسُ كلِّ مؤمنٍ، حتَّى لا يبقى إلاَّ شرارُ الخلْقِ، فعليهمْ تقومُ الساعةُ.

والشاهدُ منْ هذا الحديثِ: قولُهُ في روايةِ الْبُرْقَانِيِّ: «حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ».

وقولُهُ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً» هذهِ لمْ يُحَدَّدْ مكانُها فتَشْمَلَ جميعَ بقاعِ الأرضِ في الحرمَيْنِ والعراقِ وغيرِهما.

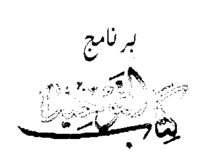
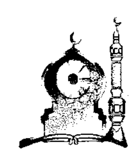
فالمُهِمُّ أنَّ هذهِ الطائفةَ مهما نَأَتْ بهم الديارُ فهيَ طائفةٌ واحدةٌ منصورةٌ على الحقِّ لا يضُرُّهم مَنْ خَذَلَهم ولا مَنْ خالَفَهُم حتَّى يأتِيَ أمرُ اللهِ.

مسألةٌ: قالَ بعضُ السلفِ: إنَّ الطائفةَ المنصورةَ هُمْ أهلُ الحديثِ، ما مدَى صحَّةِ هذا القولِ؟

الجوابُ: هذا ليسَ بصحيحٍ على إطلاقِه، بلْ لا بُدَّ من التفصيلِ، فإنْ أُريدَ بذلكَ أهلُ الحديثِ المُصْطَلَحِ عليهِ، الذينَ يأْخُذُونَ الحديثَ روايةً ودرايةً، وأُخْرِجَ منهم الفقهاءُ وعلماءُ التفسيرِ، وما أشْبَهَ ذلكَ، فهذَا ليسَ بصحيحٍ؛ لأنَّ علماءَ التفسيرِ والفقهاءَ الذينَ يتحرَّوْنَ البناءَ على الدليلِ هم في الحقيقةِ منْ أهلِ الحديثِ، ولا يختَصُّ بأهلِ الحديثِ صناعةً؛ لأنَّ العلومَ الشرعيَّةَ تفسيرٌ وحديثٌ وفقهٌ... إلخ.

فالمقصودُ: أنَّ كلَّ مَنْ تحاكَمَ إلى الكتابِ والسُّنَّةِ فهوَ منْ أهلِ الحديثِ بالمعنى العامِّ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠


وأهلُ الحديثِ هُمْ: كلُّ مَنْ يتحرَّى العملَ بسُنَّةِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فيشملُ الفقهاءَ الذينَ يتحرَّوْنَ العملَ بالسُّنَّةِ، وإنْ لمْ يكونُوا منْ أهلِ الحديثِ اصطلاحًا.

فشيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَةَ مثلاً لا يُعْتَبَرُ اصطلاحًا من المحدِّثِينَ، ومعَ ذلكَ فهوَ رافعٌ لرايةِ الحديثِ.

والإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللهُ تنازعَهُ طائفتان؛ أهلُ الفقه قالوا: إنَّهُ فقيهٌ، وأهلُ الحديثِ قالوا: إنَّه مُحَدِّثٌ.

وهوَ إمامٌ في الفقهِ والحديثِ والتفسيرِ، ولا شكَّ أنَّ أقربَ الناسِ تمسُّكًا بالحديثِ هم الذينَ يعْتَنُونَ به.

ويُخْشَى من التعبيرِ بأنَّ الطائفةَ المنصورةَ هُمْ أهلُ الحديثِ أنْ يُظَنَّ أنَّهُم أهلُ الحديثِ الذينَ يعْتَنُونَ به اصطلاحًا، فيَخْرُجُ غيرُهم.

فإذا قيلَ: أهلُ الحديثِ بالمعنى الأعمِّ الذينَ يأخذونَ بالحديثِ سواءً انْتَسَبُوا إليهِ اصطلاحًا واعْتَنَوْا به، أوْ لمْ يعْتَنُوا لكنَّهُم أخَذُوا بهِ، فحينئذٍ يكونُ صحيحًا.

(26) فيهِ مسائلُ:

(27) الأولَى: «تفسيرُ آيةِ النساءِ» وهيَ قولُهُ تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ } وقدْ سبَقَ ذلكَ.

(28) الثانيةُ: «تفسيرُ آيةِ المائدةِ» وهيَ قولُهُ تعالى: { قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ } وقدْ سبقَ تفسيرُها، والشاهدُ منْها هنا قولُهُ: {وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ}.

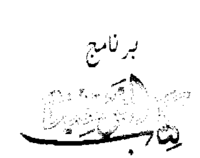
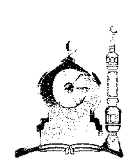
(29) الثالثةُ: «تفسيرُ آيةِ الكهفِ» يعني قولَهُ تعالى: { قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا } وقدْ سبقَ بيانُ معناها.

(30) الرابعةُ: «وهيَ أهمُّها، ما معنى الإيمانِ بالجِبْتِ والطاغوتِ؟ هلْ هوَ اعتقادُ القلبِ؟ أوْ موافقةُ أصحابِها معَ بُغْضِها ومعرفةِ بُطْلانِها»؟

أمَّا إيمانُ القلبِ واعتقادُهُ، فهذا لا شكَّ في دُخُولِه في الآيةِ.

وأمَّا موافقةُ أصحابِها في العملِ معَ بُغْضِها ومعرفةِ بُطْلانِها فهذا يحتاجُ إلى تفصيلٍ، فإنْ كانَ وافقَ أصحابَها بناءً

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com


على أنَّها صحيحةٌ فهذا كُفْرٌ، وإنْ كانَ وافقَ أصحابَها ولا يعتقدُ أنَّها صحيحةٌ فإنَّهُ لا يَكْفُرُ، لكنَّهُ لا شكَّ على خَطَرٍ عظيمٍ يُخْشَى أنْ يُؤَدِّيَ به الحالُ إلى الكُفْرِ والعياذُ باللهِ.

(31) **الخامسةُ:«قولُهُم: إنَّ الكُفَّارَ الذينَ يعرفونَ كُفْرَهم أهْدَى سبيلاً من المؤمنينَ»** يعني أنَّ هذا القولَ كُفْرٌ وردَّةٌ؛ لأنَّ مَنْ زَعمَ أنَّ الكُفَّارَ الذينَ يُعْرَفُ كُفْرُهم أهدى سبيلاً من المؤمنينَ فإنَّهُ كافرٌ لتعْظِيمِهِ الكفرَ على الإيمانِ.

(32) **السادسةُ:«وهيَ المقصودةُ بالترجمةِ، أنَّ هذا لا بُدَّ أنْ يُوجَدَ في هذهِ الأمَّةِ كما تَقرَّرَ في حديثِ أبي سعيدٍ».**

(33) **السابعةُ:«تصريحُهُ بوُقُوعِها، أعني عبادةَ الأوثانِ»** وقدْ سبقَ بيانُها، والترجمةُ التي أشارَ إليها رَحِمَهُ اللهُ هيَ قولُهُ: **(بابُ ما جاءَ أنَّ بعْضَ هذهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأوثانَ).**

وحديثُ أبي سعيدٍ هوَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: **«لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» قالوا: يا رسولَ اللهِ، اليهودُ والنَّصارى؟**

قالَ: «فَمَنْ؟» أخْرَجَاهُ.

وهذا يتضَمَّنُ التحذيرَ منْ أنْ تقعَ هذه الأُمَّةُ في مِثْلِ ما وقعَ فيه مَنْ سبَقَها.

(34) **الثامنةُ: «العَجَبُ العُجَابُ خُرُوجُ مَنْ يدَّعي النبوَّةَ مثلَ المختارِ معَ تكَلُّمِه بالشهادتينِ وتصريحِه بأنَّهُ منْ هذهِ الأُمَّةِ، وأنَّ الرسولَ حقٌّ وأنَّ القرآنَ حقٌّ، وفيه أنَّ محمَّدًا خاتَمُ النبيِّينَ، ومعَ هذا يُصَدَّقُ في هذا كُلِّه معَ التضادِّ الواضحِ، وقدْ خرجَ المختارُ في آخرِ عهدِ الصحابةِ وتَبِعَهُ فئامٌ كثيرةٌ»** والمُخْتَارُ هوَ ابنُ أبي عُبَيْدٍ الثَّقفيُّ، خَرجَ وغلَبَ على الكوفةِ في أوَّلِ خلافةِ ابنِ الزبيرِ رَضِيَ اللهُ عنهُ، وأظهرَ محبَّةَ آلِ البيتِ، ودعا الناسَ إلى الثَّأرِ منْ قَتَلَةِ الحُسَيْنِ، فتَتَبَّعَهُم وقَتَلَ كثيرًا مِّمَّنْ باشرَ ذلكَ أوْ أعانَ عليهِ، فانْخَدَعَ بهِ العامَّةُ، ثمَّ ادَّعَى النبوَّةَ وزعَمَ أنَّ جبريلَ يأْتيهِ.

ولا شكَّ أنَّ هذهِ المسألةَ من العجبِ العجابِ أنْ يَدَّعِيَ النبوَّةَ وهوَ مؤمنٌ أنَّ القرآنَ حقٌّ، وفي القرآنِ أنَّ محمَّدًا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خاتَمُ النبيِّينَ، فكيفَ يكونُ صادقًا؟ وكيفَ يُصَدَّقُ معَ هذا التناقضِ؟!

ولكنْ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لهُ نورًا فما لهُ منْ نورٍ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

(35) **التاسعة: «البشارةُ بأنَّ الحقَّ لا يزولُ بالكُلِّيَّةِ كما زالَ فيما مضى، بلْ لا تزالُ عليه طائفةٌ»** يعني: منْ هذهِ الأُمَّةِ، منصورةٌ إلى يومِ القيامةِ، يُؤْخَذُ هذا منْ آخرِ الحديثِ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**».

(36) **العاشرةُ: «الآيةُ العظمى أنَّهم معَ قِلَّتِهِم لا يَضُرُّهم مَنْ خَذَلَهُم ولا مَنْ خَالَفَهم»** وهذه آيةٌ عظمى، أنَّ الكثرةَ الكاثرةَ منْ بني آدمَ على خلافِ ذلكَ، ومعَ ذلكَ لا يضُرُّونَهُم **{ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ }**.

(37) **الحاديةَ عشرةَ: «أنَّ ذلكَ الشرْطَ إلى قيامِ الساعةِ»** وقدْ سبقَ.

(38) **الثانيةَ عشرةَ: «ما فيه من الآياتِ العظيمةِ»** أيْ: ما في هذا الحديثِ من الآياتِ العظيمةِ، والآياتُ جمعُ آيةٍ، وهيَ العلامةُ، والآياتُ التي يُؤَيِّدُ اللهُ بها رُسُلَهُ عليهم الصلاةُ والسلامُ هيَ العلاماتُ الدالَّةُ على صدقِهم.

فمِمَّا في هذا الحديثِ إخبارُه: بأنَّ اللهَ سُبحانَهُ وتعالى زَوَى لهُ المشارقَ والمغاربَ، وأخبرَ بمعنى ذلكَ، فوَقَعَ كما أخبرَ بخلافِ الجنوبِ والشمالِ، فإنَّ رسالةَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ امْتَدَّتْ نحوَ الشرقِ والغربِ أكثرَ من امتدادِها نحوَ الجنوبِ والشمالِ، وهذا منْ عِلْمِ الغيبِ الذي أطْلَعَ اللهُ رسولَهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عليه.

ومنها: إخبارُهُ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أُعْطِيَ الكَنْزَيْنِ؛ وهما كنزُ كِسْرَى وقَيْصَرَ.

ومنها: إخبارُهُ بإجابةِ دعوتِه لأُمَّتِهِ في الاثنتينِ، وهُما:

- **ألاَّ يُهلكَها بسنةٍ بعامَّةٍ.**
- **وألاَّ يُسلِّطَ عليهم عدُوًّا منْ سِوَى أنفُسِهم فيستبيحَ بيضتَهُم حتَّى يكونَ بعضُهم يُهْلِكُ بعضًا**... إلخ، ومنعِ الثالثةِ وهيَ ألاَّ يجْعَلَ بأسَ هذه الأُمَّةِ بيْنَها، فإنَّ هذا سوفَ يكونُ كما صرَّحَ به حديثُ **عامرِ بنِ سعدٍ** عنْ أبيه، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أقْبَلَ ذاتَ يومٍ من العاليةِ حتَّى إذا مرَّ بمسجدِ بني **مُعاويةَ** دَخَلَ فرَكَعَ فيه ركعتيْنِ وصلَّيْنا معهُ ودَعَا دُعاءً طويلاً وانصرفَ إليْنا فقالَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا**» أيْ: مَنَعني إيَّاها.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

ومن الآياتِ التي تضمَنَّها هذا الحديثُ: إخبارُهُ بوُقُوعِ السيفِ في أُمَّته، وأَنَّهُ إذا وقعَ فإنَّهُ لا يُرْفَعُ حتَّى تقومَ الساعةُ، وقدْ كانَ الأمرُ كذلكَ، فإنَّهُ منذُ سُلَّت السيوفُ على المسلمينَ منْ بعْضِهم على بعضٍ بقِيَ هذا إلى يومِنا هذا.

ومنها: إخبارُهُ بإهلاكِ بعضِهم بعضًا وسبْيِ بعضِهم بعضًا، وهذا أيضًا واقعٌ.

ومنها: خوفُهُ على أُمَّتِه من الأئمَّةِ المُضِلِّينَ، والأئمَّةُ جمْعُ إمامٍ، والإمامُ هوَ مَنْ يُقْتَدَى بِهِ، إمَّا لعلْمِه، وإمَّا لسُلْطَتِه، وإمَّا لعبَادَتِه.

ومنها: إخبارُهُ بظُهورِ المتنَبِّئِينَ في هذهِ الأُمَّةِ، وأَنَّهُم ثلاثونَ.

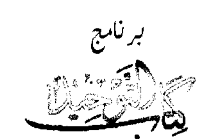
قالَ ابنُ حَجَرٍ: (هذا الحصرُ بالثلاثينَ لا يعني انحصارَ المُتَنَبِّئِينَ بذلكَ؛ لأنَّهم أكثرُ منْ ذلكَ)، قلتُ: فيكونُ ذكرُ الثلاثينَ لبيانِ الحدِّ الأدْنَى، أيْ: إنَّهم لا ينْقُصُونَ عنْ ذلكَ العددِ، وإنَّما عدلْنَا عنْ ظاهرِ اللَّفْظِ للأمرِ الواقعِ، وهذا واللهُ أعلمُ هوَ السرُّ في تَرْكِ المؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللهُ العددَ في مسائلِ البابِ معَ أنَّهُ صريحٌ في الحديثِ، ولعل من تعظم الفتنة بهم منهم يبلغون ثلاثين فأسقط غيرهم من العد لعدم المبالاة به.

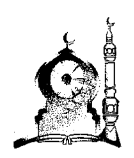
ومنها: إخبارُهُ ببقاءِ الطائفةِ المنصورةِ، وهذا كُلُّهُ وَقَعَ كما أخبرَ، قالَ الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ: (معَ أنَّ كُلَّ واحدةٍ منْها أبْعَدُ ما يَكونُ في العُقولِ).

(39) الثالثة عشرة: «حَصْرُ الخَوْفِ على أُمَّته من الأئمَّة المُضلِّينَ» ووجهُ هذا الحصرِ أنَّ الأئمَّةَ ثلاثةُ أقسامٍ: أُمَرَاءُ، وعُلَمَاءُ، وعُبَّادٌ، فهم الذينَ يُخْشَى منْ إضْلالِهم؛ لأنَّهم مَتْبوعُونَ، فالأمراءُ لهم السلطةُ والتنفيذُ، والعلماءُ لهم التوجيهُ والإرشادُ، والعُبَّادُ لهم تغريرُ الناسِ وخداعُهم بأحوالِهم، فهؤلاءِ يُطَاعُونَ ويُقْتَدَى بهم، فيُخَافُ على الأُمَّةِ منهم؛ لأنَّهم إذا كانوا مُضِلِّينَ ضلَّ بهم كثيرٌ من الناسِ، وإذا كانوا هادينَ اهتدى بهم كثيرٌ من الناسِ.

(40) الرابعة عشرة: «التنبيهُ على معنى عبادة الأوثان» يعني: أنَّ عبادَةَ الأوثانِ لا تختصُّ بالركوعِ والسجودِ لها، بلْ تشملُ اتِّبَاعَ المُضِلِّينَ الذينَ يُحِلُّونَ ما حَرَّمَ اللهُ فيُحِلُّهُ الناسُ، ويُحَرِّمونَ ما أحلَّهُ اللهُ فيُحَرِّمُهُ الناسُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







تهذيب القول المفيد لفضيلةالشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي

الدرس الخامس والعشرون

(١) **السِّحْرُ لغةً:** ما خَفِي وَلَطُفَ سَبَبُهُ، ومنهُ سُمِّيَ السَّحَرُ لآخرِ الليلِ؛ لأنَّ الأفعالَ التي تقعُ فيه تكونُ خفيَّةً، وكذلكَ سُمِّيَ السَّحُورُ لما يُؤْكَلُ في آخرِ الليلِ؛ لأنَّهُ يكونُ خفيًّا، فكلُّ شيءٍ خَفِيَ سببُهُ يُسَمَّى سِحْرًا.

وأمَّا في الشرعِ فإنَّهُ ينقسمُ إلى قسمينِ:

الأوَّلُ: **عُقَدٌ ورُقًى**، أيْ: قراءاتٌ وطلاسمُ يَتَوَصَّلُ بها الساحرُ إلى استخدامِ الشياطينِ فيما يُريدُ به ضررَ مسحورٍ، لكنْ قدْ قالَ تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾.

الثاني: **أدويةٌ وعقاقيرُ** تُؤَثِّرُ على بَدَنِ المسحورِ وعقلِه وإرادته وميله، فتجدُهُ ينصرفُ ويميلُ، وهو ما يُسَمَّى عنْدَهُم بالصَّرْفِ والعَطْفِ، فيجعلونَ الإنسانَ ينْعَطِفُ على زوْجَتِه أو امرأة أخرى، حتَّى يكونَ كالبهيمة تقودُهُ كما تشاءُ، والصرفُ بالعكسِ منْ ذلكَ، فَيُؤَثِّرُ في بدنِ المسحورِ بإضعافه شيئًا فشيئًا حتَّى يَهْلِكَ، وفي تصوُّرِه بأنْ يتخيَّلَ الأشياءَ على خلافِ ما هيَ عليه، وفي عقله فرُبَّما يصلُ إلى الجنونِ، والعياذُ باللهِ.

فالسحرُ قسمان:

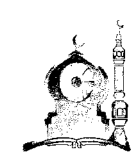
الأول: شِرْكٌ، وهوَ الأوَّلُ الذي يكُونُ بواسطة الشياطينِ؛ يعْبُدُهُم ويتقرَّبُ إليهم لِيُسَلِّطَهُم على المسحورِ.

الثاني: عدوانٌ وفسقٌ، وهو الثاني الذي يكونُ بواسطة الأدوية والعقاقيرِ ونحْوِها.

وهذا التقسيمِ الذي ذكَرْناهُ نتَوَصَّلُ به إلى مسألة مُهِمَّةٍ وهيَ: هلْ يكْفُرُ الساحرُ أوْ لا يكْفُرُ؟

اختلفَ في هذا أهلُ العلمِ، فمنْهُم مَنْ قالَ: إنَّهُ يكفرُ، ومنهم منْ قالَ: إنَّهُ لا يكفرُ.

ولكنَّ التقسيمَ السابقَ الذي ذكَرْناهُ يتبيَّنُ به حُكْمُ هذه المسألة، فمَنْ كانَ سحْرُهُ بواسطة الشياطينِ فإنَّهُ يكفرُ؛ لأنَّهُ لا يتأتَّى ذلكَ إلاَّ بالشركِ غالبًا؛ لقولِه تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ...﴾ إلى قوْلِه: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾.



ومَنْ كانَ سحرُهُ بالأدويةِ والعقاقيرِ ونحوِها فلا يكفرُ، ولكنْ يُعتَبَرُ عاصيًا معتديًا.

وأمَّا قَتْلُ الساحرِ، فإنْ كانَ سحْرُهُ كفْرًا قُتِلَ قَتْلَ ردَّةٍ إلاَّ أنْ يتوبَ، على القولِ بقبولِ توْبَتِه، وهوَ الصحيحُ.

وإنْ كانَ سحرُهُ دونَ الكفرِ قُتِلَ قَتْلَ الصَّائلِ، أيْ: قُتِلَ لدفعِ أذاهُ وفسادِهِ في الأرضِ. على هذا يُرْجَعُ في قَتْلِه إلى اجتهادِ الإمامِ.

وظاهرُ النصوصِ التي ذكرَها المُؤلِّفُ أنَّهُ يُقتَلُ بكلِّ حالٍ، فالمُهمُّ أنَّ السِّحْرَ يُؤثِّرُ بلا شكٍّ، لكنَّهُ لا يُؤثِّرُ بقلْبِ الأعيانِ إلى أعيانٍ أخرى؛ لأنَّهُ لا يَقْدرُ على ذلكَ إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ، وإنَّما يُخيَّلُ للمسحورِ أنَّ هذا الشيءَ انقلبَ، وهذا الشيءَ تحرَّكَ أوْ مَشَى، وما أشبَهَ ذلكَ، كما جرى لموسى عليهِ الصلاةُ والسلامُ أمامَ سحَرةِ آلِ فرعونَ، حيثُ كانَ يُخيَّلُ إليهِ منْ سحْرِهم أنَّها تسعى.

إذا قالَ قائلٌ: ما وجهُ إدخالِ بابِ السحرِ في كتابِ التوحيدِ؟

نقولُ: **مناسبةُ البابِ لكتابِ التوحيدِ:**

لأنَّ منْ أقسامِ السحرِ ما لا يتأتَّى غالبًا إلاَّ بالشركِ، فالشياطينُ لا تخْدمُ الإنسانَ غالبًا إلاَّ لمصلحةٍ، ومعلومٌ أنَّ مصلحةَ الشيطانِ أنْ يغْويَ بني آدمَ فيُدْخِلَهم في الشركِ والمعاصي.

(٢) وقدْ ذكرَ المُؤلِّفُ في البابِ آيتيْنِ:

الآيةُ الأولى: قوْلُهُ تعالى: **﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾**، ضميرُ الفاعلِ يعودُ على مُتَعلِّمي السحرِ، والجملةُ مُؤكَّدةٌ بالقسمِ المُقدَّرِ واللامِ وقدْ.

ومعنى **﴿اشْتَرَاهُ﴾** أيْ: تعلَّمَهُ.

قولُهُ: **﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾** أيْ: ما لهُ منْ نصيبٍ، وكلُّ مَنْ ليسَ لهُ في الآخرةِ منْ خَلاقٍ فمقتضاهُ أنَّ عمَلَهُ حابطٌ باطلٌ، لكنْ إمَّا أنْ ينتفيَ النصيبُ انتفاءً كُلِّيًّا فيكونَ العملُ كُفْرًا، أوْ ينتفيَ كمالُ النصيبِ فيكونَ فسقًا.

قال في (تيسير العزيز الحميد) ص٣٩٣: **(قوله (عن جندب) الصحيح أنه جندب الخير، لا جندب بن عبد الله**

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

البجلي، وصوَّبه ابن حجر).

وأخرج البخاري في (تاريخه): (أنه كان عند الوليد رجل يلعب، فذبح إنساناً فأبان رأسه، فعجبنا فأعاده؛ فجاء جندب الأزدي فقتله).

وزاد البيهقي: (إن كان صادقاً فليحيي نفسه).

قتل جندب يوم صفين رضي الله عنه.

(٣) **الآيةُ الثانيةُ:** قَوْلُهُ تعالى: {يُؤْمِنُونَ} أي: اليهودُ، {بِالْجِبْتِ} أي: السحْرِ، كما فسَّرَهَا **عمرُ بنُ الخطَّاب**.

واليهودُ كانوا منْ أكثرِ الناسِ تعلُّمًا للسحرِ وممارسةً لهُ، ويدَّعُونَ أنَّ سليمانَ عليهِ السلامُ علَّمَهُم إيَّاهُ، وقد اعتَدَوْا فسَحَرُوا النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

قولُهُ: {الطَّاغُوت} أجْمَعُ ما قيلَ فيه: هوَ ما تَجاوَزَ بهِ العبدُ حَدَّهُ منْ معبودٍ، أوْ متبوعٍ، أوْ مُطاعٍ.

ومعنى {مِنْ مَعْبودٍ} أيْ: (بعلمه ورضاه) هكذا قالَ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ.

الشاهدُ: قولُهُ: {بِالْجِبْتِ} حيثُ فسَّرها أميرُ المؤمنينَ عُمرُ رضيَ اللهُ عنهُ بأنَّها (**السِّحرُ**) وأمَّا تفسيرُهُ الطاغوتَ بالشيطانِ فإنَّهُ منْ بابِ التفسيرِ بالمثالِ.

فتفسيرُ عُمرَ رضيَ اللهُ عنهُ للطاغوتِ بالشيطانِ تفسيرٌ بالمثالِ؛ لأنَّ الطاغوتَ أعمُّ من الشيطانِ، فالأصنامُ تُعْتَبَرُ من الطواغيتِ، كما قالَ تعالى: {وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} والعلماءُ والأُمَرَاءُ الذينَ يُضلُّونَ الناسَ يُعتَبَرُونَ طواغيتَ؛ لأنَّهُم طَغَوْا وزادوا وفعلوا ما ليسَ لهم به حقٌّ.

(٤) قولُهُ: (**الطَّواغيتُ كُهَّانٌ كانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِم الشَّيْطانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ واحِدٌ**) هذا أيضًا منْ بابِ التفسيرِ بالمثالِ، حيثُ إنَّهُ جعلَ منْ جُمْلَةِ الطواغيتِ الكُهَّانَ.

والكاهنُ قيلَ: هوَ الذي يُخْبِرُ عمَّا في الضميرِ.

وقيلَ: الذي يُخْبِرُ عن المُغَيَّباتِ في المستقبلِ.

وكانَ هؤلاءِ الكُهَّانُ تنزلُ عليهم الشياطينُ بما استَرَقُوا من السَّمْعِ من السماءِ، وكان كلُّ حيٍّ منْ أحياءِ العربِ

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

لهم كاهنٌ يستخدمُ الشياطينَ، فَتَسْتَرِقُ لهُ السمعَ فتأتي بخبرِ السماءِ إليه، وكانوا يتحاكَمُونَ إليهم في الجاهليَّةِ، والطواغيتُ ليْسُوا محصورينَ في هؤلاءِ، فتفسيرُ **جابرٍ** رضيَ اللهُ عنهُ تفسيرٌ بالمثالِ كتفسيرِ **عُمَرَ** رضيَ اللهُ عنهُ.

(٥) قولُهُ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» النبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْصَحُ الخَلْقِ للخَلْقِ، فكلُّ شيءٍ يضرُّ الناسَ في دينِهم ودُنْيَاهُم يُحَذِّرُهُم منهُ، ولهذا قالَ: «**اجْتَنِبُوا**».

وهيَ أبْلَغُ منْ قوْلِهِ: اتْرُكُوا؛ لأنَّ الاجتنابَ معناهُ أنْ تكونَ في جانبٍ وهيَ في جانبٍ آخرَ، وهذا يستلزمُ البُعْدَ عنها.

و«**اجْتَنِبُوا**» أي: اترُكوا، بلْ أشَدُّ منْ مُجرَّدِ التركِ؛ لأنَّ الإنسانَ قدْ يتْرُكُ الشيءَ وهو قريبٌ منهُ، فإذا قيلَ: اجتَنِبْهُ، يعني: اتْرُكْهُ معَ البُعْدِ.

وقولُهُ: «**السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» هذا لا يقتضي الحصْرَ؛ فإنَّ هناكَ موبقاتٍ أُخرَى، ولكنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يحْصُرُ أحيانًا بعضَ الأنواعِ والأجناسِ، ولا يعني بذلكَ عدمَ وجودِ غَيْرِها.

ومنْ ذلكَ حديثُ: «**السَّبعةُ الذينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلاَّ ظلُّهُ**» فهناكَ غيرُهم، ومثلُهُ: «**ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيامَةِ**» وأمثلةُ هذا كثيرةٌ.

وإنْ قُلْنَا بدلالةِ حديثِ **أبي هُرَيْرَةَ** في البابِ على الحَصْرِ لكونِهِ وقعَ بـ«أل» المُعَرِّفَةِ، فإنَّهُ حصَرَها؛ لأنَّ هذه أعظمُ الكبائرِ.

(٦) قولُهُ: (**قَالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟**) كانَ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهم أحرصَ الناسِ على العلمِ، والنبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا ألْقَى إليهم الشيءَ مُبْهَمًا طَلَبُوا تفسيرَهُ وتبْيينَهُ، فلَمَّا حذَّرَهُم النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ من السبعِ الموبقاتِ قالوا ذلكَ؛ لأجْلِ أنْ يجْتنبُوهُنَّ، فأخبَرَهم.

وقولُهُ: «**الْمُوبِقَاتِ**» أي: الْمُهْلِكاتِ، قالَ تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا**﴾ أيْ: مكانَ هلاكٍ.

وقولُهُ: (**قَالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟**) سألوا عنْ تبْيينها، وبه تتَبَيَّنُ الفائدةُ من الإجمالِ، وهيَ أنْ يتطلَّعَ المُخَاطَبُ لبيانِ هذا المُجْمَلِ؛ لأنَّهُ إذا جاءَ مُبَيَّنًا منْ أوَّلِ وَهْلَةٍ لم يكُنْ لهُ التَّلَقِّي والقبولُ كما إذا أُجْمِلَ ثمَّ بُيِّنَ.

قوْلُهُ: (**وَمَا هُنَّ؟**) (**ما**) اسمُ استفهامٍ مبتدأٌ، و(**هنَّ**) خبرُ المبتدأ.

وقيلَ بالعكسِ: (ما) خبرٌ مُقَدَّمٌ وجوبًا؛ لأنَّ الاستفهامَ لهُ الصدارةُ. و(**هُنَّ**) مبتدأٌ مؤخرٌ؛ لأنَّ (هنَّ) ضميرٌ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

مَعْرِفةٌ و(ما) نكرَةٌ، والقاعدةُ المُتَّبَعَةُ أَنَّهُ يُخبَرُ بالنكرةِ عن المعرفةِ ولا عَكْسَ.

(٧) قولُهُ: (قالَ: «الشركُ باللهِ» قدَّمَهُ؛ لأنَّهُ أعظمُ الموبقاتِ؛ فإنَّ أعظَمَ الذنوبِ أنْ تجْعَلَ للهِ ندًّا وهوَ خَلَقَكَ.

والشركُ باللهِ يتناولُ الشركَ **برُبُوبيَّتِه، أوْ أُلُوهيَّتِه، أوْ أسمائِه، أوْ صفاتِه.**

فمَن اعتقدَ أنَّ معَ اللهِ خالقًا أوْ مُعينًا فهوَ مُشْرِكٌ، أوْ أنَّ أحدًا سوى اللهِ يسْتَحِقُّ أنْ يُعْبَدَ فهوَ مشركٌ، وإنْ لمْ يَعْبُدْهُ، فإنْ عَبَدَهُ فهوَ أعظمُ، أوْ أنَّ للهِ مثيلاً في أسمائِه فهوَ مشركٌ، أوْ أنَّ اللهَ استوى على العرشِ كاستواءِ المَلِكِ على عَرْشِ مملكتِهِ فهوَ مشركٌ، أوْ أنَّ اللهَ ينزلُ إلى السماءِ الدنيا كنزولِ الإنسانِ إلى أسفلِ بيْتِهِ منْ أعلى فهوَ مشركٌ.

- قالَ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.
- وقالَ تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

وبيَّنَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّ الشركَ أعظمُ ما يكونُ من الجنايةِ والجُرْمِ بقوْلِهِ حينَ سُئِلَ: أيُّ الذنبِ أعظمُ؟: «**أنْ تجْعَلَ للهِ ندًّا وهُوَ خلَقَكَ**».

فالَّذي خلقَكَ وأوْجَدَكَ وأمَدَّكَ وأعدَّكَ ورزقَكَ كيفَ تجعلُ لهُ ندًّا؟

فلوْ أنَّ أحدًا من الناسِ أحسنَ إليكَ بما دونَ ذلكَ فجعلْتَ لهُ نظيرًا، لكانَ هذا الأمرُ بالنسبةِ إليهِ كُفْرًا وجُحُودًا.

(٨) قولُهُ: «**والسِّحْرُ**» أيْ: من الموبقاتِ. وظاهرُ كلامِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ لا فَرْقَ بينَ أنْ يكونَ ذلكَ بواسطةِ الشياطينِ أوْ بواسطةِ الأدويةِ والعقاقيرِ؛ لأنَّهُ إنْ كانَ بواسطةِ الشياطينِ فالَّذي لا يأتي إلاَّ بالإشراكِ بهم فهوَ داخلٌ في الشركِ باللهِ.

وإنْ كانَ دونَ ذلكَ فهوَ أيضًا جُرْمٌ عظيمٌ؛ لأنَّ السحرَ منْ أعظمِ ما يكونُ في الجنايةِ على بني **آدمَ**، فهوَ يُفْسِدُ على المسحورِ أمْرَ دينِهِ ودُنْياهُ، ويُقْلِقُهُ فيُصْبِحُ كالبهائمِ، بلْ أسوأَ منْ ذلكَ؛ لأنَّ البهيمةَ خُلِقَتْ هكذا على طبيعتِها، أمَّا الآدميُّ فإنَّهُ إذا صُرِفَ عنْ طبيعتِهِ وفِطْرَتِهِ لَحِقَهُ من الضيقِ والقلقِ ما لا يعلمُهُ إلاَّ ربُّ العبادِ، ولهذا كانَ السحرُ يلي الشركَ باللهِ عزَّ وجلَّ.

(٩) قولُهُ: «**وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالْحَقِّ**» القتلُ: إزْهَاقُ الرُّوحِ، والمرادُ بالنفسِ البدنُ الذي فيهِ الروحُ،

والمرادُ بالنفسِ هنا نفسُ الآدميِّ، وليسَ نفسَ البعيرِ والحمارِ وما أشْبَهَها.

وقولُهُ: «**الَّتِي حَرَّمَ اللهُ**» مفعولُ «حَرَّمَ» محذوفٌ تقديرُهُ حَرَّمَ قتْلَها، فالعائدُ على الموصولِ محذوفٌ.

وقولُهُ: «**إلاَّ بِالْحَقِّ**» أيْ: بالعَدْلِ؛ لأنَّ هذا حُكْمٌ، والحقُّ إذا ذُكرَ بإزاءِ الأحكامِ فالمرادُ به العدلُ، وإنْ ذُكرَ بإزاءِ الأخبارِ فالمرادُ بِهِ الصدقُ، والعدلُ هوَ ما أمرَ اللهُ به ورسولُهُ، قالَ تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ}.

وقولُهُ: «**إلاَّ بِالْحَقِّ**» أيْ: مِمَّا يُوجِبُ القتلَ، مثلَ: الثَّيِّبِ الزاني، والنفسِ بالنفسِ، والتاركِ لدينِهِ المفارقِ للجماعةِ.

(١٠) قولُهُ: «**وَأَكْلُ الرِّبَا**» الرِّبَا **في اللغةِ:** الزيادةُ، ومنهُ قولُهُ تعالى: {فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ} يعني: زَادَتْ.

وفي الشرعِ: تفاضُلٌ في عَقْدٍ بينَ أشياءَ يجبُ فيها التساوي، ونَسْأٌ في عَقْدٍ بينَ أشياءَ يجبُ فيها التقابُضُ.

(١١) قولُهُ: «**وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ**» اليتيمُ: هوَ الذي ماتَ أبوهُ قبلَ بُلُوغِهِ سواءٌ كانَ ذكرًا أمْ أُنْثَى.

أمَّا مَنْ ماتتْ أمُّهُ قبلَ بُلُوغِهِ فليسَ يتيمًا لا شرْعًا ولا لُغَةً؛ لأنَّ اليتيمَ مأخوذٌ من اليُتْمِ، وهوَ الانفرادُ، أي: انفردَ عن الكاسبِ لهُ؛ لأنَّهُ أباهُ هوَ الذي يكْسِبُ لهُ.

وخصَّ اليتيمَ لأنَّهُ لا أحدَ يُدافِعُ عنهُ؛ ولأنَّهُ أوْلَى أنْ يُرْحَمَ، ولهذا جعلَ اللهُ لهُ حقًّا في الفَيْءِ، وإذا كانَ أحقَّ أنْ يُرْحَمَ؛ فكيفَ يسْطُو هذا الرجلُ الظالمُ على مالِهِ فيأْكُلُهُ؟

(١٢) قولُهُ: «**وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ**» التولِّي بمعنى الإدْبَارِ والإعراضِ، ويومُ الزحفِ أيْ: يومُ تلاحُمِ الصفَّيْنِ في القتالِ معَ الكُفَّارِ، وسُمِّيَ يومَ الزحفِ؛ لأنَّ الجُمُوعَ إذا تقابَلَتْ تجدُ أنَّ بعضَها يزحفُ إلى بعضٍ، كالذي يمْشي زحفًا، كلُّ واحدٍ منهم يَهابُ الآخرَ فيمشي رُوَيْدًا رُوَيْدًا.

والتولِّي يومَ الزحفِ منْ كبائرِ الذنوبِ؛ لأنَّهُ يتضَمَّنُ الإعراضَ عن الجهادِ في سبيلِ اللهِ، وكَسْرَ قلوبِ المسلمينَ، وتقويةَ أعداءِ اللهِ، وهذا يُؤَدِّي إلى هزيمةِ المسلمينَ.

لكنَّ هذا الحديثَ خصَّصَتْهُ الآيةُ، وهيَ قولُهُ تعالى: {وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ}.

(١٣) قولُهُ: «**وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ**» القذفُ: بمعنى الرَّمْيِ، والمرادُ به هنا الرميُ بالزِّنا، والمحصناتُ هنا الحرائرُ،

وهوَ الصحيحُ.

وقيلَ: العَفيفَاتُ عن الزِّنا.

«**الغافلات**» وهنَّ: العفيفاتُ عن الزنا، البعيداتُ عنهُ اللاَّتي لا يخْطُرُ على بالِهنَّ هذا الأمرُ.

الشاهدُ منْ هذا الحديثِ قولُهُ: «السِّحْرُ».

قال في (تيسير العزيز الحميد) (٣٩٤): **(هذا الأثر رواه البخاري كما ذكرها المصنف، لكنه لم يذكر قتل السحرة، ولعل المصنف أراد أن أصله في البخاري لا لفظه، ورواه الترمذي والنسائي مختصراً، ورواه عبد الرزاق وأحمد وأبو داود مطولاً)** .

(**١٤**) قولُهُ: (**وعَنْ جُنْدُبٍ**) ليسَ هوَ **جُنْدُبَ بنَ عبدِ اللهِ الْبَجَليَّ**، بلْ **جُنْدُبَ الخيرِ** المعروفَ بقاتلِ الساحرِ.

قولُهُ: (**مَرْفُوعًا**) أيْ: إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فيكونُ منْ قولِ النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ، لكنْ نقلَ المؤلِّفُ عن الترمذيِّ قوْلَهُ: (**والصحيحُ أنَّهُ موقوفٌ**) أيْ: منْ قولِ جُنْدُبٍ.

(**١٥**) قولُهُ: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بالسَّيْفِ**» حدُّهُ: عُقُوبتُهُ المُحَدَّدَةُ شرْعًا، وظاهرُهُ: أنَّهُ لا يكْفُرُ؛ لأنَّ الحدودَ تُطَهِّرُ المحدودَ من الإثمِ، والكافرُ إذا قُتِلَ على ردَّتِهِ فالقتلُ لا يُطَهِّرُهُ.

وهذا محمولٌ على ما سبقَ، أنَّ منْ أقسامِ السِّحرِ ما لا يُخْرِجُ الإنسانَ عنِ الإسلامِ، وهو ما كانَ بالأدويةِ والعقاقيرِ التي تُوجبُ الصرفَ والعطفَ وما أشبَهَ ذلكَ.

قولُهُ: (**ضَرْبَةٌ بالسَّيْفِ**) رُوِيَ بالتاءِ بعدَ الباءِ، ورُوِيَ بالهاءِ، وكِلاهُما صحيحٌ، لكنَّ الأُولَى أبلغُ؛ لأنَّ التنكيرَ وصيغةَ الْوَحْدَةِ يدُلاَّنِ على أنَّها ضربةٌ قويَّةٌ قاضيةٌ، هذا كنايةٌ عن القتلِ، وليسَ معناهُ أنْ يُضْرَبَ بالسيفِ معَ كونِ ظهرِهِ مُصَفَّحًا.

(**١٦**) قولُهُ: (**وفي «صَحيحِ البُخاريِّ»**) ذَكَرَ في الشرحِ - أعني (تيسيرَ العزيزِ الحميدِ) - أنَّ هذا اللفظَ ليسَ في (البخاريِّ) والذي في (البخاريِّ) أنَّهُ: **(أَمَرَ بأنْ يُفَرَّقَ بيْنَ كلِّ ذي رَحِمٍ من المَجُوسِ)** لأنَّهُم يُجَوِّزُونَ نكاحَ المحارمِ والعياذُ باللهِ، فأمرَ عُمَرُ أنْ يُفرَّقَ بينَ ذوي الرحمِ ورَحِمِه، لكنْ ذكرَ الشارحُ، صاحبُ (تيسيرِ العزيزِ الحميدِ)، أنَّ **الْقَطِيعِيَّ** رواهُ في الجزءِ الثاني منْ (فوائدِهِ)، وفيهِ: **(ثُمَّ اقتُلُوا كُلَّ كاهِنٍ وسَاحِرٍ)**.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٣٨٠٧٣٠

وقالَ، أي: الشارحُ: (إسنادُهُ حَسَنٌ) قالَ: وعلى هذا فعَزْوُ المصنِّفِ إلى (البخاريِّ) يَحْتَمِلُ أَنَّهُ أرادَ أصْلَهُ لا لَفْظَهُ. ا هـ.

قال ابن عطية: (الخَلاق في أصله الحظ والنصيب؛ إلا أنه في الآية بمعنى الجاه والقدر).

وهذا القتلُ هلْ هوَ حدٌّ أمْ قتْلُهُ لكُفْرِه؟

يحْتَمِلُ هذا وهذا؛ بناءً على التفصيلِ السابقِ في كُفْرِ الساحرِ، ولكنْ بناءً على ما سبقَ من التفصيلِ نقولُ: مَنْ خرجَ بهِ السِّحرُ إلى الكفرِ فقَتْلُهُ قتلُ رِدَّةٍ، ومَنْ لمْ يَخْرُجْ بهِ السحرُ إلى الكفرِ فقتْلُهُ منْ بابِ دفعِ الصائلِ، يَجبُ تنفيذُهُ حيثُ يراهُ الإمامُ.

والحاصلُ: أَنَّهُ يجبُ أنْ نَقْتُلَ السحرةَ سواءٌ قُلْنَا بكفرهم أمْ لمْ نَقُلْ؛ لأَنَّهُم يُمْرِضُونَ ويَقْتُلُونَ؛ ويُفَرِّقُونَ بينَ المرءِ وزوجِهِ، وكذلكَ بالعكسِ، فقدْ يعْطِفُونَ فيُؤَلِّفُونَ بينَ الأعداءِ ويتوَصَّلُونَ إلى أغراضِهم، فإنَّ بعضَهم قدْ يَسْحَرُ أحدًا ليَعْطِفَهُ إليه وينالَ مَأْرَبَهُ منهُ، كما لوْ سحرَ امرأةً ليبغيَ بها؛ ولأَنَّهُم كانوا يسْعَوْنَ في الأرضِ فسادًا فكانَ واجبًا على وليِّ الأمرِ قتْلُهم بدون استتابة ما دامَ أَنَّهُ لدفعِ ضررِهم وفظاعةِ أمرِهم، فإنَّ الحدَّ لا يُسْتَتَابُ صاحبُهُ، متى قُبِضَ عليه وَجَبَ أنْ يُنَفَّذَ فيه الحدُّ.

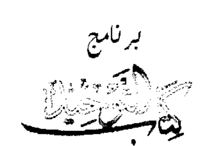
(١٧) قولُهُ: **(قالَ أَحْمَدُ: عَنْ ثَلاثَةٍ مِنْ أَصْحابِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)** وهم: **عمرُ، وحَفْصَةُ، وجُنْدُبُ الخيرِ**، أيْ: صحَّ قتلُ الساحرِ عنْ ثلاثةٍ منْ أصحابِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

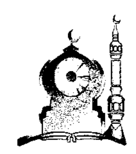
والقولُ بقتلِهم موافقٌ للقواعدِ الشرعيَّةِ؛ لأَنَّهُم يسْعَوْنَ في الأرضِ فسادًا، وفسادُهم منْ أعظمِ الفسادِ، فقتلُهم واجبٌ على الإمامِ، ولا يجوزُ للإمامِ أنْ يتخلَّفَ عنْ قتلِهم؛ لأنَّ مثلَ هؤلاءِ إذا تُرِكوا وشأْنَهُم انتشرَ فسادُهم في أرضِهم وفي أرضِ غيرِهم؛ وإذا قُتِلُوا سَلِمَ الناسُ مِنْ شرِّهم؛ وارْتَدَعَ الناسُ عنْ تعاطي السحرِ.

(١٨) فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: «**تَفْسيرُ آيةِ البَقَرَةِ**» وهيَ قولُهُ تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} أيْ: نصيبٍ، ومَنْ لا خلاقَ لهُ في الآخرةِ فإنَّهُ كافرٌ؛ إذْ كُلُّ مَنْ لهُ نصيبٌ في الآخرةِ فإنَّ مآلَهُ إلى الجنَّةِ.

(١٩) الثانيةُ: «**تَفْسيرُ آيةِ النِّساءِ**» وهيَ قولُهُ تعالى: {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}، وفسَّرَ **عُمرُ** الجبتَ بالسحرِ







وبأنَّ الطاغوتَ الشيطانُ، وفُسِّرَ بأنَّ الجِبْتَ: كلُّ ما لا خيرَ فيه من السحرِ وغيْرِه.

وأمَّا **الطاغوتُ** فهوَ: كلُّ ما تجاوزَ به الإنسانُ حدَّهُ منْ معبودٍ أوْ متبوعٍ أوْ مُطَاعٍ.

(٢٠) **الثالثةُ:** «**تَفْسِيرُ الْجِبْتِ والطَّاغُوتِ والفَرْقُ بَيْنَهُمَا**» وهذا بناءً على تفسيرِ **عُمَرَ** رضيَ اللهُ عنهُ.

(٢١) **الرَّابِعَةُ:** «**أَنَّ الطاغوتَ قَدْ يَكُونُ مِن الْجِنِّ وَقَدْ يَكُونُ مِن الإِنْسِ**» تُؤْخَذُ منْ قولِ جابرٍ: **(الطواغيتُ كُهَّانٌ)**.

وكذلكَ: قولُ عمرَ: **(الطاغوتُ الشيطانُ)** فإنَّ الطاغوتَ إذا أُطْلِقَ فالمرادُ به: شيطانُ الجنِّ، والكُهَّانُ شياطينُ الإنسِ.

(٢٢) **الخامِسَةُ:** «**مَعْرِفَةُ السَّبْعِ الْمُوبِقاتِ الْمَخْصُوصاتِ بالنَّهْيِ**» وقدْ سبقَ بيانُها.

(٢٣) **السَّادِسَةُ:** «**أنَّ السَّاحِرَ يَكْفُرُ**».

تُؤْخَذُ منْ قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ...﴾ الآيةَ.

(٢٤) **السَّابِعَةُ:** «**أَنَّهُ يُقْتَلُ وَلا يُسْتَتَابُ**» يُؤْخَذُ منْ قولِهِ: **(حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بالسَّيْفِ)**.

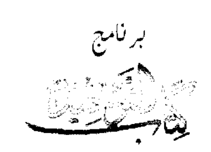
والحدُّ إذا بلغَ الإمامَ لا يُسْتَتَابُ صاحبُهُ، بلْ يُقْتَلُ بكلِّ حالٍ، أمَّا الكفرُ فإنَّهُ يستتابُ صاحبُهُ، وهذا هوَ الفرقُ بينَ الحدِّ وبينَ عقوبةِ الكفرِ، وبهذا نعرفُ خطأَ مَنْ أدخلَ حُكْمَ المُرْتَدِّ في الحدودِ، وذَكَرُوا من الحدودِ قتْلَ الرِّدَّةِ.

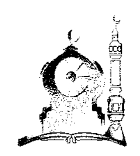
فقتْلُ المرْتَدِّ ليسَ من الحدودِ؛ لأنَّهُ يُسْتَتَابُ، فإذا تابَ ارتفعَ عنهُ القتلُ، وأمَّا الحدودُ فلا تَرْتَفِعُ بالتوبةِ إلاَّ أنْ يتُوبَ قبلَ القُدْرَةِ عليه، ثمَّ إنَّ الحدودَ كفَّارةٌ لصاحبِها وليسَ بكافرٍ، والقتلُ بالرِّدَّةِ ليسَ كفَّارةً، وصاحبُها كافرٌ لا يُصَلَّى عليه ولا يُغَسَّلُ ولا يُدْفَنُ في مقابرِ المسلمينَ.

(٢٥) **الثامنةُ:** «**وُجودُ هَذا فِي الْمُسْلمينَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ**» فَكَيْفَ بَعْدَهُ؟

تُؤْخَذُ منْ قوْلِهِ: **(كَتَبَ عُمرُ أن اقْتُلُوا كلَّ سَاحِرٍ وسَاحِرَةٍ)** فهذا إذا كانَ في زمنِ الخليفةِ الثاني في القرونِ المُفَضَّلَةِ، بلْ أفْضَلِها، فكيفَ بعدَهُ من العصورِ التي بَعُدَتْ عنْ وقتِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وخلفائه وأصحابه، فهوَ أكثرُ انتشارًا بينَ المسلمينَ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس السادس والعشرون

(١) قولُهُ: «**بابُ بيانِ شيءٍ مِنْ أنْواعِ السِّحْرِ**» أيْ: بيانُ حقائقِ هذهِ الأشياءِ معَ حُكْمِهَا.

وقدْ سبقَ أنَّ السحرَ ينقسمُ إلى قسميْنِ:

كُفْرٌ، وفِسْقٌ؛ فإنْ كانَ باستخدامِ الشياطينِ وما أشبهَ ذلكَ فهوَ كُفْرٌ.

وكذلكَ ما ذَكَرَهُ هنا منْ أنواعِ السِّحرِ، منها ما هوَ كفرٌ، ومنها ما هوَ فسقٌ حسَبَ ما تقتضيهِ الأدلَّةُ الشرعيَّةُ.

والأنواعُ: جمعُ نَوْعٍ، والنوعُ أخصُّ من الجنسِ؛ لأنَّ الجنسَ اسمٌ يدْخُلُ تحتَهُ أنواعٌ، والنوعُ يدخلُ تحْتَهُ أفرادٌ، وقدْ يكونُ الجنسُ نوعًا باعتبارِ ما فوقَهُ، والنوعُ جنسًا باعتبارِ ما تحْتَهُ.

فالإنسانُ نوعٌ باعتبارِ الحيوانِ، والحيوانُ باعتبارِ الإنسانِ جنسٌ؛ لأنَّهُ يدخلُ فيهِ الإنسانُ والإبلُ والبقرُ والغنمُ، والحيوانُ باعتبارِ الجسمِ نوعٌ؛ لأنَّ الجسمَ يشملُ الحيوانَ والجمادَ.

(**وأنْواع**) هنا باعتبارِ الجنسِ العامِّ.

وسبقَ أنَّ **السحرَ في اللغة**: كلُّ ما كانَ خفيَّ السبب دقيقًا في إدراكه، حتَّى عدَّ الرازيُّ منْ جملةِ أنواعِ السحرِ الساعاتُ، وهيَ في القديمِ عبارةٌ عنْ آلاتٍ مُركَّبةٍ، فكيفَ بالساعاتِ الإلكْتِرُونيَّةِ اليومَ؟!

(٢) قولُهُ: «**العِيافَةَ**» مصدرُ عافَ يَعيفُ عِيَافَةً، وهيَ زَجْرُ الطيرِ للتشاؤُمِ أو التفاؤُلِ، فعندَ العربِ قواعدُ في هذا الأمرِ؛ **لأنَّ زجْرَ الطيرِ لهُ أقسامٌ:**

- **فتارةً يزْجُرُها للصيدِ:** كما قالَ أهلُ العلمِ في بابِ الصيدِ: إنَّ تعليمَ الطيرِ بأنْ ينْزَجِرَ إذا زُجِرَ؛ فهذا ليسَ منْ هذا الباب.

- **وتارةً يَزْجُرُ الطيرَ للتشاؤمِ أو التفاؤلِ:** فإذا زُجِرَ الطائرُ وذهبَ شمالاً تشاءَمَ، وإذا ذهَبَ يمينًا تفاءلَ، وإنْ ذَهب أَمَامًا فلا أدري أيتوقَّفونَ، أمْ يُعيدُونَ الزجْرَ؛ فهذا من الْجِبْت.

(٣) قولُهُ: «**الطَّرْقَ**» فَسَّرَهُ عَوفٌ: (بِأَنَّهُ الخَطُّ يُخطُّ في الأرضِ، وكأنَّهُ من الطَّريقِ، منْ طَرَقَ الأرضَ يطْرُقُها إذا سارَ عليها، وتخطيطُها مثلُ المشيِ عليها يكونُ لهُ أثرٌ في الأرضِ كأثرِ السيرِ عليها) .

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

ومعنى الخطِّ بالأرضِ معروفٌ عندَهُم، يضربونَ به على الرملِ على سبيلِ السِّحرِ والكهانة، ويفعلُهُ النساءُ غالبًا، ولا أدري كيفَ يتوَصَّلُونَ إلى مقْصُودِهِم، وما يزْعُمُونَهُ منْ عِلْمِ الغيبِ، وأنَّهُ سيَحْصُلُ كذا على ما هوَ معروفٌ عنْدَهُم، وهذا نوعٌ من السحرِ.

أمَّا خطُّ الأرضِ ليكونَ سُتْرَةً في الصلاةِ، أوْ لبيانِ حُدُودِها ونحوِ ذلكَ، فليسَ داخلاً في الحديث.

فإنْ قيلَ: قدْ صحَّ عن الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّ نبيًّا من الأنبياءِ يَخُطُّ، وقالَ: «مَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ».

قُلْنَا: يُجَابُ عنهُ بجوابيْن:

الأوَّلُ: أنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عَلَّقَهُ بأمرٍ لا يتحقَّقُ الوصولُ إليه؛ لأنَّهُ قالَ: «فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ» وما يُدْرِينَا هلْ وافقَ خَطَّهُ أمْ لا؟

الثاني: أنَّهُ إذا كانَ الخطُّ بالوحيِ من اللهِ تعالى كما في حالِ هذا النبيِّ فلا بأسَ به؛ لأنَّ اللهَ يجعلُ لهُ علامةً ينزلُ الوحيُ بها بخطوط يُعْلِمُهُ إيَّاها، أمَّا هذه الخطوطُ السحريَّةُ فهيَ من الوحيِ الشيطانيِّ.

فإنْ قيلَ: طريقةُ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ يَسُدُّ الأبوابَ جميعًا خاصَّةً في موضوعِ الشركِ، فلماذا لمْ يقْطَعْ ويسُدَّ هذا البابَ؟

فالجوابُ: كأنَّ هذا واللهُ أعلمُ أمرٌ معلومٌ، وهو أنَّ فيهِ نبيًّا من الأنبياءِ يَخُطُّ، فلا بُدَّ أنْ يُجيبَ عنهُ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

قولُهُ: «**وَالطِّيَرَةَ**» أيْ: من الجِبْتِ، على وَزْنِ فِعَلَة، وهيَ اسمُ مصدرِ تَطَيَّرَ، والمصدرُ منهُ تَطَيُّرٌ، وهيَ التشاؤمُ بمَرْئِيٍّ أوْ مَسْموعٍ.

وقيلَ: التشاؤمُ بمعلومٍ مَرْئِيًّا كانَ أوْ مسموعًا، زمانًا كانَ أوْ مكانًا، وهذا أشملُ، فيشملُ ما لا يُرى ولا يُسمعُ كالتَّطَيُّرِ بالزمانِ.

وأصلُ التَّطَيُّرِ التشاؤمُ، لكنْ أُضيفَتْ إلى الطيرِ؛ لأنَّ غالبَ التشاؤمِ عندَ العربِ بالطيرِ، فَعَلِقَتْ به، وإلاَّ فإنَّ تعريفَها العامَّ: **التشاؤمُ بمَرْئِيٍّ، أوْ مسموعٍ، أوْ معلومٍ.**

وكانَ العربُ يتشاءَمُونَ بالطيرِ وبالزمانِ وبالمكانِ وبالأشخاصِ، وهذا من الشركِ كما قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

والإنسانُ إذا فتحَ على نفْسه بابَ التشاؤمِ ضاقَتْ عليه الدُّنيا، وصارَ يَتَخَيَّلُ كلَّ شيءٍ أنَّهُ شُؤْمٌ، حتَّى إنَّهُ يُوجَدُ

أُناسٌ إذا أصبحَ وخرجَ مِنْ بيْتِهِ ثمَّ قابلَهُ رجلٌ ليسَ لهُ إلاَّ عينٌ واحدةٌ تشاءمَ، وقالَ: اليومُ يومُ سَوءٍ، وأغلقَ دُكَّانَهُ، ولم يَبِعْ ولَمْ يَشْتَرِ والعياذُ باللهِ.

وكان بعضُهم يتشاءمُ بيومِ الأربعاءِ ويقولُ: (إنَّهُ يومُ نَحْسٍ وشُؤْمٍ).

ومنهم مَنْ يتشاءمُ (بشهرِ شَوَّالٍ) ولا سيَّما في النِّكاحِ، وقدْ نَقَضَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها هذا التشاؤمَ بأنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عقدَ علَيْها في شوَّالٍ، وبنى بها في شَوَّالٍ، فكانتْ تقولُ: أيُّكُنَّ كانَ أحْظَى عنْدَهُ منِّي؟

والجوابُ: لا أَحَدَ.

فالمهمُّ: أنَّ التشاؤمَ ينبغي للإنسان أنْ لا يطْرَأَ لهُ على بالٍ؛ لأنَّهُ يُنَكِّدُ عليه عَيْشَهُ، فالواجبُ الاقتداءُ بالنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حيثُ كانَ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ، فينبغي للإنسان أنْ يتفاءلَ بالخيرِ ولا يتشاءمَ، وكذلكَ بعضُ الناسِ إذا حاولَ الأمرَ مَرَّةً بعدَ أخرى تشاءمَ بأنَّهُ لنْ ينْجَحَ فيهِ فيتركُهُ، وهذا خطأٌ، فكلُّ شيءٍ ترى فيهِ المصلحَةَ فلا تَتَقَاعَسْ عنهُ في أوَّلِ محاولةٍ، وحَاوِلْ مرَّةً بعدَ أخرى حتَّى يفتحَ اللهُ عليكَ.

(٤) قولُهُ: «من الجِبْتِ» سبقَ في البابِ قبْلَهُ عنْ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ، أنَّ الجبتَ السحرُ، وعلى هذا تكونُ «مِنْ» للتبعيضِ على الصحيحِ، وليْسَتْ للبيانِ، فالمعنى أنَّ هذهِ الثلاثَةَ (العيافةَ، والطَّرْقَ، والطِّيَرَةَ) من الجبتِ.

وأمَّا قولُ الحسنِ: (الجبتُ: رَنَّةُ الشيطانِ) فقالَ صاحبُ (تيسيرِ العزيزِ الحميدِ): (لمْ أجدْ فيه كلامًا، والظاهرُ أنَّ (رَنَّةَ الشيطانِ) أيْ: وحيُ الشيطانِ، فهذهِ منْ وحيِ الشيطانِ وإمْلائِه، ولا شكَّ أنَّ الذي يتلقَّى أمرَهُ منْ وحيِ الشيطانِ أنَّهُ أتى نوْعًا من الكُفْرِ).

وقولُ الحسنِ جاءَ في (تفسيرِ ابنِ كثيرٍ) باللفظِ الذي ذكَرَهُ المُؤَلِّفُ، وجاءَ في (المسندِ) (٥/٦٠) بلفظِ: (إنَّهُ الشيطانُ).

قال في (تيسير العزيز الحميد) ص٤٠٢ : (قوله (رنّة الشيطان) لم أجد فيه كلاماً.

قال في (فتح المجيد) (قلت ذكره إبراهيم بن محمد بن مفلح أن في تفسير بقي بن مخلد أن إبليس رنّ أربع رنات . . . .) الرنين: الصوت.

وقد رن يرنّ رنينا، وبهذا يظهر معنى قول الحسن. ا. هـ

لكن الذي في (المسند): (إنه الشيطان) وهو المقطوع بصحته.

ووجهُ كونِ العيافةِ من السحرِ:

أنَّ العيافةَ يستندُ فيها الإنسانُ إلى أمرٍ لا حقيقةَ لهُ، فماذا يعني كونُ الطائرِ يذهبُ يمينًا أوْ شمالاً أوْ أمامًا أوْ خَلْفًا؟ فهذا لا أصلَ لهُ، وليسَ بسببٍ شرعيٍّ ولا حسِّيٍّ، فإذا اعتَمدَ الإنسانُ على ذلكَ، فقد اعتمدَ على أمرٍ خفيٍّ لا حقيقةَ لهُ، وهذا سحرٌ كما سبَقَ تعريفُ السحرِ في اللغة.

وكذلكَ الطَّرْقُ من السحرِ؛ لأنَّهم يستعمِلُونَهُ في السحرِ، ويتوصَّلُونَ به إليه.

والطِّيَرَةُ كذلكَ؛ لأنَّها مثلُ العيافةِ تمامًا، تستندُ إلى أمرٍ خفيٍّ لا يصحُّ الاعتمادُ عليهِ، وسيأتي في بابِ الطيرةِ ما يُستَثْنَى منهُ.

(٥) قولُهُ: (**إسنادُهُ جَيِّدٌ...**) قالَ الشيخُ: (**إسنادُهُ جيدٌ، وعندي أنَّهُ أقلُّ من الجيّدِ في الواقعِ، إلاَّ أنْ يكونَ هناكَ مُتَابعاتٌ**).

(٦) قولُهُ «**مَنْ**» شرطيَّةٌ، وفعْلُ الشرطِ «**اقْتَبَسَ**» وجوابُهُ «**فَقَدِ اقْتَبَسَ**».

قولُهُ: «**اقْتَبَسَ**» أيْ: تَعَلَّمَ؛ لأنَّ التَّعَلُّمَ، وهوَ أخذُ الطالبِ من العالِمِ شيئًا منْ عِلْمِهِ، بمنزلةِ الرجلِ يقتبسُ منْ صاحبِ النارِ شُعْلَةً.

قولُهُ: «**شُعْبَةً**» أيْ: طائفةً، ومنهُ قولُهُ تعالى: **﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾**، أيْ: طوائفَ وقبائلَ.

قولُهُ: «**مِنَ النُّجومِ**» المرادُ: **علمُ النجومِ، وليسَ المرادُ النجومَ أنْفُسَها**؛ لأنَّ النجومَ لا يُمْكِنُ أنْ تُقْتَبَسَ وتُتَعَلَّمَ، والمرادُ بهِ هنا: عِلْمُ النجومِ الذي يُستَدَلُّ بهِ على الحوادثِ الأرضيَّةِ، فيستدلُّ مثلاً باقترانِ النجمِ الفُلانيِّ بالنجمِ الفُلانيِّ على أنَّهُ سيَحْدُثُ كذا وكذا.

ويستَدَلُّ بولادةِ إنسانٍ في هذا النجمِ على أنَّهُ سيكونُ سعيدًا، وفي هذا النجمِ الآخَرِ على أنَّهُ سيكونُ شَقيًّا، فيستدلُّونَ باختلافِ أحوالِ النجومِ على اختلافِ الحوادثِ الأرضيَّةِ، والحوادثُ الأرضيَّةُ منْ عنْدِ اللهِ، قدْ تكونُ أسبابُها معلومةً لنا، وقدْ تكونُ أسبابُها مجهولةً، **لكنْ ليسَ للنجومِ بها علاقةٌ**؛ ولهذا جاءَ في حديثِ **زيدِ بنِ خالدٍ**

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

الْجُهَنِيِّ فِي غزوةِ الحديبيَّةِ قالَ: صلَّى بنا رسولُ اللهِ ذاتَ ليلةٍ على إثْرِ سماءٍ من الليلِ فقالَ: «قالَ اللهُ تعالَى: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَمَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا - بِنَوْءِ يَعْنِي: بنَجْمٍ، والباءُ للسببيَّةِ، يعني: هذا المطرُ من النجمِ - فَإِنَّهُ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ، وَمَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ».

فالنجومُ لا تأتِي بالمطرِ ولا تأتِي بالرياحِ أيضًا، ومنهُ نَأْخُذُ خطأَ العوامِّ الذينَ يقولونَ: إذا هبَّت الريحُ طلعَ النجمُ الفلانيُّ؛ لأنَّ النجومَ لا تأثيرَ لها بالرياحِ، صحيحٌ أنَّ بعضَ الأوقاتِ والفصولِ يكونُ فيها ريحٌ ومطرٌ، فهيَ ظَرْفٌ لَهُمَا، وليستْ سببًا للريحِ أو المطرِ.

وعِلْمُ النجومِ ينقسمُ إلى قسميْنِ:

الأوَّلُ: علمُ التأثيرِ، وهوَ أنْ يُسْتَدَلَّ بالحوادثِ الفلكيَّةِ على الحوادثِ الأرضيَّةِ، فهذا مُحَرَّمٌ باطلٌ لقولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ».

وقولِـــهِ في حديثِ زيدِ بنِ خالدٍ: «مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ».

ولقولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الشمسِ والقمرِ: «إِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ» فالأحوالُ الفلكيَّةُ لا عَلاقةَ بينَها وبينَ الحوادثِ الأرضيَّةِ.

الثاني: علمُ التسييرِ، وهوَ ما يُسْتَدَلُّ به على الجهاتِ والأوْقاتِ، فهذا جائزٌ.

وقدْ يكونُ واجبًا أحيانًا كَمَا قالَ الفقهاءُ: (إذا دخلَ وقتُ الصلاةِ يجبُ على الإنسانِ أنْ يتعلَّمَ علاماتِ القِبْلَةِ من النجومِ والشمسِ والقمرِ، قالَ تعالى: { وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } فلمَّا ذكرَ اللهُ العلاماتِ الأرضيَّةَ انتقلَ إلى العلاماتِ السماويَّةِ .

فقالَ تعالى: { وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } فالاستدلالُ بهذهِ النجومِ على الأزمانِ لا بأسَ بهِ، مثلُ أنْ يُقالَ: إذا طلعَ النجمُ الفلانيُّ دخلَ وقتُ السيْلِ، ودخَلَ وقتُ الربيعِ، كذلكَ على الأماكنِ كالقبلةِ والشمالِ والجنوبِ).

قولُهُ: «فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ» المرادُ بالسحرِ هنا: ما هوَ أعمُّ من السحرِ المعروفِ؛ لأنَّ هذا

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

من الاستدلالِ بالأمورِ الخفيَّةِ التي لا حقيقةَ لها، كما أنَّ السحرَ لا حقيقةَ لهُ ولا يَقْلبُ الأشياءَ لكنَّهُ يُمَوِّهُ، وهكذا اختلافُ النجومِ لا تَتَغَيَّرُ بها الأحوالُ.

وقولُهُ: «**زَادَ مَا زَادَ**» أيْ: كُلَّما زادَ شُعْبَةً مِنْ تَعَلُّمِ النجومِ ازدادَ شُعْبَةً مِن السحرِ.

وَوَجْهُ ذلِكَ أنَّ الشيءَ إذا كانَ مِن الشيءِ فإنَّهُ يَزْدَادُ بزِيَادَته.

وجهُ مناسبةِ الحديثِ لترجمةِ المؤلِّفِ:

أنَّ مِنْ أنواعِ السحرِ تَعَلُّمَ النجومِ لِيُسْتَدَلَّ بها على الحوادثِ الأرضيَّةِ، وهذا الحديثُ وإنْ كانَ ضعيفَ السندِ، لكنْ مِنْ حيثُ المعنى صحيحٌ تَشْهَدُ لهُ النصوصُ الأخرى.

(٧) قولُهُ: «**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً**» «**مَنْ**» شرطيَّةٌ، والعَقْدُ معروفٌ.

(٨) قولُهُ: «**ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا**» **النَّفْثُ**: النَّفْخُ بِريقٍ خفيفٍ، والمرادُ هنا النفثُ مِنْ أجلِ السحرِ، أمَّا لوْ عقَدَ عقدةً ثمَّ نَفَثَ فيها مِنْ أجْلِ أنْ تَحْتَكِمَ بالرطوبةِ فليسَ بداخلٍ في الحديثِ، والنفثُ مِنْ أجلِ السحرِ يفعلونَهُ بعضَ الأحيانِ للصرفِ، فيصرفونَ به الرجلَ عنْ زوجتِه، ولا سيَّما عندَ عَقْدِ النكاحِ، فيَبْعُدُ الرجلُ عنْ زوجتِه فلا يَقْوَى على جِماعِها، فمَنْ عقدَ هذه العُقْدَةَ فقدْ وَقَعَ في السحرِ كَمَا قالَ تعالى: ﴿ **وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** ﴾.

قولُهُ: «**وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ**» «مَنْ» هذه شرطيَّةٌ، وفعلُ الشرطِ «**سحرَ**» وجوابُهُ «**فَقَدْ أَشْرَكَ**».

وقولُهُ: «**فقدْ أشْرَكَ**» هذا لا يتناولُ جميعَ السحرِ إنَّما مَنْ سَحَرَ بالطرقِ الشيطانيَّةِ، أمَّا مَنْ سحرَ بالأدويةِ والعقاقيرِ وما أشْبَهَها، فقدْ سَبَقَ أنَّهُ لا يكونُ مشركًا، لكن الذي يسْحَرُ بواسطةِ طاعةِ الشياطينِ واستخدامِهم فيما يُريدُ، فهذا لا شكَّ أنَّهُ مُشْرِكٌ.

(٩) وقولُهُ: «**وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**» تَعَلَّقَ شيئًا: أي: استمسكَ به واعتمدَ عليه.

وُكِلَ إليه: أيْ: جُعِلَ هذا الشيءُ الذي تعلَّقَ به عمادًا لهُ، وَوَكَلَهُ اللهُ إليه، وتَخَلَّى عنهُ.

ومناسبةُ هذه الجملةِ للَّتي قَبْلَها: أنَّ النافخَ في العُقَدِ يُريدُ أنْ يتوَصَّلَ بهذا الشيءِ إلى حاجَتِهِ ومآربِه، فَيُوكَلُ إلى هذا الشيءِ المُحَرَّمِ.

ووجْهٌ آخرُ: **وهوَ أنَّ من الناسِ مَنْ إذا سُحِرَ عَنْ طريقِ النفخِ بالعُقَدِ** ذهبَ إلى السَّحَرَةِ، وتعَلَّقَ بهم، ولا يَذْهَبُ إلى القُرَّاءِ والأدويةِ المباحةِ والأدعيةِ المشروعةِ، ومَنْ توكَّلَ على اللهِ كَفاهُ، قالَ تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى**

E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ} وإذا كانَ اللهُ حَسْبَكَ فلا بُدَّ أنْ تَصلَ إلى ما تُريدُ.

لكنْ مَنْ تعَلَّقَ شيئًا من المخلوقينَ وُكلَ إليه، ومَنْ وُكلَ إلى شيءٍ من المخلوقينَ وُكلَ إلى ضعفٍ وعجزٍ وعوْرَةٍ، وقدْ يشملُ الحديثُ مَن اعتمدَ على نفسِه، وصارَ مُعْجَبًا بما يقولُ ويفعلُ، فإنَّهُ يُوكَلُ إلى نفسِه، ويوكلُ إلى ضعفٍ وعجزٍ وعورةٍ.

ولهذا ينبغي أنْ تكونَ دائمًا مُتَعَلِّقًا باللهِ في كلِّ أفعالِكَ وأحوالِكَ حتَّى في أهْوَنِ الأمورِ.

ونقولُ للإنسانِ: اعتَمدْ على نفْسِكَ بالنسبةِ للناسِ، فلا تسألْهُم ولا تستَذلَّ أمامَهم واستَغْنِ عنهم ما استطَعْتَ، أمَّا بالنسبةِ للهِ فلا تستَغْنِ عنهُ، بلْ كُنْ دائمًا مُعْتَمدًا على ربِّكَ حتَّى تتَيَسَّرَ لكَ الأمورُ.

ومنْ هذا النوعِ مَنْ يتَعَلَّقُون ببعضِ الأحْرَازِ يُعَلِّقُونَها، فإنَّهُم يُوكَلُونَ إلى هذا، ولا يَحْصُلُ لهم مقصودُهم، لكنَّهم لو اعتمدوا على اللهِ، وسلكوا السُّبُلَ الشرعيَّةَ حصلَ لهم ما يُريدونَ.

ومنْ هذا النوعِ أيضًا مَنْ تعلَّقَ شيئًا منْ هذهِ القبورِ، وجعلَها مَلْجَأَهُ ومُغيثَهُ عندَ طلبِ الأمورِ، فإنَّهُ يُوكَلُ إليه، والإنسانُ قدْ يُفتَنُ ويَحْصُلُ لهُ المطلوبُ بدُعاءِ هؤلاءِ، ولكنَّ هذا المطلوبَ الذي حصلَ حصلَ عندَ دُعَائِهم لا بدُعَائِهم، والآيةُ صريحَةٌ في ذلكَ، قالَ تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. . . } لكنَّ اللهَ تعالى قَدْ يَفْتِنُ مَنْ شاءَ مِنْ عبادِه.

ومُنَاسَبَةُ الحديثِ:

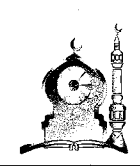
أنَّ هؤلاءِ الذينَ يتعَلَّقُونَ بالسحرِ، ويجعلونَهُ صناعةً يصِلُونَ بها إلى مآربِهم يُوكَلُونَ إلى ذلكَ، وآخرُ أمْرِهم الخَسارةُ والندمُ.

(١٠) قولُهُ: «أَلاَ» أداةُ استفتاحٍ، والغرضُ تنبيهُ المُخاطَبِ والاعتناءُ بما يُلْقَى إليه لأهميَّتِه.

قولُهُ: «**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟**» الاستفهامُ للتشويقِ.

قولُهُ: «**العَضْهُ**» على وزنِ الحَبْلِ والصمْتِ والوعْدِ، بمعنى القطْعِ. وأمَّا روايةُ العِضَةِ على وزْنِ عِدَةٍ، فإنَّها بمعنى التفريقِ، وأيًّا كانَ فإنَّها تتضَمَّنُ قطْعًا وتفريقًا.

(١١) قولُهُ: «**هيَ النَّميمَةُ**» فَعيلَةٌ بمعنى مفعولةٍ، وهيَ مِنْ نمَّ الحديثَ إلى غيرِه، أيْ: نقَلَهُ، والنميمةُ فسَّرَها



بقوله: «القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» أيْ: نقلُ القولِ بينَ الناسِ، فيَنْقلُ مِنْ هذا إلى هذا، فيأتي لفلانٍ ويقولُ: فلانٌ يَسُبُّكَ، فهوَ نَمَّ إليه الحديثَ ونقلَهُ، وسواءٌ كانَ صادقًا أوْ كاذبًا، فإنْ كانَ كاذبًا فهوَ بَهْتٌ ونميمةٌ، وإنْ كانَ صادقًا فهوَ نميمةٌ.

والنميمةُ كما أخبرَ الرسولُ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ **تقْطَعُ الصلةَ وتُفرِّقُ بينَ الناسِ** فتجدُ هذيْنِ الرجُلَيْنِ صديقَيْنِ، فيأتي هذا النَّمَّامُ فيقولُ لأحدِهما: (**صاحِبُكَ يَسُبُّكَ**) فتنْقَلبُ هذه المودَّةُ إلى عداوةٍ فيحصلُ التفرُّقُ، وهذا يُشْبِهُ السحرَ بالتفريقِ؛ لأنَّ السحرَ فيهِ تفريقٌ، قالَ تعالى: **{ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ }**.

والنميمةُ مِنْ كبائرِ الذنوبِ، وهيَ سببٌ لعذابِ القبرِ، ومِنْ أسبابِ حرمانِ دخولِ الجنَّةِ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ**» أيْ: نَمَّامٌ.

وفي حديثِ **ابنِ عبَّاسٍ** المُتَّفقِ عليهِ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**مرَّ بقبرَيْنِ يُعذَّبَانِ؛ أحدُهُما كانَ يَمْشي بالنميمَةِ**».

(١٢) قولُهُ: «**إنَّ مِنَ الْبَيَانِ**» «إنَّ» حرفُ توكيدٍ ينْصبُ الاسمَ ويرفعُ الخبرَ، و«مِنْ» يُحتَمَلُ أنْ تكونَ للتبعيضِ، ويُحتَمَلُ أنْ تكونَ لبيانِ الجنسِ، فعلى الأوَّلِ يكونُ المعنى: إنَّ بعضَ البيانِ سحرٌ، وبعْضَهُ ليسَ بسحرٍ، وعلى **الثاني**: يكونُ المعنى: إنَّ جنسَ البيانِ كُلّه سحرٌ.

قولُهُ: «**لَسِحْرًا**» اللامُ للتوكيدِ، و(سِحْرًا) اسمُ إنَّ.

والبيانُ: هوَ الفصاحةُ والبلاغةُ، وهوَ مِنْ نعمةِ اللهِ على الإنسانِ، قالَ تعالى: **{ خَلَقَ الإِنْسَانَ (٢) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ }**.

والبيانُ نوعانِ:

الأوَّلُ: بيانُ ما لا بُدَّ منهُ، وهذا يشتركُ فيهِ جميعُ الناسِ، فكلُّ إنسانٍ إذا جاعَ قالَ: إنِّي جُعْتُ، وإذا عَطِشَ قالَ: إنِّي عَطِشْتُ، وهكذا.

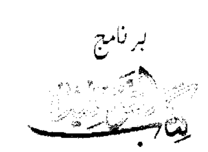
الثاني: بيانٌ بمعنى الفصاحةِ التامَّةِ التي تَسْبِي العقولَ وتُغَيِّرُ الأفكارَ، وهيَ التي قالَ فيها الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**إنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**».

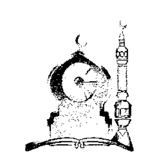
وعلى هذا التقسيمِ تكونُ (مِنْ) للتبعيضِ، أيْ: بعضُ البيانِ – وهو البيانُ الكاملُ الذي هوَ الفصاحةُ – سِحْرٌ.

أمَّا إذا جعلْنا البيانَ بمعنى الفصاحةِ فَقطْ، صارَتْ «مِنْ» لبيانِ الجنْسِ.

ووجهُ كونِ البيانِ سحرًا أنَّهُ يأخذُ بلُبِّ السامعِ، فيصرفُهُ أوْ يعْطِفُهُ، فيظنُّ السامعُ أنَّ الباطلَ حقٌّ؛ لقوَّةِ تأثيرِ

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٢٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com







المُتكلِّمِ، فينصرفُ إليه، ولهذا إذا أتى إنسانٌ يتكلَّمُ بكلامٍ معناهُ باطلٌ لكنْ لقوَّةِ فصاحتِه وبيانِه يَسْحَرُ السامعَ حقًّا، فينصرفُ إليه، وإذا تكلَّمَ إنسانٌ بليغٌ يُحَذِّرُ مِنْ حقٍّ، وَلِفَصَاحَتِه وبيانِه يظنُّ السامعُ أنَّ هذا الحقَّ باطلٌ، فينصرفُ عنهُ، وهذا مِنَ جنسِ السحرِ الذي يُسمُّونَهُ العطفَ والصرفَ.

والبيانُ **يحصلُ به عطفٌ وصرفٌ**، فالبيانُ في الحقيقةِ بمعنى الفصاحةِ، ولا شكَّ أنَّها تفعلُ فِعْلَ السحرِ.

وقولُهُ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا» هلْ هذا على سبيلِ الذمِّ، أوْ على سبيلِ المدحِ، أوْ لبيانِ الواقعِ ثمَّ يُنْظَرُ إلى أثَرِهِ؟

الجوابُ: الأخيرُ هوَ المرادُ، فالبيانُ مِنْ حيثُ هوَ بيانٌ لا يُمْدَحُ عليه ولا يُذَمُّ، ولكنْ يُنْظَرُ إلى أثرِهِ والمقصودِ منهُ، فإنْ كانَ المقصودُ منهُ ردَّ الحقِّ وإثباتَ الباطلِ فهوَ مذمومٌ؛ لأنَّهُ استعمالٌ لنعمةِ اللهِ في معصيتِه، وإنْ كانَ المقصودُ منهُ إثباتَ الحقِّ وإبطالَ الباطلِ فهوَ ممدوحٌ، وإذا كانَ البيانُ يُسْتَعْمَلُ في طاعةِ اللهِ وفي الدعوةِ إلى اللهِ فهوَ خَيْرٌ مِن الْعِيِّ، لكنْ إذا ابْتُلِيَ الإنسانُ ببيانٍ لِيَصُدَّ الناسَ عَنْ دينِ اللهِ، فهذا لا خَيْرَ فيه والْعِيُّ خيرٌ مِنْهُ.

والبيانُ **مِنْ حيثُ هوَ لا شكَّ أنَّهُ نعمةٌ**؛ ولهذا امتنَّ اللهُ به على الإنسانِ فقالَ تعالى: { عَلَّمَهُ الْبَيَانَ }.

وهذا الذي ذكره المصنف حسن؛ لكن قال ابن رجب: **(من تأمل طرق الحديث، وسياقه علم أنه لا يصلح له إلا هذا المعنى يعني: الذم)** .

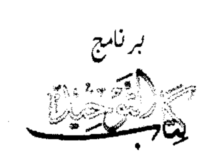
وقد كان المؤلِّفُ حكيمًا في تعبيرِه بالترجمةِ حيثُ قالَ: (**بابُ بيانِ شيءٍ مِنْ أنواعِ السحرِ**) ولَمْ يحكُمْ عليها بشيءٍ؛ لأنَّ منها ما هوَ شركٌ، ومنها ما هوَ مِنْ كبائرِ الذنوبِ، ومنها ما دونَ ذلكَ، ومنها ما هوَ جائزٌ على حسَبِ ما يُقْصَدُ بِهِ وعلى حسبِ تأثيرِهِ وآثارِهِ.

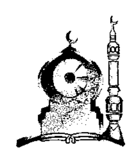
(١٣) قالَ: **فيهِ مَسائِلُ**: أيْ: في هذا البابِ وما تضمَّنَهُ من الأحاديثِ والآثارِ مسائلُ.

المسألةُ الأولى: (**أنَّ العِيَافَةَ والطَّرْقَ والطِّيَرَةَ من الْجِبْتِ**) وقدْ سَبَقَ تفسيرُ هذه الثلاثةِ وتفسيرُ الجبتِ.

(١٤) **الثانيةُ**: (**تفسيرُ العيافةِ والطَّرْقِ**) وقدْ بُيِّنَتْ في البابِ أيضًا وشُرِحَتْ.

(١٥) **الثالثةُ**: (**أنَّ عِلْمَ النجومِ نَوْعٌ مِن السِّحرِ**) لقوْلِهِ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ» وسبقَ الكلامُ عليها أيضًا.







(١٦) **الرَّابِعَةُ: (أن العَقْدَ مَعَ النَّفْثِ مِنْ ذلك)** لحديثِ أبي هريرةَ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فيها فَقَدْ سَحَرَ» وقدْ تقدَّمَ الكلامُ على ذلكَ.

(١٧) **الخامسةُ: (أنَّ النَّميمةَ مِنْ ذلكَ)** لحديثِ ابنِ مسعودٍ: «أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ» وهيَ من السحرِ؛ لأنَّها تفعلُ ما يفعلُ الساحرُ من التفريقِ بينَ الناسِ والتحريشِ بَيْنَهُم، وقدْ سَبَقَ بيانُ ذلكَ.

(١٨) **السَّادسةُ: (أَنَّ مِنْ ذلكَ بَعْضَ الفَصَاحَةِ)** أيْ: مِن السحرِ بعضَ الفصاحةِ؛ لقولِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا».

والمؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ قالَ: بعضُ الفصاحةِ، استدلالاً بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ» لأنَّ «مِنْ» هنا عندَ **المُؤَلِّفِ** للتبعيضِ.

ووجْهُ كونِ ذلكَ مِن السحرِ أنَّ لسانَ البليغِ ذي البيانِ قَدْ يَصْرِفُ الهِمَمَ، وقَدْ يُلْهِبُ الهممَ بما عندَهُ من الفصاحةِ.

تهذيب القول المفيد لفضيلةالشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس السابع والعشرون

(١) **(الكُهَّانُ)** جمعُ كاهنٍ، والكَهَنَةُ أيضًا جمعُ كاهنٍ، وهمْ قومٌ يكونونَ في أحياءِ العربِ يتحاكمُ الناسُ إليهِمْ، وتتَّصِلُ بهم الشياطينُ، وتُخبِرُهم عمَّا كانَ في السماءِ، تَسْترِقُ السمعَ مِن السماءِ، وتُخبِرُ الكاهنَ به، ثُمَّ الكاهنُ يُضيفُ إلى هذا الخبرِ ما يُضيفُ مِن الأخبارِ الكاذبةِ ويُخبِرُ الناسَ، فإذا وقعَ ممَّا أخبَرَ به شيءٌ اعتقَدَهُ الناسُ عالمًا بالغيبِ، فصاروا يتحاكمونَ إليْهِم، فهمْ مَرْجعٌ للناسِ في الحُكْمِ، ولهذا يُسَمَّوْنَ الكهنةَ إذْ هم يُخبِرُونَ عَنِ الأمورِ في المستقبلِ، يقولونَ: سيقعُ كذا وسيقعُ كذا.

قال في (تيسير العزيز الحميد) ص٤٠٩ : **(اعلم أن الكهان الذين يأخذون عن مسترقي السمع موجودون إلى اليوم، لكنهم قليل بالنسبة لما كانوا عليه في الجاهلية؛ لأن الله حرس السماء بالشهب، ولم يبقى من استراقهم إلا ما يخطفه الأعلى، فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب)** .

ولَيْسَ من الكَهَانةِ في شيءٍ مَنْ يُخبِرُ عَنْ أمورٍ تُدْرَكُ بالحسابِ؛ فإنَّ الأمورَ التي تُدْرَكُ بالحسابِ لَيْسَتْ مِن الكهانةِ في شيءٍ، كَمَا لوْ أخبَرَ عَنْ كسوفِ الشمسِ أوْ خسوفِ القمرِ، فهذا لَيْسَ مِن الكهانةِ؛ لأنَّهُ يُدْرَكُ بالحسابِ، وكما لوْ أخبَرَ أنَّ الشمسَ تَغْرُبُ في مِنَ **بُرْجِ الميزانِ مثلاً**، في الساعةِ كذا وكذا، فهذا لَيْسَ مِنْ عِلْمِ الغيبِ.

وكما يقولونَ: (إنَّهُ سيخرجُ في أوَّلِ العامِ أو العامِ الذي بعدَهُ مُذَنَّبُ (هالي)، وهو نجمٌ لهُ ذَنَبٌ طويلٌ) **فهذا لَيْسَ مِن الكهانةِ في شيءٍ**؛ لأنَّهُ مِن الأمورِ التي تُدْرَكُ بالحسابِ، فكلُّ شيءٍ يُدْرَكُ بالحسابِ، فإنَّ الإخبارَ عَنْهُ ولوْ كانَ مستقبلاً لا يُعْتَبرُ مِنْ علْمِ الغيبِ، ولا مِن الكهانةِ.

(٢) قولُهُ: «**مَنْ**» شرطيَّةٌ فهيَ للعمومِ.

والعرَّافُ: صيغةُ مبالغةٍ مِن العارفِ، أوْ نسبةٌ، أيْ: مَنْ ينتسبُ إلى العرافةِ.

والعرَّافُ قيلَ: هوَ الكاهنُ، وهو الذي يُخبِرُ عَن المستقبلِ.

وقيلَ: هوَ اسمٌ عامٌّ للكاهنِ والمُنَجِّمِ والرَّمَّالِ ونحوِهم ممَّنْ يَسْتَدلُّ على معرفةِ الغيبِ بمُقدِّماتٍ يستعملُها، وهذا المعنى أعمُّ، ويدلُّ عليه الاشتقاقُ؛ إذْ هوَ مشتَقٌّ مِن المعرفةِ، فيشملُ كلَّ مَنْ تعاطى هذه الأمورَ وادَّعى بها المعرفةَ.

قولُهُ: «**فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**» ظاهرُ الحديثِ أنَّ مُجَرَّدَ سُؤَالِه يُوجبُ عدَمَ

قبولِ صلاتِه أربعينَ يومًا، ولكنَّهُ لَيْسَ على إطلاقِه.

فسؤالُ العرَّافِ ونحوهِ ينقسمُ إلى أقسامٍ:

القسمُ الأوَّلُ: أنْ يسألَهُ سؤالاً مُجرَّدًا، فهذا حرامٌ؛ لقولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا . . .**»

فإثباتُ العقوبةِ على سؤالِه يدلُّ على تحريمِه؛ إذْ لا عقوبةَ إلاَّ على فعلٍ مُحرَّمٍ.

القسمُ الثاني: أنْ يسألَهُ فيُصدِّقَهُ، ويعْتَبِرَ قولَهُ، فهذا كفرٌ؛ لأنَّ تصديقَهُ في علمِ الغيبِ تكذيبٌ للقرآنِ، حيثُ قالَ تعالى: **{ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ }**.

القسمُ الثالثُ: أنْ يسألَهُ ليختبرَهُ، هَلْ هوَ صادقٌ أوْ كاذبٌ، لا لأجْلِ أنْ يأخذَ بقولِه، فهذا لا بأسَ به، ولا يدخلُ في الحديثِ.

وقَدْ سألَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ابنَ صيَّادٍ فقالَ: «**مَاذَا خَبَّأْتُ لَكَ؟**».

قَالَ: الدُّخ.

فقَالَ: «**اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ**».

فالنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سألَهُ عَنْ شَيْءٍ أضْمَرَهُ لهُ؛ لأجْلِ أنْ يختبرَهُ، فأخبرَهُ به.

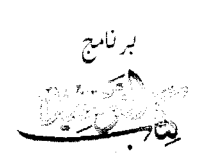
القسمُ الرابعُ: أنْ يسألَهُ ليُظْهِرَ عجزَهُ وكذبَهُ، فيمتحنَهُ في أمورٍ يتبيَّنُ بها كذبُه وعجْزُهُ، وهذا مطلوبٌ وقدْ يكونُ واجبًا.

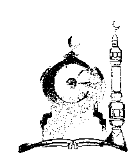
وإبطالُ **قولِ الكهنةِ لا شكَّ أنَّهُ أمرٌ مطلوبٌ**، وقدْ يكونُ واجبًا، فصارَ السؤالُ هنا لَيْسَ على إطلاقِه، بلْ يُفصَّلُ فيه هذا التفصيلُ على حَسَبِ ما دلَّتْ عليه الأدلَّةُ الشرعيَّةُ الأخرى.

وقدْ أخْبَرَ شيخُ الإسلامِ عَنْهُمْ، أنَّ الجنَّ يَخْدِمُونَ الإنسَ في أمورٍ، والكُهَّانَ يستخدِمُونَ الجنَّ، ليأْتُوهُم بخبرِ السماءِ، فيُضيفُونَ إليه مِن الكذبِ ما يضيفونَ.

وخدمةُ الجنِّ للإنسِ لَيْسَتْ مُحَرَّمةً على كلِّ حالٍ، بَلْ هيَ على حَسَبِ الحالِ.

فالجنِّيُّ يخدمُ الإنسَ في أمورٍ لمصلحةِ الإنسِ، وقدْ يكونُ للجنِّ فيها مصلحةٌ، وقدْ لا يكونُ لهُ فيها مصلحةٌ؛ بَلْ لأنَّهُ يُحبُّهُ في اللهِ ولِلَّهِ، ولا شكَّ أنَّ مِن الجنِّ مؤمنينَ يُحبُّونَ المؤمنينَ مِن الإنسِ؛ لأنَّهُ يجمعُهُم الإيمانُ باللهِ.







وقدْ يخدِمُونَهم لطاعةِ الإنسِ لَهم فيما لا يُرْضِي اللهَ عزَّ وجلَّ؛ إمَّا في الذَّبْحِ لهم، أوْ في عبادتِهم، أوْ ما أَشْبَهَ ذلكَ.

والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حضرَ إليهِ الجنُّ وخاطبَهم، وأرْشَدَهُم، ووعَدَهُم بعطاءٍ لا نظيرَ لهُ، فقالَ لَهُم: «**كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ تَجِدُونَهُ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا، وَكُلُّ بَعْرَةٍ فَهِيَ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ**».

وذُكِرَ أنَّ في عهْدِ **عُمَرَ** رَضِيَ اللهُ عنهُ امرأةً لها رِئْيٌ مِن الجنِّ، وكانَتْ تُوصيهِ بأشياءَ، حتَّى إنَّهُ تَأَخَّرَ **عُمَرُ** ذاتَ يومٍ، فأَتَوْا إليها فقالوا: ابْحَثِي لنا عنهُ، فذهبَ هذا الجنِّيُّ الذي فيها، وبحثَ وأخبرَهم أنَّهُ في مكانٍ كذا، وأنَّهُ يَسِمُ إبلَ الصدقةِ.

وقولُهُ: «**فَصَدَّقَهُ**» لَيْسَتْ في (صحيحِ مسلمٍ)، بَل الذي في (مسلمٍ): «**فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**» وزيادتُها في نَقْلِ **المؤلِّفِ**، إمَّا أنَّ النسخةَ التي نقلَ منها بهذا اللفظِ «**فَصَدَّقَهُ**» أوْ أنَّ **المؤلِّفَ** عَزَاهُ إلى مسلمٍ باعتبارِ أصلِه، فأخذَ مِنْ (مسلمٍ) «**فَسَأَلَهُ**» وأخذَ مِنْ **أحمدَ** «**فَصَدَّقَهُ**».

قولُهُ: «**لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**» نفيُ القبولِ هنا هلْ يَلْزَمُ منهُ نفيُ الصحَّةِ أوْ لا؟

نقولُ: **نفيُ القبولِ إمَّا أنْ يكونَ لفَوَاتِ شرطٍ**، أوْ لوجودِ مانعٍ، ففي هاتيْنِ الحالينِ يكونُ نفيُ القبولِ نفيًا للصحَّةِ، كما لوْ قُلْتَ: مَنْ صلَّى بغيرِ وُضُوءٍ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ صلاتَهُ، ومَنْ صلَّى في مكانٍ مغصوبٍ لم يَقْبَلِ اللهُ صلاتَهُ، عَنْدَ مَنْ يَرى ذلكَ.

وإنْ كانَ نفيُ القبولِ لا يتعلَّقُ بفواتِ شرطٍ ولا وجودِ مانعٍ، فلا يلْزَمُ مِنْ نفيِ القبولِ نفيُ الصحَّةِ، وإنَّما يكونُ المرادُ بالقبولِ المنفيِّ:

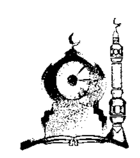
إمَّا نفيُ القبولِ التامِّ، أيْ: لَمْ تُقْبَلْ على وجهِ التمامِ الذي يَحْصُلُ بهِ تمامُ الرِّضا وتمامُ المثُوبَةِ.

وإمَّا أنْ يُرَادَ بهِ أنَّ هذهِ السيِّئةَ التي فعلَها تُقابِلُ تلْكَ الحسنةَ في الميزانِ فتُسْقِطُها، ويكونُ وِزْرُها موازيًا لأجرِ تلْكَ الحسنةِ، وإذا لَمْ يكُنْ لهُ أجرٌ صارَتْ كأنَّها غيرُ مقبولةٍ، وإنْ كانَتْ مُجْزِئَةً ومُبْرِئَةً للذِّمَّةِ، لكنَّ الثوابَ الذي حصلَ بها قُوبِلَ بالسيِّئةِ فأسقَطَتْهُ.

ومثلُهُ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**».

وقولُهُ: «**أَرْبَعِينَ يَوْمًا**» تخصيصُ هذا العددِ لا يُمْكِنُنا أنْ نُعَلِّلَهُ؛ لأنَّ الشيءَ المقدَّرَ بعددٍ لا يستطيعُ الإنسانُ غالبًا

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





أنْ يعْرفَ حكْمَتَهُ، فكونُ الصلاةِ خمسَ صلواتٍ أوْ خمسينَ لا نعلمُ لماذا خُصِّصَتْ بذلكَ، فهذا مِن الأمورِ التي يُقْصَدُ بها التعبُّدُ للهِ، والتعبُّدُ للهِ بما لا تُعرفُ حكمَتُهُ أبْلَغُ مِن التعبُّدِ لهُ بما تُعْرَفُ حكمتُهُ، فعَلَيْنا التسليمُ والانقيادُ وتفويضُ الأمرِ إلى اللهِ تعالى.

ويُؤْخَذُ مِن الحديثِ: تحريمُ إتيانِ العرَّافِ وسؤَالِه؛ إلاَّ ما استُثْنِيَ كالقسمِ الثالثِ والرابعِ؛ لِمَا في إتيانِهم وسؤالِهم مِن المفاسدِ العظيمةِ، التي تَرَتَّبُ على تشجيعِهم وإغراءِ الناسِ بهم. وهُمْ في الغالبِ يأتونَ بأشياءَ كلُّها باطلةٌ.

(٣) قولُهُ: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا**» تقدَّمَ معنى الكُهَّانِ، وأنَّهم كانوا رجالاً في أحياءِ العربِ تَنْزِلُ عليهم الشياطينُ، وتُخْبِرُهم بما سَمِعَتْ مِنْ أخبارِ السماءِ.

قولُهُ: «**فَصَدَّقَهُ**» أيْ: نَسَبَهُ إلى الصِّدْقِ وقالَ: إنَّهُ صادقٌ، وتصديقُ الخبرِ بمعنى تثْبيتِه وتحقيقِه، فقالَ: هذا حقٌّ وصحيحٌ وثابتٌ.

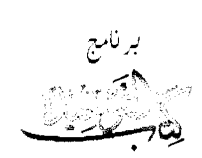
قولُهُ: «**بِمَا يَقُولُ**» (ما) عامَّةٌ في كلِّ ما يقولُ، حتَّى ما يَحْتَمِلُ أنَّهُ صِدْقٌ، فإنَّهُ لا يجوزُ أنْ يُصَدِّقَهُ؛ لأنَّ الأصلَ فيهم الكذبُ.

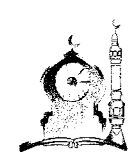
قولُهُ: «فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى **مُحَمَّدٍ**» أيْ: بالَّذي أُنْزِلَ، والذي أُنْزِلَ على محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ القرآنُ، أُنزلَ إليهِ بواسطةِ جبريلَ، قالَ تعالى: **{ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ }** وقالَ تعالى: **{ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ }**.

وقولُهُ: «**بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**» ذكَرَ أهلُ السنَّةِ أنَّ كلَّ كلمةٍ وُصِفَ فيها القرآنُ بأنَّهُ مُنَزَّلٌ أوْ أُنزلَ مِن اللهِ، فهيَ دالَّةٌ على عُلُوِّ اللهِ سبحانَهُ وتعالى بذاتِه، وعلى أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ؛ لأنَّ النزولَ يكونُ مِنْ أعلى، والكلامَ لا يكونُ إلاَّ مِن المتكلِّمِ بِهِ.

وقولُهُ: «**كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**» وجهُ ذلكَ أنَّ ما أُنْزِلَ على **محمَّدٍ** قالَ اللهُ تعالى فيهِ: **{ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ }** وهذا مِنْ أقْوَى طُرُقِ الحصرِ؛ لأنَّ فيهِ النفيَ والإثباتَ، فالذي يُصَدِّقُ الكاهنَ في علمِ الغيبِ وهوَ يعلمُ أنَّهُ لا يعلمُ الغيبَ إلاَّ اللهُ فهوَ كافرٌ كُفْرًا أكبرَ مُخْرِجًا عَن المِلَّةِ، وإنْ كانَ جاهلاً ولا يعتقدُ أنَّ القرآنَ فيه كذبٌ فكفرُهُ كفرٌ دونَ كُفْرٍ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠






(٤) قولُهُ: «وَلِلأَرْبَعَةِ والحاكِمِ» الأربعةُ هُمْ: أبو داودَ، والنَّسائيُّ، والتِّرمذيُّ، وابنُ ماجَةَ.
والحاكمُ ليسَ مِنْ أهلِ السُّنَنِ، لكنْ لهُ كتابٌ سُمِّيَ (صحيحَ الحاكمِ).
قولُهُ: «صحيحٌ على شرْطِهِما» أيْ: شرْطِ البخاريِّ ومسلمٍ، لكنَّ قولَهُ على شرْطِهِما هذا على ما يَعْتَقِدُ، وإلاَّ فَقَدْ يكونُ الأمرُ على خلافِ ذلكَ.

ومعنى قولِهِ: «على شرْطِهِما» أيْ: أنَّ رجالَهُ رجالُ (الصحيحيْنِ)، وأنَّ ما اشترَطَهُ البخاريُّ ومسلمٌ موجودٌ فيه.

(٥) قولُهُ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا» «أوْ» يُحتَمَلُ أنْ تكونَ للشكِّ، ويُحتَمَلُ أنْ تكونَ للتنويعِ، فالحديثُ الأوَّلُ بلفظِ «عَرَّاف» والثاني بلفظِ «كَاهِن» والثالثُ جَمَعَ بينَهُما، فتكونُ «أوْ» للتنويعِ.
وجاءَ المؤلِّفُ بهذا الحديثِ معَ أنَّ الأوَّلَ والثانيَ مُغْنِيَانِ عنهُ؛ لأنَّ كثرةَ الأدلَّةِ مِمَّا يُقَوِّي المدلولَ، أرَأَيْتَ لوْ أنَّ رَجُلاً أخبرَكَ بخبرٍ فوَثِقْتَ به، ثُمَّ جاءَ آخرُ وأخبرَكَ به ازْدَدْتَ تَوَثُّقًا وقوَّةً.
ولهذا فَرَّقَ الشارعُ بَيْنَ أنْ يأتِيَ الإنسانُ بشاهدٍ واحدٍ أوْ شاهديْنِ.
وظاهرُ صنيعِ المؤلِّفِ أنَّ حديثَ أبي هريرةَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا» أنَّهُ موقوفٌ؛ لأنَّهُ قالَ: عَنْ أبي هريرةَ، ولكنَّهُ لَمَّا قالَ في الَّذي بعْدَهُ «موقوفًا» ترَجَّحَ عِنْدَنا أنَّ الحديثَ الذي قبلَهُ مرفوعٌ.
(٦) قولُهُ: (مرْفوعًا) أيْ: إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.
قولُهُ: «لَيْسَ مِنَّا» تقدَّمَ الكلامُ على هذهِ الكلمةِ، وأنَّها لا تدلُّ على خروجِ الفاعلِ عَنِ الإسلامِ، بَلْ على حَسَبِ الحالِ.

قولُهُ: «تَطَيَّرَ» التَّطَيُّرُ هوَ التشاؤمُ بالمرْئيِّ أو المسموعِ أو المعلومِ أوْ غيرِ ذلكَ، وأصلُهُ مِن الطَّيْرِ؛ لأنَّ العربَ كانوا يَتَشَاءَمُونَ أوْ يتفاءَلُون بها، وقدْ سَبَقَ ذلكَ.

ومنهُ ما يحْصُلُ لبعضِ الناسِ إذا شَرَعَ في عملٍ، ثُمَّ حصلَ لهُ في أوَّلِه تعَثُّرٌ، تركَهُ وتشاءَمَ، فهذا غيرُ جائزٍ، بلْ يعتمدُ على اللهِ، ويتوَكَّلُ عليه، وما دُمْتَ أنَّكَ تعلمُ أنَّ في هذا الأمرِ خيرًا فغامِرْ فيه ولا تَشَاءَمْ؛ لأنَّكَ لمْ تُوَفَّقْ فيه لأوَّلِ مَرَّةٍ.

فَكَمْ منْ إنسانٍ لمْ يُوَفَّقْ في العملِ أوَّلَ مَرَّةٍ، ثمَّ وُفِّقَ في ثاني مَرَّةٍ أوْ ثالثِ مَرَّةٍ.
قولُهُ: «أوْ تُطُيِّرَ لَهُ» بالبناءِ للمفعولِ، أيْ: أَمَرَ مَنْ يَتَطَيَّرُ له، مثلَ: أنْ يأتِيَ شخصٌ ويقولُ: (سأُسافِرُ إلى المكانِ

الفلانيِّ، وأَنْتَ صاحبُ طَيْرٍ، وأُريدُ أنْ تَزْجُرَ طَيْرَكَ؛ لأنْظُرَ هَلْ هذه الوِجْهةُ مباركةٌ أمْ لا) فَمَنْ فَعَلَ ذلكَ فَقَدْ تبرَّأَ مِنْهُ الرسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

وقولُهُ: «**مَنْ تَطَيَّرَ**» يشملُ مَنْ تطيَّرَ لنفسِه أوْ تطيَّرَ لغيرِه.

(٧) وقولُهُ: «**أوْ تَكَهَّنَ أوْ تُكُهِّنَ لَهُ**» سَبَقَ أنَّ الكهانةَ ادِّعَاءُ علمِ الغيبِ في المستقبلِ، يقولُ: سيكونُ كذا وكذا، وربَّما يقعُ، فهذا مُتَكَهِّنٌ، ومِن الغريبِ أنَّهُ شاعَ الآنَ في أُسْلُوبِ الناسِ قوْلُهُم: (تَكَهَّنَ بأنَّ فلانًا سيأتي) ويُطْلِقُونَ هذا اللفظَ الدالَّ على عَمَلٍ محرَّمٍ على أمْرٍ مُباحٍ، وهذا لا ينبغي؛ لأنَّ العامِّيَّ الذي لا يُفَرِّقُ بينَ الأمورِ يظُنُّ أنَّ الكَهَانَةَ كُلَّها مباحةٌ بدليلِ إطلاقِ هذا اللفظِ على شيءٍ مباحٍ معلومٍ إباحتُهُ.

قولُهُ: «**أوْ تُكُهِّنَ لَهُ**» أيْ: طَلَبَ مِن الكاهنِ أنْ يتكَهَّنَ لهُ، كأنْ يقولَ للكاهنِ: ماذا يُصيبُني غدًا؟

أوْ في الشهرِ الفلانيِّ؟

أوْ في السنةِ الفُلانيَّةِ؟

وهذا تَبَرَّأَ مِنْهُ الرسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

(٨) قولُهُ: «**أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ**» تقدَّمَ تعريفُ السحرِ؛ وتقدَّمَ بيانُ أقسامه.

قولُهُ: «أَوْ سُحِرَ لَهُ» أيْ: طلَبَ مِن الساحرِ أنْ يسْحَرَ لهُ؛ ومنهُ: **النُّشْرَةُ** عَنْ طريقِ السحرِ، فهيَ داخلةٌ فيه؛ **وكانوا يستعملونَها على وُجُوه متنوِّعَة:**

منها: أنَّهم يأتونَ بطَسْتٍ فيه ماءٌ، ويصُبُّونَ فيه رَصَاصًا، فيتكَوَّنُ هذا الرصاصُ بوجهِ الساحرِ، أيْ: تكونُ صورةُ الساحرِ في هذا الرصاصِ، ويُسَمِّيهَا العامَّةُ عنْدَنا (**صَبَّ الرصاصِ**) وهذا مِنْ أنواعِ السحرِ المُحَرَّمِ، وقدْ تبَرَّأَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ فاعله.

والشاهدُ مِنْ هذا الحديث: قولُهُ: «**وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا..**» إلخ.

(٩) وقولُهُ: (ورواهُ **الطَّبَرانيُّ** في (الأوسطِ) بإسنادٍ حسنٍ مِنْ حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ... إلخ) فيكونُ هذا مُقَوِّيًا للأوَّلِ.

(١٠) قولُهُ: (قالَ **البَغَوِيُّ**: **العَرَّافُ الذي يَدَّعي مَعْرِفَةَ الأمورِ بمُقَدِّمَاتٍ...**) العرَّافُ: صيغةُ مبالغة، فإمَّا أنْ يُرادَ بها الصيغةُ، وإمَّا أنْ يُرادَ بها النسبةُ، وهوَ الذي يَدَّعي معرفةَ الأشياءِ، وليسَ كلُّ مَنْ يدَّعي معرفةً يكونُ عرَّافًا، لكنْ مَنْ يدَّعي معرفةً تتعلَّقُ بعلمِ الغيبِ، فيدَّعي معرفةَ الأمورِ بمقدِّماتٍ يستدلُّ بها على مكانِ المسروقِ

والضالَّةِ ونحوِها.

وظاهرُ كلامِ **البَغَوِيِّ** رَحِمَهُ اللهُ أنَّهُ شاملٌ لِمَن ادَّعى معرفةَ المستقبلِ والماضي؛ لأنَّ مكانَ المسروقِ يُعْلَمُ بعدَ السرقةِ، وكذلكَ الضالَّةُ قَدْ حَصَلَ الضَّيَاعُ، ولكنَّ المسألةَ لَيْسَت اتفاقيَّةً بَيْنَ أهلِ العلمِ؛ ولهذا قالَ **المُؤَلِّفُ** رَحِمَهُ اللهُ: (**وقيلَ: هوَ – أي العرَّافُ – الكاهنُ**).

والكاهنُ هوَ الذي يُخبِرُ عَن المُغَيَّبات في المستقبلِ.

(**١١**) قولُهُ: (**وقيلَ: هُوَ الذي يُخْبِرُ عَمَّا في الضَّمِيرِ**) أيْ: أنْ تُضْمِرَ شيئًا ، فتقولُ: ما أَضْمَرْتُ؟

فيقولُ: أضمرْتَ كذا وكذا.

أو المُغَيَّبَاتِ في المستقبلِ، تقولُ: ماذا سيحدثُ في الشهرِ الفلانيِّ في اليومِ الفلانيِّ؟ ماذا ستلدُ امرأَتي؟

متى يَقْدَمُ ولَدي؟

وهوَ لا يدْري؟

والخلاصةُ:

أنَّ العلماءَ اختلفوا في تعريفِ العرَّافِ:

فقيلَ: هوَ الذي يدَّعي معرفةَ الأمورِ بمقدِّماتٍ يستدلُّ بها على مكانِ المسروقِ والضَّالَّةِ ونحْوِها، فيكونُ شاملاً لِمَنْ يُخبِرُ عَنْ أُمُورٍ وَقَعَتْ.

وقيلَ: الذي يُخْبِرُ عمَّا في الضميرِ.

وقيلَ: هوَ الكاهنُ، والكاهنُ هوَ الذي يُخْبِرُ عَن المغيَّباتِ في المستقبلِ.

(**١٢**) قولُهُ: (وَقَالَ **أَبو العَبَّاسِ ابنُ تَيْمِيَةَ**) ظاهرُ كلامِ **الشيخِ**: أنَّ **شيخَ الإسلامِ** جزَمَ بهذا، ولكنَّ شيخَ الإسلامِ قالَ: (**وقيلَ العَرَّافُ**) وذكَرَهُ بقيلَ، ومعلومٌ أنَّ ما ذُكِرَ بقيلَ لَيْسَ مِمَّا يُجْزَمُ بأنَّ الناقلَ يقولُ به، **صحيحٌ** أنَّهُ إذا نَقَلَهُ ولَمْ ينْقُضْهُ، فهذا دليلٌ على أنَّهُ ارْتَضَاهُ.

وعلى كلِّ حالٍ **فشيخُ الإسلامِ** ساقَ هذا القولَ وارْتَضَاهُ ثُمَّ قالَ: ولوْ قيلَ: إنَّهُ اسمٌ خاصٌّ لبعضِ هؤلاءِ؛ الرَّمَّالِ والمُنَجِّمِ ونحوِهم، فإنَّهمْ يدخلونَ فيهِ بالعمومِ المعنويِّ؛ لأنَّ عندَنا عمومًا معنويًّا، وهو ما ثبتَ عَنْ طريقِ القياسِ، وعمومًا لفظيًّا، وهوَ ما دلَّ عليه اللفظُ، بحيثُ يكونُ اللفظُ شاملاً لهُ.

وقدْ ذكَرَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَةَ رَحِمَهُ اللهُ أنَّ **استخدامَ الإنسِ للجنِّ لهُ ثلاثُ حالاتٍ:**

الحالُ الأولَى: أنْ يستخدِمَهم في طاعةِ اللهِ، كأنْ يكونَ لهُ نائبًا في تبليغِ الشرعِ، فمثلاً إذا كانَ لهُ صاحبٌ مِن الجنِّ مُؤْمِنٌ يأخذُ عنهُ العلمَ ويتلقَّى منهُ، وهذا شيءٌ ثَبَتَ أنَّ الجنَّ قدْ يتعلَّمُونَ مِن الإنسِ، فيستخدمُهُ في تبليغِ الشرعِ لنُظَرَائِهِ مِن الجنِّ، أوْ في المعونةِ على أمورٍ مطلوبةٍ شرعًا، فهذا لا بأسَ بهِ، بلْ إنَّهُ قدْ يكونُ أمرًا محمودًا أوْ مطلوبًا، وهوَ مِن الدعوةِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ.

والجنُّ حَضَرُوا النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وقرأَ عليهم القرآنَ، وولَّوْا إلى قومِهِم مُنْذرِينَ، والجنُّ فيهم الصلحاءُ والعُبَّادُ والزُّهَّادُ والعلماءُ؛ لأنَّ المُنْذرَ لا بُدَّ أنْ يكونَ عالمًا بما يُنْذِرُ، عابدًا مُطيعًا للهِ سبحانَهُ في الإنذارِ.

الحالُ الثانيةُ: أنْ يستخدمَهُم في أمورٍ مُبَاحَةٍ، مثلَ: أنْ يطْلُبَ منهم العونَ على أمرٍ مِن الأمورِ المباحةِ، قالَ: فهذا جائزٌ بشرطِ أنْ تكونَ الوسيلةُ مباحةً، فإنْ كانَتْ مُحَرَّمةً صارَ حرامًا، كما لوْ كانَ الجنِّيُّ لا يُسَاعِدُهُ في أمورِهِ إلاَّ إذا ذَبَحَ لهُ، أوْ سَجَدَ لهُ، أوْ ما أَشْبَهَ ذلكَ.

ثم ذكَرَ ما وَرَدَ أنَّ **عُمَرَ** تأخَّرَ ذاتَ مَرَّةٍ في سفرِهِ، فاشتغلَ فِكْرُ **أبي موسى**، فقالوا لهُ: إنَّ امرأةً منْ أهلِ المدينةِ لها صاحبٌ مِن الجنِّ، فلوْ أمرْتَها أنْ تُرْسِلَ صاحبَها للبحثِ عَنْ **عُمَرَ**، ففعلَ، فذهبَ الجنِّيُّ ثُمَّ رجعَ فقالَ: إنَّ أميرَ المؤمنينَ ليسَ بهِ بَأْسٌ، وهوَ يَسِمُ إبِلَ الصَّدَقَةِ في المكانِ الفلانيِّ، فهذا استخدامٌ في أمْرٍ مُبَاحٍ.

الحالُ الثالثةُ: أنْ يستخدمَهُم في أمورٍ مُحَرَّمةٍ، كنهبِ أموالِ الناسِ وترويعِهم، وما أشْبَهَ ذلكَ، فهذا مُحَرَّمٌ، ثُمَّ إنْ كانَتِ الوسيلةُ شِرْكًا صارَ شِرْكًا، وإنْ كانَتْ وسيلَتُهُ غيرَ شركٍ صارَ معصيةً، كما لوْ كانَ هذا الجنِّيُّ الفاسقُ يَأْلَفُ هذا الإنسيَّ الفاسقَ، ويتعاونُ معهُ على الإثمِ والعُدْوَانِ، فهذا يكونُ إثمًا وعدوانًا، ولا يصلُ إلى حدِّ الشِّرْكِ.

ثُمَّ قالَ: إنَّ مَنْ يسألُ الجنَّ، أوْ يسألُ مَنْ يسألُ الجنَّ، ويُصدِّقُهم في كلِّ ما يقولونَ، فهذا معصيةٌ وكفرٌ.

والطَّريقُ للحفْظِ من الجنِّ هوَ قراءةُ آيةِ الكُرْسيِّ، فمَنْ قرأَها في ليلةٍ لمْ يَزَلْ عليهِ من اللهِ حافظٌ، ولا يقْرَبُهُ شيطانٌ حتَّى يُصبِحَ، كما ثبتَ ذلكَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، وهيَ: **{ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ }** الآيَةَ.

(١٣) قولُهُ: «**يَكْتُبُونَ أَبَاجَادَ وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجومِ**» الواوُ هنا لَيْسَتْ عطفًا، ولكنَّها للحالِ، يعني: والحالُ أنَّهم ينظرونَ فيرْبِطُونَ ما يكتبونَ بسَيْرِ النجومِ وحركَتِها.

(١٤) قولُهُ: «**ما أُرَى مَنْ فَعَلَ ذلكَ**» ويجوزُ فتح الهمزةِ بمعنى: أعلَمُ، وبالضمِّ بمعنى: ما أظُنُّ.

المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

وقولُهُ: «**أَبَاجَادٍ**» هيَ: أَبْجَدْ هَوَّزْ حُطِّي كَلَمَنْ سَعْفَصْ قَرَشَتْ ثَخِذْ ضَظَغ....

وتعلُّمُ (أَبَاجَادٍ) ينقسمُ إلى قسمينِ:

الأوَّلُ: تعلُّمٌ مباحٌ بأنْ نتعَلَّمَها لحساب الجُمَلِ وما أشْبَهَ ذلكَ، فهذا لا بأسَ به، وما زالَ أناسٌ يستعْمِلُونَها، حتَّى العلماءُ يُؤرِّخُونَ بها، ولم يُرِد **ابنُ عبَّاسٍ** هذا القسمَ.

الثاني: مُحرَّمٌ، وهو كتابةُ (أَبَاجَاد) كتابةً مربوطةً بسَيْرِ النجومِ وحركتِها وطلوعِها وغروبِها، وينظرونَ في النجومِ؛ ليسْتَدلُّوا بالموافقةِ أو المخالفةِ على ما سيحْدُثُ في الأرضِ، إمَّا على سبيلِ العمومِ كالجَدْبِ والمرضِ والحربِ وما أشْبَهَ ذلكَ، أوْ على سبيلِ الخصوصِ، كأنْ يقولَ لشخصٍ: سيحدثُ لكَ مرضٌ أوْ فقرٌ أوْ سعادةٌ أوْ نحسٌ في هذا، وما أشْبَهَ ذلكَ.

فهم يرْبطُونَ هذه بهذه، ولَيْسَ هناكَ عَلاقةٌ بينَ حركاتِ النجومِ واختلافِ الوقائعِ في الأرضِ.

وقولُهُ: «**ما أُرَى مَنْ فَعَلَ ذلكَ لَهُ عنْدَ اللهِ منْ خَلاقٍ**» قولُهُ: «**خلاق**» أيْ: نصيب.

ظاهرُ كلامِ **ابنِ عبَّاسٍ** أنَّهُ يرى كُفْرَهم؛ لأنَّ الذي لَيْسَ لهُ نصيبٌ عِنْدَ اللهِ هوَ الكافرُ؛ إذْ لا يُنْفَى النصيبُ مُطْلَقًا عَنْ أحد من المؤمنينَ.

وإنْ كانَ لهُ ذنوبٌ عُذِّبَ بقَدْرِ ذنوبِه، أوْ تَجاوَزَ اللهُ عنها، ثُمَّ صارَ آخرَ أمْرِه إلى نصيبِه الذي يجدُهُ عندَ اللهِ.

ولم يُبيِّن **المؤلِّفُ** رَحِمَهُ اللهُ حُكْمَ الكاهنِ والمنجِّمِ والرَّمَّالِ منْ حيثُ العقوبةُ في الدُّنْيا، وذلكَ أنَّنا إنْ حكَمْنا بكُفْرِهم، فحُكْمُهم في الدُّنْيا أنَّهم يُستَتَابُونَ، فإنْ تَابُوا وإلاَّ قُتِلُوا كُفَّارًا.

وإنْ حكَمْنا بعدمِ كفرِهم، إمَّا لكونِ السحرِ لا يصلُ إلى الكفرِ، أوْ **قُلْنا**: إنَّهم لا يكْفُرونَ؛ لأنَّ المسألةَ فيها خلافٌ، فإنَّهُ يجبُ قتْلُهم لدفعِ مفسدتِهم ومضَرَّتِهم، حتَّى وإنْ قُلْنا بعدمِ كُفْرِهم؛ لأنَّ أسبابَ القتلِ ليسَتْ مُختَصَّةً بالكفرِ فَقَطْ.

والنظرُ في النجومِ ينقسمُ إلى أقسامٍ:

الأوَّلُ: أنْ يُستَدَلَّ بحركاتِها وسيْرِها على الحوادثِ الأرضيَّةِ، سواءٌ كانَتْ عامَّةً أوْ خاصَّةً، فهوَ إن اعتقدَ أنَّ هذه النجومَ هيَ المُدَبِّرةُ للأمورِ، أوْ أنَّ لها شرْكًا فهوَ كُفْرٌ مُخرِجٌ عَنِ الملَّةِ، وإن اعتقدَ أنَّها سببٌ فقطْ، فكفرُهُ غيرُ مُخْرِجٍ عَنِ الملَّة.

ولكنْ يُسمَّى كفرًا؛ لقولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على إثْرِ سماءٍ كانَتْ من اللَّيْلِ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، أَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ».

وقدْ سَبَقَ لنا أنَّ هذا الكُفْرَ يَنْقَسِمُ إلى قِسْمَيْنِ **بحسَبِ اعتقادِ قائلِه**.

الثاني: أنْ يتعلَّمَ علمَ النجومِ؛ ليستدلَّ بحركاتِها وسيْرِها على الفصولِ وأوقاتِ البَّذْرِ والحصادِ والغرسِ وما أشْبَهَهُ؛ فهذا مِن الأمورِ المباحةِ؛ لأنَّهُ يُسْتَعَانُ بذلكَ على أمورٍ دنيويَّةٍ.

القسمُ الثالثُ: أنْ يتعلَّمَها لمعرفةِ أوقاتِ الصلواتِ وجهاتِ القِبْلَةِ وما أشْبَهَ ذلكَ مِن الأمورِ المشروعةِ، فالتَّعلُّمُ هنا مشروعٌ، وقدْ يكونُ فَرْضَ كفايةٍ، أوْ فرضَ عَيْنٍ.

(١٥) **فيهِ مَسائِلُ:**

الأولى: (**لا يَجْتَمِعُ تَصْدِيقُ الكاهنِ مَعَ الإيمانِ بالقرآنِ**) يُؤْخَذُ مِنْ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ووجْهُهُ أنَّهُ كَذَّبَ بالقرآنِ، وهذا مِنْ أعظمِ الكفرِ.

(١٦) **الثانيةُ:** (**التَّصْريحُ بأنَّهُ كُفْرٌ**) تُؤْخَذُ مِنْ قولِهِ: «فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ».

(١٧) **الثالثةُ:** (**ذِكْرُ مَنْ تُكُهِّنَ لَهُ**) تُؤْخَذُ مِنْ حديثِ **عمرانَ بنِ حُصَيْنٍ**؛ حيثُ قالَ: «لَيْسَ مِنَّا» أيْ: أنَّهُ كالكاهنِ في براءةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ منهُ.

(١٨) **الرابعةُ:** (**ذِكْرُ مَنْ تُطُيِّرَ لَهُ**) تُؤْخَذُ مِنْ قولِهِ: «أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ».

(١٩) **الخامسةُ:** (**ذِكْرُ مَنْ سُحِرَ لَهُ**) تُؤْخَذُ مِنْ قولِهِ: «أَوْ سُحِرَ لَهُ».

وأتى المؤلِّفُ بذِكْرِ مَنْ تُكُهِّنَ لهُ، أوْ سُحِرَ لهُ، أوْ تُطُيِّرَ لهُ؛ لأنَّهُ قدْ يُعَارِضُ فيهِ معارِضٌ فيقولُ: هذا في الكُهَّانِ،

وهذا في المتطيِّرينَ، وهذا في السَّحرة، فقالَ: إنَّ مَنْ طَلَبَ أنْ يُفعلَ لهُ ذلكَ فهوَ مثْلُهم في العقوبة.

(٢٠) **السَّادسةُ:** (ذِكْرُ مَنْ تَعَلَّمَ أَبَاجَادٍ) وتعَلُّمُ ذلكَ فيه تفصيلٌ، لا يُحْمَدُ ولا يُذَمُّ؛ إلاَّ على حسَبِ الحالِ التي تنْزلُ عليها، وقدْ سبقَ ذلكَ.

(٢١) **السابعةُ:** (ذِكْرُ الفَرْقِ بَيْنَ الكاهنِ والعرَّافِ).

وفي هذهِ المسألةِ خلافٌ بَيْنَ أهلِ العلمِ:

القولُ الأوَّلُ: أنَّ العرَّافَ هوَ الكاهنُ، والكاهنُ هوَ الذي يُخْبرُ عن المُغَيَّباتِ في المستقبلِ، فهما مترادفانِ، فلا فَرْقَ بَيْنَهُما.

القولُ الثاني: أنَّ العرَّافَ هوَ الذي **يَسْتَدلُّ على معرفةِ الأمورِ** بمُقَدِّمَاتٍ يستدلُّ بها على معرفةِ المسروقِ ومكانِ الضَّالَّةِ ونحْوِها، فهوَ أعمُّ مِن الكاهنِ؛ لأَنَّهُ يشملُ الكاهنَ وغيرَهُ، فهما مِنْ بابِ العامِّ والخاصِّ.

القولُ الثالثُ: أنَّ العرَّافَ هوَ الذي **يُخْبِرُ عمَّا في الضميرِ**، والكاهنُ هوَ الذي يُخبرُ عَن المُغَيَّباتِ في المستقبلِ.

فالعرَّافُ هوَ الكاهنُ أوْ أنَّهُ أعمّ منهُ، أوْ أنَّ العرَّافَ يختصُّ بالماضي، والكاهنَ بالمستَقْبَلِ، فهما متباينان.

فالظاهرُ أنَّهما متباينان، فالكاهنُ مَنْ يُخْبرُ عن المُغيَّبَاتِ في المستقبلِ.

«والعرَّافُ: **مَنْ يدَّعِي معرفةَ الأمورِ بمقدِّماتٍ يستدلُّ بها عن المسروقِ ومكانِ الضَّالَّة ونحْوِ ذلكَ**» غيرُ واضحٍ؛ لأنَّهما لوْ كانا متباينيْنِ لقُلْنَا: والعَرَّافُ هوَ الذي يُخْبِرُ عمَّا في الضميرِ، أوْ أنْ يكُونَا مِنْ بابِ العامِّ والخاصِّ، فيُقَالُ في العرَّافِ ما هوَ مطبوعٌ هنا بينَ القوسيْنِ.

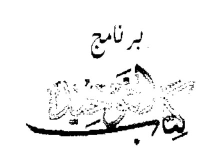
(٢٢) تعريفُ النُّشْرَةِ:

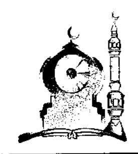
في اللغةِ: بضمِّ النون فُعْلَةٌ من النَّشْرِ وهوَ التفريقُ.

وفي الاصطلاحِ: حلُّ السِّحرِ عَن المسحورِ؛ لأنَّ هذا الذي يَحُلُّ السحرَ عَن المسحورِ يرفعُهُ ويُزِيلُهُ ويُفَرِّقُهُ.

أمَّا حكمُها: فهوَ يتبيَّنُ مِمَّا قالَهُ المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ، وهوَ مِنْ أحسنِ البياناتِ.

ولا رَيْبَ أنَّ حَلَّ السحرِ عَن المسحورِ مِنْ بابِ الدواءِ والمعالجةِ، وفيهِ فضلٌ كبيرٌ لِمَن ابتغى به وَجْهَ اللهِ، لكنْ في القسمِ المباحِ مِنْها؛ لأنَّ السحرَ لهُ تأثيرٌ على بدنِ المسحورِ وعقْلِهِ ونفسِهِ وضيقِ الصدرِ، حيثُ لا يأْنسُ إلاَّ بِمَن استُعْطِفَ عَلَيْه.







وأحيانًا يكونُ التأثير أمراضًا نفسيَّةً بالعكسِ، تُنَفِّرُ هذا المسحورَ عَمَّنْ تُنَفِّرُهُ عَنْهُ مِن الناسِ، وأحيانًا يكونُ التأثير أمراضًا عقليَّةً، فالسحرُ لهُ تأثيرٌ إمَّا على البدنِ، أو العقلِ، أو النفسِ.

قولُهُ: **(عن النُّشْرَة)** ألْ للعهدِ الذهنِيِّ، أي: المعروفةِ عندَهُم التي كانوا يستعملُونَها في الجاهليَّةِ، وذلِكَ طريقٌ مِنْ طُرُقِ حَلِّ السِّحْرِ، نوعان:

الأوَّلُ: أنْ تكونَ باستخدامِ الشياطينِ، فإنْ كانَ لا يَصِلُ إلى حاجَتِهِ مِنْهُمْ إلاَّ بالشركِ كانتْ شِرْكًا، وإنْ كانَ يتوَصَّلُ لذلكَ بمعصيةٍ دونَ الشركِ كانَ لها حُكْمُ تلكَ المعصيةِ.

الثاني: أنْ تكونَ بالسحرِ كالأدويةِ والرُّقَى والعُقَدِ والنَّفْثِ وما أشْبَهَ ذلِكَ، فهذا لهُ حكمُ السحرِ على ما سبقَ.

ومِنْ ذلِكَ ما يفعلُهُ بعضُ الناسِ، أنَّهم يضعونَ فوقَ رأسِ المسحورِ طَسْتًا فيه ماءٌ، ويصُبُّونَ عليه رَصاصًا، ويزْعُمونَ أنَّ الساحرَ يَظْهَرُ وجهُهُ في هذا الرصاصِ، فيُسْتَدَلُّ بذلِكَ على مَنْ سحَرَهُ.

وقدْ سُئِلَ الإمامُ أحمدُ عَن النُّشْرة؟

فقالَ: **(إنَّ بعضَ الناسِ أجازَها)**.

فقيلَ لهُ: إنَّهم يجعلونَ ماءً في طَسْتٍ، وإنَّهُ يغُوصُ فيه، وإنَّهُ يبدو وجْهُهُ، فنفضَ يدَهُ.

فقالَ: **(ما أدْري ما هذا؟!.. ما أدْري ما هذا؟!)**

فكأنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ توقَّفَ في الأمرِ وكَرِهَ الخوضَ فيه.

(٢٣) قولُهُ: «مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» أيْ: من العملِ الذي يأمرُ به الشيطانُ ويُوحِي به؛ لأنَّ الشيطانَ يأمرُ بالفحشاءِ ويُوحِي إلى أوليائِهِ بالمنكرِ، وهذا يُغْنِي عنْ قولِهِ: إنَّها حرامٌ، بلْ هوَ أشدُّ؛ لأنَّ نسبَتَهَا للشيطانِ أبلغُ في تقبيحِها والتنفيرِ منها، ودلالةُ النصوصِ على التحريمِ لا تنحصرُ في لفظِ التحريمِ أوْ نفيِ الجوازِ، بلْ إذا رُتِّبَت العقوباتُ على الفعلِ كانَ دليلاً على تحريمِه.

قولُهُ: «**فقالَ: ابنُ مسعودٍ يكْرَهُ هذا كُلَّهُ**» أجابَ رَحِمَهُ اللهُ بقولِ الصحابيِّ، وكأنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ أَثَرٌ صحيحٌ عَن النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في ذلِكَ، وإلاَّ ما استدلَّ به.

والمُشَارُ إليهِ في قولِه: «**يَكْرَهُ هذا كُلَّهُ**» كلُّ أنواعِ النُّشرة، وظاهِرُهُ ولوْ كانَتْ على الوجهِ المباحِ على ما يأتي، لكنَّهُ غيرُ مرادٍ؛ لأنَّ النُّشْرَةَ بالقرآنِ والتعوُّذاتِ المشروعةِ لم يقُلْ أحدٌ بكَرَاهَتِها.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٢ - ص.ب: ٣٦١٢٢٦
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٣٨٠٧٣٠

وسبقَ أنَّ ابنَ **مسعودٍ** رضيَ اللهُ عنهُ كانَ يكْرَهُ تعليقَ التمائمِ من القرآنِ وغيرِ القرآنِ.

وعلى هذا فالكُلِّيَّةُ في قولِ أحمدَ **(يكْرَهُ هذا كلَّهُ)** يرادُ بها النُّشْرَةُ التي منْ عملِ الشيطانِ، وهيَ النُّشْرَةُ بالسحرِ، والنُّشْرَةُ التي من التمائمِ.

وقولُهُ: «**يَكْرَهُ**» الكراهةُ عندَ المتقدِّمينَ يُرادُ بها التحريمُ غالبًا، ولا تخرجُ عنهُ إلاَّ بقرينةٍ، وعِنْدَ المتأخِّرينَ خلافُ الأَوْلَى.

(٢٤) قولُهُ: «**رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ**» أيْ: سِحْرٌ، ومن المعلومِ أنَّ الطبَّ هوَ علاجُ المرضِ، لكنْ سُمِّيَ السحرُ طِبًّا مِنْ بابِ التَّفَاؤُلِ، كَمَا سُمِّيَ اللديغُ سليمًا، والكسيرُ جبيرًا.

(٢٥) قولُهُ: «**أَوْ يُؤَخَّذُ عَن امْرَأَتِه**» أيْ: يُحْبَسُ عنها فلا يَصِلُ إلى جِمَاعِها، وهوَ لَيْسَ به بَأْسٌ، وهذا نوعٌ مِن السحرِ.

وقدْ ذَكَرَ بعضُ أهلِ العلمِ أنَّ مِن العلاجِ أنْ يُطَلِّقَها، ثمَّ يُرَاجِعَها، فينفكُّ السِّحْرُ، لكنْ لا أدري هلْ هذا يصحُّ أمْ لا؟

فإذا صحَّ، فالطلاقُ هنا جائزٌ؛ لأنَّهُ طلاقٌ للاستبقاءِ، فيُطلِّقُ كعلاجٍ، ونحنُ لا نُفْتي بشيءٍ منْ هذا، بَلْ **نقولُ**: لا نعرفُ عنهُ شيئًا.

و «أَوْ» في قوْلِه: «**أَوْ يُؤَخَّذُ**» يُحتَمَلُ أنَّها للشكِّ من الرَّاوي، هلْ قالَ **قتادةُ**:«**بِهِ طِبٌّ**» أوْ قالَ:«**يُؤَخَّذُ عن امْرَأَتِه**» أيْ: أوْ قُلْتُ: يُؤَخَّذُ، ويُحتَمَلُ أنْ تكونَ للتنويعِ، أيْ: سأَلْتُهُ عَنْ أمْرَيْنِ؛ عن المسحورِ وعَن الذي يُؤَخَّذُ عَن امرأَتِه.

(٢٦) قولُهُ:«**أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشَرُ**» لا شكَّ أنَّ (أَوْ) هنا للشكِّ؛ لأنَّ الحَلَّ هوَ النُّشْرَةُ.

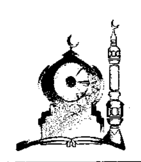
(٢٧) قولُهُ: **(لا بَأْسَ بِهِ، إنَّما يُريدونَ بِهِ الإصْلاحَ)** كأنَّ ابنَ المُسَيِّبِ رَحِمَهُ اللهُ **قسَّمَ السحرَ إلى قسمَيْنِ**: ضارٌّ، ونافعٌ.

- فـالضارُّ **مُحَرَّمٌ**، قالَ تعالى: { **وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ** }.
- والنافعُ **لا** بأسَ بِه، وهذا ظاهرُ ما رُوِيَ عنهُ.

وبهذا أخذَ أصحابُنا الفقهاءُ فقالوا: يجوزُ حلُّ السحرِ بالسحرِ للضرورةِ، وقالَ بعضُ أهلِ العلمِ: إنَّهُ لا يجوزُ

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٦١١ - ص.ب: ١١٤٤٦١
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





حلُّ السحرِ بالسحرِ، وحمَلُوا ما رُوِيَ عَن ابنِ المسيِّبِ بأنَّ المرادَ به ما لا يُعْلَمُ عَنْ حالِه، هَلْ هوَ سحرٌ، أمْ غيرُ سحرٍ، أمَّا إذا عُلِمَ أنَّهُ سحرٌ فلا يَحِلُّ واللهُ أعلمُ.

ولكنْ على كلِّ حالٍ حتَّى ولوْ كانَ ابنُ المُسَيِّبِ ومَنْ فَوْقَ ابنِ المُسَيِّبِ ممَّنْ ليسَ قولُهُ حُجَّةً يرى أنَّهُ جائزٌ، فلَيْسَ معنى ذلكَ أنْ يكونَ جائزًا في حُكْمِ اللهِ حتَّى يُعْرَضَ على الكتابِ والسُّنَّةِ، وقدْ سُئِلَ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عَنِ النُّشْرَةِ؟

فقالَ: «**هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**».

قولُهُ: (**ورُوِيَ عن الحسنِ: لا يَحُلُّ السحرَ إلاَّ ساحرٌ**) هذا الأثرُ إنْ صحَّ فمُرَادُ الحسنِ الحَلُّ المعروفُ غالبًا، وأنَّهُ لا يقَعُ إلاَّ من السحرةِ.

قولُهُ: (**قالَ ابنُ القيِّمِ: النُّشْرَةُ حلُّ السحرِ عن المسحورِ... إلخ**) هذا الكلامُ جيِّدٌ، ولا مَزِيدَ عليهِ.

(٢٨) فيهِ مَسائِلُ:

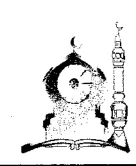
الأولَى: (**النهيُ عن النُّشرةِ**) تُؤْخَذُ مِنْ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**» ولَيْسَ فيهِ صيغَةُ نَهْيٍ، لكنْ فيهِ ما يدُلُّ عليهِ؛ لأنَّ طُرُقَ إثباتِ النهيِ لَيْسَت الصيغةَ فَقَطْ، بَلْ ذمُّ فاعلِهِ ونَحْوُهُ، وتقبيحُ الشيءِ وما أشْبَهَ ذلكَ يدلُّ على النهيِ.

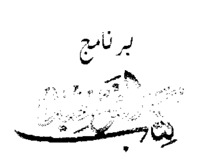
(**٢٩**) **الثانيةُ**: (**الفَرْقُ بينَ الْمَنْهِيِّ عنهُ والْمُرَخَّصِ فيهِ**) تُؤْخَذُ مِنْ كلامِ ابنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ وتفصيلِهِ.

إشْكَالٌ وجوابُهُ:

ما الجمعُ بينَ قولِ الفقهاءِ رَحِمَهُم اللهُ: يجوزُ حَلُّ السحرِ بالسحرِ، وبينَ قولِهم: يجبُ قَتْلُ الساحرِ؟

الجَمْعُ: أنَّ مُرَادَهُم بقتلِ الساحرِ مَنْ يضرُّ بسحرِهِ دونَ مَنْ ينْفَعُ، فلا يُقْتَلُ، أوْ أنَّ مُرَادَهُم: بيانُ حُكْمِ حَلِّ السحرِ بالسحرِ للضرورةِ، وأمَّا الإبقاءُ على الساحرِ فَلَهُ نظرٌ آخر، واللهُ أعلمُ.





تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الثامن والعشرون

(١) قال في (فتح المجيد) ص٣٤٥: **(ما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب، لكونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته. ذكرها المصنف في (كتاب التوحيد) تحذيراً مما ينافي كمال التوحيد الواجب)** .

والتَّطَيُّرِ في **اللُّغَةِ**: تَفَعُّلٌ، مصدرُ تَطَيَّرَ، وأصلُهُ مأخوذٌ من الطَّيْرِ؛ لأنَّ العربَ يتشاءمونَ أوْ يتفاءلونَ بالطيورِ على الطريقةِ المعروفةِ عندَهم بزَجْرِ الطيرِ، ثمَّ يُنْظَرُ هَلْ يذهبُ يمينًا أوْ شمالاً، أوْ ما أشْبَهَ ذلكَ، فإنْ ذهبَ إلى الجهةِ التي فيها التيامُنُ أقْدَمَ، أوْ فيها التشاؤمُ أحجمَ.

أمَّا في الاصطلاح: فهيَ التشاؤمُ بمَرْئيٍّ أوْ مسموعٍ، وهذا من الأمورِ النادرةِ؛ لأنَّ الغالبَ أنَّ اللغةَ أوسعُ مِن الاصطلاحِ؛ فالاصطلاحُ يُدْخِلُ على الألفاظِ قيودًا تخصُّها مثلَ: **الصلاةُ لغةً:** الدعاءُ.

وفي **الاصطلاح:** أخصُّ من الدعاءِ، وكذلكَ الزكاةُ وغيرُها.

وإنْ شِئْتَ فقُل: **التطَيُّرُ**: هوَ التشاؤمُ بمَرْئيٍّ أوْ مسموعٍ أوْ معلومٍ.

فالمرئيّ مثلَ: لوْ رأى طيرًا فتشاءمَ لكونه مُوحشًا.

والمسموع مثلَ: مَنْ هَمَّ بأمرٍ فسمعَ أحدًا يقولُ لآخرَ: يا خسرانُ، أوْ يا خائبُ، فيتشاءمُ.

والمعلوم: كالتشاؤمِ ببعضِ الأيَّامِ أوْ بعضِ الشهورِ أوْ بعضِ السنواتِ، فهذهِ لا تُرى ولا تُسْمَعُ.

واعلمْ أنَّ التَّطَيُّرَ يُنَافِي التوحيدَ، ووَجْهُ مُنَافاتِهِ لهُ منْ وجهيْنِ:

الأوَّلُ: أنَّ المُتطَيِّرَ قطعَ توكُّلَهُ على اللهِ واعتمدَ على غَيْرِ اللهِ.

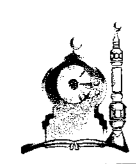
الثاني: أنَّهُ تعلَّقَ بأمرٍ لا حقيقةَ لهُ، بلْ هوَ وهمٌ وتخييلٌ، فأيُّ رابطةٍ بينَ هذا الأمرِ وبينَ ما يحْصُلُ لَهُ، وهذا لا شكَّ أنَّهُ يُخِلُّ بالتوحيدِ؛ لأنَّ التوحيدَ عبادةٌ واستعانةٌ، قالَ تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وقالَ تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، فالطِّيَرَةُ مُحَرَّمَةٌ، وهيَ منافيةٌ للتوحيدِ كَمَا سَبَقَ، **والمُتَطَيِّرُ لا يخْلُو مِنْ حالَيْنِ:**

الأوَّلُ: أنْ يُحْجِمَ ويستجيبَ لهذه الطِّيَرَةِ ويدَعَ العملَ، وهذا مِنْ أعظمِ التَّطَيُّرِ والتشاؤمِ.

الثاني: أنْ يمضيَ لكنْ في قَلَقٍ وهمٍّ وغمٍّ يَخْشَى مِنْ تأثيرِ هذا المتطيَّرِ به، وهذا أهونُ.

وكلا الأمرَيْنِ نقصٌ في التوحيدِ وضررٌ على العبيدِ، بَل انْطَلِقْ إلى ما تُريدُ بانشراحِ صدرٍ وتيسيرٍ واعتمادٍ على

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





اللهِ عزَّ وجلَّ، ولا تُسيئ الظنَّ باللهِ عزَّ وجلَّ.

(٢) قولُهُ تعالى: {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ} هذهِ الآيةُ نَزَلَتْ في قومِ موسى كما حكى اللهُ عنهم في قولِهِ: {وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ}، قالَ اللهُ تعالى: {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ}.

ومعنى {يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ} أنَّهُ إذا جاءَهُم البلاءُ والجَدْبُ والقحطُ قالوا: هذا مِنْ موسى وأصحابه، فأبطلَ اللهُ هذه العقيدةَ بقولِه: {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ}.

قولُهُ: {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ} المعنى: إنَّ ما يُصيبُهم مِن الجدبِ والقحطِ لَيْسَ مِنْ **موسى** وقومِهِ، ولكنَّهُ مِن اللهِ، فهوَ الذي قدَّرَهُ، ولا علاقةَ **لموسى** وقومِه به، بَلْ إنَّ الأمرَ يقتضي أنَّ موسى وقومَهُ سببٌ للبركةِ والخيرِ، ولكنْ هؤلاءِ والعياذُ يُلَبِّسونَ على العوامِّ ويُوهِمُونَ الناسَ خلافَ الواقعِ.

قولُهُ: {وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} فَهُم في جهلٍ فلا يعلمونَ أنَّ هناكَ إلهًا مُدَبِّرًا، وأنَّ ما أصابَهم مِن اللهِ، ولَيْسَ مِنْ **موسى** وقومه.

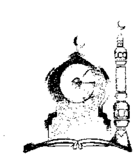
(٣) قولُهُ تعالى: {قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ} أيْ: قالَ الذينَ أُرْسِلُوا إلى القريةِ في قولِهِ تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ} الآياتِ، فقالوا ذلكَ رَدًّا على قولِ أهلِ القريةِ: {إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} أيْ: تشاءَمْنا بِكُمْ، وإنَّنا لا نرى أنَّكُم تَدُلُّونَنَا على الخيرِ، بَلْ على الشرِّ وما فيه هلاكُنا، فأجابَهم الرسلُ بقولِهِم: {طَائِرُكُم مَّعَكُمْ} أيْ: مُصَاحِبٌ لَكُمْ، فما يَحْصُلُ لَكُمْ فإنَّهُ مِنْكُم ومِنْ أعمالِكُم.

ويُسْتَفَادُ مِن الآيتيْنِ المذكورتيْنِ في البابِ: أنَّ التَّطَيُّرَ كانَ معروفًا مِنْ قِبَلِ العربِ وفي غَيْرِ العربِ؛ لأنَّ الأولى في **فرعونَ** وقومِه، والثانيةَ في أصحابِ القريةِ.

- وقولُهُ: {أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ} ينبغي أنْ تَقِفَ علىقولِه: {ذُكِّرْتُمْ} لأنَّها جملةٌ شرطيَّةٌ، وجوابُ الشرطِ محذوفٌ تقديرُهُ: أئِنْ ذُكِّرْتُمْ تطيَّرْتُم، وعلى هذا فلا تَصِلْها بما بعدَها.

- وقولُهُ: {بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ}، {بَلْ} هنا للإضرابِ الإبطاليِّ، أيْ: ما أصابَكُم لَيْسَ مِنْهُم، بَلْ هُوَ مِنْ إسرافِكُم.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com



- وقولُهُ: {مُسْرِفُونَ} أيْ: متجاوزونَ للحدِّ الذي يجبُ أنْ تكونوا عليه.

(٤) قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**لاَ عَدْوَى**» لا نافيةٌ للجنسِ، فَنَفَى الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ العدوى كُلَّها.

والعدوى: انتقالُ المرضِ من المريضِ إلى الصحيحِ.

فقولُهُ: «لا عَدْوَى» يشملُ الحسِّيَّةَ والمعنويَّةَ، وإنْ كانَتْ في الحسِّيَّةِ أظهرَ.

قولُهُ: «**وَلاَ طِيَرَةَ**» اسمُ مصدرِ تَطَيَّرَ؛ لأنَّ المصدرَ منهُ (**تَطَيُّرٌ**) مثلُ الْخِيَرَةِ اسمُ مصدرِ اخْتَارَ، قالَ تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} أي: الاختيارُ، أيْ: أنْ يختاروا خلافَ ما قضَى اللهُ ورسولُهُ من الأمرِ.

قولُهُ: «**وَلاَ هَامَةَ**» الهامَةُ بتخفيفِ الميمِ، **فُسِّرَتْ بتفسيرَيْنِ**:

الأوَّلُ: أنَّها طَيْرٌ معروفٌ يُشْبِهُ البومةَ، أوْ هيَ البُومَةُ، تَزْعُمُ العربُ أنَّهُ إذا قُتِلَ القتيلُ صارتْ عظامُهُ هامَةً تطيرُ وتَصْرُخُ حتَّى يُؤْخَذَ بثأرِه، ورُبَّما اعتقدَ بعضُهم أنَّها رُوحُهُ.

التفسيرُ الثاني: أنَّ بعضَ العربِ يقولونَ: الهامَةُ هيَ الطيرُ المعروفُ، لكنَّهُم يتشاءمونَ بها، فإذا وَقَعَتْ على بيتِ أحدِهِم ونعَقَتْ قالُوا: إنَّها تَنْعَقُ بهِ ليمُوتَ، ويعتقدونَ أنَّ هذا دليلُ قُرْبِ أجلِه، وهذا كلُّهُ بلا شكٍّ عقيدةٌ باطلةٌ.

قولُهُ: «**ولا صَفَرَ**».

قيلَ: إنَّهُ شهرُ صَفَرٍ، كانَت العربُ يتشاءمونَ بهِ، ولا سيَّمَا في النكاحِ.

وقيلَ: إنَّهُ داءٌ في البطنِ يُصيبُ الإبلَ وينتقلُ منْ بعيرٍ إلى آخرَ.

قال ابن الأثير: (**يقصد بذلك حبة تقع في بطن الإنسان، تؤذيه عند الجوع، فكان الجاهليون يعتقدون ذلك ويخشونه، ويظنون أن المرء إذا وقعت في بطنه تلك الحبة عند الجوع، فإن عدواه عظيمة فتنتقل إلى غيره**) .

وعلى هذا فيكونُ عطْفُهُ على العدوى منْ بابِ عطفِ الخاصِّ على العامِّ.

وقيلَ: إنَّهُ نَهْيٌ عَنِ النَّسِيئَةِ، وكانوا في الجاهليَّةِ يَنْسِئُونَ؛ فإذا أرادوا القتالَ في شهرِ المحرَّمِ استحلُّوهُ وأخَّروا الحُرْمَةَ إلى شهرِ صَفَرٍ، وهذهِ النسيئةُ التي ذكَرَها اللهُ بقولِهِ تعالى: {فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ} وهذا القولُ ضعيفٌ.

وَيُضعِّفُهُ أنَّ الحديثَ في سياقِ التَّطيُّرِ، ولَيْسَ في سياقِ التغييرِ، والأقربُ أنَّ صَفَرًا يعني الشهرَ، وأنَّ المُرَادَ نفيُ كَوْنِه مشئُومًا، أيْ: لا شُؤْمَ فيه، وهوَ كغيْرِه من الأزمانِ يُقدَّرُ فيه الخيرُ، ويُقدَّرُ فيه الشرُّ.

وهذا النفيُ في هذه الأمورِ الأربعة ليسَ نفيًا للوجود؛ لأنَّها موجودةٌ، ولكنَّهُ نفيٌ للتأثيرِ، فالمُؤَثِّرُ هوَ اللهُ، فما كانَ سببًا معلومًا فهوَ سببٌ صحيحٌ، وما كانَ منها سببًا مَوْهُومًا فهوَ سببٌ باطلٌ، ويكونُ نفيًا لتأثيرِه بنفسِه إنْ كانَ صحيحًا، ولكَوْنِه سببًا إنْ كانَ باطلاً.

فقولُهُ: «لا عَدْوى» العدوى موجودةٌ، ويَدُلُّ لوجودِها قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**» أيْ: لا يُوردُ صاحبُ الإبلِ المريضةِ على صاحبِ الإبلِ الصحيحةِ؛ لِئَلاَّ تَنْتقلَ العدوى.

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ**» والجُذَامُ مَرَضٌ خبيثٌ مُعْدٍ بسرعةٍ ويُتْلِفُ صاحبَهُ، حتَّى **قيلَ**: إنَّهُ الطاعونُ.

فالأمرُ بالفرارِ؛ لكَيْ لا تقعَ العدوى منْهُ إليكَ، وفيه إثباتٌ لتأثيرِ العدوى، لكنَّ تأثيرَها لَيْسَ أمرًا حَتْميًّا بحيثُ تكونُ عِلَّةً فاعلةً، وأمْرُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالفرارِ وأنْ لا يُوردَ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ منْ بابِ تجنُّبِ الأسبابِ، لا منْ بابِ تأثيرِ الأسبابِ بنفسِها، فالأسبابُ لا تُؤَثِّرُ بنفسِها، لكنْ ينبغي لنا أنْ نتجنَّبَ الأسبابَ التي تكونُ سببًا للبلاءِ؛ لقولِه تعالى: **{وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}** ولا يُمْكِنُ أنْ يُقالَ: إنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُنْكِرُ تأثيرَ العدوى؛ لأنَّ هذا أمْرٌ تُبْطِلُهُ الأحاديثُ الأخرى والواقعُ المشاهد.

فإنْ قيلَ: إنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا قالَ: «**لا عَدْوى**» قالَ رجلٌ: **يا رسولَ اللهِ، الإبلُ تكونُ صحيحةً مثلَ الظِّباءِ فيَدْخُلُها الجملُ الأجْرَبُ فتجْرَبُ؟ فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ؟»**.

يعني: أنَّ المرضَ نَزلَ على الأوَّلِ بدونِ عدْوَى، بَلْ نزلَ منْ عندِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فكذلكَ إذا انتقلَ بالعدوى فَقَد انتقلَ بأمرِ اللهِ، والشيءُ قَدْ يكونُ لهُ سببٌ معلومٌ وقدْ لا يكونُ لهُ سببٌ معلومٌ، فجَرَبُ الأوَّلِ ليسَ سببُهُ معلومًا، إلاَّ أنَّهُ بتقديرِ اللهِ تعالى، وجَرَبُ الذي بعدَهُ لهُ سببٌ معلومٌ، لكنْ لوْ شاءَ اللهُ تعالى لَمْ يَجْرَبْ، ولهذا أحيانًا تُصَابُ الإبلُ بالجَرَبِ، ثُمَّ يرتفعُ ولا تموتُ، **وكذلكَ الطاعونُ والْكُوليرَا أمراضٌ مُعْدِيَةٌ**، وقدْ تدخلُ البيتَ فتُصيبُ البعضَ فيموتونَ ويَسْلَمُ آخرونَ ولا يُصَابونَ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

فعلى الإنسان أنْ يعتمدَ على اللهِ ويتوكَّلَ عليه، وقدْ رُوِيَ: «أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ جاءَهُ رجلٌ مجذومٌ؛ فأخذَ بيدِه وقالَ لهُ: «كُلْ» مِن الطَّعامِ الذي كانَ يأكُلُ منهُ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ لقوَّةِ توكُّلِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ» فهذا التَّوكُّلُ مُقاومٌ لهذا السببِ المُعْدي.

وهذا الجمعُ الذي أشَرْنا إليهِ هوَ أحسنُ ما قيلَ في الجمعِ بينَ الأحاديثِ.

وادَّعى بعضُهم النَّسْخَ: فَمِنْهُمْ مَنْ قالَ: إنَّ الناسخَ قولُهُ: «**لاَ عَدْوَى**».

والمنسوخَ قولُهُ: «**فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ**»، «**وَلاَ يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**».

– **وبعضُهم عَكَسَ، والصحيحُ أنَّهُ لا نَسْخَ**؛ لأنَّ مِنْ شروطِ النسخِ تعذُّرَ الجمعِ، وإذا أمْكَنَ الجمعُ وجَبَ الرجوعُ إليهِ؛ لأنَّ في الجمعِ إعمالَ الدليلَيْنِ، وفي النسخِ إبطالَ أحدِهما، وإعمالُهما أَوْلى مِنْ إبطالِ أحدِهما؛ لأنَّنا اعتبرْنَاهُما وجعَلْناهُما حُجَّةً، وأيضًا الواقعُ يشهدُ أنَّهُ لا نَسْخَ.

وقولُهُ: «**ولا صَفَرَ**» **فيه ثلاثةُ أقوالٍ سَبَقَتْ**، وبيانُ الراجحِ منها.

والأزمنةُ لا دَخْلَ لها في التأثيرِ ولا في تقديرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فَصَفَرٌ كغيرِه مِن الأزمنةِ يُقَدَّرُ فيه الخيرُ والشرُّ، وبعضُ الناسِ إذا انتهى مِنْ شيءٍ في صَفَرٍ أرَّخَ ذلكَ وقالَ: انتهى في صفرِ الخيرِ، فهذا مِنْ بابِ مُداوَاةِ البدعةِ ببدعةٍ والجهلِ بالجهلِ، فهوَ ليسَ شهرَ خيرٍ ولا شهرَ شرٍّ.

أمَّا شهرُ رمضانَ، وقوْلُنا: (إنَّهُ شهرُ خيرٍ، فالمرادُ بالخيرِ العبادةُ، ولا شكَّ أنَّهُ شهرُ خيرٍ).

وقولُهم: **رجبٌ المُعظَّمُ**، بناءً على أنَّهُ من الأشهُرِ الحُرُمِ.

ولهذا أنكرَ بعضُ السَلَفِ على مَنْ إذا سَمِعَ البومةَ تَنْعِقُ قالَ: خيرًا إنْ شاءَ اللهُ، فلا يُقالُ: خيرٌ ولا شرٌّ، بَلْ هيَ تَنْعِقُ كبقيَّةِ الطيورِ.

فهذهِ الأربعةُ التي نفاها الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تُبيِّنُ وجوبَ التوكُّلِ على اللهِ وصِدْقِ العزيمةِ، ولا يَضْعُفُ المسلمُ أمامَ هذهِ الأشياءِ؛ **لأنَّ الإنسانَ في هذهِ الأمورِ لا يخْلُو منْ حالَيْنِ**:

إمَّا أنْ يستجيبَ لها: بأنْ يُقْدِمَ أوْ يُحجِمَ أوْ ما أشْبَهَ ذلكَ، فيكونُ حينئذٍ قدْ علَّقَ أفعالَهُ بما لا حقيقةَ لهُ، ولا أصْلَ لهُ، وهو نوعٌ من الشركِ.

وإمَّا أنْ لا يستجيبَ: بأنْ يكونَ عندَهُ نوعٌ مِن التوكُّلِ ويُقْدِمُ ولا يُبَالي، لكنْ يبقى في نفسِه نوعٌ من الهمِّ أو

الغمِّ، وهذا وإنْ كانَ أهونَ مِن الأوَّلِ، لكنْ يَجبُ ألاَّ يستجيبَ لداعي هذهِ الأشياءِ التي نفاها الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُطْلَقًا، وأنْ يكونَ معتمدًا على اللهِ عزَّ وجلَّ.

وبعضُ الناسِ قدْ يَفْتَحُ المصحفَ لطلبِ التفاؤلِ؛ فإذا نظرَ ذِكْرَ النارِ تشاءمَ، وإذا نَظَرَ ذِكْرَ الجنَّةِ قالَ: هذا فَأْلٌ طَيِّبٌ، فهذا مِثْلُ عملِ الجاهليَّةِ الذينَ يستقْسِمُونَ بالأَزْلامِ.

فالحاصلُ أنَّنا نقولُ: لا تجعلْ على بالِكَ مثلَ هذهِ الأمورِ إطلاقًا، فالأسبابُ المعلومةُ الظاهرةُ تَقِي أسبابَ الشرِّ، وأمَّا الأسبابُ المَوْهُومَةُ التي لمْ يَجْعَلْها الشرعُ سببًا بَلْ نفاها، فلا يجوزُ لَكَ أنْ تتعلَّقَ بها، بلِ احْمَدِ اللهَ على العافيةِ، وقُلْ ربَّنا عليكَ توكَّلْنا.

(٥) قولُهُ: «**وَلاَ نَوْءَ**» واحدُ الأنواءِ، والأنواءُ هيَ منازِلُ القمرِ، وهيَ ثمانٌ وعشرونَ منزلةً؛ كلُّ منزلةٍ لها نَجْمٌ تدورُ بمدارِ السَّنةِ.

فالعربُ كانوا يتشاءمونَ بالأنواءِ ويتفاءلُونَ بها، فبعضُ النجومِ يقولونَ: هذا نجمُ نَحْسٍ لا خيرَ فيه، وبعضُها بالعكسِ يتفاءلونَ بهِ فيقولونَ: هذا نجمُ سُعُودٍ وخيرٍ؛ ولهذا إذا أُمْطِرُوا قالوا: مُطِرْنا بنَوْءِ كذا، ولا يقولونَ: مُطِرْنا بفضلِ اللهِ ورحمتِه، ولا شكَّ أنَّ هذا غايةُ الجهْلِ.

قولُهُ: «**وَلاَ غُولَ**» جَمْعُ غَوْلَةٍ أوْ غُولَةٍ.

والعربُ كانوا إذا سافَرُوا أوْ ذهَبُوا يمينًا أوشمالاً تلوَّنَتْ لهم الشياطينُ بألْوَانٍ مُفْزِعَةٍ مُخيفةٍ، فتُدْخِلُ في قلوبِهِم الروعَ والخوفَ، فتجدُهم يكْتَئِبُونَ ويستَحْسِرُونَ عَنِ الذهابِ إلى هذا الوجهِ الذي أرادوا، وهذا لا شكَّ أنَّهُ يُضْعِفُ التوكُّلَ على اللهِ، والشيطانُ حريصٌ على إدخالِ القلقِ والحزنِ على الإنسانِ بقَدْرِ ما يستطيعُ، قالَ تعالى: **﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾**.

وهذا الذي نفاهُ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هوَ تأثيرُها، ولَيْسَ المقصودُ بالنفيِ نفيَ الوجودِ، وأكثرُ ما يُبْتَلَى الإنسانُ بهذهِ الأمورِ إذا كانَ قَلْبُهُ مُعلَّقًا بها؛ أمَّا إنْ كانَ مُعْتَمِدًا على اللهِ غيرَ مُبَالٍ بها، فلا تضرُّهُ ولا تمنعُهُ عَنْ جهةِ قصْدِه.

(٦) قولُهُ في حديثِ أنسٍ: «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ**» تقدَّمَ الكلامُ على ذلكَ.

قولُهُ: «**وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ**» أيْ: يسرُّني، والفألُ بَيَّنَهُ بقولِه: «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**».

فـــ(الكَلِمَةُ الطَّيِّبةُ) تُعْجِبُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لِمَا فيها مِنْ إدخالِ السرورِ على النفسِ والانبساطِ، والمضيِّ قُدُمًا لِمَا يَسعى إليهِ الإنسانُ، ولَيْسَ هذا مِن الطِّيَرَةِ، بَلْ هذا مِمَّا يُشَجِّعُ الإنسانَ؛ لأنَّها لا تُؤَثِّرُ عليهِ بَلْ تَزيدُهُ طُمَأْنينَةً وإقدامًا وإقبالاً.

وظاهِرُ الحديثِ: الكلمةُ الطيِّبَةُ في كلِّ شيءٍ؛ لأنَّ الكلمةَ الطَّيِّبَةَ في الحقيقةِ تفتحُ القلبَ وتكونُ سببًا لخيراتٍ كثيرةٍ، حتَّى إنَّها تُدْخِلُ المرءَ في جُمْلَةِ ذَوِي الأخلاقِ الحسنةِ.

وهذا الحديثُ جمعَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيه بَيْنَ مَحْذُورَيْنِ ومرغوبٍ؛ فالمحذورانَ هما العدوى والطِّيَرَةُ، والمرغوبُ هوَ الفَأْلُ، وهذا مِنْ حُسْنِ تعليمِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

فَمَنْ ذَكَرَ المرهوبَ ينبغي أنْ يَذْكُرَ معهُ ما يكونُ مرغوبًا، ولهذا كانَ القرآنُ مثانيَ؛ إذَا ذَكَرَ أوْصافَ المؤمنينَ ذَكَرَ أوصافَ الكافرينَ، وإذا ذَكَرَ العقوبةَ ذَكَرَ المثوبةَ، وهكذا.

(٧) قولُهُ: (عَنْ **عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ**) صوابُهُ عَنْ **عُرْوَةَ بنِ عامِرٍ**، كما ذكَرَهُ في (التَّيْسيرِ). وقد اخْتُلِفَ في نسبِهِ وصُحْبَتِه.

(٨) وقولُهُ: «**ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ**» وهذا الذِّكْرُ إمَّا ذِكْرُ شأنِها، أوْ ذِكْرُ أنَّ الناسَ يفعلونَها، والمرادُ: تحدَّثَ الناسُ بها عندَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

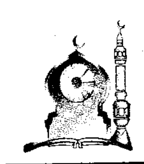
(٩) قولُهُ: «**أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ**» سَبَقَ أنَّ الفألَ لَيْسَ من الطِّيَرَةِ، لكنَّهُ شبيهٌ بالطِّيَرَةِ مِنْ حيثُ الإقدامُ، فإنَّهُ يزيدُ الإنسانَ نشاطًا وإقدامًا فيما تَوَجَّهَ إليه، فهوَ يُشْبِهُ الطِّيَرَةَ مِنْ هذا الوجْهِ، وإلاَّ فبينَهُما فَرْقٌ؛ لأنَّ الطِّيَرَةَ تُوجِبُ تَعَلُّقَ الإنسانِ بالمُتطَيَّرِ به، وضَعْفَ تَوَكُّلِه على اللهِ، ورُجُوعَهُ عمَّا همَّ بِهِ مِنْ أجلِ ما رأى، لكنَّ الفألَ يَزيدُهُ قوَّةً وثباتًا ونشاطًا، فالشبَهُ بَيْنَهُما هوَ التأثيرُ في كلٍّ منها.

قولُهُ: «**وَلاَ تَرُدُّ مُسْلِمًا**» يُفْهَمُ منْهُ أنَّ مَنْ ردَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حاجتِه فليسَ بمسلمٍ.

(١٠) قولُهُ: «**فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ**» فحينئذٍ قدْ تَرِدُ على قلْبِه الطِّيَرَةُ ويبتعدُ عمَّا يُريدُ ولا يُقْدِمُ عليهِ، وقدْ ذكَرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دواءً لذلكَ وقالَ: «**فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ لاَ يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ...**» إلخ.

قولُهُ: «**اللهُمَّ لاَ يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلاَّ أَنْتَ**» وهذا هوَ حقيقةُ التَّوَكُّلِ، وقولُهُ: «**اللهمَّ**» يعني: يا اللهُ، ولهذا بُنِيَتْ على الضمِّ؛ لأنَّ المُنادَى عَلَمٌ؛ بَلْ هوَ أَعْلَمُ الأعلامِ وأعرفُ المعارفِ على الإطلاقِ، والميمُ عوضٌ عَن الياءِ المحذوفةِ،





وصارَتْ في آخرِ الكلمةِ تبرُّكًا بالابتداءِ باسمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وتعالى، وصارَتْ ميمًا؛ لأنَّها تدُلُّ على الجمعِ؛ فكأنَّ الداعيَ جمعَ قلبَهُ على اللهِ.

قولُهُ: «**لاَ يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلاَّ أَنْتَ**» أيْ: لا يُقَدِّرُها ولا يخْلُقُها ولا يُوجِدُها للعَبْدِ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وهذا لا يُنَافي أنْ تكونَ الحسناتُ بأسبابٍ؛ لأنَّ خالقَ هذه الأسبابِ هوَ اللهُ، فإذا وُجِدَتْ هذه الحسناتُ بأسبابٍ خلقَها اللهُ، صارَ المُوجِدُ حقيقةً هوَ اللهَ.

والمرادُ **بالحسناتِ: ما يَسْتَحْسِنُ المرءُ وُقُوعَهُ**، ويَحْسُنُ في عَيْنِه.

ويشملُ ذلكَ الحسناتِ الشرعيَّةَ كالصلاةِ والزكاةِ وغيرِها؛ لأنَّها تَسُرُّ المؤمنَ، ويشملُ الحسناتِ الدُّنْيويَّةَ كالمالِ والولدِ ونحوِها، قالَ تعالى: {إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ}.

- وقالَ تعالى في آيةٍ أخرى: {إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا}.

وقولُهُ: «**إِلاَّ أَنْتَ**» فاعلُ يأتي؛ لأنَّ الاستثناءَ هنا مُفَرَّغٌ.

قولُهُ: «**ولا يَدْفَعُ السَّيِّئاتِ إلاَّ أَنْتَ**» **السَّيِّئَاتُ**: ما يسُوءُ المرءَ وقوعُهُ ويَنْفِرُ منهُ حالاً أوْ مَآلاً، ولا يدفعُها إلاَّ اللهُ، ولهذا إذا أُصيبَ الإنسانُ بمصيبةٍ التجأَ إلى ربِّهِ تعالى؛ حتَّى المشركونَ إذا ركِبُوا في الفُلْكِ وشاهَدُوا الغرَقَ دَعَوُا اللهَ مخلصينَ لهُ الدِّينَ.

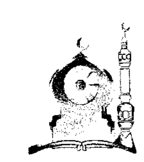
ولا يُنَافِي هذا أنْ يكونَ دفعُها بأسبابٍ، فمثلاً لوْ رأى رجلاً غريقًا فأنْقَذَهُ فإنَّمَا أنقذَهُ بمشيئةِ اللهِ، ولوْ شاءَ اللهُ لم يُنْقِذْهُ، فالسببُ مِن اللهِ.

فعقيدةُ كلِّ مسلمٍ أنَّهُ لا يأتي بالحسناتِ إلاَّ اللهُ، ولا يدفعُ السيِّئَاتِ إلاَّ اللهُ، وبمقتضى هذه العقيدةِ فإنَّهُ يجبُ أنْ لا يسألَ المسلمُ الحسناتِ ولا يسألَ دفعَ السيِّئَاتِ إلاَّ مِن اللهِ. ولهذا كانَ الرسلُ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهم يسألونَ اللهَ التوفيقَ للحسناتِ ودفعِ السيِّئَاتِ، قالَ تعالى عنْ زكريَّا: {رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً}.

- وقالَ تعالى عَنْ أيُّوبَ: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} وهكذا يجبُ أنْ يكونَ المؤمنُ أيضًا.

وقولُهُ: «وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ» في معناها وجهان:

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



الأوَّلُ: أنَّهُ لا يُوجَدُ حولٌ ولا قوَّةٌ إلاَّ باللهِ، والباءُ تكونُ بمعنى في، يعني: إلاَّ في اللهِ وحدَهُ، ومَنْ سِواهُ لَيْسَ لهم حولٌ ولا قُوَّةٌ، ويكونُ الحولُ والقُوَّةُ المنفيَّانِ عنْ غيرِ اللهِ الحولَ المُطْلَقَ والقُوَّةَ المطلقةَ؛ لأنَّ غيرَ اللهِ فيه حولٌ وقُوَّةٌ، لكنَّها نسبيَّةٌ لَيْسَتْ بكاملةٍ. فالحولُ الكاملُ والقُوَّةُ الكاملةُ في اللهِ وحدَهُ.

الثاني: **أنَّهُ لا يُوجَدُ لنا حولٌ ولا قُوَّةٌ إلاَّ باللهِ**، فالباءُ للاستعانةِ، وهذا المعنى أصحُّ، وهو مقتضى وُرُودِها في مواضعِها؛ إذْ إنَّنا لا نتحَوَّلُ مِنْ حالٍ إلى حالٍ، ولا نَقْوَى على ذلكَ إلاَّ باللهِ؛ فيكونُ في هذهِ الجملةِ كمالُ التفويضِ إلى اللهِ، وأنَّ الإنسانَ يَبْرَأُ مِنْ حولِهِ وقوَّتِه إلاَّ بما أعطاهُ اللهُ من الحولِ والقُوَّةِ.

فإنْ صحَّ الحديثُ فالرسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أرْشدَنا إذا رَأَيْنا ما نكرَهُ ممَّا يَتَشاءَمُ به المتشائمُ أنْ نقولَ: «**اللهُمَّ لا يَأْتِي بالحَسَنَاتِ إلاَّ أَنْتَ ولا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إلاَّ أَنْتَ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بِكَ**».

(١١) قولُهُ: (**مَرْفُوعًا**) أيْ: إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

(١٢) قولُهُ: «**الطِّيَرَةُ شرْكٌ، الطِّيَرَةُ شرْكٌ**» هاتانِ الجملتانِ يُؤَكِّدُ بعضُهما بعضًا مِنْ بابِ التوكيدِ اللفظيِّ.

وقولُهُ: «**شِرْكٌ**» أيْ: إنَّها مِنْ أنواعِ الشركِ، ولَيْسَت الشركَ كُلَّهُ، وإلاَّ لقالَ: الطِّيَرَةُ الشركُ.

وهَل المرادُ بالشركِ هنا الشركُ الأكبرُ المُخْرِجُ عَن المِلَّةِ، أوْ أنَّها نوعٌ مِنْ أنواعِ الشركِ؟

نقولُ: هِيَ نوعٌ مِنْ أنواعِ الشركِ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «**اثْنَتَانِ في النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ**» أيْ: لَيْسَ الكفرَ المخرجَ عَن المِلَّةِ، وإلاَّ لقالَ: (**هُمَا بِهِم الكُفْرُ**) بلْ هيَ أنواعٌ من الكفرِ.

لكنْ في تَرْكِ الصلاةِ جاء الحديث الصحيح: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ**» فقالَ: الكفرُ، ويجبُ أنْ نعرفَ الفَرْقَ بينَ (**ال**) المعرفةِ أو الدَّالَّةِ على الاستغراقِ، وبينَ خُلُوِّ اللفظِ منْها، فإذا قيلَ: هذا كُفْرٌ؟

فالمرادُ أنَّهُ نوعٌ من الكفرِ لا يُخْرِجُ من المِلَّةِ.

وإذا قيلَ: هذا الكفرُ، فهوَ المُخْرِجُ من المِلَّةِ.

فإذا تطيَّرَ إنسانٌ بشيءٍ رآهُ أوْ سَمِعَهُ، فإنَّهُ لا يُعَدُّ مشركًا شرْكًا يُخْرِجُهُ من المِلَّةِ، لكنَّهُ أشْرَكَ منْ حيثُ إنَّهُ اعتمدَ على هذا السببِ الذي لمْ يجعلْهُ اللهُ سببًا، وهذا يُضْعِفُ التوكُّلَ على اللهِ ويُوهِنُ العزيمةَ، وبذلكَ يُعْتَبَرُ شرْكًا منْ هذهِ الناحيةِ، والقاعدةُ (**أنَّ كلَّ إنسانٍ اعتمدَ على سببٍ لمْ يجعلْهُ الشرعُ سببًا فإنَّهُ مشركٌ شرْكًا أصغرَ**).

وهذا نوعٌ مِن الإشراكِ مَعَ اللهِ؛ إمَّا في التشريعِ إنْ كانَ هذا السببُ شرعيًّا، وإمَّا في التقديرِ إنْ كانَ هذا

السببُ كونيًا، لكنْ لو اعتقدَ هذا المتشائمُ المتطيِّرُ أنَّ هذا فاعلٌ بنفسِه دونَ اللهِ فهوَ مُشْرِكٌ شِرْكًا أكبرَ؛ لأنَّهُ جعلَ للهِ شريكًا في الخلقِ والإيجاد.

قولُهُ: «**وَمَا مِنَّا**» «مِنَّا» جارٌّ ومجرورٌ خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ قَبْلَ «**إلاَّ**» إنْ قَدَّرْتَ ما بعدَ «إلاَّ» فعلاً، أيْ: وما مِنَّا أحدٌ إلاَّ تطيَّرَ، أوْ بعْدَ «**إلاَّ**» أيْ: وما مِنَّا إلاَّ مُتطيِّرٌ.

والمعنى: ما مِنَّا إنسانٌ يَسْلَمُ مِن التَّطَيُّرِ، فالإنسانُ يسمعُ شيئًا فيتشاءمُ، أوْ يبدأُ في فعلٍ فيجدُ أوَّلَهُ لَيْسَ بالسهلِ فيتشاءمُ ويتركُهُ.

والتوكُّلُ: صدقُ الاعتمادِ على اللهِ في جلْبِ المنافعِ ودَفْعِ المضارِّ، مَعَ الثقةِ باللهِ وفعْلِ الأسبابِ التي جعَلَها اللهُ تعالى أسبابًا.

فلا يكفِي صدقُ الاعتمادِ فَقَطْ، بَلْ لا بُدَّ أنْ تَثِقَ بِهِ؛ لأنَّهُ سُبحانَهُ يقولُ: **{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}**.

(١٣) قولُهُ: «**وجعلَ آخرَهُ مِنْ قَوْلِ ابنِ مَسْعودٍ**» وهوَ قولُهُ: «**وما مِنَّا إلاَّ .. إلخ**». وعلى هذا يكونُ مَوْقُوفًا، وهو مُدْرَجٌ في الحديثِ.

(١٤) قولُهُ: «**مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عنْ حاجتِه**» «مَنْ» شرطيَّةٌ، وجوابُ الشرطِ «**فَقَدْ أشْرَكَ**».

وقولُهُ: «**عَنْ حاجَتِه**» الحاجةُ: كلُّ ما يحتاجُهُ الإنسانُ مما تتعلَّقُ به الكمالاتُ، وقدْ تُطْلَقُ على الأمورِ الضروريَّة.

قولُهُ: «فَقَدْ أَشْرَكَ» أيْ: شِرْكًا أكبرَ إن اعتقدَ أنَّ هذا المُتَشَاءَمَ بِهِ يفعلُ ويُحْدِثُ الشرَّ بنفسِه، وإن اعتقدَهُ سببًا فهوَ أصغرُ.

(١٥) وقولُهُ: «**فَما كفَّارَةُ ذلكَ**» أيْ: ما كفَّارةُ هذا الشركِ؟ لأنَّ الكفَّارةَ قدْ تُطلَقُ على كفَّارةِ الشيءِ بَعْدَ فِعْلِه؟

وقدْ تُطْلَقُ على الكفَّارةِ قبلَ الفعلِ؛ وذلكَ لأنَّ الاشتقاقَ مأخوذٌ مِن الكفرِ وهو السَّتْرُ، والسَّتْرُ واقٍ، فكفَّارةُ ذلكَ إنْ وقعَ، وكفَّارةُ ذلكَ إنْ لمْ يقعْ.

(١٦) وقولُهُ: «**اللهُمَّ لاَ خَيْرَ إلاَّ خَيْرُكَ، وَلاَ طَيْرَ إلاَّ طَيْرُكَ**» يعني: فأنتَ الذي بيدِكَ الخيرُ المباشرُ كالمطرِ والنباتِ، وغيرُ المباشرِ كالذي يكونُ سببُهُ مِنْ عندِ اللهِ على يدِ مخلوقٍ، مثلَ: (أنْ يُعْطِيَكَ إنسانٌ دراهمَ صَدَقَةً أوْ هديَّةً) وما أشبهَ ذلكَ، فهذا الخيرُ مِن اللهِ، لكنْ بواسطَةٍ جعلَهَا اللهُ سببًا، وإلاَّ فكُلُّ الخيرِ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ.

وقولُهُ: «**لا خَيْرَ إلاَّ خَيْرُكَ**» هذا الحصرُ حقيقيٌّ، فالخيرُ كلُّهُ مِن اللهِ، سواءٌ كانَ بسببٍ معلومٍ أوْ غيرِه.

وقولُهُ: «لا طَيْرَ إلاَّ طَيْرُكَ» أي: الطيورُ كلُّها ملْكُكَ، فهيَ لا تفعلُ شيئًا وإنَّما هيَ مُسَخَّرةٌ، قالَ تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ}.

– وقالَ تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

فالمهمُّ أنَّ الطيرَ مُسَخَّرَةٌ بإذنِ اللهِ، فاللهُ تعالى هوَ الذي يُدَبِّرُها ويُصَرِّفُها ويُسَخِّرُها تذهبُ يمينًا وشمالاً، ولا عَلاقةَ لها بالحوادثِ.

ويَحْتَمِلُ أنَّ المرادَ بالطيرِ هنا: **ما يتشاءمُ به الإنسانُ**، فكلُّ ما يحدثُ للإنسانِ من التشاؤمِ والحوادثِ المكروهةِ فإنَّهُ من اللهِ، كما أنَّ الخيرَ من اللهِ، كَمَا قالَ تعالى: {أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ}.

لكنْ سَبَقَ لنا أنَّ الشرَّ في فِعْلِ اللهِ لَيْسَ بواقعٍ، بلِ الشرُّ في المفعولِ لا في الفعلِ، بلْ فِعْلُهُ تعالى كُلُّهُ خيرٌ، إمَّا خيرٌ لذاتِهِ، وإمَّا لِمَا يترتَّبُ عليهِ من المصالحِ العظيمةِ التي تَجْعَلُهُ خيرًا، فيكونُ قولُهُ: «**لا طَيْرَ إلاَّ طَيْرُكَ**» مقابلاً لقولِهِ: «**ولا خَيْرَ إلاَّ خَيْرُكَ**».

قولُهُ: «**وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ**» «**لا**» نافيةٌ للجنسِ، و«**إلهَ**» بمعنى مَألُوه.

والمَألُوهُ هوَ: المعبودُ مَحَبَّةً وتعظيمًا، يتألَّهُ إليه الإنسانُ مَحبَّةً لهُ وتعظيمًا لهُ.

– فإنْ قيلَ: إنَّ هناكَ آلهةً دونَ اللهِ كَمَا قالَ تعالى: {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ}.

– **قيل: هي إنَّها وإنْ عُبِدَتْ مِنْ دونِ اللهِ وسُمِّيَتْ آلهةً فليسَتْ آلهةً حقًّا**، لأنَّها لا تستحقُّ أنْ تُعْبَدَ؛ فلهذا **نقولُ**: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، أيْ: لا إلهَ حقٌّ إلاَّ اللهُ.

(١٧) قولُهُ في حديثِ **الفضلِ**: «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ**» هذه الجملةُ عندَ البلاغيِّينَ تُسمَّى حَصْرًا، أيْ: ما الطِّيَرَةُ إلاَّ ما أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ، لا ما حَدَثَ في قلبِكَ ولم تلْتَفِتْ إليه، ولا رَيْبَ أنَّ السلامةَ منها حتَّى في تفكيرِ الإنسانِ خَيْرٌ بلا شكٍّ، لكنْ إذا وقَعَتْ في القلبِ ولم تَرُدَّهُ ولمْ يلتفتْ لها فإنَّها لا تضرُّهُ لكنْ عليهِ أنْ لا يستَسْلِمَ بَلْ يُدافِعَ؛ إذ الأمرُ كلُّهُ بيدِ اللهِ.

قولُهُ: «**مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ**» أمَّا ما ردَّكَ فلا شكَّ أنَّهُ من الطِّيَرَةِ؛ لأنَّ التَّطَيُّرَ يُوجِبُ التركَ والتراجُعَ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١١١١ – ص.ب: ١١٤٤٦ ١
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وأمَّا «ما أمْضَاكَ» **فلا يخْلُو مِنْ أمرَيْنِ:**

الأوَّلُ: أنْ تكونَ مِنْ جنسِ التَّطَيُّرِ، وذلكَ بأنْ يستَدلَّ لنَجَاحِه أوْ عدمِ نجاحه بالتَّطَيُّرِ، كَمَا لوْ قالَ: سأزْجُرُ هذا الطيرَ، فإذا ذهبَ إلى اليمينِ فمعنى ذلكَ اليُمْنُ والبركةُ فيُقْدِمُ، فهذا لا شكَّ أنَّهُ تطيُّرٌ؛ لأنَّ التفاؤلَ بمثلِ انطلاقِ الطيرِ عَن اليمينِ غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّهُ لا وجهَ لهُ؛ إذِ الطيرُ إذا طارَ فإنَّهُ يذهبُ إلى الذي يرى أنَّهُ وِجْهَتُهُ، فإذا اعتمدَ عليهِ فقد اعتمدَ على سببٍ لَمْ يجعلْهُ اللهُ سببًا، وهو حركةُ الطيرِ.

الثاني: أنْ يكونَ سببُ المُضيِّ كلامًا سَمِعَهُ أوْ شيئًا شاهدَهُ يدلُّ على تيسيرِ هذا الأمرِ لهُ، فإنَّ هذا فألٌ، وهو الذي يُعْجِبُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، لكنْ إن اعتمدَ عليهِ فهذا حُكْمُهُ حُكْمُ الطِّيَرَةِ، وإنْ لَمْ يعتمدْ عليهِ ولكنَّهُ فَرِحَ ونَشِطَ وازدادَ نشاطًا في طَلَبِه فهذا مِن الفألِ المحمودِ.

والحديثُ في سَنَدِهِ مقالٌ، لكنْ على تقديرِ صِحَّتِه هذا حُكْمُهُ.

(١٨) **فيهِ مَسائِلُ:**

الأولى: «**التَّنبيهُ عَلَى قَوْلِهِ:** {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ} مَعَ قَوْلِهِ: {طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ}» أيْ: لكيْ يتنبَّهَ الإنسانُ؛ فإنَّ ظاهرَ الآيتيْنِ التعارضُ، وليسَ كذلكَ، فالقرآنُ والسُّنَّةُ لا تعارُضَ بينَهما، ولا تعارُضَ في ذاتِهما، إنَّما يقعُ التعارضُ حَسَبَ فَهْمِ المُخاطَبِ، والجمعِ أنَّ قولَهُ: {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ} أنَّ اللهَ هوَ المقدِّرُ ذلكَ وليْسَ موسى ولا غيرَهُ مِن الرسلِ، وأنَّ قولَهُ: {طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} منْ بابِ السببِ، أيْ: أنْتُمْ سببُهُ.

(١٩) **الثَّانيةُ:** «**نَفْيُ العَدْوَى**» وقدْ سَبَقَ أنَّ المرادَ بنفيِها نفيُ تأثيرِها بنفسِها، لا أنَّها سببٌ للتأثيرِ؛ لأنَّ اللهَ قدْ جعَلَ بعضَ الأمراضِ سببًا للعدوى وانتقالِها.

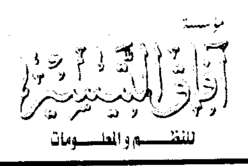
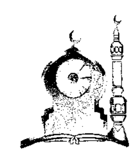
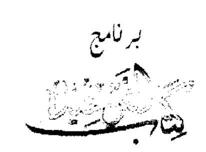
(٢٠) **الثالثةُ:** «**نفيُ الطِّيَرَةِ**» أيْ: نفيُ التأثيرِ، لا نفيُ الوجودِ.

(٢١) **الرَّابعةُ:** «**نَفْيُ الْهَامَةِ**» وقدْ سَبَقَ تفسيرُها.

(٢٢) **الخامسةُ:** «**نَفْيُ الصَّفَرِ**» وسَبَق تفسيرُهُ.

(٢٣) **السادسةُ:** «**أنَّ الفَأْلَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ**» يُؤْخَذُ مِنْ قولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**يُعْجِبُنِي الفَأْلُ**» وكُلُّ ما أعجبَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فهوَ حَسَنٌ، قالَتْ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عنها: «**كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه**

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وسلَّمَ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي تَنَعُّلِه وَتَرَجُّلِه وَطُهُورِه وَفِي شَأْنِه كُلِّه».

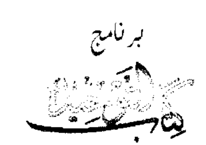
(٢٤) **السَّابعةُ:** «**تَفْسيرُ الفَأْلِ**» فسَّرَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بأنَّهُ الكلمةُ الطَّيِّبَةُ، وسَبَقَ أنَّ هذا التفسيرَ على سبيلِ المثالِ، لا على سبيلِ الحَصْرِ؛ لأنَّ الفألَ كلُّ ما يُنَشِّطُ الإنسانَ على شيءٍ محمودٍ مِنْ قولٍ أوْ فعلٍ مرئيٌّ أوْ مسموعٍ.

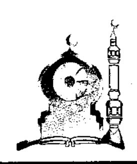
(٢٥) **الثَّامنةُ:** (**أنَّ الواقعَ فِي القُلوبِ مِنْ ذلكَ مَعَ كَراهتِه لا يَضُرُّ، بَلْ يُذْهِبُهُ اللهُ بالتَّوكُّلِ**) أيْ: إذا وَقَعَ في قَلْبِكَ وأَنْتَ كارهٌ لهُ، فإنَّهُ لا يَضُرُّكَ ويُذْهِبُهُ اللهُ بالتوكُّلِ؛ لقولِ ابنِ **مسعودٍ:** «وَمَا مِنَّا إِلاَّ، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ».

(٢٦) **التاسعةُ:** «**ذِكْرُ ما يقولُ مَنْ وَجَدَهُ**» وسَبَقَ أنَّهُ شيئان: أنْ يقولَ: «اللَّهُمَّ لاَ يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلاَّ أَنتَ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ أَنتَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ» أوْ يقولَ: «اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُكَ، وَلاَ طَيْرَ إِلاَّ طَيْرُكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ».

(٢٧) **العاشرةُ:** «**التَّصريحُ بأنَّ الطِّيَرَةَ شِرْكٌ**» وسَبَقَ أنَّ الطِّيَرَةَ شركٌ، لكنْ بتفصيلٍ، فإن اعتقدَ تأثيرَها بنفسِها فهوَ شركٌ أكبرُ، وإن اعتقدَ أنَّها سببٌ فَهُوَ شركٌ أصغرُ.

(٢٨) **الحاديةَ عَشْرَةَ:** «**تَفْسيرُ الطِّيَرَةِ الْمَذْمومةِ**» أيْ: ما أَمْضَاكَ أوْ رَدَّكَ.






تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس التاسع والعشرون

(١) التَّنْجيمُ: مصدرُ نَجَّمَ بتشديدِ الجيمِ، أَيْ: تَعَلَّمَ عِلْمَ النجومِ أو اعتقدَ تأثيرَ النجومِ.

قال شيخ الإسلام - كما في (الفتاوى) (٣٥/١٩٢) -: (التنجيم: هو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية.

وهو صناعة محرمة بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة، بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل. . .)

وعِلْمُ النجومِ ينقسمُ إلى قِسميْنِ:
أحدهما: علمُ التأثيرِ.
والآخر: علمُ التسييرِ.

فأما الأول: وهو علمُ التأثيرِ، وهذا ينقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

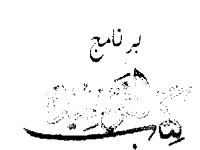
أولها: أنْ يعتقدَ أنَّ هذه النجومَ مُؤَثِّرةٌ فاعلةٌ، بمعنى أنَّها هيَ التي تَخْلُقُ الحوادثَ والشرورَ، فهذا شِرْكٌ أكبرُ؛ لأنَّ مَن ادَّعى أنَّ معَ اللهِ خالقًا فهوَ مشركٌ شركًا أكبرَ، فهذا جَعَلَ المخلوقَ المُسَخَّرَ خالقًا مُسَخِّرًا.

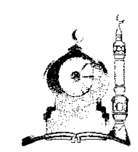
ثانيها: أنْ يجعلَها سببًا يَدَّعي به عِلْمَ الغيبِ؛ فيستدلُّ بحركاتِها وتَنَقُّلاتِها وتغيُّراتِها على أنَّهُ سيكونُ كذا وكذا؛ لأنَّ النَّجمَ الفلانيَّ صارَ كذا وكذا، مثلَ أنْ يقولَ: هذا الإنسانُ ستكونُ حياتُهُ شقاءً؛ لأنَّهُ وُلِدَ في النَّجمِ الفُلانيِّ، وهذا حياتُهُ ستكونُ سعيدةً؛ لأنَّهُ وُلِدَ في النَّجْمِ الفُلانيِّ، فهذا اتَّخذَ تعلُّمَ النجومِ وسيلةً لادِّعاءِ عِلْمِ الغيبِ، ودَعْوَى علمِ الغيبِ كفرٌ مُخْرِجٌ عن المِلَّةِ؛ لأنَّ اللهَ يقولُ: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وهذا مِنْ أقوى أنواعِ الحَصْرِ؛ لأنَّهُ بالنَّفْيِ والإثباتِ، فإذا ادَّعَى عِلْمَ الغيبِ فقدْ كذَّبَ القرآنَ.

ثالثها: أنْ يعتقدَها سببًا لحدوثِ الخيرِ والشرِّ، أيْ: أنَّهُ إذا وَقَعَ شيءٌ نَسَبَهُ إلى النجومِ، ولا يَنْسِبُ إلى النُّجُومِ شيئًا إلاَّ بَعْدَ وُقُوعِهِ، فهذا شِرْكٌ أصغرُ.

فإنْ قيلَ: ينْتَقِضُ هذا بما ثَبَتَ عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ في قولِهِ في الكسوفِ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ» فمعنى ذَلِكَ أنَّهُما علامةُ إِنْذارٍ؟

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com







والجوابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأوَّلُ: أنَّهُ لا يُسَلَّمُ أنَّ للكُسوفِ تأثيرًا في الحوادثِ والعقوباتِ من الجَدْبِ والقَحْطِ والحُرُوبِ؛ ولذلكَ قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**إِنَّهُمَا لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِه**» لا فيما مَضَى ولا في المستقبلِ، وإنَّما يُخَوِّفُ اللهُ بهما العبادَ لعلَّهُمْ يَرْجعُونَ، وهذا أقربُ.

الثاني: أنَّهُ لوْ سلَّمْنا أنَّ لهُما تأثيرًا، فإنَّ النصَّ قدْ دلَّ على ذلكَ، وما دلَّ عليهِ النصُّ يجبُ القولُ بهِ، لكنْ يكونُ خاصًّا بهِ.

لكنَّ الوجهَ الأوَّلَ هوَ الأقربُ: أنَّنا لا نُسَلِّمُ أصلاً أنَّ لهُمَا تأثيرًا في هذا؛ لأنَّ الحديثَ لا يقتضيهِ، فالحديثُ ينصُّ على التخويفِ، والمخوِّفُ هوَ اللهُ تعالى، والمَخُوفُ عُقُوبَتُهُ، ولا أثرَ للكسوفِ في ذلكَ، وإنَّمَا هوَ علامةٌ فقطْ.

وأما الثاني: وهو علمُ التسيير، وهذا ينقسمُ إلى قسمَيْنِ:

أولهما: أنْ يستدلَّ بسيْرِها على المصالِحِ الدينيَّة، فهذا مطلوبٌ، وإذا كانَ يُعينُ على مصالحَ دينيَّة واجبة كانَ تعلُّمُها واجبًا، كما لوْ أرادَ أنْ يستدِلَّ بالنجومِ على جهةِ القِبْلَةِ، فالنجمُ الفلانِيُّ يكونُ ثُلُثَ الليلِ قِبْلَةً، والنَّجمُ الفلانِيُّ يكونُ رُبْعَ الليلِ قِبْلَةً، فهذا فيهِ فائدةٌ عظيمةٌ.

ثانيهما: أنْ يستدلَّ بسَيْرِها على المصالِحِ الدُّنيويَّة، فهذا لا بَأْسَ بهِ، **وهوَ نوعانِ:**

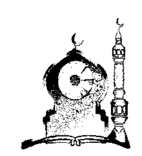
النوعُ الأوَّلُ: أنْ يستدلَّ بِهَا على الجهاتِ، كمعرفةِ أنَّ القُطْبَ يقعُ شمالاً، والجَدْيَ وَهُوَ قريبٌ مِنْهُ يدورُ حولَهُ شمالاً، وهكذا، فهذا جائزٌ، قالَ تعالى: { وَعَلاَمَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ }.

النوعُ الثاني: أنْ يستدلَّ بِها على الفُصُولِ، وهُوَ ما يُعْرَفُ بتعلُّمِ منازلِ القمرِ، فهذا كَرِهَهُ بعضُ السَّلَفِ، وأَبَاحَهُ آخَرُونَ.

والذينَ كَرِهُوهُ قَالوا: **يُخشَى إذا قيلَ:** طَلَعَ النجمُ الفلانيُّ فهوَ وقتُ الشتاءِ أو الصيفِ، أنَّ بعضَ العامَّةِ يعتقدُ أنَّهُ هُوَ الذي يأتِي بالْبَرْدِ أوْ بالحَرِّ أوْ بالرِّياحِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





والصحيحُ: عدمُ الكراهة كما سيأتي إنْ شاءَ اللهُ.

(٢) قولُهُ في أثرِ قتادةَ: (خَلَقَ اللهُ هَذه النُّجومَ لِثلاث) اللامُ للتعليلِ، أيْ: لبيان العلَّة والحكمة.

قَولُهُ: **(لِثلاث)** ويجوزُ لثلاثة، لكنَّ الثلاثَ أحسنُ، أيْ: لثلاثِ حِكَمٍ، لهذا حَذَفَ تاءَ التأنيث من العددِ.

والأولى في هذه الثلاث: زينةٌ للسماءِ، قالَ تعالى: **{ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ }** لأنَّ الإنسانَ إذا رأى السماءَ صافيةً في ليلةٍ غيرِ مُقْمِرَةٍ، وليسَ فيها كَهْرَبَاءُ يجدُ لهذهِ النجومِ من الجَمَالِ العظيمِ ما لا يعلمُهُ إلاّ اللهُ، فتكونُ كأنَّها غابةٌ مُحَلاَّةٌ بأنواعِ من الفضَّة اللامعة، هذهِ نجْمَةٌ مضيئةٌ كبيرةٌ تميلُ إلى الحُمْرَةِ، وهذهِ تميلُ إلى الزُّرْقَةِ، وهذهِ خفيفةٌ، وهذهِ مُتَوَسِّطَةٌ، وهذا شيْءٌ مُشاهَدٌ.

وهلْ نقولُ: إنَّ ظاهرَ الآيةِ الكريمةِ أنَّ النجومَ مُرَصَّعةٌ في السماءِ، أوْ نقولُ: لا يَلزَمُ ذلكَ؟

الجوابُ: لا يَلْزَمُ منْ ذَلكَ أنْ تكونَ النجومُ مُرَصَّعَةً في السماءِ، قالَ تعالى: **{ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }** أيْ: يدُورُونَ، كلٌّ لهُ فَلَكٌ.

وأنا شاهَدْتُ بعينيَّ القمرَ وقد خَسَفَ نجمةً من النجوم، أيْ: غَطَّاها، وهيَ من النجومِ اللامعةِ الكبيرةِ كانَ يَقْرُبُ حولَها في آخرِ الشهرِ، وعندَ قُرْبِ الفجرِ غطَّاها، فكُنَّا لا نَراها بالمرَّة، وذلكَ قبلَ عامَيْنِ في آخرِ رمضانَ.

إذَنْ هيَ أفلاكٌ مُتَفَاوِتَةٌ في الارتفاعِ والنزولِ، ولا يلزَمُ أنْ تكونَ مُرَصَّعَةً في السماءِ.

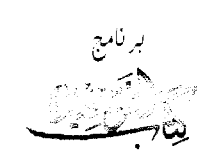
فإنْ قيلَ: فما الجوابُ عنْ قولِه تعالى: **{ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا }**؟

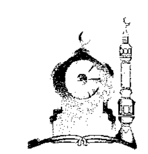
قُلنا: إنَّهُ لا يَلْزَمُ منْ تَزْيِينِ الشيءِ بالشيءِ أنْ يكونَ مُلاصقًا لهُ، أرَأَيْتَ لوْ أنَّ رجلاً عَمَّرَ قَصْرًا وجعلَ حولَهُ ثُرَيَّاتٍ من الكَهْرَبَاءِ كبيرةً وجميلةً، وليْسَتْ على جُدْرَانِه، فالناظرُ إلى القصرِ منْ بُعْدٍ يرى أنَّها زينةٌ لهُ، وإنْ لَمْ تكُنْ ملاصقةً لهُ.

الثانيةُ: رُجُومًا للشَّيَاطِينِ، أيْ: لشياطينِ الجنِّ، وليْسُوا شياطينَ الإنسِ؛ لأنَّ شياطينَ الإنسِ لَمْ يَصِلُوهَا، لكنْ شياطينُ الجنِّ وَصَلُوهَا فهُمْ أقْدَرُ منْ شياطينِ الإنسِ، ولهمْ قُوَّةٌ عظيمةٌ نافذةٌ، قالَ تعالى عنْ عَمَلِهم الدَّالِّ على قُدْرَتِهِم: **{ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ }**أيْ: سخَّرْنا لسليمانَ، **{ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ }**.

- وقالَ تعالى: **{ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ }** أيْ: منْ سَبَأ إلى الشامِ، وهوَ عرشٌ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠






عظيمٌ لملكة سبأ، فهذا يدلُّ على قوَّتهم وسُرْعَتِهم ونُفوذِهم.

– وقالَ تعالى: { وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا } والرَّجْمُ: الرَّمْيُ.

الثالثةُ: علاماتٍ يُهْتَدَى بها، تُؤْخَذُ مِنْ قولِهِ تعالى: { وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} **فذكرَ اللهُ تعالى نوعَيْنِ من العلاماتِ التي يُهْتَدَى بها:**

الأوَّلُ: أرضيَّةٌ، وتشملُ كلَّ ما جعلَ اللهُ في الأرضِ منْ علامةٍ، كالجبالِ والأنهارِ والطُّرُقِ ونحوِها.

والثاني: أُفُقيَّةٌ، في قولِهِ تعالى: { وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}.

والنجمُ: اسمُ جنسٍ يشملُ كلَّ ما يُهْتَدَى به، ولا يختصُّ بنجمٍ مُعَيَّنٍ؛ لأنَّ لكلِّ قومٍ طريقةً في الاستدلالِ بهذهِ النجومِ على الجهاتِ، سواءٌ جهاتُ القِبْلَةِ أو المكانُ بَرًّا أوْ بحرًا.

وهذا منْ نعمةِ اللهِ أنْ جعَلَ علاماتٍ علويَّةً لا يُحْجَبُ دُونَها شيءٌ وهيَ النجومُ؛ لأنَّكَ في الليلِ لا تُشاهِدُ جبالاً ولا أوديةً، وهذا منْ تسخيرِ اللهِ، قالَ تعالى: { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ}.

(٣) قولُهُ: **(وكَرِهَ قتادةُ تَعَلُّمَ مَنازِلِ القَمَرِ)** اعلمْ أنَّ الكراهةَ في القرآنِ والسُّنَّةِ وكلامِ السلفِ المُتَقدِّمينَ يُرادُ بها التحريمُ غالبًا.

وقولُهُ: **(تَعَلُّمَ مَنازِلِ القَمَرِ) يَحْتَمِلُ** أمرَيْنِ:

الأوَّلُ: أنَّ المرادَ به معرفةُ منزلةِ القمرِ، فالليلةَ يكونُ في الشرطَيْنِ، ويكونُ في الإكْليلِ، فالمرادُ معرفةُ منازلِ القمرِ كُلَّ ليلةٍ؛ لأنَّهُ كلَّ ليلةٍ لهُ منزلةٌ حتَّى يُتِمَّ، وفي ولا يظْهَرُ في الغالبِ.

الثاني: أنَّ المرادَ به تعلُّمُ منازلِ النجومِ، أيْ: يخرجُ النجمُ الفلانيُّ في اليومِ الفلانيِّ، وهذهِ النجومُ جَعَلَهَا اللهُ أَوْقَاتًا للفصولِ؛ لأنَّها نجمًا، منها يمانيَّةٌ، وشماليَّةٌ، فإذا حلَّت الشمسُ في المنازلِ الشماليَّةِ صارَ الحرُّ، وإذا حلَّتْ في الجَنُوبيَّةِ صارَ البردُ؛ ولذلكَ كانَ منْ علامةِ دُنُوِّ البرد خروجُ سُهَيْلٍ، **وهوَ من النجومِ اليمانيَّةِ.**

(٤) قولُهُ: **(ولَمْ يُرَخِّص ابنُ عُيَيْنَةَ)** هوَ **سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ** المعروفُ، وهذا يُوافِقُ قولَ **قتادةَ** بالكَراهَةِ.

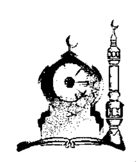
قولُهُ: **(ذَكَرَهُ حَرْبٌ)** منْ أصحابِ **أحمدَ**، روى عنهُ مسائلَ كثيرةً.

قولُهُ: **(إسحاقُ)** هوَ **إسحاقُ بنُ رَاهُويَه.**

والصحيحُ: أنَّهُ لا بَأْسَ بتعلُّمِ منازلِ القمرِ؛ لأنَّهُ لا شرْكَ فيها، إلاَّ إنْ تَعلَّمَها لِيُضيفَ إليها نُزُولَ المطرِ وحصولَ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





البرد، وأنَّها هيَ الْجَالِبَةُ لذلكَ، فهذا نوعٌ من الشِّرك.

أمَّا مُجَرَّدُ معرفةِ الوقتِ بها، هلْ هوَ الربيعُ، أو الخريفُ، أو الشتاءُ؟

فهذا لا بأسَ بهِ.

(٥) قولُهُ في حديثِ أبي موسى: «**الْجَنَّةَ**» هيَ: الدارُ التي أعدَّها اللهُ لأوليائهِ المُتَّقينَ، وسُمِّيتْ بذلكَ لكَثْرةِ أشْجَارِها؛ لأنَّها تَجُنُّ مَنْ فيها، أيْ: تستُرُهُ.

(٦) قولُهُ: «**مُدْمِنُ الْخَمْرِ**» هوَ: الذي يشْرَبُ الخمرَ كثيرًا، والخمرُ حَدَّهُ الرسولُ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ بقَوْلِهِ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ**» ومعنى (**أسْكَرَ**) أيْ: غطَّى العقلَ، وليسَ كلُّ ما غطَّى العقلَ فهوَ خَمْرٌ، فَالْبَنْجُ مثلاً ليسَ بخَمْرٍ، وإذا شَرِبَ دُهْنًا فأُغْمِيَ عليهِ فليسَ ذلكَ بخمرٍ، وإنَّما الخمرُ الذي يُغَطِّي العقلَ على وَجْهِ اللَّذَّةِ والطَّربِ، فَتَجدُ الشاربَ يُحِسُّ أنَّهُ في منزلةٍ عظيمةٍ وسعادةٍ وما أشبهَ ذلكَ، قالَ الشَّاعرُ:

وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنَا ... وَأُسْدًا مَا يُنَهْنِهُنَا اللقاءُ

وقالَ **حمزةُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وكانَ قدْ سكرَ قبْلَ تحريمِ الخمرِ: (وَهَلْ أَنْتُمْ إلاَّ عبيدُ أَبي)** فالذي يُغَطِّي العقلَ على سبيلِ اللَّذَّةِ مُحَرَّمٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ، ومَن استَحَلَّهُ فهوَ كافرٌ، إلاَّ إنْ كانَ ناشئًا ببادِيةٍ بعيدةٍ، أوْ حديثَ عَهْدٍ بالإسلامِ ولا يعلمُ الحُكْمَ الشرعيَّ في ذلكَ، فإنَّهُ يُعَرَّفُ ولا يَكْفُرُ بمُجَرَّدِ إنكارِهِ تحريمَهُ.

(٧) قولُهُ: «**قَاطِعُ الرَّحِمِ**» الرَّحِمُ هم القرابةُ، قالَ تعالى: **{ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ }** وليسَ كما يظُنُّهُ العامَّةُ أنَّهم أقاربُ الزَّوْجَيْنِ؛ لأنَّ هذهِ تسميةٌ غيرُ شرعيَّةٍ، والشرعيَّةُ في أقاربِ الزوجِ أنْ يُسَمَّوْا أصهارًا.

ومعنى **قاطعِ الرحمِ**، أيْ: لا يَصِلُهُ، والصِّلَةُ جاءَتْ مُطْلَقَةً في الكتابِ والسُّنَّةِ، قالَ تعالى: **{ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ }** ومنهُ: الأرحامُ، وما جاءَ مُطْلَقًا غيرَ مُقَيَّدٍ فإنَّهُ يُتْبَعُ فيهِ العُرْفُ، كما قيلَ:

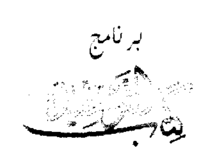
وكُلُّ مَا أَتَى ولَمْ يُحَدَّدِ ... بالشَّرْعِ كالحِرْزِ فَبالعُرْفِ احْدُدِ

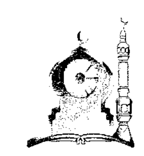
فالصِّلَةُ في زَمَنِ الجوعِ والفقرِ أنْ يُعْطِيَهُمْ ويُلاحِظَهُمْ بالْكِسْوَةِ والطعامِ دائمًا، وفي زمنِ الغِنى لا يلزمُ ذلكَ.

وكذلكَ الأقاربُ ينقسمونَ إلى: قريبٍ وبعيدٍ، فأقربُهم يجبُ لهُ من الصلةِ أكثرُ مِمَّا يجبُ للأبعدِ.

ثم الأقاربُ ينقسمونَ إلى قسميْنِ منْ جهةٍ أخرى؛ قسمٌ من الأقاربِ يرى أنَّ لِنَفْسِهِ حقًّا لا بُدَّ من القيامِ بهِ،

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٣٨٠٧٣٠







ويُرِيدُ أنْ تَصِلَهُ دائمًا، وقسمٌ آخرُ يُقَدِّرُ الظروفَ ويُنْزِلُ الأشياءَ منازِلَهَا، فهذا لهُ حُكْمٌ، وذلكَ لهُ حُكْمٌ.

والقطيعةُ: يُرْجَعُ فيها إلى العُرْفِ، إلاَّ أنَّهُ يُسْتَثْنَى منْ ذلكَ مسألةٌ، وهيَ: ما لوْ كانَ العُرفُ عدمَ الصلة مُطْلَقًا، بأنْ كُنَّا في أُمَّةٍ تشتَّتَتْ وتقَطَّعَتْ عُرَى صلَتِها، كما يُعْرَفُ الآنَ في البلادِ الغَرْبيَّة، فإنَّهُ لا يُعْمَلُ حينَئذٍ بالْعُرْفِ، ونقولُ لا بُدَّ منْ صلة، فإذا كانَ هناكَ صلةٌ في العُرْفِ اتَّبَعْنَاهَا، وإذا لَمْ يكُنْ هناكَ صلةٌ فلا يُمْكِنُ أنْ نُعطِّلَ هذه الشريعةَ التي أمرَ اللهُ بها ورسولُهُ.

والصلةُ ليسَ معناها أنْ تَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ؛ لأنَّ هذا مُكَافأةٌ وليْسَتْ صلةً؛ لأنَّ الإنسانَ يَصِلُ أبعدَ الناسِ عنهُ إذا وصَلَهُ، إنَّما الواصلُ كما قالَ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**مَنْ إذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**» هذا هوَ الذي يُرِيدُ وَجْهَ اللهِ والدارَ الآخرةَ.

وهلْ صِلَةُ الرَّحِمِ حقٌّ لله أوْ للآدميِّ؟

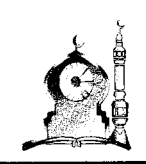
الظاهرُ أنَّها حقٌّ للآدميِّ، وهيَ حقٌّ لله باعتبارِ أنَّ اللهَ أمرَ بها.

(٨) قولُهُ: «**وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ**» هذا هوَ شاهدُ البابِ، ووَجْهُهُ أنَّ عِلْمَ التنجيمِ نوعٌ من السحرِ، فَمَنْ صدَّقَ به فقدْ صدَّقَ بنوعٍ من السحرِ، فقدْ سَبَقَ أنَّ «**مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ**» والمُصَدِّقُ به هوَ المصدِّقُ بما يُخبرُ به المُنَجِّمُونَ، فإذا قالَ المنجِّمُ: سيحْدُثُ كذا وكذا وصدَّقَ به، فإنهُ لا يدخلُ الجنَّةَ؛ لأنَّهُ صَدَّقَ بعلمِ الغيبِ لغيرِ اللهِ، قالَ تعالى: ﴿ **قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾.

فإنْ قيلَ: لماذا لا يُجْعَلُ السحرُ هنا عامًّا ليشملَ التَّنْجيمَ وغيرَ التنجيمِ؟

أجيبُ: أنَّ المُصَدِّقَ بما يُخبِرُهُ به السحرةُ منْ علمِ الغيبِ يشملُهُ الوعيدُ هنا، وأمَّا المصدِّقُ بأنَّ للسحرِ تأثيرًا فلا يلْحَقُهُ هذا الوعيدُ؛ إذْ لا شكَّ أنَّ للسحرِ تأثيرًا، لكنَّ تأثيرَهُ تَخْييلٌ، مثلَ: ما وقعَ منْ سَحَرَةِ **فرعونَ** حيثُ سَحَرُوا أعْيُنَ الناسِ حتَّى رَأَوا الحبالَ والْعِصِيَّ كأنَّها حيَّاتٌ تَسْعَى، وإنْ كانَ لا حقيقةَ لذَلكَ، وقدْ يسْحَرُ الساحرُ شخصًا فيجعلُهُ يُحبُّ فلانًا ويُبْغضُ فلانًا، فهوَ مُؤثِّرٌ، قالَ تعالى: ﴿ **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ** ﴾ فالتصديقُ بأثرِ السحرِ على هذا الوجه لا يَدْخُلُهُ الوعيدُ؛ لأنَّهُ تصديقٌ بأمرٍ واقعٍ.

أمَّا مَنْ صَدَّقَ بأنَّ السحرَ يُؤَثِّرُ في قلبِ الأعيانِ بحيثُ يجعلُ الخشبَ ذهبًا أوْ نحوَ ذلكَ، فلا شكَّ في دُخُولِه في الوعيدِ؛ لأنَّ هذا لا يَقْدِرُ عليه إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ.




وقولُهُ: «ثَلاثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» هل المرادُ الحَصْرُ وأنَّ غيْرَهمْ يدْخُلُ الجنَّةَ؟

الجوابُ: لا؛ لأنَّ هناكَ مَنْ لا يدْخُلُونَ الجنَّةَ سوى هؤلاءِ، فهذا الحديثُ لا يَدُلُّ على الحصرِ.

(٩) فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: (الحكمةُ في خَلْقِ النُّجومِ).

وهيَ ثلاثٌ:

- **أنَّها زينةٌ للسماءِ.**
- **ورُجُومٌ للشياطينِ.**
- **وعلاماتٌ يُهْتَدَى بها.**

ورُبَّما يكونُ هناكَ حِكَمٌ أُخْرَى لا نعْلَمُها.

(١٠) **الثانيةُ:** (**الردُّ على مَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذلكَ**) لقولِ قتادةَ: (**مَنْ تَأَوَّلَ فيها غيرَ ذلكَ أخْطأَ وأضاعَ نصيبَهُ وتكلَّفَ ما لا علْمَ لهُ به**).

ومرادُ **قتادةَ** في قوْلِه: (**غيرَ ذلكَ**) ما زَعَمَهُ المُنَجِّمُونَ من الاستدلالِ بالأحوالِ الفلكيَّةِ على الحوادثِ الأرضيَّةِ، وأمَّا ما يُمْكِنُ أنْ يكُونَ فيها مِنْ أمورٍ حسيَّةٍ سوى الثلاثِ السابقةِ فلا ضلالَ لِمَنْ تَأَوَّلَهُ.

(١١) **الثالثةُ:** (**ذِكْرُ الخلافِ في تَعَلُّمِ الْمَنازِلِ**) سبقَ ذلكَ.

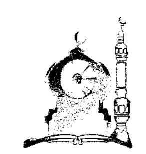
(١٢) **الرابعةُ:** (**الوعيدُ فيمَنْ صَدَّقَ بِشَيْءٍ مِن السِّحْرِ وَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ باطِلٌ**) مَنْ صَدَّقَ بشيءٍ من التنجيمِ أوْ غيرِه بلسانِه ولو اعتقدَ بُطْلانَهُ بقَلْبِه، فإنَّ عليهِ هذا الوعيدَ، كيفَ يُصَدِّقُ وهوَ يعرفُ أنَّهُ باطلٌ؛ لأنَّهُ يُؤَدِّي إلى إغراءِ الناسِ بهِ وبِتَعَلُّمِه وبِمُمَارَسَتِه.

(١٣) **الاستِسْقاءُ**: طلبُ السُّقْيَا، كالاستغفارِ: طَلَبُ المغفرةِ، والاستعانةِ: طلبُ المعونةِ، **والاستعاذةُ**: طلبُ العَوْذِ.

والاستهداءُ: **طلبُ الهدايةِ**؛ لأنَّ مَادَّةَ (اسْتَفْعَلَ) في الغالبِ تدلُّ على الطلبِ، وقدْ لا تَدُلُّ على الطلبِ بلْ تَدُلُّ على المبالغةِ في الفعلِ، مثلَ: (استكبرَ)، أيْ: بَلَغَ في الكِبْرِ غايتَهُ، وليسَ المعنى طلبَ الكِبْرَ. والاستسقاءُ بالأنْواءِ: أيْ: أنْ تَطْلُبَ منها أنْ تَسْقِيَكَ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





والاستسقاءُ بالأنواءِ ينقسمُ إلى قسمَيْن:

القسمُ الأوَّلُ: شرْكٌ أكبرُ، **ولهُ صورتان:**

الأولى: أنْ يدْعُوَ الأَنْوَاءَ بالسُّقْيَا، كأنْ يقولَ: يا نَوْءَ كذا اسْقِنا أوْ أَغِثْنَا، وما أشبهَ ذلكَ؛ فهذا شرْكٌ أكبرُ؛ لأنَّهُ دعا غيرَ اللهِ، ودعاءُ غيرِ اللهِ من الشركِ الأكبرِ، قالَ تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾.

- وقالَ تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾.

- وقالَ تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ إلى غيرِ ذلكَ من الآياتِ الكثيرةِ الدَّالَّةِ على النَّهْيِ عَنْ دُعَاءِ غيرِ اللهِ وأنَّهُ من الشركِ الأكبرِ.

الثانيةُ: أنْ يَنْسبَ حصولَ الأمطارِ إلى هذه الأنواءِ على أنَّها هيَ الفاعلةُ بنفسِها دونَ اللهِ، ولوْ لَمْ يَدْعُها، فهذا شركٌ أكبرُ في الرُّبوبيَّةِ، والأوَّلُ في العبادةِ؛ لأنَّ الدعاءَ من العبادةِ، وهوَ مُتَضَمِّنٌ للشركِ في الرُّبوبيَّةِ؛ لأنَّهُ لم يَدْعُها إلاَّ وهوَ يعتقدُ أنَّها تفعلُ وتقضي الحاجةَ.

القسمُ الثاني: شركٌ أصغرُ، وهوَ أنْ يجعلَ هذه الأنواءَ سببًا، معَ اعتقادِه أنَّ اللهَ هوَ الخالقُ الفاعلُ؛ لأنَّ كُلَّ مَنْ جعلَ سببًا لمْ يجعَلْهُ اللهُ سببًا لا بوَحْيِهِ ولا بقَدَرِهِ فهوَ مُشْرِكٌ شرْكًا أصغرَ.

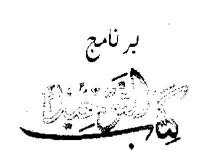
(١٤) قولُهُ تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ﴾ أيْ: تُصَيِّرونَ، وهيَ تَنْصِبُ مفعولَيْنِ:

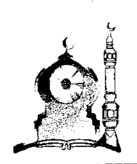
الأوَّلُ: (رِزْقَ).

والثاني: (أنَّ) وما دَخَلَتْ عليهِ في تأويلِ مصدرٍ مفعولٍ ثانٍ، والتقديرُ: وتجعلُونَ رِزْقَكُم كونَكُم تُكَذِّبُونَ أوْ تكْذيبَكُم، والمعنى: تُكَذِّبُونَ أنَّهُ منْ عِنْدِ اللهِ حيثُ تُضِيفُونَ حُصُولَهُ إلى غيْرِه.

قولُهُ: ﴿رِزْقَكُمْ﴾ الرزقُ هوَ العطاءُ، والمرادُ بهِ هنا ما هوَ أعمُّ من المطرِ، **فيشملُ معنيَيْنِ:**

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠






الأوّل: أنّ المرادَ به رِزْقُ العلمِ؛ لأنّ اللهَ قالَ: { فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ } أيْ: تخافونَهم فتُداهِنُونَهُم وتجعلُونَ شُكْرَ ما رزقَكُم اللهُ بهِ من العلمِ والوحيِ أنَّكُم تُكذِّبُونَ به، وهذا هوَ ظاهرُ سياقِ الآيةِ.

الثاني: أنّ المرادَ بالرزقِ المطرُ، وقدْ رُوِيَ في ذلكَ حديثٌ عن النبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ، لكنّهُ ضعيفٌ، إلاّ أنّهُ صحّ عن ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما في تفسيرِ الآيةِ، أنّ المرادَ بالرزقِ المطرُ، وأنّ التكذيبَ به نِسبتُهُ إلى الأنواءِ. وعليهِ يكونُ ما ساقَ المؤلّفُ الآيةَ منْ أجلهِ مُناسبًا للبابِ تمامًا.

والقاعدةُ في التفسيرِ: أنّ الآيةَ إذا كانتْ تَحتمِلُ المعنييْنِ جميعًا بدونِ مُنافاةٍ تُحْمَلُ عليهما جميعًا، وإنْ حصلَ بينَهُما مُنافاةٌ طُلِبَ المُرجِّحُ.

ومعنى الآيةِ: أنّ اللهَ يُوبِّخُ هؤلاءِ الذينَ يجْعَلُونَ شُكْرَ الرزقِ التكذيبَ والاستكبارَ والبعدَ؛ لأنّ شُكْرَ الرزقِ يكونُ بالتصديقِ والقَبولِ والعملِ بطاعةِ المُنْعِمِ، والفطرةُ كذلكَ لا تَقْبَلُ أنْ تَكْفُرَ بمَنْ يُنْعِمُ عليها، فالفطرةُ والعقلُ والشرعُ كلٌّ منها يُوجِبُ أنْ تَشْكُرَ مَنْ يُنْعِمُ عليكَ، سواءٌ قُلْنا: المرادُ بالرزقِ المطرُ الذي به حياةُ الأرضِ، أوْ قُلْنا: إنّ المرادَ بهِ القرآنُ الذي بهِ حياةُ القلوبِ، فإنّ هذا منْ أعظمِ الرزقِ، فكيفَ يليقُ بالإنسانِ أنْ يُقابِلَ هذهِ النعمةَ بالتكذيبِ؟!

واعلمْ أنّ التكذيبَ نوعانِ:

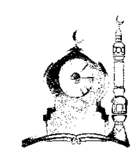
أحدُهما: التكذيبُ بلسانِ المقالِ، بأنْ يقولَ: هذا كَذِبٌ، أو المطرُ من النَّوْءِ، ونحوَ ذلكَ.

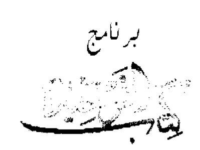
والثاني: التكذيبُ بلسانِ الحالِ، بأنْ يُعَظِّمَ الأنواءَ والنجومَ معتقدًا أنّها السببُ.

ولهذا وَعَظَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الناسَ يومًا فقالَ: (**أيُّها الناسُ، إنْ كُنْتُمْ مُصدّقينَ فأنْتُم حمقَى، وإنْ كُنْتُمْ مكذّبينَ فأنْتُمْ هَلْكَى**).

وهذا صحيحٌ؛ فالذي يُصدّقُ ولا يعملُ أحمقُ، والمكذّبُ هالكٌ، فكلُّ إنسانٍ عاصٍ نقولُ لَهُ الآنَ: أنتَ بينَ أمرَيْنِ؛ إمّا أنّكَ مُصدّقٌ بما رُتّبَ على هذهِ المعصيةِ، أوْ مُكذّبٌ، فإنْ كُنْتَ مُصدّقًا فأنْتَ أحمقُ، كيفَ لا تخافُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٣٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





فتستقيمَ؟!

وإنْ كُنْتَ غيرَ مُصدِّقٍ فالبلاءُ أكبرُ، فأنتَ هالكٌ كافرٌ.

(١٥) قولُهُ في حديثِ أبي مالك: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي**» الفائدةُ منْ قوْلِه: «**أَرْبَعٌ**» ليسَ الحَصْرَ؛ لأنَّ هناكَ أشياءَ تُشَارِكُها في المعنى، وإنَّما يقولُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذلكَ مِنْ بابِ حَصْرِ العُلُومِ وجمْعِها بالتقسيمِ والعددِ؛ لأنَّهُ يُقرِّبُ الفهمَ ويُثبِّتُ الحفظَ.

قولُهُ: «**فِي أُمَّتِي**» أيْ: أُمَّةِ الإجابةِ.

قولُهُ: «**مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ**» أمرٌ هنا بمعنى شَأْنٍ، أيْ: منْ شَأْنِ الجاهليَّةِ، وهوَ واحدُ الأمورِ، وليسَ واحدَ الأوامرِ؛ لأنَّ واحدَ الأوامرِ هوَ طلبُ الفعلِ على وجهِ الاستعلاءِ.

والإضافةُ إلى الجاهليَّةِ الغرضُ منها التقبيحُ والتنفيرُ؛ لأنَّ كلَّ إنسانٍ يُقالُ لهُ: فعْلُكَ فِعْلُ الجاهليَّةِ، لا شكَّ أنَّهُ يَغْضَبُ؛ إذ إنَّهُ لا أحدَ يَرْضَى أنْ يُوصَفَ بالجهلِ، ولا بأَنَّ فِعْلَهُ منْ أفعالِ الجاهليَّةِ، فالغرضُ من الإضافةِ هنا أمرانِ:

- التَّنْفيرُ.
- **وبيانُ أنَّ هذهِ الأمورَ كُلَّها جَهْلٌ وحُمْقٌ بالإنسانِ**؛ إذْ ليسَتْ أهلاً بأنْ يُرَاعِيَها الإنسانُ أوْ يعْتَنِيَ بها، فالَّذي يعْتَني بها جاهلٌ.

والمرادُ **بالجاهليَّةِ هنا ما قبلَ الْبَعْثَةِ**؛ لأنَّهُم كانوا على جَهْلٍ وضلالٍ عظيمٍ، حتَّى إنَّ العربَ كانوا أجْهَلَ خَلْقِ اللهِ، ولهذا يُسَمَّوْنَ بالأُمِّيِّينَ، والأُمِّيُّ هوَ الذي لا يقرأُ ولا يَكْتُبُ، نسبةً إلى الأُمِّ، كأنَّ أُمَّهُ وَلَدَتْهُ الآنَ.

لكنْ لَمَّا بُعِثَ فيهم هذا النبيُّ الكريمُ قالَ تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فهذه مِنَّةٌ عظيمةٌ أنْ بعثَ فيهم النبيَّ عليه الصلاةُ والسلامُ لهذهِ الأمورِ السَّامِيَةِ:

- يَتْلُو عليهِم آياتِ اللهِ.
- ويُزكِّيهِم، ويُطَهِّرُ أخلاقَهُم وعبادَتَهُم ويُنَمِّيها.
- ويُعَلِّمُهم الكتابَ.
- والحِكْمَةَ.

وهذه الفوائدُ الأربعُ عظيمةٌ لوْ وُزِنَت الدُّنْيا بواحدةٍ منها لوَزَنَتْها عندَ مَنْ يَعْرِفُ قَدْرَها، ثمَّ بيَّنَ الحالَ منْ قبلُ قالَ: ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، و﴿إِنْ﴾ هذهِ ليْسَتْ نافيةً، بلْ مُؤَكِّدَةٌ، فهيَ مُخَفَّفَةٌ من الثقيلةِ، يعني: وإنَّهُم كانوا منْ قبلُ لفي ضلالٍ مبين.

إذن المرادُ بالجاهليَّةِ ما قبلَ البَعْثَةِ؛ لأنَّ الناسَ كانوا فيها على جهلٍ عظيمٍ، فجهلُهم شاملٌ للجهلِ في حقوقِ اللهِ وحقوقِ عبادِهِ، فمنْ جَهْلِهِم أنَّهُم ينْصِبُونَ النُّصُبَ ويعْبُدُونَها منْ دُونِ اللهِ، ويَقْتُلُ أحدُهم ابْنَتَهُ لكيْ لا يُعَيَّرَ بها، ويقْتُلُ أولادَهُ منْ ذكورٍ وإناثٍ خشيةَ الفقرِ.

قولُهُ: «لَا يَتْرُكُونَهُنَّ» المرادُ: لا يتركونَ كلَّ واحدٍ منها باعتبارِ المجموعِ بالمجموعِ، بأنْ يكونَ كلُّ واحدٍ منها عندَ جماعةٍ، والثاني عندَ آخرينَ، والثالثُ عندَ آخرينَ، والرابعُ عندَ آخرينَ، وقدْ تجتمعُ هذهِ الأقسامُ في قبيلةٍ، وقدْ تخْلُو بعضُ القبائلِ منها جميعًا، إنَّما الأُمَّةُ كمجموعٍ لا بُدَّ أنْ يُوجَدَ فيها شيءٌ منْ ذلكَ؛ لأنَّ هذا خبرٌ من الصادقِ المصدوقِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

والمرادُ بهذا الخبرِ التنفيرُ؛ لأنَّهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قدْ يُخْبِرُ بأشياءَ قدْ تقعُ وليسَ غرضُهُ أنْ يُؤْخَذَ بها، كما قالَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» أيْ: فاحذَرُوا.

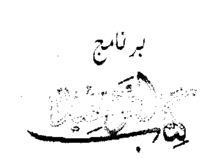
وأَخْبَرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ «أَنَّ الظَّعِينَةَ تَخْرُجُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا تَخْشَى إِلَّا اللهَ» أيْ: بلا مَحْرَمٍ، وهذا خبرٌ عنْ أمْرٍ واقعٍ، وليسَ إقرارًا لهُ شرعًا.

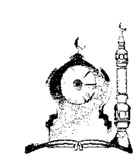
قولُهُ: «الْفَخْرُ بِالأَحْسَابِ» الفخرُ: التعالي والتعاظُمُ، والباءُ للسببيَّةِ، أيْ: يفْخَرُ بسببِ الحَسَبِ الذي هُوَ عليه.

والحَسَبُ: ما يحتسبُهُ الإنسانُ منْ شرفٍ وسُؤْدُدٍ، كأنْ يكونَ منْ بني هاشمٍ فيَفْتَخِرُ بذلكَ، أوْ منْ آباءٍ وأجدادٍ مشهورينَ بالشجاعةِ فيفتخرُ بذلكَ، وهذا منْ أمْرِ الجاهليَّةِ؛ لأنَّ الفخرَ في الحقيقةِ يكونُ بتقوى اللهِ الذي يمنعُ الإنسانَ من التعالي والتعاظُمِ، والمُتَّقي حقيقةً هوَ الذي كُلَّما ازْدادَتْ نعَمُ اللهِ عليه ازْدادَ تواضُعًا للحقِّ وللخلقِ.

وإذا كانَ الفخرُ بالحَسَبِ منْ فِعْلِ الجاهليَّةِ فلا يجوزُ لنا أنْ نفْعَلَهُ؛ ولهذا قالَ تعالى لنساءِ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ واعلَمْ أنَّ ما يُنسَبُ إلى الجاهليَّةِ فهوَ مذمومٌ ومنْهِيٌّ عنهُ.

قولُهُ: «الطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ» الطعنُ: العَيْبُ، لأنَّهُ وَخْزٌ معنويٌّ كَوَخْزِ الطاعونِ في الجسدِ؛ ولهذا سُمِّيَ العيبُ طعنًا.







والأنسابُ: جَمْعُ نَسَبٍ، وهو أصلُ الإنسانِ وقرابتُهُ، فَيَطْعَنُ في نسبِهِ كأنْ يقولَ: أَنْتَ ابنُ الدَّبَّاغِ، أوْ أنتَ ابنُ مُقطِّعةِ البُظُورِ، وهو شيءٌ في فَرْجِ المرأةِ يُقْطَعُ عندَ ختانِ النساءِ.

قولُهُ: «**وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ**» أيْ: نسبةُ المطرِ إلى النجومِ معَ اعتقادِ أنَّ الفاعلَ هوَ اللهُ عزَّ وجلَّ.

أمَّا إن اعتقدَ أَنَّ النجومَ هيَ التي تَخلُقُ المطرَ والسَّحَابَ، أوْ دَعَاها منْ دُونِ اللهِ لتُنْزِلَ المطرَ، فهذا شِرْكٌ أكبرُ مُخْرِجٌ عن المِلَّةِ.

قولُهُ: «**وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**» هذا هوَ الرابعُ، والنياحةُ: هيَ رفعُ الصوتِ بالبُكاءِ على المَيِّتِ قَصْدًا، وينبغي أنْ يُضافَ إليهِ على سبيلِ النوْحِ، كَنَوْحِ الحمامِ.

والنَّدْبُ: تَعدادُ محاسنِ المَيِّتِ.

والنِّياحةُ منْ أمْرِ الجاهليَّةِ، ولا بُدَّ أنْ تكونَ في هذهِ الأمَّةِ، **وإنَّما كانتْ مِنْ أمْرِ الجاهليَّةِ**:

- **إمَّا من الجهلِ الذي هوَ ضدُّ العِلْمِ**.
- **أوْ من الجهالةِ التي هيَ السَّفَهُ وهيَ ضدُّ الحكمةِ**.

وإنَّما كانتْ كذلكَ لأمورٍ أربعةٍ:

الأول: أنَّها لا تَزِيدُ النائحَ إلاَّ شدةً وحُزنًا وعذابًا.

الثاني: أنَّها تَسَخُّطٌ منْ قضاءِ اللهِ وقدَرِهِ، واعتراضٌ عليهِ.

الثالث: أنَّها تُهَيِّجُ أحزانَ غيرِهِ.

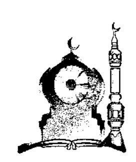
وقدْ ذُكِرَ عن **ابنِ عَقِيلٍ** رَحِمَهُ اللهُ، وهو منْ عُلَمَائنا الحنابلَةِ، أنَّهُ خرجَ في جنازةِ **ابنه عَقِيلٍ**، وكانَ أكبرَ أولادِهِ وطالبَ عِلْمٍ، فلمَّا كانوا في المقبرةِ صَرَخَ رجلٌ وقالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فقالَ لهُ **ابنُ عَقِيلٍ** رَحِمَهُ اللهُ: إنَّ القرآنَ إنَّما نَزَلَ لتسكينِ الأحزانِ، وليسَ لتهْييجِ الأحزانِ.

الرابع: أنَّهُ معَ هذه المفاسدِ لا يَرُدُّ القضاءَ، ولا يَرْفَعُ ما نَزَلَ.

والنياحةُ تشملُ ما إذا كانتْ منْ رجلٍ أو امرأةٍ، لكن الغالبُ وُقُوعُها من النساءِ.

(١٦) ولهذا قالَ: «**النَّائحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا**» أيْ: إنْ تَابَتْ قبلَ الموتِ تابَ اللهُ عليها، وظاهرُ الحديثِ أنَّ هذا الذَّنْبَ لا تُكَفِّرُهُ إلاَّ التَّوْبَةُ، وأنَّ الحسناتِ لا تَمْحُوهُ؛ لأنَّهُ منْ كبائرِ الذنوبِ، والكبائرُ لا تُمحَى





بالحسنات، فلا يمحُوها إلاَّ التَّوْبَةُ.

قولُهُ: «**تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ**» أيْ: تُقَامُ مِنْ قَبْرِهَا.

والسِّربالُ: الثوبُ السابغُ كالدِّرْعِ، والقَطِرَانُ معروفٌ، ويُسمَّى الزِّفْتَ، وقيلَ: إنَّهُ النُّحَاسُ المُذَابُ.

قولُهُ: «**وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**» الجَرَبُ: مرضٌ معروفٌ يكونُ في الجلدِ يُؤَرِّقُ الإنسانَ، وربَّما يقْتُلُ الحيوانَ.

والمعنى أنَّ كلَّ جلدِها يكونُ جَرَبًا بمترلةِ الدِّرْعِ، وإذا اجتمعَ قَطِرَانٌ وجَرَبٌ زادَ البلاءُ؛ لأنَّ الجربَ أيُّ شيءٍ يَمَسُّهُ يتأَثَّرُ به، فكيفَ ومعَهُ قَطِرَانٌ؟!

والحكمَةُ: أنَّها لَّما لَمْ تُغَطِّ المُصيبةَ بالصَّبْرِ غُطِّيَتْ بهذا الغطاءِ؛ سِرْبَالٍ مِنْ قَطِرَانٍ ودرعٍ مِنْ جَرَبٍ، فكانت العقوبةُ مِنْ جنسِ العملِ.

(**١٧**) قولُهُ في حديثِ زيدِ بنِ خالدٍ: «**صَلَّى لَنَا**» أيْ: إمامًا؛ لأنَّ الإمامَ يُصَلِّي لنفْسِهِ ولغيرِهِ، ولهذا يَتْبَعُهُ المأمومُ.

وقيلَ: إنَّ اللامَ بمعنى الباءِ، وهذا قريبٌ.

وقيلَ: إنَّ اللامَ للتعليلِ، أيْ: صلَّى لأَجْلِنا.

قولُهُ: «**صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ**» أيْ: صلاةَ الفجرِ، والحُدَيْبِيَةُ: فيها لُغَتَانِ: التخفيفُ وهوَ أكثرُ، والتَّشْديدُ، وهيَ اسمُ بِئْرٍ سُمِّيَ بها المكانُ.

وقيلَ: إنَّ أصلَها شجرةٌ حَدْبَاءُ تُسَمَّى حُدَيْبِيَةَ، والأكثرُ على أنَّها اسمُ بئرٍ، وهذا المكانُ قريبٌ مِنْ مَكَّةَ، بعضُهُ في الحِلِّ وبعضُهُ في الحَرَمِ، نزلَ به الرسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في السَّنَةِ السادسةِ من الهجرةِ لَّما قدمَ معتمرًا، فصدَّهُ المشركونَ عن البيتِ، وما كانوا أوْلِيَاءَهُ إنْ أوْلِيَاؤُهُ إلاَّ المُتَّقونَ، ويُسمَّى الآنَ الشُّمَيسيَّ.

قولُهُ: (**عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ**) الإِثْرُ معناهُ العَقِبُ، والأَثَرُ ما يَنْتُجُ عن السَّيْرِ.

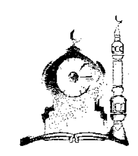
قولُهُ: (**سَماءٍ**) المرادُ به المطرُ.

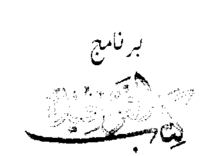
قولُهُ: (**كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ**) (مِنْ) لابتداءِ الغايةِ، هذا هوَ الظاهرُ واللهُ أعلمُ، ويُحتَمَلُ أنْ تكونَ بمعنى (في) للظرفيَّةِ.

قولُهُ: (**فَلَمَّا انْصَرَفَ**) أيْ: مِنْ صلاتِهِ، وليسَ مِنْ مكانِهِ؛ بدليلِ قولِهِ: «**أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ**».

قولُهُ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» الاستفهامُ يُرادُ به التنبيهُ والتشويقُ لِمَا سيُلقَى عليْهِمْ، وإلاَّ فالرَّسُولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَعْلَمُ أنَّهُم لا يَعْلَمُونَ ماذا قالَ اللهُ؛ لأنَّ الوَحْيَ لا يَنْزِلُ عليهِم.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





ومعنى قوله: «**هَلْ تَدْرُونَ**» أيْ: هلْ تعلَمْونَ.

والمرادُ بالرُّبوبيَّةِ هنا الرُّبوبيَّةُ الخاصَّةُ؛ لأنَّ رُبُوبيَّةَ اللهِ للمؤمنِ خاصَّةٌ، كما أَنَّ عُبوديَّةَ المؤمنِ لهُ خاصَّةٌ، ولكنَّ الخاصَّةَ لا تنافي العامَّةَ؛ لأنَّ العامَّةَ تشمَلُ هذا وهذا، والخاصَّةَ تختصُّ بالمؤمنِ.

قولُهُ: «**قالوا: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ**» فيه إشكَالٌ نحْويٌّ؛ لأنَّ (أَعْلَمُ) خبرٌ عن اثنَيْنِ، وهيَ مُفْرَدٌ، فيُقَالُ: إنَّ اسْمَ التفضيلِ إذا نُويَ بِهِ معنى (مِنْ)، وكانَ مُجَرَّدًا منْ (أَلْ) والإضافة، لَزِمَ فيه الإفرادُ والتذكيرُ.

وفيهِ: أيضًا إشكالٌ معنَويٌّ، وهوَ أنَّهُ جَمَعَ بينَ اللهِ ورسولِهِ بالواوِ، معَ أنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لَمَّا قالَ لهُ الرَّجُلُ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، قالَ: «**أَجَعَلْتَني للهِ ندًّا ؟ !**».

فيُقَالُ: **إنَّ هذا أمرٌ شرعيٌّ**، وقدْ نزلَ على الرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

وأمَّا إنكارُهُ على مَنْ قالَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ؛ فلأنَّهُ أمْرٌ كونِيٌّ، والرسولُ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ ليسَ لهُ شَأْنٌ في الأمورِ الكونيَّةِ، والمرادُ بقوْلِهم: «**اللهُ ورسولُهُ أعلمُ**»، تفويضُ العلمِ إلى اللهِ ورسولِهِ، وأنَّهُم لا يعلمونَ.

قولُهُ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ**» «**مُؤْمِنٌ**» صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ، أيْ: عبدٌ مؤمنٌ، وعبدٌ كافرٌ.

و«**أصبحَ**» منْ أخواتِ كانَ، واسْمُها «**مؤمنٌ**» وخبرُها «**منْ عِبَادِي**».

ويجوزُ أنْ يكونَ «**أصْبَحَ**» فعْلُها ماضٍ ناقصٌ، واسمُها ضميرُ الشأنِ، أيْ: أصْبَحَ الشأنُ، فَــ«**مِنْ عبادِي**» خبرٌ مُقَدَّمٌ، و«**مؤمنٌ**» مبتدأٌ مُؤَخَّرٌ، أيْ: أصبحَ شأنُ الناسِ منْهُم مُؤْمنٌ ومنهم كافرٌ.

قولُهُ: «**فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِه**» أيْ: قَالَ بلسانِهِ وقلبِهِ، والباءُ للسببيَّةِ، **والفضلُ**: العطاءُ والزيادةُ.

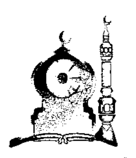
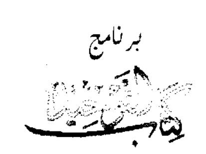
والرحمةُ: صفةٌ منْ صفاتِ اللهِ، يكونُ بها الإنعامُ والإحسانُ إلى الخلْقِ.

وقولُهُ: «**فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ**» لأنَّهُ نَسبَ المطرَ إلى اللهِ ولَمْ يَنْسِبْهُ إلى الكوكبِ، ولَمْ يرَ لهُ تأثيرًا في نُزُولِه، بلْ نَزَلَ بفضلِ اللهِ.

قولُهُ: «**وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا**» الباءُ للسببيَّةِ.

«**فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**» وصارَ كافرًا باللهِ؛ لأنَّهُ أنْكرَ نعمةَ اللهِ ونَسَبَها إلى سببٍ لم يَجْعَلْهُ اللهُ سببًا، فتَعَلَّقَتْ نفسُهُ بهذا السببِ، ونسيَ نعمةَ اللهِ، وهذا الكُفْرُ لا يُخرِجُ من المِلَّةِ؛ لأنَّ المرادَ نسبةُ المطرِ إلى النَّوْءِ على أنَّهُ سببٌ، وليسَ إلى النَّوْءِ على أنَّهُ فاعلٌ؛ لأنَّهُ قالَ: (**مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا**) ولَمْ يَقُلْ: أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَطَرَ نَوْءُ كذا؛ لأنَّهُ لوْ

E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٣٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

قالَ كذلكَ لكانَ نسبةُ المطرِ إلى النَّوْءِ نسبةَ إيجاد، وبه نعرفُ خطأَ مَنْ قالَ: إنَّ المرادَ بقوله: (مُطِرْنَا بنَوْءِ كَذَا) نسبةُ المطرِ إلى النوءِ نسبةَ إيجاد؛ لأنَّهُ لوْ كانَ هذا هوَ المرادَ لقال: أَنْزَلَ علينا المطرَ نوءُ كذا، ولَمْ يقُلْ: مُطِرْنَا به، فعُلِمَ أنَّ المرادَ أنَّ مَنْ أقرَّ بأنَّ الذي خلقَ المطرَ وأنزلَهُ هوَ اللهُ، لكنَّ النوْءَ هوَ السببُ فهوَ كافرٌ، وعليه يكونُ منْ بابِ الكُفْرِ الأصغرِ الذي لا يُخْرِجُ من المِلَّة.

والمرادُ بالكوكبِ النَّجْمُ، وكانوا يَنْسِبُونَ المطرَ إليه ويقولونَ: إذا سقطَ النجمُ الفلانيُّ جاءَ المطرُ، وإذا طلعَ النجمُ الفلانيُّ جاءَ المطرُ، وليْسُوا يَنْسِبُونَهُ إلى هذا نسبةَ وَقْتٍ وإنَّما نسبةَ سببٍ.

فنسبةُ المطرِ إلى النَّوْءِ تنقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

الأول: نسبةُ إيجاد، وهذه شركٌ أكبرُ.

الثاني: نسبةُ سببٍ، وهذه شركٌ أصغرُ.

الثالث: نسبةُ وَقْتٍ، وهذه جائزةٌ بأنْ يُريدَ بقولِه: (**مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا**) أيْ: جاءَنا المطرُ في هذا النَّوْءِ، أيْ: في وَقْتِه.

ولهذا قالَ العلماءُ: (يَحْرُمُ أنْ يقُولَ: مُطِرْنَا بنَوْءِ كَذَا، ويجوزُ: مُطِرْنَا في نَوْءِ كذا) وفَرَّقُوا بيْنَهُما أنَّ الباءَ للسببيَّة وفي للظرفيَّة، ومنْ ثَمَّ قالَ أهلُ العلمِ: (**إنَّهُ إذا قالَ: مُطِرْنَا بنَوْءِ كذا، وجَعلَ الباءَ للظرفيَّة، فهذا جائزٌ، وهذا وإنْ كانَ لهُ وَجْهٌ منْ حيثُ المعنى، لكنْ لا وَجْهَ لهُ منْ حيثُ اللفظُ؛ لأنَّ لفظَ الحديث: «مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا» والباءُ للسببيَّةِ أظهرُ منها للظرْفيَّة، وهيَ وإنْ جاءتْ للظرفيَّةِ كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ . . . ﴾ لكنْ كَوْنُها للسببيَّةِ أظهرُ، والعكسُ بالعكسِ، فـ(في) للظرفيَّةِ أظهرُ منها للسببيَّة، وإنْ جاءَتْ للسببيَّةِ كما في قوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ»**.

والحاصلُ: أنَّ الأقربَ المنعُ ولوْ قَصدَ الظرفيَّةَ، لكنْ إذا كانَ المتكلِّمُ لا يَعْرِفُ من الباءِ إلاَّ الظرفيَّةَ مطلقًا، ولا يظُنُّ أنَّها تأتي سببيَّةً، فهذا جائزٌ.

ومعَ ذلكَ فالأَوْلَى أنْ يُقَالَ لهمْ قولُوا: في نَوْءِ كذا.

(١٨) قولُهُ: «وَلَهُمَا» الظاهرُ: أنَّهُ سَبْقُ قَلَمٍ، وإلاَّ فالحديثُ في (مسلمٍ) وليسَ في (الصحيحَيْنِ).

ومعنى الحديث: أنَّهُ لَمَّا نَزَلَ المطرُ نسبَهُ بعضُهم إلى رحمةِ اللهِ، وبعضُهمْ قالَ: لقدْ صدَقَ نَوْءُ كذا وكذا، فكأنَّهُ

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩ http://www.afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠ E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

جعلَ النوءَ هوَ الذي أَنْزَلَ المطرَ، أوْ أُنزلَ بسببِه.

ومنهُ: ما يُذْكَرُ في بعضِ كُتُبِ التوقيت: (**وَقَلَّ أَنْ يُخْلَفَ نَوْؤُهُ**) أوْ (**هَذَا نَوْؤُهُ صَادِقٌ**) وهذا لا يجوزُ، وهوَ الذي أنْكرَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ على عبادِه، وهذا شرْكٌ أصغرُ، ولوْ قَالَ: بإذْنِ اللهِ؛ فإنَّهُ لا يجوزُ؛ لأنَّ كلَّ الأسبابِ مِن اللهِ، والنوءُ لَمْ يَجْعَلْهُ اللهُ سببًا.

قولُهُ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ اخْتُلِفَ في (لا) **فقيلَ:** نافيةٌ، والمنفيُّ محذوفٌ، والتقديرُ: لا صِحَّةَ لِمَا تزعُمُونَ مِنْ أَنَّ القرآنَ كَذِبٌ أوْ سحرٌ وشعرٌ وكَهَانةٌ، أُقْسِمُ بمواقعِ النجومِ إنَّهُ لقُرْآنٌ كريمٌ، فـ﴿أُقۡسِمُ﴾ لا علاقةَ لها بـ (لا) إطلاقًا، وهذا لهُ بعضُ الوَجْهِ.

وقيلَ: إنَّ المنفيَّ القَسَمُ، فهيَ داخلةٌ على ﴿أُقۡسِمُ﴾ أيْ: لا أُقْسِمُ ولنْ أُقْسِمَ على أنَّ القرآنَ قرآنٌ كريمٌ؛ لأنَّ الأمرَ أَبْيَنُ مِنْ أَنْ يحتاجَ إلى قَسَمٍ، وهذا ضعيفٌ جدًّا.

وقيلَ: إنَّ (**لا**) **للتَّنْبِيه**، والجملةَ بعْدَها مُثْبَتَةٌ؛ لأنَّ (لا) بمعنى: انْتَبِهْ، أُقْسِمُ بمواقعِ النجومِ... وهذا هوَ الصحيحُ.

وقولُهُ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾اخْتُلِفَ في النجومِ، فقيلَ: إنَّها النجومُ المعروفةُ، فيكونُ المرادُ بمواقعِها مَطَالِعَهَا ومغارِبَها، وأقسمَ اللهُ بها لِمَا فيها من الدَّلالة على كمالِ القدرةِ في هذا الانتظامِ البديعِ، وما فيها مِنْ مناسبةِ المُقسَمِ بهِ والمُقْسَمِ عليهِ وهوَ القرآنُ المحفوظُ بواسطةِ الشُّهُبِ؛ فإنَّ السماءَ عندَ نُزُولِ الوحيِ مُلِئَتْ حَرَسًا شديدًا وشُهُبًا.

وقيلَ: إنَّ المرادَ آجالُ نزولِ القرآنِ، ومنهُ قوْلُهُمْ: (**نَزَلَ القرآنُ مُنَجَّمًا**).

وقولُ الفقهاءِ: (**يَجِبُ أَنْ يَكُونَ دَيْنُ المُكَاتَبِ مُؤَجَّلًا بنجْمَيْنِ فأَكْثَرَ**) فيكونُ اللهُ أقسمَ بمواقعِ نزولِ القرآنِ.

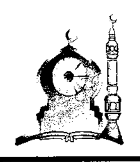
وقدْ سَبَقَتْ لنا قاعدةٌ مفيدةٌ، وهيَ أنَّهُ: إذا كانَ المعنيانِ لا يتنافيانِ حُملت الآيةُ على كلٍّ منْهُما، وإلاَّ طُلِبَ المُرَجِّحُ.

قولُهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (قَسَمٌ) خبرُ إنَّ، وهذا القسَمُ أكَّدَ اللهُ عظمتَهُ بإنَّ واللامِ تنويهًا بالمُقسَمِ عليه وتعظيمه.

وقولُهُ: ﴿لَّوۡ تَعۡلَمُونَ﴾ مُؤَكِّدٌ ثالثٌ، كأنَّهُ قالَ: (ينبغي أنْ تعلَمُوا هذا الأمرَ ولا تجهلُوهُ، فهوَ أعظمُ منْ أنْ يكونَ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





مجهولاً، فإنَّهُ يحتاجُ إلى علمٍ وانتباه، فلوْ تعلمونَ حقَّ العلمِ لعرفتُمْ عظمتَهُ، فانْتَبِهُوا).

قولُهُ: {لَقُرْآنٌ} مصدرٌ مثلُ الغُفْرَانِ والشُّكْرَانِ، بمعنى اسمِ الفاعلِ، وبمعنى اسمِ المفعولِ.

فعلى الأوَّلِ يكونُ المرادُ أنَّهُ جامعٌ للمعاني التي تضمَّنَتْها الكُتُبُ السابقةُ من المصالحِ والمنافعِ، قَالَ تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} وعلى الثاني يكونُ بمعنى المجموعِ؛ لأنَّهُ مجموعٌ مكتوبٌ.

قولُهُ: {كَرِيمٌ} يُطلَقُ على كثيرِ العطاءِ، وهذا كمالٌ في العطاءِ مُتَعَدٍّ للغَيْرِ.

ويُطلَقُ على الشيءِ البهيِّ الحَسَنِ، ومنهُ قولُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «إِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ» أي: البهيَّ منها والحسَنَ، وهذا كمالٌ في الذَّاتِ.

وهذانِ المعنيانِ موجودانِ في القرآنِ، فالقرآنُ لا أحسنَ مِنْهُ في نفسه، قَالَ تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً} والقرآنُ يُعْطِي أهلَهُ من الخيراتِ الدينيَّةِ والدنيويَّةِ والجسميَّةِ والقلبيَّةِ، قَالَ تعالى: {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} فهوَ سلاحٌ لِمَنْ تمسَّكَ بِهِ، ولكنْ يحتاجُ إلى أنْ نتمسَّكَ بِهِ في القولِ والعملِ والعقيدةِ، فلا بُدَّ أنْ يُصَدِّقَ العقيدةَ العملُ، قَالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

ووصفَ اللهُ القرآنَ في آيةٍ أخرى بأنَّهُ مجيدٌ، والْمَجْدُ صفةُ العظمةِ والعزَّةِ والقُوَّةِ، والقرآنُ جامعٌ بينَ الأمرَيْنِ: فيهِ قُوَّةٌ وعظمةٌ، وكذا خيراتٌ كثيرةٌ وإحسانٌ لِمَنْ تمسَّكَ بِهِ.

قولُهُ: {فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ} كتابٌ: فِعَالٌ بمعنى مفعولٍ، مثلُ: فِراشٍ بمعنى مفروشٍ، ومثلُ: غِراسٍ بمعنى مغروسٍ، وكتابٌ: بمعنى مكتوبٍ، والمكنونُ: المحفوظُ، قَالَ تعالى: {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ}.

واختلفَ المفسِّرونَ في هذا الكتابِ على قولَيْنِ:

الأوَّلُ: أنَّهُ اللوحُ المحفوظُ الذي كَتَبَ اللهُ فيه كلَّ شيءٍ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الثاني: وإليه ذهبَ ابنُ القيِّمِ، أنَّهُ الصُّحُفُ التي في أيدي الملائكة، قالَ تعالى: { كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ . . . }.

فقولُهُ: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} يُرجِّحُ أنَّ المرادَ الكُتُبُ التي في أيدي الملائكة؛ لأنَّ قولَهُ: { لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ } أي: الملائكةُ، يُوازِنُ قوْلَهُ: { بِأَيْدِي سَفَرَةٍ }وعلى هذا يكونُ المرادُ بالكتابِ الجنسَ لا الواحدَ.

قولُهُ: {لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} الضميرُ يعودُ إلى الكتابِ المكنونِ؛ لأنَّهُ أقربُ شيءٍ، وهوَ بالرَّفْعِ {لَّا يَمَسُّهُ} باتِّفاقِ القُرَّاءِ، وإنَّما نبَّهْنا على ذلكَ لدَفْعِ قولِ مَنْ يقولُ: إنَّهُ خبرٌ بمعنى النَّهْيِ، والضميرُ يعودُ على القرآنِ، أيْ: نُهِيَ أنْ يَمَسَّ القرآنَ إلاَّ طاهرٌ، والآيةُ ليسَ فيها ما يدلُّ على ذلكَ، بلْ هيَ ظاهرةٌ في أنَّ المرادَ به اللوحُ المحفوظُ؛ لأنَّهُ أقربُ مذكورٍ؛ ولأنَّهُ خبرٌ، والأصلُ في الخبرِ أنْ يبقى على ظاهرِهِ خبرًا، لا أمرًا ولا نَهْيًا، حتَّى يقومَ الدليلُ على خلافِ ذلكَ، ولم يَرِدْ ما يدلُّ على خلافِ ذلكَ، بلِ الدليلُ على أنَّهُ لا يُرادُ به إلاَّ ذلكَ، وأنَّهُ يعودُ إلى الكتابِ المكنونِ؛ ولهذا قالَ اللهُ: {إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}باسمِ المفعولِ، ولمْ يَقُلْ: {إلاَّ المُطَهِّرُونَ} ولوْ كانَ المرادُ المُطَهِّرِينَ لقالَ ذلكَ، أوْ قالَ: إلاَّ المُتطهِّرُونَ، كما قالَ تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ }.

والمُطَهَّرُونَ: هُم الذينَ طَهَّرَهُم اللهُ تعالى، وهُم الملائكةُ، طُهِّرُوا من الذنوبِ وأدْناسِها، قالَ تعالى: { لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ }.

- وقالَ تعالى: { يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ }.

- وقالَ تعالى: { بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ }.

- قولُهُ: {تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} خبرٌ ثانٍ لقولِهِ: {وَإِنَّهُ} وهوَ كقولِهِ: { وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ }.

- وكقَولِهِ: { تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ } فهوَ خبرٌ مُكرَّرٌ معَ قولِهِ: {لَقُرْآنٌ}.

و {تَنزِيلٌ} أيْ: مُنَزَّلٌ، فهيَ مصدرٌ بمعنى مُنَزَّلٌ منْ ربِّ العالمينَ، أنزلَهُ اللهُ على قَلْبِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؛ لأنَّهُ مَحَلُّ الوعيِ والحفظِ بواسطةِ جبريلَ، قالَ تعالى: { وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣)

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٣٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ}.

- وقولُهُ: {مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} أيْ: خالقهم.

- قولُهُ: {أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ} الاستفهامُ للإنكارِ والتوبيخِ، والحديثُ: القرآنُ.

والمُدْهِنُ: الخائفُ منْ غيرِه الذي يُحابيه بقوله وفعله، والمعنى: أتُدْهِنُونَ بهذا الحديثِ وتخافونَ وتستَخْفُونَ، لا ينبغي لكُمْ هذا، بلْ ينبغي لِمَنْ معَهُ القرآنُ أنْ يَصْدَعَ بهِ وأنْ يُبيِّنَهُ ويُجاهدَ بهِ، قالَ تعالى: { وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا }.

- قولُهُ: { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} أكثرُ المفسِّرينَ على أنَّهُ على حَذْفِ مُضَافٍ، أيْ: أتجْعَلُونَ شُكْرَ رِزْقِكُم، أيْ: ما أعْطَاكُم اللهُ منْ أيِّ شيءٍ من المطرِ ومنْ إنزالِ القرآنِ، أيْ: تجعلونَ شُكْرَ هذه النِّعْمَةِ العظيمةِ أنْ تُكذِّبُوا بها، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ وإنْ كانَ ذَكَرَها في المطرِ فإنَّها تشْمَلُ المطرَ وغيرَهُ.

وقيلَ: إنَّهُ ليسَ في الآيةِ حَذْفٌ، والمعنى: تجعلونَ شُكْرَكُم تكذيبًا، وقالَ: إنَّ الشكرَ رزقٌ، وهذا هوَ الصحيحُ، بلْ هوَ منْ أكْبَرِ الأرزاقِ، قالَ الشاعرُ:

نعمةُ اللهِ نعمةٌ عليَّ لهُ في مثْلِها يجبُ الشكرُ

فكيفَ بلوغُ الشُّكْرِ إلاَّ بفضلِه وإنْ طالَتِ الأيامُ واتَّصَلَ العمرُ

فالنعمةُ تحتاجُ إلى شكرٍ، ثمَّ إذا شكَرْتَهَا فهيَ نعمةٌ أخرى تحتاجُ إلى شُكْرٍ ثانٍ، وإنْ شَكَرْتَ في الثانيةِ فهيَ نعمةٌ تحتاجُ إلى شُكْرٍ ثالثٍ، وهكذا أبدًا، قالَ تعالى: { وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا }.

- قولُهُ: {أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} (أنَّ) وما دخلَتْ عليهِ في تأويلِ مصدرٍ مفعولِ {تجعلونَ} الثاني، أيْ: تُصَيِّرونَ شُكْرَكُم تكذيبًا، ولا شكَّ أنَّ هذا من السَّفَهِ أنْ يُقابلَ الإنسانُ نعمةَ ربِّهِ بالتكذيبِ، إنْ كانتْ وحيًا كَذَّبَ خبرَهُ ولمْ يمتثِلْ أمْرَهُ ولمْ يجْتنِبْ نَهْيَهُ، وإنْ كانتْ عطاءً تنْمُو بهِ الأجسامُ نسبَهُ إلى غيرِ اللهِ، قالَ: هذا من النوءِ، أوْ هذا منْ عَمَلِي، كمَا قالَ قارُونُ: { إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي }.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

(١٩) **فيهِ مسائلُ:**

الأولى: (**تَفْسيرُ آيَةِ الواقِعَةِ**) وهيَ قولُهُ تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ وقدْ مرَّ تفسيرُها.

(٢٠) **الثانيةُ:** (**ذِكْرُ الأرْبعِ التي مِنْ أَمْرِ الجاهليَّةِ**) وهيَ الطعنُ بالأنسابِ، والفخرُ بالأحسابِ، والاستسقاءُ بالأنواءِ، والنياحةُ على الميِّتِ.

(٢١) **الثالثةُ:** (**ذِكْرُ الكُفْرِ في بَعْضِها**) وهيَ الاسْتسْقَاءُ بالأنواءِ، وكذلكَ الطَّعْنُ في النسبِ، والنِّيَاحَةُ على الميِّتِ، كما في حديثِ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**».

(٢٢) **الرابعةُ:** (**أَنَّ مِن الكُفْرِ ما لا يُخْرِجُ مِن المِلَّةِ**) وهيَ أنَّ الاستسقاءَ بالأنواءِ بعضُهُ كفرٌ مُخْرِجٌ عن المِلَّةِ، وبعضُهُ كفرٌ دونَ ذلكَ، وقدْ سبقَ بيانُ ذلكَ.

(٢٣) **الخامسةُ:** قولُهُ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبادي مُؤْمِنٌ بي وَكَافِرٌ**» **بسببِ نزولِ النِّعْمَةِ**) أيْ: أنَّ الناسَ ينقسمونَ عندَ نُزُولِ النعمةِ إلى مؤمنٍ باللهِ وكافرٍ بهِ، وقدْ سَبَقَ بيانُ حُكْمِ إضافةِ نزولِ المطرِ إلى النوءِ، والواجبُ على الإنسانِ إذا جاءَتْهُ النعمةُ أنْ لا يُضيفَها إلى أسبابِها مُجرَّدةً عن اللهِ، بلْ يعتقدُ أنَّ هذا سببٌ مَحضٌ إنْ كانَ هذا سببًا.

مثالُ ذلكَ: (**رَجُلٌ غَرِقَ في ماءٍ وكانَ عندَهُ رجلٌ قويٌّ، فنَزَلَ وأنْقَذَهُ**) فإنَّهُ يَجبُ على هذا الذي نجا أنْ يعرفَ نعمةَ اللهِ عليهِ، ولولا أنَّ اللهَ أَمَرَ أمْرًا قَدَريًّا وأَمْرًا شرعيًّا أنْ يُنْقِذَكَ هذا الرجلُ ما حصلَ إنقاذٌ، فأنتَ تعتقدُ أنَّ هذا سببٌ مَحْضٌ.

أمَّا إنْ غَرِقَ ويسَّرَ اللهُ لهُ فَخَرَجَ فقالَ: إنَّ الوَلِيَّ الفلانيَّ أنقذَني. فهذا شركٌ أكبرُ؛ لأنَّهُ سببٌ غيرُ صحيحٍ.

ثمَّ إنَّ إضافتَهُ إليهِ لا يَظْهَرُ منها أنَّهُ يُريدُ أنَّهُ سببٌ، بلْ يُريدُ أنَّهُ مُنْقذٌ بنفسهِ؛ لأنَّ اعتقادَ أنَّهُ سببٌ وَهُوَ في قبرِهِ غيرُ واردٍ، ولذلكَ كانَ أصحابُ الأَوْلِيَاءِ إذا نَزَلَتْ بهِمْ شدَّةٌ يسألونَ الأَوْلِيَاءَ دُونَ اللهِ تعالى، فيقَعُونَ في الشركِ الأكبرِ مِنْ حيثُ لا يعلمونَ أوْ مِنْ حيثُ يعلمونَ، ثمَّ قدْ يُفْتَنُونَ فيحْصُلُ لهم ما يُريدونَ عندَ دعاءِ الأَوْلِيَاءِ لا بهِ؛ لأنَّنا نعلمُ أنَّ هؤلاءِ الأَوْلِيَاءَ لا يستجيبونَ لَهُمْ؛ لقَوْلِهِ تعالى: ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾.

– وقوله: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } إلى يوم القيامة.

(٢٤) السادسة: (**التفطُّنُ للإيمان في هذا الموضع**) وهو نِسْبَةُ المطرِ إلى فضلِ الله ورحمته.

(٢٥) السابعة: (**التَّفَطُّنُ لِلْكُفْرِ في هذا الْمَوْضِعِ**) وهوَ نسبةُ المطرِ إلى النوءِ، فيقالُ: هذا بسببِ النوءِ الفلانيِّ، وما أشبهَ ذلكَ.

(٢٦) الثَّامِنَةُ: التَّفطُّنُ لقولِه: (**لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذا وَكَذا**).

وهذا قريبٌ منْ قولِه: «**مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا**» لأنَّ الثناءَ بالصدقِ على النَّوْءِ مقتضاهُ أنَّ هذا المطرَ بوعدِه، ثمَّ بتنفيذِ وعدِه.

(٢٧) التاسعة: (**إخْراجُ العالِمِ للمُتعلِّمِ المسألةَ بالاستفهامِ عنْها؛ لقولِه:** «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**»).

وذلكَ أنْ يُلقِيَ العالِمُ على المُتَعَلِّمِ السؤالَ لأجلِ أنْ ينْتَبِهَ لَهُ، وإلاَّ فالرَّسُولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَعْلَمُ أنَّ الصحابةَ لا يعلمونَ ماذا قالَ اللهُ، لكنْ أرادَ أنْ يُنَبِّهَهُم لهذا الأمرِ، فقالَ: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» وهذا يُوجِبُ استحضارَ قُلُوبِهِم.

(٢٨) العاشرةُ: (**وَعِيدُ النَّائِحَةِ**) وذلكَ بقوْلِه: «**إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**» وهذا وعيدٌ عظيمٌ.

تهذيب القول المفيد لفضيلةالشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الثلاثون

(١) قولُهُ: (**باب قول الله تعالى**: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا . . .﴾) جعلَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ تعالى الآيةَ هيَ الترجمةَ، ويُمْكِنُ أنْ يُعْنَى بهذهِ الترجمة بابَ المحبَّة.

وأصلُ **الأعمال كُلِّها هوَ المحبَّةُ**، فالإنسانُ لا يعملُ إلاَّ لما يُحبُّ إمَّا لجلْبِ منفعةٍ أوْ لدَفْعِ مضرَّةٍ، فإذا عَمِلَ شيئًا فلأنَّهُ يُحبُّهُ؛ إمَّا لذاته كالطعام، أوْ لغيره كالدواء.

و**عبادةُ الله مبنيَّةٌ على المحبَّة**، بلْ هيَ حقيقةُ العبادة؛ إذْ لوْ تَعَبَّدْتَ بدون محبَّةٍ صارتْ عبادتُكَ قشْرًا لا رُوحَ فيها، فإذا كانَ الإنسانُ في قلبه محبَّةٌ لله وللوصول إلى جنَّته فسوفَ يسْلُكُ الطريقَ المُوَصِّلَ إلى ذلكَ.

ولهذا لمَّا أحبَّ المشركونَ آلهتَهم توصَّلَتْ بهمْ هذهِ المحبَّةُ إلى أنْ عبَدُوها منْ دُونِ اللهِ أوْ مَعَ اللهِ.

والمحبَّةُ تنقسمُ إلى قسمَيْن:

القسمُ الأوَّلُ: محبَّةُ عبادَة، وهيَ: التذلُّلُ والتعظيمُ وأنْ يقومَ بقَلْبِ الإنسانِ منْ إجلالِ المحبوبِ وتعظيمه ما يقتضي أنْ يَمْتثِلَ أمْرَهُ ويجتنبَ نهيَهُ، وهذهِ خاصَّةٌ بالله، فمَنْ أحبَّ معَ اللهِ غيرَهُ محبَّةَ عبادةٍ فهوَ مشركٌ شرْكًا أكبرَ، ويُعبِّرُ العلماءُ عنها بالمحبَّة الخاصَّة.

القسمُ الثاني: محبَّةٌ ليستْ بعبادة في ذاتها، وهذه أنواعٌ:

النوعُ الأوَّلُ: المحبَّةُ لله وفي الله، وذلكَ بأنْ يكونَ الجالبُ لها محبَّةَ اللهِ، أيْ: كونُ الشيءِ محبوبًا للهِ تعالى؛ منْ أشخاصٍ: كالأنبياءِ والرسلِ والصدِّيقينَ والشهداءِ والصالحينَ.

أو **أعمال**: كالصلاةِ، والزكاةِ، وأعمالِ الخيرِ، أوْ غيرِ ذلكَ.

وهذا النوعُ تابعٌ للقسمِ الأوَّلِ الذي هوَ **محبَّةُ الله**.

النوعُ الثاني: محبَّةُ إشفاقٍ ورحمة، وذلكَ (كمحبَّة الولد، والصغارِ، والضعفاء، والمرضى).

النوعُ الثالثُ: محبَّةُ إجلال وتعظيمٍ لا عبادة، (كمحبَّة الإنسانِ لوالده ولمُعَلِّمه ولكبيرٍ منْ أهلِ الخيرِ).

النوعُ الرابعُ: محبَّةٌ طبيعيَّةٌ، (كمحبَّة الطعامِ والشراب والمَلْبسِ والمَرْكَبِ والمَسْكَنِ).

وأشرفُ هذه الأنواعِ النوعُ الأوَّلُ، والبقيَّةُ منْ قسمِ المُباحِ، إلاَّ إذا اقترنَ بها ما يقتضي التعبُّدَ صارتْ عبادةً، فالإنسانُ يُحبُّ والدَهُ محبَّةَ إجلالٍ وتعظيمٍ، وإذا اقترنَ بها أنْ يتعبَّدَ لله بهذا الحبِّ منْ أجْلِ أن يقومَ ببرِّ والده

صارتْ عبادةً، وكذلكَ يُحبُّ ولدَهُ محبَّةَ شفقةٍ وإذا اقترنَ بها ما يقتضي أنْ يقومَ بأمرِ اللهِ بإصلاحِ هذا الولدِ صارتْ عبادةً.

وكذلكَ: المحبَّةُ الطبيعيَّةُ كالأكلِ والشُّربِ والملبسِ والمسكنِ، إذا قُصدَ بها الاستعانةُ على عبادةٍ صارتْ عبادةً، ولهذا (حُبِّبَ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ النساءُ والطِّيبُ) منْ هذهِ الدُّنيا، فحُبِّبَ إليهِ النساءُ؛ لأنَّ ذلكَ مُقتضى الطبيعةِ ولِمَا يترتَّبُ عليهِ من المصالحِ العظيمةِ، وحُبِّبَ إليهِ الطِّيبُ؛ لأنَّهُ يُنشِّطُ النفسَ ويُريحُهَا ويشرحُ الصدرَ، ولأنَّ الطِّيِّباتِ للطِّيِّبينَ واللهُ طيِّبٌ لا يقبلُ إلاَّ طيِّبًا.

فهذهِ الأشياءُ إذا اتَّخذَها الإنسانُ بقصدِ العبادةِ صارتْ عبادةً، قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**».

وقالَ العلماءُ: (إنَّ ما لا يَتمُّ الواجبُ إلاَّ بهِ فهوَ واجبٌ).

وقالوا: (الوسائلُ لها أحكامُ المقاصدِ) وهذا أمرٌ مُتَّفقٌ عليهِ.

قولُهُ: **{وَمِنَ النَّاسِ}**، **{مِنْ}** تبعيضيَّةٌ، وهيَ ومجرورُها خبرٌ مُقدَّمٌ، و**{مَن يَتَّخِذُ}** مبتدأٌ مُؤخَّرٌ.

قولُهُ: **{أَندَادًا}** جمعُ نِدٍّ، وهو الشبيهُ والنظيرُ.

قولُهُ: **{يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}** أيْ: **في كيفيَّتهِ ونوعهِ**، فالنوعُ أنْ يُحبَّ غيرَ اللهِ محبَّةَ عبادةٍ، والكيفيَّةُ أنْ يُحبَّهُ كمحبَّةِ اللهِ أوْ أشدَّ، حتَّى إنَّ بعضَهم يُعظِّمُ محبوبَهُ ويغارُ لهُ أكثرَ ممَّا يُعظِّمُ اللهَ وَيَغارُ لهُ، فلوْ قيلَ: (احْلفْ باللهِ) لَحلَفَ وهوَ كاذبٌ ولَمْ يُبَالِ، ولوْ قيلَ: احْلفْ بالنِّدِّ، لَمْ يَحْلفْ وهوَ كاذبٌ، وهذا شركٌ أكبرُ.

وقولُهُ: **{كَحُبِّ اللَّهِ}** للمُفسِّرينَ فيها قولانِ:

الأوَّلُ: أنَّها على ظاهرِها، وأنَّها مضافةٌ إلى مفعولِها، أيْ: يُحبُّونَهُمْ كَحُبِّهِمْ للهِ، والمعنى يُحبُّونَ هذهِ الأندادَ كمحبَّةِ اللهِ فيجعلونَها شُركاءَ للهِ في المحبَّةِ، لكنَّ الذينَ آمنوا أشدُّ حُبًّا للهِ منْ هؤلاءِ للهِ، وهذا هوَ الصوابُ.

الثاني: أنَّ المعنى كَحُبِّ اللهِ الصادرِ من المؤمنينَ، أيْ: كحُبِّ المؤمنينَ للهِ، فيُحبُّونَ هذهِ الأندادَ كما يُحبُّ المؤمنونَ اللهَ عزَّ وجلَّ، وهذا وإن احْتَمَلَهُ اللفظُ لكنَّ السياقَ يَأْباهُ؛ لأنَّهُ لوْ كانَ المعنى ذلكَ لكانَ مُناقضًا لقَوْلهِ تعالى فيما بَعْدُ: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}** وكانتْ محبَّةُ المؤمنينَ للهِ أشدَّ؛ لأنَّها محبَّةٌ خالصةٌ ليسَ فيها شركٌ،

فمحبَّةُ المؤمنينَ أشدُّ منْ حُبِّ هؤلاءِ للهِ.

فإنْ قيلَ: قدْ يَنْقَدِحُ في ذِهْنِ الإنسانِ أنَّ المؤمنينَ يُحبُّونَ هذه الأندادَ نظرًا لقولِه: ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، فما الجوابُ؟

أجيبُ: أنَّ اللغةَ العربيَّةَ يجري فيها التفضيلُ بينَ شيئيْنِ وأحدُهما خالٍ منهُ تمامًا، ومنْهُ قولُهُ تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ معَ أنَّ مُستقرَّ أهلِ النارِ ليسَ فيهِ خيرٌ.

– وقالَ تعالى: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ والطرفُ الآخرُ ليسَ فيه شيءٌ منْ هذهِ المُوازَنَةِ، ولكنَّها منْ بابِ مُخَاطَبَةِ الخصمِ بحَسَبِ اعتقادِه.

ومناسبةُ الآيةِ لبابِ المحبَّةِ:

مَنعَ الإنسانُ أنْ يُحبَّ أحدًا كمحبَّةِ اللهِ؛ لأنَّ هذا من الشركِ الأكبرِ المُخْرِجِ عن المِلّةِ، وهذا يُوجَدُ في بعضِ العبَادِ وبعضِ الخَدَمِ، فبعضُ العبادِ يُعَظِّمونَ بعضَ القبورِ أو الأوَّلياءِ كمحبَّةِ اللهِ أوْ أشدَّ، وكذلكَ بعضُ الخَدَمِ تجدُهُم يُحبُّونَ هؤلاءِ الرؤَساءَ أكثرَ ممَّا يُحبُّونَ اللهَ، ويُعَظِّمونَهُم أكثرَ ممَّا يُعَظِّمونَ اللهَ، قالَ تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾.

(**٢**) قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾، ﴿آباؤُكُم﴾ اسمُ كانَ، وباقي الآيةِ مرفوعٌ معطوفٌ عليهِ، وخبرُ كانَ ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، والخطابُ في قولِه: (قُلْ) للرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، والمُخاطَبُ في قولِه: ﴿آبَاؤُكُمْ﴾، الأُمَّةُ.

والأمرُ في قولِه: ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ يُرادُ بهِ التهديدُ، أي: انْتَظِرُوا عقابَ اللهِ. ولهذا قالَ: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ بإهلاكِ هؤلاءِ المُؤْثِرينَ لمحبَّةِ هؤلاءِ الأصنافِ الثمانيَةِ على محبَّةِ اللهِ ورسولِه وجهادٍ في سبيلِه.

فدلَّت الآيةُ على أنَّ محبَّةَ هؤلاءِ، وإنْ كانتْ منْ غيرِ محبَّةِ العبادةِ، إذا فُضِّلتْ على محبَّةِ اللهِ صارتْ سببًا للعقوبةِ.

ومن هنا نعْرِفُ أنَّ الإنسانَ إذا كانَ يُهْمِلُ أوامرَ اللهِ لأوامرِ والدِه، فهوَ يُحبُّ أباهُ أكثرَ منْ ربِّهِ.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠ E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com

وما في القلوبِ وإنْ كانَ لا يعلمُهُ إلاَّ اللهُ، لكنْ لهُ شاهدٌ في الجوارحِ، ولذا يُرْوَى عن الحسنِ رَحِمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ: (ما أسرَّ أحدٌ سريرةً إلاَّ أظهرَها اللهُ تعالى على صَفَحات وجهه وفَلَتَات لسانه) فالجوارحُ مرآةُ القلبِ.

(٣) قولُهُ في حديثِ أنسٍ: «**لاَ يُؤْمِنُ**» هذا نفيٌ للإيمانِ، ونفيُ الإيمانِ تارةً يُرادُ بهِ نفيُ الكمالِ الواجبِ، وتارةً يُرَادُ به نفيُ الوجودِ، أيْ: نفيُ الأصلِ.

والمنفيُّ في هذا الحديثِ هوَ كمالُ الإيمانِ الواجبُ، إلاَّ إذا خلا القلبُ منْ محبَّةِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إطْلاقًا، فلا شكَّ أنَّ هذا نفيٌ لأصلِ الإيمانِ.

قال في (فتح المجيد) (ص٣٨٦): **(فمن قال: إن المنفي هو الكمال، فإن أراد الكمال الواجب الذي يذم تاركه، ويعرض للعقوبة فقد صدق، وإن أراد أن المنفي هو الكمال المستحب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم)** قاله شيخ الإسلام .

قولُهُ: «**مِنْ وَلَدِهِ**» يشملُ الذَّكرَ والأنثى، وبدأَ بمحبَّةِ الولدِ؛ لأنَّ تعلُّقَ القلبِ بهِ أشدُّ منْ تعلُّقه بأبيه غالبًا.

قولُهُ: «**ووالدِه**» يشملُ أباهُ وجدَّهُ وإنْ علا، وأُمَّهُ وجَدَّتَهُ وإنْ عَلَتْ.

قولُهُ: «**وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» يشملُ إخْوَتَهُ وأعمامَهُ وأبنَاءَهُمْ وأصحابَهُ ونفسَهُ؛ لأنَّهُ من الناسِ، فلا يَتِمُّ الإيمانُ حتَّى يكونَ الرسولُ أحبَّ إليهِ منْ جميعِ المخلوقينَ، وإذا كانَ هذا في محبَّةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فكيفَ بمحبَّةِ اللهِ تعالى؟

ومحبَّةُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تكونُ لأمورٍ:

الأوَّلُ: أنَّهُ رسولُ اللهِ، وإذا كانَ اللهُ أحبَّ إليكَ منْ كلِّ شيءٍ فَرَسُولُهُ أحبُّ إليكَ منْ كلِّ مخلوقٍ.

الثاني: لمَا قامَ به منْ عبادة اللهِ وتبليغِ رسالته.

الثالثُ: لمَا آتاهُ اللهُ منْ مكارمِ الأخلاقِ ومحاسنِ الأعمالِ.

الرابعُ: أنَّهُ سببُ هدَايَتِكَ وتعليمكَ وتوجيهكَ.

الخامسُ: لصبرِه على الأذى في تبليغِ الرسالةِ.

السادسُ: لبَذْلِ جَهْدِه بالمالِ والنفسِ لإعلاءِ كلمةِ اللهِ.

E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

ومناسبةُ هذا الحديثِ للبابِ:

مناسبةُ هذا الحديث ظاهرةٌ؛ إذْ محبَّةُ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ منْ محبَّةِ اللهِ، ولأنَّهُ إذا كانَ لا يَكْمُلُ الإيمانُ حتَّى يكونَ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أحبَّ إلى الإنسانِ منْ نفْسِهِ والناسِ أجمعينَ، فمَحبَّةُ اللهِ أَوْلَى وأعظمُ.

(٤) قولُهُ في حديثِ أنسٍ الثاني: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ**» أيْ: ثلاثُ خِصالٍ، وَ«**كُنَّ**» بمعنى وُجِدْنَ فيهِ.

وإعرابُ «**ثلاثٌ**» مبتدأٌ، وجازَ الابتداءُ بها؛ لأنَّها مُفيدةٌ على حدِّ قولِ **ابنِ مالكٍ**:

ولا يجوزُ الابْتِدَا بالنَّكِرَةِ ما لمْ تُفِدْ . . . .

وقولُهُ: «**مَنْ كُنَّ فِيهِ**» «**مَنْ**» شرطيَّةٌ، و«كُنَّ» أصلُها (كانَ)، فتكونُ فعلاً ماضيًا ناسخًا، والنونُ اسمُها، و«**فِيهِ**» خبرُها.

قولُهُ: «**وَجَدَ بِهِنَّ**» «**وَجَدَ**» فعلٌ ماضٍ في محلِّ جَزْمٍ جوابُ الشرطِ، والجملةُ منْ فعلِ الشرطِ وجوابِهِ في محلِّ رفعٍ خبرُ المبتدأِ.

وقولُهُ: «**وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ**» الباءُ للسببيَّةِ، و«**حلاوةَ**» مفعولُ «**وجَدَ**» وحلاوةُ الإيمانِ: ما يجدُهُ الإنسانُ في نفسِهِ وقلبِهِ من الطُّمأنينةِ والراحةِ والانشراحِ، وليستْ مُدْرَكَةً باللُّعابِ والفمِ، فالمقصودُ بالحلاوةِ هنا الحلاوةُ القلبيَّةُ.

الخَصْلَةُ الأولى من الخصالِ الواردةِ في الحديثِ:

قولُهُ: «**أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**» الرسولُ **مُحَمَّدٌ** صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وكذا جميعُ الرسلِ تَجبُ محبَّتُهُم.

قولُهُ: «**أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**» أيْ: أحبَّ إليهِ من الدُّنيا كلِّها، ونفسِهِ، وولدِهِ، ووالدِهِ، وزوجتِهِ، وكلِّ شيءٍ سواهُمَا.

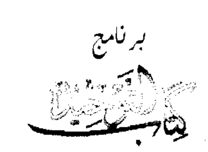
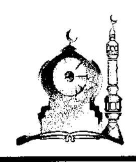
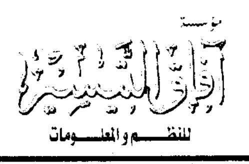
فإنْ قيلَ: لماذا جاءَ الحديثُ بالواوِ «**اللهُ وَرَسُولُهُ**» وجاءَ الخبرُ لهما جميعًا «**أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**»؟

فالجوابُ: لأنَّ محبَّةَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ منْ محبَّةِ اللهِ، ولهذا جُعلَ قولُهُ: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنَّ **مُحمَّدًا** رسولُ اللهِ، رُكنًا واحدًا؛ لأنَّ الإخلاصَ لا يَتمُّ إلاَّ بالمُتابَعَةِ التي جاءتْ عنْ طريقِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

الخَصْلَةُ الثانيةُ: قولُهُ: «**وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ**».

قولُهُ: «**وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ**» يشملُ الرجلَ والمرأةَ.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠ E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com

قولُهُ: «**لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ**» اللامُ للتعليلِ، أيْ: منْ أجْلِ اللهِ؛ لأنَّهُ قائمٌ بطاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وحبُّ الإنسانِ للمرءِ لهُ أسبابٌ كثيرةٌ:

- **يُحبُّهُ** للدُّنيا.
- **ويُحبُّهُ** للقرابةِ.
- **ويُحبُّهُ** للزمالةِ.

ويُحبُّ المرءُ زوجتَهُ للاستمتاعِ، ويُحبُّ مَنْ أحسنَ إليه، لكنْ إذا أحْبَبْتَ هذا المرءَ للهِ فإنَّ ذلكَ منْ أسبابِ وُجُودِ حلاوةِ الإيمانِ.

الخَصْلَةُ الثالثةُ:

قولُهُ: «**وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**» **هذه الصورةُ في كافرٍ أسْلَمَ**، فهوَ يَكْرَهُ أنْ يعودَ في الكُفْرِ بعدَ إذْ أنْقَذَهُ اللهُ منهُ كما يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ في النارِ، وإنَّما ذَكَرَ هذه الصورةَ؛ لأنَّ الكافرَ يَأْلَفُ ما كانَ عليه أوَّلاً، فرُبَّما يَرْجِعُ إليه، بخلافِ مَنْ لا يعرفُ الكفرَ أصلاً، فمَنْ كَرِهَ العَوْدَ في الكفرِ كما يَكْرَهُ القذفَ في النارِ، فإنَّ هذا منْ أسبابِ وُجُودِ حلاوةِ الإيمانِ.

(**٥**) قولُهُ: وفي روايةٍ: «**لاَ يَجِدُ أَحَدٌ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ**» أتى المُؤَلِّفُ بهذه الروايةِ؛ لأنَّ انتفاءَ وُجْدَانِ حلاوةِ الإيمانِ بالنسبةِ للروايةِ الأولى عنْ طريقِ المفهومِ، وهذه عنْ طريقِ المنطوقِ، ودلالةُ المنطوقِ أقْوَى منْ دلالةِ المفهومِ.

(**٦**) قولُهُ في أثَرِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما: «**مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ**» (مَنْ) شرطيَّةٌ، وفعلُ الشرطِ (**أَحَبَّ**) وجوابُهُ جُمْلَةُ «**فَإِنَّمَا تنالُ وِلايةُ اللهِ بذلكَ**».

و(**في**) يُحْتَمَلُ أنْ تكونَ للظرفيَّةِ؛ لأنَّ الأصلَ فيها الظرفيَّةُ، ويُحْتَمَلُ أنْ تكونَ للسببيَّةِ؛ لأنَّ (**في**) تأتي أحيانًا للسببيَّةِ، كما في قوْلِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ**» أيْ: بسببِ هِرَّةٍ.

وقولُهُ: «**فِي اللهِ**» أيْ: منْ أجْلِه، إذا قُلْنَا: إنَّ (في) للسببيَّةِ، وأمَّا إذا قُلْنَا: إنَّها للظرفيَّةِ فالمعنى: مَنْ أحبَّ في ذاتِ اللهِ، أيْ: في دينِه وشرعِه لا لعَرَضِ الدُّنيا.

قولُهُ: «**وَأَبْغَضَ فِي اللهِ**» البُغضُ: الكُرْهُ، أيْ: أبْغَضَ في ذاتِ اللهِ، فإذا رأى مَنْ يعْصِي اللهَ كَرِهَهُ.

وفرْقٌ بينَ (في) التي للسببيَّةِ و(في) التي للظرفيَّةِ، فالسببيَّةُ الحاملُ لهُ على المحبَّةِ أو البغضاءِ هوَ اللهُ، والظرفيَّةُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

موضعُ الحُبِّ أو الكَرَاهَة هوَ في ذات الله عزَّ وجلَّ، فَيُبْغِضُ مَنْ أَبْغَضَهُ اللهُ ويحبُّ مَنْ أَحَبَّهُ.

قولُهُ: «**وَوَالَى فِي اللهِ**» المُوَالاَةُ هيَ المحبَّةُ والنُّصرةُ وما أشبهَ ذلكَ.

قولُهُ: «**وَعَادَى فِي اللهِ**» المُعَادَاةُ ضدُّ الموالاة، أيْ: يَبْتعدُ عنهمْ ويُبْغِضُهُمْ ويَكْرَهُهُمْ في اللهِ.

قولُهُ: «**فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلاَيَةُ اللهِ بِذَلِكَ**» هذا جوابُ الشرطِ، أيْ: يُدْرِكُ الإنسانُ ولاية اللهِ وَيَصِلُ إليها؛ لأنَّهُ جعلَ محبَّتَهُ وبُغْضَهُ ووَلاَيَتَهُ ومُعَادَاتَهُ للهِ.

وقولُهُ: «**وِلاَيَةُ**» يجوزُ في الواوِ وجهانِ؛ الفتحُ والكسرُ.

قيلَ: معناهُما واحدٌ.

وقيلَ: بالفتحِ بمعنى النُّصْرَةِ، قالَ تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾، وبالكسرِ بمعنى الوِلايةِ على الشيءِ.

قولُهُ: «**بِذَلِكَ**» الباءُ للسببيَّةِ، والمشارُ إليه: الحبُّ في اللهِ، والبُغْضُ فيه، والمُوَالاةُ فيه، والمُعادَاةُ فيه.

وهذا الأثرُ موقوفٌ، لكنَّهُ بمعنى المرفوعِ؛ لأنَّ ترتيبَ الجزاءِ على العملِ لا يكونُ إلاَّ بتوقيفٍ، إلاَّ أنَّ الأثرَ ضعيفٌ.

فمعنى الحديث: أنَّ الإنسانَ لا يَجدُ طعمَ الإيمانِ وحلاوتَهُ ولذَّتَهُ حتَّى يكونَ كذلكَ، ولوْ كَثُرَتْ صلاتُهُ وصومُهُ، وكيفَ يستطيعُ عاقلٌ فضلاً عنْ مؤمنٍ أنْ يُوَالِيَ أعداءَ اللهِ، فيرى أعداءَ اللهِ يُشْرِكُونَ بربِّه، ويكفرونَ بِه، ويصفُونَهُ بالنقائصِ والعيوبِ ثمَّ يُوَالِيهم ويُحبُّهم، فهذا لوْ صلَّى وقامَ الليلَ كلَّهُ، وصامَ الدَّهْرَ كلَّهُ، فإنَّهُ لا يُمكنُ أنْ ينالَ طعمَ الإيمانِ، فلا بُدَّ أنْ يكونَ قلبُكَ مملوءًا بمحبَّةِ اللهِ ومُوَالاتِه، وعلى العكسِ مِنْ ذلكَ يكونُ مملوءًا ببُغْضِ أعداءِ اللهِ ومُعَادَاتِهم.

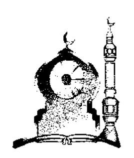
وقالَ ابنُ **القيِّمِ** رَحِمَهُ اللهُ تعالى:

أَتُحبُّ أعداءَ الحبيبِ وتدَّعي   حُبًّا لَهُ ما ذاكَ في إمكانِ

وقالَ الإمامُ **أحمدُ** رَحِمَهُ اللهُ: (**إذا رأيتُ النَّصْرانيَّ أُغْمِضُ عَيْنَيَّ؛ كراهةَ أنْ أرى بعينَيَّ عدوَّ اللهِ**).

هذا الذي يَجدُ طعمَ الإيمانِ، أمَّا والعياذُ باللهِ الذي يرى أنَّ اليهودَ أو النصارى على دينٍ مَرْضِيٍّ ومقبولٍ عندَ اللهِ بعدَ بعثةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؛ فهوَ خارجٌ عن الإسلامِ، مُكَذِّبٌ بقولِ اللهِ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





دينًا} وقوله: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}.

- وقوله: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

ولكثرةِ اليهودِ والنصارى والوثنيِّينَ صارَ في هذه المسألةِ خطرٌ على المجتمعِ، وأصبحَ كثيرٌ من الناسِ الآنَ لا يُفرِّقُ بينَ مسلمٍ وكافرٍ، ولا يدريْ أنَّ غيرَ المسلمِ عدوٌّ للهِ عزَّ وجلَّ، بلْ هوَ عدوٌّ لهُ أيضًا؛ لقولِهِ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ} فهمْ أعداءٌ لنا ولوْ تظاهَرُوا بالصداقةِ.

- قالَ اللهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.

فالآنَ أصبَحْنَا في محنةٍ وخطرٍ عظيمٍ؛ لأنَّهُ يُخشَى على أبنائنا وأبناءِ قَوْمِنا أنْ يرْكَنُوا إلى هؤلاءِ ويُوادُّوهُم ويُحبُّوهم؛ ولذلكَ يَجبُ أنْ تُخلَّصَ هذهِ البلادُ بالذَّاتِ منهُمْ، فهذهِ البلادُ قالَ فيها الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا».

- وقالَ: «أَخْرِجُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ».

- وقالَ: «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ» وهذا كلُّهُ منْ أجلِ أنْ لا يَشْتَبِهَ الأمرُ على النَّاسِ، ويختلطَ أولياءُ اللهِ بأعدائه.

قولُهُ: «**وَقَدْ صارَتْ عامَّةُ مُؤَاخَاةِ الناسِ علَى أَمْرِ الدُّنْيا، وذَلِكَ لا يُجْدِي عَلَى أَهْلِه شَيْئًا**».

قولُهُ: «**عامَّةُ**» أيْ: أغلبيَّةُ.

وقولُهُ: (**مُؤَاخَاةُ الناسِ**) أيْ: مودَّتهمْ ومُصاحَبَتِهمْ، أيْ: أكثرُ مُودَّةِ الناسِ ومُصاحَبَتِهم على أمرِ الدُّنيا، وهذا قالَهُ **ابنُ عبَّاسٍ** وهو بعيدُ العهدِ منَّا، قريبُ العهدِ من النُّبوَّةِ، فإذا كانَ الناسُ قدْ تغيَّرُوا في زمنِه فما بالُكَ بالناسِ اليومَ؟

فقدْ صارتْ مؤاخاةُ الناسِ إلاَّ النادرَ على أمرِ الدنيا، بلْ صارَ أعظمَ منْ ذلكَ، يبيعونَ دينَهم بدُنْيَاهُم، قالَ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ولَمَّا كانَ غالبُ ما يَحْمِلُ على

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الخيانةِ هوَ المالَ وحُبَّ الدُّنيا أعقبَها بقوْلِه: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}.

ويُستفادُ منْ أثرِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما: (أنَّ للهِ تعالى أولياءَ) وهوَ ثابتٌ بنصِّ القرآنِ، قالَ تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا}.

- وقالَ تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} فللَّهِ أولياءُ يتولَّوْنَ أمرَهُ، ويُقيمونَ دينَهُ، وهوَ يتولاَّهُمْ بالمعونةِ والتسديدِ والحفظِ والتوفيقِ، والميزانُ لهذهِ الولايةِ قولُهُ تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}.

قالَ شيخُ الإسلامِ: (مَنْ كانَ مؤمنًا تقيًّا كانَ للهِ وليًّا).

والولايةُ سَبَقَ أنَّها النُّصْرَةُ والتأييدُ والإعانةُ.

والولايةُ تنقسمُ إلى:

- **ولايةٍ من الله للعبد**
- **وولايةٍ من العبدِ لله.**

فمِنَ الأولى: قولُهُ تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا}.

ومن الثانيةِ: قولُهُ تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا . . .}.

والولايةُ التي مِنَ اللهِ إلى العبدِ تنقسمُ إلى: عامَّةٍ، وخاصَّةٍ.

فالولايةُ العامَّةُ هيَ: الولايةُ على العبادِ بالتدبيرِ والتصريفِ، وهذهِ تشملُ المؤمنَ والكافرَ وجميعَ الخلقِ، فاللهُ هوَ الذي يتولَّى عبادَهُ بالتدبيرِ والتصريفِ والسلطانِ وغيرِ ذلكَ، ومنهُ قولُهُ تعالى: {ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ}.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

والولايةُ الخاصَّةُ: أنْ يتولَّى اللهُ العبدَ بعنايَتِه وتَوْفيقِه وهدايتِه، وهذه خاصَّةٌ بالمؤمنينَ، قالَ تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ}.

- وقالَ: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}.

(٧) قولُهُ: (وقالَ ابنُ عبَّاسٍ في قَوْلِهِ تَعالى: {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ}، قالَ: المودَّةُ)يشيرُ إلى قوْلِهِ تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ}.

الأسبابُ: جمعُ سببٍ، وهوَ كلُّ ما يُتَوَصَّلُ بهِ إلى شيءٍ، وفي اصطلاحِ الأُصُوليِّينَ: ما يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِهِ الوجودُ، ومِنْ عدمِهِ العدمُ.

فكلُّ ما يُوصِلُ إلى شيءٍ فهو سببٌ، قالَ تعالى: {مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ} ومنهُ سُمِّيَ الحبلُ سببًا؛ لأنَّ الإنسانَ يتوصَّلُ بهِ إلى استخراجِ الماءِ من البئرِ.

وقولُهُ: «قالَ: المودَّةُ» هذا الأثرُ ضعَّفَهُ بعضُهُم، لكنَّ معناهُ صحيحٌ؛ فإنَّ جميعَ الأسبابِ التي يتعلَّقُ بها المشركونَ؛ لتُنْجِيَهُم تتقَطَّعُ بهم، ومنها: محبَّتُهُم لأصنامِهِم، وتعظيمُهُم إيَّاها، فإنَّها لا تنفعُهم.

ولعلَّ ابنَ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنْهُما أخذَ ذلكَ منْ سياقِ الآياتِ، فقدْ قالَ اللهُ تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}.

ثُمَّ قالَ تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} وبهِ تعرفُ أنَّ مُرَادَهُ المَوَدَّةُ الشِّرْكيَّةُ، فأمَّا المَوَدَّةُ الإيمانيَّةُ كمَوَدَّةِ اللهِ تعالى، ومودَّةِ ما يُحبُّهُ من الأعمالِ والأشخاصِ، فإنَّها نافعةٌ مُوَصِّلَةٌ للمُرَادِ، قالَ اللهُ تعالى: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}.

(٨) **فيهِ مَسائلُ:**

الأولى: (تَفْسيرُ آيةِ البَقَرةِ) وهيَ قولُهُ تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَةَ رَحِمَهُ اللهُ: **(لا يُنفَى الشيءُ إلَّا لانتفاءِ واجبٍ فيه ما لَمْ يَمْنَعْ مِنْ ذلكَ مانعٌ)**.

(١٢) **الخامسةُ: «أنَّ للإيمانِ حَلاوةً قَدْ يَجدُها الإنسانُ، وقَدْ لا يَجدُها»** تُؤخَذُ مِنْ قولِه: **«ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمَانِ»** وهذا دليلُ انتفاءِ الحلاوةِ إذا انْتَفَتْ هذه الأشياءُ.

(١٣) **السادسةُ: «أعمالُ القلْبِ الأرْبعَةُ التي لا تُنالُ وَلايةُ اللهِ إلاَّ بِها، ولا يَجدُ أحَدٌ طَعْمَ الإيمانِ إلاَّ بِها»** وهيَ الحبُّ في اللهِ، والبُغْضُ في اللهِ، والوَلاءُ في اللهِ، والعداءُ في اللهِ.

لا تُنالُ ولايةُ اللهِ إلاَّ بها، ولوْ صلَّى الإنسانُ وصامَ ووَالَى أعداءَ اللهِ فإنَّهُ لا يَنالُ ولايةَ اللهِ، قالَ ابنُ القيِّمِ:

أَتُحِبُّ أعداءَ الحبيبِ وتدَّعي   حُبًّا لهُ ما ذاكَ في إمكانِ

وهذا لا يَقْبَلُهُ حتَّى الصبيانُ أنْ تُوالِيَ مَنْ عادَاهُمْ.

وقولُهُ: **«وَلاَ يَجِدُ أَحَدٌ حَلاَوَةَ الإيمَانِ إلاَّ بِهَا»** مأخوذةٌ مِنْ قولِ ابنِ عبَّاسٍ: **«وَلَنْ يجدَ عبدٌ طعمَ الإيمانِ...»** إلخ.

(١٤) **السابعةُ: (فَهْمُ الصحابيِّ للواقِعِ: إنَّ عامَّةَ المُؤَاخَاةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيا)** الصحابيُّ يعني بهِ ابنَ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا.

وقولُهُ: **(إنَّ عامَّةَ المُؤَاخَاةِ على أمْرِ الدُّنْيا)** هذا في زمنِه فكيفَ بزَمَنِنا؟!

(١٥) **الثامنةُ: تفسيرُ قوْلِه: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾** فَسَّرَها بالمَوَدَّةِ، وتفسيرُ الصحابيِّ إذا كانت الآيةُ مِنْ صِيَغِ العُمومِ تفسيرٌ بالمثالِ؛ لأنَّ العبرةَ في نصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ بعُمُومَاتِهَا، فإذا ذُكِرَ فَرْدٌ مِنْ أفرادِ هذا العمومِ فإنَّما يُقصَدُ به التمثيلُ، أيْ: مثلُ المودَّةِ؛ لكنْ حتَّى الأسْبَابُ الأخرى التي يتقرَّبونَ بها إلى اللهِ ولَيْسَتْ بصحيحةٍ فإنَّها تَنْقَطِعُ بِهِمْ ولا يَنَالُونَ منْها خيرًا.

(١٦) **التاسعةُ: (أنَّ مِن المُشْرِكينَ مَنْ يُحِبُّ اللهَ حُبًّا شَديدًا)** تُؤْخَذُ مِنْ قولِه تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾** وهُمْ يُحِبُّونَ الأصنامَ حُبًّا شديدًا، وتُؤْخَذُ مِنْ قولِه تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾** فأشدُّ: اسمُ تفضيلٍ يدُلُّ على الاشتراكِ في المعنى معَ الزيادةِ، فقد اشتركوا في شدَّةِ الحبِّ، وزادَ المؤمنونَ بكَوْنِهِمْ أشدَّ حبًّا للهِ مِنْ هؤلاءِ لأصْنامِهِم.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وسبقَ ذلكَ.

(٩) **الثانيةُ**: (**تفسيرُ آيةِ بَراءةٌ**) وهيَ قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ...﴾ الآيةَ، وسبقَ تفسيرُها.

(١٠) **الثالثةُ**: (**وُجوبُ مَحبَّتِه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علَى النَّفْسِ والأهلِ والمالِ**) وفي نُسْخَة: (**وتقديمُها على النفسِ والأهلِ والمالِ**) ولعلَّ الصوابَ وُجوبُ تقديمِ محبَّتِهِ كما هوَ مقتضى الحديثِ، وأيضًا قولُهُ: (**على النَّفْسِ**) يدلُّ على أنَّها قدْ سَقَطَتْ كلمةُ (**تقديمُ**) أوْ (**وتقديمُها**).

وتُؤْخَذُ منْ حديثِ أنسٍ السابقِ، ومنْ قولِه تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ... أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فذكرَ الأقاربَ والأموالَ.

(١١) **الرابعة**: (**أنَّ نفْيَ الإيمانِ لا يَدُلُّ علَى الخروجِ منَ الإسلامِ**) سبقَ أنَّ المحبَّةَ كَسْبيَّةٌ، وذكَرْنا في ذلكَ حديثَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ لَمَّا قالَ للرَّسُولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: (**واللهِ إنَّكَ لأحَبُّ إليَّ منْ كلِّ شيءٍ إلَّا منْ نفْسي**).

فقالَ لهُ: «**ومنْ نفْسِكَ**».

فقالَ: (**الآنَ أنتَ أحبُّ إليَّ منْ نفْسي**).

وقولُهُ: (**الآنَ**) يدلُّ على حدوثِ هذه المحبَّةِ، وهذا أمرٌ ظاهرٌ.

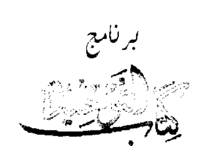
وفيهِ أيضًا أنَّ نفْيَ الإيمانِ المذكورِ في قولِهِ: «**لا يُؤْمِنُ أحدُكُمْ حتَّى أكونَ أحبَّ إليْهِ منْ ولَدِه...**» لا يدلُّ على الخروجِ من الإسلامِ؛ لقولِه في الحديثِ الآخَرِ: «**ثلاثٌ منْ كُنَّ فيهِ وجَدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمانِ**» لأنَّ حلاوةَ الإيمانِ أمرٌ زائدٌ على أصلِه، أيْ: أنَّ الدليلَ مُركَّبٌ من الدليلَيْنِ.

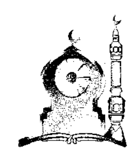
ونفيُ الشيءِ لهُ ثلاثُ حالاتٍ: فالأصلُ أنَّهُ نفيٌ للوجودِ، وذلكَ مثلُ: (لا إيمانَ لعابدِ صنمٍ).

فإنْ منَعَ مانعٌ منْ نفيِ الوجودِ فهوَ نفيٌ للصحَّةِ، مثلُ: «**لا صلاةَ بغيْرِ وُضوءٍ**» فإنْ منعَ مانعٌ مِنْ نفيِ الصحَّةِ فهوَ نفيٌ للكمالِ، مثلُ: «**لا صلاةَ بحضرةِ طعامٍ**».

فقولُهُ: «**لا يُؤْمِنُ أحدُكُمْ**» نفيٌ للكمالِ الواجبِ لا المُستحَبِّ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



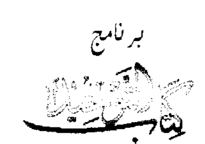


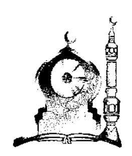


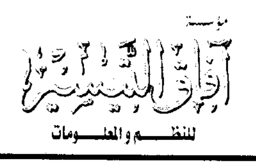
(١٧) **العاشرةُ: (الوعيدُ عَلَى مَنْ كانَت الثمانيةُ أحبَّ إليه مِنْ دينِه)** الثمانيةُ هيَ المذكورةُ في قولِه تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا}.

والوعيدُ في قولِه: {فَتَرَبَّصُوا} فأفادَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ تعالى أنَّ الأمرَ هنا للوعيد.

(١٨) **الحاديةَ عشْرةَ: (أنَّ مَن اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحَبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللهِ فَهُوَ الشِّرْكُ الأكْبَرُ)** لقولِه تعالى: {يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ} ثُمَّ بيَّنَ في سياقِ الآياتِ أنَّهُمْ مُشْرِكُونَ شِرْكًا أكبرَ، بدليلِ ما لَهُم مِن العذاب.







تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الحادي والثلاثون

(١) مُنَاسَبَةُ البابِ لِمَا قبلَهُ:

إنَّ المُؤلِّفَ رَحِمَهُ اللهُ أعْقَبَ بابَ المحبَّة بباب الخوفِ؛ لأنَّ العبادةَ تَرتكزُ على شيئيْن: **المحبَّةُ، والخوفُ**.

فَبالْمَحبَّة يكونُ امتثالُ الأمرِ، وبالخوفِ يكونُ اجتنابُ النهيِ، وإنْ كانَ تاركُ المعصيَة يَطْلُبُ الوصولَ إلى اللهِ، ولكنَّ هذا منْ لازمِ تَرْكِ المعصيَة، وليسَ هوَ الأساسَ، فلوْ سَأَلْتَ منْ لا يَزْني، لماذا؟

لقالَ: **خوفًا من اللهِ**، ولوْ سَأَلْتَ الذي يُصَلِّي، لقالَ: طمَعًا في ثوابِ اللهِ وَمَحَبَّةً لهُ. وكلٌّ منهما مُلازمٌ للآخَرِ، فالخائفُ والمطيعُ يُريدَانِ النجاةَ منْ عذابِ اللهِ، والوصولَ إلى رحْمَتِه.

وهل الأفضلُ للإنسانِ أنْ يُغلِّبَ جانبَ الخوفِ أوْ يُغلِّبَ جانبَ الرجاءِ؟

اختُلفَ في ذلكَ: فقيلَ: **ينبغي أنْ يُغَلِّبَ جانبَ الخوفِ**؛ لِيَحْمِلَهُ ذلكَ على اجتناب المعصيَة ثمَّ فعْلِ الطاعة.

وقيلَ: يُغَلِّبُ جانبَ الرجاءِ؛ ليكونَ متفائلاً، والرسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يُعْجِبُهُ الفألُ.

وقيلَ: في فعلِ الطاعة يُغلِّبُ جانبَ الرجاءِ، فالَّذي مَنَّ عليه بفعلِ هذه الطاعة سَيَمُنُّ عليه بالقَبُولِ؛ ولهذا قالَ بعضُ السَّلفِ: إذا وفَّقَكَ اللهُ للدُّعاءِ فانْتَظِر الإجابةَ؛ لأنَّ اللهَ يقولُ: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾** وفي فعلِ المعصيَة يُغَلِّبُ جانبَ الخوفِ؛ لأجْلِ أنْ يمْنَعَهُ منهَا، ثمَّ إذا خافَ من العقوبة تابَ.

وهذا أقربُ شيءٍ، ولكنْ ليسَ بذاكَ القربِ الكاملِ؛ لأنَّ اللهَ يقولُ: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾** أيْ: يخافونَ أنْ لا يَقْبَلَ منهُمْ، لكنْ قدْ يُقالُ بأنَّ هذه الآيَةَ يُعَارِضُها أحاديثُ أُخْرَى، كقولِهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في الحديثِ القُدْسيِّ عنْ ربِّهِ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي**».

وقيلَ: في حالِ المرضِ يُغَلِّبُ جانبَ الرجاءِ، وفي حالِ الصحَّة يُغَلِّبُ جانبَ الخوفِ.

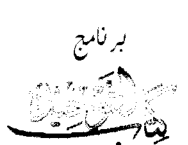
فهذه أربعةُ أقوالٍ.

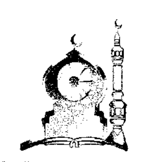
وقالَ الإمامُ أحمدُ: (**ينبغي أنْ يكونَ خوفُهُ ورجَاؤُهُ واحدًا، فأيُّهما غَلَبَ هلكَ صاحبُهُ**) أيْ: يجعلُهما كجَنَاحَي الطائرِ، والجناحانِ للطائرِ إذا لمْ يكونا متساويَيْنِ سَقَطَ.

وخوفُ اللهِ تعالى درجاتٌ، فمن الناسِ مَنْ يغْلُو في خوفه، ومنْهُمْ منْ يُفْرِطُ، ومنهمْ مَنْ يعْتَدلُ في خوفه.

والخوفُ العَدْلُ هوَ الذي يَرُدُّ عنْ محارمِ اللهِ فقطْ، وإنْ زِدْتَ على هذا فإنَّهُ يُوصِلُكَ إلى اليأسِ منْ رَوْحِ اللهِ،

E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠






ومن الناسِ مَنْ يُفْرِطُ في خوفِه بحيثُ لا يرْدَعُهُ عمَّا نهى اللهُ عنه.

والخوفُ ينقسم إلى قسمين:

الأوَّلُ: خوفُ العبادةِ والتذلُّلِ والتعظيمِ والخضوعِ، وهُوَ ما يُسمَّى بخوْفِ السِّرِّ، وهذا لا يصلحُ إلاَّ للهِ سبحانَهُ، فمَنْ أشركَ فيهِ معَ اللهِ غيرَهُ فهوَ مشركٌ شركًا أكبرَ، وذلكَ مثلُ: مَنْ يخافُ من الأصنامِ أو الأمواتِ، أوْ مَنْ يزْعُمُونَهُمْ أولياءَ ويعتقدونَ نفعَهُمْ وضرَّهمْ، كما يفعلُهُ بعضُ عُبَّادِ القبورِ؛ يخافُ مِنْ صاحبِ القبرِ أكثرَ مِمَّا يخافُ اللهَ.

(وفي جعل **المصنف** -رحمه الله- خوف السر اسماً لخوف العبادة والتذلل منازعة بل هو قسيم له، كما يعلم من (تيسير العزيز الحميد) وغيره)

الثاني: الخوفُ الطبيعيُّ والْجِبْلِيُّ، فهذا في الأصلِ مُبَاحٌ؛ لقوْلِهِ تعالى عنْ **موسى**: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} وقوْلِهِ أيضًا: {رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ}.

لكنْ إنْ حَمَلَ على ترْكِ واجبٍ أوْ فِعْلِ مُحرَّمٍ فهوَ مُحرَّمٌ، وإن استلزَمَ شيئًا مُبَاحًا كانَ مُبَاحًا، فمثلاً مَنْ خافَ مِنْ شيءٍ لا يُؤَثِّرُ عليهِ، وحملَهُ هذا الخوفُ على تَرْكِ صلاةِ الجماعةِ معَ وُجوبِهَا، فهذا الخوفُ مُحَرَّمٌ، والواجبُ عليهِ أنْ لا يَتَأَثَّرَ به.

وإنْ **هدَّدَهُ إنسانٌ على فعلِ محرَّمٍ فخافَهُ**، وهوَ لا يستطيعُ أنْ يُنَفِّذَ ما هدَّدَهُ به، فهذا خوفٌ مُحَرَّمٌ؛ لأنَّهُ يُؤَدِّي إلى فعلِ مُحَرَّمٍ بلا عُذْرٍ، وإنْ رأَى نارًا ثُمَّ هَرَبَ منها ونَجَا بنفسهِ فهذا خوفٌ مُبَاحٌ، وقدْ يكونُ واجبًا إذا كانَ يتَوَصَّلُ به إلى إنقاذِ نفسِه.

وهناكَ **ما يُسَمَّى بالوَهْمِ وليسَ بخوفٍ**، مثلُ أنْ يرى ظِلَّ شجرةٍ تهتزُّ فيَظُنُّ أنَّ هذا عدوٌّ يتهدَّدُهُ، فهذا لا ينبغي للمؤمنِ أنْ يكونَ كذلكَ، بلْ يُطَارِدُ هذهِ الأوهامَ؛ لأنَّهُ لا حقيقةَ لها، وإذا لمْ تُطَارِدْها فإنَّها تُهْلِكُكَ.

ومناسبةُ الخوفِ للتوحيدِ: أنَّ منْ أقسامِ الخوفِ ما يكونُ شركًا منافيًا للتوحيدِ، هيَ قوْلُهُ تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ}.

{إِنَّمَا ذَلِكُمُ} صيغةُ حَصْرٍ، والمشارُ إليهِ التخويفُ من المشركين، {ذَلِكُمُ} (ذَا) مُبْتَدأٌ، و{الشَّيْطَانُ}

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

يَحْتَمِلُ أنْ يكونَ خبرَ المبتدأ، وجُمْلَةُ ﴿يُخَوِّفُ﴾ حالٌ من الشيطانِ.

ويحتمِلُ: أنْ يكونَ ﴿الشَّيْطَانُ﴾ صفةً لـ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ أوْ عَطْفَ بيانٍ، و﴿يُخَوِّفُ﴾ خبرَ المبتدأ، **والمعنى:** ما هذا التخويفُ الذي حصلَ إلاَّ مِنْ شيطانٍ يُخَوِّفُ أولياءَهُ.

و ﴿يُخَوِّفُ﴾ تَنْصِبُ مفعولَيْنِ؛ الأوَّلُ محذوفٌ وتقديرُهُ: يُخَوِّفُكُمْ، والمفعولُ الثاني ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾ ومعنى يُخَوِّفُكُمْ؛ أيْ: يُوقِعُ الخوفَ في قلوبِكِمْ منهمْ.

قال **ابن القيم**: **(جميع المفسرين على أن معنى ﴿يخوف أولياءه﴾ أي: يخوفكم أولياءه)**.

و﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾ أيْ: أنصارَهُ الذينَ ينصرونَ الفحشاءَ والمنكرَ؛ لأنَّ الشيطانَ يأْمُرُ بذلكَ.

فكلُّ مَنْ نصرَ الفحشاءَ والمنكرَ فهوَ مِنْ أولياءِ الشيطانِ، ثُمَّ قَدْ يكونُ النصرُ في الشركِ وما يُنَافي التوحيدَ فيكونُ عظيمًا، وقدْ يكونُ دونَ ذلكَ.

قال **ابن القيم** في (إغاثة اللهفان) (١/١١٨): **(ومن كيد عدو الله تعالى أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف، ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا الله تعالى عنه بهذا فقال: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾)**.

وقولُهُ: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ مِنْ ذلكَ ما وَقَعَ في الآيَةِ التي قبْلَها حيثُ قالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ وذلكَ لِيَصُدُّوهُم عنْ واجبٍ منْ واجباتِ الدينِ وهوَ الجهادُ، فيُخَوِّفُونَهُمْ بذلكَ.

وكذلكَ: ما يَحْصُلُ في نفسِ مَنْ أرادَ أنْ يَأْمُرَ بالمعروفِ أوْ يَنْهَى عن المنكرِ، فَيُخَوِّفُهُ الشيطانُ لِيَصُدَّهُ عنْ هذا العملِ. وكذلكَ ما يقعُ في قَلْبِ الداعيَةِ.

والحاصلُ: أنَّ الشيطانَ يُخَوِّفُ كلَّ مَنْ أرادَ أنْ يقومَ بواجبٍ، فإذا ألقى الشيطانُ في نفسكَ الخوفَ فالواجبُ عليكَ أنْ تَعْلَمَ أنَّ الإقدامَ على كلمةِ الحقِّ ليسَ هوَ الذي يُدْني الأجَلَ، وليسَ السكوتُ والجُبنُ هوَ الذي يُبعدُ الأجلَ، فكمْ منْ داعيَةٍ صَدَعَ بالحقِّ وماتَ على فراشهِ، وكَمْ منْ جبانٍ قُتِلَ في بيْتِه، وانْظُرْ إلى **خالدِ بنِ الوليدِ**؛ كانَ شجاعًا مقْدَامًا وماتَ على فراشه.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وما دامَ الإنسانُ قائمًا بأمرِ اللهِ؛ فَلْيَثِقْ بأنَّ اللهَ معَ الذينَ اتَّقَوْا والذينَ هُمْ مُحْسِنُونَ، وحزبُ اللهِ هم الغالبونَ.

قوْلُهُ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ لا: ناهيَةٌ، والهاءُ ضميرٌ يعودُ على أولياءِ الشيطانِ، وهذا النهيُ للتحريمِ بلا شكٍّ؛ أيْ: بل امضُوا فيما أمَرْتُكُمْ بهِ، وفيما أَوْجَبْتُهُ عليكُمْ من الجهادِ، ولا تخافوا هؤلاءِ.

وإذا كانَ اللهُ معَ الإنسانِ فإنَّهُ لا يَغْلِبُهُ أحدٌ، لكنْ نحتاجُ في الحقيقةِ إلى صِدْقِ النيَّةِ والإخلاصِ والتوكُّلِ التامِّ؛ ولهذا قالَ تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وعُلِمَ مِنْ هذهِ الآيَةِ أنَّ للشيطانِ وَسَاوِسَ يُلْقيها في قلبِ ابنِ آدمَ، منها التخويفُ منْ أعدائه، وهذا ما وقعَ فيهِ كثيرٌ من الناسِ وهوَ الخوفُ منْ أعداءِ اللهِ، فكانوا فريسةً لهمْ، وإلاَّ لو اتَّكَلُوا على اللهِ وخافُوهُ قبلَ كلِّ شيءٍ لخَافَهُم الناسُ؛ ولهذا قيلَ في المَثَلِ: (**مَنْ خَافَ اللهَ خافَهُ كلُّ شيءٍ، ومَن اتَّقى اللهَ اتَّقاهُ كُلُّ شيءٍ، ومَنْ خافَ مِنْ غيرِ اللهِ خافَ مِنْ كلِّ شيءٍ**).

ويُفْهَمُ من الآيَةِ أنَّ الخوفَ من الشيطانِ وأوليائِهِ مُنافٍ للإيمانِ، فإنْ كانَ الخوفُ يُؤَدِّي إلى الشركِ فهوَ منافٍ لأصلِه، وإلاَّ فهوَ مُنافٍ لكمالِه.

(٢) قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ﴾، ﴿إِنَّمَا﴾ أداةُ حصرٍ، والمرادُ بالعمَارةِ العمَارةُ المعنويَّةُ، وهيَ عِمَارَتُها بالصلاةِ والذِّكرِ وقراءةِ القرآنِ ونحْوِها، وكذلكَ الحسِّيَّةُ بالبناءِ الحسِّيِّ، فإنَّ عمَارَتَهَا به حقيقةٌ لا تكونُ إلاَّ ممَّنْ ذكَرَهُم اللهُ؛ لأنَّ مَنْ يعْمُرُها وَهُوَ لَمْ يُؤْمِنْ باللهِ واليومِ الآخِرِ لَمْ يعْمُرْهَا حقيقةً؛ لعدمِ انتفاعِهِ بهذهِ العمارةِ.

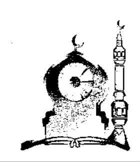
فالعمارةُ النافعةُ الحسِّيَّةُ والمعنويَّةُ من الذينَ آمَنُوا باللهِ واليومِ الآخرِ، ولهذا لَمَّا افتخرَ المشركونَ بعِمَارةِ المسجدِ الحرامِ قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وأضافَ سبحانَهُ المساجدَ إلى نفسِهِ تشريفًا؛ لأنَّها مَوْضعُ عبادتِه.

قولُهُ: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾، ﴿مَنْ﴾ فاعلُ ﴿يَعْمُرُ﴾ والإيمانُ باللهِ يتضَمَّنُ أربعةَ أُمورٍ، وهيَ:

- **الإيمانُ بوُجُودِهِ.**
- **ورُبُوبيَّتِهِ.**
- **وألُوهيَّتِهِ.**
- **وأسمائِهِ وصفاتِهِ.**

واليومُ الآخرُ: هوَ يومُ القيامة، وسُمِّيَ بذلكَ؛ لأَنَّهُ لا يومَ بعْدَهُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١١١١ – ص.ب: ١١٤٤٦١
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠




قولُهُ: {وَأَقَامَ الصَّلَاةَ} أيْ: أَتى بها على وجهٍ قَويمٍ لا نَقْصَ فيه، والإقامةُ نوعان:

الأول: إقامةٌ واجبةٌ وهيَ: التي يقْتَصِرُ فيها على فِعْلِ الواجبِ من الشروطِ والأركانِ والواجباتِ.

الثاني: وإقامةٌ مُسْتَحَبَّةٌ وهيَ: التي يَزِيدُ فيها على فِعْلِ ما يجبُ، فيأتي بالواجبِ والمُسْتَحَبِّ.

قولُهُ: {وَآتَى الزَّكَاةَ}، {آتَى} تَنْصِبُ مفعولَيْنِ؛ الأوَّلُ هنا {الزَّكَاةَ}، **والثاني:** محذوفٌ تقديرُهُ: مُسْتَحِقَّها.

والزكاةُ هيَ: المالُ الذي أَوْجَبَهُ الشارعُ في الأموالِ الزَّكَوِيَّةِ. وتختلفُ مقاديرُها حَسَبَ ما تقْتَضيه حكمةُ اللهِ عزَّ وجلَّ.

قولُهُ: {وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ} في هذه الآيَةِ حَصْرٌ طريقُهُ الإثباتُ والنفيُ؛ {لَمْ يَخْشَ} نفيٌ، {إِلَّا اللَّهَ} إثباتٌ، والمعنى: أنَّ خَشْيَتَهُ انحصرَتْ في اللهِ عزَّ وجلَّ، فلا يَخْشَى غيرَهُ.

والشاهدُ من الآيَةِ هو: قولُهُ: {وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ}ولهذا قالَ تعالى: {فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ}.

ومنْ علاماتِ صِدْقِ الإيمانِ: أنْ لا يخشى إلاَّ اللهَ في كلِّ ما يقولُ ويفعلُ.

ومَنْ أرادَ أنْ يُصَحِّحَ هذا المسيرَ فليتَأَمَّلْ قولَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ**».

(٣) قولُهُ تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ} جارٌّ ومجرورٌ خبرٌ مُقَدَّمٌ، و{مِنْ}تَبْعيضيَّةٌ.

وقولُهُ: {مَنْ يَقُولُ}، {مَنْ} مبتدأٌ مُؤَخَّرٌ.

والمرادُ هؤلاءِ: مَنْ لا يَصِلُ الإيمانُ إلى قرارةِ قلبِه فيقولُ: آمنَّا باللهِ، لكنَّهُ إيمانٌ مُتَطرِّفٌ، كقولِه تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ} على حَرْفٍ: أيْ: على طَرَفٍ، فإذا امتحنَهُ اللهُ بما يُقَدِّرُ عليه منْ إيذاءِ الأعداءِ في اللهِ جعلَ فتنةَ الناسِ كعذابِ اللهِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

قولُهُ: {فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ}، {فِي} للسببيَّة؛ أيْ: بسببِ الإيمانِ باللهِ وإقامةِ دينه،

ويجُوزُ أنْ تكونَ {فِي} للظرفيَّةِ على تقديرِ: فإذا أُوذِيَ في شَرْعِ اللهِ؛ أيْ: إيذاءً في هذا الشرعِ الذي تمسَّكَ به.

قولُهُ: {جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ} جعلَ: صيَّرَ، والمرادُ بالفتنةِ هنا الإيذاءُ. وسُمِّيَ فتنةً؛ لأنَّ الإنسانَ يَفْتَتِنُ به فَيَصُدُّ عنْ سبيلِ اللهِ، كما قالَ تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا} وإضافةُ الفتنةِ إلى الناسِ منْ بابِ إضافةِ المصدرِ إلى فاعله.

قولُهُ: {كَعَذَابِ اللَّهِ} ومعلومٌ أنَّ الإنسانَ يَفرُّ منْ عذابِ اللهِ فيُوافقُ أمْرَهُ، فهذا يجعلُ فتنةَ الناسِ كعذابِ اللهِ فَيَفرُّ منْ إيذائِهم بموافقةِ أهوائِهمْ وأَمْرِهم، جعلاً لهذه الفتنةِ كالعذابِ، فحينئذٍ يكونُ قدْ خافَ منْ هؤلاءِ كخَوْفِه من اللهِ؛ لأنَّهُ جَعَلَ إيذاءَهُم كعذابِ اللهِ، فَفرَّ منهُ بموافقةِ أمْرِهم، فالآيَةُ مُوافقةٌ للترجمةِ.

وفي هذه الآيَةِ من الحكمةِ العظيمةِ، وهيَ ابتلاءُ اللهِ للعبدِ لأجْلِ أنْ يُمَحِّصَ إيمانَهُ، **وذلكَ على قسمَيْن**:

الأوَّلُ: ما يُقدِّرُهُ اللهُ نفسُهُ على العبدِ، كقوْلِه تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ}.

- وقولِه تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٢٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}.

الثاني: ما يُقدِّرُهُ اللهُ على أيْدي الخلقِ من الإيذاءِ امتحانًا واختبارًا، وذلكَ كالآيَةِ التي ذَكَرَ المُؤلِّفُ.

وبعضُ الناسِ إذا أصابَتْهُ مصائبُ لا يَصْبِرُ، فيكْفُرُ ويَرْتَدُّ أحيانًا والعياذُ باللهِ، وأحيانًا يكْفُرُ بما خالفَ فيه أَمْرَ اللهِ عزَّ وجلَّ في موقفِهِ في تلكَ المصيبةِ. وكثيرٌ من الناسِ يَنْقُصُ إيمانُهُ بسببِ المصائبِ نقصًا عظيمًا.

فلْيَكُن المسلمُ على حَذَرٍ، فاللهُ حكيمٌ يمْتحنُ عبادَهُ بما يتبيَّنُ به تحقُّقُ الإيمانِ، قالَ تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}.

قولُهُ: «**الآيَةَ**» أيْ: إلى آخرِ الآيَةِ، وهيَ قولُهُ تعالى: {وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ} كانوا يدَّعُونَ أنَّ ما يحصُلُ لهمْ من الإيذاءِ بسببِ الإيمانِ، فإذا انتصرَ المسلمونَ قالُوا: نحنُ معكُمْ، نُريدُ أنْ يُصيبَنا مثْلَما أصابَكُمْ منْ غنيمةٍ وغيرِها.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

وفي الآيَةِ تحذيرٌ مِنْ أَنْ يقولَ الإنسانُ خلافَ ما في قلبه، ولهذا لَمّا تخَلَّفَ **كعبُ بنُ مالك** في غزْوَةِ تبوكَ قالَ للرَّسُولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حينَ رَجعَ: **(إنِّي قدْ أُوتيتُ جدَلاً، ولَوْ جَلَسْتُ إلى غَيْرِكَ منْ مُلوكِ الدُّنْيَا لَخَرَجْتُ منْهُمْ بعُذْرٍ، لكنْ لا أَقولُ شيْئًا تعْذرُني فيه فيَفْضَحُني اللهُ فيه)**.

والشاهدُ من الآيَةِ قولُهُ: **{فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ}** فخافَ الناسَ مثلَ خوفِ اللهِ تعالى.

(٤) قولُهُ: «**إنَّ منْ ضَعْفِ الْيَقِين**» «مِنْ»: للتَّبْعيضِ، والضَّعْفُ ضدُّ القُوَّةِ، ويُقَالُ: ضَعْفٌ أوْ ضُعْفٌ، وكلاهُما بمعنًى واحدٍ؛ أيْ: منْ علامة ضَعْفِ اليقينِ.

قولُهُ: «**أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بسَخَطِ الله**» «أَنْ تُرضيَ» اسمُ «**إنَّ**» مُؤخَّرٌ، و«**منْ ضَعْفِ اليَقِين**» خبرُها مقدَّمٌ، والتقديرُ: إنَّ إرْضَاءَ الناسِ بسَخَطِ اللهِ منْ ضَعْفِ اليقينِ.

قولُهُ: «**بسَخَطِ الله**» الباءُ للعوَضِ، يعني أنْ تجْعَلَ عوَضَ إرضاءِ الناسِ سَخَطَ اللهِ، فتستَبْدلَ هذا بهذا، فهذا منْ ضَعْفِ اليقينِ، واليقينُ أعلى درجاتِ الإيمانِ.

قال **شيخ الإسلام**: **(اليقين هو التمسك بأمر الله، والعمل على إيقاع أمر الله وفق ما أمر الله به)** .

قولُهُ: «**وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ الله**»، الحَمْدُ وصفُ المحمودِ بالكمالِ معَ المحبَّةِ والتعظيمِ، ولكنَّهُ هنا ليسَ بشرطِ المحبَّةِ والتعظيمِ؛ لأنَّهُ يشمَلُ المدحَ.

و «**رزْقِ الله**» **عطاء الله**، أيْ: إذا أعْطَوْكَ شيئًا حَمدْتَهُمْ ونَسيتَ المُسبِّبَ وهوَ اللهُ.

والمعنى أنْ تجعلَ الحمدَ كلَّهُ لهمْ متناسيًا بذلكَ المُسبِّبَ وهوَ اللهُ، فالَّذي أعْطَاكَ سببٌ فقطْ، والمُعْطِي هوَ اللهُ؛ ولهذا قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «**إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، اللهُ يُعْطِي**».

أمَّا إنْ كانَ في قَلْبكَ أنَّ اللهَ هوَ الذي مَنَّ عليكَ بسياقِ هذا الرزقِ، ثمَّ شَكَرْتَ الذي أعطاكَ، فليسَ هذا داخلاً في الحديثِ، بلْ هوَ من الشَّرْعِ؛ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فإِنْ لَمْ تجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ بِهِ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**».

إذَن الحديثُ ليسَ على ظاهرِهِ منْ كلِّ وجهٍ، فالمرادُ بالحمد أنْ تحْمَدَهُم الحمدَ المطلقَ ناسيًا المُسبِّبَ وهوَ اللهُ عزَّ وجلَّ، وهذا منْ ضَعْفِ اليقينِ، كأنَّكَ نسيتَ المُنْعمَ الأصليَّ وهوَ اللهُ عزَّ وجلَّ الذي لهُ النعمةُ الأُولَى، وهوَ سَفَهٌ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

أيضًا؛ لأنَّ حقيقةَ الأمرِ أنَّ الذي أعطاكَ هوَ اللهُ، فالبَشَرُ الذي أعْطَاكَ هذا الرزقَ لم يَخْلُقْ ما أعْطَاكَ، فاللهُ هوَ الذي خَلَقَ ما بيدِه، وهوَ الذي عطفَ قلبَهُ حتَّى أعطاكَ.

أرَأَيْتَ لوْ أنَّ إنسانًا لهُ طِفْلٌ فأعطَى طِفْلَهُ ألفَ دِرْهَمٍ وقالَ لهُ: أَعْطِهَا فلانًا، فالَّذي أخذَ الدراهمَ يحمَدُ الأبَ؛ لأنَّهُ لوْ حَمِدَ الطفلَ فقطْ لعُدَّ هذا سَفَهًا؛ لأنَّ الطفلَ ليسَ إلاَّ مُرسَلاً فقطْ.

وعلى هذا فنقولُ: إنَّكَ إذا حَمِدْتَهُمْ ناسيًا بذلكَ ما يجبُ للهِ من الحمدِ والثناءِ فهذا هوَ الذي مِنْ ضَعْفِ اليقينِ.

أمَّا إذا حَمِدْتَهُمْ على أنَّهم سببٌ مِن الأسبابِ، وأنَّ الحمدَ كلَّهُ للهِ عزَّ وجلَّ فهذا حقٌّ، وليسَ مِنْ ضَعْفِ اليقينِ.

قولُهُ: «**وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ**» هذه عكسُ الأولى، فمثلاً: لوْ أنَّ إنسانًا جاءَ إلى شخصٍ يُوَزِّعُ دراهمَ فلمْ يُعْطِه فَسَبَّهُ وشتمَهُ، فهذا مِن الخطأِ؛ لأنَّ ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لمْ يَشَأْ لمْ يكُنْ.

لكنْ مَنْ قصَّرَ بواجبٍ عليه فيُذَمُّ؛ لأجْلِ أنَّهُ قصَّرَ بالواجبِ، لا لأجْلِ أنَّهُ لمْ يُعْطِ، فلا يُذَمُّ مِنْ حيثُ القَدَرُ؛ لأنَّ اللهَ لوْ قدَّرَ ذلكَ لوُجِدَت الأسبابُ التي يَصِلُ بها إليكَ هذا العطاءُ.

وقولُهُ: «**مَا لَمْ يُؤْتِكَ**» علامةُ جَزْمِه حذفُ الياءِ، والمفعولُ الثاني محذوفٌ؛ لأنَّهُ فَضْلَةٌ، والتقديرُ: ما لمْ يُؤْتِكَهُ.

قولُهُ: «**إِنَّ رِزْقَ اللهِ لاَ يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلاَ يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ**» هذا تعليلٌ لقولِه: «**أَنْ تَحْمَدَهُمْ... وَأَنْ تَذُمَّهُمْ**» ورِزْقُ اللهِ عطاؤُهُ، وحِرْصُ الحريصِ مِنْ سببِه بلا شكٍّ، فإذا بحثَ عَن الرزقِ وفَعَلَ الأسبابَ فإنَّهُ يكونُ فَعَلَ الأسبابَ المُوجِبَةَ للرزقِ. لكنْ ليسَ المعنى أنَّ هذا السببَ مُوجِبٌ مُسْتَقِلٌّ، وإنَّما الذي يَرْزُقُ هوَ اللهُ تعالى، وكَمْ مِنْ إنسانٍ يفعلُ أسبابًا كثيرةً للرزقِ ولا يُرزَقُ، وكمْ مِنْ إنسانٍ يفعلُ أسبابًا قليلةً فيُرزَقُ، وكمْ مِنْ إنسانٍ يأتيه الرزقُ بدُونِ سعيٍ، كما لوْ وَجَدَ رِكَازًا في الأرضِ، أوْ مَاتَ لهُ قريبٌ غَنِيٌّ يرِثُهُ، أوْ ما أشْبَهَ ذلكَ.

وقولُهُ: «**لاَ يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ**» أيْ: أنَّ رزقَ اللهِ إذا قُدِّرَ للعبدِ فَلَنْ يمْنَعَهُ عنْهُ كراهيَةُ كارِهٍ، فَكَمْ مِنْ إنسانٍ حَسَدَهُ الناسُ، وحاوَلُوا منْعَ رزقِ اللهِ، فلمْ يستطيعوا إلى ذلكَ سبيلاً.

(٥) قولُهُ في حديثِ **عائشةَ** رَضِيَ اللهُ عنها: «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ**» التمسَ: طلبَ، ومنهُ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في ليلةِ القدرِ: «**الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ**».

وقولُهُ: «**رِضَا اللهِ**» أيْ: أسبابَ رِضَاهُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وقولُهُ: «بِسَخَطِ اللهِ» الباءُ للعوَضِ؛ أيْ: أنَّهُ طلبَ ما يُرْضِي اللهَ ولوْ سَخِطَ الناسُ بِهِ بدلاً مِنْ هذا الرِّضَا، وجوابُ الشرطِ: «رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ».

وقولُهُ: «رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ» هذا ظاهرٌ، فإذا التمسَ العبدُ رِضَا ربِّهِ بنيَّةٍ صادقةٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُ؛ لأنَّهُ أكرمُ مِنْ عبدِه، وأرْضَى عنْهُ الناسَ، وذلكَ بما يُلْقِي في قلوبِهِم مِنَ الرِّضا عنهُ ومحبَّتِه؛ لأنَّ القلوبَ بينَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أصابعِ الرحمنِ يُقلِّبُها كيفَ يشاءُ.

قولُهُ: «وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ» التمسَ: طلبَ؛ أيْ: طَلَبَ ما يُرضِي الناسَ ولوْ كانَ يُسْخِطُ اللهَ.

فنتيجةُ ذلكَ أنْ يُعامَلَ بنقيضِ قَصْدِهِ؛ ولهذا قالَ: «سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ، وأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ» فألْقَى في قلوبِهِم سَخَطَهُ وكَراهِيَتَهُ.

ومناسبةُ الحديثِ للترجمةِ: في قولِهُ: (وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ) أيْ: خوفًا مِنْهُمْ حتَّى يَرْضَوْا عنْهُ، فقَدَّمَ خوفَهُم على مخافةِ اللهِ.

(٦) **فيهِ مَسَائِلُ:**

الأولى: (تَفْسيرُ آيَةِ آلِ عِمْرانَ) وهيَ قولُهُ تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

(٧) **الثانيةُ:** (تفسيرُ آيَةِ بَراءة) وهيَ قولُهُ تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}. وسبقَ.

(٨) **الثالثةُ:** (تَفْسيرُ آيَةِ الْعَنْكَبُوت) وهيَ قولُهُ تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ}وقدْ تكلَّمْنا على تفسيرِهَا فيما سبقَ.

الرابعةُ: (أنَّ اليقينَ يَضْعُفُ ويَقْوَى) تُؤْخَذُ من الحديثِ «إنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ...» الحديثَ.

(١٠) **الخامسةُ:** (عَلامةُ ضَعْفِه، وَمِنْ ذلكَ هَذه الثَّلاثُ) وهيَ أنْ تُرْضِيَ الناسَ بسَخَطِ اللهِ، وأنْ تحْمَدَهُمْ على رزقِ اللهِ، وأنْ تذُمَّهُمْ على ما لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

(١١) **السادسة: (أنَّ إخلاصَ الخوْفِ للهِ مِن الفرائضِ)** تُؤخَذُ منْ قولِهِ في الحديثِ: «مَنِ الْتَمَسَ...» الحديث، ووَجْهُهُ ترتيبُ العقوبةِ على مَنْ قدَّمَ رضا الناسِ على رضا اللهِ تعالى.

(١٢) **السابعة: «ذِكْرُ ثوابِ مَنْ فَعَلَهُ»** وهوَ رضا اللهِ عنهُ، وأنَّهُ يُرْضِي عنهُ الناسَ، وهوَ العاقبةُ الحميدةُ.

(١٣) **الثامنة: «ذِكْرُ عِقابِ مَنْ تَرَكَهُ»** وهوَ أنْ يَسْخَطَ اللهُ عليه، ويُسْخِطَ عليه الناسَ، ولا ينالُ مقْصُودَهُ.

وخُلاصةُ البابِ:

أنَّهُ يجبُ على المرءِ أنْ يجعلَ الخوفَ من اللهِ فوقَ كلِّ خوفٍ، وأنْ لا يُبَالِيَ بأحدٍ في شريعةِ اللهِ تعالى، وأنْ يعلمَ أنَّ مَن التمسَ رضا اللهِ تعالى وإنْ سَخطَ الناسُ عليه، فالعاقبةُ لَهُ.

وإن التمسَ رضا الناسِ وتعلَّقَ بهِمْ وأسخطَ اللهَ انقلَبَتْ عليهِ الأحوالُ، ولم يَنَلْ مقصودَهُ، بلْ حصلَ لَهُ عكسُ مقصودِهِ، وهوَ أنْ يَسْخَطَ اللهُ عليهِ ويُسْخِطَ عليهِ الناسَ.

قال ابن رجب في (نور الإقتباس) (ص: ٨٩): **(فمن تحقق أن كل مخلوق من تراب فهو تراب، فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب؟! أم كيف يرضي التراب بسخط الملك الوهاب؟! إن هذا لشيء عجاب)**.

(١٤) مُنَاسَبَةُ هذا البابِ لِمَا قبلَهُ:

هيَ أنَّ الإنسانَ إذا أفردَ اللهَ سبحانَهُ بالتوَكُّلِ، فإنَّهُ يعتمدُ عليهِ في حصولِ مطلوبِهِ وزوالِ مكروهِهِ، ولا يعتمدُ على غيرِه.

والتوكُّلُ: هوَ الاعتمادُ على اللهِ سبحانَهُ وتعالى في حُصُولِ المطلوبِ، ودَفْعِ المكروهِ، معَ الثقةِ بهِ وفِعْلِ الأسبابِ المأذونِ فيها.

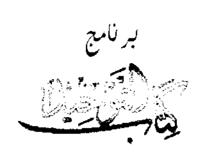
وهذا أقربُ تعريفٍ لهُ، ولا بُدَّ منْ أمريْنِ:

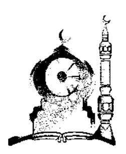
الأوَّلُ: أنْ يكونَ الاعتمادُ على اللهِ اعتمادًا صادقًا حقيقيًّا.

الثاني: فعلُ الأسبابِ المأْذُونِ فيها.

فمنْ جعَلَ أكثرَ اعتمادِهِ على الأسبابِ نقصَ توكُّلُهُ على اللهِ، ويكونُ قادحًا في كفايَةِ اللهِ، فكأنَّهُ جعلَ السببَ وحدَهُ هوَ العُمْدَةَ فيما يَصْبُو إليهِ منْ حُصُولِ المطلوبِ وزوالِ المكروهِ،

ومَنْ جَعَلَ اعتمادَهُ على اللهِ مُلْغيًا للأسبابِ فقدْ طعنَ في حِكْمَةِ اللهِ؛ لأنَّ اللهَ جعلَ لِكُلِّ شيءٍ سببًا، فمَن اعتمدَ







على اللهِ اعتمادًا مُجرَّدًا كانَ قادحًا في حكمةِ اللهِ؛ لأنَّ اللهَ حكيمٌ يَربطُ الأسبابَ بمُسبَّباتها، كمَنْ يعتمدُ على اللهِ في حصولِ الولدِ وهوَ لا يتزوَّجُ.

والنبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أعظَمُ المُتوكِّلينَ، ومعَ ذلكَ كانَ يأخُذُ بالأسباب، فالنبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يأخُذُ الزادَ في السفرِ، ولمَّا خرجَ إلى أُحُد ظاهَرَ بينَ درعَيْنِ؛ أيْ: لَبِسَ درعَيْنِ اثنَيْنِ، ولمَّا خرجَ مُهاجرًا أخذَ مَنْ يدُلُّهُ الطريقَ، ولمْ يقُلْ: سأذهَبُ مُهاجرًا وأتوكَّلُ على اللهِ، ولنْ أصْطَحِبَ معيَ مَنْ يدُلُّني الطريقَ، وكانَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يتَّقِي الحَرَّ والبَرْدَ، ولمْ يُنقِصْ ذلكَ مِنْ توكُّلِه.

ويُذكَرُ عنْ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قدِمَ ناسٌ منْ أهلِ اليمنِ إلى الحجِّ بلا زاد، فجيءَ بهِمْ إلى عُمرَ فسألَهُم.

فقالوا: نحنُ المتوكِّلونَ على اللهِ، فقال: (لستُمُ المتوكِّلينَ، بلْ أنتُمُ المتَواكِلونَ).

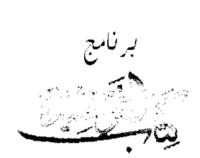
والتوكُّلُ نصفُ الدِّينِ؛ ولهذا نقُولُ في صلاتِنا: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** فنَطْلُبُ من اللهِ العونَ اعتمادًا عليه سبحانَهُ بأنَّهُ سيُعينُنا على عبادته.

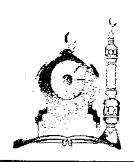
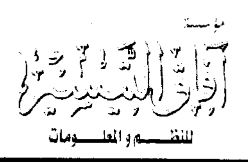
وقالَ تعالى: **{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}** وقالَ تعالى: **{عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}** ولا يُمكنُ تحقيقُ العبادةِ إلاَّ بالتوكُّلِ؛ لأنَّ الإنسانَ لوْ وُكِلَ إلى نفسِه وُكِلَ إلى ضَعْفٍ وعَجْزٍ، ولمْ يتَمَكَّنْ من القيامِ بالعبادةِ، فهوَ حينَ يعبدُ اللهَ يشعرُ أنَّهُ مُتوكِّلٌ على اللهِ، فينالُ بذلكَ أجرَ العبادةِ وأجرَ التوكُّلِ.

ولكنَّ الغالبَ عِنْدَنَا ضعفُ التوكُّلِ، وأنَّنا لا نَشْعُرُ حينَ نقومُ بالعبادةِ أو العادةِ بالتوكُّلِ على اللهِ والاعتمادِ عليه في أنْ نَنَالَ هذا الفعلَ، بلْ نعتمدُ في الغالبِ على الأسبابِ الظاهرةِ، ونَنْسَى ما وراءَ ذلكَ، فيفُوتُنا ثوابٌ عظيمٌ، وهوَ ثوابُ التوكُّلِ، كما أنَّنا لا نُوَفَّقُ إلى حصولِ المقصودِ كما هوَ الغالبُ، سواءٌ حصلَ لنا عَوَارِضُ تُوجِبُ انقطاعَهَا، أوْ عَوَارِضُ تُوجِبُ نقْصَهَا.

والتوكُّلُ ينقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

الأوَّلُ: توكُّلُ عبادةٍ وخضوعٍ، وهوَ: الاعتمادُ المُطْلَقُ على مَنْ تَوَكَّلُ عليه، بحيثُ يعْتَقِدُ أنَّ بيَدِه جلبَ النفعِ ودفعَ الضَّرِّ، فيعتمدُ عليه اعتمادًا كاملاً معَ شُعُورِه بافتقارِه إليه، فهذا يجبُ إخلاصُهُ للهِ تعالى، ومَنْ صرَفَهُ لغيرِ اللهِ فهوَ مشركٌ شركًا أكبرَ، كالَّذينَ يعتمدونَ على الصالحينَ من الأمواتِ والغائبينَ، وهذا لا يكونُ إلاَّ ممَّنْ يعتقدُ أنَّ



لهؤلاءِ تصرُّفًا خَفيًّا في الكونِ، فيعتمدُ عليهم في جلْبِ المنافعِ ودفْعِ المضارِّ.

الثاني: الاعتمادُ على شخصٍ في رزْقِه ومعاشِه وغيرِ ذلكَ، وهذا مِن الشركِ الأصغرِ.

وقالَ بعضُهم: مِن الشركِ الخَفيِّ، مثلُ: (اعتمادِ كثيرٍ مِن الناسِ على وظيفَتِه في حصولِ رزقِه) ولهذا تجدُ الإنسانَ يشْعُرُ مِنْ نفسِه أنَّهُ مُعْتَمِدٌ على هذا اعتمادَ افتقارٍ، فَتَجِدُ في نفسِه من المُحَابَاة لِمَنْ يكونُ هذا الرزقُ عندَهُ ما هوَ ظاهرٌ، فهوَ لمْ يعْتَقِدْ أنَّهُ مُجَرَّدُ سببٍ، بلْ جعلَهُ فوقَ السببِ.

الثالثُ: أنْ يعتمدَ على شخصٍ فيما فوَّضَ إليه التصرُّفَ فيه، كما لوْ وَكَّلْتَ شخصًا في بيعِ شيءٍ أوْ شرائِهِ، وهذا لا شيءَ فيه؛ لأنَّهُ اعتمدَ عليه وهوَ يَشْعُرُ أنَّ المنزلةَ العُلْيا لهُ فَوْقَهُ؛ لأنَّهُ جعلَهُ نائبًا عنْهُ.

وقدْ وَكَّلَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ **عَلِيَّ بنَ أبي طالبٍ** أنْ يذْبَحَ ما بقيَ منْ هَدْيِه، ووكَّلَ **أبا هُرَيْرَةَ** على الصدقةِ، ووكَّلَ **عُرْوَةَ بنَ الجَعْدِ** أنْ يشتريَ لهُ أُضْحيَةً.

وهذا بخلافِ القسمِ الثاني؛ لأنَّهُ يُشْعِرُ بالحاجةِ إلى ذلكَ، ويَرَى اعتمادَهُ على المُتَوَكَّلِ عليه اعتمادَ افتقارٍ.

وممَّا سبقَ يتبيَّنُ أنَّ التوكُّلَ منْ أعلى المقاماتِ، وأنَّهُ يَجِبُ على الإنسانِ أنْ يكونَ مُصْطَحِبًا لهُ في جميعِ شُئُونِه.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: **(ولا يكونُ للمُعَطِّلَةِ أنْ يتوكَّلُوا على اللهِ، ولا للمعتزِلَةِ القدرِيَّةِ؛ لأنَّ المعطِّلَةَ يعتقِدونَ انتفاءَ الصفاتِ عن اللهِ تعالى، والإنسانُ لا يعتمدُ إلاَّ على مَنْ كانَ كاملَ الصفاتِ المُستَحقَّةِ؛ لأنَّهُ يعتمدُ عليه، وكذلكَ القدرِيَّةُ؛ لأنَّهم يقولونَ: إنَّ العَبْدَ مُستَقِلٌّ بعملِه، واللهُ ليسَ لهُ تصرُّفٌ في أعمالِ العبادِ)**.

ومنْ ثَمَّ نَعْرِفُ أنَّ طريقَ السلفِ هوَ خيرُ الطُّرُقِ، وبه تجْتَمِعُ جميعُ العباداتِ، وتَتِمُّ بهِ جميعُ أحوالِ العابدينَ.

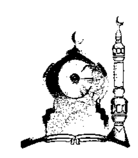
قولُهُ تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا}، {على اللهِ} مُتَعلِّقةٌ بقولِه: {فَتَوَكَّلُوا}، وتقديمُ المعمولِ يدُلُّ على الحَصْرِ؛ أيْ: على اللهِ لا على غيرِه.

{فَتَوَكَّلُوا} أي: اعتَمِدُوا، والفاءُ لتحسينِ اللفظِ، ولَيْسَتْ عاطفةً؛ لأنَّ في الجملةِ حرفَ عطفٍ وهُوَ الواوُ، ولا يُمكنُ أنْ نعطفَ الجملةَ بعاطفَيْنِ؛ فتكونُ لتحسينِ اللفظِ، كقولِه تعالى: {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ} والتقديرُ: (بل اللهَ اعْبُدْ).

قولُهُ: {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، {إِنْ} شرطيَّةٌ، وفعلُ الشرطِ {كُنْتُمْ} وجوابُهُ قيلَ: إنَّهُ محذوفٌ دَلَّ عليه ما قبلَهُ،

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٣٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠






وتقديرُ الكلام: إنْ كُنتُمْ مؤمنينَ فتوكَّلُوا.

وقيلَ: إنَّهُ في مثلِ هذا التركيب لا يحتاجُ إلى جوابٍ اكتفاءً بما سبقَ، فيكونُ ما سبقَ كأنَّهُ فعلٌ مُعلَّقٌ بهذا الشَّيْءِ، وهذا أرْجَحُ؛ لأنَّ الأصلَ عدمُ الحذفِ.

وقولُ أصحابِ **موسَى** في هذهِ الآيةِ يُفيدُ أنَّ التَّوكُّلَ من الإيمانِ ومنْ مُقْتَضَيَاتِه، كما لوْ قُلْتَ: إنْ كُنْتَ كَرِيمًا فأَكْرِمِ الضيفَ، فيقتضي أنَّ إكرامَ الضيفِ من الكرمِ.

وهذهِ الآيَةُ تقتضي انْتِفَاءَ كمالِ الإيمانِ بانتفاءِ التوكُّلِ على اللهِ، إلاَّ إنْ حصلَ اعتمادٌ كُلِّيٌّ على غيرِ اللهِ فهوَ شِرْكٌ أكبرُ، فينتفي بهِ الإيمانُ كُلُّهُ.

(١٥) قولُهُ تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ}**، **{إنَّما}**: أداةُ حصرٍ، **والحصرُ** هوَ: إثباتُ الحُكْمِ في المذكورِ، ونفيُهُ عمَّا عدَاهُ، **والمعنى**: ما المؤمنونَ إلاَّ هؤلاءِ.

وذكرَ اللهُ في هذهِ الآيَةِ وما بعدَها خمسةَ أوْصَافٍ:

أحدُها: قولُهُ: **{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}**؛ أيْ: خَافَتْ لمَا فيها منْ تعظيمِ اللهِ تعالى، مثالُ ذلكَ: (رَجُلٌ هَمَّ بمعصيَةٍ فذَكَرَ اللهَ، أوْ ذُكِّرَ به، وقيلَ لهُ: اتَّقِ اللهَ) فإنْ كانَ مؤمنًا فإنَّهُ سيَخَافُ، وهذا هوَ علامةُ الإيمانِ.

الوصفُ الثاني: قولُهُ: **{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا}**؛ أيْ: تصديقًا وامتثالاً.

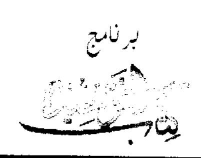
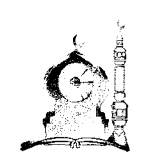
وفي هذا دليلٌ على أنَّ الإنسانَ قدْ ينتفعُ بقراءةِ غيرِهِ أكثرَ ممَّا ينتفعُ بقراءةِ نفسِه، كمَا أمرَ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ **عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ** أنْ يقْرَأَ عليهِ، فقالَ: **كيفَ أقرأُ عليكَ وعليكَ أُنزلَ؟**

فقالَ: «**إنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ منْ غيْرِي**» فقرأَ عليهِ منْ سورةِ النساءِ حتَّى بلغَ قولَهُ تعالى: **{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا}**، قالَ: «حَسْبُكَ» فَنَظَرْتُ فإذا عيْنَاهُ تَذْرِفَانِ.

الوصفُ الثالثُ: قولُهُ: **{وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}** أيْ: يعتمدونَ على اللهِ لا على غيرِه، وهمْ معَ ذلكَ يعملونَ الأسبابَ، وهذا هوَ الشاهدُ.

الوصفُ الرابعُ: قولُهُ: **{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}** أيْ: يأْتُونَ بها مستقيمةً كاملةً، **والصلاةُ**: اسمُ جنسٍ تشمَلُ الفرائضَ والنوافلَ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠


الوصفُ الخامسُ: قولُهُ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (مِنْ) إما أن تكون للتبعيضِ؛ فيكونُ اللهُ يمْدَحُ مَنْ أنْفَقَ بعضَ ماله لا كُلَّهُ. أوْ تكونُ للجنسِ؛ فيشملُ الثناءَ على مَنْ أنفَقَ البعضَ ومَنْ أنفقَ الكلَّ.

والصوابُ، أنَّها لبيانِ الجنسِ، وأنَّ مَنْ أنفقَ الكلَّ يدخلُ في الثناءِ إذا توَكَّلَ على اللهِ في أنْ يرْزُقَهُ وأهلَهُ كما فعلَهُ أبو بكرٍ.

أمَّا إنْ كانَ أهلُهُ في حاجةٍ، أوْ كانَ المُنْفَقُ عليه ليسَ بحاجةٍ ماسَّةٍ تستلزمُ إنفاقَ المالِ كُلِّهِ، فلا ينبغي أنْ يُنْفِقَ مالَهُ كلَّهُ.

(١٦) الآيَةُ الثالثةُ: قولُهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾المرادُ به الرسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، يُخَاطِبُ اللهُ رسولَهُ بوصفِ النبوَّةِ أحيانًا، وبوصفِ الرسالةِ أحيانًا، فحينَما يأمرُهُ أنْ يُبَلِّغَ يُنَاديهِ بوصفِ الرسالةِ، وأمَّا في الأحكامِ الخاصَّةِ فالغالبُ أنْ يُنَاديَهُ بوصفِ النبوَّةِ، قالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾.

– وقالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾، و﴿النبيُّ﴾ فعيلٌ بمعنى مُفْعَلٍ مُفعِلٍ؛ أيْ: مُنْبَأٍ، ومُنْبِئٍ، والرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُنبَأٌ منْ قِبَلِ اللهِ، ومُنْبِئٌ لعبادِ اللهِ.

قولُهُ: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ أيْ: كَافِيكَ، والحَسْبُ الكافي، ومنهُ قولُهُ: أُعْطِي دِرْهَمًا فحَسْبُ، و(حَسْبُ) خبرٌ مُقَدَّمٌ، ولفظُ الجلالةِ: مبتدأٌ مؤخَّرٌ.

والمعنى: **ما اللهُ إلاَّ حَسْبُكَ**، ويجوزُ العكسُ، ويكونُ المعنى: ما حَسْبُكَ إلاَّ اللهُ. وهذا أرجحُ.

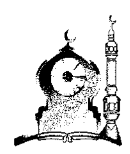
قال شيخ الإسلام في (الفتاوى) (١٠/١٥٤): (**وأما العبادة وما يناسبها من التوكل والخوف ونحو ذلك فلا يكون إلا لله وحده**) .

ثم قال: (**وأما الحسب وهو الكافي فهو لله وحده كما قال تعالى:** ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ **ومن ظن أن المعنى: حسبك الله والمؤمنون معه؛ فقد غلط غلطاً فاحشاً**)

وقد بسط تلميذه ابن القيم في الكلام على قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله....﴾ الآية، وبين الغلط فيمن

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







جعل الواو عاطفة، وبين الصواب في ذلك في طليعة زاد المعاد (١/٣٥-٣٦).

قولُهُ: {وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}، {مَنْ}: اسمٌ موصولٌ مَبْنِيَّةٌ على السكونِ، وفي عطفِها رَأْيانِ لأهلِ العلمِ.

قيلَ: حَسْبُكَ اللهُ، وحَسْبُكَ مَن اتَّبَعَكَ من المؤمنينَ، و{مَنْ} معطوفةٌ على اللهِ؛ لأنَّهُ أقْرَبُ، ولوْ كانَ العطفُ على الكافِ في {حَسْبُكَ} لوجبَ إعادةُ الجارِّ، وهذا كقولِهِ تعالى: {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ}، فاللهُ أيَّدَ رسولَهُ بالمؤمنينَ، فيكونونَ حَسْبًا لهُ هنا، كما كانَ اللهُ حَسْبًا لَهُ، وهذا ضعيفٌ، **والجوابُ عنهُ منْ وُجوه:**

أوَّلاً: قوْلُهُم: عُطِفَ عليه لكونِهِ أقربَ إليه، ليسَ بصحيحٍ؛ فقدْ يكونُ العطفُ على شيءٍ سابقٍ، حتَّى إنَّ النحْوِيِّينَ قالُوا: إذا تَعَدَّدَت المعطوفاتُ يكونُ العطفُ على الأوَّلِ.

ثانيًا: قولُهُم: لوْ عُطِفَ على الكافِ لوَجَبَ إعادةُ الجارِّ، والصحيحُ أنَّهُ ليسَ بلازمٍ، قال **ابنُ مالك:**

وليسَ عندي لازمًا إذْ قدْ أتى   في النظمِ والنثرِ الصحيحِ مُثْبَتَا

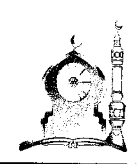
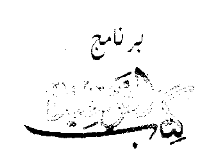
ثالثًا: استدْلالُهُم بقولِهِ تعالى: {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} فالتَّأْييدُ لَهُمْ غيرُ كونِهم حَسْبَهُ؛ لأنَّ معنى كونِهم حسْبَهُ أنْ يعتمدَ عليهِمْ، ومعنى كونِهم يُؤَيِّدُونَهُ أيْ ينْصُرُونَهُ معَ استقلالِه بنفسِه، وبينهما فَرْقٌ.

رابعًا: أنَّ اللهَ سبحانَهُ حينما يَذْكُرُ الحسْبَ يُخَلِّصُهُ لنفسِه، قالَ تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ}، ففرَّقَ بينَ الحَسْبِ والإيتاءِ.

وقالَ تعالى: {قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ}، فكما أنَّ التوكُّلَ على غيرِ اللهِ لا يجوزُ، فكذلكَ الحسْبُ، لا يُمْكِنُ أنْ يكونَ غيرُ اللهِ حَسْبًا، فلوْ كانَ لجازَ التوكُّلُ عليه، ولكنَّ الحسْبَ هوَ اللهُ، وهوَ الذي عليهِ يتوكَّلُ المتوكِّلونَ.

خامسًا: أنَّ في **قولِهِ:** {وَمَنِ اتَّبَعَكَ}، ما يمنعُ أنْ يكونَ الصحابةُ حَسْبًا للرَّسُولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؛ وذلكَ لأنَّهُم تابعُونَ، فكيفَ يكونُ التابعُ حَسْبًا للمتبوعِ؟ هذا لا يستقيمُ أبدًا.

فالصوابُ أنَّهُ معطوفٌ على الكافِ في قولِهِ: {حَسْبُكَ} أيْ: وحَسْبُ مَن اتَّبَعَكَ من المؤمنينَ، فتوكَّلوا عليهِ جميعًا أنْتَ ومَن اتَّبَعَكَ.

(١٧) قولُهُ تعالى: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}، جملةٌ شرطيَّةٌ تُفيدُ بمَنْطُوقِهَا: أنَّ مَنْ يتوكَّلْ على اللهِ فإنَّ اللهَ يكْفيه مُهمَّاته، ويُيسِّرُ لهُ أمْرَهُ، فاللهُ حسْبُهُ، ولوْ حصلَ لهُ بعضُ الأذيَّة فإنَّ اللهَ يكْفيهِ الأذى، والرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سيِّدُ المتوكِّلينَ، ومعَ ذلكَ يُصيبُهُ الأذى، ولا تحصُلُ لهُ المضَرَّةُ؛ لأنَّ اللهَ حسْبُهُ، فالنتيجةُ لمَن اعتمدَ على اللهِ أنْ يكْفيَهُ ربُّهُ المئونَةَ.

والآيةُ تُفيدُ بمفهومِهَا: أنَّ مَنْ توكَّلَ على غيرِ اللهِ خُذلَ؛ لأنَّ غيرَ اللهِ لا يكونُ حَسْبًا كما تقدَّم، فمَنْ توكَّلَ على غيرِ اللهِ تخلَّى اللهُ عنهُ، وصارَ مَوْكُولاً إلى هذا الشيءِ، ولَمْ يَحْصُلْ لهُ مقصودُهُ، وابتعدَ عن اللهِ بمقدارِ توَكُّلِه على غيرِ اللهِ.

(١٨) قولُهُ في أثرِ ابنِ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنْهُما: _(قالَها مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عَلَيْه وسلَّمَ حينَ قَالُوا لَهُ: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ}) وهذا في نصِّ القرآنِ، لَمَّا انصرفَ أبو سفيانَ منْ أُحُدٍ أرادَ أنْ يَرْجعَ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ وأصحابِه؛ ليَقْضيَ عليْهِم بزعْمِه، فلَقيَ رَكْبًا فقالَ لَهُم: إلى أينَ تذهبونَ؟

قالُوا: نَذْهَبُ إلى المدينة، فقالَ: بَلِّغُوا مُحَمَّدًا وأصحابَهُ أنَّا راجعونَ إليْهِم فقاضُونَ عليهِمْ، فجاءَ الركبُ إلى المدينة فَبَلَّغُوهمْ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ومَنْ مَعَهُ: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، وخرَجُوا في نحوِ سبعينَ راكبًا، حتَّى بلغُوا حَمْرَاءَ الأَسَدِ.

ثُمَّ إنَّ أبا سفيانَ تَرَاجَعَ عنْ رأْيِه وانصرفَ إلى مَكَّةَ، وهذا منْ كفايَةِ اللهِ لرسولِهِ وللمؤمنينَ، حيثُ اعتمدُوا عليهِ تعالى.

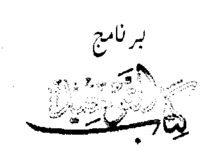
قولُهُ: {قَالَ لَهُمُ النَّاسُ} أي: الرَّكْبُ.

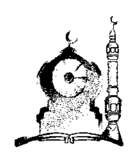
قولُهُ: {إِنَّ النَّاسَ} أيْ: أبا سفيانَ ومَنْ مَعَهُ، وكلمةُ {النَّاس} هنا يُمَثِّلُ بها الأُصوليُّونَ للعامِّ الذي أُريدَ بهِ الخصوصُ.

قولُهُ: {حَسْبُنَا} أيْ: كَافِينَا، وهيَ مبتدأٌ، ولفظُ الجلالةِ خبرُهُ.

قولُهُ: {نِعْمَ الْوَكِيلُ}، {نِعْمَ} فعلٌ ماضٍ، {الوكيلُ} فاعلٌ، والمخصوصُ محذوفٌ تقديرُهُ: هوَ؛ أي: اللهُ، والوكيلُ هو: المُعْتَمَدُ عليه، واللهُ سبحانَهُ يُطلَقُ عليه اسمُ وكيلٍ، وهوَ أيضًا مُوَكِّلٌ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







والوكيلُ في مثلِ قولِه تعالى: {نِعْمَ الْوَكِيلُ} وقولِه تعالى: {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}.

وأمَّا المُوكَّلُ ففي مثلِ قولِه تعالى: {فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ}.

وليسَ المرادُ بالتوكيلِ هنا: إنابةَ الغَيْرِ فيما يحتاجُ إلى الاستنابَةِ فيه؛ فليسَ توكيلُهُ سبحانَهُ مِنْ حاجةٍ لَهُ، بل المرادُ بالتوكيلِ: الاستخلافُ في الأرضِ؛ لِيَنْظُرَ كيفَ يعملونَ.

وقولُ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما: (إنَّ إبْرَاهيمَ قَالَهَا حينَ أُلقيَ في النَّار) قولٌ لا مجالَ للرأيِ فيه، فيكونُ لهُ حُكْمُ الرَّفْعِ، وابنُ عبَّاسٍ مِمَّنْ يَرْوي عنْ بني إسرائيلَ، فَيُحتَمَلُ أَخْذُهُ منهمْ، ولكنْ جَزْمُهُ بهذا، وقَرْنُهُ لِمَا قالَهُ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِمَّا يُبْعِدُ أنْ يكونَ أَخَذَهُ منْ بني إسرائيلَ.

والشاهدُ من الآيَةِ: قولُهُ تعالى: {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} حيثُ جَعَلُوا حَسْبَهُم اللهَ وحْدَهُ.

تنبيهٌ:

قوْلُنَا: (وَابْنُ عبَّاسٍ مِمَّنْ يرْوِي عنْ بني إسرائيلَ) قولٌ مشهورٌ عندَ علماءِ المُصْطَلَحِ.

لكنْ فيه نظرٌ؛ فإنَّ ابنَ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُما مِمَّنْ يُنْكِرُ الأخذَ عنْ بني إسرائيلَ، ففي (صحيحِ البخاريِّ) (٥/ ٢٩١ - فتح) أَنَّهُ قالَ: (يا معشرَ المسلمينَ.

كيفَ تسألونَ أهلَ الكتابِ وكتابُكم الذي أُنزِلَ على نبيِّه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أحدثُ الأخبارِ باللهِ؛ تقرءُونَهُ لمْ يُشَبْ، وقدْ حدَّثَكُم اللهُ أنَّ أهلَ الكتابِ بدَّلُوا ما كتبَ اللهُ وغيَّرُوا بأيديهم الكتابَ.

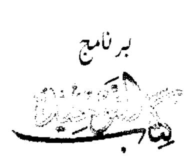
فقالُوا: هذا منْ عندِ اللهِ ليَشْتَرُوا به ثمنًا قليلاً، أفلا ينْهَاكُم ما جاءَكُم من العلمِ عنْ مُسَاءَلَتِهِم؟ !

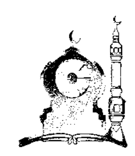
ولا واللهِ ما رأَيْنا منهمْ رجُلاً يسْأَلُكم عن الذي أُنزِلَ عليْكُم).

(١٩) **فيهِ مَسائِلُ:**

الأولى: (أنَّ التوكُّلَ من الفرائضِ) ووَجْهُهُ: أنَّ اللهَ علَّقَ الإيمانَ بالتوكُّلِ في قولِه تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} وسبقَ تفسيرُهَا.

(٢٠) **الثانيةُ**: (**أَنَّهُ مِنْ شُروطِ الإيمانِ**) تُؤخَذُ منْ قولِهِ تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}وسبقَ تفسيرُهَا.

(٢١) **الثالثةُ**: (**تفسيرُ آيَةِ الأنفالِ**) وهيَ قولُهُ تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...} الآيَةَ، والمرادُ بالإيمانِ هنا: الإيمانُ الكاملُ، وإلاَّ فالإنسانُ يكونُ مؤمنًا وإنْ لمْ يتَّصِفْ بهذهِ الصفاتِ، لكنْ مَعَهُ مُطْلَقُ الإيمانِ. وقدْ سبقَ تفسيرُ ذلكَ.

(٢٢) **الرابعةُ**: (**تفسيرُ الآيَةِ في آخرِهَا**) في آخرِ الأنفالِ، وهيَ قولُهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} أيْ: حسْبُكَ وحسْبُ مَن اتَّبعَكَ من المؤمنينَ.

وهذا هوَ الراجحُ على ما سَبَقَ.

(٢٣) **الخامسةُ**: (**تفسيرُ آيَةِ الطلاقِ**) وهيَ قولُهُ تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} وقدْ سبقَ تفسيرُها.

(٢٤) **السادسةُ**: (**عِظَمُ شأنِ هذهِ الكلمةِ، وأَنَّها قولُ إبْراهيمَ عَلَيهِ الصلاةُ والسَّلامُ، ومُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ في الشَّدائدِ**) يعني قوْلَهُ: {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}.

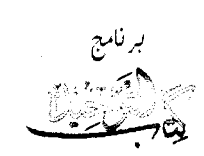
وفي البابِ مسائلُ غيرُ ما ذكرَهُ المؤلِّفُ.

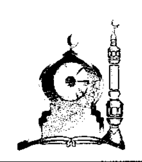
منها: زيادةُ الإيمانِ؛ لقولِهِ تعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا}.

ومنها: أَنَّهُ عندَ الشدائدِ ينبغي للإنسانِ أنْ يعتمدَ على اللهِ مَعَ فِعْلِ الأسبابِ؛ لأنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابَهُ قالُوا ذلكَ عندَما قيلَ لَهُمْ: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} ولكنَّهُمْ فوَّضُوا الأمرَ إلى اللهِ وقالُوا: {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}.

ومنها: أنَّ اتِّبَاعَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ معَ الإيمانِ سببٌ لكفايَةِ اللهِ العبدَ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠






تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الثاني والثلاثون

(١) هذا البابُ يشتملُ على موضوعيْن:

الأوّلُ: الأمنُ منْ مكْرِ الله.

والثاني: القُنوطُ منْ رحمةِ الله، وكلاهُما طرَفا نقيضٍ.

واستدلَّ المُؤلِّفُ للأوَّلِ بقوْلِهِ تعالى: {أَفَأَمِنُوا} الضميرُ يعودُ على أهلِ القُرى؛ لأنَّ ما قبلَها قولُهُ تعالى: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} فقولُهُ: {وَهُمْ نَائِمُونَ} يدلُّ على كمالِ الأمنِ؛ لأنَّهُمْ في بلادهِمْ، وأنَّ الخائفَ لا ينامُ.

وقولُهُ: {ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ} يدلُّ أيضًا على كمالِ الأمنِ والرخاءِ وعدمِ الضيقِ؛ لأنَّهُ لوْ كانَ عندَهُم ضيقٌ في العيشِ لذَهَبُوا يطلبونَ الرزقَ والعيشَ، وما صارُوا في الضُّحَى، في رابعة النهارِ، يلْعَبُونَ.

والاستفهاماتُ هنا كلُّها للإنكارِ والتعجُّبِ منْ حالِ هؤلاءِ، فهُمْ نائمونَ في رَغَدٍ، ومُقيمونَ على معاصي الله وعلى اللهْوِ، ذَاكِرُونَ لِترَفِهِمْ، غافلونَ عنْ ذِكْرِ خالقِهِم، فهُمْ في الليلِ نُوَّمٌ، وفي النهارِ لُعَّبٌ.

فبَيَّنَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّ هذا منْ مَكْرِهِ بِهِمْ؛ ولهذا قالَ: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ} ثمَّ ختَمَ الآيَةَ بقولِهِ: {فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}.

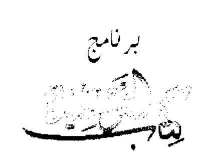
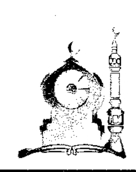
فالَّذي يَمُنُّ اللهُ عليه بالنِّعَمِ والرَّغَدِ والتَّرَفِ، وهوَ مقيمٌ على معصيته يَظُنُّ أنهُ رابحٌ وهوَ في الحقيقة خاسرٌ.

فإذا أنعمَ اللهُ عليكَ منْ كلِّ ناحيَةٍ؛ أطعمَكَ مِنْ جوعٍ، وآمنَكَ منْ خوفٍ، وكساكَ منْ عُرْيٍ، فلا تظُنَّ أنَّكَ رابحٌ وأنتَ مقيمٌ على معصيةِ الله، بلْ أنتَ خاسرٌ؛ فإنَّ هذا منْ مكرِ الله بكَ.

قولُهُ: {إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} الاستثناءُ للحصرِ؛ وذلكَ لأنَّ ما قَبْلَهُ مُفَرَّغٌ لَهُ، فالقومُ: فاعلٌ، والخاسرونَ: صِفَتُهُمْ.

وفي قولِهِ تعالى: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ} دليلٌ على أنَّ لله مكرًا.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

والمكرُ هوَ: التوصُّلُ إلى الإيقاعِ بالخصمِ مِنْ حيثُ لا يَشْعُرُ، ومنهُ ما جاءَ في الحديثِ: «**الحَرْبُ خَدْعَةٌ**».

فإنْ **قيلَ**: كيفَ يُوصَفُ اللهُ بالمكرِ معَ أنَّ ظاهرَهُ مذمومٌ؟

قيلَ: إنَّ المكرَ في مَحَلِّه محمودٌ يدلُّ على قُوَّةِ الماكرِ، وأنَّهُ غالبٌ على خَصْمِه؛ ولذلكَ لا يُوصَفُ اللهُ به على الإطلاقِ، فلا يَجُوزُ أنْ تقولَ: إنَّ اللهَ مَاكِرٌ، وإنَّما تذْكُرُ هذه الصفةَ في مَقَامٍ تكونُ فيه مدْحًا، مثلِ قولِه تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾.

– وقالَ تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

ومثلِ قولِه تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ ولا تُنْفَى عنهُ هذه الصفةُ على سبيلِ الإطلاقِ، بلْ إنَّها في المَقَامِ التي تكونُ مدْحًا يُوصَفُ بها، وفي المَقَامِ التي لا تكونُ مدحًا لا يُوصَفُ بها، وكذلكَ لا يُسَمَّى اللهُ بها، فلا يُقالُ: إنَّ مِنْ أسماءِ اللهِ الماكرَ.

وأمَّا الخِيَانَةُ: فلا يُوصَفُ اللهُ بها مُطْلَقًا؛ لأنَّها ذمٌّ بكلِّ حالٍ؛ إذْ إنَّها مَكْرٌ في موضعِ الائْتِمَانِ، وهوَ مذمومٌ، قالَ تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ ولَمْ يقُلْ فَخَانَهُم.

وأمَّا الخِدَاعُ: فهوَ كالمَكْرِ يُوصَفُ اللهُ به حيثُ يكونُ مدْحًا؛ لقولِه تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ والمكرُ من الصفاتِ الفعليَّةِ؛ لأنَّها تتعلَّقُ بمشيئةِ اللهِ سبحانَهُ.

ويُستفادُ منْ هذه الآيةِ فائدتان عظيمتان:

الأولى: الحَذَرُ من النِّعَمِ التي يَجْلُبُها اللهُ للعبدِ؛ لِئَلاَّ تكونَ استدْرَاجًا؛ لأنَّ كلَّ نعمةٍ فَلِلَّه عليكَ وظيفةُ شُكْرِهَا، وهيَ القيامُ بطاعةِ المُنْعِمِ، فإذا لَمْ تَقُمْ بها معَ تَوَافُرِ النِّعَمِ فاعْلَمْ أنَّ هذا مِنْ مَكْرِ اللهِ.

الثانية: تحريمُ الأمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وذلكَ لوَجْهَيْنِ:

الأوَّلُ: أنَّ الجملةَ بصيغةِ الاستفهامِ الدَّالِّ على الإنكارِ والتعجُّبِ.

الثاني: قولُهُ تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

(٢) **الموضوعُ الثاني**: الذي اشتملَ عليه هذا البابُ: **القُنُوطُ منْ رحمةِ اللهِ**، واستدلَّ المُؤَلِّفُ لهُ بقولِه تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ﴾.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠ E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com

قوله: {مَنْ} اسمُ استفهامٍ؛ لأنَّ الفعلَ بعدَها مرفوعٌ، ثمَّ إنَّها لمْ يكُنْ لها جوابٌ.

والقُنوطُ: أَشَدُّ اليأسِ؛ لأنَّ الإنسانَ يَقْنَطُ ويُبْعِدُ الرجاءَ والأملَ بحيثُ يستَبْعِدُ حُصُولَ مطلوبِه، أوْ كَشْفَ مكروبِه.

قولُهُ: {مِن رَحْمَةِ رَبِّهِ} هذه رحمةٌ مضافةٌ إلى الفاعلِ، ومفعولُها محذوفٌ، والتقديرُ: (منْ رحمةِ ربِّه إيَّاهُ).

قولُهُ: {إِلاَّ الضَّآلُّونَ}، {إِلاَّ} أداةُ حَصْرٍ؛ لأنَّ الاستفهامَ في قولِهِ: {وَمَن يَقْنَطُ} مُرادٌ بهِ النفي، و{الضَّآلُّونَ} فاعلُ {يَقْنَطُ} والمعنى: لا يَقْنَطُ منْ رحمةِ اللهِ إلاَّ الضَّالُّونَ.

والضَّالُّ: هو فاقدُ الهدايَةِ التَّائهُ الذي لا يدري ما يجبُ للهِ سبحانَهُ معَ أنَّهُ سُبْحَانَهُ قريبُ الغِيَرِ.

وأمَّا معنى الآيَةِ: فإنَّ إبراهيمَ عليهِ السلامُ لَمَّا بشَّرَتْهُ الملائكةُ بغُلامٍ عليمٍ، قالَ لهُم: {أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ} فالقُنوطُ منْ رحمةِ اللهِ لا يجُوزُ؛ لأنَّهُ سُوءُ ظَنٍّ باللهِ عزَّ وجلَّ، **وذلكَ منْ وجهَيْنِ**:

الأوَّلُ: أنَّهُ طَعْنٌ في قُدْرَتِه سبحانَهُ؛ لأنَّ مَنْ عَلِمَ أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ لمْ يَستَبْعِدْ شيئًا على قُدْرَةِ اللهِ.

الثاني: أنَّهُ طَعْنٌ في رَحْمَتِه سبحانَهُ؛ لأنَّ مَنْ عَلِمَ أنَّ اللهَ رحيمٌ لا يَستَبْعِدُ أنْ يَرْحَمَهُ اللهُ سبحانَهُ؛ ولهذا كانَ القانطُ منْ رحمةِ اللهِ ضَالاًّ.

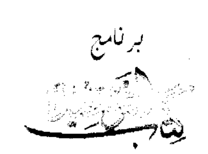
ولا ينبغي للإنسانِ إذا وقعَ في كُرْبَةٍ أنْ يستَبْعِدَ حصولَ مطلوبِهِ، أوْ كَشْفَ مكروبِهِ، وكَمْ مِنْ إنسانٍ وقعَ في كُرْبَةٍ وظنَّ أنْ لا نجاةَ منها فَنَجَّاهُ اللهُ سبحانَهُ.

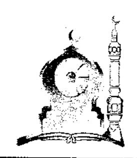
- إمَّا: بعملٍ صالحٍ سابقٍ، مِثْلَمَا وقعَ لِيُونُسَ عليهِ السلامُ، قالَ تعالى: {فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}.

- أوْ بعملٍ لاحقٍ، وذلكَ كدُعاءِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يومَ بَدْرٍ وليلةَ الأحزابِ، وكذلكَ أصحابُ الغَارِ.

وتبيَّنَ مِمَّا سبقَ أنَّ المؤلِّفَ رَحِمَهُ اللهُ أرادَ أنْ يجمعَ الإنسانُ في سَيْرِهِ إلى اللهِ تعالى بينَ الخوفِ فلا يَأْمَنُ مكرَ اللهِ، وبينَ الرجاءِ فلا يَقْنَطُ منْ رحمتِه.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com





فالأمنُ مِنْ مكرِ اللهِ ثَلْمٌ في جانبِ الخوفِ، والقُنُوطُ مِنْ رحمتِهِ ثَلْمٌ في جانبِ الرجاءِ.

قال في (تيسير العزيز الحميد) ص٥١٤: (**وكان السلف يستحبون أن يقوي في الصحة الخوف، وفي المرض الرجاء، وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا كان الغالب عليه الرجاء فسد**) .

(٣) قولُهُ في حديثِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: «**أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سُئِلَ عن الكبائرِ**» جمعُ كبيرةٍ، والمرادُ بها: كبائرُ الذنوبِ، وهذا السؤالُ يدلُّ على أنَّ الذنوبَ تنقَسِمُ إلى: **صغائرَ**، و**كبائرَ**، وقدْ دَلَّ على ذلكَ القرآنُ، قالَ تعالى: **{إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}**.

- وقالَ تعالى: **{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ}** والكبائرُ ليْسَتْ على درجةٍ واحدةٍ، فبعضُها أكبرُ مِنْ بعضٍ.

واختلفَ العلماءُ هلْ هيَ معدودةٌ أوْ محدودةٌ؟

فقالَ بعضُ أهلِ العلمِ: **إنَّها معدودةٌ**، وصارَ يُعَدِّدُها ويَتَتَبَّعُ النصوصَ الواردةَ في ذلكَ.

وقيلَ: إنَّها محدودةٌ، وقدْ حدَّها شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فقالَ: (**كُلُّ ما رُتِّبَ عليهِ عقوبةٌ خاصَّةٌ، سواءٌ كانتْ في الدُّنيا أو الآخرَةِ، وسواءٌ كانتْ بفوَاتِ مجلوبٍ، أوْ بحُصُولِ مكروهٍ**) وهذا واسعٌ جدًّا يشملُ ذنوبًا كثيرةً.

ووَجْهُ ما قالَهُ: أنَّ **المعاصيَ قسمانِ**:

- **قسمٌ نُهِيَ عنْهُ فقطْ**: ولَمْ يُذْكَرْ عليهِ وعيدٌ، فعقوبةُ هذا تأتي بالمعنى العامِّ للعقوباتِ.

وهذهِ المعصيَةُ مُكَفَّرَةٌ بفعلِ الطاعاتِ، كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ**».

وكذلكَ ما وَرَدَ في العُمْرَةِ إلى العُمرةِ والوُضوءِ منْ تكفيرِ الخطايا، فهذهِ من الصغائرِ.

- وقسْمٌ رُتِّبَ عليهِ عقوبةٌ خاصَّةٌ:

- كاللَّعْنِ.

- أو الْغَضَبِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

- أو التبرُّئ منْ فاعله.

- أو الحدّ في الدُّنيا.

- أوْ نَفْي الإيمان.

- وما أشبَهَ ذلكَ، فهذه كبيرةٌ تختلفُ في مراتبِها.

والسائلُ في هذا الحديث إنَّما قَصْدُهُ معرفةُ الكبائرِ ليَجتنبَهَا، خلافًا لحالِ كثيرٍ من الناسِ اليومَ؛ حيثُ يَسْأَلُ لِيَعْلَمَ فقطْ؛ ولذلكَ نَقَصَتْ بَرَكَةُ علْمِهِمْ.

قولُهُ: «**الشِّرْكُ باللهِ**» ظاهرُ الإطْلاقِ أنَّ المرادَ به الشِّرْكُ الأصغرُ والأكبرُ، وهوَ الظاهرُ؛ لأنَّ الشركَ الأصغرَ أكبرُ من الكبائرِ.

قالَ ابنُ مسعودٍ: (**أَنْ أَحْلِفَ باللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا**) وذلكَ لأنَّ سَيِّئَةَ الشركِ أعظمُ مِنْ سَيِّئَةِ الكَذِبِ، فدلَّ على أنَّ الشِّرْكَ من الكبائرِ مُطْلَقًا.

والشركُ باللهِ يتضَمَّنُ الشركَ برُبُوبيَّته، أوْ بأُلُوهيَّته، أوْ بأسمائه وصفاته.

قولُهُ: «**وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ**» اليَأْسُ: فَقْدُ الرجاءِ، والرَّوْحُ: قَرِيبٌ مِنْ معنى الرحمةِ، وهوَ الفَرَجُ والتنفيسُ، واليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ مِنْ كبائرِ الذنوبِ؛ لنتائجه السَّيِّئَةِ.

قولُهُ: «**وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ**» بأنْ يعصيَ اللهَ معَ اسْتِدْرَاجِه بالنِّعمِ، قالَ تعالى: **{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}**.

وظاهرُ هذا الحديثِ الحصرُ، وليسَ كذلكَ؛ لأنَّ هناكَ كبائرَ غيرَ هذه، ولكنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُجيبُ كلَّ سائلٍ بما يُنَاسِبُ حالَهُ، فلعلَّهُ رأى هذا السائلَ عندَهُ شيءٌ من الأَمْنِ مِن مَكْرِ اللهِ، أو اليَأْسِ منْ رَوْحِ اللهِ، فأرادَ أن يُبَيِّنَ لَهُ ذلكَ، وهذه مسألةٌ ينبغي أنْ يَفْطِنَ لها الإنسانُ فيما يأتي من النصوصِ الشرعيَّة ممَّا ظاهرُهُ التعارضُ، فيحملُ كلَّ واحدٍ منْها على الحالِ المناسبة؛ ليَحْصُلَ التآلُفُ بينَ النصوصِ الشرعيَّة.

(٤) قولُهُ في أثرِ **ابنِ مسعودٍ**: «**الإِشْرَاكُ باللهِ**» هذا أكبرُ الكبائرِ؛ لأنَّهُ انتهاكٌ لأعظمِ الحقوقِ، وهوَ حقُّ اللهِ تعالى الذي أوْجَدَكَ وأعدَّكَ وأمدَّكَ، فلا أحدَ أكبرُ عليكَ نعمةً من اللهِ تعالى.

قولُهُ: (**وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ**) سبقَ شرْحُهُ.

قولُهُ: (**الْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ**) المرادُ بالقُنُوطِ: أنْ يستبعدَ رحمةَ اللهِ، ويستبعدَ حُصُولَ المطلوبِ.

والمرادُ باليأسِ هنا: أنْ يستبعدَ الإنسانُ زوالَ المكروهِ، وإنَّما قُلْنا ذلكَ لِئلاَّ يَحْصُلَ تكرارٌ في كلامِ **ابنِ مسعودٍ**.

والخُلاصةُ:

أنَّ السائرَ إلى اللهِ يَعْتَرِيهِ شيْئَانِ يَعُوقَانِهِ عنْ رَبِّهِ، وهُما:

- **الأمنُ منْ مكرِ اللهِ.**
- **والقنوطُ منْ رحمةِ اللهِ.**

فإذا أُصيبَ بالضَرَّاءِ، أوْ فاتَ عليهِ ما يُحبُّ، تَجِدُهُ -إنْ لمْ يتدارَكْهُ رَبُّهُ- يسْتَوْلي عليهِ القنوطُ، ويَسْتَبْعِدُ الفرجَ، ولا يسعى لأسبابِهِ. وأمَّا الأمنُ منْ مكرِ اللهِ: فتجدُ الإنسانَ مقيمًا على المعاصي معَ توافرِ النِّعَمِ عليهِ، ويرى أنَّهُ على حَقٍّ، فيستمرُّ في باطلِه، فلا شكَّ أنَّ هذا استدْرَاجٌ.

(٥) فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: (تَفْسيرُ آيَةِ الأعرافِ) وهيَ قولُهُ تعالى: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} وقدْ سبَقَ تفسيرُها.

(٦) الثانيةُ: (تفسيرُ آيَةِ الْحِجْرِ) وهيَ قوْلُهُ تعالى: {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ}، وقدْ سبقَ تفسيرُها.

(٧) الثالثةُ: (شِدَّةُ الوعيدِ فِيمَنْ أَمِنَ مكْرَ اللهِ) وذلكَ بأنَّهُ منْ أكبرِ الكبائرِ، كما في الآيَةِ والحديثِ، وتُؤْخَذُ من الآيَةِ الأولى والحديثَيْنِ.

(٨) الرابعةُ: (شِدَّةُ الوعيدِ في القُنوطِ) قُتلَ صَبْرًا؛ أيْ: محبوسًا مَأْسُورًا.

وفي الاصْطِلاحِ: حبسُ النَّفْسِ على أشياءَ وعنْ أشياءَ.

هكذا قال الشارح -رحمه الله- وفيه نظرة من وجهين:

الأول: جعله ما هو حقيقة شرعاً مواضعة اصطلاحية.

والثاني: أن الصحيح تعريف الصبر شرعاً بأنه حبس النفس على أمل الله واقتصر المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ في هذا البابِ على ذكر الصبرَ على أقدارِ اللهِ؛ لأَنَّهُ مِمَّا يتعلَّقُ بتوحيدِ الرُّبوبيَّةِ؛ فتدبيرَ الخلقِ والتقديرَ عليْهِمْ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ رُبُوبيَّةِ اللهِ تعالى.

قولُهُ: (**على أَقْدارِ اللهِ**) جمعُ قَدَرٍ، وتُطْلَقُ على المقدورِ، وعلى فِعْلِ الْمُقَدِّرِ وهوَ اللهُ تعالى.

أمَّا بالنسبةِ لفِعْلِ الْمُقَدِّرِ فيجبُ على الإنسانِ الرِّضَا والصبرُ، وبالنسبةِ للمقدورِ فيجبُ عليه **الصبرُ**، ويُستَحَبُّ لهُ الرِّضَا.

مثالُ ذلكَ: (**قَدَّرَ اللهُ على سيَّارَةِ شخصٍ أنْ تَحْتَرِقَ**) فكونُ اللهِ قدَّرَ أنْ تحترقَ هذا قَدَرٌ يجبُ على الإنسانِ أنْ يرْضَى بهِ؛ لأَنَّهُ منْ تمامِ الرِّضا باللهِ ربًّا.

وأمَّا بالنسبةِ للمقدورِ الذي هوَ احتراقُ السيَّارةِ، فالصبرُ عليهِ واجبٌ، والرِّضا مُستَحَبٌّ وليسَ بواجبٍ على القولِ الراجحِ.

والمقدُورُ قدْ يكونُ:

- **طاعات.**
- **وقدْ يكونُ معاصيَ.**
- **وقدْ يكونُ منْ أفعالِ اللهِ المَحْضَةِ.**

فالطاعاتُ يجبُ الرِّضَا بها، والمعاصي لا يجوزُ الرِّضَا بها منْ حيثُ هيَ مقدورٌ، أمَّا منْ حيثُ كَوْنُها قَدَرَ اللهِ فيجبُ الرِّضَا بتقديرِ اللهِ بكلِّ حالٍ؛ ولهذا قالَ **ابنُ القيِّمِ**:

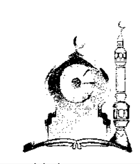
فَلِذاكَ نَرْضَى بالقَضَاءِ ونَسْخَطُ الـ ... مَقْضِيَّ حِينَ يَكونُ بالعِصْيَانِ

فمَنْ نظرَ بعينِ القضاءِ والقدَرِ إلى رجلٍ يعْمَلُ معصيَةً فعليه الرِّضَا؛ لأنَّ اللهَ هوَ الذي قدَّرَ هذا، ولهُ الحكمةُ في تقديرِهِ، وإذا نظرَ إلى فعْلِهِ؛ فلا يجوزُ لهُ أنْ يرضَى؛ لأَنَّهُ معصيَةٌ، وهذا هوَ الفَرْقُ بينَ القَدَرِ والمقْدُورِ.

(١٠) قولُهُ تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾، ﴿مَن﴾ اسمُ شَرْطٍ جازمٌ، وفعلُ الشرطِ ﴿يُؤْمِن﴾ وجوابُهُ ﴿يَهْدِ﴾ والمرادُ بالإيمانِ باللهِ هنا: الإيمانُ بقدَرِهِ.

قولُهُ: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يرزُقْهُ الطُّمَأْنينَةَ، وهذا يدلُّ على أنَّ الإيمانَ يتعلَّقُ بالقلبِ، فإذا اهتدى القلبُ اهتَدَت

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٢٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com



الجوارحُ؛ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

(١١) قولُهُ: (**قالَ عَلْقَمَةُ**) هوَ مِنْ أكابرِ التابعينَ.

قولُهُ: (**هوَ الرجلُ تُصيبهُ المصيبةُ...**) وتفسيرُ علقمةَ هذا منْ لازمِ الإيمانِ؛ لأنَّ مَنْ آمَنَ باللهِ عَلِمَ أنَّ التقديرَ منْ عندِ اللهِ، فيرْضَى ويُسلِّمُ، فإذا عَلِمَ أنَّ المصيبةَ من اللهِ اطمأنَّ القلبُ وارْتاحَ؛ ولهذا كانَ منْ أكبرِ الراحةِ والطمأنينةِ الإيمانُ بالقضاءِ والقدرِ.

(١٢) قولُهُ في حديثِ **أبي هريرةَ**: (**اثْنَتَانِ**) مبتدأٌ، وسَوَّغَ الابتداءَ به التقسيمُ، أوْ أنَّهُ مُفيدٌ للخُصُوصِ.

قولُهُ: (**بِهِمْ كُفْرٌ**) الباءُ يُحتَمَلُ أنْ تكونَ بمعنى (مِنْ) أيْ: : هما منْهُمْ كُفْرٌ، ويُحتَمَلُ أنْ تكونَ بمعنى (في) أيْ: هُما فيهِمْ كُفْرٌ.

قولُهُ: (كُفْرٌ) أيْ: هاتانِ الخَصْلَتانِ كفرٌ، ولا يَلْزَمُ منْ وجودِ خَصْلَتَيْنِ من الكفرِ في المؤمنِ أنْ يكونَ كافرًا، كما لا يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِ خَصْلَتَيْنِ في الكافرِ مِنْ خِصَالِ الإيمانِ، كالحياءِ والشجاعةِ والكرمِ، أنْ يكونَ مؤمنًا.

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: (**خلافِ قولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَالشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» فإنَّهُ هنا أتى بـ(أل) الدالَّةِ على الحقيقةِ، فالمرادُ بالكفرِ هنا: الكفرُ المُخْرِجُ عن المِلَّةِ، بخلافِ مَجِيءِ (كُفْرٌ) نكرةً فلا يدلُّ على الخروجِ عن الإسلامِ**).

قال شيخ الإسلام في (اقتضاء الصراط المستقيم) (١/ ٢١١ — ٢١٢): (**في تعليقه على هذا الحديث: (وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة» وبين كفر منكر في الإثبات.**

وفرق ـ أيضاً ـ بين معنى الاسم المطلق إذا قيل: كافر، أو: مؤمن، وبين المطلق للاسم في جميع موارده).

قولُهُ: «**الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ**» أي: العَيْبُ فيه أوْ نَفْيُهُ، فهذا عملٌ منْ أعمالِ الكفرِ.

قولُهُ: «**وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**» أيْ: أنْ يبكيَ الإنسانُ على الميِّتِ بكاءً على صفةِ نَوْحِ الحمامِ؛ لأنَّ هذا يدُلُّ

على التضجُّرِ وعدمِ الصبرِ، فهوَ مُنافٍ للصبرِ الواجبِ. وهذهِ الجملةُ هيَ الشاهدُ للبابِ.

والناسُ حالَ المصيبةِ على مراتبَ أربعٍ:

الأولى: التسخُّطُ، وهوَ إمَّا أنْ يكونَ بالقلبِ؛ كأنْ يَسْخَطَ على ربِّهِ، ويغْضَبَ على ما قَدَّرَ اللهُ عليه، وقدْ يُؤدِّي إلى الكفرِ، قالَ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ وقدْ يكونُ باللِّسَانِ؛ كالدُّعاءِ بالوَيْلِ والثُّبورِ، وما أشبهَ ذلكَ، وقدْ يكونُ بالجَوارحِ؛ كلَطْمِ الخُدُودِ، وشقِّ الجيوبِ، ونَتْفِ الشُّعورِ، وما أشبهَ ذلكَ.

الثانيةُ: الصبرُ، وهوَ كما قالَ الشاعرُ:

الصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ   لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

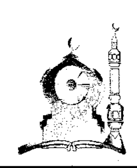
فيَرَى الإنسانُ أنَّ هذا الشيءَ ثقيلٌ عليهِ ويكْرَهُهُ، لكنَّهُ يتحمَّلُهُ ويتَصَبَّرُ، وليسَ وُقُوعُهُ وعدَمُهُ سواءً عندَهُ، بلْ يكْرَهُ هذا، ولكنَّ إيمانَهُ يَحْميهِ من السَخَطِ.

الثالثةُ: الرِّضا، وهوَ أعلى منْ ذلكَ، وهُوَ: أنْ يكونَ الأمرانِ عندَهُ سواءً بالنسبةِ لقضاءِ اللهِ وقدرِهِ، وإنْ كانَ قدْ يَحزَنُ من المصيبةِ؛ لأنَّهُ رَجُلٌ يَسْبَحُ في القضاءِ والقدرِ، أيْنَمَا يَنْزِلُ به القضاءُ والقدرُ فهوَ نازلٌ به على سَهْلٍ أوْ جَبَلٍ، إنْ أُصيبَ بنعمةٍ، أوْ أُصيبَ بضدِّها؛ فالكلُّ عندَهُ سواءٌ؛ لا لأنَّ قَلْبَهُ ميِّتٌ، بلْ لِتَمامِ رِضَاهُ بربِّهِ سبحانَهُ وتعالى، يتقلَّبُ في تصرُّفَاتِ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ، ولكنَّها عندَهُ سواءٌ؛ إذْ إنَّهُ ينظرُ إليها باعتبارِهَا قضاءً لِربِّهِ، وهذا الفرْقُ بينَ الرِّضا والصبرِ.

وتفسيرُ **علقمةَ** هذا منْ لازمِ الإيمانِ؛ لأنَّ مَنْ آمَنَ باللهِ عَلِمَ أنَّ التقديرَ من اللهِ فيرضَى ويُسَلِّمُ، فإذا عَلِمَ أنَّ المصيبةَ مِن اللهِ اطْمَأَنَّ القلبُ وارْتَاحَ، ولهذا كانَ منْ أكبرِ الراحةِ والطُّمَأْنينَةِ: الإيمانُ بالقضاءِ والقدرِ.

الرابعةُ: الشكرُ، وهوَ أعلى المراتبِ، وذلكَ: أنْ يشْكُرَ اللهَ على ما أصابَهُ منْ مصيبةٍ، وذلكَ يكونُ في عبادِ اللهِ الشاكرينَ، حينَ يرى أنَّ هناكَ مصائبَ أعظمَ منها، وأنَّ مصائبَ الدُّنيا أهونُ منْ مصائبِ الدينِ، وأنَّ عذابَ الدُّنْيا أهونُ منْ عذابِ الآخرةِ، وأنَّ هذهِ المصيبةَ سببٌ لتكفيرِ سيِّئَاتِهِ، وربَّما لزيادةِ حسناتِهِ؛ شَكَرَ اللهَ على ذلكَ.

قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ هَمٍّ وَلَا غَمٍّ وَلَا شَيْءٍ إِلَّا كُفِّرَ لَهُ بِهَا، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا» كما أنَّهُ قدْ



يَزْدَادُ إيمانُ المرءِ بذلكَ.

(١٣) قولُهُ في حديثِ ابنِ مسعودٍ: «مرفوعًا» أيْ: إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

قولُهُ: «**مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ**» العُمُومُ يُرادُ بِهِ الخُصُوصُ؛ أيْ: مِنْ أجْلِ المصيبةِ.

قولُهُ: «**شَقَّ الْجُيُوبَ**» هوَ: طَوْقُ القميصِ الذي يَدْخُلُ منهُ الرَّأسُ، وذلكَ عندَ المصيبةِ؛ تَسَخُّطًا وعدمَ تحمُّلٍ لِمَا وقعَ عليهِ.

قولُهُ: «**وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**» «دعوى» مضافٌ و«الجاهليَّة» مضافٌ إليه.

وتنَازَعَ هنا أمران:

الأوَّلُ: صيغةُ العُمُومِ «دعوى الجاهليَّة» لأنَّهُ مُفْرَدٌ مُضَافٌ فيَعُمُّ.

الثاني: القرينةُ؛ **لأنَّ** ضَرْبَ الخُدُودِ، وشقَّ الجيوبِ **يُفْعَلانِ عندَ** المصيبةِ، فيكونُ دَعَا بدعوى الجاهليَّةِ عندَ المصيبةِ، مثلُ قولِهِم: وَاوَيْلاَهُ، وَانْقِطَاعَ ظَهْرَاهُ.

والأَوْلَى أنْ تُرَجَّحَ **صيغةُ العُمُومِ**، والقرينةُ لا تُخَصِّصُهُ، فيكونُ المقصودُ بالدعوى كُلَّ دعوى مَنْشَؤُها الجهلُ.

وذَكَرَ هذه الأصنافَ الثلاثةَ؛ لأنَّها غالبًا ما تكونُ عندَ المصائبِ، وإلاَّ فمِثْلُهُ هَدْمُ البيوتِ، وكَسْرُ الأوَاني، وتخريبُ الطعامِ، ونَحْوُهُ ممَّا يفعَلُهُ بعضُ الناسِ عندَ المصيبةِ، وهذهِ الثلاثةُ من الكبائرِ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تبرَّأَ منْ فاعلِهَا.

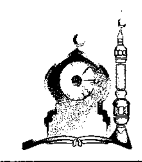
ولا يَدْخُلُ في الحديثِ ضَرْبُ الخَدِّ في الحياةِ العاديَّةِ، مثلُ: (ضَرْبِ الأبِ لابْنِهِ) لكنْ يُكْرَهُ الضربُ على الوجْهِ؛ للنَّهْيِ عنهُ، وكذلكَ شقُّ الجَيْبِ لأمرٍ غيرِ المصيبةِ.

(١٤) قولُهُ في حديثِ أنسٍ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ**» اللهُ يُرِيدُ بعبدِهِ الخيرَ والشرَّ، ولكنَّ الشرَّ المرادَ للهِ تعالى ليسَ مُرَادًا لذاتِهِ؛ بدليلِ قولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**».

ومَنْ أرادَ الشرَّ لذَاتِهِ كانَ إليهِ، ولكنَّ اللهَ يُرِيدُ الشرَّ لحِكْمَةٍ، وحينئذٍ يكونُ خيرًا باعتبارِ ما يتضَمَّنَهُ من الحكمةِ.

قولُهُ: «**عَجَّلَ لَهُ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا**» **العقوبةُ:** مُؤَاخَذَةُ المُجْرِمِ بذنبِهِ، وسُمِّيَتْ بذلكَ لأنَّها تَعْقِبُ الذَّنْبَ، ولكنَّها لا تُقَالُ إلاَّ في المُؤَاخَذَةِ على الشرِّ.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com




وقولُهُ: «عَجَّلَ لَهُ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا» كانَ ذلكَ خيرًا منْ تأخيرِها للآخرةِ؛ لأنَّهُ يَزُولُ وينتهي؛ ولهذا قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ للمُتَلاعِنَيْنِ: «إِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ».

وهناكَ خيْرٌ أَوْلَى منْ ذلكَ، وهوَ العَفْوُ عن الذنب، وهذا أعْلَى؛ لأنَّ اللهَ إذا لمْ يُعَاقِبْهُ في الدُّنْيَا ولا في الآخرةِ، فهذا هوَ الخيرُ كلُّهُ، ولكنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جعلَ تأخيرَ العقوبةِ شرًّا؛ باعتبارِ أنَّ تأخُّرَ العقوبةِ إلى الآخرةِ أشدُّ، كما قالَ تعالى: {وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى}.

قال العلامة العزيزي في (السراج المنير في شرح الجامع الصغير): (**المقصود أن الله يحفظ على عبده ذاك كل ما يدلي به من إساءة وذنب، ولا ينزل عليه من المصائب والمحن ما تكفر به تلك الذنوب فتكون مؤخرة يستوفي جزاءها وعقابها يوم يلقى الله عز وجل**) .

قولُهُ: «وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ» «أَمْسَكَ عنهُ» أيْ: تركَ عقوبتَهُ، والإمساكُ فعلٌ منْ أفعالِ اللهِ عن الفعلِ، بلْ هوَ لمْ يَزَلْ ولا يزالُ فعَّالاً لما يُرِيدُ، لكنَّهُ يُمْسِكُ عن الفعلِ في شيءٍ ما لحكمةٍ بالغةٍ، ففعْلُهُ حكمةٌ، وإمساكُهُ حكمةٌ.

قولُهُ: «حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أيْ: يُوَافِيَهُ اللهُ بِهِ؛ أيْ: يُجَازِيَهُ بهِ يومَ القيامةِ، وهُوَ الذي يقومُ فيهِ الناسُ مِنْ قُبُورِهِم للهِ ربِّ العالمينَ.

وسُمِّيَ بيومِ القيامةِ لثلاثةِ أسبابٍ:

الأول: قِيَامُ الناسِ منْ قبورِهِمْ؛ لقولِهِ تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.

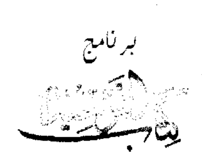
الثاني: قِيَامُ الأَشْهَادِ، لقولِهِ تعالى: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ}.

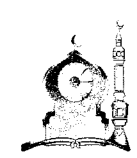
الثالث: قِيَامُ العَدْلِ، لقولِهِ تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}.

والغرضُ منْ سياقِ المُؤَلِّفِ لهذا الحديث: تسليَةُ الإنسانِ إذا أُصيبَ بالمصائبِ لِئَلاَّ يَجْزَعَ؛ فإنَّ ذلكَ قدْ يكونُ خيرًا، وعذابُ الدُّنْيَا أهْوَنُ منْ عذابِ الآخرةِ، فَيَحْمَدُ اللهُ أنَّهُ لمْ يُؤَخِّرْ عُقُوبَتَهُ إلى الآخرةِ.

وعلى فَرْضِ أنَّ أحدًا لمْ يَأْتِ بخطيئةٍ، وأصابَتْهُ مصيبةٌ، فنقولُ لَهُ: إنَّ هذا منْ بابِ امتحانِ الإنسانِ على الصبرِ،

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣٢٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







ورفعِ درجاتِه باحتسابِ الأجرِ، لكنْ لا يجوزُ للإنسانِ إذا أُصيبَ بمصيبةٍ، وهوَ يرى أنَّهُ لمْ يُخْطِئْ أنْ يقولَ: أنا لمْ أُخْطِئْ، فهذهِ تزكيةٌ، فلوْ فرَضْنا أنَّ أحدًا لمْ يُصِبْ ذنبًا، وأُصيبَ بمصيبةٍ، فإنَّ هذهِ المصيبةَ لا تُلاقي ذنبًا تُكفِّرُهُ، لكنَّها تُلاقي قلْبًا تُمحِّصُهُ، فيبتلي اللهُ الإنسانَ بالمصائبِ لِيَنْظُرَ هلْ يصْبِرُ أوْ لا؟

ولهذا كانَ أخشَى الناسِ للهِ عزَّ وجلَّ وأتْقاهُمْ مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُوعَكُ كما يُوعَكُ الرَّجُلانِ منَّا؛ وذلكَ لِيَنالَ أعلى درجاتِ الصبرِ، فينالُ مرتبةَ الصابرينَ على أعلى وُجُوهِهَا.

ولذلكَ شُدِّدَ عليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عندَ النَّزْعِ، ومعَ هذهِ الشِّدَّةِ كانَ ثابتَ القلبِ، ودخلَ عليهِ **عبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرٍ وهوَ يَستاكُ، فأَمَدَّهُ بصرَهُ، يعني: ينظُرُ إليه.**

فعَرَفَتْ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عنها أنَّهُ يُريدُ السواكَ، فقالَتْ: آخُذُهُ لكَ؟

فأشارَ برأسِه: «نَعَمْ».

فأَخَذَتِ السواكَ وقَضَمَتْهُ وألانَتْهُ للرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فأعْطَتْهُ إيَّاهُ، فاسْتَنَّ بهِ، قالَتْ عائشةُ: (ما رأيْتُهُ اسْتَنَّ استنانًا أحسنَ منهُ، ثمَّ رفعَ يدَهُ وقالَ: «في الرَّفيقِ الأعْلَى».

فانظُرْ إلى هذا الثباتِ واليقينِ والصبرِ العظيمِ معَ هذهِ الشِّدَّةِ العظيمةِ، كلُّ هذا لأجْلِ أنْ يَصِلَ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أعْلَى درجاتِ الصابرينَ، صَبَرَ للهِ، وَصَبَرَ في اللهِ حتَّى نالَ أعلى الدرجاتِ.

فمَنْ أُصيبَ بمصيبةٍ، فحدَّثَتْهُ نفسُهُ أنَّ مصائبَهُ أعظمُ منْ مَعَائبِه، فإنَّهُ يُدِلُّ على رَبِّهِ بعَمَلِه، ويَمُنُّ عليهِ بهِ؛ فَلْيَحْذَرْ هذا، ومنْ ذلكَ يتَّضِحُ لنا أمرانِ:

الأول: أنَّ إصابةَ الإنسانِ بالمصائبِ تُعْتَبَرُ تكفيرًا لسيِّئاتِه، وتعجيلاً للعُقُوبَةِ في الدُّنْيَا، وهذا خيرٌ منْ تأخيرِهَا لهُ في الآخرةِ.

الثاني: قَدْ تكونُ المصائبُ أكبرَ من المَعَائبِ؛ لِيَصِلَ المرءُ بصَبْرِه أعلى درجاتِ الصابرينَ.

والصبرُ من الإيمانِ بمنزلةِ الرأسِ من الجسدِ.

(١٥) قولُهُ: وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ: «إنَّ عِظَمَ الجزَاءِ...» إلى آخرِه.

رواهُ التِّرْمذيُّ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ، عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ. فصحابيُّهُ صحابيُّ الحديثِ

الذي قَبْلَهُ.

«إنَّ عظَمَ الْجَزَاء مَعَ عظَمِ الْبَلَاء» أيْ: يتقابلُ عِظَمُ الجزاءِ معَ البلاءِ، فكُلَّما كانَ البلاءُ أشدَّ، وَصَبَرَ الإنسانُ، صارَ الجزاءُ أعظمَ؛ لأنَّ اللهَ عَدْلٌ لا يَجْزِي المحسنَ بأقلَّ منْ إحسانه، فليسَ الجزاءُ على الشَّوْكَة يُشَاكُهَا كالجزاءِ على الكَسْرِ إذا كُسِرَ، وهذا دليلٌ على كمالِ عدْلِ اللهِ، وأنَّهُ لا يَظْلِمُ أحدًا، وفيه تسليَةُ الْمُصَاب.

قولُهُ: «وَإنَّ اللهَ تَعَالَى إذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ» أي: اختبرَهُمْ بما يُقَدِّرُ عليهِمْ من الأُمُورِ الكونيَّة، كالأمراضِ وفُقْدَانِ الأهلِ، أوْ بما يُقَدِّرُ عليهِمْ من الأمورِ الشرعيَّة، قالَ تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} فذَكَّرَهُ اللهُ بالنعمة وأَمَرَهُ بالصبرِ؛ لأنَّ هذا الذي نُزِّلَ عليه تكليفٌ يُكَلَّفُ به.

كذلكَ: من الابتلاءِ الصبرُ عنْ محارمِ اللهِ، كَمَا في الحديثِ: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إنِّي أَخَافُ اللهَ» فهذا جزَاؤُهُ أنَّ اللهَ يُظِلُّهُ في ظِلِّه يومَ لا ظلَّ إلاَّ ظِلُّهُ.

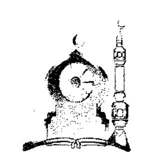
قولُهُ: «فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ» (مَنْ) شَرْطِيَّةٌ، والجوابُ «فَلَهُ الرِّضَا» أيْ: فلَهُ الرِّضا من اللهِ، وإذا رَضِيَ اللهُ عنْ شخصٍ أَرْضَى الناسَ عنهُ جميعًا.

والمرادُ بالرِّضَا: الرِّضَا بقضاءِ اللهِ منْ حَيْثُ إنَّهُ قضاءُ اللهِ، وهذا واجبٌ؛ بدليلِ قوله: «وَمَنْ سَخِطَ» فقابلَ الرِّضَا بالسَّخَطِ، وهوَ عدمُ الصبرِ على ما يكونُ من المصائبِ القدريَّةِ الكونيَّة.

ولَمْ يَقُلْ هنا: فعليه السَّخَطُ، معَ أنَّ مُقْتَضَى السياقِ أنْ يقولَ: فعليه، كقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا} فقالَ بعضُ العلماءِ: إنَّ (اللامَ) بمعنى (على)، كقوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} أيْ: عليْهِم اللعنةُ، وقالَ آخَرُونَ: إنَّ اللامَ على ما هيَ عليه، فتكونُ للاستحقاقِ؛ أيْ: صارَ عليه السَّخَطُ باستحقاقه لهُ، فتكونُ أَبْلَغَ مِنْ (عَلَى)، كقوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ} أيْ: حقَّتْ عليهِمْ باستحقاقهم لَهَا. وهذا أصحُّ.

ويُستفادُ من الحديث:

إثباتُ المحبَّة والسَخَطِ والرِّضَا للهِ عزَّ وجلَّ، وهما من الصفاتِ الفعليَّة؛ لتَعَلُّقها بمشيئة اللهِ تعالى؛ لأنَّ إذا في قوله: «إذَا أَحَبَّ قَوْمًا» للمستقبلِ، فَالْحُبُّ يَحْدُثُ، فهوَ من الصفاتِ الفعليَّة.



واللهُ تعالى يُحبُّ العَبْدَ عندَ وُجُود سبب المحبَّة، ويُبْغضُهُ عندَ وُجُود سبب البُغْض، وعلى هذا؛ فَقَدْ يكونُ هذا الشخصُ في يوم من الأيَّامِ محبُوبًا إلى الله، وفي آخرَ مُبْغَضًا إلى الله؛ لأنَّ الحُكْمَ يدُورُ معَ علَّته.

وأمَّا الأعمالُ فلمْ يَزَل اللهُ يُحبُّ الخيرَ والعدلَ والإحسانَ ونحوَها، وأهلُ التأويلِ يُنْكرُونَ هذه الصفات، فيُؤَوِّلُونَ المَحبَّةَ والرِّضَا بالثواب أوْ إرادَته، والسَّخَطَ بالعقوبة أوْ إرَادَتهَا، قالُوا: لأنَّ إثباتَ هذه الصفات يقتضي النقصَ ومُشَابَهَةَ المخلوقينَ.

والصوابُ: ثُبُوتُها لله عزَّ وجلَّ على الوجْه اللائق به كسائرِ الصفات التي يُثْبتُهَا مَنْ يقولُ بالتأويلِ، ويَجبُ في كلِّ صفة أَثْبَتَهَا اللهُ لنفسه أمْرَان:

الأول: إثْبَاتُها على حقيقَتها وظاهرهَا.

الثاني: الحَذَرُ من التمثيلِ أو التَّكْييف.

(١٦) **فيه مسائلُ:**

الأولى: (تَفْسيرُ آيَة التَّغَابُنِ) وهيَ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾. وقدْ فسَّرَها عَلْقَمَةُ كما سَبَقَ تفسيرًا مُناسبًا للباب.

(١٧) **الثانيَةُ:** (**أنَّ هذا من الإيمان بالله**) المُشَارُ إليه بقوله (هذا) هوَ الصبرُ على أقدارِ الله.

(١٨) **الثالثةُ:** (**الطَّعْنُ في النَّسَب**) وهيَ عَيْبُهُ أوْ نفْيُهُ، وهُوَ من الكفر، لكنَّهُ لا يُخْرِجُ من الملَّة.

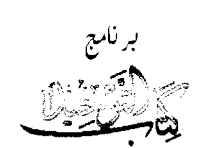
(١٩) **الرَّابعةُ:** (**شدَّةُ الوعيد فيمَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وشقَّ الْجُيوبَ، ودَعا بدعْوى الْجَاهليَّة**) لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ تبرَّأَ منْهُ.

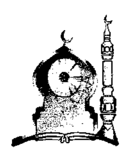
(٢٠) **الخامسةُ:** (**علامةُ إرادة الله بعبْده الخيرَ**) وهوَ أنْ يُعَجِّلَ لهُ اللهُ العقوبةَ في الدُّنْيَا.

(٢١) **السادسةُ:** (**إرادةُ الله به الشَّرَّ**) أيْ: علامةُ إرادة الله به الشرَّ، وهوَ أنْ يُؤَخِّرَ لهُ العقوبةَ في الآخرة.

(٢٢) **السابعةُ:** (**عَلامةُ حُبِّ الله للعبد**) وهيَ الابتلاءُ.

(٢٣) **الثامنةُ:** (**تَحْريمُ السَّخَط**) يعني مِمَّا يُبْتَلَى به العبدُ؛ لقوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «مَنْ سَخطَ فلَهُ السَّخَطُ» وهذا وعيدٌ.

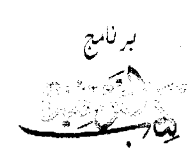


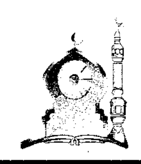


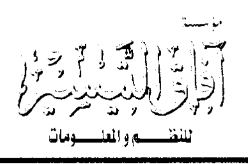


(٢٤) **التاسعة:** (ثَوابُ الرِّضا بالبلاءِ) لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «مَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا».

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٢٣٣٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com







تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الثالث والثلاثون

(١) أَطْلَقَ المُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تعالى- الترجمةَ فَلَمْ يُفْصِحْ عن حُكْمِه؛ لأجْلِ أنْ يَحْكُمَ الإنسانُ بنفسِه على الرِّياءِ على ما جاءَ فيه.

وتعريفُ الرِّياء: مَصْدَرُ رَاءَى يُرَائي؛ أيْ: عَمِلَ عَمَلاً لِيَرَاهُ الناسُ، ويُقَالُ: مُرَاءَاةً، كَمَا يُقَالُ: جَاهَدَ جِهادًا ومُجَاهدةً.

قال **الفيروز آبادي** في (البصائر): **(ومعناه في اللغة: هو إظهار الشيء للغير ليراه)** ويَدْخُلُ في ذلكَ: مَنْ عَمِلَ العَمَلَ لِيَسْمَعَهُ الناسُ، ويُقَالُ لَهُ: (مُسَمِّعٌ).

وفي الحديثِ عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّهُ قالَ: «**مَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِه، ومَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِه**».

قال **ابن حجر**: **(هو إظهار الطاعة للغير ليراه الناس وليحمدوه)**.

والرِّياءُ خُلُقٌ ذميمٌ، وَهُوَ مِنْ صفاتِ المنافقينَ، قالَ تعالى: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}.

والرياءُ يُبْحَثُ عنه في مَقامَيْن:

المَقامُ الأوَّلُ: في حُكْمِه.

فنقولُ: **الرياءُ من الشِّرْكِ الأصغرِ**؛ لأنَّ الإنسانَ قَصَدَ بعبادَته غيرَ اللهِ، وقدْ يَصِلُ إلى الأكبرِ، وقدْ مثَّلَ **ابنُ القيِّمِ** للشِّرْكِ الأصغرِ فَقَالَ: (مِثْلُ يسيرِ الرِّياءِ)، وهذا يدلُّ على أنَّ الرياءَ كثيرُهُ قدْ يصلُ إلى الأكبرِ.

المقامُ الثاني: في حُكْمِ العبادةِ إذا خالطَها الرياءُ، **وهوَ على ثلاثةِ أَوْجُه**:

الأوَّلُ: أنْ يكونَ الباعثَ على العبادةِ مُرَاءَاةُ الناسِ من الأصلِ، كَمَنْ قامَ يُصَلِّي مِنْ أجلِ مُرَاءَاةِ الناسِ و لَمْ يَقْصِدْ وجهَ اللهِ. فهذا شركٌ، والعبادةُ باطلةٌ.

الثاني: أنْ يكونَ مشاركًا للعبادةِ في أثنائِها، بمعنى أنْ يكونَ الحاملَ لَهُ في أوَّلِ أمْرِه الإخلاصُ للهِ، ثمَّ يَطْرَأُ الرياءُ في أثناءِ العبادةِ، فإنْ كانت العبادةُ لا ينْبَنِي آخرُها على أوَّلِها فأوَّلُها صحيحٌ بكلِّ حالٍ، والباطلُ آخرُها.

مثالُ ذلكَ: (رجلٌ عندَهُ مائةُ ريالٍ قدْ أعدَّها للصدَقةِ، فتصدَّقَ بخمسينَ وراءَى في الخمسينَ الباقيَة) فالأُولَى حُكْمُها صحيحٌ، والثانيَةُ باطلةٌ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٦٦١ - ص.ب ٣١٤٤٦
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

أمَّا إذا كانت العبادةُ يَنْبَنِي آخرُها على أوَّلِها، فهيَ على حالَيْنِ:

الأولى: أنْ يُدَافِعَ الرياءَ ولا يسكُنَ إليه، بلْ يُعرِضُ عنْهُ ويَكْرَهُهُ، فإنَّهُ لا يُؤَثِّرُ عليه شيئًا؛ لقولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**إنَّ اللهَ تجاوزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ**».

مثالُ ذلكَ: (رجلٌ قامَ يُصَلِّي ركعتَيْنِ مُخْلِصًا للهِ) وفي الركعةِ الثانيَةِ أحسَّ بالرياءِ، فصارَ يُدَافِعُهُ، فإنَّ ذلكَ لا يَضرُّهُ ولا يُؤَثِّرُ على صلاتِه شيئًا.

الثانية: أنْ يَطْمَئِنَّ إلى هذا الرياءِ ولا يُدَافِعُهُ، فحينئذٍ تَبْطُلُ جميعُ العبادةِ؛ لأنَّ آخرَها مَبْنِيٌّ على أوَّلِها ومُرْتَبِطٌ بِهِ.

قال ابن رجب: (**لا أعلم خلافاً عن السلف في كون هذه العبادة فاسدة**) .

مثالُ ذلكَ: رجلٌ قامَ يُصَلِّي ركعتَيْنِ مخلصًا للهِ وفي الركعةِ الثانيَةِ طرأَ عليهِ الرياءُ؛ لإحساسِهِ بشخصٍ يَنْظُرُ إليهِ، فاطمأنَّ لذلكَ ونزعَ إليه، فتبْطُلُ صلاتُهُ كلُّها؛ لارتباطِ بعضِها ببعضٍ.

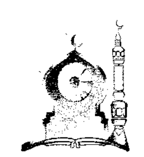
الثالثُ: ما يطرأُ بعدَ انتهاءِ العبادة، فإنَّهُ لا يُؤَثِّرُ عليها شيئًا، اللهُمَّ إلاَّ أنْ يكونَ فيه عُدْوَانٌ كالمَنِّ والأذى بالصدقةِ، فإنَّ هذا العدوانَ يكونُ إثمُهُ مُقَابلاً لأجرِ الصدقةِ فيُبْطِلُها؛ لقولِهِ تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى}**.

وليسَ مِن الرياءِ أنْ يفرحَ الإنسانُ بعلْمِ الناسِ بعبادتِه؛ لأنَّ هذا إنَّما طرأَ بعدَ الفراغِ مِن العبادةِ.

وليسَ مِن الرياءِ أيضًا أنْ يُسَرَّ الإنسانُ بفعلِ الطاعةِ في نفسِه، بلْ ذلكَ دليلٌ على إيمانِه؛ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَاتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَاتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ**» وقدْ سُئِلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ عنْ ذلكَ، فقالَ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**».

(٢) قولُهُ تعالى: **{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ}** يَأْمُرُ اللهُ نبيَّهُ أنْ يقولَ للناسِ: إنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ. وهُوَ قَصْرُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على البشريَّةِ، وأنَّهُ ليسَ ربًّا ولا مَلَكًا.

وأكَّدَ هذهِ البشريَّةَ بقولِهِ: **{مِثْلُكُمْ}**؛ فذكْرُ المِثْلِ منْ بابِ تحقيقِ البشريَّةِ.



قولُهُ: {يُوحَى إِلَيَّ}، الوحيُ في اللُّغةِ: الإعلامُ بسُرْعَةٍ وخَفاءٍ، ومنْهُ قولُهُ تعالى: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}.

وفي الشرع: إعلامُ اللهِ بالشَّرْعِ.

والوحيُ هوَ الفَرْقُ بينَنا وبينَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فهوَ مُتَميِّزٌ بالوحيِ كغيرِهِ من الأنبياءِ والرُّسُلِ.

قولُهُ: {أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} هذهِ الجملةُ في تأْويلِ مصدرٍ نائبِ فاعلِ {يُوحَى} وفيها حَصْرٌ طريقُهُ {أَنَّمَا} فيكونُ معناها: (ما إِلَهُكُمْ إلاَّ إلهٌ واحدٌ، وهُوَ اللهُ) فإذا ثبتَ ذلكَ فإنَّهُ لا يليقُ بكَ أنْ تُشْرِكَ مَعَهُ غيرَهُ في العبادةِ التي هيَ خالصُ حَقِّهِ؛ ولذلكَ قالَ تعالى بعدَ هذا: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

فقولُهُ تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ} المرادُ بالرجاءِ: الطلبُ والأملُ؛ أيْ: مَنْ كانَ يُؤَمِّلُ أنْ يَلْقَى ربَّهُ.

والمرادُ باللُّقْيا هنا: المُلاقاةُ الخاصَّةُ؛ لأنَّ اللُّقْيا على نوعَيْنِ:

الأوَّلُ: عامَّةٌ لكلِّ إنسانٍ، قالَ تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} ولذلكَ قالَ مُفرِّعًا على ذلكَ: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا}، {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ...} الآيَةَ.

الثاني: الخاصَّةُ بالمؤمنينَ، وهوَ لِقاءُ الرِّضَى والنعيمِ كما في هذهِ الآيَةِ، وتتَضَمَّنُ رُؤْيَتَهُ تباركَ وتعالى كما ذكرَ ذلكَ بعضُ أهلِ العلمِ.

قال شيخ الإسلام في (الفتاوى) (٦/٤٨٨ ـــ ٤٨٩) في معنى (اللقاء): **(طائفة من أهل السنة فسرت (اللقاء) في كتاب الله بالرؤية.**

ومن أهل السنة من قال (اللقاء) إذا قرن بالتحية فهو من الرؤية، قال ابن بطة: (سمعت أبا عمر الزاهد اللُّغوي يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى يقول في قوله تعالى: {تحيتهم يوم يلقونه سلام} أجمع أهل اللغة أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظر

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

بالأبصار) .

فقولُهُ: {فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا} الفاءُ رابطةٌ لجوابِ الشرطِ، والأمرُ للإرشادِ؛ أيْ: مَنْ كانَ يُريدُ أنْ يَلْقَى اللهَ على الوجهِ الذي يَرْضَاهُ سُبْحَانَهُ فليعملْ عملاً صالحًا.

والعملُ الصالحُ: ما كانَ خالصًا صَوَابًا، **وهذا وجهُ الشاهدِ من الآيَةِ.**

فالْخَالِصُ: ما قُصِدَ بهِ وجهُ اللهِ، والدليلُ على ذلكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ**».

والصوابُ: ما كانَ على شريعةِ اللهِ، والدليلُ على ذلكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**».

ولهذا قَالَ العلماءُ: هذانِ الحديثانِ ميزَانُ الأعمالِ.

فالأوَّلُ: **ميزانُ الأعمالِ الباطنةِ.**

والثاني: ميزانُ الأعمالِ الظاهرةِ.

قولُهُ: {وَلَا يُشْرِكْ} لا: ناهيَةٌ، والمرادُ بالنَّهْيِ الإرشادُ.

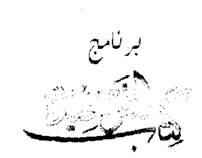
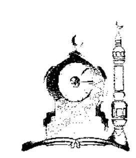
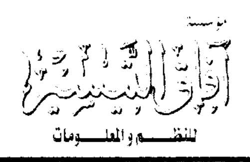
قولُهُ: {بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} **خَصَّ العبادةَ؛ لأنَّها خالصُ حقِّ اللهِ**، ولذلكَ أتى بكلمةِ (**رَبٍّ**) إشارةً إلى العلَّةِ، فكمَا أنَّ ربَّكَ خلقَكَ، ولا يُشَارِكُهُ أحدٌ في خلقِكَ، فيجبُ أنْ تكونَ العبادةُ لهُ وحدَهُ؛ ولذلكَ لَمْ يَقُلْ: (لا يُشْرِكْ بعبادةِ اللهِ) فذكرَ الربَّ منْ بابِ التعليلِ، كقوْلِهِ تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}.

وقولُهُ: {أَحَدًا} نَكِرَةٌ في سياقِ النهيِ، فتكونُ عامَّةً لكلِّ أحدٍ.

والشاهدُ من الآيَةِ: أنَّ الرياءَ من الشركِ، فيكونُ داخلاً في النهيِ عنهُ.

وفي هذهِ الآيَةِ دليلٌ على مُلاقَاةِ اللهِ تعالى، وقد استدلَّ بها بعضُ أهلِ العلمِ على ثُبوتِ رُؤْيَةِ اللهِ؛ لأنَّ الملاقاةَ معناها المُوَاجَهَةُ.

وفيها دليلٌ على أنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بَشَرٌ لا يَسْتَحِقُّ أنْ يُعْبَدَ؛ لأنَّهُ حَصَرَ حالَهُ بالبشريَّةِ، كما

حصرَ الأُلوهيَّةَ باللهِ.

(٣) قولُهُ في حديثِ أبي هريرةَ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى**» هذا الحديثُ يَرْوِيهِ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ ربِّهِ، ويُسَمَّى هذا النوعُ بالحديثِ القُدْسيِّ.

قولُهُ: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ**».

قولُهُ: «**أَغْنَى**» اسمُ تفضيلٍ، وليستْ فعلاً ماضيًا، ولهذا أُضيفَت إلى الشركاءِ.

يعني: إذا كانَ بعضُ الشركاءِ يستغني عنْ شَرِكَتِه معَ غيرِه، فاللهُ أغنى الشركاءِ عن المشاركة. فاللهُ لا يَقْبَلُ عملاً لهُ فيهِ شِرْكٌ أبدًا، ولا يقبلُ إلاَّ العملَ الخالصَ لهُ وحدَهُ.

فكمَا أنَّهُ الخالقُ وحدَهُ فكيفَ تَصْرِفُ شيئًا منْ حقِّهِ إلى غيرِه؟!

فهذا ليسَ عدْلاً؛ ولهذا قالَ اللهُ عنْ **لُقْمَانَ**: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

فاللهُ الذي خلقَكَ وأعدَّكَ إعدادًا كاملاً بكلِّ مَصَالِحِكَ، وأمدَّكَ بما تحتاجُ إليه، ثمَّ تذهبُ وتَصْرِفُ شيئًا منْ حقِّهِ إلى غيرِه، فلا شكَّ أنَّ هذا مِنْ أظْلَمِ الظلمِ.

قولُهُ: «**عَمَلاً**» نكرةٌ في سياقِ الشرطِ، فَتَعُمُّ أيَّ عَمَلٍ منْ صلاةٍ أوْ صيامٍ أوْ حجٍّ أوْ جهادٍ أوْ غيرِه.

قولُهُ: «**تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» أيْ: لمْ أُثِبْهُ على عملِهِ الذي أشْرَكَ فيه. وقدْ يصلُ هذا الشركُ إلى حدِّ الكفرِ، فيتركُ اللهُ جميعَ أعمالِه؛ لأنَّ الشركَ يُحْبِطُ الأعمالَ إذا ماتَ عليه.

والمرادُ بـ«**شِرْكَهُ**» عمَلَهُ الذي أشرَكَ فيه. وليسَ المرادُ شريكَهُ؛ لأنَّ الشريكَ الذي أشركَ به معَ اللهِ قدْ لا يتْرُكُهُ، كمَنْ أشركَ نبيًّا أوْ وَلِيًّا؛ فإنَّ اللهَ لا يَتْرُكُ ذلكَ النبيَّ والوليَّ.

(٤) قولُهُ في حديثِ **أبي سعيد**: «أَلاَ»، أداةُ عَرْضٍ، والغرضُ منها تنبيهُ المُخاطَبِ، فهوَ أَبْلَغُ مِنْ عدمِ الإتيانِ بها.

قولُهُ: «**بِمَا هُوَ**» (ما) اسمٌ موصولٌ بمعنى (الذي).

قولُهُ: «**أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي**» أيْ: عندَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؛ لأنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ رحمتِه بالمؤمنينَ يَخَافُ عليهمْ كُلَّ الفتنِ. وأعظمُ فتنةٍ في الأرضِ هيَ فتنةُ **المسيحِ الدَّجَّالِ**، لكنَّ خَوْفَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ منْ فتنةِ هذا الشركِ الخفيِّ أشدُّ مِنْ خوفِه منْ فتنةِ **المسيحِ الدَّجَّالِ**، وإنَّما كانَ كذلكَ؛ لأنَّ التَّخلُّصَ منْهُ صَعْبٌ جدًّا؛ ولذلكَ قالَ بعضُ السلفِ: (ما جاهَدْتُ نفس على شيءٍ مُجَاهدَتَها على الإخلاصِ).

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»، ولا يَكْفِي مُجَرَّدُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

اللفظ بها، بلْ لا بُدَّ منْ إخلاصٍ وأعْمَالٍ يَتَعَبَّدُ بها الإنسانُ للهِ عزَّ وجلَّ.

قولُهُ: «**الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**» المسيحُ أيْ: ممسوحُ العينِ اليُمْنَى، فذكرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عَيْبَيْنِ في المسيحِ:

أحدُهُما: حِسِّيٌّ، وهوَ أنَّ الدَّجَّالَ أعورُ العينِ اليُمْنَى، كمَا قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّهُ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى**».

والثاني: معنويٌّ، وهوَ الدَّجَّالُ، **فهوَ صيغةُ مبالغةٍ**، أوْ يُقَالُ بأَنَّهُ نسبَةٌ إلى وَصْفِهِ الملازمِ لَهُ، وهُوَ الدَّجَلُ والكَذبُ والتَّمْويهُ.

وهوَ رجلٌ منْ بني آدمَ، ولكنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وتعالى بحكمتِهِ يُخْرِجُهُ لِيَفْتِنَ الناسَ بهِ، وفِتْنَتُهُ عظيمةٌ إذْ مَا في الدُّنْيَا منذُ خَلْقِ آدمَ إلى أنْ تقومَ الساعةُ فِتْنَةٌ أشدُّ منْ فتنةِ **الدَّجَّالِ**.

والمسيحُ **الدَّجَّالُ** ثَبَتَتْ بهِ الأحاديثُ واشْتُهِرَتْ، حتَّى كانَ من المعلومِ بالضرورةِ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أَمَرَ أُمَّتَهُ أنْ يتَعَوَّذُوا باللهِ منْهُ في كلِّ صلاةٍ.

قولُهُ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ**» **الشركُ قسمانِ: خَفِيٌّ، وجَلِيٌّ.**

فالجَلِيُّ: ما كانَ بالقولِ، مثلُ الحَلِفِ بغيرِ اللهِ، أوْ قولِ: ما شاءَ اللهُ وشئْتَ.

أوْ بالفعلِ: مثلُ الانحناءِ لغيرِ اللهِ تعظيمًا.

والخفيُّ: ما كانَ في القلبِ مثلُ الرياءِ؛ لأنَّهُ لا يَبِينُ، إذْ لا يعلَمُ ما في القلوبِ إلاَّ اللهُ. ويُسمَّى أيضًا: شِرْكَ السَّرائرِ.

وهذا هوَ الذي بيَّنَهُ اللهُ بقولِهِ: ﴿**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ**﴾ لأنَّ الحسابَ يومَ القيامةِ على السرائرِ، قالَ تعالى: ﴿**أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ**﴾.

وفي الحديثِ الصحيحِ فِيمَنْ كانَ يَأْمُرُ بالمعروفِ ولا يفْعَلُهُ، وينهَى عن المنكرِ ويفعلُهُ، أنَّهُ يُلْقَى في النارِ حتَّى تَنْدَلِقَ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فيدورُ عليها كما يدُورُ الحمارُ برَحَاهُ، فيجتمعُ عليهِ أهلُ النَّارِ فيسألونَهُ، فيُخْبِرُهُم أنَّهُ كانَ يأْمُرُ بالمعروفِ ولا يفعلُهُ، وينهى عَنِ المُنْكَرِ ويفعلُهُ.

قولُهُ: «**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ**» يتساوى في ذلكَ الرجلُ والمرأةُ، والتخصيصُ هنا يُسمَّى مفهومَ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

اللَّقَب، أيْ أنَّ الحُكْمَ يُعَلَّقُ بما هوَ أشرفُ، لا لقَصْدِ التخصيصِ، ولكنْ لضَرْبِ المَثَلِ.

وقولُهُ: «فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ» أيْ: يُحَسِّنُهَا بالطُّمَأْنينَةِ، ورَفْعِ اليدَيْنِ عندَ التكْبيرِ، ونحوِ ذلكَ.

قولُهُ: «لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ» (ما) مَوْصُولةٌ، وحُذفَ العائدُ؛ أيْ: للَّذي يَرَاهُ مِنْ نظرِ رَجُلٍ.

وهذهِ هيَ العِلَّةُ لتحْسينِ الصلاةِ، فقدْ زَيَّنَ صَلاتَهُ ليراهُ هذا الرجلُ، فيَمْدَحُهُ بلسانِه، أوْ يُعَظِّمُهُ بقلْبِه، وهذا شركٌ.

(٥) **فيهِ مَسائِلُ:**

الأولَى: (**تَفسيرُ آيَةِ الكَهْفِ**) وسبقَ الكلامُ عليهَا.

(٦) **الثانيَةُ:** (**الأمرُ العظيمُ فِي ردِّ العَمَلِ الصَّالِحِ إذا دَخَلَهُ شَيْءٌ لغَيْرِ اللهِ**) وذلكَ لقولِه: «**تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» وصارَ عظيمًا؛ لأنَّهُ ضاعَ على العاملِ خَسَارًا. وفَحْوَى الحديثِ تدلُّ على غَضَبِ اللهِ عزَّ وجلَّ مِنْ ذلكَ.

(٧) **الثالثَةُ:** (**ذِكْرُ السببِ الْمُوجبِ لذلكَ، وهُوَ كَمالُ الغنى**) يعني: المُوجبُ للرَدِّ هوَ كمالُ غنى اللهِ عزَّ وجلَّ عنْ كلِّ عملٍ فيهِ شِرْكٌ، وهوَ غَنِيٌّ عنْ كلِّ عملٍ، لكنَّ العملَ الصالحَ يَقْبَلُهُ ويُثِيبُ عليه.

(٨) **الرَّابعةُ:** (**أنَّ من الأسْبابِ أنَّهُ تعالى خَيْرُ الشُّرَكاءِ**) أيْ: مِنْ أسبابِ ردِّ العملِ إذا أَشْرَكَ فيهِ العاملُ معَ اللهِ أحدًا أنَّ اللهَ خيرُ الشركاءِ، فلا يُنَازِعُ مَنْ جُعِلَ شريكًا لَهُ فيه.

(٩) **الخامسةُ:** (**خَوْفُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ علَى أَصْحابِه من الرِّيَاءِ**) وذلكَ لقولِه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**».

وإذا كانَ يخافُ ذلكَ على أصحابِه فالخَوْفُ على مَنْ بعدَهُمْ منْ ذلكَ مِنْ بابِ أَوْلَى.

(١٠) **السادِسةُ:** (**أَنَّهُ فَسَّرَ ذلكَ بأنَّ المرءَ يُصَلِّي للهِ، لَكنْ يُزَيِّنُها لمَا يَرى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ**) وهذا التفسيرُ ينطبقُ تمامًا على الرياءِ، فيكونُ أخوفَ علينَا عندَ رسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ من المسيحِ الدَّجَّالِ.

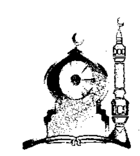
ولَمْ يذْكُرِ المُؤَلِّفُ مسألةَ خوفِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على أُمَّتِه من **المسيحِ الدَّجَّالِ**؛ لأنَّ المَقامَ في الرِّيَاءِ، لا فيما يَخَافُهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ على أُمَّتِه.

(١١) قولُهُ: (**من الشِّرْكِ**) (مِنْ) للتَّبْعيضِ؛ أيْ: بعضُ الشركِ.

قولُهُ: (**الدُّنيا**) مفعولٌ بـــ(إرادةٌ)؛ لأنَّ (إرادةُ) مصدرٌ مُضَافٌ إلى فاعلٍ، وإذا أردْتَ أنْ تعرفَ المصدرَ إنْ كانَ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





مضافًا إلى فاعله أوْ مفعولِه، فحَوِّلْهُ إلى فعلٍ مُضَارعٍ مَقْرُون بأنْ،

فإذا قُلْنَا: بابٌ من الشِّرك أنْ يُريدَ الإنسانُ بعمله الدُّنْيَا، فالإنسانُ فاعلٌ، وعلى هذا؛ فـ(إرادةُ) مصدرٌ مضافٌ إلى فاعلِه، والدُّنيا مفعولٌ بِهِ.

وعنوانُ البابِ لهُ ثلاثةُ احتمالاتٍ:

الأوَّلُ: أنْ يكونَ مُكرَّرًا معَ ما قَبْلَهُ، وهذا بَعيدٌ أنْ يَكْتُبَ المُؤَلِّفُ ترجمتَيْنِ مُتَتابعتَيْنِ لمعنًى واحد.

الثاني: **أنْ يكونَ البابُ الذي قَبْلَهُ أخصَّ منْ هذا الباب**؛ لأنَّهُ خاصٌّ في الرياء، وهذا أعمّ، وهذا مُحتَمَلٌ.

الثالثُ: أنْ يكونَ هذا البابُ نوعًا مُستَقلاً عن البابِ الذي قَبْلَهُ، وهذا هوَ الظاهرُ؛ لأنَّ الإنسانَ في البابِ السابقِ يعملُ رياءً يُريدُ أنْ يُمْدَحَ في العبادةِ فيُقَالُ: هوَ عابدٌ. ولا يُريدُ النفعَ المادِّيَّ.

وفي هذا البابِ لا يُريدُ أنْ يُمْدَحَ بعبادتِهِ ولا يُريدُ المُرَاءَاةَ، بلْ يَعْبُدُ اللهَ مُخْلصًا لَهُ ولكنَّهُ يُريدُ شيئًا من الدنيا؛ كالمالِ والمَرْتَبَةِ والصحَّةِ في نفسه وأهله وولده، وما أشبهَ ذلكَ.

فهوَ يُريدُ بعمله نفعًا في الدنيا غافلاً عنْ ثوابِ الآخرة، كَمَنْ أذَّنَ ليَأْخُذَ راتبَ المؤذِّن، أوْ حجَّ ليَأْخُذَ المالَ، أو تعلَّمَ في كُلِّيَّةٍ ليأخذَ الشهادةَ فترْتَفِعُ مَرْتَبَتُهُ، أو تعبَّدَ للهِ كيْ يُجْزِيَهُ اللهُ بهذا في الدُّنيا بمحبَّةِ الخلقِ لَهُ، ودفعِ السوءِ عنهُ، وما أشبهَ ذلكَ.

تنبيهٌ:

فإنْ قيلَ: هلْ يَدْخُلُ فيه مَنْ يتَعَلَّمُونَ في الكُلِّيَّات أوْ غيرِها يُرِيدُونَ شهادةً أوْ مَرْتَبَةً بتعلُّمِهم؟

فالجوابُ: أنَّهم يدْخُلُونَ في ذلكَ إذا لمْ يُرِيدُوا غَرَضًا شرعيًّا، فنقولُ لَهُمْ:

أوَّلاً: لا تقْصِدُوا بذلكَ المرتبةَ الدُّنْيَوِيَّةَ، بل اتَّخذُوا هذه الشهاداتِ وسيلةً للعملِ في الحقولِ النافعة للخلق؛ لأنَّ الأعمالَ في الوقتِ الحاضرِ مَبْنِيَّةٌ على الشهاداتِ، والناسُ لا يستطيعونَ الوصولَ إلى منفعةِ الخلقِ إلاَّ بهذه الوسيلة، وبذلكَ تكونُ النِّيَّةُ سليمةً.

ثانيًا: أنَّ مَنْ أرادَ العلْمَ لذاته قدْ لا يَجِدُهُ إلاَّ في الكُلِّيَّات، فيدخلُ الكُلِّيَّةَ أوْ نحْوَها لهذا الغرضِ، وأمَّا بالنسبة للمرتبة فإنَّها لا تَهُمُّهُ.

ثالثًا: أنَّ الإنسانَ إذا أرادَ بعمله الحُسْنَيَيْنِ؛ حُسْنَى **الدُّنْيَا** وحُسْنَى الآخرة، فلا شيءَ عليه؛ لأنَّ اللهَ يقولُ:

{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} فرَغَّبَهُ في التَّقْوَى بذكرِ المَخْرَجِ منْ كُلِّ ضيقٍ، والرزقِ منْ حيثُ لا يحْتسِبُ.

(١٢) قَوْلُهُ تَعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} أي: البقاءَ في الدُّنيا.

قولُهُ: {وَزِينَتَهَا} أي: المالَ والبنينَ والنساءَ والحرثَ والأنعامَ والخيلَ المُسَوَّمَةَ، كما قالَ اللهُ تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}.

قولُهُ: {نُوَفِّ إِلَيْهِمْ} فعلٌ مضارعٌ مُعْتَلُّ الآخرِ مجزومٌ بحذفِ حرفِ العلَّةِ الياءِ؛ لأَنَّهُ جوابُ الشرطِ.

والمعنى: أنَّهم يُعْطَوْنَ ما يُريدونَ في الدُّنْيا، ومنْ ذلكَ الكُفَّارُ لا يَسْعَوْنَ إلاَّ للدُّنيا وزينتِهَا؛ ولذلكَ عُجِّلَتْ لهمْ طيِّباتُهُمْ في حياتِهم الدنيا، كمَا قالَ تعالى: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا}.

ولهذا لمَّا بَكى عُمَرُ حينَ رأى النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قدْ أثَّرَ في جَنْبِه الفراشُ، فقالَ: «مَا يُبْكِيكَ؟»

قالَ: (يا رسولَ اللهِ، كِسْرَى وقَيْصَرُ يعيشانِ فيما يعيشانِ فيه منْ نعيمٍ، وأنتَ على هذهِ الحالِ)

فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ».

وفي الحقيقةِ هيَ ضَرَرٌ عليهِمْ؛ لأَنَّهم إذا انْتَقَلُوا منْ دارِ النعيمِ إلى الجحيمِ صارَ عليْهِم أشدَّ وأعظمَ في فَقْدِ ما مُتِّعُوا به في الدُّنْيا.

قولُهُ: {وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} البَخْسُ: النقصُ؛ أيْ: لا يُنْقَصُونَ مِمَّا يُجازَوْنَ فيه؛ لأنَّ اللهَ عَدْلٌ لا يَظْلِمُ، فيُعْطَوْنَ ما أَرادُوهُ.

- قولُهُ: {أُولَٰئِكَ} المشارُ إليه الذينَ يُريدُونَ الحياةَ الدُّنيا وزينتَهَا.

- قولُهُ: {لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ} فيه حَصْرٌ، وطريقُهُ النفيُ والإثباتُ، وهذا يعني أنَّهم لنْ يدْخُلُوا

الجنَّةَ؛ لأنَّ الذي ليسَ لَهُ إلاَّ النَّارُ مَحْرُومٌ من الجنَّةِ، والعياذُ باللهِ.

- قولُهُ: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ الْحُبُوطُ: الزَّوَالُ والتَّرْكُ؛ أيْ: زالَ عنهمْ ما صنَعُوا في الدنيا.

- قولُهُ: ﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ﴿باطلٌ﴾ خبرٌ مُقَدَّمٌ لأجْلِ مُراعاةِ الفواصلِ في الآياتِ، والمبتدأُ ﴿ما﴾ في قولِهِ: ﴿مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فأَثْبَتَ اللهُ أنَّهُ ليسَ لهؤلاءِ إلاَّ النَّارُ، وأنَّ ما صَنَعُوا في الدُّنْيَا قَدْ حَبِطَ، وأنَّ أعمالَهُمْ باطلةٌ.

- وقولُهُ تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ مَخصُوصَةٌ بقولِهِ تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾.

فإنْ قيلَ: لماذا لا نجعلُ آيَةَ هُود حاكمةً على آيَةِ الإسراءِ، ويكونُ اللهُ تَوعَّدَ مَنْ يُريدُ العاجلةَ في الدنيا أنْ يجعلَ لهُ ما يشاءُ لِمَنْ يُريدُ، ثُمَّ وعدَ أنْ يُعطيَهُ ما يشاءُ؟

أجيبُ: أنَّ هذا المعنى لا يستقيمُ لأمرَيْنِ:

أوَّلاً: أنَّ القاعدةَ الشرعيَّةَ في النصوصِ أنَّ الأخصَّ مُقَدَّمٌ على الأعمِّ. وآيَةُ هودٍ عامَّةٌ؛ لأنَّ كلَّ مَنْ أرادَ الحياةَ الدنيا وزينتَهَا وُفِّيَ إليهِ العملُ، وأُعْطِيَ ما أرادَ أنْ يُعطَى.

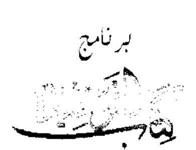
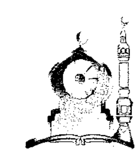
أمَّا آيَةُ الإسراءِ فهيَ خاصَّةٌ، ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ ولا يُمْكِنُ أنْ يُحْكَمَ بالأعمِّ على الأخصِّ.

الثاني: أنَّ الواقعَ يَشْهَدُ على ما تَدُلُّ عليه آيَةُ الإسراءِ؛ لأنَّ في فُقَراءِ الكُفَّارِ مَنْ هوَ أفْقَرُ منْ فُقَراءِ المسلمينَ؛ فيكونُ عمومُ آيَةِ هود مخصوصًا بآيَةِ الإسراءِ، فالأمرُ مَوْكُولٌ إلى مشيئةِ اللهِ، وفيمَنْ يُريدُهُ.

واخْتُلِفَ فيمَنْ نَزَلَتْ فيه آيَةُ هود:

فقيلَ: نَزَلَتْ في الكُفَّارِ؛ لأنَّ الكافرَ لا يُريدُ إلاَّ الحياةَ الدُّنيا، ويدلُّ على هذا سياقُها والجزاءُ المُرَتَّبُ على هذا. وعليهِ يكونُ وجْهُ مُناسَبَتِها للترجمة أنَّهُ إذا كانَ عملُ الكافرينَ يُرَادُ بهِ الدُّنيا، فكلُّ مَنْ شارَكَهُمْ في شيءٍ منْ ذلكَ ففيه شيءٌ منْ شِرْكِهِم وكُفْرِهِمْ.

وقيلَ: نَزَلَتْ في المُرائينَ؛ لأنَّهمْ لا يعْمَلُونَ إلاَّ للدُّنيا، فلا ينفعُهُم يومَ القيامةِ.

وقيل: نَزَلَتْ فيمَنْ يُرِيدُ مالاً بعمله الصالح.

والسياقُ يَدُلُّ للقولِ الأوَّلِ؛ لقولِه تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [هود:١٦].

(١٣) قولُهُ: «تَعِسَ» بفتحِ العينِ أوْ كسرِهَا؛ أيْ: خابَ وهَلَكَ.

قولُهُ: «عَبْدُ الدِّينَارِ» الدِّينارُ هوَ: النَّقْدُ من الذهبِ، والدينارُ الإسلاميُّ زِنَتُهُ مِثْقَالٌ.

وسمَّاهُ عبدَ الدينارِ؛ لأنَّهُ تعلَّقَ به تعلُّقَ العبدِ بالرَّبِّ، فكانَ أكبرَ همِّه، وقدَّمَهُ على طاعةِ ربِّه.

ويُقالُ في عَبْدِ الدِّرْهَمِ ما قيلَ في عبدِ الدينارِ، والدِّرْهَمُ هوَ: النقدُ من الفضَّةِ، وزِنَةُ الدرهمِ الإسلاميِّ سبعةُ أعشارِ المِثْقَالِ، فكلُّ عَشَرَةِ دراهمَ سبعةُ مثاقيلَ.

وقدْ أرادَ المُؤَلِّفُ بهذا الحديثِ أنْ يُبَيِّنَ أنَّ من الناسِ مَنْ يَعْبُدُ الدنيا؛ أيْ: يتَذَلَّلُ لها ويخضَعُ لها، وتكونُ مُنَاهُ وغايتَهُ، فيَغْضَبُ إذا فُقِدَتْ، ويَرضَى إذا وُجِدَتْ. ولهذا سَمَّى النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَنْ هذا شأنُهُ عبدًا لها، وهذا مَنْ يُعْنَى بجمعِ المالِ من الذهبِ والفضَّةِ؛ فيكونُ مُرِيدًا بعمَلِه الدُّنيا.

قولُهُ: «تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ» وهذا مَنْ يُعْنَى بمظهرِه وأثاثِه؛ لأنَّ الخميصةَ كساءٌ جميلٌ، والخميلةَ فِراشٌ وَثِيرٌ، ليسَ لهُ هَمٌّ إلاَّ هذا الأمر، فإذا كانَ عابدًا لهذه الأمورِ؛ لأنَّهُ صرفَ لها جُهُودَهُ وهِمَّتَهُ، فكيفَ بمَنْ أرادَ بالعملِ الصالحِ شيئًا من الدُّنيا فجعلَ الدينَ وسيلةً للدُّنيا؟! فهذا أعظمُ.

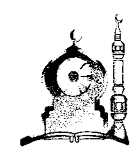
قولُهُ: «إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ» يُحتَمَلُ أنْ يكونَ المُعْطِي هُوَ اللهَ، فيكونُ الإعطاءُ قَدَرِيًّا؛ أيْ: إنْ قَدَّرَ اللهُ لَهُ الرزقَ والعطاءَ رَضِيَ وانْشَرَحَ صَدْرُهُ، وإنْ مُنِعَ وحُرِمَ المالَ سَخِطَ بقلبه وقوله، كأنْ يقولَ: لماذا كُنْتُ فقيرًا وهذا غنيًّا؟ وما أشبهَ ذلكَ، فيكونُ ساخطًا على قضاءِ اللهِ وقَدَرِه؛ لأنَّ اللهَ مَنَعَهُ، واللهُ سُبْحَانَهُ وتعالى يُعطِي ويمنعُ لحكمةٍ، ويُعْطِي الدُّنيا لمَنْ يُحبُّ ومَنْ لا يُحبُّ، ولا يُعْطِي الدِّينَ إلاَّ لمَنْ يُحبُّ.

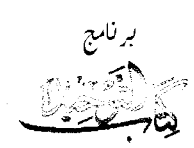
والواجبُ على المؤمنِ أنْ يَرْضَى بقضاءِ اللهِ وقَدَرِه؛ إنْ أُعْطِيَ شَكَرَ، وإنْ مُنِعَ صَبَرَ،

ويُحْتَمَلُ أنْ يُرَادَ بالإعطاءِ هنا الإعطاءُ الشرعيُّ؛ أيْ: إنْ أُعْطِيَ مِنْ مالٍ يستَحِقُّهُ من الأموالِ الشرعيَّةِ رَضِيَ، وإنْ لمْ يُعْطَ سَخِطَ، وكلا المعنيَيْنِ حقٌّ، وهما يدُلاَّنِ على أنَّ هذا الرجلَ لا يَرْضَى إلاَّ للمالِ، ولا يَسْخَطُ إلاَّ لَهُ؛ ولهذا سَمَّاهُ الرسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عبدًا لَهُ.

قولُهُ: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ» تَعِسَ: أيْ خابَ وهلَكَ، وانْتَكَسَ: أي انْتَكَسَتْ عليه الأمورُ بحيثُ لا تَتَيَسَّرُ لَهُ.







فكُلَّمَا أرادَ شيئًا انقَلَبَتْ عليهِ الأمورُ خلافَ ما يُريدُ، ولهذا قالَ: «**وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ**» أيْ: إذا أصابَتْهُ شوكةٌ فلا يستطيعُ أنْ يُزيلَ ما يُؤْذيهِ عنْ نفسهِ.

وهذهِ الجملُ الثلاثُ يُحتَمَلُ أنْ تكونَ خبرًا منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ حالِ هذا الرجلِ، وأنَّهُ في تعاسةٍ وانتكاسٍ وعدمِ خلاصٍ من الأذى، ويُحتَمَلُ أنْ تكونَ منْ بابِ الدعاءِ على مَنْ هذهِ حالُهُ؛ لأنَّهُ لا يَهتَمُّ إلاَّ للدُّنيا، فَدَعا عليهِ أنْ يَهْلِكَ، وأنْ لا يُصيبَ من الدُّنيا شيئًا، وأنْ لا يتمكَّنَ منْ إزالةِ ما يُؤْذيهِ، وقدْ يَصِلُ إلى الشِّرْكِ عندَما يصُدُّهُ ذلكَ عنْ طاعةِ اللهِ، حتَّى أصبحَ لا يرضَى إلاَّ للمالِ، ولا يسخَطُ إلاَّ لَهُ.

قولُهُ: «**طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ**» هذا عكسُ الأوَّلِ، فهوَ لا يهتَمُّ للدُّنيا، وإنَّما يهتمُّ للآخرةِ، فهوَ في استعدادٍ دائمٍ للجهادِ في سبيلِ اللهِ.

و«**طُوبَى**» (فُعْلَى) من الطِّيبِ، وهيَ: اسمُ تفضيلٍ؛ فَـ(أَطْيَبُ) للمُذَكَّرِ، و(طُوبَى) للمُؤنَّثِ، والمعنَى: أَطْيَبُ حالٍ تكونُ لهذا الرجلِ.

وقيلَ: إنَّ طُوبَى شجرةٌ في الجنَّةِ، والأوَّلُ أعمُّ، كما قالُوا في (وَيْلٍ): كلمةُ وعيدٍ.

وقيلَ: وادٍ في جهنَّمَ، والأوَّلُ أعمُّ.

وقولُهُ: «**آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ**» أيْ: مُمْسِكٍ بمقْوَدِ فرسهِ الذي يُقَاتِلُ عليهِ.

قولُهُ: «**فِي سَبِيلِ اللهِ**» ضابطُهُ: أنْ يُقَاتِلَ لتكونَ كلمةُ اللهِ هيَ العُلْيَا، لا للْحَمِيَّةِ أو الوطنيَّةِ أوْ ما أشْبَهَ ذلكَ.

لكنْ إنْ قاتلَ وطنيَّةً وقَصَدَ حمايَةَ وطنهِ لكونهِ بلدًا إسلاميًّا يَجبُ الذَّوْدُ عنهُ؛ فهوَ في سبيلِ اللهِ. وكذلكَ مَنْ قاتلَ دفاعًا عنْ نفسهِ أوْ مالهِ أوْ أهلهِ؛ فإنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ: «**مَنْ قَاتَلَ دُونَ ذَلِكَ فَهُوَ شَهِيدٌ**».

فأمَّا مَنْ قاتلَ للوطنيَّةِ المَحْضَةِ فليسَ في سبيلِ اللهِ، لأنَّ هذا قتالُ عصبيَّةٍ يستوي فيهِ المؤمنُ والكافرُ، فإنَّ الكافرَ يُقَاتِلُ منْ أجلِ وطنهِ.

قولُهُ: «**أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ**» أيْ: رَأْسُهُ أَشْعَثُ من الغُبَارِ في سبيلِ اللهِ، فهوَ لا يَهتَمُّ بحالهِ ولا بَدَنهِ ما دامَ هذا الأمرُ ناتجًا عنْ طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وقدَمَاهُ مُغْبَرَّةٌ من السيرِ في سبيلِ اللهِ، وهذا دليلٌ على أنَّ أهمَّ شيءٍ عندَهُ هوَ الجهادُ في سبيلِ اللهِ، أمَّا أنْ يكونَ شعرُهُ أوْ ثوبُهُ أوْ فراشُهُ نظيفًا فليسَ لهُ هَمٌّ فيهِ.

قولُهُ: «**إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ فَهُوَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ فَهُوَ فِي السَّاقَةِ**» الحراسةُ والساقةُ لَيْسَتْ مِنْ مُقَدَّمِ الجيشِ، فالحراسةُ أنْ يَحْرُسَ الإنسانُ الجيشَ، والساقةُ أنْ يكونَ في مُؤَخِّرَتِهِ.

وللجُمْلَتَيْنِ مَعْنَيَان:

الأول: أَنَّهُ لا يُبَالِي أينَ وُضِعَ، إنْ قيلَ لهُ: احْرُسْ، حرَسَ. وإنْ قيلَ لهُ: كُنْ في الساقَةِ، كانَ فيها. فلا يطْلُبُ مرتبةً أعلى مِنْ هذا المحلِّ، كمُقَدَّمِ الجيشِ مثلاً.

الثاني: إنْ كانَ في الحراسةِ أدَّى حقَّها، وكذا إنْ كانَ في السَّاقَةِ. والحديثُ صالحٌ لِلْمَعْنَيَيْنِ، فَيُحْمَلُ عليهما جميعًا إذا لَمْ يكُنْ بينَهُما تعارضٌ، ولا تعارُضَ هُنَا.

قولُهُ: «**إنِ استَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ**» أيْ: هوَ عندَ الناسِ ليسَ لهُ جاهٌ ولا شرفٌ، حتَّى إنَّهُ إن استأذنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وهكذا عندَ أهلِ السُّلْطَةِ ليسَ لَهُ مرتبةٌ، فإنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ، ولكنَّهُ شفيعٌ عندَ اللهِ، ولهُ المنزلةُ العاليَةُ؛ لأَنَّهُ يُقَاتِلُ في سبيلِهِ.

والشفاعةُ: هيَ التوسُّطُ للغيرِ بجَلْبِ منفعةٍ أوْ دَفْعِ مضرَّةٍ، والاستئذانُ طلبُ الإذنِ بالشيءِ.

وقد قسَّم الحديث الناسَ إلى قسميْن:

الأوَّلُ: من ليسَ لهُ هَمٌّ إلاَّ الدُّنْيا؛ إمَّا لتحصيلِ المالِ، أوْ لتجميلِ الحالِ، فقد استَعْبَدَتْ قَلْبَهُ حتَّى أشْغَلَتْهُ عنْ ذِكْرِ اللهِ وعبادتِهِ.

الثاني: أكبرُ هَمِّهِ الآخرةُ، فهوَ يسعى لها في أعلى ما يكونُ مشقَّةً، وهوَ الجهادُ في سبيلِ اللهِ، ومعَ ذلكَ أدَّى ما يجبُ عليهِ مِنْ جميعِ الوُجُوهِ.

(١٤) فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: (**إرادةُ الإنسانِ الدُّنيا بعَمَلِ الآخِرَةِ**) وهذا مِن الشركِ؛ لأَنَّهُ جعلَ عملَ الآخرةِ وسيلةً لعملِ الدُّنيا، فيطغَى على قلبِهِ حُبُّ الدُّنيا حتَّى يُقَدِّمَها على الآخرةِ. والحَزْمُ والإخلاصُ أنْ يجعلَ عملَ الدُّنيا للآخرةِ.

(١٥) **الثانيةُ:** (**تَفْسيرُ آيَةِ هودٍ**) وقدْ سبقَ ذلكَ.

(١٦) **الثالثةُ:** (**تَسميَةُ الإنسانِ الْمُسلِمِ عَبْدَ الدِّينارِ والدِّرْهَمِ وَالْخَمِيصَةِ**) وهذهِ العُبُوديَّةُ لا تَدْخُلُ في الشِّرْكِ ما لَمْ يَصِلْ بها إلى حدِّ الشركِ، ولكنَّها نَوْعٌ آخَرُ يُخِلُّ بالإخلاصِ؛ لأَنَّهُ جَعَلَ في قلبِهِ مَحَبَّةً زاحَمَتْ مَحَبَّةَ اللهِ عزَّ وجلَّ ومَحَبَّةَ أعمالِ الآخرةِ.

(١٧) الرابعةُ: (**تَفْسيرُ ذلكَ بأَنَّهُ إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ**) هذا تفسيرٌ لقولِه صلَّى اللهُ عليه

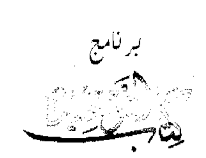
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

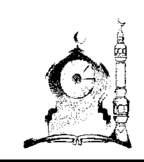
وسلَّمَ: «عَبْدُ الدِّينَارِ»، «عَبْدُ الدِّرْهَمِ»، «عَبْدُ الْخَمِيصَةِ»، «عَبْدُ الْخَمِيلَةِ»، «إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ» وهذه علامةُ عُبُوديَّته لهذه الأشياء أنْ يكونَ رِضَاهُ وسَخَطُهُ تابعًا لهذه الأشياء.

(١٨) **الخامسة:** قولُهُ: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ».

(١٩) **السادِسة:** قولُهُ: «وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ» يُحتَمَلُ أنْ تكونَ الجُمَلُ الثلاثُ خبرًا أوْ دُعاءً. وسبقَ شرْحُ ذلكَ.

(٢٠) **السابعة: (الثَّناءُ علَى الْمُجاهِدِ الْمَوصوفِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ)** فقولُهُ في الحديث: «طُوبَى لِعَبْدٍ . . .» يدُلُّ على الثناءِ عليهِ، وأنَّهُ هوَ الذي يستَحِقُّ أنْ يُمْدَحَ، لا أصحابُ الدراهمِ والدنانيرِ وأصحابُ الفُرُشِ والمراتبِ.







تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الرابع والثلاثون

(١) قولُهُ: (**مَنْ أَطَاعَ الْعُلَمَاءَ**) (مَنْ) يُحتَمَلُ أنْ تكونَ شرطيَّةً؛ بدليلِ قولِه: (**فَقَد اتَّخَذَهُم**) لأنَّها جوابُ الشرطِ، ويُحتَمَلُ أنْ تكونَ موصولةً، أيْ: بابُ الذي أطاعَ العلماءَ.

وقولُهُ: (**فَقَد اتَّخَذَهُمْ**) خبرُ المبتدأ، وقُرِنَتْ بالفاءِ؛ لأنَّ الاسمَ الموصولَ كالشرطِ في العمومِ، وعلى الأوَّلِ تُقْرَأُ (**بابٌ**) بالتنوينِ، وعلى الثاني بدُونِ تنوينٍ، والأوَّلُ أحسنُ.

والمرادُ بالعلماءِ: **العلماءُ بشرعِ اللَّهِ**، وبالأُمَرَاءِ: أُولو الأمرِ المُنَفِّذُونَ له.

وهذانِ الصِّنْفَانِ هما المذكورانِ في قولِه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فجعلَ اللَّهُ طاعتَهُ مستقلَّةً، وطاعةَ رسولِه مستقلَّةً، وطاعةَ أُولي الأمرِ تابعةً، ولهذا لمْ يُكرِّر الفعلَ ﴿أَطِيعُوا﴾ فلا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ.

وأُولو الأمرِ همْ أُولُو الشأنِ، وهم العلماءُ؛ لأنَّهُ يُسْتَنَدُ إليهِمْ في أمرِ الشرعِ والعلمِ به، والأُمَرَاءُ؛ لأنَّهُ يُسْتَنَدُ إليهِمْ في تنفيذِ الشرعِ وإمضائِه، وإذا استقامَ العلماءُ والأمراءُ استقامت الأمورُ، وبفسادِهِمْ تَفْسُدُ الأمورُ؛ لأنَّ العلماءَ أهلُ الإرشادِ والدلالةِ، والأمراءُ أهلُ الإلزامِ والتنفيذِ.

قولُهُ: (**في تحريمِ ما أحلَّ اللَّهُ**) أيْ: في جعْلِه حرامًا، أيْ: عقيدةً أوْ عملاً، (**أوْ تحليلِ ما حرَّمَ اللَّهُ**) أيْ: في جعْلِه حلالاً عقيدةً أوْ عملاً، فتحريمُ ما أحلَّ اللَّهُ لا يَنْقُصُ درجةً في الإثْمِ عنْ تحليلِ ما حرَّمَ اللَّهُ.

وكثيرٌ منْ ذَوِي الغَيْرَةِ من الناسِ تجدُهُمْ يميلونَ إلى تحريمِ ما أحلَّ اللَّهُ، أكثرَ منْ تحليلِ الحرامِ، بعكسِ المُتَهَاوِنِينَ، وكلاهُمَا خَطَأٌ، ومعَ ذلكَ فإنَّ تحليلَ الحرامِ فيما الأصلُ فيه الحِلُّ أهْوَنُ منْ تحريمِ الحلالِ؛ لأنَّ تحليلَ الحرامِ إذا لمْ يَتَبَيَّنْ تحريمُهُ فهوَ مَبْنِيٌّ على الأصلِ وهوَ الحِلُّ، ورحمةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ سَبَقَتْ غضبَهُ، فلا يُمْكِنُ أنْ نُحَرِّمَ إلا ما تَبَيَّنَ تحريمُهُ؛ ولأنَّهُ أضيقُ وأشدُّ، والأصلُ أنْ تبقَى الأمورُ على الحِلِّ والسَّعَةِ حتَّى يتبيَّنَ التَّحْرِيمُ.

أمَّا في **العباداتِ فَيُشَدَّدُ**؛ لأنَّ الأصلَ المنعُ والتحريمُ حتَّى يُبَيِّنَهُ الشرعُ، كما قيلَ:

والأصلُ في الأشياءِ حِلٌّ وامنعْ   عبادةً إلَّا بإذْنِ الشارعِ

قولُهُ: (**أَرْبَابًا**) جمعُ ربٍّ، وهوَ: المُتصرِّفُ المالكُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٢ – ص.ب: ٣٦١٤٢٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

والتصرُّفُ نوعان:
- **تَصرُّفٌ قدَريٌّ.**
- **وتَصرُّفٌ شرعيٌّ.**

فمَنْ أطاعَ العلماءَ في مخالفةِ أمرِ اللَّهِ ورسولِه فقد اتَّخذَهُمْ أربابًا مِنْ دونِ اللَّهِ باعتبارِ التصرُّفِ الشرعيِّ؛ لأنَّهُ اعتبرَهُمْ مشرِّعينَ، واعتبرَ تشريعَهم شرعًا يُعْمَلُ بهِ، وبالعكسِ الأمراءُ.

(٢) قولُ ابنِ عبَّاسٍ: **(حِجارةٌ مِن السَّماءِ)** أيْ: مِنْ فَوْقٍ، تَنْزِلُ عليكُمْ عقوبةً لكُمْ؛ ونُزُولُ الحجارةِ من السماءِ ليسَ بالأمرِ المستحيلِ، بلْ هوَ مُمْكنٌ، قالَ تعالى في أصحابِ الفيلِ: **{وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ}** وقالَ تعالى في قومِ لوطٍ: **{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ}** وَ**الْحَاصِبُ**: الحجارةُ تَحْصِبُهُمْ من السماءِ.

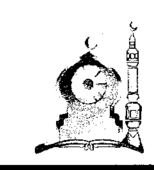
قولُهُ: **(أقولُ: قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، وتقولونَ: قالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ)** أبو بكرٍ وعمرُ أفضلُ هذهِ الأُمَّةِ، وأقربُها إلى الصوابِ، قالَ النبيُّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «**إِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا**» رواهُ **مسلمٌ**، ورُوِيَ عنهُ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أنَّهُ قالَ: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي؛ **أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**».

وقالَ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**» ولم يُعْرَفْ عنْ **أبي بكرٍ وعمرَ** أنَّهما خالَفَا نصًّا برأْيِهِمَا، فإذا كانَ قولُ **أبي بكرٍ وعُمرَ** إذا عارضَ الإنسانُ بقولِهِما قولَ الرسولِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فإنَّهُ يُوشِكُ أنْ تَنْزِلَ عليه حجارةٌ من السماءِ، فما بالُكَ بمَنْ يُعَارِضُ قولَهُ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بمَنْ هوَ دونَ **أبي بكرٍ وعمرَ**، والفَرْقُ بينَ ذلكَ كما بينَ السماءِ والأرضِ، فيكونُ هذا أقربَ للعقوبةِ.

وفي الأثرِ: التحذيرُ من التقليدِ الأعمى والتَّعصُّبِ المذهبيِّ.

وبعضُ الناسِ يرتكبُ خطأً فاحشًا، إذا قيلَ لهُ: قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: لكنْ في الكتابِ الفلانيِّ كذا وكذا، فعليهِ أنْ يتَّقيَ اللَّهَ الذي قالَ في كتابِهِ: **{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ}** ولمْ يقُلْ: ماذا أجبْتُمْ فلانًا وفلانًا ؟

أمَّا صاحبُ الكتابِ فإنَّهُ إنْ عُلِمَ أنَّهُ يُحبُّ الخيرَ، ويُريدُ الحقَّ، فإنَّهُ يُدْعَى لهُ بالمغفرةِ والرحمةِ إذا أخطأَ، ولا



يُقَالُ: إنَّهُ معصومٌ، يُعَارَضُ بقولِه قولُ الرسولِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ.

(٣) قولُ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَجِبْتُ): **العَجَبُ نَوْعَانِ:**

الأوَّلُ: عَجَبُ استحسانٍ، كما في حديثِ **عائشةَ** رَضِيَ اللَّهُ عنها: **{كَانَ الرسولُ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يُعْجِبُهُ التيامُنُ في تَنَعُّلِه وترَجُّلِه وطُهُورِه وفي شأْنِه كلِّه}**.

الثاني: عجبُ إنكارٍ، كما في قولِه تعالى: **{بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ}**، والعَجَبُ في كلامِ الإمامِ **أحمدَ** هنا عجبُ إنكارٍ.

قولُهُ: (**الإسنادَ**) المرادُ بِهِ هنا رجالُ السندِ، لا نِسْبَةُ الحديثِ إلى رَاوِيهِ، أيْ: عَرَفُوا صحَّةَ الحديثِ بمعرفةِ رجالِه.

قولُهُ: (**يَذْهَبُونَ إلى رَأْيِ سُفيانَ**) أيْ: **سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ**؛ لأنَّهُ صاحبُ المذهبِ المشهورِ، ولهُ أتباعٌ لكنَّهم انقَرَضُوا، فهم يذْهَبُونَ إلى رأيِ سفيانَ، هُوَ مِن الفقهاءِ، ويتركونَ ما جاءَ به الحديثُ.

قولُهُ: (**واللَّهُ يقولُ: {فَلْيَحْذَرِ}**) الفاءُ عاطفةٌ، واللامُ للأمرِ، ولهذا سُكِّنَتْ وجُزِمَ الفعلُ بها، لكنْ حُرِّكَ بالكسرِ لالتقاءِ الساكنَيْنِ.

قولُهُ: **{عَنْ أَمْرِهِ}** الضميرُ يعودُ للرسولِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ؛ بدليلِ أوَّلِ الآيةِ، قالَ تعالى: **{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ}**.

فإنْ قيلَ: لماذا عُدِّيَ الفعلُ بـ**{عَنْ}** معَ أنَّ (يُخَالِفُ) يتعدَّى بنفسِه ؟

أُجِيبُ: إنَّ الفعلَ ضُمِّنَ معنى الإعراضِ، أيْ: يُعْرِضُونَ عنْ أمرِه زُهْدًا فيه وعدمَ مُبَالاةٍ به، و**{أَمْرِهِ}** واحدُ الأوامرِ، وليسَ واحدَ الأُمُورِ؛ لأنَّ الأمرَ هوَ الذي يُخَالَفُ فيه، وهو مُفْرَدٌ مُضَافٌ، فَيَعُمُّ جميعَ الأوامرِ.

{فِتْنَةٌ} الفتنةُ فسَّرَهَا الإمامُ **أحمدُ** بالشركِ، وعلى هذا يكونُ الوعيدُ بأحدِ أمرَيْنِ: إمَّا الشركُ، وإمَّا العذابُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الأليمُ.

(٤) قولُهُ في حديثِ عَدِيِّ بنِ حاتمٍ: {اتَّخَذُوا}، الضميرُ يعودُ للنصارى؛ لأنَّ اليهودَ لم يتَّخِذُوا المسيحَ ابنَ مريمَ إلَهًا، بل ادَّعَوْا أنَّهُ ابنُ زانيةٍ وحاوَلُوا قتْلَهُ، وادَّعَوْا أنَّهم قتَلُوهُ، ويُحتَمَلُ أنْ يعودَ الضميرُ لليهودِ والنصارى جميعًا، ويَختَصُّ النصارى باتِّخاذِ المسيحِ ابنِ مريمَ، وهذا هوَ المُتَبادِرُ من السياقِ معَ الآيةِ التي قبلَهَا.

قولُهُ: {أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ} **الأحبارُ**: جمعُ حِبْرٍ وحَبْرٍ؛ وهوَ العالمُ الواسعُ العلْمِ، **والرُّهْبَانُ**: جمعُ راهبٍ، وهوَ العابدُ الزاهدُ.

قولُهُ: {أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} أيْ: مُشَارِكِينَ للَّهِ عزَّ وجلَّ في التشريعِ؛ لأنَّهم يُحلُّونَ ما حرَّمَ اللَّهُ فيحلُّهُ هؤلاءِ الأتباعُ، ويُحرِّمُونَ ما أحلَّ اللَّهُ فيُحَرِّمُهُ الأتباعُ.

قولُهُ: {وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} أي: اتَّخَذُوهُ إلهًا معَ اللَّهِ؛ بدليلِ قولِهِ تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا}، **والعبادةُ**: التذلُّلُ والخضوعُ واتِّبَاعُ الأوامرِ واجتنابُ النواهي.

قولُهُ: {إِلَهًا وَاحِدًا} هوَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ، وإلهٌ، أيْ: (مَأْلُوهٌ) معبودٌ مُطَاعٌ، وليسَ بمعنى (آلِهٍ) أيْ: قادرٍ على الاختراعِ، فإنَّ هذا معنًى فاسدٌ كما تقدم.

قولُهُ: {سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} {سُبْحَانَ} اسمُ مصدرٍ، وهيَ معمولٌ أوْ مفعولٌ لفعلٍ محذوفٍ وجوبًا تقديرُهُ يُسبِّحُ سُبْحَانًا، أيْ: تسبيحًا؛ لأنَّ اسمَ المصدرِ بمعنى المصدرِ، فسبحانَهُ مفعولٌ مطلقٌ عاملُها محذوفٌ وجوبًا، وهيَ مُلازمةٌ للإضافةِ، إمَّا إلى مُضْمَرٍ كما في الآيةِ {سُبْحَانَهُ} أوْ إلى مُظْهَرٍ كما في (سُبْحَانَ اللَّهِ).

والتسبيحُ: التنزيهُ، أيْ: تنزيهُ اللَّهِ عنْ كلِّ نقصٍ، ولا يَحتَاجُ أنْ نقولَ: ومُمَاثَلَةِ المخلوقينَ؛ لأنَّ المُمَاثلةَ نَقْصٌ، ولكنْ إذا قُلْنَاهَا فذلكَ منْ بابِ زيادةِ الإيضاحِ، حتَّى لا يُظَنَّ أنَّ تمثيلَ الخالقِ بالمخلوقِ في الكمالِ منْ بابِ الكمالِ، فيكونُ المعنى تنزيهَ اللَّهِ عنْ كلِّ ما لا يليقُ بهِ منْ نقصٍ أوْ مماثلةِ المخلوقينَ.

وقولُهُ: {عَمَّا يُشْرِكُونَ} أيْ: ممَّا سِواهُ من المسيحِ ابنِ مريمَ والأحبارِ والرهبانِ، فهوَ مُنَزَّهٌ عنْ كلِّ شِرْكٍ وعنْ كلِّ مُشْرَكٍ بهِ.

وقولُهُ: {عَمَّا يُشْرِكُونَ} هذا من البلاغةِ في القرآنِ؛ لأنَّها جاءَتْ مُحتَمِلَةً أنْ تكونَ (ما) مصدريَّةً، فيكونُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

المعنى عنْ شِرْكِهِمْ، أوْ موصولةً ويكونُ المعنى سُبْحَانَ اللَّهِ عن الذينَ يُشْرِكُونَ به، وهيَ صالحةٌ للأمرَيْنِ فتكونُ شاملةً لهمَا؛ لأنَّ الصحيحَ جوازُ استعمالِ المُشْتَرَكِ في معنَيَيْهِ إذا لَمْ يكُنْ بينَهُمَا تعارُضٌ، فيكونُ التريهُ عن الشركِ وعن المُشْرَكِ به.

قولُهُ: (إنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ) أيْ لا: نعبدُ الأحبارَ والرهبانَ، ولا نسجدُ لهمْ ولا نَرْكَعُ ولا نذبحُ ولا نَنْذرُ لَهُمْ، وهذا صحيحٌ بالنسبةِ للأحبارِ والرهبانِ؛ بدليلِ قولِهِ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ ؟».

فإنَّ هذا الوصفَ لا ينْطَبِقُ على عيسى أبدًا؛ لأنَّهُ رسولُ اللَّهِ، فما أحلَّهُ فقدْ أحلَّهُ اللَّهُ، وما حرَّمَهُ فقدْ حرَّمَهُ اللَّهُ، وقدْ حاولَ بعضُ الناسِ أنْ يُعِلَّ الحديثَ لهذا المعنى معَ ضَعْفِ سَنَدِه، والحديثُ حَسَّنَهُ التِّرْمذيُّ وَالأَلْبَانيُّ وآخَرُونَ، وضعَّفَهُ آخَرُونَ.

ويُجَابُ عن التعليلِ المذكورِ بأنَّ قَوْلَ عَديٍّ: لَسْنَا نعْبُدُهم، يعودُ على الأحبارِ والرهبانِ، أمَّا عيسى ابنُ مريمَ فالمعروفُ أنَّهمْ يعْبُدُونَهُ.

وبدأَ بتحريمِ الحلالِ؛ لأنَّهُ أعظمُ منْ تحليلِ الحرامِ، وكلاهُما مُحَرَّمٌ؛ لقولِهِ تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ...}.

قولُهُ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ» ووَجْهُ كوْنِهَا عبادةً: أنَّ منْ معنى العبادةِ الطاعةَ، وطاعةُ غيرِ اللَّهِ عبادةٌ للمُطَاعِ، ولكنْ بشرطِ أنْ تكونَ في غيرِ طاعةِ اللَّهِ، أمَّا إذا كانَ في طاعةِ اللَّهِ فهيَ عبادةٌ للَّه؛ لأنَّكَ إذا أطَعْتَ غيرَ اللَّهِ في طاعةِ اللَّهِ، كما لوْ أمرَكَ أبوكَ بالصلاةِ فصلَّيْتَ، فلا تكونُ قدْ عَبَدْتَ أَبَاكَ بطاعتِكَ لهُ، ولكنْ عَبَدْتَ اللَّهَ؛ لأنَّكَ أطَعْتَ غيرَ اللَّهِ في طاعةِ اللَّهِ، ولأنَّ أمرَ غيرِ اللَّهِ بطاعةِ اللَّهِ وامتثالِ أمرِهِ هوَ امتثالٌ لأمرِ اللَّهِ.

واعْلَمْ أنَّ اتِّباعَ العلماءِ أو الأمراءِ في تحليلِ ما حرَّمَ اللَّهُ أو العكس ينقسمُ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

الأوَّلُ: أنْ يُتَابِعَهُمْ في ذلكَ راضيًا بقولِهِمْ مُقَدِّمًا لَهُ سَاخطًا لِحُكْمِ اللَّهِ، فهوَ كافرٌ؛ لأنَّهُ كَرِهَ ما أنزلَ اللَّهُ فأَحْبَطَ اللَّهُ عملَهُ، ولا تُحْبَطُ الأعمالُ إلا بالكفرِ، فكلُّ مَنْ كَرِهَ ما أنزلَ اللَّهُ فهوَ كافرٌ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٢ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٢٠

الثاني: أنْ يُتابِعَهُمْ في ذلكَ راضيًا بحُكْمِ اللَّه وعالمًا بأنَّهُ أمثلُ وأصلحُ للعبادِ والبلادِ، ولكنْ لهَوًى في نفسِه اختارَهُ، كأنْ يُريدَ مثلاً وظيفةً، فهذا لا يَكْفُرُ، ولكنَّهُ فاسقٌ، ولهُ حُكْمُ غيْرِه من العُصَاةِ.

الثالث: أنْ يُتابِعَهُمْ جاهلاً، فيَظُنُّ أنَّ ذلكَ حُكْمُ اللَّه، فينقسمُ إلى قسمَيْن:

أحدهما: أنْ يُمْكِنَهُ أنْ يعْرِفَ الحقَّ بنفسِه، فهوَ مُفَرِّطٌ أوْ مُقَصِّرٌ، فهوَ آثمٌ؛ لأنَّ اللَّهَ أمرَ بسؤالِ أهلِ العلمِ عندَ عدمِ العلمِ.

الثاني: أنْ لا يكونَ عالمًا ولا يُمْكِنُهُ التعَلُّمُ فيُتابِعُهُم تقليدًا ويَظُنُّ أنَّ هذا هوَ الحقُّ، فهذا لا شيءَ عليه؛ لأنَّهُ فَعَلَ ما أُمِرَ به، وكانَ معذورًا بذلكَ؛ ولذلكَ وَرَدَ عنْ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ: إنَّ «**مَنْ أُفْتِيَ بغيرِ علمٍ فإنَّمَا إثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ**» ولوْ قُلْنَا بإثمِهِ بخَطَأ غيرِهِ لَلَزمَ منْ ذلكَ الحرجُ والمشَقَّةُ، ولمْ يَثِقِ الناسُ بأحدٍ؛ لاحتمالِ خَطَئِه.

فإنْ قيلَ: لماذا لا يَكْفُرُ أهلُ القسمِ الثاني ؟

أجيبُ: إنَّنا لوْ قُلْنَا بكُفْرِهِمْ، لَزِمَ منْ ذلكَ تكفيرُ كلِّ صاحبِ معصيةٍ يَعْرِفُ أنَّهُ عاصٍ للَّه، ويَعْلَمُ أنَّهُ حُكْمُ اللَّه.

فائدةٌ:

وصفَ اللَّهُ الحاكمينَ بغيرِ ما أنزلَ اللَّهُ بثلاثةِ أوصافٍ:

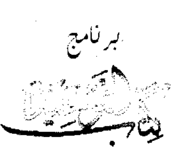
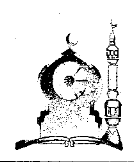
الأول: في قوله تعالى: **{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}**.

الثاني: في قوله تعالى: **{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}**.

الثالث: في قوله تعالى: **{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}**.

واختلفَ **أهلُ العلمِ في ذلكَ:**

فقيلَ: إنَّ هذهِ الأوصافَ لموصوفٍ واحدٍ؛ لأنَّ الكافرَ ظالمٌ؛ لقولِه تعالى: **{وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}**، وفاسقٌ؛ لقولِه تعالى: **{وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ}**، أيْ: كفَرُوا.

وقيل: إنَّها لموصوفِينَ متعدِّدينَ، وإنَّها على حَسَبِ الحُكْمِ، وهذا هوَ الراجحُ.

فيكونُ كافرًا في ثلاثة أحوالٍ:

الأول: إذا اعتقدَ جوازَ الحكمِ بغيرِ ما أنزلَ اللَّهُ؛ بدليلِ قولِه تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ فكلُّ ما خالفَ حُكْمَ اللَّهِ فهوَ مِنْ حُكْمِ الجاهليَّةِ؛ بدليلِ الإجماعِ القَطْعيِّ على أنَّهُ لا يجوزُ الحُكْمُ بغيرِ ما أنزلَ اللَّهُ، فالمُحلُّ والمُبيحُ للحُكْمِ بغيرِ ما أنزلَ اللَّهُ مُخالفٌ لإجماعِ المسلمينَ القطعيِّ، وهذا كافرٌ مُرْتدٌّ، وذلكَ كمَن اعتقدَ حِلَّ الزِّنا أو الخمرِ، أوْ تحريمَ الخُبْزِ أو اللبنِ.

الثاني: إذا اعتقدَ أنَّ حُكْمَ غيرِ اللَّهِ مثلُ حُكْمِ اللَّهِ.

الثالث: إذا اعتقدَ أنَّ حُكْمَ غيرِ اللَّهِ أحْسَنُ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ، بدليلِ قولِه تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فتضمَّنَت الآيةُ أنَّ حُكْمَ اللَّهِ أحسنُ الأحكامِ؛ بدليلِ قولِه تعالى مُقَرِّرًا ذلكَ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فإذا كانَ اللَّهُ أحسنَ الحاكمينَ أحكامًا، وهوَ أحكمُ الحاكمينَ، فمن ادَّعَى أنَّ حُكْمَ غيرِ اللَّهِ مثلُ حُكْمِ اللَّهِ أوْ أحسنُ فهوَ كافرٌ؛ لأنَّهُ مُكذِّبٌ للقرآنِ.

ويكونُ ظالمًا: إذا اعتقدَ أنَّ الحُكْمَ بمَا أنزلَ اللَّهُ أحسنُ الأحكامِ، وأنَّهُ أنفعُ للعبادِ والبلادِ، وأنَّهُ الواجبُ تطبيقُهُ، ولكنْ حَمَلَهُ البُغْضُ والحقدُ للمحكومِ عليه حتَّى حكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللَّهُ، فهوَ ظالمٌ.

ويكونُ فاسقًا: إذا كانَ حُكْمُهُ بغيرِ ما أنزلَ اللَّهُ لهوًى في نفْسه معَ اعتقاده أنَّ حُكْمَ اللَّهِ هوَ الحقُّ، لكنْ حَكَمَ بغيْرِه لهوًى في نفسه، أيْ: مَحبَّة لمَا حَكَمَ به، لا كراهة لحُكْمِ اللَّهِ، ولا ليَضُرَّ أحدًا به، مثلَ: (أنْ يحْكُمَ لشخصٍ لرِشْوَةٍ رُشيَ إيَّاها، أوْ لكونه قريبًا، أوْ صديقًا، أوْ يَطْلُبُ مِنْ ورائه حاجةً، وما أشبَهَ ذلكَ) معَ اعتقاده بأنَّ حُكْمَ اللَّهِ هوَ الأمثلُ والواجبُ اتِّباعُهُ، فهذا فاسقٌ وإنْ كانَ أيضًا ظالمًا، لكنَّ وَصْفَ الفسقِ في حقِّه أوْلَى مِنْ وَصْفِ الظُّلْمِ.

أمَّا بالنسبة لمَنْ وضعَ قوانينَ تشريعيَّةً معَ علْمه بحُكْمِ اللَّهِ، وبمُخالَفَة هذه القوانين لحُكْمِ اللَّهِ، فهذا قدْ بدَّلَ الشريعةَ بهذه القوانينِ فهوَ كافرٌ؛ لأنَّهُ لمْ يَرْغَبْ بهذا القانونِ عنْ شريعة اللَّهِ إلا وهُوَ يعتقدُ أنَّهُ خيرٌ للعبادِ والبلادِ مِنْ شريعة اللَّهِ، وعنْدَما نقولُ بأنَّهُ كافرٌ فَنَعْني بذلكَ: **أنَّ هذا الفعلَ يُوصِلُ إلى الكُفْرِ**، ولكنْ قدْ يكونُ الواضعُ لهُ معذورًا، مثلَ: أنْ يُغَرَّرَ به، كأنْ يُقَالَ: إنَّ هذا لا يُخَالفُ الإسلامَ، أوْ هذا مِن المَصَالحِ المُرْسَلَة، أوْ هذا ممَّا رَدَّهُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الإسلامُ إلى الناسِ.

فيُوجَدُ بعضُ العلماء، وإنْ كانوا مُخْطِئينَ، يقولونَ: (إنَّ مسألةَ المُعَامَلاتِ لا تَعَلُّقَ لها بالشرعِ، بلْ تَرْجِعُ إلى ما يُصْلِحُ الاقتصادَ في كلِّ زمانٍ بحَسَبِه، فإذا اقتضى الحالُ أنْ نَضَعَ بُنُوكًا للرِّبا، أوْ ضرائبَ على الناسِ، فهذا لا شيءَ فيه، وهذا لا شكَّ في خَطَئِه، فإنْ كانوا مُجْتَهِدينَ غَفَرَ اللَّهُ لهمْ، وإلا فَهُمْ على خَطَرٍ عظيمٍ، واللائقُ بهؤلاءِ أنْ يُلَقَّبُوا بأنَّهُمْ منْ علماءِ الدولة لا عُلماءِ المِلَّة).

ومِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ الشرعَ جاءَ بتنظيمِ العباداتِ التي بينَ الإنسانِ وربِّه، والمعاملاتِ التي بينَ الإنسانِ معَ الخلقِ؛ في العقودِ والأنكحةِ والمواريثِ وغيرِها، فالشرعُ كاملٌ منْ جميعِ الوجوه، قالَ تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}.

وكيفَ يُقَالُ: إنَّ المعاملاتِ لا تَعَلُّقَ لها بالشرعِ، وأَطْوَلُ آيةٍ في القرآنِ نَزَلَتْ في المعاملاتِ، ولَوْلا نظامُ الشرعِ في المعاملاتِ لفسَدَ الناسُ.

وأنا لا أقولُ: نَأْخُذُ بكلِّ ما قالَهُ الفقهاءُ؛ لأنَّهم قدْ يُصيبونَ وقدْ يُخْطِئُونَ، بلْ يَجِبُ أنْ نَأْخُذَ بكلِّ ما قالَهُ اللَّهُ ورسولُهُ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، ولا يُوجَدُ حالٌ من الأحوالِ تقعُ بينَ الناسِ إلا وفي كتابِ اللَّه وسنَّة رسولِه ما يُزيلُ إشْكَالَهَا ويَحِلُّهَا، ولكنَّ الخطأَ إمَّا مِنْ نَقْصِ العلمِ أو الفهمِ، وهذا قُصُورٌ، أوْ نقصِ التَّدَبُّرِ، وهذا تقصيرٌ.

أمَّا إذا وُفِّقَ الإنسانُ بالعلمِ والفهمِ وبذلِ الجهدِ في الوصولِ إلى الحقِّ، فلا بُدَّ أنْ يَصِلَ إليهِ حتَّى في المعاملاتِ، قالَ تعالى: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ}.

- وقالَ تعالى: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ}.
- وقالَ تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِه}.
- وقالَ تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ}، فكلُّ شيءٍ يحتاجُهُ الإنسانُ في دينِه أوْ دُنْيَاهُ، فإنَّ القرآنَ بيَّنَهُ بيانًا شافيًا.

ومَنْ سَنَّ قوانينَ تُخَالِفُ الشريعةَ وادَّعى أنَّها من المصالحِ المُرْسَلَة فهوَ كاذبٌ في دَعْوَاهُ؛ لأنَّ المصالحَ المُرْسَلَة والمُقَيَّدَةَ، إن اعْتَبَرَهَا الشرعُ ودَلَّ عليها فهيَ حقٌّ ومن الشرعِ، وإنْ لَمْ يعْتَبِرْهَا فليستْ مصالحَ، ولا يُمْكِنُ أنْ تكونَ كذلكَ، ولهذا كانَ الصوابُ أنَّهُ ليسَ هناكَ دليلٌ يُسَمَّى بالمصالحِ المُرْسَلَة، بلْ ما اعتبرَهُ الشرعُ فهوَ مَصْلَحَةٌ،

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

وما نفاهُ فليسَ بمصلحة، وما سكتَ عنهُ فهوَ عفوٌ.

والمصالحُ المرسلةُ تَوسَّعَ فيها كثيرٌ من الناسِ؛ فأدخلَ فيها بعضَ المسائلِ المنكَرةِ من البدعِ وغيرِها، كعيدِ ميلادِ الرسولِ، فزَعَمُوا أنَّ فيهِ شَحْذًا للِهمَمِ، وتنشيطًا للناسِ؛ لأنَّهم نَسُوا ذِكْرَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ، وهذا باطلٌ؛ لأنَّ جميعَ المسلمينَ في كلِّ صلاة يَشْهَدُونَ أنَّ **مُحَمَّدًا** عبدُهُ ورسولُهُ، ويُصَلُّونَ عليه، والذي لا يَحْيا قلبُهُ بهذا وَهُوَ يُصَلِّي بينَ يديْ ربِّه، كيفَ يَحْيَا قَلْبُهُ بساعة يُؤْتَى فيها بالقصائدِ الباطلةِ التي فيها مِن الغُلُوِّ ما يُنْكِرُهُ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، فهذه مَفْسَدَةٌ وليستْ بمصلحة.

فالمصالحُ المرسلَةُ، وإنْ وضعَهَا بعضُ أهلِ العلمِ المجتهدينَ الكبارِ، فلا شكَّ أنَّ مُرادَهُم نصرُ اللَّهِ ورسولِهِ، ولكن استُخْدِمَتْ هذه المصالحُ في غيرِ ما أرادَهُ أولئكَ العلماءُ وتُوُسِّعَ فيها. وعليه فإنَّها تُقاسُ بالمعيارِ الصحيحِ، فإن اعتبرَهَا الشرعُ قُبِلَتْ، وإلا فكمَا قالَ الإمامُ مالكٌ: **(كلٌّ أحدٍ يُؤْخَذُ منْ قولِهِ ويُردُّ إلا صاحبَ هذا القبرِ)** وهناكَ قواعدُ كُلِّيَّاتٌ تُطَبَّقُ عليها الجُزْئِيَّاتُ.

وَلْيُعْلَمْ: **أنَّهُ يَجبُ على الإنسانِ أنْ يتَّقيَ ربَّهُ في جميعِ الأحكامِ**، فلا يَتَسرَّعَ في الْبَتِّ بها؛ خُصُوصًا في التكفيرِ، الذي صارَ بعضُ أهلِ الغَيْرَةِ والعاطفةِ يُطْلِقُونَهُ بدونِ تفكيرٍ ولا رَوِيَّةٍ، معَ أنَّ الإنسانَ إذا كفَّرَ شخصًا ولَمْ يكُنِ الشخصُ أهلاً لهُ عادَ ذلكَ إلى قائلِه، وتكفيرُ الشخصِ يَتَرَتَّبُ عليه أحكامٌ كثيرةٌ، فيكونُ مباحَ الدمِ والمالِ، ويتَرَتَّبُ عليهِ جميعُ أحكامِ الكفرِ.

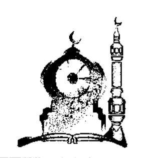
وكما لا يجوزُ أنْ نُطْلِقَ الكفرَ على شخصٍ مُعَيَّنٍ حتَّى يتبيَّنَ شروطُ التكفيرِ في حقِّه، يَجبُ ألا نَجْبُنَ في تكفيرِ مَنْ كفَّرَهُ اللَّهُ ورسولُهُ، ولكنْ يَجبُ أنْ نُفرِّقَ بينَ المُعَيَّنِ وغيرِ المُعَيَّنِ، **فالمُعَيَّنُ يحتاجُ الحكمُ بتكفيرِهِ إلى أمرَيْنِ:**

أحدهما: ثبوتُ أنَّ هذه الخَصْلَةَ التي قامَ بها مِمَّا يقتضي الكُفْرَ.

والآخر: انْطِبَاقُ شروطِ التكفيرِ عليه، وأهمُّها العلمُ بأنَّ هذا مُكَفِّرٌ، فإنْ كانَ جاهلاً فإنَّهُ لا يُكَفَّرُ.

ولهذا ذكرَ العلماءُ أنَّ مِنْ شروطِ إقامة الحدِّ أنْ يكونَ عالمًا بالتحريمِ، هذا في إقامةِ حدٍّ وليسَ بتكفيرٍ، والتحرُّزُ من التكفيرِ أَوْلَى وأحْرَى، قالَ تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





- وقالَ تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}.

- وقالَ تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ}.

ولا بُدَّ معَ تَوَفُّرِ الشروطِ مِنْ عدمِ الموانعِ، فلوْ قامَ الشخصُ بما يقتضي الكفرَ إكراهًا أوْ ذُهولاً لَمْ يُكَفَّرْ؛ لقولِهِ تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} ولقولِ الرجلِ الذي وجدَ دابَّتَهُ في مَهْلَكَةٍ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وأَنَا رَبُّكَ) أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ، فلمْ يُؤَاخَذْ بذَلِكَ.

(٥) قولُهُ: **فيهِ مَسائِلُ:**

الأولى: (تفسيرُ آيةِ النُّورِ) وهيَ قولُهُ تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، وسبقَ تفسيرُهَا.

(٦) **الثانيةُ:** (تفسيرُ آيةِ بَرَاءةٌ) وهيَ قولُهُ تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} الآيةَ، وقدْ سبقَ ذلكَ.

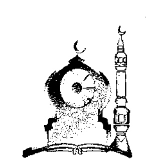
(٧) **الثالثةُ:** (**التَّنبيهُ علَى مَعْنَى العبادةِ التي أَنْكَرَها عديٌّ**) لأنَّ العبادةَ هيَ التعَبُّدُ لَهُمْ بالطاعةِ، والتذَلُّلُ لهمْ بالرُّكُوعِ والسجودِ والنَّذْرِ وما أشْبَهَهُ، لكنْ بَيَّنَ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّ المرادَ مِنْ عبادتِهِم هيَ طاعتُهم في تحليلِ الحرامِ، وتحريمِ الحلالِ.

(٨) **الرابعةُ:** (**تَمثيلُ ابنِ عبَّاسٍ بــأَبي بَكْرٍ وعُمَرَ، وتَمثيلُ أحمدَ بسُفْيَانَ**) أيْ: إذا كانَ أبو بكرٍ وعُمَرُ لا يُمْكِنُ أن يُعَارَضَ قولُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بقولِهِمَا، فما بالُكَ بمَنْ عارَضَ قولَ النبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بقَوْلِ مَنْ دُونَهُمَا ؟

فهوَ أشدُّ وأقبحُ.

وكذلكَ مَثَّلَ الإمامُ أحمدُ بسُفْيَانَ الثوريِّ وأنكرَ على مَنْ أخذَ برأيِه، وتَرَكَ ما صحَّ به الإسنادُ عنْ رسول اللَّه

http://www.afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٢١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٦
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠




صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، واستدلَّ بقولِه تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ} الآيةَ.

(٩) الخامسةُ: (تَحَوُّلُ الأحوالِ إلى هَذهِ الغايةِ، حَتَّى صارَ عِنْدَ الأكثرِ عِبادَةُ الرُّهبانِ هِيَ أفضلَ الأعمالِ... إلخ)

قولُ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: (**تَغَيَّرَت الأحوالُ إلى هذهِ الغايةِ حتَّى صارَ عندَ الأكثرِ عبادةُ الرهبانِ هيَ أفضلَ الأعمالِ...**)

هذا لا شكَّ أنَّهُ أشدُّ مِنْ مُعَارَضَةِ قولِ الرسولِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بقولِ أبي بكرٍ وعُمَرَ.

ثمَّ قالَ: (**ثُمَّ تغيَّرت الأحوالُ إلى أنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ ليسَ من الصالحينَ**).

أيْ: يُرْكَعُ ويُسجَدُ لهُ، ويُعَظَّمُ تعظيمَ الربِّ، ويُوصَفُ بما لا يستَحِقُّ، وهذا يُوجَدُ عندَ كثيرٍ مِن الشعراءِ الذينَ يَمْدَحُونَ الملوكَ والوزراءَ وهمْ لا يستحقُّونَ أنْ يكونُوا بمترلةِ أبي بكرٍ وعمرَ.

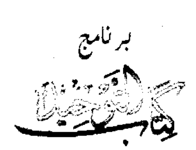
ثم قالَ: (**وَعُبِدَ بالمعنى الثاني**) وهوَ الطاعةُ والاتِّبَاعُ، (**مَنْ هوَ من الجاهلينَ**) فأُطيعَ الجاهلُ في تحليلِ ما حرَّمَ اللَّهُ، وتحريمِ مَا أحلَّ اللَّهُ، كما يُوجَدُ في بعضِ النُّظُمِ والقوانينِ المخالفةِ للشريعةِ الإسلاميَّةِ، فإنَّ واضعيها جُهَّالٌ لا يعرفونَ مِن الشريعةِ ولا الأديانِ شيئًا، فصارُوا يُعْبَدُونَ بهذا المعنى، فيُطاعونَ في تحليلِ ما حرَّمَ اللَّهُ، وتحريمِ ما أحلَّ اللَّهُ.

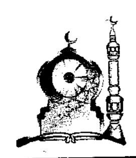
وهذا في زمانِ المُؤَلِّفِ، فكيفَ بزمانِنا ؟!

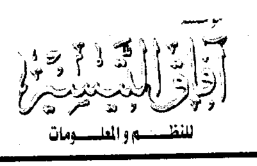
وقدْ قالَ النبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فيما رَوَاهُ **البخاريُّ** عنْ **أنسِ بنِ مالكٍ** رضيَ اللَّهُ عنهُ: «**لا يَأْتِي زَمَانٌ عَلَى النَّاسِ إلا وَمَا بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**».

- وقالَ النبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ للصحابةِ: «**وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا**» وعَصْرُ الصحابةِ أقربُ إلى الهُدَى مِنْ عَصْرِ مَنْ بعدَهُمْ.

والناسُ لا يُحِسُّونَ بالتَّغَيُّرِ؛ لأنَّ الأمورَ تأتي رُوَيْدًا رُوَيْدًا، ولوْ غابَ أحدٌ مُدَّةً طويلةً ثمَّ جاءَ لَوَجَدَ التغيُّرَ الكثيرَ المُزْعِجَ، نسألُ اللَّهُ السلامةَ، فَعَلَيْنَا الحذرَ، وأنْ نَعْلَمَ أنَّ شرعَ اللَّهِ يَجبُ أن يُحْمَى وأنْ يُصَانَ، ولا يُطاعُ أحدٌ في تحليلِ ما حرَّمَ اللَّهُ، أوْ تحريمِ ما أحلَّ اللَّهُ أبدًا مهما كانتْ مترلَتُهُ، وأنَّ الواجبَ أنْ نكونَ عِبادًا للَّهِ عزَّ وجلَّ تذلُّلاً وتَعَبُّدًا وطاعةً.







تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الخامس والثلاثون

(١) **هذا البابُ لهُ صِلَةٌ قويَّةٌ بما قَبْلَهُ**؛ لأنَّ ما قبلَهُ فيهِ حُكْمُ مَنْ أطاعَ العلماءَ والأمراءَ في تحليلِ ما حرَّمَ اللهُ، أوْ تحريمِ ما أحلَّ اللهُ، وهذا فيهِ الإنكارُ على مَنْ أرادَ التَّحَاكُمَ إلى غيرِ اللهِ ورسولِه، قولُهُ تعالى: **{أَلَمْ تَرَ}**.

الاستفهامُ يُرادُ بهِ التقريرُ والتعجُّبُ مِنْ حالِهِمْ، والخطابُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

قولُهُ: **{يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ}**، هذا يُعَيِّنُ أنْ يكونَ الخطابُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هنا، ولم يَقُل: الذينَ آمَنُوا؛ لأنَّهم لمْ يُؤْمِنُوا بلْ يَزْعُمُونَ ذلكَ وهمْ كاذبونَ.

والذي أُنْزِلَ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الكتابُ والحكمةُ، قالَ تعالى: **{وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}** قالَ المُفسِّرونَ: (الحكمةُ السُّنَّةُ، وهمْ يزعُمُون أنَّهم آمَنُوا بذلكَ، لكنَّ أفعالَهم تُكذِّبُ أقوالَهُم حيثُ يُريدُونَ أنْ يَتحَاكَمُوا إلى الطاغوتِ لا إلى اللهِ ورسولِه).

قولُهُ: **{إِلَى الطَّاغُوتِ}** صيغةُ مبالغةٍ مِن الطغيانِ، ففيهِ اعتداءٌ وبَغْيٌ.

والمرادُ بهِ هنا: كلُّ حُكْمٍ خالفَ حكمَ اللهِ ورسولِه، وكلُّ حاكمٍ يَحْكُمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ على رسولِه. أمَّا الطاغوتُ بالمعنى الأعَمِّ فقدْ حَدَّهُ **ابنُ القيِّمِ** بأنَّهُ: (**كُلُّ ما تجاوزَ العبدُ بهِ حَدَّهُ مِنْ معبودٍ أوْ متبوعٍ أوْ مُطَاعٍ**) وقَدْ تقدَّمَ الكلامُ عليهِ في أوَّلِ كتابِ التوحيدِ.

قولُهُ: **{وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا}** أيْ: أَمرَهُم اللهُ بالكفرِ بالطاغوتِ أمْرًا ليسَ فيهِ لَبْسٌ ولا خَفَاءٌ، فمَنْ أرادَ التَّحَاكُمَ إليهِ فهذهِ الإرادةُ على بصيرةٍ؛ إذ الأمرُ قدْ بُيِّنَ لَهُمْ.

قولُهُ: **{وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ}** جنسٌ يَشْمَلُ شياطينَ الإنسِ والجنِّ.

قولُهُ: **{أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا}** أيْ: يُوقِعَهُمْ في الضلالِ البعيدِ عن الحقِّ، ولكنْ لا يَلْزَمُ مِنْ ذلكَ أنْ يَنْقُلَهُمْ إلى الباطلِ مَرَّةً واحدةً، ولكنْ بالتدريجِ.

فقولُهُ: **{بَعِيدًا}** أيْ: ليسَ قريبًا، لكنْ بالتدريجِ شيئًا فشيئًا، حتَّى يُوقِعَهُمْ في الضلالِ البعيدِ.

قولُهُ: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ}** أيْ: قالَ لهم الناسُ: أقبلُوا، **{إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}** من القرآنِ

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ نفسه في حياته وسُنَّته بعدَ وفاته، والمُرَادُ هنا الرسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ نفسُهُ في حياته.

- قولُهُ: ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ الرُّؤْيَةُ هنا رُؤْيَةُ حالٍ لا رُؤْيَةُ بَصَرٍ؛ بدليلِ قولِه: ﴿تَعَالَوْا﴾ فهي تَدُلُّ على أنَّهم لَيْسُوا حاضرينَ عندَهُ، والمعنى: كأنَّما تُشاهدُهُم.

- وقولُهُ: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ يُعْرِضُونَ عنكَ إعراضًا.

- وقولُهُ: ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾ إظهارٌ في مَوْضِعِ الإضمارِ لثلاثِ فوائدَ:

الأولى: أنَّ هؤلاءِ الذينَ يزعمونَ الإيمانَ كانوا منافقينَ.

الثانية: أنَّ هذا لا يَصْدُرُ إلاَّ مِنْ منافقٍ؛ لأنَّ المؤمنَ حقًّا لا بُدَّ أنْ يَنْقَادَ لأمرِ اللهِ ورسولِه بدُونِ صُدودٍ.

الثالثة: التنبيهُ؛ لأنَّ الكلامَ إذا كانَ على نَسَقٍ واحدٍ فقدْ يَغْفُلُ الإنسانُ عنهُ، فإذا تَغَيَّرَ حصلَ لهُ انْتِبَاهٌ.

وقولُهُ: ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾جوابُ ﴿إِذَا﴾ وكلمةُ (صَدَّ) تُسْتَعْمَلُ لازمةً، أيْ: يُوصَفُ بها الشخصُ ولا يَتَعَدَّاهُ إلى غيرِه، ومصدرُها: صُدُودٌ، كما في هذهِ الآيةِ، ومُتَعَدِّيَةً، أيْ: صَدَّ غَيْرَهُ، ومصدرُها صَدٌّ، كما في قوْلِهِ تعالى: ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

وقَولُهُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ الاستفهامُ هنا يُرادُ به التَّعَجُّبُ، أيْ: كيفَ حالُهُم إذا أصَابَتْهُمْ مُصيبةٌ.

والمصيبةُ هنا تشملُ المصيبةَ **الشرعيَّةَ والدُّنيويَّةَ**؛ لعدمِ تَضادِّ المعنيَيْنِ:

فالدُّنيويَّةُ: مثلُ: الفقرِ والجَدْبِ، وما أشبَهَ ذلكَ، فيأتونَ يَشْكُونَ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فيقولونَ: أَصابَتْنا هذه المصائبُ، ونحنُ ما أَرَدْنا إلاَّ الإحسانَ والتوفيقَ.

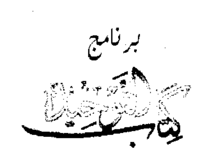
والشَّرْعيَّةُ: إذا أظهرَ اللهُ رسولَهُ على أمرِهِمْ خافُوا وقالُوا: يا رسولَ اللهِ، ما أَرَدْنَا إلاَّ الإحسانَ والتوفيقَ.

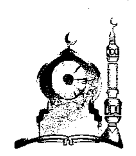
قولُهُ: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ الباءُ هنا للسببيَّةِ. و(ما) اسمٌ موصولٌ، و﴿قَدَّمَتْ﴾ صلتُهُ، والعائدُ محذوفٌ تقديرُهُ: بما قدَّمَتْهُ أيديهِمْ.

وفي اللغةِ العربيَّةِ يُطْلَقُ هذا التعبيرُ ويُرادُ به نفسُ الفاعلِ، أيْ: بما قدَّمُوهُ من الأعمالِ السيِّئةِ.

وقولُهُ: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾، ﴿إِنْ﴾ بمعنى (ما)، أيْ: ما أردْنا إلاَّ إحسانًا بكونِنا نَسْلَمُ من الفضيحة

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com







والعارِ، وتوفيقًا بينَ المؤمنينَ والكافرينَ، أوْ بينَ طريقِ الكفرِ وطريقِ الإيمانِ، أيْ: نمشي معَكُمْ ونمشي معَ الكُفَّارِ، وهذه حالُ المنافقينَ، فهمْ قالُوا: أردْنَا أنْ نُحْسِنَ المنهجَ والمسلكَ معَ هؤلاءِ وهؤلاءِ، ونُوَفِّقَ بينَ الطرفَيْنِ.

قولُهُ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ تَوَعَّدَهُم اللهُ بأنَّهُ يَعْلَمُ مَا في قلوبِهِم مِن النفاقِ والمكرِ والخداعِ، فاللهُ عَلَّامُ الغيوبِ، قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ بلْ إنَّ اللهَ أعلمُ منكَ بما فيكَ، قالَ تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ وهذا منْ أعظمِ ما يكونُ مِن العلمِ والخبرةِ، أنَّ اللهَ يَحُولُ بينَ المرءِ وقلبِه.

ولهذا قيلَ لأعرابيٍّ: (بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

قالَ: بِنَقْضِ الْعَزَائِمِ وَصَرْفِ الْهِمَمِ) فالإنسانُ يَعْزِمُ على الشيءِ، ثُمَّ لا يَدْرِي إلاَّ وعزيمَتُهُ مُنْتَقَضَةٌ بدونِ سببٍ ظاهرٍ.

قولُهُ: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وهذا مِنْ أَبْلَغِ ما يكونُ مِن الإهانةِ والاحتقارِ.

قولُهُ: ﴿وَعِظْهُمْ﴾ أيْ: ذَكِّرْهُمْ وخوِّفْهُمْ، لكنْ لا تَجْعَلْهُمْ أكبرَ هَمِّكَ، فلا تَخَفْهُمْ وقُمْ بما يَجِبُ عليكَ مِن الموعظةِ؛ لِتَقُومَ عليهم الحُجَّةُ.

قولُهُ: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ اختلفَ المفسِّرونَ فيها على ثلاثةِ أقوالٍ:

الأوَّلُ: أنَّ الجارَّ والمجرورَ ﴿فِي أَنفُسِهِمْ﴾ مُتَعَلِّقٌ ببليغٍ، أيْ: قُلْ لهمْ قولاً بليغًا في أنفسِهِمْ، أيْ: يبلُغُ في أنفسِهِمْ مبلغًا مُؤَثِّرًا.

الثاني: أنَّ المعنى: انْصَحْهُمْ سرًّا.

الثالثُ: أنَّ المعنى: (قُلْ لَهُمْ في أَنْفُسِهِمْ) أيْ: في شأنِهِم وحالِهِم، قولاً بليغًا في قلوبِهِم يُؤَثِّرُ عليها، والصحيحُ: أنَّ الآيةَ تَشْمَلُ المعانيَ الثلاثةَ؛ لأنَّ اللفظَ صالحٌ لها جميعًا، ولا مُنَافَاةَ بينَها.

وهذه قاعدةٌ في التفسيرِ ينبغي التَّنَبُّهُ لها، وهيَ: أنَّ المعانيَ المُحْتَمَلَةَ للآيةِ والتي قالَ بها أهلُ العلمِ، إذا كانت الآيةُ تَحْتَمِلُهَا وليسَ بينها تعارُضٌ، فإنَّهُ يُؤْخَذُ بجميعِ المعاني.

(٢) قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الإفسادُ في الأرضِ على نوعَيْن:

الأوَّلُ: إفسادٌ حِسِّيٌّ ماديّ، وذلكَ مثلُ هَدْمِ البيوتِ وإفسادِ الطُّرُقِ، وما أشبهَ ذلكَ.

الثاني: إفسادٌ معنويٌّ، وذلكَ بالمعاصي، فهيَ مِنْ أكبرِ الفسادِ في الأرضِ، قالَ تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}.

- وقالَ تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}.

- وقالَ تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}، وقالَ تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ}.

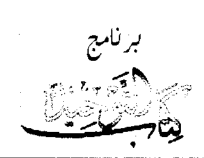
قولُهُ: {إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} وهذهِ دعوى مِنْ أَبْطَلِ الدَّعَاوَى، حيثُ قالُوا: ما حَالُنا وما شَأْنُنا إلاَّ الإصلاحُ؛ ولهذا قالَ تعالى: {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ} {أَلا} أداةُ استفتاحٍ، والجملةُ مُؤَكَّدَةٌ بأربعةِ مُؤَكِّدَاتٍ، وهيَ: {أَلا} و{إِنَّ} وضميرُ الفصلِ{هُمُ} والجملةُ الاسميَّةُ، فاللهُ قَابَلَ حَصْرَهُمْ بأعظمَ مِنْهُ، فهؤلاءِ الذينَ يُفْسِدُونَ في الأرضِ ويدَّعُونَ الإصلاحَ هم المفسدونَ حقيقةً لا غَيْرُهُم.

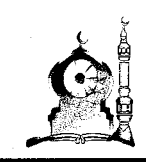
ومناسبةُ الآيةِ للبابِ ظاهرةٌ، وذلكَ أنَّ التَّحاكُمَ إلى غيرِ ما أَنْزَلَ اللهُ مِنْ أكبرِ أسبابِ الفسادِ في الأرضِ.

(٣) قولُهُ تعالى: {وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ}.

يشمَلُ الفسادَ المادِّيَّ والمعنويَّ كمَا سبقَ.

قال في (فتح المجيد) (وفي الآية: {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون} التنبيه على عدم الاغترار بأقوال أهل الأهواء، وإن زخرفوها بالدعوى.







وفيها: التحذير من الاغترار بالرأي، ما لم يقم على صحته دليل من الكتاب والسنة.

فما أكثر من يُصدِّق بالكذب ويُكذِّب بالصدق إذا جاءه، وهذا من الفساد في الأرض.

فتدبر هذا تجده في حال الأكثر إلا من عصمه الله، وأعطاه عقلاً كاملاً عند ورود الشهوات، وبصراً ناقداً عند ورود الشبهات، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

قولُهُ: ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ مِنْ قِبَلِ المُصْلحِينَ. ومِنْ ذلكَ الوُقُوفُ ضدَّ دعوةِ أهلِ العلمِ، والوقوفُ ضدَّ دعوةِ السلفِ، وضدَّ مَنْ يُنَادي بأنْ يكونَ الحُكْمُ بما في كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ.

وقولُهُ: ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ مِنْ بابِ تأكيدِ اللَّوْمِ والتوبيخِ، إذْ كيفَ يُفْسِدُ الصالحَ؟! وهذا غايةُ ما يكونُ مِن الوقاحةِ والخُبْثِ والشَّرِّ؛ فالإفسادُ بعدَ الإصلاحِ أعظمُ وأشدُّ مِنْ أنْ يمضيَ الإنسانُ في فسادِهِ قبلَ الإصلاحِ، وإنْ كانَ المطلوبُ مِن الجميعِ هوَ الإصلاحَ بعدَ الفسادِ.

ومناسبة الآية للباب:

أنَّ التَّحَاكُمَ إلى ما أنزلَ اللهُ هوَ الإصلاحُ، وأنَّ التَّحَاكُمَ إلى غيْرِهِ هوَ الإفسادُ.

(٤) قولُهُ تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الاستفهامُ للتوبيخِ، و﴿حُكْمَ﴾ مفعولٌ مُقَدَّمٌ لـ﴿يبغونَ﴾ وقُدِّمَ لإفادةِ الحصرِ، والمعنى: أفلا يبغونَ إلاَّ حُكْمَ الجاهليَّةِ، و﴿يبغونَ﴾ يَطْلُبُونَ.

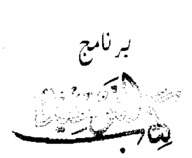
والإضافةُ في قولِهِ: ﴿حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ تحتملُ معنييْنِ:

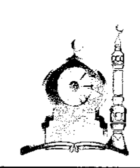
أحدُهُما: أنْ يكونَ المعنى: أَفَحُكْمَ أهلِ الجاهليَّةِ الذينَ سَبَقُوا الرسالةَ يَبْغُونَ، فَيُرِيدُونَ أنْ يُعِيدُوا هذهِ الأُمَّةَ إلى طريقِ الجاهليَّةِ التي أحكامُها معروفةٌ، ومنها: الْبَحَائِرُ وَالسَّوَائِبُ وقَتْلُ الأولادِ.

ثانيها: أن يكونَ المعنى: أَفَحُكْمَ الجهلِ الذي لا يُبْنَى على العِلْمِ يبغونَ، سواءٌ كانتْ عليهِ الجاهليَّةُ السابقةُ أمْ لمْ تكُنْ، وهذا أعمُّ.

والإضافةُ للجاهليَّةِ تقتضي التقبيحَ والتنفيرَ، وكلُّ حُكْمٍ يُخَالِفُ حُكمَ اللهِ فهوَ جَهْلٌ وَجَهَالَةٌ، فإنْ كانَ معَ العلمِ بالشرعِ فهوَ جهالةٌ، وإنْ كانَ معَ خفاءِ الشرعِ فهوَ جَهْلٌ.

E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







والجهالةُ هيَ: العملُ بالخطأ سَفهًا لا جَهْلاً، قالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ وأمَّا مَنْ يعملُ السُّوءَ بجهلٍ فلا ذنبَ عليهِ، لكنْ عليهِ أنْ يتعلَّمَ.

قولُهُ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾، ﴿مَنْ﴾ اسمُ استفهامٍ بمعنى النفيِ، أيْ: لا أحدَ أحسنُ من اللهِ حُكْمًا، وهذا النفيُ مُشْرَبٌ معنى التَّحدِّي، فهو أبلغُ مِنْ قولِ: لا أحسنَ مِن اللهِ حُكْمًا؛ لأنَّهُ مُتضمِّنٌ للنفيِ والزيادةِ.

وقولُهُ: ﴿حُكْمًا﴾ تمييزٌ؛ لأنَّهُ بعدَ اسمِ التفضيلِ، وهو مُبْهَمٌ، فَبَيَّنَ هذا التمييزُ المُبْهَمَ ومَيَّزَهُ، والحُكْمُ هنا يشملُ: الكونيَّ والشرعيَّ.

وقولُهُ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ خبرٌ لا يَدْخُلُهُ الكذبُ ولا النسخُ إطلاقًا، ولذلكَ هدى اللهُ الذينَ آمَنُوا لِمَا اختلَفُوا فيه من الحقِّ بإذنه، فجمعُوا بينَ المتشابهاتِ والمختلفاتِ من النصوصِ.

وقالُوا: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ وعَرَفُوا حُسْنَ أحكامِ اللهِ تعالى، وأنَّها أحسنُ الأحكامِ، وأنْفَعُها للعبادِ، وأقْوَمُها لمصالحِ الخلقِ في المعاشِ والمعادِ؛ فلمْ يَرْضَوْا عنها بديلاً.

(٥) قولُهُ في حديثِ **عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو**: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ**» أيْ: إيمانًا كاملاً، إلاَّ إذا كانَ لا يَهْوَى ما جاءَ بهِ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالكُلِّيَّةِ، فإنَّهُ ينتفي عنْهُ الإيمانُ بالكُلِّيَّةِ؛ لأنَّهُ إذا كَرِهَ ما أَنْزَلَ اللهُ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ لِكُفْرِهِ، قالَ تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

قولُهُ: «**حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**» الهَوَى بالقَصْرِ هوَ الميلُ، وبالمَدِّ هوَ الريحُ، والمرادُ الأوَّلُ.

و«**حَتَّى**» للغايةِ، والذي جاءَ به النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هوَ القرآنُ والسُّنَّةُ.

وإذا كانَ هَوَاهُ تَبَعًا لما جاءَ به النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لَزِمَ مِنْ ذلكَ أنْ يُوَافِقَهُ تصديقًا بالأخبارِ، وامتثالاً للأوامرِ، واجتنابًا للنواهي.

واعلمْ أنَّ أكثرَ ما يُطْلَقُ الهوى على هَوَى الضلالِ، لا على هَوَى الإيمانِ، قالَ تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ وقالَ تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ وغيرُها من الآياتِ الدالَّةِ على ذمِّ مَن اتَّبَعَ هواهُ، ولكنْ إذا كانَ الهوى تَبَعًا لما جاءَ به النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ محمودًا، هُوَ مِنْ كمالِ الإيمانِ.

وقدْ سبقَ بيانُ أنَّ مَن اعتقدَ أنَّ حُكْمَ غيرِ اللهِ مساوٍ لِحُكْمِ اللهِ، أوْ أحسنُ، أوْ أنَّهُ يجوزُ التَّحاكُمُ إلى غيرِ اللهِ

فهوَ كافرٌ.

وأمَّا مَنْ لَمْ يكُنْ هواهُ تَبَعًا لما جاءَ بهِ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ، فإنْ كانَ كارهًا لهُ فهوَ كافرٌ، وإنْ لَمْ يكُنْ كارهًا ولكنْ آثرَ محبَّةَ الدُّنيا على ذلكَ فليسَ بكافرٍ، لكنْ يكونُ ناقصَ الإيمانِ.

قولُهُ: (**قالَ النَّوَويُّ: حديثٌ صحيحٌ**) صحَّحَهُ النَّوَويُّ وغيرُهُ، وضَعَّفَهُ جماعةٌ مِنْ أهلِ العلمِ، منْهُم **ابنُ رَجَبٍ** في كتابِهِ (**جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ**) ولكنْ معناهُ صحيحٌ.

(٦) قولُهُ في أَثَرِ الشَّعْبِيِّ: (وقالَ الشَّعْبِيُّ) أيْ: في تفسيرِ الآيةِ.

قولُهُ: (**رجُلٍ مِن المنافقينَ**) هوَ مَنْ يُظْهِرُ الإسلامَ ويُبْطِنُ الكفرَ، وسُمِّيَ منافقًا مِن النَّافقَاءِ، وهيَ: جُحْرُ الْيَرْبُوعِ، واليربوعُ لَهُ جُحرٌ لهُ بابٌ ولهُ نَافقَاءُ، أيْ: يَحفرُ إلى الأرضِ خَنْدَقًا حتَّى يَصِلَ مُنْتَهَى جُحْرِهِ، ثُمَّ يَحفرُ إلى أعلى، فإذا بقِيَ شيءٌ قليلٌ بحَيْثُ يتَمكَّنُ مِنْ دَفْعِهِ برأسِهِ توَقَّفَ، فإذا حُجرَ عليهِ من البابِ خَرَجَ من النَّافقَاءِ.

قولُهُ: (**ورَجُلٍ مِن اليهودِ**) اليهودُ هم: المُنْتَسِبُونَ إلى دينِ **موسى** عليهِ السلامُ، وسُمُّوا بذلكَ إمَّا مِنْ قولِهِ: **﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾** أيْ: رَجَعْنَا، أوْ نسبةً إلى أبيهِم يَهُوذَا، ولكنْ بعدَ التعريبِ صَارَتْ بالدَّالِ.

قولُهُ: (**إلى مُحَمَّدٍ**) أي: النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، ولم يَذْكُرْهُ بوصفِ الرسالةِ؛ لأنَّهمْ لا يُؤْمِنُونَ برسالتِهِ، ويَزْعُمُونَ أنَّ النبيَّ الموعودَ بهِ سيأتِي.

قولُهُ: (**عَرَفَ أنَّهُ لاَ يَأْخُذُ الرِّشوَةَ**) تعليلٌ لطلبِ التَّحَاكُمِ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

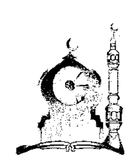
والرِّشْوَةُ: مُثَلَّثَةُ الرَّاءِ؛ فيجوزُ الرِّشوةُ، الرَّشوةُ، والرُّشوةُ، وهيَ: المالُ المدفوعُ للتَّوصُّلِ إلى شيءٍ.

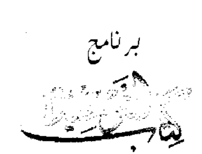
قالَ أهلُ العلمِ: (لا تكونُ مُحَرَّمَةً إلاَّ إذا أرادَ الإنسانُ أنْ يتوَصَّلَ بها إلى باطلٍ أوْ دَفْعِ حقٍّ، أمَّا مَنْ بَذَلَها لِيَتَوصَّلَ بها إلى حقٍّ لهُ مُنِعَ منْهُ، أوْ لِيَدْفَعَ بها باطلاً عنْ نفسِهِ فلَيْسَتْ حرامًا على البَاذلِ، أمَّا على آخذهَا فحرامٌ).

قولُهُ: (**فَاتَّفَقَا أنْ يَأْتِيَا كاهنًا في جُهيْنَةَ**) كأنَّهُ صارَ بينَهُمَا خلافٌ، وأَبَى المنافقُ أنْ يَتَحاكَمَا إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

والكاهنُ: مَنْ يَدَّعِي عِلْمَ الغيبِ في المستقبلِ، وكانَ للْعَرَبِ كُهَّانٌ تَنْزِلُ عليهِم الشياطينُ بخبرِ السماءِ، فيقولونَ: سيحدثُ كذا وكذا، فربَّما أصابُوا مَرَّةً من المرَّاتِ، ورُبَّما أخطأُوا، فإذا أصابُوا ادَّعَوْا عِلْمَ الغيبِ، فكانَ العربُ يتحاكمونَ إليهِمْ، فنزلَ قولُهُ تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ..﴾** الآيةَ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





قال في (فتح المجيد) ص٤٧١: (وفيما قاله الشعبي ما يبين أن المنافق يكون أشدّ كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى، ويكون أشد عداوة لأهل الإيمان، كما هو الواقع في هذه الأزمنة وقبلها من إعانة العدو على المسلمين، وحرصهم على إطفاء نور الإسلام والإيمان.

ومن تدبر ما في التاريخ، وما وقع منهم في الوقائع؛ عرف أن هذا حال المنافقين قديماً وحديثاً).

قولُهُ: (وقيلَ) ذكرَ هذهِ القصَّةَ بصيغةِ التَّمْريضِ، لكنْ ذَكَرَ في (تيسيرِ العزيزِ الحميدِ): (أنَّها رُوِيَتْ مِنْ طُرُقٍ مُتعدِّدَةٍ، وأنَّها مشهورةٌ مُتَدَاوَلَةٌ بينَ السلفِ والخلفِ تداولاً يُغْنِي عن الإسنادِ، ولها طُرُقٌ كثيرةٌ، ولا يَضرُّهَا ضعفُ إسنادِهَا) اهـ

قولُهُ: (رَجُلَيْنِ) هُما مُبْهَمَانِ، فَيُحْتَمَلُ أنْ يكُونا من المسلمينَ المؤمنينَ، ويُحْتَمَلُ أنْ يكُونَا مِن المنافقينَ، ويُحْتَمَلُ غيرُ ذلكَ.

قولُهُ: (إلى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ) وهوَ رجلٌ مِنْ زُعَمَاءِ بَنِي النَّضِيرِ.

قولُهُ: (أَكَذَلِكَ) خبرٌ لمبتدأ محذوف، التقديرُ: أكذلكَ الأمرُ.

قولُهُ: (فَضَرَبَهُ بالسَّيْفِ) الضاربُ عُمَرُ.

وهذهِ القصَّةُ والتي قبلَها تَدُلُّ على: أنَّ مَنْ لَمْ يَرْضَ بحُكْمِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كافرٌ يجبُ قَتْلُهُ؛ ولهذا قَتَلَهُ عمرُ رضيَ اللهُ عنْهُ.

فإنْ قيلَ: كيفَ يَقْتُلُهُ عمرُ رضيَ اللهُ عنْهُ والأمرُ إلى الإمامِ، وهوَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؟

أجيبُ: إنَّ الظَّاهِرَ أنَّ عُمَرَ لَمْ يَمْلِكْ نفسَهُ لِقُوَّةِ غَيْرَتِهِ فقتلَهُ؛ لأنَّهُ عَرَفَ أنَّ هذا رِدَّةٌ عَنِ الإسلامِ، وقدْ قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ».

(٧) فيهِ مَسائلُ:

الأولى: (تَفسيرُ آيةِ النِّساءِ وما فيها مِن الإعانةِ علَى فَهْمِ الطاغوتِ) وهيَ قولُهُ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

{يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ}.

وقولُهُ: (**وما فيها من الإعانة على فَهْمِ الطاغوت**) أيْ: أنَّ الطاغوتَ مُشْتَقٌّ من الطُّغيان، وإذا كانَ كذلكَ فيشمَلُ كلَّ ما تجاوزَ به العبدُ حَدَّهُ مِنْ متبوعٍ أوْ معبودٍ أوْ مطاعٍ، فالأصنامُ والأمراءُ والحُكَّامُ الذينَ يُحلُّونَ الحرامَ ويُحَرِّمُونَ الحلالَ طواغيتُ.

(٨) **الثانيةُ:** (تفسيرُ آيةِ البقرةِ: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}) ففيها دليلٌ على أنَّ النفاقَ فسادٌ في الأرضِ؛ لأنَّها في سياقِ المنافقينَ، والفسادُ يشمَلُ جميعَ المعاصي.

(٩) **الثالثةُ:** (تفسيرُ آيةِ الأعرافِ: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}) وقدْ سبقَ.

(١٠) **الرابعةُ:** (تفسيرُ: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ}) وقدْ سبقَ ذلكَ، وقَدْ بيَّنَّا أنَّ المرادَ بحُكْمِ الجاهليَّةِ كلُّ ما خالفَ الشرعَ، وأُضيفَ للجاهليَّةِ للتنفيرِ منْهُ وبيانِ قُبْحِه، وأنَّهُ مَبْنِيٌّ على الجهلِ والضلالِ.

(١١) **الخامسةُ:** (**ما قالَ الشَّعبيُّ في سببِ نزولِ الآيةِ الأولى**) وقَدْ سَبَقَ.

(١٢) **السادسةُ:** (**تفسيرُ الإيمانِ الصَّادقِ والكاذبِ**) فالإيمانُ الصادقُ يَسْتَلْزِمُ الإذعانَ التامَّ والقَبُولَ والتسليمَ لحُكْمِ اللهِ ورسولِه، والإيمانُ الكاذبُ بخلافِ ذلكَ.

(١٣) **السابعةُ:** (**قِصَّةُ عُمَرَ معَ المنافقِ**) حيثُ جعَلَ عُدُولَهُ عَن التَّرافُعِ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمِ مُبيحًا لقتلهِ لردَّتِه، وأَقْدَمَ على قتلهِ لقُوَّةِ غَيْرَتِه، فلمْ يَمْلِكْ نفسَهُ.

(١٤) **الثامنةُ:** (**كوْنُ الإيمانِ لا يَحصُلُ لأحدٍ حَتَّى يكونَ هواهُ تَبَعًا لما جاءَ بهِ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ**) وهذا واضحٌ مِن الحديثِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس السادس والثلاثون

(١) **الجحدُ**: هو الإنكارُ.

والإنكارُ نوعان:

الأوَّلُ: إنكارُ تكذيب.

وهذا كفرٌ بلا شكٍّ، فلوْ أنَّ أحداً أنكرَ اسماً مِنْ أسماءِ اللهِ، أو صِفَةً مِنْ صفاتِه الثابتةِ في الكتابِ والسُّنَّةِ، مثلَ أنْ يقولَ: ليسَ للهِ يدٌ، أو أنَّ اللهَ لم يَستَوِ على عرشِه، أو ليسَ له عينٌ فهوَ كافرٌ بإجماعِ المسلمينَ؛ لأنَّ تكذيبَ خبرِ اللهِ ورسولِه كفرٌ مخرجٌ عن الملَّةِ بالإجماعِ.

الثاني: إنكارُ تأويلٍ، وهو أنْ لا يُنكِرَهَا ولكنْ يتأوَّلُها إلى معنًى يخالفُ ظاهرَهَا **وهذا نوعان:**

أحدهما: أنْ يكونَ للتأويلِ مسوِّغٌ في اللُّغة العربيَّة فهذا لا يُوجبُ الكفرَ.

والآخر: أنْ لا يكونَ له مسوِّغٌ في اللُّغةِ العربيَّة، فهذا حُكْمُهُ الكفرُ؛ لأنَّه إذا لم يكنْ له مسوِّغٌ صارَ في الحقيقةِ تكذيباً، مثلَ أنْ يقولَ المرادُ بقولِه تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ تجري بأَراضينَا، فهذا كافرٌ؛ لأنَّه نَفَاهَا نفياً مطلَقاً، فهو مُكذِّبٌ.

ولو قالَ في قولِه تعالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المرادُ بيديهِ السمواتُ والأرضُ، فهو كُفْرٌ أيضاً؛ لأنَّه لا مسوِّغَ له في اللُّغةِ العربيَّة، ولا هوَ مُقْتَضَى الحقيقةِ الشرعيَّةِ فهو منكرٌ ومكذِّبٌ، لكنْ إنْ قالَ: المرادُ باليدِ النِّعْمةُ أو القوَّةُ فلا يُكَفَّرُ؛ لأنَّ اليدَ في اللُّغةِ تطلَقُ بمعنى النعمةِ، قالَ الشاعرُ:

وكَمْ لظَلامِ الليلِ عندكَ من يدٍ   تُحَدِّثُ أنَّ المانَويَّةَ تَكْذِبُ

فقولُه: (مِنْ يد) أيْ: مِنْ نعمةٍ؛ لأنَّ المانويَّةَ يقولونَ: إنَّ الظُّلمةَ لا تَخْلُقُ الخيرَ، وإنَّما تَخلُقُ الشرَّ.

قولُه: «**مِنَ الأسماءِ**» جمعُ اسمٍ واختُلفَ في اشتقاقه:

فقيلَ: مِنَ السُّمُوِّ وهو الارتفاعُ، ووجهُ هذا أنَّ المسمَّى يرتفعُ باسمِه ويتبيَّنُ ويظهرُ.

وقيلَ: مِنَ السِّمَةِ وهي العلامةُ، ووجهُه: أنَّه علامةٌ على مسمَّاهُ، والراجحُ أنَّه مشتَقٌّ مِنْ كلَيْهِمَا.

والمرادُ **بالأسماءِ** -هنا-: أسماءُ اللهِ عزَّ وجلَّ، وبالصفاتِ صفاتُ اللهِ عزَّ وجلَّ، والفرقُ بينَ الاسمِ والصفةِ أنَّ الاسمَ ما تَسَمَّى بهِ اللهُ، والصفةَ: ما اتَّصَفَ به، وأحسن من هذا أن يقال: إن الاسم ما دل على الذات، والصفة

ما دل على معنى قائم بالذات (٢)

قولُه تعالَى: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} الآيةَ: {وَهُمْ} أيْ: كُفَّارُ قُريشٍ.

{يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} المرادُ: أنَّهمْ يكفرونَ بهذا الاسمِ لا بالمسمَّى، فهمْ يُقرُّونَ به، قالَ تعالَى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} وفي حديثِ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو: (لَمَّا أرادَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ أنْ يَكْتُبَ الصُّلْحَ في غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَةِ قالَ للكاتبِ: اكْتُبْ: (بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ).

قالَ سُهيلٌ: أمَّا الرحمنُ، فواللهِ ما أَدْرِي مَا هي؟

ولكنْ اكْتُبْ: (باسمِكَ اللَّهمَّ).

وهذا مِنَ الأمثلةِ التي يُرادُ به الاسمُ دونَ المسمَّى).

وقدْ قالَ تعالَى: {قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} أيْ: بأيِّ اسمٍ مِنْ أسمائِه تدعونَهُ فإنَّ لَهُ الأسماءَ الحسنَى فكلُّ أسمائِه حُسنَى فادعُوا بما شِئْتمْ مِنَ الأسماءِ، ويُرادُ بهذِه الآيةِ الإنكارُ على قريشٍ.

وفي الآيةِ دليلٌ على أنَّ مَنْ أنكرَ اسماً مِنْ أسمائِه تعالى فإنَّه يَكْفُرُ؛ لقولِه تعالى: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} ولأنَّه مكذِّبٌ للهِ ولرسولِه وهذا كُفرٌ، وهذا وجهُ استشهادِ المؤلِّفِ بهذه الآيةِ.

قولُه: {لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ} خبرُ (لا) النافيةِ للجنسِ محذوفٌ، والتقديرُ: لا إلهَ حقٌّ إلا هوَ، وأمَّا الإلهُ الباطلُ فكثيرٌ، قالَ تعالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ}.

قولُه: {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} أيْ: عليهِ وحدَه؛ لأنَّ تقديمَ المعمولِ يدلُّ على الحصرِ، فإذا قلتَ مثلاً: (ضرَبْتُ زيداً) فإنَّه يدلُّ على أنَّكَ ضربْتَهُ، ولكنْ لا يدلُّ على أنَّكَ لم تضربْ غيرَه، وإذا قلتَ: (زيداً ضربتُ) دلَّتْ على أنَّكَ ضربتَ زيداً ولم تضربْ غيرَه، وسبَقَ معنى التوكُّلِ وأحكامُه.

قولُه: {وَإِلَيْهِ مَتَابِ} أيْ: إلى اللهِ، و{متابِ} أصلُها متابي، فحُذفَت الياءُ تخفيفاً، والمتابُ بمعنى: التوبةِ، فهو

مصدرٌ ميميٌّ، أيْ: وإليهِ تَوْبتي.

والتوبةُ: هي الرُّجوعُ إلى اللهِ تعالَى منَ المعصيَةِ إلى الطاعةِ، **ولها شروطٌ خمْسةٌ:**

الأول: الإخلاصُ للهِ تعالى، بأنْ لا يَحْملَ الإنسانَ على التوبةِ مراعاةُ أحدٍ، أو محاباتُه، أو شيءٌ من الدُّنْيا.

الثاني: أنْ تكونَ في وقتِ قَبولِ التوبةِ، وذلكَ قَبلَ طلوعِ الشمسِ من مغربِهَا، وقبلَ حضورِ الموتِ.

الثالث: الندمُ على ما مضى منْ فعْلِه، وذلكَ بأنْ يَشْعُرَ بالتحسُّرِ على ما سبقَ ويتمنَّى أنَّه لمْ يكنْ.

الرابع: الإقلاعُ عَنِ الذنبِ، وعلى هذا فإذا كانت التوبةُ مِنْ مظالمِ الخلْقِ فلا بُدَّ مِنْ ردِّ المظالمِ إلى أهلِها واستحلالِهم منْها.

الخامس: العزمُ على عدمِ العودةِ، والتوبةُ التي لا تكونُ إلا للهِ هي توبةُ العبادةِ، كما في الآيةِ السابقةِ، وأمَّا التوبةُ التي بمعنى الرجوعِ فإنها تكونُ له ولغيرِه، ومنهُ قولُ عائشةَ **حينَ جاءَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فوجَدَ نُمْرُقةً فيها صورٌ، فوقفَ بالبابِ ولْم يدخُلْ وقالتْ: (أتوبُ إلى اللهِ ورسوله، ما أذنبْتُ)** فليسَ المرادُ بالتوبةِ هنا توبةَ العبادةِ؛ لأنَّ توبةَ العبادةِ لا تكونُ للرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، ولا لغيرِهِ منَ الخلقِ، بل للهِ وحدَه، ولكنْ هذهِ توبةُ رجوعٍ، ومِنْ ذلكَ أيضاً حينَ يَضْرِبُ الإنسانُ ابنَهُ لسوءِ أدبهِ، يقولُ الابنُ: أتوبُ.

(٣) قولُه في أثرِ **عليٍّ** رَضيَ اللهُ عنْه: «**حدِّثُوا الناسَ**» أيْ: كلِّموهُم بالمواعِظِ وغيرِ المواعظِ.

قولُه: «**بما يَعْرِفونَ**» أيْ: بما يُمكنُ أنْ يَعْرِفوه وتَبْلُغَهُ عقولُهُمْ حتى لا يُفتَنوا، ولهذا جاءَ عَنِ **ابنِ مسعودٍ** رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: **(إنَّكَ لنْ تُحدِّثَ قوْماً حَديثاً لا تبلغُه عقولُهُمْ إلا كانَ لبعضِهم فتنةً)** ولهذا كانَ مِنَ الحكمةِ في الدعوةِ ألاَّ تُباغتَ الناسَ بما لا يُمكنُهم إدراكُه، بل تَدْعُونَهُم رُوَيْداً رُوَيْداً حتّى تستقرَّ عُقولُهم، ولَيسَ مَعنى «**بما يَعرفون**» أيْ: بما يعرفونَهُ مِنْ قبلُ؛ لأنَّ الذيْ يعرفونَهُ مِنْ قبلُ يكونُ التحديثُ بِه تحصيلَ الحاصلِ.

قال في (فتح المجيد) ص٤٧٦: **(وقد كان شيخنا المصنف ـ رحمه الله ـ لا يحب أن يقرأ على الناس إلا ما ينفعهم في أصل دينهم وعباداتهم ومعاملاتهم الذي لا غنى لهم عن معرفته، وينهاهم عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي** (كالمنعش) و (المرعش) و (التبصرة) **لما في ذلك من الإعراض عمّا هو أوجب وأنفع، وفيها ما الله به أعلم مما لا ينبغي اعتقاده ـ والمعصوم من عصمه الله)** .

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

قولُه: «**أتريدونَ أنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُهُ**» الاستفهامُ للإنكارِ، أيْ: أتريدونَ إذا حدّثْتُم الناسَ بما لا يعرفونَ أنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُه؟

لأنكَ إذا قلتَ: قالَ اللهُ وقالَ رسولُه كذا وكذا، قالوا: هذا كذبٌ إذا كانتْ عقولُهم لا تبلُغُهُ، وهمْ لا يُكذِّبونَ اللهَ ورسولَه، ولكنْ يكذِّبونكَ بحديثٍ تَنْسِبُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ، فيكونونَ مكذِّبينَ للهِ ورسولِهِ لا مباشرةً، ولكنْ بواسطةِ الناقلِ.

فإنْ قيلَ: هل نَدَعُ الحديثَ بما لا تبلُغُهُ عقولُ الناسِ وإن كانوا محتاجين لذلك؟

أجيبَ: لا ندعُهُ، ولكنْ نُحدِّثُهُمْ بطريقٍ تبلُغُهُ عقولُهُمْ، وذلكَ بأنْ نَنْقُلَهُمْ رُوَيْداً رُوَيْداً حتى يتقبَّلوا هذا الحديثَ ويَطْمَئِنُّوا إليه، ولا ندعُ مالا تبلُغُه عقولُهم ونقولُ: هذا شيءٌ مُسْتَنْكَرٌ لا نَتَكلَّمُ بِهِ.

ومثلَ ذلكَ العملُ بالسُّنةِ التي لا يَعْتَادُها الناسُ ويَسْتَنْكِرُونها، فإنَّنا نعملُ بها ولكنْ بعدَ أنْ نُخْبِرَهم بها؛ حتَّى تَقْبَلَها نفوسُهُم ويطمَئِنُّوا إليها.

مناسبةُ هذا الأثرِ لبابِ الصفاتِ:

ظاهرةٌ؛ لأنَّ بعضَ الصفاتِ لا تحتملُها أفهامُ العامةِ، فيمكنُ إذا حدَّثْتَهُمْ بها كانَ لذلكَ أثرٌ سيئٌ عليهِمْ، **كحديثِ النزولِ إلى السماءِ الدنيا مع ثبوتِ العلوِّ**، فلوْ حدَّثْتَ العامَّةَ بأنَّه ينزلُ إلى السماءِ الدنيا بذاتِهِ مع علوِّهِ على عرشِهِ، فقدْ يَفْهَمُ أنَّه إذا نزلَ صارَت السماواتُ فوقَه وصارَ العرشُ خالياً منهُ، وحينئذٍ لا بدَّ في هذا منْ حديثٍ تبلغُهُ عقولُهُمْ، فتبيِّنُ لهمْ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ينزلُ نزولاً لا يماثِلُ نزولَ المخلوقينَ مع علوِّهِ على عرشِهِ، وأنَّه لكمالِ فضلِهِ ورحمتِهِ يقولُ: «**مَنْ يدعوني فأَسْتَجيبَ لهُ..**» الحديثَ.

والعامِّيُّ يكفيه أنْ يتصوَّرَ مُطلقَ المعنى، وأنَّ المرادَ بذلكَ بيانُ فضلِ اللهِ عزَّ وجلَّ في هذه الساعةِ منَ الليلِ.

(٤) قولُه في أثرِ ابنِ عبَّاسٍ: (**انتفضَ**) أيْ: اهتزَّ جسمُه، والرجلُ مُبْهَمٌ، والصفةُ التي حُدِّثَ بها لم تُبيَّنْ، وبيانُ ذلكَ ليسَ مهمّاً، وهذا الرجلُ انتفضَ استنكاراً لهذه الصفةِ، لا تعظيماً للهِ، وهذا أمرٌ عظيمٌ صعبٌ؛ لأنَّ الواجبَ على المرءِ إذا صحَّ عندَهُ شيءٌ عَن اللهِ ورسولِهِ أنْ يُقِرَّ به ويُصدِّقَ؛ ليكونَ طريقُهُ طريقَ الراسخينَ في العلمِ، حتى وإنْ لم يسمعْهُ منْ قبلُ أو يتصوَّرْهُ.

قولُه: (**ما فرق**) فيها: ثلاثُ رواياتٍ:

الأولى: (**فَرَقُ**) بفتحِ الرَّاءِ وضَمِّ القافِ.

الثانية: (**فَرَّقَ**) بتشديدِ الرَّاءِ وفتحِ القافِ.

الثالثة: (**فَرَقَ**) بفتحِ الراءِ مخَفَّفَةً وفتحِ القافِ.

فعلى روايةِ (**فَرَقُ**) تكونُ (ما) استفهاميَّةً مبتدأً، و(**فَرَقُ**) خبرُ المبتدأ، أيْ: ما خوْفُ هؤلاءِ من إثباتِ الصفةِ التي تُليَتْ عليهِمْ وبلغَتْهُمْ، لماذا لا يُثبتونها للهِ عزَّ وجلَّ كما أثبتَها اللهُ لنفسهِ وأثبتَها لهُ رسولُه؟

وهذا يَنْصَبُّ تماماً على أهلِ التَّعْطيلِ والتَّحْريفِ الذينَ ينكِرونَ الصفاتِ، فما الذي يخوِّفُهُمْ من إثباتِهَا، واللهُ تعالى قدْ أثبتَها لنفسه.

وعلى روايةِ: (**فرَّقَ أو فَرَقَ**) تكونُ فعْلاً ماضياً بمعنى: ما فرَّقهم كقولِه تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ**﴾ أي: فرَّقْناه و (ما) يُحتملُ أنْ تكونَ نافيةً، والمعنى: ما فرَّقَ هؤلاءِ بينَ الحقِّ والباطلِ، فجَعَلُوا هذا منَ المُتَشَابه وأنكروهُ ولم يحملوهُ على المُحْكَمِ، ويُحتملُ أنْ تكونَ استفهاميَّةً والمعنى: أيُّ شيءٍ فرَّقهمْ فجعلَهُمْ يؤمنونَ بالْمُحْكَمَ ويَهْلكُونَ عنْدَ المتشابه؟

قولُه: «**يَجدونَ رِقَّةً عندَ مُحْكَمه**» الرِّقةُ: اللِّينُ والقبولُ، و(**مُحْكَمِه**) أي: محكمِ القرآنِ.

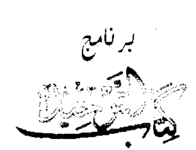
قولُه: «**ويَهْلكُونَ عنْدَ مُتشابهه**» أي: مُتَشَابهِ القرآنِ.

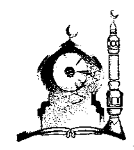
والمُحْكَمُ: الذي اتَّضحَ معناهُ وتبيَّنَ.

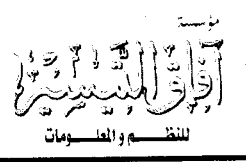
والمتشابهُ: هو الذي يَخْفَى معناهُ، فلا يعلَمُهُ الناسُ، وهذا إذا جُمِعَ بينَ المحكمِ والمتشابه، وأمَّا إذا ذُكِرَ المحكمُ مفرداً دونَ المتشابهِ فمعناه المُتْقَنُ الذي ليسَ فيه خَلَلٌ، لا كذبَ في أخبارِه ولا جَوْرَ في أحكامه، قالَ تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا**﴾.

وقدْ ذكرَ اللهُ الإحكامَ في القرآنِ دونَ المتشابهِ وذلكَ مثلَ قولِه تعالى: ﴿**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ**﴾ وقالَ تعالى: ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ**﴾.

وإذا ذُكِرَ المتشابهُ دونَ المحكمِ صارَ المعنى أنَّه يُشبهُ بعضُهُ بعضاً في جودتِه وكماله، ويُصَدِّقُ بعضُه بعضاً ولا يتناقضُ، قالَ تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ**﴾.







والتشابهُ نوعان:

تشابهٌ نسبيٌّ، وتشابهٌ مطلَقٌ.

والفرقُ بينَهما: أنَّ المطلقَ يخفَى على كلِّ أحد.

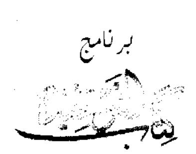
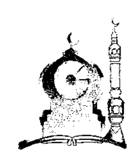
والنِّسبيَّ يخفَى على أحدٍ دونَ أحدٍ، وبناءً على هذا التقسيمِ ينبني الوقفُ على قولِه تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فعلى الوقفِ على ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ يكونُ المرادُ بالمتشابهِ التشابهَ المطلقَ، وعلى الوصلِ ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ يكونُ المرادُ بالمتشابهِ المتشابهَ النسبيَّ، وللسلفِ في ذلكَ قولان:

القولُ الأوَّلُ: الوقفُ على ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وعليهِ أكثرُ السلفِ، وعلى هذا فالمرادُ بالمتشابهِ المتشابهُ المطلَقُ الذي لا يعلمُهُ إلا اللهُ، وذلكَ مثلَ كيفيَّةِ وحقائقِ صفاتِ اللهِ، وحقائقِ ما أخبرَ اللهُ به منْ نعيمِ الجنَّةِ وعذابِ النارِ، قالَ اللهُ تعالى في نعيمِ الجنَّةِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أي: لا تعلمُ حقائقَ ذلكَ، ولذلكَ قالَ ابنُ عبَّاسٍ: (ليسَ في الدنيا شيءٌ مما في الجنة إلا الأسماءُ).

قال في (فتح المجيد) ص ٤٨٠: (بعدما سرد الآثار الواردة عن السلف في المتشابه: قال: قلت: وليس في هذه الآثار ونحوها ما يُشعر بأن الأسماء والصفات من المتشابه، وما قاله النفاةُ: من أنها من المتشابه، دعوى بلا برهان)

والقولُ الثاني: بالوصلِ فيُقرأُ: ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وعلى هذا فالمرادُ بالمتشابهِ المتشابهُ النسبيُّ وهذا يعلَمُهُ الراسخونَ في العلمِ ويكونُ عندَ غيرِهم متشابهاً، ولهذا يُرْوَى عَن ابنِ عبَّاسٍ أنَّهُ قالَ: (أنا منَ الرَّاسخين في العلْمِ الذينَ يعلمونَ تأويلَهُ) ولم يقلْ هذا مَدْحاً لنفسِهِ أو ثناءً عليها، ولكنْ ليَعْلَمَ الناسُ أنَّه ليسَ في كتابِ اللهِ شيءٌ لا يُعْرَفُ معناه، فالقرآنُ معانيه كلُّها بيِّنَةٌ، لكنَّ بعضَ القرآنِ يشتبهُ على ناسٍ دونَ آخرينَ، حتى العلماءُ الراسخونَ في العلمِ يختلفونَ في معنى القرآنِ، وهذا يدلُّ على أنَّه خَفِيَ على بعضِهم، والصوابُ بلا شكٍّ مع أحدِهم إذا كانَ اختلافُهُمْ اختلافَ تضادٍّ لا تنوُّعٍ، أمَّا إذا كانت الآيةُ تحتملُ المعنيينِ جميعاً بلا منافاةٍ ولا مُرَجِّحٍ لأحدِهما فإنَّها تُحْمَلُ عليْهما جميعاً.

(٥) قولُه: «وَلَمَّا سمعتْ قُريشٌ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَذْكُرُ الرَّحمنَ» أصلُ ذلكَ أنَّ سُهَيْلَ بنَ


عمرٍو، أحدَ الذينَ أرسلتْهُمْ قريشٌ لمفاوضةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في صلحِ الحديبيَّةِ، وأمرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ يكْتُبَ (بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ).

فقالَ: أمَّا الرحمنُ فلا واللهِ ما أدري ما هي؟

وقالُوا: إنَّنا لا نعرفُ رحْماناً إلا رحمنَ اليمامةِ، فأنكرُوا الاسمَ دونَ المسمَّى.

فأنزلَ اللهُ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ أيْ: بهذا الاسمِ منْ أسماءِ اللهِ.

وفي الآيةِ دليلٌ على أنَّ مَنْ أنكرَ اسماً مِنْ أسماءِ اللهِ الثابتةِ في الكتابِ أو السُّنَّةِ فهو كافرٌ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾.

وقولُه: (وَلَمَّا سمِعَتْ قريشٌ) الظاهرُ -واللهُ أعلَمُ- أنَّه مِنْ بابِ العامِّ الذي أُريدَ به الخاصُّ، وليسَ كلُّ قريشٍ تُنْكِرُ ذلكَ بلْ طائفةٌ منهم، ولكنْ إذا أقَرَّت الأمَّةُ الطائفةَ على ذلكَ و لمْ تُنكِرْ صحَّ أنْ يُنسَبَ لهم جميعاً، بلْ إنَّ اللهَ نسبَ إلى اليهودِ في زمنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما فعلَهُ أسلافُهُمْ في زمنِ موسى عليهِ السلامُ، قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ وهذا لمْ يكنْ في عهدِ المخاطَبِينَ.

(٦) **فيهِ مسائِلُ:**

الأولَى: (**عَدَمُ الإيمانِ بجَحدِ شيءٍ منَ الأسماءِ والصِّفاتِ**) (**عدمُ**) بمعنى انتفاءٍ أي: انتفاءُ الإيمانِ بسببِ جحْدِ شيءٍ مِنَ الأسماءِ والصفاتِ، وسبقَ التفصيلُ في ذلكَ.

(٧) **الثانيةُ:** (**تفسيرُ آيةِ الرَّعدِ**) وهيَ قولُه تعالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ وسبقَ تفسيرُهَا.

(٨) **الثالثةُ:** (**تَرْكُ التَّحديثِ بما لا يَفْهَمُ السَّامعُ**) وهذا ليسَ على إطلاقِهِ، وقدْ سبقَ التفصيلُ فيهِ عندَ شرحِ الأثرِ.

(٩) **الرابعةُ:** (**ذِكْرُ العلَّةِ أنَّهُ يُفضي إلى تَكذيبِ اللهِ ورسولِه، وَلَوْ لَمْ يَتعَمَّدِ المُنْكِرُ**) وهي أنَّ الذي لا يبلُغُ عقلُهُ ما حُدِّثَ به يُفْضِي به التحديثُ إلى تكذيبِ اللهِ ورسولِه، فيُكَذِّبُ ويقولُ: هذا غيرُ ممكنٍ، وهذا يوجَدُ من

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٢ - ص. ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

بعضِ الناسِ في أشياءَ كثيرةٍ مما أخبرَ به النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مما يكونُ يومَ القيامة، كما أخبرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «**أنّ الأرضَ يومَ القيامة تكون خُبْزَةً واحدةً يَتَكَفَّؤُها الجبَّارُ بيده كما يَتَكَفَّأُ أحدكم خُبزَتَه**» وما أشبهَ ذلكَ، وكمَا أنَّ الصِّراطَ أحدُّ مِنَ السيفِ وأدقُّ مِنَ الشعرةِ، وغيرُ هذه الأمورِ لوْ حدَّثْنا بها إنساناً عاميًّا لأوشكَ أنْ يُنكِرَ، لكنْ يجبُ أنْ تُبيِّنَ له بالتدريجِ حتَّى يتمكَّنَ مِنْ عَقْلِها مثْلَمَا نعلِّمُ الصبيَّ شيئاً فشيئاً.

وقولُه: «**وَلَوْ لَمْ يَتَعَمَّدِ المنْكِرُ**» أيْ: ولوْ لمْ يقصدِ المنكِرُ تكذيبَ اللهِ ورسولِهِ، ولكنْ كذَّبَ نسبةَ هذا الشيءِ إلى اللهِ ورسولِهِ، وهذا يعودُ بالتالي إلى ردِّ خبرِ اللهِ ورسولِه.

(١٠) **الخامسةُ: «كلامُ ابْنِ عبَّاسٍ لِمَن اسْتَنْكَرَ شيئاً مِنْ ذلكَ وأنَّهُ أَهْلَكَهُ»** وذلكَ قولُه: «ما فَرَّقَ هؤلاءِ؟ يَجدونَ رِقَّةً – أي ليناً– عند مُحْكَمِه –فيَقْبَلونَهُ– ويَهْلِكُونَ عِنْدَ متشابِهِه» فينكرونَهُ.

(١١) قولُه تعالى: **{يَعْرِفُونَ}** أيْ: يُدْرِكونَ بحواسِّهِمْ أنَّ النعمةَ مِنْ عندِ اللهِ، قولُه: **{نِعْمَتَ اللهِ}** واحدةٌ والمرادُ بها الجمعُ فهيَ ليستْ واحدةً، بل هيَ لا تُحْصَى، قالَ تعالى: **{وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا}** **والقاعدةُ الأصوليَّةُ**: (أنَّ المفردَ المضافَ يَعُمُّ) والنِّعمةُ تكونُ بجلبِ المحبوباتِ، وتُطلَقُ أحياناً على رفعِ المكروهاتِ.

قولُه: **{ثُمَّ يُنكِرُونَهَا}** أيْ: ينكرونَ إضافتَهَا إلى اللهِ؛ لكونِهِمْ يُضيفونَهَا إلى السببِ مُتَناسينَ المسبِّبَ الذي هوَ اللهُ سبحانَهُ، وليسَ المعنى أنَّهمْ يُنكرونَ هذه النعمةَ، مثلَ أنْ يقولوا: ما جاءَنَا مطرٌ أو ولدٌ أو صحَّةٌ، ولكنْ ينكرونَهَا بإضافتِهَا إلى غيرِ اللهِ متناسينَ الذي خلَقَ السببَ فوُجدَ به المسبَّبُ.

قولُه: **(الآيةَ)** أيْ: إلى آخرِ الآيةِ، وهيَ منصوبةٌ بفعلٍ محذوفٍ تقديرُه أكْمِل الآيةَ.

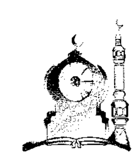
قولُه: **{وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ}** أيْ: أكثرُ العارفين بأنَّ النِّعْمَةَ من اللهِ. الكافرون، أيْ: الجاحدون كونَها مِن اللهِ، أو الكافرون باللهِ عزَّ وجلَّ.

وقولُه: **{أَكْثَرُهُمُ}** بعدَ قولِهِ **{يعرفون}** الجملةُ الأُولى أضافَهَا إلى الكلِّ، والثانيةُ أضافهَا إلى الأكثرِ، وذلكَ؛ لأنَّ منهمْ مَنْ هوَ عاميٌّ لا يعرِفُ ولا يفهمُ، ولكنَّ أكثرَهم يعرفونَ ثمَّ يكفرونَ.

ومناسبةُ هذا البابِ للتوحيدِ:

هي أنَّ مَنْ أضافَ نعْمَةَ الخالقِ إلى غيْرِه فقدْ جعلَ معَهُ شريكاً في الربوبيَّةِ؛ لأنَّه أضافَها إلى السببِ على أنَّه

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



فاعلٌ، هذا مِنْ وجهٍ، ومِنْ وجهٍ آخرَ أنَّه لم يقمْ بالشكرِ الذي هو عبادةٌ من العبادات، وتركُ الشكرِ منافٍ للتوحيد؛ لأنَّ الواجبَ أنْ يَشْكُرَ الخالقَ المنعمَ سبحانَهُ وتعالَى، فصارتْ لها صلةٌ بتوحيدِ الربوبيةِ وبتوحيدِ العبادةِ، فمِنْ حيثُ إضافتُهَا إلى السببِ على أنَّه فاعِلٌ هذا إخلالٌ بتوحيدِ الربوبيَّةِ، ومِنْ حيثُ تركُ القيامِ بالشكرِ الذي هوَ العبادةُ، هذا إخلالٌ بتوحيدِ الألوهيَّةِ.

(١٢) قولُه: «**قالَ مُجاهدٌ**» هو: **إمامُ** المفسِّرينَ في التابعينَ، عرَضَ المصحفَ على **ابنِ عباسٍ** رضيَ اللهُ عنهما يُوقِفُه عندَ كلِّ آيةٍ، ويسأَلُهُ عنْ تفسيرِهَا.

وقالَ **سُفْيانُ الثوريُّ**: **(إذا جاءكَ التفسيرُ عنْ مُجاهدٍ فحسْبُكَ به)** أيْ: كافيكَ، ومعَ هذا فليسَ معصوماً عَنِ الخطأ.

قولُه: «**ما مَعْناه**» أيْ: كلاماً معنَاه، وعلى هذا فـ (مَا) نكِرَةٌ موصوفةٌ، وفيه أنَّ الشيخَ رحِمَه اللهُ لم يَنْقُلْه بلفْظِه.

قولُه: «**هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ**» هذا مِنْ بابِ التغليبِ والتشريفِ؛ لأنَّ الرجلَ أشرفُ مِنَ المرأةِ وأحقُّ بتوجيهِ الخطابِ إليه منْها، وإلاَّ فالحكمُ واحدٌ.

قولُه: «**هَذا مالي ورِثْتُهُ عَنْ آبائي**» ظاهرُ هذهِ الكلمةِ أنَّه لا شيءَ فيها، فلوْ قالَ لكَ واحدٌ: منْ أينَ لكَ هذا البيتُ؟

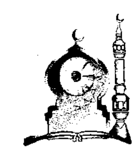
قلتَ: ورِثْتُهُ عنْ آبائي؛ فليسَ فيه شيءٌ؛ لأنَّه خبرٌ محضٌ.

لكنْ مرادُ **مجاهد** أنْ يضيفَ القائلُ تَملُّكَه للمالِ إلى السببِ الذي هوَ الإرْثُ متناسياً المسبِّبَ الذي هوَ اللهُ، فبتقديرِ اللهِ عزَّ وجلَّ أنعمَ على آبائِكَ، وملَكُوا هذا البيتَ، وبشرعِ اللهِ عزَّ وجلَّ انتقلَ هذا البيتُ إلى مُلكِكَ عنْ طريقِ الإرْثِ، فكيفَ تَتَناسَى المسبِّبَ للأسبابِ القدَريَّةِ والشرعيَّةِ، فتُضيفَ الأمرَ إلى ملكِ آبائكَ وإرثِكَ إيَّاهُ بعدَهُمْ؟ فمنْ هنا صارَ هذا القولُ نوعاً منْ كُفْرِ النعمةِ.

أمَّا إذا كانَ قصدُ الإنسانِ مجردَ الخبرِ كمَا سبقَ فلا شيءَ في ذلكَ، ولهذا ثبتَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قيلَ له يومَ الفتحِ: أتَنْزِلُ في دَارِكَ غداً؟

فقالَ: «**وَهَلْ تَرَكَ لنا عَقيلٌ منْ دارٍ أو رِباعٍ**» فبيَّنَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّ هذه الدُّورَ انتقلتْ إلى **عَقيلٍ** بالإرث.

فتبيَّن أنَّ هناكَ فَرْقاً بينَ إضافة المُلْك إلى الإنسان على سبيلِ الخبرِ، وبينَ إضافته إلى سببه متناسيًا المسبِّبَ وهوَ



اللهُ عزَّ وجلَّ.

قولُه: «وقالَ عونُ بنُ عبد الله» يقولونَ: (**لولا فُلانٌ لَمْ يَكُنْ كَذا**).

وهذا القولُ فيه تفصيلٌ: فإنْ أرادَ بها الخبرَ وكانَ الخبرُ صِدقاً مطابِقاً للواقعِ فهذا لا بأسَ بِهِ، وإنْ أرادَ بها السببَ **فلذلكَ ثلاثُ حالات**:

الأولى: **أنْ يكونَ سبباً خفيّاً لا تأثيرَ لهُ إطلاقاً** كأنْ يقولَ: لولا الوليُّ الفلانيُّ ما حصلَ كذا وكذا، فهذا شِرْكٌ أكبرُ؛ لأنَّه يَعتقدُ بهذا القولِ أنَّ لهذا الوليِّ تصرُّفاً في الكونِ مع أنَّه ميِّتٌ فهو تصرُّفٌ سرِّيٌّ خفيٌّ.

الثانية: أنْ يضيفَه إلى سببٍ صحيحٍ ثابتٍ شرعاً، أو حسّاً، فهذا جائزٌ بشرطِ أنْ لا يعتقدَ أنَّ السببَ مؤثِّرٌ بنفسِه، أو أنْ لا يَتَناسَى المُنْعِمَ بذلكَ.

الثالثةُ: أنْ يضيفَهُ إلى سببٍ ظاهرٍ، لكنْ لَمْ يثبتْ كونُهُ سبباً لا شرعاً ولا حسّاً، فهذا نوعٌ مِنَ الشرك الأصغرِ، وذلكَ مثلَ: **التِّوَلَة والقلائد** التي يُقالُ: إنها تمنَعُ العينَ، وما أشبهَ ذلكَ؛ لأنَّه أثبتَ سبباً لَمْ يجعلْهُ اللهُ سبباً، فكانَ مشاركاً للهِ في إثباتِ الأسبابِ.

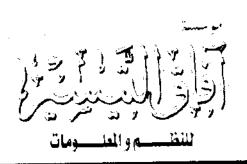
ويدلُّ لهذا التفصيلِ أنَّه ثبتَ إضافةُ (لولا) إلى السببِ وحدَه بقولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في عمِّه أبي طالبٍ: «**لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**» ولا شكَّ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أبعدُ الناسِ عَنِ الشرْكِ، وأخلصُ الناسِ توحيداً **لله تعالى**، فأضافَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الشيءَ إلى سببِه، لكنَّه شرعيٌّ حقيقيٌّ؛ فإنَّه أُذنَ لَهُ بالشفاعةِ لعمِّه بأنْ يُخفِّفَ عنْهُ، فكانَ في ضَحْضَاحٍ مِنَ النارِ عليهِ نعلانِ يَغْلي منهمَا دماغُهُ، لا يَرَى أنَّ أحداً أشدُّ منهُ عذاباً؛ لأنَّه لوْ يرى أنَّ أحداً أشدُّ منْهُ عذاباً أو مثلُه هانَ عليه بالتسلِّي.

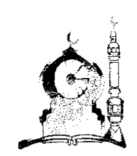
قولُه: وقالَ **ابنُ قُتيبةَ**: (**يَقولونَ هَذا بِشفاعَةِ آلِهَتِنا**) هؤلاءِ أخبثُ ممن سبَقَهم؛ لأنهُمْ مشركونَ يعبدونَ غيرَ اللهِ ثمَّ يقولونَ: إنَّ هذه النعمَ حصلتْ بشفاعةِ آلهتِهِمْ.

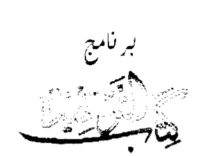
فالعُزَّى مثلاً شَفَعَتْ عندَ اللهِ أنْ يُنزلَ المطرَ، فهؤلاءِ أثبتوا سبباً مِنْ أبطلِ الأسبابِ؛ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يقبلُ شفاعةَ آلهتِهِمْ؛ لأن الشفاعةَ لا تَنفَعُ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَـــنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً، واللهُ عزَّ وجلَّ لا يأذَنُ لهذه الأصنامِ بالشفاعة.

فهذا أبطلُ مِنَ الذي قبلَهُ؛ لأنَّ فيه محذورين:

- **الشركَ بهذه الأصنامِ**







- وإثباتَ سببٍ غيرِ صحيحٍ.

(١٣) قولُه: «**وهَذا كثيرٌ في الكتابِ والسُّنَّةِ يَذُمُّ سبحانَهُ مَنْ يُضيفُ إنعامَهُ إلى غَيْرِه**» وذلكَ مثلَ الاستسقاءِ بالأنْوَاءِ، وإنَّما كانَ هذا مذموماً؛ لأنَّه لو أتى إليكَ عبدُ فلانٍ بهديَّةٍ مِنْ سيِّدِهِ فشكَرْتَ العبدَ دونَ السيِّدِ، كانَ هذا سُوءَ أدبٍ معَ السيدِ وكفراناً لنعمته.

وأقبحُ مِنْ هذا لو أضفتَ النعمةَ إلى السببِ دونَ الخالقِ لثلاثةِ أمورٍ:

الأول: أنَّ الخالقَ لهذه الأسبابِ هو اللهُ، فكانَ الواجبُ أنْ يُشْكَرَ وتُضافَ النعمةُ إليه.

الثاني: أنَّ السببَ قد لا يؤثِّرُ كما ثبتَ في (صحيحِ مسلمٍ) أنَّه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قالَ: «**لَيسَ السَّنَةُ أَنْ لا تُمْطَروا، بل السَّنَةُ أَنْ تُمْطَروا ثُمَّ لا تُنْبِتُ الأرضُ**».

الثالث: أنَّ السببَ قدْ يكونُ له مانعٌ يمنعُ مِنْ تأثيرِه، وبهذا عُرِفَ ضعفُ إضافةِ الشيءِ إلى سببِه دونَ الالتفاتِ إلى المسبِّبِ جلَّ وعلا.

قولُه: «**كانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً**» هذا في السفنِ الشِّراعيَّةِ التي تجريْ بالريحِ، قالَ تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا**﴾ فكانوا إذا طابَ سيرُ السفينةِ قالُوا: كانت الريحُ طيِّبةً، وكانَ الملاَّحُ -وهو قائدُ السفينةِ- حاذقاً أيْ: مُجيداً للقيادةِ، فيُضيفون الشيءَ إلى سببِه ويَنْسَوْنَ الخالقَ جَلَّ وعلا.

(١٤) **فيهِ مَسائِلُ:**

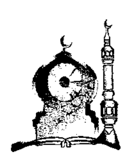
الأولى: (تفسيرُ معْرفةِ النِّعمةِ وإنكارِها) وسبقَ ذلكَ.

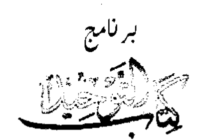
(١٥) **الثانيةُ:** (مَعْرِفَةُ أنَّ هذا جَارٍ علَى ألسنةٍ كثيرةٍ) وذلكَ مثلُ قولِ بعضِهِمْ: كانت الريحُ طيبةً، والملاَّحُ حاذقاً وما أشبهَ ذلكَ.

(١٦) **الثالثةُ:** (تَسميةُ هَذا الكلامِ إنكاراً للنِّعمَةِ) يعني: إنكاراً لتفضُّلِ اللهِ تعالى بها، وليسَ إنكاراً لوجودِها؛ لأنَّهم يعرفونَها ويُحِسُّونَ بوجودِها.

(١٧) **الرابعةُ:** (اجتماعُ الضِّدَّيْنِ في القلْبِ) وهذا مِنْ قولِهِ: ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا**﴾ فجمَعَ بينَ

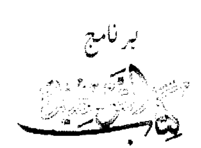


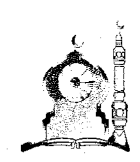




المعرفةِ والإنكارِ، وهذا كما يَجْتَمِعُ في الشخصِ الواحدِ خَصْلَةُ إيمانٍ وخصلةُ كُفرٍ، وخصلةُ فسوقٍ وخصلةُ عدالةٍ.

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com







تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس السابع والثلاثون

(١) قولُهُ: **{فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}** **لَمَّا ذكرَ سبحانَهُ ما يُقِرُّ به هؤلاءِ مِنْ أفعالِه التي لم يفعلْها غيرُهُ:** **{الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ}** فكلُّ مَنْ أقرَّ بذلكَ لزمَهُ أنْ لا يَعْبُدَ إلاَّ الْمُقَرَّ لهُ؛ لأنَّهُ لا يستحقُّ العبادةَ مَنْ لا يفعلُ ذلكَ، ولا ينبغي أنْ يُعبدَ إلاَّ مَنْ فعلَ ذلكَ. ولذلكَ أتى بالفاءِ الدالَّةِ على التفريعِ والسببيَّةِ؛ أيْ: فبسببِ ذلكَ لا تجعلُوا للهِ أندادًا.

و**{لا}** هذه ناهيةٌ، فلا تجعلُوا لَهُ أندادًا في العبادةِ، كما أنَّكمْ لمْ تجعلُوا لهُ أندادًا في الربوبيَّةِ، وأيضًا لا تجعلُوا لَهُ أندادًا في أسمائِهِ وصفاتِهِ؛ لأنَّهم قدْ يَصِفونَ غيرَ اللهِ بأوصافِ اللهِ عزَّ وجلَّ: كاشتقاقِ العزَّى مِنَ العزيزِ، وتسميتِهِم رحمنَ اليمامةِ.

قولُهُ: **{أَندَادًا}** جمعُ: **نِدٍّ، وهوَ الشبيهُ والنظيرُ، والمرادُ هنا:** أندادًا في العبادةِ.

قولُهُ: **{وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}** الجملةُ في موضعِ نصبِ حالٌ مِنْ فاعلِ **{تجعلون}** أيْ: والحالُ أنَّكم تعلمونَ. والمعنى: وأنتمْ تعلمونَ أنَّهُ لا أندادَ لَهُ، يعني في الربوبيَّةِ؛ لأنَّ هذا محطُّ التقبيحِ مِنْ هؤلاءِ أنَّهم يجعلونَ لهُ أندادًا، وهمْ يعلمونَ أنَّهُ لا أندادَ لَهُ في الربوبيَّةِ، أمَّا في الألوهيَّةِ فيجعلونَ لهُ أندادًا.

قالُوا للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: **{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}**.

ويقولونَ في تلبيتِهِمْ: (لبيكَ لا شريكَ لكَ إلاَّ شريكًا هوَ لكَ، تملكُهُ وما ملَكَ) وهذا مِنْ سفهِهِمْ، فإنَّهُ إذا صارَ مملوكًا، فكيفَ يكونُ شريكًا؟!

وهذا أنكرَ اللهُ عليهم في قولِهِ: **{فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}** إذ الأندادُ بالمعنَى العامِّ - بقطعِ النظرِ عنْ كونِهِ يُخاطبُ أقوامًا يُقرُّونَ بالربوبيَّةِ - يشملُ الأندادَ في الربوبيَّةِ، والألوهيَّةِ، والأسماءِ والصفاتِ.

قالَ في (فتح المجيد) ص٤٨٩: **(وفي هذه الآية دليل على توحيد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وقد استدل بها كثير من المفسرين على وجود الصانع، وهي دالة على ذلك بطريق الأولى، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جداً)**.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

(٢) قولُهُ: (وقالَ ابنُ عباسٍ في الآيةِ) أيْ: في تفسيرِها.

قولُهُ: (هُوَ الشِّرْكُ) هذا تفسيرٌ بالمرادِ؛ **لأنَّ التفسيرَ تفسيران:**

أحدهما: تفسيرٌ **بالمرادِ**، وهوَ المقصودُ بسياقِ الجملةِ بقطعِ النظرِ عنْ مفرداتِها.

والآخر: تفسيرٌ **بالمعنَى**، وهوَ الذي يُسمَّى: تفسيرَ الكلماتِ.

فإذا قُلْنا: **الأندادُ: الأشباهُ والنُّظَراءُ**، فهوَ **تفسيرٌ بالمعنَى**، وإذا قُلْنا **الأندادُ: الشركاءُ** أو الشِّرْكُ، فهوَ **تفسيرٌ بالمرادِ**، والمعنَى يقولُ رضيَ اللهُ عنه: «الأندادُ هوَ الشركُ» فإذًا **النِّدُّ: الشَّريكُ المشارِكُ للهِ سبحانهُ وتعالَى فيمَا يَختصُّ به**.

وقولُهُ: (**دَبِيب**) أيْ: أثرِ دبيبِ النملِ، وليسَ فعلَ النملِ.

وقولُهُ: (**علَى صَفَاةٍ**) هيَ الصخرةُ المَلْساءُ.

وقولُهُ: (**سَوْداء**) وليسَ علَى بيضاءَ، إذ لوْ كانَ علَى بيضاءِ لبانَ أثرُ السيرِ أكثرَ.

وقولُهُ: (**في ظُلْمَةِ الليلِ**) وهذا أبلغُ ما يكونُ في الخفاءِ.

فإذا كانَ الشِّرْكُ في قلوبِ بني **آدمَ** أخفَى منْ هذا، فنسألُ اللهَ أنْ يُعينَ علَى التخلُّصِ منْهُ.

ولهذا قالَ بعضُ السلفِ: (ما عالجْتُ نفسي معالجتَهَا علَى الإخلاصِ).

ويُرْوَى عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّهُ لَمَّا قالَ مثلَ هذا قيلَ لَهُ: **كيفَ نَتَخلَّصُ منهُ؟**

قالَ: «**قُولوا: اللهُمَّ إنَّا نعوذُ بكَ أنْ نُشْرِكَ بكَ شيئًا نَعْلَمُهُ، ونَسْتَغفرُكَ لمَا لا نَعْلَمُ**».

قولُهُ: (واللهِ وحياتِكَ) **فيها نوعانِ منَ الشركِ:**

الأولُ: الحلفُ بغيرِ اللهِ.

الثاني: الإشراكُ معَ اللهِ بقولِهِ: واللهِ وحياتِكَ، فضمُّها إلَى اللهِ بالواوِ المقتضيَةِ للتسويَةِ فيها نوعٌ منَ الشركِ.

والقسَمُ بغيرِ اللهِ إنِ اعتقدَ الحالفُ أنَّ المُقْسَمَ به بمنزلةِ اللهِ في العَظَمةِ فهوَ شركٌ أكبرُ، وإلاَّ فهوَ شركٌ أصغرُ.

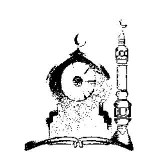
وقولُهُ: (**وحياتي**) فيه حلْفٌ بغيرِ اللهِ فهوَ شركٌ.

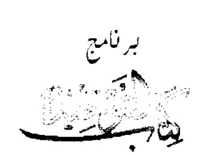
وقولُهُ: (**لولا كُلَيبةُ هذا لأتانا اللُّصوصُ**) (**كُلَيبةٌ**) تصغيرُ كلبٍ، والكلبُ يُنتفَعُ بهِ للصيدِ وحراسةِ الماشيَةِ والحرْثِ.

وقولُهُ: (**لولا كُلَيبةُ هذا**) يكونُ فيه شركٌ إذا نُظِرَ إلَى السببِ دونَ المسبِّبِ وهوَ اللهُ عزَّ وجلَّ، أمَّا الاعتمادُ

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com







علَى السببِ الشرعيِّ أو الحسيِّ المعلومِ فقدْ تقدَّمَ أنَّهُ لا بأسَ به، وأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ: «**لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**» لكنْ قدْ يقعُ في قلبِ الإنسانِ - إذا قالَ: لولا كذا لحصلَ كذا، أوْ ما كانَ كذا - قدْ يقعُ في قلبِهِ شيءٌ منَ الشركِ بالاعتمادِ علَى السببِ بدونِ نظرٍ إلَى المسبِّبِ وهوَ اللهُ عزَّ وجلَّ.

وقولُهُ: (**ولولا البطُّ في الدَّارِ لأتَى اللُّصوصُ**) البَطُّ طائرٌ معروفٌ، وإذا دخلَ اللصُّ البيتَ وفيهِ بَطٌّ، فإنَّهُ يَصْرَخُ، فينتبِهَ أهلُ البيتِ ثمَّ يَجْتَنِبُهُ اللصوصُ.

وقولُهُ: «**وقوْلُ الرَّجُلِ لصاحبِهِ: ما شاءَ اللهُ وشِئْتَ**» **فيهِ: شرْكٌ؛ لأنَّهُ شَرَكَ غيرَ اللهِ معَ اللهِ** بالواوِ، فإنِ اعتقدَ أنَّهُ يُساوِي اللهَ عزَّ وجلَّ في التدبيرِ والمشيئةِ فهوَ شرْكٌ أكبرُ، وإنْ لمْ يعتقدْ ذلكَ واعتقدَ أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى فوقَ كلِّ شيءٍ فهوَ شرْكٌ أصغرُ، وكذلكَ قولُهُ: (**لولا اللهُ وفلانٌ**).

وقولُهُ: (**هَذا كلُّهُ به شِرْكٌ**) المشارُ إليهِ ما سبقَ، وهوَ شِرْكٌ أكبرُ أوْ أصغرُ حسْبَ ما يكونُ في قلبِ الشخصِ منْ نوعِ هذا التشريكِ.

(**٣**) قولُهُ: (**وعَنْ عُمَرَ**) صوابُهُ عن **ابنِ عمرَ**، نبَّهُ عليهِ في (**تيسير العزيز الحميد**).

قولُهُ في حديثِ **ابنِ عُمرَ** رضِيَ اللهُ عنهُمَا: (**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ**) (مَنْ) شرطيَّةٌ، فتكونُ للعمومِ.

قولُهُ: (**أَوْ أشرَكَ**) شكٌّ مِنَ الراوي، والظاهرُ أنَّ صوابَ الحديثِ (**أشركَ**).

وقولُهُ: (**مَنْ حَلَفَ بغَيْرِ اللهِ**) يشملُ كلَّ محلوفٍ به سوَى اللهِ، سواءٌ: بالكعبةِ، أو الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، أو السماءِ، أوْ غيرِ ذلكَ، ولا يشملُ الحلفَ بصفاتِ اللهِ؛ لأنَّ الصفةَ تابعةٌ للموصوفِ، وعلَى هذا فيجوزُ أنْ تقولَ: وعزّةِ اللهِ لأفعَلَنَّ كذا.

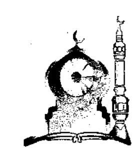
وقولُهُ: (**بغَيْرِ اللهِ**) ليسَ المرادُ بغيرِ هذا الاسمِ، بلِ المرادُ بغيرِ المُسَمَّى بهذا الاسمِ، فإذا حلفَ باللهِ أوْ بالرحمنِ أوْ بالسميعِ فهوَ حَلفٌ باللهِ.

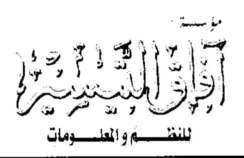
والحلِفُ: تأكيدُ الشيءِ بذكرِ معظَّمٍ بصيغةٍ مخصوصةٍ، بالباءِ أو التاءِ أو الواوِ.

وحروفُ القسمِ ثلاثةٌ: **الباءُ، والتاءُ، والواوُ.**

والباءُ أعمُّها؛ لأنَّها تدخلُ علَى الظاهرِ والمُضْمَرِ، وعلَى اسمِ اللهِ وغيرِهِ، ويُذكَرُ معهَا فعلُ القسمِ ويُحْذَفُ، فيذكرُ معهَا فعلُ القسمِ كقولِهِ تعالَى: {**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ**} ويُحذفُ مثلَ قولِكَ: **باللهِ لأفعلنَّ**، وتدخلُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





علَى المضمَرِ مثلَ قولِكَ: (اللهُ عظيمٌ أحلفُ بهِ لأفعلنَّ) وعلَى الظاهرِ كما في الآيَةِ، وعلَى غيرِ لفظِ الجلالةِ مثلَ قولِكَ: (بالسميعِ لأفعلنَّ) وأمَّا الواوُ فإنَّهُ لا يُذكرُ معهَا فعلُ القسَمِ، ولا تدخلُ علَى الضميرِ ويُحْلَفُ بها معَ كلِّ اسمٍ، وأمَّا التاءُ فإنَّهُ لا يُذكرُ معهَا فعلُ القسمِ، وتختصُّ باللهِ وربٍّ.

والحلفُ بغيرِ اللهِ شركٌ أكبرُ إن اعتقدَ أنَّ المحلوفَ بهِ مساوٍ للهِ تعالَى في التعظيمِ والعظمةِ، وإلاَّ فهوَ شركٌ أصغرُ.

وأمَّا قولُهُ تعالَى: **{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}**.

- وقولُهُ: **{لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}**.

- وقولُهُ: **{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}**.

وما أشبهَ ذلكَ منَ المخلوقاتِ التي أقسمَ اللهُ بها، **فالجوابُ عنه منْ وجهينِ:**

الأوَّلُ: أنَّ هذا منْ فعلِ اللهِ، واللهُ لا يُسألُ عمَّا يفعلُ، ولَهُ أنْ يُقْسِمَ سبحانَهُ بما شاءَ منْ خلْقِه، وهوَ سائلٌ غيرُ مسؤولٍ، وحاكمٌ غيرُ محكومٍ عليه.

الثاني: أنَّ قسَمَ اللهِ بهذهِ الآياتِ دليلٌ علَى عظمتِه وكمالِ قدرتِه وحكمتِه، فيكونُ القسَمُ بها الدالُّ علَى تعظيمِهَا ورفعِ شأنِهَا متضمِّنًا للثناءِ علَى اللهِ عزَّ وجلَّ بما تقتضيهِ منَ الدلالةِ علَى عظمتِه.

وأمَّا نحنُ فلا نُقسمُ بغيرِ اللهِ أوْ صفاتِه؛ لأنَّنا منهيُّونَ عنْ ذلكَ.

وأمَّا ما ثبتَ في (صحيحِ مسلمٍ) منْ قولِه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ**» **فالجوابُ عنه منْ وجوهٍ:**

الأولُ: أنَّ بعضَ العلماءِ أنكرَ هذهِ اللفظةَ، وقالَ: إنَّها لم تَثْبُتْ في الحديثِ؛ لأنَّها مُناقضةٌ للتوحيدِ، وما كانَ كذلكَ فلا تصحُّ نسبتُهُ إلَى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؛ فيكونُ باطلاً.

الثاني: أنَّها تصحيفٌ منَ الرواةِ، والأصلُ: «**أَفْلَحَ وَاللهِ إِنْ صَدَقَ**» وكانوا في السابقِ لا يُشكِّلُونَ الكلماتِ و (أبيه) تُشْبِهُ (الله) إذا حُذفَت النُّقطُ السُّفلَى.

الثالثُ: أنَّ هذا ممَّا يَجري علَى الألسنةِ بغيرِ قصدٍ، وقدْ قالَ تعالَى: **{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ}** وهذا لم ينوِ فلا يُؤاخذُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الرابعُ: أنَّهُ وقعَ منَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وهوَ أبعدُ الناسِ عَنِ الشركِ، فيكونُ مِنْ خصائصه، وأمَّا غيرُهُ فهمْ منهيُّونَ عنْهُ؛ لأنَّهم لا يُساوُونَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في الإخلاصِ والتوحيدِ.

الخامسُ: أنَّهُ علَى **حذفِ مضاف**، والتقديرُ (أفْلَحَ وربِّ أبيه).

السادسُ: أنَّ **هذا منسوخٌ**، وأنَّ النهيَ هوَ الناقلُ مِنَ الأصلِ، وهذا أقربُ الوجوه.

ولوْ قالَ قائلٌ: (نحنُ نُقَلِّبُ عليكم الأمرَ) ونقولُ: إنَّ المنسوخَ هوَ النهيُ؛ لأنَّهم لَمَّا كانوا حديثِي عهدٍ بشركٍ نُهوا أنْ يُشرِكُوا به كما نُهيَ الناسُ حينَ كانوا حديثِي عهدٍ بشركٍ عنْ زيارةِ القبورِ ثُمَّ أُذنَ لهمْ فيها؟

فالجوابُ عنهُ: **أنَّ هذا اليمينَ كانَ جاريًا علَى ألسنتِهِمْ فتُرِكُوا حتَّى استقرَّ الإيمانُ في نفوسِهِمْ ثُمَّ نُهوا عنهُ**، ونظيرُهُ إقرارُهُمْ علَى شربِ الخمرِ أولاً، ثُمَّ أُمروا باجتنابه.

أمَّا بالنسبةِ للوجهِ الأولِ: فضعيفٌ؛ لأنَّ الحديثَ ثابتٌ، وما دامَ يمكنُ حملُهُ علَى وجهٍ صحيحٍ فإنَّهُ لا يجوزُ إنكارُهُ.

وأمَّا الوجهُ الثاني: فبعيدٌ، وإنْ أمكنَ فلا يمكنُ في قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لما سُئِلَ: **أيُّ الصدقةِ أفضلُ؟** فقالَ: «**أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّهُ**».

وأمَّا الوجهُ الثالثُ: فغيرُ صحيحٍ؛ لأنَّ النهيَ واردٌ معَ أنَّهُ كانَ يجريْ علَى ألسنتِهم كمَا جرَى علَى لسانِ **سعدٍ** فنهاهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، ولوْ صحَّ هذا لصحَّ أنْ يُقالَ لمنْ فعلَ شِرْكًا اعتادَهُ: لا يُنهَى؛ لأنَّ هذا مِنْ عادتِه، وهذا باطلٌ.

وأمَّا الرابعُ: فدعوَى الخصوصيَّةِ تحتاجُ إلَى دليلٍ، وإلاَّ فالأصلُ التأسِّي به.

وأمَّا الخامسُ: فضعيفٌ؛ لأنَّ الأصلَ عدمُ الحذفِ؛ ولأنَّ الحذفَ هنا يستلزمُ فهمًا باطلاً، ولا يمكنُ أنْ يتكلمَ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بما يستلزمُ ذلكَ بدونِ بيانِ المرادِ.

وعلَى هذا يكونُ **أقربَها الوجهُ السادسُ: (أنَّهُ منسوخٌ)** ولا نَجْزِمُ بذلكَ لعدمِ العلمِ بالتاريخِ، ولهذا قلنا أقربُها واللهُ أعلمُ، وإنْ كانَ النوويُّ رحمَهُ اللهُ ارتَضَى أنَّ هذا مِمَّا يجري علَى اللسانِ بدونِ قصدٍ، لكنَّ هذا ضعيفٌ لا يُمكنُ القولُ به.

ثُمَّ رأيتُ بعضَهُم جزَمَ بشُذُوذِها؛ لانْفرادِ **مُسْلِمٍ** بها عن **البُخاريِّ** معَ مخالفةِ راويها للثقاتِ، فاللهُ أعلَمُ.

(٤) قولُهُ في أثرِ **ابنِ مسعود**: «**لأنْ أحلفَ باللهِ كاذبًا**» اللامُ لامُ الابتداءِ، و(**أنْ**) مصدريَّةٌ فيكونُ قولُهُ: (**أنْ**

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

أحلفَ) مُؤَوَّلاً بمصدرٍ مبتدأً تقديرُهُ لَحَلفي باللهِ.

قولُهُ: «أَحَبُّ إليَّ» خبرُ المبتدأِ، ونظيرُ ذلكَ في القرآنِ قولُهُ تعالَى: {وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ}.

قولُهُ: (كاذِبًا) حالٌ مِنْ فاعلِ (أحلفُ).

قولُهُ: (أَحَبُّ إليَّ) هذا مِنْ بابِ التفضيلِ الذي ليسَ فيه شيءٌ مِنَ الجانبينِ، وهذا نادرٌ في الكلامِ؛ لأنَّ التفضيلَ في الأصلِ يكونُ فيهِ المعنَى ثابتًا في المفضَّلِ وفي المفضَّلِ عليهِ، وأحيانًا في المفضَّلِ دونَ المفضَّلِ عليه، وأحيانًا لا يُوجدُ في الجانبينِ، فابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ لا يحبُّ لا هذا ولا هذا، ولكنَّ الحلفَ باللهِ كاذبًا أهونُ عليهِ مِنَ الحلفِ بغيرِهِ صادقًا.

فالحلفُ كاذبًا باللهِ محرَّمٌ مِنْ وجهينِ:

الأول: أنَّهُ كذبٌ، والكذبُ محرَّمٌ لذاته.

والثاني: أنَّ هذا الكذبَ قُرِنَ باليمينِ، واليمينُ تعظيمٌ للهِ عزَّ وجلَّ، فإذا كانَ علَى كذبٍ صارَ فيه شيءٌ مِنْ تَنَقُّصِ للهِ عزَّ وجلَّ، حيثُ جعلَ اسمَهُ مؤكِّدًا لأمرٍ كَذِبٍ، ولذلكَ كانَ الحلفُ باللهِ كاذبًا عندَ بعضِ أهلِ العلمِ مِنَ اليمينِ الغَمُوسِ التي تَغْمِسُ صاحبَهَا في الإثمِ ثمَّ في النارِ.

وأمَّا الحلفُ بغيرِ اللهِ صادقًا فهوَ محرَّمٌ مِنْ وجهٍ واحدٍ وهوَ الشِّرْكُ، لكنَّ سيئةَ الشركِ أعظمُ مِنْ سيئةِ الكذبِ، وأعظمُ مِنْ سيئةِ الحلفِ باللهِ كاذبًا، وأعظمُ مِنَ اليمينِ الغموسِ، إذا قلنا: إنَّ الحلفَ باللهِ كاذبًا مِنَ اليمينِ الغموسِ؛ لأنَّ الشركَ لا يُغْفَرُ، قالَ تعالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ} وما أرسلَ اللهُ الرسلَ وأنزلَ الكتبَ إلاَّ لإبطالِ الشركِ، فهوَ أعظمُ الذنوبِ، قالَ تعالَى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.

وسُئلَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: أيُّ الذنبِ أعظمُ؟

قالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» والشركُ متضمِّنٌ للكذبِ، فإنَّ الذي جعلَ غيرَ اللهِ شريكًا للهِ كاذبٌ، بلْ مِنْ أكذبِ الكاذبينَ؛ لأنَّ اللهَ لا شريكَ لَهُ.

(٥) قولُهُ في حديثِ حُذيفةَ رضِيَ اللهُ عنْهُ: «لا تقُولوا» (لا) ناهيةٌ؛ ولهذا جُزِمَ الفعلُ بعدَهَا بحذفِ النونِ.

قولُهُ: «ما شاءَ اللهُ وشاءَ فلانٌ» والعلَّةُ في ذلكَ أنَّ الواوَ تقتضي تسويَةَ المعطوفِ بالمعطوفِ عليه، فيكونُ

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

القائلُ: (ما شاءَ اللهُ وشئتَ) مسوِّيًا مشيئةَ اللهِ بمشيئةِ المخلوقِ، وهذا شركٌ، ثمَّ إن اعتقدَ أنَّ المخلوقَ أعظمُ منَ الخالقِ، أوْ أنَّهُ مساوٍ لهُ فهوَ شركٌ أكبرُ، وإن اعتقدَ أنَّهُ أقلُّ فهوَ شركٌ أصغرُ.

قولُهُ: «**ولَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ**» لَمَّا نَهَى عَنِ اللفظِ المحرَّمِ بيَّنَ اللفظَ المباحَ؛ لأنَّ (ثمَّ) للترتيبِ والتراخي، فتفيدُ أنَّ المعطوفَ أقلُّ مرتبةً منَ المعطوفِ عليه.

أمَّا **بالنسبةِ** لقولِه: (**ما شاءَ اللهُ فشاء فُلان**) فالحكمُ فيها أنَّها مرتبةٌ بينَ مرتبةِ (**الواو**) ومرتبةِ (ثُمَّ)، فهيَ تختلفُ عَنِ (ثُمَّ) بأنَّ (ثمَّ) للتراخي والفاءَ للتعقيبِ، وتُوافقُ (ثمَّ) بأنَّها للترتيبِ، فالظاهرُ أنَّها جائزةٌ، ولكنَّ التعبيرَ بـ(**ثمَّ**) أَوْلَى؛ لأنَّهُ اللفظُ الذي أرْشَدَ إليهِ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، ولأنَّهُ أبينُ في إظهارِ الفرقِ بينَ الخالقِ والمخلوقِ.

هذا محرَّمٌ؛ لأنَّهُ جمعٌ بينَ اللهِ والمخلوقِ بحرفٍ يقتضي التسويَةَ، وهوَ (الواو).

ويجوزُ (**باللهِ ثُمَّ بكَ**) لأنَّ (ثمَّ) تدلُّ علَى الترتيبِ والتراخي.

فإنْ قيلَ: سبقَ أنَّ منَ الشركِ الاستعاذةَ بغيرِ اللهِ، وعلَى هذا يكونُ قولُهُ أعوذُ باللهِ ثُمَّ بكَ محرَّمًا؟

أُجيبَ: أنَّ الاستعاذةَ بمَنْ يَقْدِرُ علَى أنْ يُعيذَكَ جائزةٌ؛ لقولِه صلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم في (**صحيحِ مسلمٍ**) وغيرِه: «**مَنْ وَجَدَ مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ**».

لكنْ لوْ قالَ: (**أعوذُ باللهِ ثُمَّ بفلانٍ**) وهوَ ميِّتٌ، **فهذا شركٌ أكبرُ**؛ لأنَّهُ لا يقدرُ علَى أنْ يُعيذَكَ، وأمَّا استدلالُ الإمامِ **أحمدَ** علَى أنَّ القرآنَ غيرُ مخلوقٍ بقولِه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**».

ثُمَّ قالَ رحمَهُ اللهُ: (**والاستعاذةُ لا تكونُ بمخلوقٍ، فيُحمل كلامُهُ علَى أنَّ الاستعاذةَ بكلامٍ لا تكونُ بكلامٍ مخلوقٍ، بلْ بكلامٍ غيرِ مخلوقٍ، وهوَ كلامُ اللهِ، والكلامُ تابعٌ للمتكلِّمِ بهِ، إنْ كانَ مخلوقًا فهوَ مخلوقٌ، وإنْ كانَ غيرَ مخلوقٍ فهوَ غيرُ مخلوقٍ**).

(٧) فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: (تفسيرُ آيَةِ البَقَرَةِ في الأندادِ) وقدْ سبقَ.

(٨) الثانيةُ: (**أنَّ الصحابَةَ يفسِّرونَ الآيَةَ النازلَةَ في الشِّرْكِ الأكبرِ أنَّها تعُمُّ الأصغرَ**)

لأنَّ قولَهُ تعالَى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}، نازلةٌ في الأكبرِ؛ لأنَّ المخاطَبَ بها هم المشركونَ، وابنُ

E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

عباسٍ فسَّرها بما يَقْتَضي الشِّرْكَ الأصغرَ؛ لأنَّ النِّدَّ يشملُ النظيرَ المساويَ علَى سبيلِ الإطلاقِ، أوْ في بعضِ الأمورِ.

(٩) **الثالثة:** (**أنَّ الحَلِفَ بغيرِ اللهِ شِرْكٌ**) لحديثِ **ابنِ عمرَ** رضي اللهُ عنهما.

(١٠) **الرابعة:** (**أنَّهُ إذا حَلَفَ بغَيْرِ اللهِ صادقًا فهُوَ أكبرُ منَ اليمينِ الغَموسِ**) واليمينُ الغموسُ عندَ الحنابلة أنْ يَحْلِفَ باللهِ كاذبًا، وقالَ بعضُ العلماءِ -وهوَ الصحيحُ- أنْ يحلفَ باللهِ كاذبًا لِيَقْتَطِعَ بها مالَ امرئٍ مسلمٍ.

(١١) **الخامسة:** (**الفرقُ بينَ (الواوِ) و(ثُمَّ) في اللفظِ**) لأنَّ (**الواوَ**) تقتضي المساواةَ فتكونُ شِرْكًا، و(**ثُمَّ**) تقتضي الترتيبَ والتراخيَ فلا تكونُ شِرْكًا.

(١٢) مناسبةُ هذا البابِ لكتابِ التوحيدِ:

أنَّ **الاقتناعَ بالحلفِ باللهِ منْ تعظيمِ اللهِ**؛ لأنَّ الحالفَ أكَّدَ ما حُلِفَ عليه بالتعظيمِ باليمينِ، وهوَ تعظيمُ المحلوفِ بهِ، فيكونُ منْ تعظيمِ المحلوفِ بهِ أنْ يُصدَّقَ ذلكَ الحالفُ، وعلَى هذا يكونُ عدمُ الاقتناعِ بالحلفِ باللهِ فيهِ شيءٌ منْ نقصِ تعظيمِ اللهِ، وهذا ينافي كمالَ التوحيدِ، **والاقتناعُ بالحلفِ باللهِ لا يخلوْ منْ أمرينِ:**

الأولُ: أنْ يكونَ ذلكَ منَ الناحيَةِ الشرعيَّةِ، فإنَّهُ يجبُ الرضا بالحلفِ باللهِ فيما إذا توجَّهَت اليمينُ علَى المدَّعَى عليهِ فحلفَ، فيجبُ الرضا بهذا **اليمينِ** بمقتضَى الحكمِ الشرعيِّ.

الثاني: أنْ يكونَ ذلكَ منَ الناحيَةِ الحسيَّةِ، فإنْ كانَ الحالفُ موضعَ صدقٍ وثقةٍ فإنَّكَ تَرضَى بيمينِهِ، وإنْ كانَ غيرَ ذلكَ فلكَ أنْ تَرْفُضَ الرضا بيمينِهِ.

ولهذا لما قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لِحُوَيِّصَةَ ومُحَيِّصَةَ: «**تُبرئُكُمْ يَهودُ بخَمْسينَ يَمينًا**».

قالوا: كَيْفَ نَرْضَى يا رَسولَ اللهِ بأَيْمَانِ اليهودِ ؟

فأقَرَّهُم النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علَى ذلكَ.

(١٣) قولُهُ في الحديثِ: (**لاتَحْلفوا**) (لا): ناهيَةٌ؛ ولهذا جُزِمَ الفعلُ بعدَها بحذفِ النونِ، و(**آبائكم**) جمعُ: أبٍ، ويشمَلُ الأبَ والجدَّ وإنْ علا، فلا يجوزُ **الحلفُ** بهمْ؛ لأنَّهُ شِرْكٌ وقَدْ سبقَ بيانُهُ.

قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**مَنْ حَلَفَ باللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ باللهِ فَلْيَرْضَ**» هنا أمرانِ:

الأمرُ الأولُ للحالفِ: فقدْ أُمرَ أنْ يكونَ صادقًا، والصدقُ هوَ: الإخبارُ بما يطابقُ الواقعَ، وضدُّهُ الكذبُ وهوَ:

الإخبارُ بما يخالفُ الواقعَ فقولُهُ: «مَنْ حَلَفَ باللهِ فَلْيَصْدُقْ» أيْ: فليكنْ صادقًا في يمينِه.

وهلْ يُشترطُ أنْ يكونَ مطابقًا للواقعِ أوْ يكفي الظنُّ؟

الجوابُ: يكفي الظنُّ، فلَهُ أنْ يحلفَ علَى ما يغلبُ علَى ظنِّه، كقولِ الرجلِ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ: واللهِ ما بَيْنَ لابَتَيْهَا أَهْلُ بيْتٍ أَفْقَرُ منِّي، فأقرَّهُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيْه وسلَّمَ.

الثاني للمحلوفِ لَه: فقدْ أُمر أنْ يرْضَى بيمينِ الحالفِ لَهُ، فإذا قرَنْتَ هذينِ الأمرينِ بعضَهما ببعضٍ، فإنَّ الأمرَ الثاني يُتنزَّلُ علَى ما إذا كانَ الحالفُ صادقًا؛ لأنَّ الحديثَ جَمَعَ أمرينِ: أمرًا مُوَجَّهًا للحالفِ، وأمرًا موجَّهًا للمحلوفِ لهُ، فإذا كانَ الحالفُ صادقًا وجبَ علَى المحلوفِ لهُ الرضا.

فإنْ قيلَ: إنْ كانَ صادقًا فإنَّنا نصدِّقُهُ، وإنْ لمْ يحلفْ؟

أجيبَ: أنَّ اليمينَ تزيدُهُ توْكيدًا.

قولُهُ: **(وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ)** أيْ: مَنْ لمْ يَرْضَ بالحلفِ باللهِ إذا حُلِف لَهُ فليسَ مِنَ اللهِ.

قال ابن قاسم في (حاشية كتاب التوحيد) ص ٣٠٥: **(أي الوعيد لكونه من الفعل المنافي لكمال التوحيد، لدلالته على قلة تعظيمه لجناب الربوبية، فإن القلب الممتلئ بمعرفة عظمة الله وجلاله لا يفعل ذلك)**.

وهذا تبرُّؤٌ منهُ يَدُلُّ علَى أنَّ عدمَ الرضا مِنْ كبائرِ الذنوبِ، ولكنْ لا بدَّ مِنْ ملاحظةِ ما سبقَ، وقدْ أشرْنا أنَّ في حديثِ القَسامةِ دليلاً علَى أنَّهُ إذا كانَ الحالفُ غيرَ ثقةٍ فلكَ أنْ ترْفُضَ الرضا بِه؛ لأنَّهُ غيرُ ثقةٍ، فلوْ أنَّ أحدًا حلفَ لكَ.

وقالَ: **(واللهِ إنَّ هذه الحقيبةَ منْ خشبٍ، وهيَ منْ جلدٍ، فيجوزُ أنْ لا ترْضَى بِه؛ لأنَّكَ قاطعٌ بكذبِه، والشَّرْعُ لا يأمرُ بشيءٍ يُخالفُ الحسَّ والواقعَ، بلْ لا يأمرُ إلاَّ بشيءٍ يستحسنُهُ العقلُ ويشهدُ لَهُ بالصحةِ والحُسْنِ، وإنْ كانَ العقلُ لا يُدركُ أحيانًا مدَى حسنِ هذا الشيءِ الذي أمرَ بِه الشرعُ، ولكنْ ليُعلَمْ علمَ اليقينِ أنَّ الشرعَ لا يأمرُ إلاَّ بما هوَ حسنٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالَى يقولُ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فإذا اشتبهَ عليكَ حسنُ شيءٍ منْ أحكامِ الشرعِ فاتَّهِمْ نفسَكَ بالقصورِ أوْ بالتقصيرِ، أمَّا أنْ تتَّهِمَ الشرعَ فهذا لا يمكنُ، وما صحَّ عنِ اللهِ ورسولِه فهوَ حقٌّ وهوَ أحسنُ الأحكامِ)**.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

(١٤) فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: (النَّهيُ عنِ الحَلفِ بالآباءِ) لقولُهُ: «لاَ تَحْلفُوا بآبائكُم» والنهيُ للتحريمِ.

(١٥) الثانيَةُ: (الأمرُ للمَحْلوفِ لَهُ باللهِ أنْ يرضَى) لقولِهِ: «وَمَنْ حُلِفَ لَهُ باللهِ فَلْيَرْضَ» وسبقَ التفصيلُ في ذلكَ.

(١٦) الثالثةُ: (وعيدُ مَنْ لَمْ يَرْضَ) لقولِهِ: «وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ».

الرابعةُ : ولم يَذْكُرْها المؤلِّفُ -: أمرُ الحالفِ أن يَصْدُقَ؛ لأنَّ الصدقَ واجبٌ في غيرِ اليمينِ، فكيفَ باليمينِ، وقدْ سبقَ أنَّ مَنْ حَلَفَ علَى يمينٍ كاذبة أنَّهُ آثمٌ، وقالَ بعضُ العلماءِ: إنَّها اليمينُ الغَمُوسُ.

وأمَّا بالنسبة للمحلوفِ لهُ: هلْ يلزَمُهُ أنْ يُصدِّقَ أمْ لا؟

المسألةُ لا تخلُو مِنْ أحوالٍ خمسة:

الأولى: أنْ يَعْلَمَ كذبَهُ، فلا أحدَ يقولُ: إنَّهُ يلزمُ تصديقُهُ.

الثانيَةِ: أنْ يترجَّحَ كذبُهُ، فكذلكَ لا يَلْزَمُ تصديقُهُ.

الثالثةِ: أنْ يَتَساوَى الأمرانِ فهذا يجبُ تصديقُهُ.

الرابعةُ: أنْ يترجَّحَ صدقُهُ، فيجبُ أنْ يُصدَّقَ.

الخامسةُ: أنْ يَعْلَمَ صدقَهُ، فيجبُ أنْ يُصدِّقَهُ.

وهذا في الأمورِ الحسيَّةِ، أمَّا الأمورُ الشرعيَّةُ في بابِ التحاكمِ فيجبُ أنْ يَرْضَى باليمينِ، ويلتزمَ بمقتضاها؛ لأنَّ هذا مِنْ بابِ الرضا بالحكمِ الشرعيِّ، وهوَ واجبٌ.

(١٧) مناسبةُ البابِ لكتابِ التوحيدِ:

أنْ قولَ: «ما شاءَ اللهُ وشئتَ» مِنَ الشركِ الأكبرِ أو الأصغرِ؛ لأنَّهُ إن اعتقدَ أنَّ المعطوفَ مساوٍ للهِ فهوَ شركٌ أكبرُ، وإن اعتقدَ أنَّهُ دونَهُ لكنْ أشركَ بهِ في اللفظِ فهوَ أصغرُ، وقدْ ذكَرَ بعضُ أهلِ العلمِ: أنَّ مِنْ جملةِ ضوابطِ الشركِ الأصغرِ أنَّ ما كانَ وسيلةً للأكبرِ فهوَ أصغرُ.

(١٨) قولُهُ: (أنَّ يَهُودِيًّا) اليهوديُّ هوَ: المنتسبُ إلَى شريعةِ موسَى عليهِ السلامُ، وسُمُّوا بذلكَ مِنْ قولهِ

تعالَى: {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} أيْ: رَجَعْنَا، أوْ لأنَّ جدَّهم اسْمُهُ **يَهُوذَا** بنُ **يعقوبَ**، فتكونُ النسبةُ منْ أجلِ النسبِ، وفي الأولِ تكونُ النسبةُ منْ أجلِ العملِ، ولا يَبْعُدُ أنْ تكونَ منَ الاثنينِ جميعًا.

قولُهُ: (**إنَّكم تُشرِكُونَ**) أيْ: تَقعونَ في الشركِ أيُّها المسلمونَ.

قولُهُ: «**ما شاءَ اللهُ وشئْتَ**» الشركُ - هنا - أنَّهُ جعلَ المعطوفَ مساويًا للمعطوفِ عليهِ، وهوَ اللهُ عزَّ وجلَّ، حيث كانَ العطفُ بالواوِ المفيدةِ للتَّسْوِيَةِ.

قولُهُ: «**والكعبةِ**» الشركُ -هنا- أنَّهُ حَلفٌ بغيرِ اللهِ، ولمْ يُنكرِ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما قالَ اليهوديُّ، بلْ أمَرَ بتصحيحِ هذا الكلامِ فأمرهم إذا حلفوا أنْ يقولوا: وربِّ الكعبةِ، فيكونُ القسَمُ باللهِ.

وأمَرَهم أنْ يقولوا: «**ما شاءَ اللهُ ثمَّ شئتَ**» فيكونُ الترتيبُ بـ(**ثمَّ**) بينَ مشيئةِ اللهِ ومشيئةِ المخلوقِ، وبذلكَ يكونُ الترتيبُ صحيحًا؛ أمَّا الأولُ فلأن الحلفَ صارَ باللهِ، وأمَّا الثاني فلأنَّهُ جُعلَ بلفظٍ يتبيَّنُ بهِ تأخُّرُ مشيئةِ العبدِ عنْ مشيئةِ اللهِ، وأنَّهُ لا مساواةَ بينَهُمَا.

(**١٩**) قولُهُ في حديثِ ابنِ **عبَّاسٍ** رضيَ اللهُ عنهما: (**أنَّ رجُلاً قالَ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ**) الظاهرُ أنَّهُ قالَهُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تعظيمًا، وأنَّهُ جعلَ الأمرَ مُفوَّضًا لمشيئةِ اللهِ ومشيئةِ رسولهِ.

قولُهُ: «**أجَعَلْتَنِي للهِ ندًّا؟**» **الاستفهامُ للإنكارِ**، وقدْ ضُمِّنَ معنَى التعجُّبِ، ومَنْ جعلَ للخالقِ ندًّا فقدْ أتَى شيئًا عجابًا.

والندُّ هوَ: النظيرُ والمساوي؛ أيْ: أجَعَلْتَنِي للهِ مساويًا في هذا الأمرِ.

قولُهُ: (**بلْ مَا شاءَ اللهُ وحْدَهُ**) أرشدَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلَى ما يَقْطَعُ عنهُ الشركَ، ولمْ يرشدْهُ إلَى أنْ يقولَ: «**ما شاءَ اللهُ ثمَّ شئتَ**» حتَّى يَقطَعَ عنه كلَّ ذريعةٍ عَنِ الشركِ وإنْ بَعُدَت.

وتعظيمُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بلفظٍ يقتضي مساواتَهُ للخالقِ شركٌ، فإنْ كانَ يعتقدُ المساواةَ فهوَ شركٌ أكبرُ، وإنْ كانَ يعتقدُ أنَّهُ دونَ ذلكَ فهوَ أصغرُ، وإذا كانَ هذا شركًا فكيفَ بمَنْ يجعلُ حقَّ الخالقِ للرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؟

هذا أعظمُ؛ لأنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ليسَ لهُ شيءٌ منْ خصائصِ الربوبيَّةِ، بلْ يَلْبَسُ الدِّرْعَ، ويحملُ السلاحَ، ويجوعُ، ويتألَّمُ، ويَمْرَضُ، ويعطشُ كبقيَّةِ الناسِ، ولكنَّ اللهَ فضَّلَهُ علَى البشرِ بما أوْحَى إليهِ منْ هذا الشرعِ العظيمِ،

قالَ تعالَى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} فهوَ بشرٌ، وأكَّدَ هذه البشريَةَ بقولِه: {مِثْلُكُمْ} ثمَّ جاءَ التمييزُ بينَهُ وبينَ بقيَّةِ البشرِ بقولِه تعالَى: {يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}.

ولا شكَّ أنَّ اللهَ أعطاهُ منَ الأخلاقِ الفاضلةِ التي بها الكمالاتُ منْ كلِّ وجهٍ: أعطاهُ منَ الصبرِ العظيمِ، وأعطاهُ منَ الكرمِ ومنَ الجودِ، لكنَّها كلَّها في حدودِ البشريَّةِ، أمَّا أنْ تَصلَ إلَى خصائصِ الربوبيَّةِ فهذا أمرٌ لا يمكنُ، ومَن ادَّعَى ذلكَ فقدْ كفرَ بمحمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وكفرَ بمَنْ أرسلَهُ.

فالمهمُّ أنَّنا لا نغلُو في الرسولِ عليه الصلاةُ والسلامُ فنُنَزِّلُهُ في منزلةٍ هوَ يُنْكِرُهَا، ولا نَهْضِمُ حقَّهُ الذي يجبُ علينا، فنعطيه مَا يجبُ لَهُ، ونسألُ اللهَ أنْ يعينَنا علَى القيامِ بحقِّه، ولكنَّنا لا نُنَزِّلُهُ منزلةَ الربِّ عزَّ وجلَّ.

(٢٠) قولُهُ في حديثِ **الطُّفَيْلِ**: «**رأيتُ كأنِّي أتيتُ علَى نفرٍ منَ اليهودِ**» أيْ: رؤيا في المنامِ.

وقولُهُ: (**كأنَّ**) اسمُها الياءُ، وجملةُ (**أتيتُ**) خبرُها.

وقولُهُ: (**علَى نفرٍ**) من الثلاثةِ إلَى التسعةِ، واليهودُ أتباعُ **موسَى**.

قولُهُ: «**لأنتُمُ القومُ**» كلمةُ مدحٍ، كقولِكَ: هؤلاءِ هم الرجالُ.

وقولُهُ: «**عُزَيْرٌ**» هوَ: رجلٌ صالحٌ ادَّعَى اليهودُ أنَّهُ ابنُ اللهِ، وهذا منْ كَذِبِهِمْ وهوَ كفرٌ، واليهودُ لهمْ مَثَالبُ كثيرةٌ، لكنْ خُصَّتْ هذه؛ لأنَّها منْ أعظمِهَا وأشهرِهَا عندَهُمْ.

قولُهُ: «**ما شاءَ اللهُ وشاءَ مُحمدٌ**» هذا شركٌ أصغرُ؛ لأنَّ الصحابةَ الذينَ قالُوا هذا، ولا شكَّ أنَّهم لا يعتقدونَ أنَّ مشيئةَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مساويَةٌ لمشيئةِ اللهِ، فانْتَقَدَ عليهِمْ تسويَةَ مشيئةِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بمشيئةِ اللهِ عزَّ وجلَّ باللفظِ، معَ عِظَمِ ما قالَهُ هؤلاءِ اليهودُ في حقِّ اللهِ جلَّ جلالُهُ.

قولُهُ: «**تقولونَ: المسيحُ ابنُ اللهِ**» هوَ: **عيسَى ابنُ مريمَ**، وسُمِّيَ مسيحًا بمعنَى: ماسحٍ، فهوَ (فَعِيلٌ) بمعنَى (فاعلٍ)؛ **لأنَّهُ كانَ لايَمْسَحُ ذا عاهةٍ إلاَّ بَرِئَ بإذنِ اللهِ**، كالأكْمَه والأبْرَصِ.

والشيطانُ لَعِبَ بالنصارَى فقالُوا: (**هوَ ابنُ اللهِ؛ لأنَّهُ أتَى بدونِ أبٍ**) كما في القرآنِ: {فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا} قالُوا: هوَ جزءٌ منَ اللهِ؛ لأنَّ اللهَ أضافَهُ إليه، والجزءُ هوَ الابنُ.

والروحُ: علَى الراجحِ عندَ أهلِ السُّنةِ: ذاتٌ لطيفةٌ تدخلُ الجسمَ وتَحُلُّ فيه، كما يَحُلُّ الماءُ في الطينِ اليابسِ، ولهذا يَقْبِضُهَا المَلَكُ عندَ الموتِ وتُكَفَّنُ ويُصْعَدُ بها، ويراها الإنسانُ عندَ موته.

فالصحيحُ أنَّها ذاتٌ، وإنْ كانَ بعضُ الناسِ يقولونَ: إنَّها صفةٌ، وليسَ كذلكَ، بل الحياةُ صفةٌ والروحَ ذاتٌ، وقد أضافَ اللهُ رُوحَ عيسَى إليه، كمَا أضافَ: البيتَ والمساجدَ والناقةَ إليه، وما أشبَهَ ذلكَ علَى سبيلِ التشريفِ والتعظيمِ، ولا شكَّ أنَّ المضافَ إلَى اللهِ يَكْتَسِبُ شرفًا وعظمةً.

قولُهُ: «**فلَما أصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِها مَنْ أخبَرتُ**» المقصودُ بهذه العبارَةِ الإبهامُ، كقولِه تعالَى: **{فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ}** والإبهامُ قدْ يكونُ للتعظيمِ كما في الآيَةِ المذكورةِ، وقدْ يكونُ للتحقيرِ، حسَبَ السياقِ، وقدْ يُرادُ به معنًى آخرُ.

قولُهُ: «**هلْ أَخبَرْتَ بِها أحدًا؟**» سألَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ هذا السؤالَ؛ لأنَّهُ لوْ قالَ: لم أُخْبِرْ أحدًا؛ فالمتوقَّعُ أنَّ الرسولَ عليه الصلاةُ والسلامُ سيقولُ لَهُ: لا تُخبِرْ أحدًا، هذا هوَ الظاهرُ، ثمَّ يُبيِّنُ لهُ الحكمَ عليه الصلاةُ والسلامُ، لكنْ لَمَّا قالَ إنَّهُ أخبرَ بها، صارَ لا بدَّ مِنْ بيانِهَا للناسِ عمومًا؛ لأنَّ الشيءَ إذا انتشَرَ يَجبُ أنْ يُعلَنَ عنهُ، بخلافِ ما إذا كانَ خاصًّا فهذا يُخبَرُ به مَنْ وصَلَهُ الخبرُ.

قولُهُ: «**فَحَمِدَ اللهَ**» **الحمدُ**: وصفُ المحمودِ بالكمالِ معَ المحبةِ والتعظيمِ.

قولُهُ: «**وأثْنَى عليه**» أيْ: كرَّرَ ذلكَ الوصفَ.

قولُهُ: «**أَمَّا بعدُ**» سبقَ أنَّها بمعنَى: مَهْمَا يكنْ مِنْ شيءٍ بعدُ؛ أيْ: بعدَ ما ذكرتُ فكذا وكذا.

قولُهُ: «**يَمْنَعُني كَذا وكَذا**» أيْ: يمنعهُ الحياءُ كما في روايَةٍ أخرَى، ولكنْ ليسَ الحياءُ مِنْ إنكارِ الباطلِ، ولكنْ مِنْ أنْ يَنْهَى عنها دونَ أنْ يأمرَهُ اللهُ بذلكَ، هذا الذي يجبُ أنْ تُحمَلَ عليه هذه اللفظةُ إنْ كانتْ محفوظةً، أنَّ الحياءَ الذي يمنعُهُ ليسَ الحياءَ مِنَ الإنكارِ؛ لأنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لا يَستَحِي مِنَ الحقِّ، ولكنَّ الحياءَ مِنْ أنْ ينكرَ شيئًا قدْ درَجَ علَى الألسنةِ، وألِفَهُ الناسُ قبلَ أنْ يؤمرَ بالإنكارِ.

مثلَ: الخمرِ، بقيَ الناسُ يشربونَها حتَّى حُرِّمَتْ في سورةِ المائدةِ، فالرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لَمَّا لمْ يُؤْمَرْ بالنهيِ عنها سكتَ، ولما حصلَ التنبيهُ علَى ذلكَ بإنكارِ هؤلاءِ اليهودِ والنصارَى رأَى صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ لا بدَّ مِنْ إنكارِها؛ لدخولِ اللومِ علَى المسلمينَ بالنطقِ بها.

قولُهُ: «**قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**» نهاهُمْ عَنِ الممنوعِ، وبيَّنَ لهم الجائزَ.

قال في (فتح المجيد) ص٤٩٩: (**وهذا الحديث والذي قبله: أمرهم أن يقولوا ما شاء الله وحده. ولا ريب أن هذا أكمل**

في الإخلاص، وأبعد عن الشرك، من أن يقولوا: ثم شاء فلان؛ لأن فيه التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد من كل وجه، فالبصير يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص).

(٢١) **فيهِ مَسائِلُ:**

الأولى: (**مَعْرِفَةُ اليهودِ بالشِّرْكِ الأصغرِ**) لقولِهِ: {**إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ**}.

(٢٢) **الثانيةُ:** (**فَهْمُ الإنسانِ إذا كَانَ لَهُ هَوًى**) أيْ: إذا كانَ لهُ هوًى فَهِمَ شيئًا، وإنْ كانَ هوَ يَرْتكبُ مثلَهُ أوْ أشدَّ منهُ، فاليهودُ مثلاً أنكروا علَى المسلمينَ قولَهم: «**مَا شاءَ اللهُ وشِئْتَ**» وهمْ يقولونَ أعظمَ مِنْ هذا، يقولُونَ: عزيزٌ ابنُ اللهِ، ويَصِفُون اللهَ تعالَى بالنقائصِ والعيوبِ.

(٢٣) **الثالثةُ:** «**قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلّم: «أَجَعَلْتَنِي للهِ ندًّا»** هوَ قولُهُ: (**ما شاءَ اللهُ وشِئْتَ**)».

وقولُهُ: «**فكيفَ بمَنْ قالَ: مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِواكَ..**» والبيتينِ بعدَهُ: يُشيرُ رحمَهُ اللهُ إلَى أبياتٍ للبُوصِيرِيِّ في البُرْدةِ القصيدةِ المشهورةِ يقولُ فيها:

يا أكرمَ الخلقِ ما لي مَنْ ألوذُ به ... سواكَ عندَ حلولِ الحادثِ العَمَمِ
إنْ لمْ تكنْ آخذاً يومَ المعادِ يدي ... عفوًا، وإلاَّ فقلْ يا زلَّةَ القَدَمِ
فإنَّ منْ جُودكَ الدنيا وضرَّتَها ... ومنْ علومكَ علمَ اللوحِ والقلمِ

وهذا غايَةُ الكفرِ والغلوِّ، فلمْ يجعلْ للهِ شيئًا، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ شرَفُهُ بكونِهِ عبدَ **اللهِ** ورسولَهُ، لا لمجرَّدِ كونِهِ **محمَّدَ بنَ عبدِ اللهِ**.

(٢٤) **الرابعةُ:** (**أَنَّ هَذا ليسَ مِنَ الشِّرْكِ الأكبرِ لقولِهِ: «يَمْنَعُنِي كَذا وكَذا»**) لأَنَّهُ لوْ كانَ مِنَ الشركِ الأكبرِ ما منعَهُ شيءٌ مِنْ إنكارِهِ.

(٢٥) **الخامسةُ:** (**أَنَّ الرُّؤيا الصَّالحةَ مِنْ أَقْسامِ الوَحْيِ**) تُؤخذُ مِنْ حديثِ **الطُّفَيْلِ**، ولقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**» وهذا موافقٌ للواقعِ بالنسبةِ للوحيِ الذي أُوحِيَ إلَى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؛ لأنَّ أولَ الوحيِ كانَ بالرؤيا الصالحةِ منْ ربيعٍ الأولِ إلَى رمضانَ، وهذا ستَّةُ أشهرٍ، فإذا

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

نَسَبْتَ هذا إلَى بقيَّةِ زمنِ الوحي كانَ جُزءًا منْ ستَّةٍ وأربعينَ جزءًا؛ لأنَّ الوحيَ كانَ ثلاثًا وعشرينَ سنةً وستَّةَ أشهرٍ مقدِّمَةً لهُ.

والرُّؤْيا **الصالحةُ**: هيَ التي تَتضمَّنُ الصَّلاحَ، وتأْتِي مُنَظَّمَةً وليستْ بأضغاثِ أحلامٍ.

أما **أضغاثُ الأحلامِ**: فإنَّها مُشَوَّشةٌ غيرُ مُنظَّمَةٍ، **وذلكَ مثلُ التي قصَّها رجلٌ علَى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ: إنِّي رأَيتُ رأسِي قدْ قُطِعَ.**

وإنِي جَعلتُ أشتَدُّ وراءَهُ سعيًا.

فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «لا تُحدِّثِ النَّاسَ بتَلاعُبِ الشَّيطَانِ بكَ في مَنَامِكَ».

والغالبُ أنَّ المرائيَ المكروهةَ منَ الشيطانِ، قالَ اللهُ تعالَى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، ولذلكَ أرشدَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَنْ رأَى ما يَكْرَهُ أن يَتْفُلَ عنْ يسارِهِ، أوْ يَنْفُثَ ثلاثَ مراتٍ وأنْ يقولَ: «**أَعوذُ باللهِ منْ شرِّ الشَّيطَانِ، ومِنْ شرِّ مَا رأَيتُ، وأنْ يتحوَّلَ إلَى الجَانبِ الآخرِ وأنْ لا يُخبرَ أَحدًا**» وفي روايَةٍ: (**أَمرَهُ أنْ يتَوضأَ وأنْ يُصلِّيَ**).

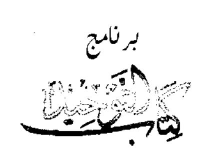
(**٢٦**) **السادسةُ**: «**أنَّها قدْ تكونُ سببًا لِشَرْعِ بعضِ الأحكامِ**» منْ ذلكَ رؤيا إبراهيمَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أنَّهُ يَذْبَحُ ابنَهُ، وهذا الحديثُ، وكذلكَ أثبتَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رؤيا **عبدِ اللهِ بنِ زيدٍ** في الأذانِ وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «**إنَّها رُؤْيا حقٌّ**» وأبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ أثبتَ رؤْيا مَنْ رأَى **ثابتَ بنَ قيسِ بنِ شمَّاسٍ، فقالَ للذي رآهُ: إنكم ستَجِدُونَ دِرْعِي تحتَ بُرْمةٍ، وعندهَا فَرسٌ يَسْتَنُّ.**

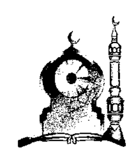
فلما أصبحَ الرجلُ ذهبَ إلَى خالدِ بنِ الوليدِ وأخبرَهُ.

فذهبُوا إلَى المكانِ ورأَوْا الدرعَ تحتَ البُرْمةِ عندهَا الفرسُ، فنفَّذَ أبو بكرٍ وصيَّتَهُ؛ لوجودِ القرائنِ التي تدلُّ علَى صدقِهَا).

لكن لوْ دلَّتْ علَى مَا يُخالِفُ الشريعةَ فلا عِبْرَةَ بها، ولا يُلْتَفتُ إليها؛ لأنَّها ليستْ رؤْيا صالحَةً.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الثامن والثلاثون

(١) السبُّ: الشتمُ والتقبيحُ والذمُّ، وما أشبهَ ذلكَ.

الدهرُ: هوَ الزمانُ والوقتُ.

وسبُّ الدهر ينقسمُ إلَى ثلاثةِ أقسامٍ:

الأولُ: أنْ يَقْصدَ الخبرَ المحضَ دونَ اللومِ، فهذا جائزٌ، مثلُ أنْ يقولَ: تعبْنَا منْ شدَّةِ حرِّ هذا اليومِ، أوْ بردِهِ، وما أشبهَ ذلكَ؛ لأنَّ الأعمالَ بالنيَّاتِ، ومثلُ هذا اللفظِ صالحٌ لمجرَّدِ الخبرِ، ومنْهُ قولُ لوطٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: **{هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ}**.

الثاني: أنْ يَسُبَّ الدهرَ علَى أنَّهُ هوَ الفاعلُ، كأنْ يعتقدَ بسبِّهِ الدهرَ أنَّ الدهرَ هوَ الذي يُقلِّبُ الأمورَ إلَى الخيرِ والشرِّ، فهذا شركٌ أكبرُ؛ لأنَّهُ اعتقدَ أنَّ معَ اللَّهِ خالقًا؛ لأنَّهُ نسبَ الحوادثَ إلَى غيرِ اللَّهِ، وكلُّ مَن اعتقدَ أنَّ معَ اللَّهِ خالقًا فهوَ كافرٌ، كما أنَّ مَن اعتقدَ أنَّ معَ اللَّهِ إلهًا يستحقُّ أنْ يُعبَدَ فإنَّهُ كافرٌ.

الثالثُ: أنْ يَسُبَّ الدهرَ لا لاعتقادِ أنَّهُ هوَ الفاعلُ، بلْ يعتقدُ أنَّ اللَّهَ هوَ الفاعلُ، لكنَّهُ يَسُبُّهُ لأنَّهُ مَحَلٌّ لهذا الأمرِ المكروهِ عندَهُ، فهذا محرَّمٌ ولا يصلُ إلَى درجةِ الشركِ؛ وهوَ من السَّفَهِ في العقْلِ والضلالِ في الدينِ؛ لأنَّ حقيقةَ سبِّهِ تعودُ إلَى اللَّهِ سبحانَهُ؛ لأنَّ اللَّهَ تعالَى هوَ الذي يُصرِّفُ الدهرَ، ويكونُ فيهِ ما أرادَ منْ خيرٍ أوْ شرٍّ، فليسَ الدهرُ فاعلًا، وليسَ هذا السبُّ بكفرٍ؛ لأنَّهُ لم يَسُبَّ اللَّهَ تعالَى مباشَرَةً.

قولُهُ: «**فَقَدْ آذَى اللَّهَ**» **لا يلزمُ مِن الأذيَّةِ الضررُ،** فالإنسانُ يتأذَّى بسماعِ القبيحِ أوْ مشاهدتِهِ، ولكنَّهُ لا يتضرَّرُ بذلكَ، ويتأذَّى بالرائحةِ الكريهَةِ كالبَصَلِ والثُّومِ وَلا يَتَضرَّرُ بذلكَ، ولهذا أثبتَ اللَّهُ الأذيَّةَ في القرآنِ، قالَ تعالَى: **{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا}**.

وفي الحديثِ القدسيِّ: «**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهرَ وَأَنَا الدَّهرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**» ونفَى عنْ نفسِهِ أنْ يضرَّهُ شيءٌ، قالَ تعالَى: **{إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا}** وفي الحديثِ القدسيِّ: «**يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي**» رواهُ مسلمٌ.

(٢) قولُهُ تعالَى: **{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا}** المرادُ المشركونَ الموافقونَ للدُّهْريَّةِ -بضمِّ الدالِ علَى

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الصحيحِ عندَ النسبةِ؛ لأنَّهُ مما تُغيَّرُ فيهِ الحركةُ- والمعنَى: وما الحياةُ والوجودُ إلَّا هذا، فليسَ هناكَ آخرةٌ، بلْ يموتُ بعضٌ ويحيا آخرونَ، هذا يموتُ فيُدْفَنُ، وهذا يولَدُ فيحيا، ويقولُونَ: إنَّها أرحامٌ تدفعُ، وأرضٌ تَبْلَعُ، ولا شيءَ سوَى هذا.

قولُهُ: {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}. أيْ: ليسَ هلاكُنا بأمرِ اللَّهِ وقَدَرِهِ، بلْ بطولِ السنينَ لِمَنْ طالتْ مُدَّتُهُ، والأمراضُ والهمومُ والغمومُ لمنْ قَصُرَتْ مُدَّتُهُ، فالْمُهْلِكُ لَهُم هوَ الدَّهرُ.

قولُهُ: {وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ}: {مَا} نافيَةٌ، و{عِلْمٍ} مبتدأٌ خبرُهُ مُقَدَّمٌ {لَهُم} وأُكِّدَ بـ{مِنْ}، فيكونُ للعمومِ؛ أيْ: ما لهمْ علمٌ لا قليلٌ ولا كثيرٌ، بل العلمُ واليقينُ بخلافِ قولِهِمْ.

قولُهُ: {إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}: {إِنْ} هنا نافيَةٌ لوقوعِ {إِلَّا} بعدَها؛ أيْ: ما هُمْ إلَّا يَظُنُّونَ.

الظنُّ هنا بمعنَى الوهمِ، فليسَ ظنُّهمْ مبنيًّا علَى دليلٍ يجعلُ الشيءَ مظنونًا، بلْ هوَ مجرَّدُ وهمٍ لا حقيقةَ لَهُ، فلا حُجَّةَ لهم إطلاقًا، وفي هذا دليلٌ علَى أنَّ الظنَّ يُستَعْمَلُ بمعنَى الوهمِ، وأيضًا يُستَعْمَلُ بمعنَى العلمِ واليقينِ، كقولِهِ تعالَى: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ}.

والردُّ علَى قولِهِم بما يلي:

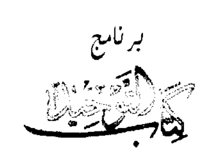
أولاً: قولُهم: {مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا}:

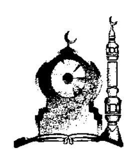
هذا يردُّهُ المنقولُ والمعقولُ.

أمَّا المنقولُ: فالكتابُ والسُّنةُ تدلُّ علَى ثبوتِ الآخرةِ، ووجوبِ الإيمانِ باليومِ الآخرِ، وأنَّ للعبادِ حياةً أخرَى سوَى هذهِ الحياةِ الدنيا، والكتبُ السماويَةُ الأخرَى تقرِّرُ ذلكَ وتؤكِّدُهُ.

وأمَّا المعقولُ: فإنَّ اللَّهَ فرضَ علَى الناسِ الإسلامَ والدعوةَ إليهِ، والجهادَ لإعلاءِ كلمةِ اللَّهِ، معَ ما في ذلكَ مِن استباحةِ الدماءِ، والأموالِ، والنساءِ، والذريَّةِ، فمنْ غيرِ المعقولِ أنْ يكونَ الناسُ بعدَ ذلكَ ترابًا لا بعثَ، ولا حياةَ، ولا ثوابَ، ولا عقابَ، وحكمةُ اللَّهِ تَأْبَى هذا، قالَ تعالَى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} أي: الذي أنزلَ عليكَ القرآنَ، وفرضَ العملَ بِهِ، والدعوةَ إليهِ، لا بدَّ أنْ يَرُدَّكَ إلَى معادٍ تُجازَى فيهِ، ويُجازَى فيهِ كلُّ مَنْ بلغتْهُ الدعوةُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٢١٢ - ص.ب: ١١٤٤٦
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠






ثانيًا: قولُهُم: {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} أيْ: إلَّا مرورُ الزمنِ، هذا يردُّهُ المنقولُ والمحسوسُ:

فأمَّا المنقولُ: فالكتابُ والسُّنَّةُ تدلُّ علَى أنَّ الإحياءَ والإماتةَ بيدِ اللَّه عزَّ وجلَّ، كمَا قالَ تعالَى: {هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}، وقالَ عنْ عيسَى عليهِ الصلاةُ والسلامُ: {وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ}.

وأمَّا المحسوسُ: فإننا نعلمُ مَنْ يبقَى سنينَ طويلةً علَى قيدِ الحياةِ كنوحٍ عليهِ السلامُ وغيرِهِ، ولْم يُهْلِكْهُ الدهرُ، ونُشاهِدُ أطفالًا يموتون في الشهرِ الأولِ منْ ولادتِهِمْ، وشبابًا يموتون في قوةِ شبابِهِم، فليسَ الدهرُ هوَ الذي يُميتُهُمْ.

ومناسبةُ الآيَةِ للبابِ:

أنَّ في الآيَةِ نسبةَ الحوادثِ إلَى الدهرِ، ومَنْ نسبَهَا إلَى الدهرِ فسوفَ يَسُبُّ الدهرَ إذا وقعَ فيه ما يَكْرَهُهُ.

قال في (تيسير العزيز الحميد) ص٤ ٦١ : (**فإن قلت: فأين مطابقة الآية للترجمة إذا كانت خبراً عن الدهرية المشركين قيل: المطابقة ظاهرة؛ لأن من سب الدهر فقد شاركهم في سبّه، وإن لم يشاركهم في الاعتقاد**) .

(٣) قولُهُ: (**وفي الصَّحيحِ، عَنْ أبي هُرَيْرَةَ.. إلَى آخرِه**) هذا الحديثُ يُسمَّى **الحديثَ القدسيَّ**، أو **الإلهيَّ**، أو **الربانيَّ**، وهوَ: كلُّ ما يرويهِ النبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ ربِّهِ عزَّ وجلَّ، وسبقَ الكلامُ عليهِ في بابِ فضلِ التوحيدِ وما يُكَفِّرُ من الذنوبِ.

قولُهُ: «**قالَ اللَّهُ تعالَى**» (**تعالَى) مُشْتَقٌّ منَ العُلُوِّ**، وجاءَتْ بهذه الصيغة للدلالة علَى ترفُّعه جلَّ وعلا عنْ كلِّ نقصٍ وسُفْلٍ، فهوَ متعالٍ بذاتِهِ وصفاتِهِ، وهيَ أبلغُ منْ كلمةِ علا؛ لأنَّها تحملُ معنَى التَّرَفُّعِ والتَّنَزُّهِ عمَّا يقولُهُ المعتدونَ علوًّا كبيرًا.

قولُهُ: «**يُؤْذيني ابنُ آدمَ**» أيْ: يُلْحِقُ بي الأذَى، فالأذيَّةُ للَّه ثابتةٌ ويجبُ علينا إثباتُهَا؛ لأنَّ اللَّهَ أثبتَهَا لنفسه، فلسنَا أعلمَ منَ اللَّهِ باللَّه، ولكنَّها ليستْ كأذيَّةِ المخلوقِ بدليلِ قولِهِ تعالَى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} وقُدِّمَ النفيُ في هذه الآيَةِ علَى الإثباتِ لأجلِ أن يَرِدَ الإثباتُ علَى قلبٍ خالٍ منْ تَوَهُّمِ المماثلة، ويكونَ الإثباتُ حينئذ علَى الوجهِ اللائقِ بهِ تعالَى، وأنَّهُ لا يُمَاثَلُ في صفاتِه كما لا يُماثَلُ في ذاتِه، وكلُّ ما وصفَ اللَّهُ به نفسَهُ فليسَ فيه احتمالٌ للتمثيلِ، إذ لوْ كانَ احتمالُ التمثيلِ جائزًا في كلامِهِ سبحانَهُ، وكلامِ رسولِه فيما وصفَ به نفسَهُ، لكانَ

E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٢٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

احتمالُ الكفرِ جائزًا في كلامِه سبحانَهُ وكلامِ رسولِه.

قولُهُ: «**ابنُ آدمَ**» شاملٌ للذكورِ والإناثِ، و**آدمُ** هوَ أبو البشرِ، خلقَهُ اللَّهُ تعالَى مِنْ طينٍ، وسوَّاهُ ونفَخَ فيهِ مِنْ رُوحِه، وأَسْجَدَ لهُ الملائكةَ، وعلَّمهُ الأسماءَ كلَّها.

قولُهُ: «**يَسُبُّ الدَّهْرَ**» الجملةُ تعليلٌ للأذيَّةِ، أوْ تفسيرٌ لها؛ أيْ: بكونِهِ يَسُبُّ الدهرَ، أيْ: يَشْتُمُهُ ويُقَبِّحُهُ ويَلُومُهُ، وربَّما يَلْعَنُهُ - والعياذُ باللَّهِ - يُؤْذِي اللَّهَ.

والدهرُ: هوَ الزمنُ والوقتُ، وقدْ سبقَ بيانُ أقسامِ سبِّ الدهرِ.

قولُهُ: **{وأَنَا الدَّهْرُ}** أيْ: مدبِّرُ الدهرِ ومُصَرِّفُهُ، لقولِهِ تعالَى: **{وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}** ولقولِهِ في الحديثِ: «**أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**» والليلُ والنهارُ هما الدهرُ.

ولا يُقالُ بأنَّ اللَّهَ هوَ الدهرُ نفسُهُ، ومَنْ قالَ ذلكَ فقدْ جعلَ الخالقَ مخلوقًا، والمقلِّبَ مُقَلَّبًا.

فإنْ قيلَ: أليسَ المجازُ ممنوعًا في كلامِ اللَّهِ وكلامِ رسولِهِ وفي اللغةِ؟

أجيبَ: أنَّ الكلمةَ حقيقيَّةٌ في معناها الذي دلَّ عليهِ السياقُ والقرائنُ، وهنا في الكلامِ محذوفٌ تقديرُهُ: وأنا مقلِّبُ الدهرِ؛ لأنَّهُ فسَّرَهُ بقولِهِ: (**أُقلِّبُ الليلَ والنهارَ**) والليلُ والنهارُ هما الدهرُ؛ ولأنَّ العقلَ لا يمكنُ أنْ يجعلَ الخالقَ الفاعلَ هوَ المخلوقَ المفعولَ - المقلِّبَ هوَ المقلَّبَ - وبهذا عُرِفَ خطأُ مَنْ قالَ: (**إنَّ الدهرَ مِنْ أسماءِ اللَّهِ**) **كابنِ حزمٍ** رحمَهُ اللَّهُ، فإنَّهُ قالَ: (**إنَّ الدهرَ مِنْ أسماءِ اللَّهِ**) وهذا غفلةٌ عنْ مدلولِ هذا الحديثِ، وغفلةٌ عَنِ الأصلِ في أسماءِ اللَّهِ، **فأمَّا مدلولُ الحديثِ** فإنَّ السابِّينَ للدهرِ لمْ يُريدُوا سبَّ اللَّهِ، وإنَّما أرادوا سبَّ الزمنِ، فالدهرُ هوَ الزمنُ في مرادِهم.

وأمَّا الأصلُ في أسماءِ اللَّهِ؛ فالأصلُ في أسماءِ اللَّهِ أنْ تكونَ حُسْنَى، أيْ: بالغةً في الحُسْنِ أكملَهُ، فلا بدَّ أنْ تَشْتَمِلَ علَى وصفٍ ومعنًى هوَ أحسنُ ما يكونُ مِنَ الأوصافِ والمعاني في دلالةِ هذهِ الكلمةِ، ولهذا لا تجدُ في أسماءِ اللَّهِ تعالَى اسمًا جامدًا أبدًا؛ لأنَّ الاسمَ الجامدَ ليسَ فيهِ معنًى أحسنُ أوْ غيرُ أحسنَ، لكنَّ أسماءَ اللَّهِ كلَّها حُسْنَى؛ فيلزمُ مِنْ ذلكَ بأنْ تكونَ دالَّةً علَى معانٍ، والدهرُ اسمٌ مِنْ أسماءِ الزمنِ ليسَ فيهِ معنًى إلَّا أنَّهُ اسمُ زمنٍ، **وعلَى هذا فينتفي أنْ يكونَ اسمًا للَّهِ تعالَى لوجهينِ:**

الأولُ: أنَّ سياقَ الحديثِ يأباهُ غايَةَ الإباءِ.

الثاني: أنَّ أسماءَ اللَّهِ حسنَى، والدهرُ اسمٌ جامدٌ لا يحملُ معنًى إلَّا أنَّهُ اسمٌ للأوقات، فلا يَحْمِلُ المعنَى الذي يُوصَفُ بأنَّهُ أحسنُ، وحينئذٍ فليسَ مِنْ أسماءِ اللَّهِ تعالَى، بلْ إنَّهُ الزمنُ، ولكنَّ مقلِّبَ الزمنِ هوَ اللَّهُ.

ولهذا قالَ: «**أُقَلِّبُ الليلَ والنهارَ**» ومعنَى: «**أُقَلِّبُ الليلَ والنهارَ**» أيْ: ذواتِهما وما يحدُثُ فيهما، فالليلُ والنهارُ يُقلَّبان مِنْ طولٍ إلَى قِصَرٍ إلَى تَساوٍ، والحوادثُ تتقلَّبُ فيه في الساعة، وفي اليومِ، وفي الأسبوعِ، وفي الشهرِ، وفي السنة، قالَ تعالَى: **{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** وهذا أمرٌ ظاهرٌ، وهذا التقليبُ لهُ حكمةٌ قدْ تظهرُ لنا وقدْ لا تظهرُ؛ لأنَّ حكمةَ اللَّهِ أعظمُ مِنْ أنْ تحيطَ بها عقولُنا، وبمجرَّدِ ظهورِ سلطانِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ وتمامِ قدرتِهِ هوَ مِنْ حكمةِ اللَّهِ لأجلِ أنْ يَخْشَى الإنسانُ صاحبَ هذا السلطانِ والقدرةِ، فيتضرَّعَ ويَلْجَأَ إليه.

قولُهُ: وفي روايةٍ: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ**» وفائدةُ هذهِ الروايَةِ: **أنَّ فيها التصريحَ في النهيِ عنْ سبِّ الدهرِ.**

قولُهُ: «**فإنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ**» وفي نسخةٍ: «**فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللَّهُ**» والصوابُ: **فإنَّ اللَّهَ هوَ الدهرُ.**

وقولُهُ: «**فإنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ**» أيْ: فإنَّ اللَّهَ مُدَبِّرُ الدهرِ ومُصَرِّفُهُ، وهذا تعليلٌ للنهيِ، ومِنْ بلاغةِ كلامِ اللَّهِ ورسولِهِ قرنُ الحكمِ بالعلَّةِ؛ لبيانِ الحكمةِ، وزيادةِ الطمأنينةِ، ولأجلِ أنْ تَتَعَدَّى العلَّةُ إلَى غيرِها فيما إذا كانَ المعلَّلُ حكمًا، فهذه ثلاثُ فوائدَ في قرْنِ العلَّةِ بالحكمِ.

فيهِ مَسائِلُ:

(٤) **الأولَى: (النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ)** لقولِهِ: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ**».

(٥) **الثانيَةُ: (تَسميَتُهُ أذًى للَّه)** تُؤخذُ مِنْ قولِهِ: «**يُؤْذِينِي ابنُ آدَمَ**».

(٦) **الثالثَةُ: (التأمُّلُ في قولِه: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»)** فإذا تأمَّلْنا فيه وجَدْنا أنَّ معناهُ أنَّ اللَّهَ مقلِّبُ الدهرِ ومُصَرِّفُهُ، وليسَ معناهُ أنَّ اللَّهَ هوَ الدهرُ، وقَدْ سبقَ بيانُ ذلكَ.

(٧) **الرابعةُ: (أَنَّهُ قَدْ يكونُ سابًّا وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ بِقَلْبِه)** تُؤخَذُ مِنْ قولِهِ: «**يُؤْذِينِي ابنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ**» و لم

يَذْكُرْ قصدًا، ولوْ عبَّرَ الشيخُ بقولِه: (**إنَّهُ قدْ يكونُ مُؤْذِيًا للَّهِ ولَمْ يَقْصِدْهُ**) لكانَ أوضحَ وأصحَّ؛ لأنَّ اللَّهَ صرَّح بقولِه «**يَسُبُّ الدَّهْرَ**» والفعلُ لا يضافُ إلَّا لِمنْ قَصَدَهُ.

وقدْ فاتَ علَى الشيخِ رحِمَهُ اللَّهُ بعضُ المسائلِ:

منها: تفسيرُ آيَةِ الجاثِيَة، وقدْ سبقَ ذلكَ.

(٨) قولُهُ: (**بابُ التَّسمِّي بقاضِي القُضاةِ**) أيْ: وضْعُ الشَّخصِ لنفسِهِ هذا الاسمَ، أوْ رضاهُ بهِ منْ غيرِهِ.

قولُهُ: (**قاضِي القُضاةِ**) قاضي: بمعنَى: حاكمٍ، والقضاةُ: أي: الحكَّامُ، و(**أل**) للعمومِ.

والمعنَى التَّسمِّي بحاكمِ الحكَّامِ ونحوِهِ، مثلِ مَلِكِ الأَمْلاكِ، وسلطانِ السَّلاطينِ، وما أشبَهَ ذلكَ، ممَّا يدلُّ علَى النُّفوذِ والسُّلطانِ؛ لأنَّ القاضيَ جمعَ بينَ الإلزامِ والإفتاءِ، بخلافِ العالمِ فهوَ لا يُلزِمُ.

ولهذا قالوا: (القاضي جمعَ بينَ الشَّهادةِ والإلزامِ والإفتاءِ) فهوَ يَشْهَدُ أنَّ هذا الحكمَ حكمُ اللَّهِ، وأنَّ الحقَّ للمحكومِ لهُ علَى المحكومِ عليهِ، ويُفتِي أيْ: يخبرُ عنْ حكمِ اللَّهِ وشرعِهِ، ويُلزِم الخَصْمَيْنِ بما حكَمَ بهِ.

ومناسبةُ البابِ لكتابِ التَّوحيدِ:

إنَّ مَنْ تسمَّى بهذا الاسمِ فقدْ جعلَ نفسَهُ شريكًا معَ اللَّهِ فيما لا يستحقُّهُ إلَّا اللَّهُ؛ لأنَّهُ لا أَحَدَ يستحقُّ أن يكون قاضيَ القضاةِ، أوْ حَكَمَ الحكَّامِ، أوْ ملكَ الأملاكِ إلَّا اللَّهُ سبحانه وتعالَى، فاللَّهُ هوَ القاضي فوقَ كلِّ قاضٍ، وهوَ الَّذي لهُ **الحكمُ** ويُرجَعُ إليه الأمرُ كلُّهُ، كما ذكَرَ اللَّهُ ذلكَ في القرآنِ.

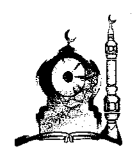
وقدْ تقدَّمَ أنَّ قضاءَ اللَّهِ ينقسمُ إلَى قسمينِ:

أحدهما: القضاء كَوْنِيٌّ.

والآخر: القضاء شَرعيٌّ.

والقضاءُ الكونيُّ لا بدَّ منْ وقوعِهِ، ويكون فيما أحَبَّ اللَّهُ وفيما كرِهَهُ، قال تعالَى: **{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ}**.

فهذا قضاءٌ كونيٌّ متعلِّقٌ بما يَكْرَهُهُ اللَّهُ؛ لأنَّ الفسادَ في الأرضِ لا يحبُّهُ اللَّهُ، واللَّهُ لا يحبُّ المفسدينَ، وهذا القضاءُ الكونيُّ لا بدَّ أن يقعَ ولا مُعارِضَ لهُ إطلاقًا.



وأمَّا **النَّوعُ الثَّاني** من القضاءِ وهوَ القضاءُ الشَّرعيُّ فمثلُ قولِه تعالَى: **{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}**.

والقضاءُ الشَّرعيُّ **لا يَلزمُ منهُ وقوعُ الْمَقضيِّ**، فقدْ يقعُ وقدْ لا يقعُ، ولكنَّهُ يتعلَّقُ بما يحبُّهُ اللَّهُ، وقدْ سبق الكلامُ علَى ذلكَ.

فإنْ قلتَ: إذا أَضَفْنَا القُضاةَ وحصَرْناها بطائفة معيَّنة، أوْ ببلد معيَّن، أوْ بزمان معيَّن، مثلُ أن يُقالَ: **قاضي** القضاةِ في الفقهِ، أوْ قاضي قضاةِ المملكةِ العربيَّةِ السّعوديَّة، أوْ قاضي قضاةِ مصرَ، أو الشَّامِ، أوْ ما أشبهِ ذلكَ، فهلْ يجوزُ هذا؟

الجوابُ: هذا جائزٌ؛ لأنّه مقيَّدٌ، ومعلومٌ أنَّ قضاءَ اللَّهِ لا يتقيَّدُ، فحينئذ لا يكونُ فيه مشاركةٌ للَّه عزَّ وجلَّ، علَى أنَّهُ لا ينبغي أيضًا أن يتسمَّى الإنسانُ أوْ يُسَمِّيَ بذلكَ وإن كان جائزًا؛ لأنَّ النَّفسَ قدْ تَصعُبُ السَّيطرةُ عليها فيما إذا شعرَ الإنسانُ بأنَّهُ موصوفٌ بقاضي قضاة النَّاحيَة الفلانيَّة، فقدْ يَأْخُذُهُ الإعجابُ بالنَّفسِ، والغرورُ حتَّى لا يقبلَ الحقَّ إذا خالفَ قولَهُ، وهذه مسألةٌ عظيمةٌ لها خطرُهَا إذا وصلَتْ بالإنسانِ إلَى الإعجابِ بالرَّأيِ، بحيثُ يرَى أنَّ رأيَهُ مفروضٌ علَى مَنْ سواهُ.

فإنَّ هذا خطرٌ عظيمٌ، فمعَ القولِ بأنَّ ذلكَ جائزٌ لا ينبغِي أنْ يقبلَهُ اسمًا لنفسه، أوْ وصفًا لهُ، ولا أن يتسمَّى به.

فإذا قُيِّدَ بزمانٍ، أوْ مكانٍ ونحوِهما قلنا: إنَّهُ جائزٌ، ولكنَّ الأفضلَ ألا يفعلَ؛ لكن إنْ قُيِّدَ بفنٍّ من الفنونِ: هلْ يكونُ جائزًا؟

مُقتضَى التَّقييدِ أن يكونَ جائزًا، لكن إنْ قُيِّدَ بالفقهِ، بأنْ قيلَ: (عالمُ العُلماءِ في الفقه) وقلنا: إنَّ الفقهَ يَشْمَلُ أصولَ الدِّينِ وفروعَهُ، علَى حدِّ قولِ الرَّسولِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» صار فيه عمومٌ واسعٌ، ومعنَى هذا أنَّ مرجعَ النَّاسِ كلِّهم في الشَّرعِ إليه، فهذا في نفسي منهُ شيءٌ، والأَوْلَى التنزُّهُ عنه.

وأمَّا **إنْ قُيِّدَ بقبيلةٍ**: **فهوَ جائزٌ**، لكن يجبُ معَ الجوازِ مراعاةُ جانبِ الموصوفِ حتَّى لا يغترَّ ويُعجَبَ بنفسه، ولهذا قال النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ للمادحِ: «**قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ**».

وأمَّا التَّسمِّي بـ(**شيخِ الإسلامِ**) مثلُ أنْ يُقالَ: شيخُ الإسلامِ **ابنُ تيميَّةَ**، أوْ شيخُ الإسلامِ **محمَّدُ بنُ عبد الوهَّابِ**؛ أيْ: أنَّهُ الشَّيخُ المطلقُ الَّذي يرجعُ إليهِ الإسلامُ، فهذا لا يمكنُ أن يصحَّ؛ إذ إنَّ **أبا بكرٍ** رضيَ اللَّهُ عنه

أحقُّ بهذا الوصفِ، لأنَّهُ أفضلُ الخلقِ بعدَ النَّبِيِّينَ، ولكن إذا قُصِدَ بهذا الوصفِ أنَّهُ جدَّدَ في الإسلامِ، وحصلَ لهُ أثرٌ طيِّبٌ في الدِّفاعِ عنه، فلا بأسَ بإطلاقه.

وأمَّا بالنِّسبةِ للتَّسمِّي بـ**(الإمامِ)** فهوَ أهونُ بكثيرٍ من التَّسمِّي بـ**(شيخِ الإسلامِ)** لأنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ سَمَّى إمامَ المسجدِ إمامًا، ولوْ لم يكنْ عندَهُ إلَّا اثنان.

لكن ينبغي أن يُنَبَّهَ أنَّهُ لا يُتَسامَحُ في إطلاقِ كلمةِ إمامٍ إلَّا علَى مَنْ كان قدوةً ولهُ أتباعٌ، كالإمامِ **أحمدَ**، **والبخاريِّ**، **ومسلمٍ**، وغيرِهم مِمَّنْ لهُ أثرٌ في الإسلامِ؛ لأنَّ وصفَ الإنسانِ بما لا يستحقُّ هضمٌ للأمَّةِ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا تصوَّرَ أنَّ هذا إمامٌ، وهذا إمامٌ، هان الإمامُ الحقُّ في عينِه.

قال الشَّاعرُ:

أَلَم تَرَ أَنَّ السَّيفَ يَنقُصُ قَدرُهُ ... إِذا قيلَ: إِنَّ السَّيفَ أَمضى مِنَ العَصَا

ومن ذلكَ أيضًا (**آيَةُ اللَّهِ**، **حجَّةُ اللَّهِ**، **حجَّةُ الإسلامِ**) فإنَّهَا ألقابٌ حادثةٌ لا تنبغي؛ لأنَّهُ لا حُجَّةَ للَّهِ علَى عبادِه إلَّا الرَّسلَ.

وأمَّا (**آيَةُ اللَّهِ**) فإنْ أُريدَ المعنَى الأعمُّ فلا مدحَ فيه؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ آيةٌ للَّهِ، كما قيلَ:

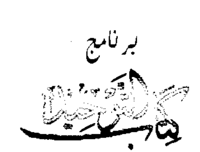
وفي كلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ ... تدلُّ علَى أنَّهُ واحدُ

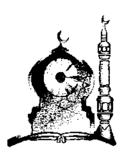
وإنْ أُريدَ المعنَى الأخصُّ أيْ: أنَّ هذا الرَّجُلَ آيةٌ خارقةٌ فهذا في الغالبِ يكون مُبالَغًا فيه، والعبارةُ السَّليمةُ أن يُقالَ: عالمٌ، مفت، قاض، حاكمٌ، إمامٌ، لَمن كان مستحقًّا لذلكَ.

(٩) قولُهُ: «**إنَّ أَخنَعَ اسمٍ**» أيْ: أوضعَ اسمٍ، والمرادُ بالاسمِ المسمَّى، فَأَوضَعُ اسمٍ عندَ اللَّهِ رجلٌ تَسَمَّى: مَلِكَ الأَمْلاكِ؛ لأنَّهُ جعلَ نفسَهُ في مرتبةٍ عليا، فالملوكُ أعلَى طبقاتِ البشرِ منْ حيثُ السُّلطةُ، فجعَلَ مرتبتَهُ فوقَ مرتبتِهم، وهذا لا يكونُ إلَّا للَّهِ عزَّ وجلَّ، ولهذا عُوقِبَ بنقيضِ قصدِه فصارَ أوضعَ اسمٍ عندَ اللَّهِ، إذ قصدُهُ أن يَتَعَاظَمَ حتَّى علَى الملوكِ فأُهينَ.

ولهذا أحبُّ اسمٍ عندَ اللَّهِ ما دَلَّ علَى التَّذلُّلِ والخضوعِ، مثلُ: **عبدِ اللَّهِ**، **وعبدِ الرَّحمنِ**، وأبغضُ اسمٍ عندَ اللَّهِ ما دلَّ علَى الجَبَرُوتِ والسُّلطةِ والتَّعظيمِ.

قولُهُ: «**لا مَالكَ إلَّا اللَّهُ**» أيْ: لا مالكَ علَى الحقيقةِ المُلْكَ المطلقَ إلَّا اللَّهُ، وأيضًا لا مَلِكَ إلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ؛ ولهذا






جاءت آيةُ الفاتحةِ بقراءتين {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} و {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} لكي يَجْمَعَ بينَ المَلِكِ وتمامِ السُّلطانِ، فهوَ سبحانَهُ مَلِكٌ مَالِكٌ، مَلِكٌ ذو سلطةٍ وعظمةٍ وقولٍ نافذٍ، ومالكٌ: متصرِّفٌ مدبِّرٌ لجميعِ مملكته.

فاللَّهُ لهُ الخلقُ والملكُ والتَّدبيرُ، فلا خالقَ إلَّا اللَّهُ، ولا مدبِّرَ إلَّا اللَّهُ، ولا مالكَ إلَّا اللَّهُ، قال تعالَى: {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} فالاستفهامُ بمعنَى النَّفيِ، وقدْ أُشْرِبَ معنَى التَّحدِّي؛ أيْ: إنْ وجدْتُموهُ فهاتوهُ، وقال تعالَى: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} فيها توكيدٌ وحصرٌ، وهذا دليلُ انفرادِهِ بالخَلْقِ، وقال تعالَى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ} فـ{الَّذِينَ} اسمٌ موصولٌ يشملُ كلَّ مَنْ يُدْعَى مِنْ دونِ اللَّهِ، {لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا} وهذا علَى سبيلِ المبالغةِ، وما كان علَى سبيلِ المبالغة فلا مفهومَ لهُ كثرةً أوْ قلَّةً.

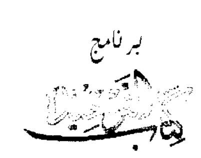
وقال تعالَى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ}، وقال تعالَى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ}، وهذا دليلُ انفرادِهِ بالملك، وقال تعالَى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ}، وقالَ تعالَى: {قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ}.

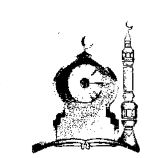
وليعلم أنه ليسَ كلُّ مَلِكٍ مالكًا، وليسَ كلُّ مالكٍ مَلِكًا، فقدْ يكونُ الإنسانُ مَلِكًا، ولكنَّهُ لا يكونُ بيدِهِ التَّدبيرُ، وقدْ يكونُ الإنسانُ مالكًا ويتصرَّفُ فيما يملكُهُ، فالْمَلِكُ مَنْ مَلَكَ السُّلطةَ المطلقةَ، لكنْ قدْ يملكُ التصرُّفَ فيكونُ ملِكًا مالكًا، وقدْ لا يملكُ فيكونُ ملكًا وليسَ بمالك، **أَمَّا المالكُ فهوَ الَّذي لهُ التَّصرُّفُ بشيءٍ معيَّنٍ** كَمالكِ البيتِ، ومالكِ السَّيَّارةِ، وما أشبهَ ذلكَ، فهذا ليسَ بمَلِكٍ، يعني: ليسَ لهُ سلطةٌ عامَّةٌ.

(**١٠**) قولُهُ: «**قالَ سفيانُ (هوَ ابنُ عُيَيْنَةَ) مثلُ شَاهَانْ شَاهْ**» وهذا باللُّغة الفارسيَّة، فشاهان جمعٌ بمعنَى: أملاك، وشاهُ مُفْرَدٌ بمعنَى: مَلِك، والتقديرُ: أمْلاك مَلِك، أيْ: مَلِكُ الأمْلاك، لكنَّهم في اللُّغة الفارسيَّة يُقدِّمون المضافَ علَى المضافِ إليه، مثلَ: غلامُ **محمَّد**، يقولون: **محمَّد** غلام.

(**١١**) قولُهُ: وفي روايَةٍ: «**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ وأَخْبَثُهُ**» **أغيظُ**: من الغيظِ وهوَ الغضبُ؛ أيْ: إنَّ أغضبَ شيءٍ عندَ اللَّهِ – عزَّ وجلَّ – وأخبَثَهُ هوَ هذا الاسمُ، وإذا كان سببًا لغضب اللَّه وخبيثًا فإنَّهُ من الكبائر.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكه العربيه السعوديه – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







وقولُهُ: (أغْيَظُ) فيهِ إثباتُ الغيظِ للّهِ عزَّ وجلَّ، فهيَ صفةٌ تليقُ باللّهِ عزَّ وجلَّ، كغيرِهَا من الصِّفات، والظَّاهرُ: أنّها أشدُّ من الغضبِ.

قال في (قرة عيون الموحدين) ص٢١١: (**وهذا المذكور ينافي كمال التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص؛ فيكون فيه شائبة من الشرك وإن لم يكن أكبرا**) .

فِيهِ مسائلُ:

(١٢) **الأولى**: (**النّهيُ عن التّسمِّي بَملكِ الأَمْلاكِ**) وتُؤخذُ منْ قولِ الرّسولِ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ: «**إنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ رَجُلٌ تَسَمَّى: مَلِكَ الأَمْلَاكِ**» والمؤلّفُ يقول: (**النّهيُ عن التّسمِّي..**) والنّهيُ شرعًا لا يُستفادُ من الصِّيغةِ المعيَّنةِ المعروفةِ فحسْبُ، بلْ إذا ورد الذمُّ عليه، أوْ سُبَّ فاعلُهُ، أوْ ما أشبَهَ ذلكَ فإنّهُ يفيدُ النّهيَ، وصيغةُ النّهيِ هيَ المضارعُ المقرونُ بـــ(لا) النّاهيَةِ، مثلَ: لا تفعلْ، ولكن إذا كان هناكَ ذمٌّ، أوْ وعيدٌ، أوْ ما أشبهَ ذلكَ فهوَ متضمِّنٌ للنّهيِ وزيادةٍ.

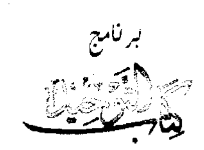
(١٣) **الثّانِيَةُ**: (**أنَّ ما في مَعناهُ مِثلُهُ، كما قالَ سُفيانُ**) والّذي معناهُ: قاضي القضاةِ، وحاكمُ الحكّامِ: وشاهان شاهُ، في الفارسيَّةِ.

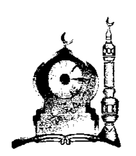
(١٤) **الثالثةُ**: (**التّفطُّنُ للتّغليظِ في هذا ونَحْوِهِ معَ القَطْعِ بأنَّ القلبَ لَمْ يَقْصِدْ معناهُ**) أيْ: إذا سمَّينا شخصًا بقاضي القضاةِ، أوْ حاكمِ الحكّامِ، وهوَ ليسَ كذلكَ، بلْ هوَ منْ أجهلِ القضاةِ، ومنْ أضعفِ الحكّامِ، جمَعْنا بينَ أمرينِ، بينَ الكذبِ والوقوعِ في اللفظِ المنهيِّ عنه، وأمّا إذا كان أعلمَ أهلِ زمانِهِ، أوْ أعلمَ أهلِ مكانِهِ، ويرجعُ القضاةُ إليه، فهذا -وإنْ كان القولُ مُطابقًا للواقعِ- لكنّهُ منهيٌّ عنه، معَ أنَّ القلبَ لم يَقْصِدْ معناهُ.

(١٥) **الرّابعةُ**: (**التّفطُّنُ أنَّ هذا لأَجْلِ اللّهِ سُبْحانَهُ**) يُؤخَذُ منْ قولِهِ: «**لا مالكَ إلَّا اللّهُ**» فالرّسولُ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ أشارَ إلَى العلّةِ وهيَ: «**لا مَالكَ إلا اللّهُ**» فكيفَ تقولُ: ملكُ الأملاكِ، وهوَ لا مالكَ إلّا اللّهُ عزَّ وجلَّ.

(١٦) قولُهُ: (**بابُ احترامِ أسماءِ اللّهِ**) أيْ: وجوبِ احترامِ أسماءِ اللّهِ؛ لأنَّ احترامَهَا احترامٌ للّهِ عزَّ وجلَّ، ومنْ تعظيمِ اللّهِ عزَّ وجلَّ، فلا يُسمَّى أحدٌ باسمٍ مختصٍّ باللّهِ.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com







وأسماءُ اللّهِ تنقسمُ إلَى قسمينِ:

الأوَّلُ: ما لا يصحُّ إلَّا للّهِ فهذا لا يُسمَّى بهِ غيرُهُ، وإنْ سُمِّيَ وَجبَ تغييرُهُ، مثلُ: اللّهِ، الرَّحمنِ، ربِّ العالمينَ، وما أشبهَ ذلكَ.

الثَّاني: ما يصحُّ أنْ يوصفَ به غيرُ اللّهِ مثلَ: الرَّحيمِ، والسَّميعِ، والبصيرِ، فإن لُوحِظَت الصِّفةُ مُنِعَ من التَّسمِّي بهِ، وإن لم تُلاحَظ الصِّفةُ جاز التَّسمِّي به علَى أنَّهُ علَمٌ مَحْضٌ.

(١٧) قولُهُ: (**عَنْ أبي شُرَيْحٍ**) هوَ **هانئُ بنُ يزيدَ الكِنْديُّ**، جاءَ وافدًا إلَى النَّبيِّ صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ معَ قومِه.

وقولُهُ: (**يُكَنَّى أبَا الحَكَمِ**) أيْ: يُنادَى به، **والكُنْيَةُ**: مَا صُدِّرَ بأبٍ، أوْ أمٍّ، أوْ أخٍ، أوْ عمٍّ، أوْ خالٍ، وتكونُ للمدحِ كمَا في هذا الحديثِ، وتكونُ للذمِّ **كأبي جَهْلٍ**، وتكونُ لمصاحبةِ الشيءِ وملازمته **كأبي هريرةَ**، وتكونُ لمجرَّدِ العَلَمِيَّةِ **كأبي بكرٍ** رضيَ اللّهُ عنه، **وأبي العبَّاسِ** شيخِ الإسلامِ **ابنِ تَيْمِيَّةَ** رحمَهُ اللّهُ؛ لأنَّهُ ليسَ لَهُ وَلَدٌ.

قولُهُ: (**إنَّ اللّهَ هُوَ الْحَكَمُ وإلَيْه الحُكْمُ**) هوَ الْحَكَمُ: أي المستحقُّ أن يكونَ حاكمًا علَى عبادِه، وحاكمٌ بالفعلِ يدلُّ لهُ قولُهُ: (**وإلَيْهِ الحُكْمُ**).

وقولُهُ: (**وإلَيْهِ الحُكْمُ**) الخبرُ فيهِ جارٌّ ومجرورٌ مُقدَّمٌ، وتقديمُ الخبرِ يفيد الحصرَ، وعلَى هذا يكونُ الحكمُ خاصًّا باللّهِ سبحانَهُ.

وحُكْمُ اللّهِ ينقسمُ إلَى قسمين:

الأوَّلُ: كونيٌّ، وهذا لا رادَّ لهُ، فلا يستطيعُ أحدٌ أن يَرُدَّهُ، ومنهُ قولُهُ تعالَى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

الثَّاني: شرعيٌّ، وينقسمُ النَّاسُ فيهِ إلَى قسمين:

مؤمنٍ وكافرٍ، فمَنْ رَضِيَهُ وحكَمَ به فهوَ مؤمنٌ، ومَنْ لَمْ يَرْضَ بهِ، ولم يَحْكُمْ بهِ فهوَ كافرٌ، ومنهُ قولُهُ تعالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾.

وأمَّا قولُهُ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ وقولُهُ تعالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فهوَ يشملُ الكونيَّ والشَّرعيَّ، وإنْ كان ظاهرُ الآيَةِ الثَّانيَة أنَّ المرادَ الحكمُ الشَّرعيُّ؛ لأنَّهُ في سياقِ الحكمِ الشَّرعيِّ،

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٣٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

والشَّرعيُّ يكونُ تابعًا للمحبَّة والرِّضَا، والكراهةِ والسُّخْطِ، والكونيُّ عامٌّ في كلِّ شيءٍ.

والحُكْمَ كله للَّهِ؛ لقولِهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: «وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ».

أمَّا الكونيُّ: فلا نزاعَ فيه بينَ أحدٍ من الخلقِ، ولا يُعارِضُ اللَّهَ أحدٌ في أحكامِه الكونيَّة.

وأمَّا الشَّرعيُّ: فهوَ مَحَكُّ الفتنةِ والامتحانِ والاختبارِ، فمَنْ شرَّعَ للنَّاسِ شرعًا سوَى شرعِ اللَّهِ، ورأى أنَّهُ أحسنُ منْ شرعِ اللَّهِ وأنفعُ للعبادِ، أوْ أنَّهُ مُساوٍ لشرعِ اللَّهِ، أوْ أنَّهُ يجوزُ تَرْكُ شرعِ اللَّهِ إليه فإنَّهُ كافرٌ؛ لأنَّهُ جعلَ نفسَهُ ندًّا للَّهِ عزَّ وجلَّ، سواءٌ في العباداتِ أو المعاملاتِ، والدَّليلُ علَى ذلكَ قولُهُ تعالَى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} فدلَّت الآيَةُ علَى أنَّهُ لا أحدَ أحسنُ منْ حكمِ اللَّهِ، ولا مُساوٍ لحكمِ اللَّهِ؛ لأنَّ {أَحْسَنُ} اسمُ تفضيلٍ: معناهُ لا يوجدُ شيءٌ في درجته، ومَنْ زعمَ ذلكَ فقدْ كذَّبَ اللَّهَ عزَّ وجلَّ، قالَ تعالَى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}.

وهذا دليلٌ علَى أنَّهُ لا يجوزُ العُدولُ عنْ شرعِ اللَّهِ إلَى غيرِه وأنَّهُ كفرٌ.

فإنْ قيلَ: قالَ اللَّهُ تعالَى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.

قلنا: قال اللَّهُ تعالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا} وهذا دليلٌ علَى كفرِهم؛ لأنَّهُ قالَ: {يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا} وهذا إنكارٌ لإيمانِهم، فظاهرُ الآيَةِ أنَّهُم يَزْعُمُون بلا صدقٍ ولا حقٍّ، فقولُهُ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: «وإلَيْهِ الحُكْمُ» يدلُّ علَى أنَّ مَنْ جعلَ الحكمَ لغيرِ اللَّهِ فقدْ أشْرَكَ.

فائدةٌ:

يجبُ علَى طالبِ العلمِ أن يعرفَ الفرقَ بينَ التَّشريعِ الَّذي يُجعَلُ نظامًا يُمْشَى عليه ويُسْتَبْدَلُ به القرآنُ، وبينَ أن يُحْكَمَ في قضيَّةٍ معيَّنةٍ بغيرِ ما أنزلَ اللَّهُ، فهذا قدْ يكونُ كفرًا، أوْ فسقًا، أوْ ظلمًا.

- **فيكونُ كفرًا:** إذا اعتقدَ أنَّهُ أحسنُ منْ حكمِ الشَّرعِ، أوْ مماثلٌ لهُ.
- **ويكونُ فسقًا:** إذا كانَ هوًى في نفسِ الحاكمِ.
- **ويكونُ ظلمًا:** إذا أرادَ مضرَّةَ المحكُومِ عليهِ، وظهورُ الظُّلمِ في هذه أبينُ منْ ظهورِهِ في الثَّانيَةِ، وظهورُ الفسقِ في الثَّانيَةِ أبيَنُ منْ ظهورِهِ في الثَّالثةِ.

وفي الحديثِ دليلٌ علَى أنَّ منْ أسمائِهِ تعالَى: (**الحَكَمَ**).

وأمَّا بالنِّسبةِ للعَدْلِ فقدْ وردَ عنْ بعضِ الصَّحابةِ أنَّهُ قالَ: {**إِنَّ اللَّهَ حَكَمٌ عَدْلٌ**} ولا أعرفُ فيهِ حديثًا مرفوعًا، ولكنَّ قولَهُ تعالَى: {**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا**} لا شكَّ أنَّهُ متضمِّنٌ للعدلِ، بلْ هوَ متضمِّنٌ للعدلِ وزيادةٍ.

قولُهُ: «**فقالَ: إنَّ قَوْمِي إذا اخْتَلَفوا في شَيْءٍ أَتَوْنِي**» هذا بيانٌ لسببِ تسميتِهِ بـأبي **الحَكَمِ**.

قولُهُ: «**ما أَحْسَنَ هَذا**» الإشارةُ تعودُ إلَى إصلاحِهِ بينَ قومِهِ، لا إلَى تسميتِهِ بهذا الاسمِ؛ لأنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ غيَّرَهُ.

قولُهُ: «**شُرَيْحٌ، ومُسْلِمٌ، وعَبْدُ اللَّهِ**» الظَّاهرُ أنَّهُ ليسَ لهُ إلَّا الثَّلاثةُ؛ لأنَّ الولدَ في اللغةِ العربيَّةِ يشملُ الذَّكرَ والأنثَى، فلوْ كانَ عندَهُ بناتٌ لَعَدَّهُنَّ.

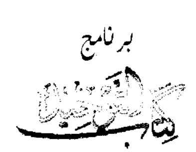
قولُهُ: «**فَأَنْتَ أبو شُرَيْحٍ**» **غيَّرَهُ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ لأمرينِ:**

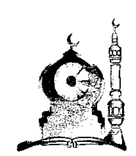
الأوَّلُ: أنَّ **الحَكَمَ هوَ اللَّهُ**، فإذا قيلَ: يا أبا **الحكمِ**، كأنَّهُ قيلَ: يا أبا **اللَّهِ**.

الثَّاني: أنَّ هذا الاسمَ الَّذي جُعِلَ كنيَةً لهذا الرَّجلِ لُوحِظَ فيهِ معنَى الصِّفةِ، وهيَ الحُكْمُ، فصارَ بذلكَ مطابقًا لاسمِ اللَّهِ، وليسَ لمجرَّدِ العَلَميَّةِ المَحضَةِ، بلْ للعَلَميَّةِ الْمُتضَمِّنةِ للمعنَى، وبهذا يكونُ مشاركًا للَّهِ سبحانَهُ وتعالَى؛ ولهذا كنَّاهُ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بما ينبغي أن يُكَنَّى بهِ.

فيهِ مسائلُ:

(١٨) **الأولَى:** «**احْتِرامُ أَسْماءِ اللَّهِ وصِفاتِه، وَلَوْ لَمْ يُقْصَدْ مَعْناهُ**» قولُهُ: (**وَلَوْ لَمْ يُقصَدْ مَعْناهُ**) هذا في النَّفسِ منهُ شيءٌ؛ لأنَّهُ إذا لمْ يُقصَدْ معناهُ فهوَ جائزٌ، إلَّا إذا سُمِّيَ بما لا يصحُّ إلَّا للَّهِ مثلُ: اللَّهِ، الرَّحمنِ، ربِّ العالمينَ، وما أشبهَهُ، فهذهِ لا تُطلَقُ إلَّا علَى اللَّهِ مهما كانَ، وأمَّا ما لا يختصُّ باللَّهِ فإنَّهُ يُسمَّى بهِ غيرُ اللَّهِ إذا لمْ يُلاحَظْ معنَى الصِّفةِ، بلْ كانَ المقصودُ مجرَّدَ العَلَميَّةِ فقطْ؛ لأنَّهُ لا يكونُ مطابقًا لاسمِ اللَّهِ، ولذلكَ كانَ في الصَّحابةِ مَن اسمُهُ







(**الْحَكَمُ**) ولم يغيِّرْهُ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ؛ لأنَّهُ لَم يَقْصِدْ إلَّا العَلميَّةَ، وفي الصَّحابة من اسْمُهُ (**حَكيمٌ**) وأقرَّهُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ.

فالَّذي يُحتَرَمُ منْ أسمائه تعالَى ما يختصُّ به، أوْ ما يُقْصَدُ به مُلاحظةُ الصِّفة.

(١٩) **الثَّانيَةُ**: «**تغييرُ الاسمِ لأجلِ ذلكَ**» وقدْ سبقَ الكلامُ عليه.

(٢٠) **الثَّالثةُ**: «**اختيارُ أكبرِ الأبناءِ للكُنيَةِ**» تُؤْخَذُ منْ سؤالِ النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: «مَا أَكْبَرُ وَلَدِكَ؟».

قالَ: شُرَيْحٌ.

قالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ».

ولا يؤخذُ من الحديثِ استحبابُ التَّكنِّي؛ لأنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أرادَ أنْ يُغيِّرَ كنيتَهُ إلَى كنيَةٍ مُباحةٍ، ولم يأمرْهُ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أن يُكَنِّيَ ابْتداءً.

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الأربعون

(١) قولُهُ: {فَلَمَّا آتَاهُمَا}، الضَّميرُ يعودُ على ما سبقَ من النفسِ وزَوْجِها؛ ولهذا ينْبَغِي أنْ يكونَ تفسيرها مبدوءاً منْ قولِهِ تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ. . .}.

قولُهُ: {خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} فيها قولان:

الأوَّل: أنَّ المرادَ بالنَّفسِ الواحدةِ العينُ الواحدةُ؛ أيْ: منْ شَخْصٍ مُعيَّنٍ، وهوَ آدمُ عليه السَّلامُ.

وقولُهُ: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} (مِنْ): للتَّبْعيضِ؛ لأنَّ حوَّاءَ خُلِقَتْ منْ ضِلْعِ آدمَ.

الثَّاني: أنَّ المرادَ بالنَّفسِ الجنسُ، وجعَلَ منْ هذا الجنسِ زوجَهُ، ولم يجعلْ زوجَهُ منْ جنسٍ آخرَ، والنَّفسُ قدْ يُرادُ بها الجنسُ كما في قولِهِ تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ} أيْ: منْ جِنْسِهِم.

قولُهُ: {لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا}.

سُكونُ الرَّجلِ إلى زوجتِهِ ظاهرٌ منْ أمرَيْنِ:

أوَّلاً: لأنَّ بينَهما من المودَّةِ والرَّحمةِ ما يقتضي الأُنسَ والاطمئنانَ والاستقرارَ.

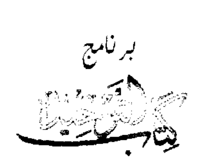
ثانيًا: سكونٌ منْ حيثُ الشَّهْوَةُ، وهذا سُكُونٌ خاصٌّ لا يُوجَدُ لهُ نظيرٌ حتَّى بينَ الأمِّ وابنِهَا.

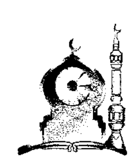
وقولُهُ: {لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} تَعْليلٌ لكونِهِ منْ جِنْسِهِ أوْ من النَّفسِ المعيَّنةِ.

قولُهُ: {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا} أيْ: جَامَعَها. وعبارةُ القرآنِ والسُّنَّةِ عن الجماعِ كِنايَةٌ، قالَ تعالى: {أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ} وقالَ: {اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ} وقالَ تعالى: {وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ} كأنَّ الاسْتحياءَ منْ ذِكْرِهِ بصريحِ اسمِهِ أَمْرٌ فِطْرِيٌّ؛ ولأنَّ الطِّبَاعَ السَّليمةَ تكْرَهُ أنْ تَذْكُرَ هذا الشَّيءَ باسمِهِ إلاَّ إذا دَعَت الحاجةُ إلى ذلكَ، فإنَّهُ قدْ يُصرَّحُ بِهِ كمَا في قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم لِمَاعِزٍ وقدْ أَقَرَّ عندَهُ بالزِّنَى: «أَنِكْتَهَا» لاَ يُكَنِّي؛ لأنَّ الحاجةَ هنا داعيَةٌ للتَّصريحِ حتَّى يتبيَّنَ الأمرُ جَليًّا، ولأنَّ الحدودَ تُدْرَأُ بالشُّبُهَاتِ.

وتشبيهُ عُلُوِّ الرَّجلِ المرأةَ بالغَشَيان أمرٌ ظاهرٌ، كما أنَّ اللَّيْلَ يَسْتُرُ الأرضَ بظلامه، قالَ تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا

http://www.araqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١١١١ - ص.ب: ١١٤٤٦١
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







{يَغْشَى} ولمْ يقُلْ: فَلَمَّا غَشيَها؛ لأنَّ تَغَشَّى أَبْلَغُ، وفيهِ شيءٌ من المُعَالَجَةِ.

ولهذا جاءَ في الحديثِ: «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ ثُمَّ جَهَدَهَا» الجلوسُ بينَ شُعَبِها الأربعِ هذا غَشيانٌ، وَ(جَهَدَهَا) هذا تَغَشٍّ.

قولُهُ: {حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً} الحملُ في أوَّلِه خفيفٌ؛ نُطْفَةٌ، ثمَّ عَلَقَةٌ، ثمَّ مُضْغَةٌ.

قولُهُ: {فَمَرَّتْ بِهِ} المرورُ بالشَّيءِ تجاوُزُهُ منْ غيرِ تعبٍ ولا إعياءٍ، والمعنى: تجاوزَتْ هذا الحملَ الخفيفَ منْ غيرِ تعبٍ ولا إعياءٍ.

قولُهُ: {فَلَمَّا أَثْقَلَتْ} الإثقالُ في آخرِ الحملِ.

قولُهُ: {دَعَوَا اللَّهَ} ولمْ يقُلْ: دَعَيَا؛ لأنَّ الفعلَ وَاوِيٌّ، فعادَ إلى أصلِه.

قولُهُ: {اللَّهَ رَبَّهُمَا} أتى بالألوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ؛ لأنَّ الدُّعاءَ يتعلَّقُ به جانبان:

الأوَّلُ: جانبُ الألوهيَّةِ، منْ جهةِ العبدِ أنَّهُ داعٍ، والدُّعاءُ عبادةٌ.

الثَّاني: جانبُ الرُّبوبيَّةِ؛ لأنَّ في الدُّعاءِ تحصيلاً للمطلوبِ، وهذا يكونُ متعلِّقًا باللهِ منْ حيثُ الرُّبوبيَّةُ.

والظَّاهرُ أنَّهما قالا: (اللهُمَّ ربَّنا) ويحتملُ أنْ يكونَ بصيغةٍ أخرى.

قولُهُ: {لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا} أيْ: أعْطَيْتَنَا.

وقولُهُ: {صَالِحًا} هل المرادُ صلاحُ البدنِ أو المرادُ صلاحُ الدِّينِ؛ أيْ: لئِنْ آتَيْتَنا بشرًا سَوِيًّا ليسَ فيهِ عاهةٌ ولا نقصٌ، أوْ صالحًا بالدِّينِ فيكونُ تَقيًّا قائمًا بالواجباتِ؟

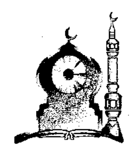
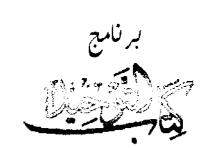
الجوابُ: يشملُ الأمرَيْنِ جميعًا، وكثيرٌ من المفسِّرينَ لم يَذْكُرْ إلاَّ الأمْرَ الأوَّلَ وهوَ الصَّلاحُ البدنيُّ، لكنْ لا مانِعَ منْ أن يكونَ شاملاً للأَمْرَيْنِ جميعًا.

قولُهُ: {لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} أيْ: من القائِمينَ بشُكْرِكَ على هذا الولدِ الصَّالحِ.

والجملةُ هنا جوابُ قَسَمٍ وشَرْطٍ، قسمٌ مُتَقَدِّمٌ وشرطٌ مُتَأَخِّرٌ، والجوابُ فيه للقسمِ؛ ولهذا جاءَ مقرونًا باللامِ: {لَنَكُونَنَّ}.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٢٣٣٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



قولُهُ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ هنا حصَلَ المطلوبُ، لكنْ لمْ يحْصُلِ الشُّكْرُ الَّذي وَعَدَا اللهَ به، بلْ جَعَلا لهُ شُركاءَ فيما آتاهُمَا.

قولُهُ: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ هذا جوابُ (لَمَّا)، والجوابُ مُتعقِّبٌ للشَّرط.

وهذا يدُلُّ على أنَّ الشِّرْكَ منهما حصلَ حينَ إتيانه وهوَ صغيرٌ. ومثلُ هذا لا يُعْرَفُ أيَصْلُحُ في دينِه في المستقبلِ أمْ لا يَصْلُحُ، ولهذا أكثرُ المُفسِّرينَ على أنَّ المُرَادَ بالصَّلاحِ الصَّلاحُ البَدَنيُّ.

فَمُعَاهَدَةُ الإنسانِ ربَّهُ أنْ يفعلَ العبادةَ مُقَابلَ تَفضُّلِ اللهِ عليه بالنِّعْمَةِ الغالبُ أنَّهُ لا يَفي بها.

فَفي سورةِ التَّوْبَةِ قالَ تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

وفي هذهِ الآيَةِ قالَ تعالَى: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ فكانوا من المُشْرِكينَ لا من الشَّاكرينَ، وبهذا نَعْرِفُ الحكمةَ مِنْ نَهْيِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ عن النَّذْرِ؛ لأنَّ النَّذْرَ مُعَاهَدَةٌ معَ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ ولهذا نَهى النَّبيُّ صَلَّىاللهُ عَلَيه وسلَّم عن النَّذرِ وقالَ: «إِنَّهُ لا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ».

وقدْ ذَهَبَ كثيرٌ منْ أهلِ العلمِ إلى تحريمِ النَّذرِ، وظاهرُ كلامِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ أنَّهُ يميلُ إلى تحريمِ النَّذرِ؛ لأنَّ الرَّسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ نَهى عنهُ، ونفَى أنَّهُ يأتي بخيرٍ.

وما الَّذي نستفيدُ منْ أمْرٍ نَهى عنهُ الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ؟

أما إننا لا نستفيدُ إلاَّ المشقَّةَ على أنفسِنَا، وإلزامَ أنفسِنَا بما نحنُ منهُ في عافيَةٍ، ولهذا فالقولُ بتحريمِ النَّذرِ قَوْلٌ قَويٌّ جدًّا، ولا يَعرفُ مقدارَ وَزْنِ هذا القولِ إلاَّ منْ عَرَفَ أسئلةَ النَّاسِ وكَثْرَتَها، ورأَى أنَّهم يَذْهَبُونَ إلى كُلِّ عالِمٍ لعلَّهم يَجِدُونَ خلاصًا مِمَّا نَذَرُوا.

فإنْ قيلَ: هذا الولدُ الَّذي آتاهما اللهُ عزَّ وجلَّ كانَ صالحًا، فكيفَ جَعَلا في هذا الولدِ شِرْكًا بلْ شُرَكَاءَ؟

فالجوابُ: أنْ نقولَ: هذا على ثلاثة أوْجُه:

الوجهُ الأوَّلُ: أن يَعْتَقِدَا أنَّ الَّذي أتَى بهذا الولدِ هوَ الوليُّ الفلانيُّ أو الصَّالحُ الفلانيُّ، فهذا شركٌ أكبرُ؛ لأنَّهما

المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩ http://www.afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠ E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

أضافَا الخلقَ إلى غيرِ اللهِ.

ومنْ هذا أيضًا ما يُوجَدُ عندَ بعضِ الأممِ الإسلاميَّةِ الآنَ، فتجدُ المرأةَ الَّتي لا يأْتيها الولدُ تأتي إلى قبرِ الوليِّ الفلانيِّ، كما يَزْعُمُونَ أنَّهُ وليُّ اللهِ -واللهُ أعلمُ بولايته- فتقولُ: يا سيِّدي فلانًا، أعْطِني الولدَ.

الوجهُ الثَّاني: أن يُضيفَ سلامةَ المولودِ ووقَايَتَهُ إلى الأطبَّاء وإرشاداتِهم، وإلى القَوابلِ وما أشبهَ ذلكَ، فيقولونَ مثلاً: سَلِمَ هذا الولدُ من الطَّلْقِ؛ لأنَّ القابلَةَ امْرَأةٌ مُتْقنةٌ جيِّدَةٌ.

فهنا أضافَ النِّعْمَةَ إلى غيرِ اللهِ، وهذا نَوْعٌ من الشِّرْكِ، ولا يَصِلُ إلى حدِّ الشِّرْكِ الأكبرِ؛ لأنَّهُ أضافَ النِّعمةَ إلى السَّبَبِ، ونَسيَ الْمُسبِّبَ، وهوَ اللهُ عزَّ وجلَّ.

الوجهُ الثَّالثُ: أنْ لا يُشْرِكَ منْ ناحيَةِ الرُّبُوبيَّةِ، بلْ يُؤْمنَ أنَّ هذا الولدَ خرجَ سالمًا بفضلِ اللهِ ورحمته، ولكنْ يُشْرِكُ منْ ناحيَةِ العبوديَّةِ فيُقدِّمُ محبَّتَهُ على محبَّةِ اللهِ ورسولِهِ، ويُلْهيهِ عنْ طاعةِ اللهِ ورسولِهِ، قالَ تعالى: **{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}** فكيفَ تَجْعَلُ هذا الولدَ ندًّا للهِ في المحبَّةِ؟

وربَّما قَدَّمْتَ مَحبَّتَهُ على مَحبَّةِ اللهِ، واللهُ هوَ المُتَفضِّلُ عليكَ بهِ؛ ولهذا قالَ: **{فَلَمَّا آتَاهُمَا}**ففيهِ نَقْدٌ لاذعٌ أنْ يجعلَ شريكًا معَ اللهِ معَ أنَّ اللهَ هوَ المتفضِّلُ بهِ.

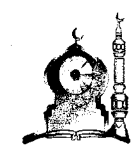
ثمَّ قالَ: **{فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}**؛ أيْ: تَرفَّعَ وتقَدَّسَ عمَّا يُشركونَ بهِ منْ هذهِ الأصنامِ وغيرِهَا.

ومَنْ تأمَّلَ الآيَةَ وجَدَهَا دالَّةً على أنَّ قولَهُ: **{خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}**؛ أيْ: منْ جنسٍ واحدٍ، ليسَ فيها تعرُّضٌ **لآدمَ وحوَّاءَ** بوجهٍ من الوجوهِ، ويكونُ السِّيَاقُ فيها جاريًا على الأسلوبِ العربيِّ الفصيحِ الَّذي لهُ نظيرٌ في القرآنِ كقولِهِ تعالى: **{لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ}** أيْ: منْ جنسِهِم.

وبهذا التَّفسيرِ الواضحِ البيِّنِ يسلَمُ الإنسانُ منْ إشْكَالاتٍ كثيرةٍ.

أمَّا على القولِ الثَّاني بأنَّ المُرَادَ بقولهِ تعالى: **{مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}** أيْ: آدمَ، **{وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا}** أيْ: حوَّاءَ.

فيكونُ معنى الآيَةِ: خلَقَكُمْ منْ آدمَ وحوَّاءَ، فلمَّا جامَعَ **آدمُ حوَّاءَ** **{حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ، فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا}** أيْ: **آدمُ وحوَّاءُ**- اللهَ ربَّهُما لَئنْ آتيْتَنا صالحًا لنكُونَنَّ من الشَّاكرينَ.



{فلمّا آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهما} فأشركَ آدمُ وحوَّاءُ باللهِ.

لكنْ يقولونَ: إشراكَ طاعةٍ، لا إشراكَ عبادةٍ، {فتعالى اللهُ عمّا يشركون}وهذا التَّفسيرُ مُوافق **للمَرْوِيِّ** عن **ابنِ عبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهما.

وسَنُبيِّنُ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- وَجْهَ ضعفه وبُطْلانه.

وهناكَ **قولٌ ثالثٌ:** أنَّ المُرادَ بقولِه تعالى: {من نفسٍ واحدةٍ} أيْ: آدمَ وحوَّاءَ. {فلمّا تغشّاها}انتقلَ من العينِ إلى النَّوعِ، أيْ منْ آدمَ إلى النَّوعِ الَّذي هُمْ بَنُوهُ؛ أيْ: فلمَّا تغشَّى الإنسانُ الَّذي تَسلْسَلَ منْ **آدمَ وحوَّاءَ** زوْجَتَهُ... إلى آخره.

ولهذا قالَ تعالى: {فتعالى اللهُ عمّا يشركون} بالجمعِ، ولَمْ يقُلْ عمَّا يُشْركانِ، ونظيرُ ذلكَ في القرآنِ قولُهُ تعالى: {ولقد زيّنّا السّماءَ الدّنيا بمصابيحَ وجعلناها رجومًا للشّياطين} أيْ: جعَلْنا الشُّهُبَ الخارجةَ منها رُجُومًا للشَّياطينِ، ولَيْسَت المصابيحَ نفسَها.

وقولُهُ تعالى: {ولقد خلقنا الإنسانَ من سلالةٍ من طينٍ (١٢) ثمّ جعلناه نطفةً} أيْ: جعَلْناهُ بالنَّوعِ. وعلى هذا؛ فأوَّلُ الآيَةِ في آدمَ وحوَّاءَ، ثمَّ صارَ الكلامُ من العينِ إلى النَّوعِ، وهذا التَّفسيرُ لهُ وَجْهٌ، وفيهِ تَنْزيهُ **آدمَ وحوَّاءَ** من الشِّركِ، لكنْ فيهِ شيءٌ من الرَّكَاكَةِ لتَشتُّتِ الضَّمائرِ.

وأمَّا قولُهُ تعالى: {فتعالى اللهُ عمّا يشركون} فَجَمْعٌ؛ لأنَّ المرادَ بالمثنَّى الجنسُ أو الاثنانِ منْ هذا الجنسِ، فَصَحَّ أنْ يعودَ الضَّميرُ إليهِ مجموعًا كما في قولِهِ تعالى: {وإنْ طائفتانِ من المؤمنينَ اقتتلوا} ولَمْ يقُلْ: اقْتَتَلَتا؛ لأنَّ الطَّائفتَيْنِ جماعةٌ.

(٢) قولُهُ: «**اتَّفقوا**» أيْ: أجْمَعُوا، والإجماعُ أحدُ الأدلَّةِ الشَّرعيَّةِ الَّتي تَثْبُتُ بها الأحكامُ، والأدلَّةُ هيَ: **الكتابُ، والسُّنَّةُ، والإجماعُ، والقياسُ.**

قولُهُ: «**وما أَشْبَهَ ذلكَ**» مثلُ: عبدِ الحُسَيْنِ، وعبدِ الرَّسولِ، وعبدِ المسيحِ، وعبدِ عَليٍّ.

وأمَّا قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ...**» الحديثَ، فهذا وصفٌ وليسَ عَلَمًا،

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

فَشَبَّهَ الْمُنهَمِكَ بمحبَّةِ هذهِ الأشياءِ، الْمُقَدِّمَ لها على ما يُرْضِي اللهَ، بالعابدِ لها، كقولِكَ: عابدُ الدِّينَارِ، فهوَ وَصْفٌ، فلا يُعَارِضُ الإجماعَ.

قولُهُ: «حَاشَا عَبْدَ الْمُطَّلِب» حاشا الاستثنائيَّةُ إذا دخَلَتْ علَيْها (مَا) وجَبَ نصبُ ما بعدَها، وإلاَّ جازَ فيهِ النَّصبُ والجرُّ.

وبالنِّسْبَةِ: (**لعبدِ المُطَّلب**) مُستثْنًى من الإجماعِ على تحريمِهِ، فهوَ مُختَلَفٌ فيهِ، فقالَ بعضُ أهلِ العلمِ: لا يُمْكِنُ أنْ نَقُولَ بالتَّحريمِ، والرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم قالَ:

أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ ... أَنَا ابْنُ عَبدِ المُطَّلِبْ

(**فالنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ لا يفعلُ حرامًا، فيجوزُ أنْ يُعبَّدَ للمُطَّلبِ إلاَّ إذا وُجِدَ ناسِخٌ**)

وهذا تقريرُ ابنِ حزمٍ رَحِمَهُ اللهُ.

ولكنَّ الصَّوابَ تحريمُ التَّعبيد للمُطَّلب، فلا يَجُوزُ لأحدٍ أنْ يُسَمِّيَ ابنَهُ **عبدَ المُطَّلب**.

وأمَّا قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «أَنَا ابْنُ **عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**» فهوَ منْ بابِ الإخبارِ، وليسَ منْ بابِ الإنشاءِ، فالنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم أخبرَ أنَّ لهُ جَدًّا اسمُهُ عبدُ المُطَّلبِ، ولمْ يَرِدْ عنهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ أنَّهُ سَمَّى **عبدَ المُطَّلب**، أوْ أنَّهُ أمَرَ أحدًا منْ صَحَابَتِهِ بذلكَ، ولا أنَّهُ أَقَرَّ أحدًا على تسميتِهِ **عبدَ المُطَّلب**، والكلامُ في الحُكْمِ، لا في الإخْبَارِ، وفَرْقٌ بينَ الإخبارِ والإنشاءِ والإقرارِ.

ولهذا قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «**إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ**» ولا يَجُوزُ التَّسَمِّي بِعَبْدِ مَنَافٍ.

وقدْ قالَ العلماءُ: (إنَّ ناقلَ الكُفْرِ ليسَ بكافرٍ، فالرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ يتكلَّمُ عنْ شيءٍ قدْ وقعَ وانْتَهَى ومَضَى، فالصَّوابُ أنَّهُ لا يجوزُ أنْ يُعَبَّدَ لغيرِ اللهِ مُطْلَقًا؛ لا بـعبدِ المطَّلبِ ولا غيرِهِ، وعليهِ فيكونُ التَّعبيدُ لغيرِ اللهِ منْ بابِ الشِّركِ).

قال في (تيسير العزيز الحميد) (ص: ٦٤١): (**لا تجوز التسمية بعبد المطلب ولا غير مما عُبِّد لغير الله، وكيف تجوز التسمية وقد أجمع العلماء على تحريم التسمية بعبد النبي، وعبد الرسول، وكل هذه أولى بالجواز من عبد المطلب لو جازت التسمية به.**

أما قوله صلى الله عليه وسلم «أنا ابن عبد المطلب» فهذا ليس من باب إنشاء التسمية بذلك، وإنما هو من باب الإخبار بالاسم الذي عرف به المسمى دون غيره، والإخبار بمثل ذلك على وجه تعريف المسمى لا يحرم، ولا وجه لتخصيص ابن حزم ذلك بعبد المطلب خاصة) .

فإن قيل: إن ابن حزم حكى الإجماع على جواز التسمية بعبد المطلب فكيف يجوز خلافه؟

قيل: كلامه ليس صريحاً في حكاية الإجماع، وليس كل من حكى إجماعاً يسلم له، ولا كل إجماع يكون حجة أيضاً، فكيف والخلاف موجود، والسنة فاصلة بين المتنازعين.

(٣) قولُهُ: (**إِبْلِيسُ**) على وَزْنِ (إفْعِيل) فقيلَ: مِنْ أَبْلَسَ إذا يَئِسَ؛ لأنَّهُ يَئِسَ مِنْ رحمةِ اللهِ تعالى.

قولُهُ: (**لَتُطِيعَانِّي**) جملةٌ قسميَّةٌ؛ أيْ: واللهِ لَتُطِيعَانِّي.

قولُهُ: (**أَيِّل**) ذَكَرُ الأَوْعال.

قولُهُ: (**سَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِث**) اختارَ هذا الاسمَ؛ لأنَّهُ اسمُهُ، فأرادَ أنْ يُعَبِّدَاهُ لنفسه.

قولُهُ: (**فَخَرَجَ مَيِّتًا**) لَم يَحْصُل التَّهديدُ الأوَّلُ. ويَجُوزُ أنْ يكونَ مِنْ جُمْلَةِ: (**وَلأَفْعَلَنَّ**) ولأنَّهُ قالَ: (**وَلأُخْرِجَنَّهُ مَيِّتًا**).

قولُهُ: (**شُرَكَاءَ فِي طَاعَتِهِ**) أيْ: أَطَاعَاهُ فيما أمرَهُمَا به، لا في العبادة، لكنْ عَبَّدَا الولدَ لغيرِ اللهِ، وفرقٌ بينَ الطَّاعةِ والعبادةِ، فلوْ أنَّ أحدًا أطاعَ شخصًا في معصيةٍ للهِ لم يَجْعَلْهُ شريكًا معَ اللهِ في العبادةِ، لكنْ أطَاعَهُ في معصيَةِ اللهِ.

قولُهُ: (**أَشْفَقَا أَنْ لاَ يَكُونَ إِنْسَانًا**) أيْ: خافَ آدمُ وحوَّاءُ أنْ يكُونَ حيوانًا أوْ جنِّيًّا أوْ غيرَ ذلكَ.

قولُهُ: (**وذَكَرَ مَعناهُ عن الحَسَنِ**) لكنَّ الصَّحيحَ أنَّ الحسنَ يرحمُهُ اللهُ قالَ: إنَّ المرادَ بالآيةِ غيرُ آدمَ وحوَّاءَ، وأنَّ المرادَ بها المشركونَ مِنْ بَنِي آدمَ.

كَمَا ذَكَرَ ذلكَ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِهِ وقالَ: (**أَمَّا نحنُ فَعَلَى مذهبِ الحسنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ في هذا، وأنَّهُ ليسَ المرادُ منْ هذا السياقِ آدمَ وحوَّاءَ، وإنَّما المرادُ منْ ذلكَ المشركونَ منْ ذُرِّيَّتِه**).

وهذهِ القِصَّةُ باطلةٌ منْ وُجُوهٍ:

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٢ - ص.ب: ٣٠١١٢٤٦
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.araqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

الوجهُ الأوَّلُ: أنَّهُ ليسَ في ذلكَ خبرٌ صحيحٌ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ، وهذا من الأخبارِ التي لا تُتَلَقَّى إلاَّ بالوحيِ، وقدْ قالَ ابنُ حَزْمٍ عنْ هذهِ القصَّة: إنَّها روَايَةٌ خُرَافَةٌ مكذوبةٌ موضوعةٌ.

الوجهُ الثَّاني: أنَّهُ لوْ كانتْ هذه القصَّةُ في آدمَ وحوَّاءَ لكانَ حالُهُما إمَّا أنْ يَتُوبا من الشِّركِ، أوْ يَمُوتَا عليه، فإنْ قُلْنَا: مَاتَا عليه كانَ ذلكَ أعظمَ منْ قولِ بعضِ الزَّنادقة:

إذا مَا ذَكَرْنَا آدمًا وفعَالَهُ ... وتَزْويجَهُ بِنْتَيْهِ بابْنَيْهِ بالخَنَا

عَلِمْنَا بأنَّ الخلْقَ منْ نَسْلِ فاجرٍ ... وأنَّ جميعَ النَّاسِ منْ عُنْصُرِ الزِّنَا

فَمَنْ جَوَّزَ موتَ أحدٍ من الأنبياءِ على الشِّركِ فقدْ أعظمَ الفريَةَ.

وإنْ كانَا تابَا من الشِّركِ فلا يليقُ بحكْمَةِ اللهِ وعدلِه ورحمتِه أنْ يَذْكُرَ خطأَهُمَا، ولا يذْكُرَ تَوْبَتَهُمَا منهُ، فيمتنعُ غايَةَ الامتناعِ أنْ يذْكُرَ اللهُ الخطيئةَ منْ آدمَ وحوَّاءَ وقدْ تَابَا، ولمْ يذْكُرْ تَوْبَتَهُمَا.

واللهُ تعالى إذا ذكرَ خَطِيئَةَ بعضِ أنبيائِهِ ورُسُلِهِ ذكرَ تَوْبَتَهُم منها كما في قِصَّةِ آدمَ نفسِهِ حينَ أكلَ من الشجرةِ وزَوْجُهُ فَتَابَا منْ ذلكَ.

الوجهُ الثَّالثُ: أنَّ الأنبياءَ معصومونَ من الشِّركِ باتِّفاقِ العلماءِ.

الوجهُ الرَّابعُ: أنَّهُ ثبتَ في حديثِ الشَّفاعةِ أنَّ النَّاسَ يأتونَ إلى آدمَ يَطْلُبونَ منهُ الشَّفاعةَ، فَيَعْتَذِرُ بأكْلِهِ من الشَّجرةِ، وهوَ مَعْصِيَةٌ، ولوْ وقعَ منهُ الشِّركُ لكانَ اعتذارُهُ به أعظمَ وأوْلَى وأحْرَى.

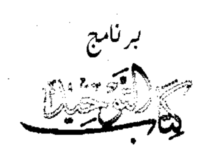
الوجهُ الخامسُ: أنَّ في هذهِ القصَّةِ أنَّ الشَّيطانَ جاءَ إلَيْهِمَا وقالَ: «أَنَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ».

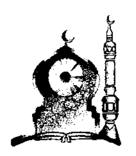
وهذا لا يقولُهُ مَنْ يُريدُ الإغواءَ، وإنَّمَا يأتي بشيءٍ يُقَرِّبُ قَبولَ قَوْلِه، فإذا قالَ: «أَنَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ» سَيَعْلَمانِ عِلْمَ اليقينِ أنَّهُ عَدُوٌّ لهما فلا يَقْبَلانِ منهُ صَرْفًا ولا عَدْلاً.

الوجهُ السَّادسُ: أنَّ في قَوْلِهِ في هذهِ القصَّةِ: «لأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ» إمَّا أنْ يُصدِّقَا أنَّ ذلكَ مُمْكِنٌ في حقِّه، وهذا شركٌ في الرُّبُوبيَّةِ؛ لأنَّهُ لا خالقَ إلاَّ اللهُ، أوْ لا يُصدِّقا، فلا يُمْكِنُ أن يَقْبَلا قولَهُ وهما يَعْلَمانِ أنَّ ذلكَ غيرُ ممكنٍ في حقِّه.

الوجهُ السَّابعُ: قولُهُ تعالى: {فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} بضميرِ الجمعِ، ولوْ كانَ آدمَ وحوَّاءَ لقالَ: عمَّا

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٣٨٠٧٣٠






يُشْرِكان.

فهذه الوجوهُ تدلُّ على أنَّ هذه القصَّةَ باطلةٌ منْ أساسِهَا، وأنَّهُ لا يجوزُ أنْ يُعْتَقدَ في آدمَ وحوَّاءَ أن يقعَ منهما شركٌ بأيِّ حالٍ من الأحوالِ، والأنبياءُ مُنزَّهُونَ عن الشِّركِ مُبرَّءُونَ منهُ باتِّفاقِ أهلِ العلمِ.

وعلى هذا؛ فيكونُ تفسيرُ الآيَةِ كما أسْلَفْنَا أنَّها عائدةٌ إلى بني آدمَ الَّذينَ أشْرَكُوا شِرْكًا حقيقيًّا؛ فإنَّ منهم مُشْرِكًا، ومنهم مُوَحِّدًا.

ومع قوة ما قرره الشارح -رحمه الله- إلا أن فيه نظراً يرجع إلى أصلين كبيرين:

الأول: أنه ثبت تفسير الآية بذلك عن الحجة من الصحابة رضي الله عنهم، ولا يعرف عن أحد منهم غيره.

قال في (تيسير العزيز الحميد) (ص: ٦٣): (**وإذا تأملت سياق الكلام من أوله إلى آخره مع ما فسره به السلف تبين قطعاً أن ذلك في آدم وحواء عليهما السلام؛ فإن فيه غير موضع يدل على ذلك، والعجب ممن يكذب بهذه القصة وينسى ما جرى أول مرة، ويكابر بالتفاسير المبتدعة، ويترك تفاسير السلف وأقوالهم**) .

الثاني: أن هذه الأوجه السبعية يمكن نقضها بما نذكره - بإذن الله - في محل آخر، ولو امتنع دفعها فهي ساقطة في مقابل اجماع الصحابة رضوان الله عليهم.

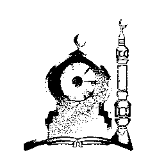
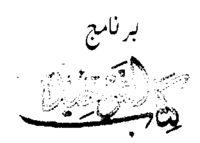
فيهِ مسائلُ:

(٤) **الأولى:** (**تحريمُ كلِّ اسمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ**) تُؤخذُ من الإجماعِ على ذلكَ، والإجماعُ هو الأصلُ الثَّالثُ من الأصولِ الَّتي يُعتمَدُ عليها في الدِّينِ. والصَّحيحُ أنَّهُ مُمْكِنٌ وأنَّهُ حُجَّةٌ إذا حصَلَ؛ لقولِهِ تعالى: **{فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ}**. و(إنْ) هذه شرطيَّةٌ لا تَدُلُّ على وقوعِ التَّنازُعِ، بلْ إنْ فُرِضَ وَوَقَعَ فَالْمَرَدُّ إلى اللهِ ورسولِهِ، فعُلِمَ منهُ أنَّنا إذا أَجْمَعْنا فهوَ حُجَّةٌ.

لكنَّ ادِّعَاءَ الإجماعِ يحتاجُ إلى بَيِّنةٍ، ولهذا قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ: (**الإجماعُ الَّذي يَنْضَبِطُ ما كانَ عليهِ السَّلَفُ؛ إذْ بَعْدَهُم كَثُرَ الاختلافُ**).

ولَمَّا قيلَ للإمامِ أحمدَ: (**إنَّ فلانًا يَقُولُ: أَجْمَعُوا عَلَى كذا، أَنْكَرَ ذلكَ وقالَ: وما يُدْرِيهِ لعَلَّهم اخْتَلَفوا، فَمَن ادَّعَى الإجماعَ فهوَ**

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

كاذبٌ).

ولعلَّ الإمامَ **أحمدَ** قالَ ذلكَ؛ لأنَّ المُعتَزِلَةَ وأهلَ التَّعطيلِ كانوا يَتَذرَّعونَ إلى إثباتِ تعطيلِهم وشُبَهِهم بالإجماعِ، فيقولونَ: هذا إجماعُ المُحقِّقينَ، وما أشبهَ ذلكَ.

وقدْ سبقَ أنَّ الصَّحيحَ أنَّهُ لا يجوزُ التَّعْبيدُ للمُطَّلبِ، وأنَّ قولَ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «**أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**» أنَّهُ منْ قَبيلِ الإخبارِ وليسَ إقرارًا ولا إنْشَاءً، والإنسانُ لهُ أنْ يَنْتَسِبَ إلى أبيهِ وإنْ كانَ مُعَبَّدًا لغيرِ اللهِ، وقدْ قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «**يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ**» وهذا تَعْبيدٌ لغيرِ اللهِ، لكنَّهُ منْ بابِ الإخبارِ.

(٥) **الثَّانيةُ**: (**تفسيرُ الآيَةِ**) وقدْ سبقَ ذلكَ.

(٦) **الثَّالثةُ**: (**أنَّ هذا الشِّرْكَ في مُجَرَّدِ تَسْمِيَةٍ لَمْ تُقْصَدْ حقيقَتُها**) وهذا بناءً على ما ذُكِرَ عن **ابنِ عبَّاسٍ** رَضيَ اللهُ عَنْهما.

والصَّوابُ: أنَّ هذا الشِّركَ حَقٌّ حقيقةً، وأنَّهُ شِرْكٌ منْ إشْراكِ بني آدمَ، لا منْ **آدَمَ وحوَّاءَ**؛ ولهذا قالَ تعالى في الآيةِ نفسِها: **{أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ}**، فهذا الشِّركُ الحقيقيُّ الواقعُ منْ بني آدمَ.

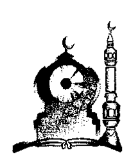
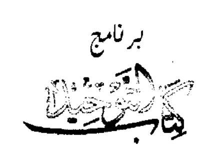
وعلى ما سبق ذكره في مقابل قول الشارح يكون ما ذكره المصنف - رحمه الله - صحيحاً.

(٧) **الرَّابعةُ**: (**أنَّ هِبَةَ اللهِ للرَّجُلِ البنتَ السَّويَّةَ من النِّعَمِ**) هذا بناءً على ثُبوتِ القِصَّةِ، وأنَّ المرادَ بقولِهِ: **{صَالِحًا}** أيْ: بَشَرًا سَوِيًّا.

وأتى المُؤلِّفُ بالبنتِ دونَ الولدِ؛ لأنَّ بعضَ النَّاسِ يَرَوْنَ أنَّ هبَةَ البنتِ من النِّقَمِ، قالَ تعالى: **{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}** وإلاَّ فَهِبَةُ الولدِ الذَّكرِ السَّويِّ منْ بابِ النِّعَمِ أيضًا، بلْ هوَ أكْبَرُ نعمةً منْ هبةِ الأُنْثى، وإنْ كانَتْ هبةُ البنتِ بها أجرٌ عظيمٌ فيمَنْ كَفَلَها وربَّاها وقامَ عليها.

(٨) **الخامسةُ**: (**ذِكْرُ السَّلَفِ الفرْقَ بَيْنَ الشِّرْكِ في الطَّاعَةِ والشِّرْكِ في العبادةِ**) وقبلَ ذلكَ نُبيِّنُ الفرقَ بينَ الطَّاعةِ وبينَ **العبادةِ**، فالطَّاعةُ إذا كانَتْ مَنْسُوبَةً للهِ فلا فَرْقَ بينَها وبينَ العبادةِ؛ فإنَّ عبادةَ اللهِ طَاعَتُهُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وأمَّا الطَّاعةُ المَنْسُوبَةُ لغيرِ اللهِ فإنَّها غيرُ العبادة، فنحنُ نُطيعُ الرَّسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم، لَكِنْ لا نَعْبُدُهُ، والإنسانُ قدْ يُطيعُ مَلكًا منْ ملوكِ الدُّنيا وهوَ يَكْرَهُهُ.

فالشِّركُ بالطَّاعة: أنِّي أَطَعْتُهُ لا حُبًّا وتعظيمًا وذُلًّا كما أُحِبُّ اللهَ وأَتذلَّلُ لهُ وأُعَظِّمُهُ، ولكنَّ طاعتَهُ اتِّباعٌ لأمْرِهِ فقطْ، هذا هوَ الفَرْقُ.

وَبِناءً على القِصَّة، فإنَّ **آدمَ وحوَّاءَ** أطَاعَا الشَّيطانَ ولمْ يَعْبُدَاهُ عبادة، وهذا مَبْنِيٌّ على صحَّةِ القصَّة.

(**٩**) هذا البابُ يَتَعَلَّقُ **بتوحيدِ الأسماءِ والصِّفَات**؛ لأنَّ هذا الكتابَ جامعٌ لأنواعِ التَّوحيدِ الثَّلاثة: **توحيد العبادة، وتوحيد الرُّبُوبيَّة، وتوحيد الأسماء والصِّفَات**.

وتَوْحيدُ الأسماءِ والصِّفات: هوَ إفرادُ اللهِ عزَّ وجلَّ بما ثَبَتَ لهُ منْ صفاتِ الكمالِ على وجهِ الحقيقة، بلا تمثيلٍ ولا تَكْييفٍ ولا تَعْطِيلٍ؛ لأنَّكَ إذا عَطَّلْتَ لمْ تُثْبِتْ، وإنْ مَثَّلْتَ لمْ تُوَحِّدْ، والتَّوحيدُ مُرَكَّبٌ منْ إثباتٍ ونفيٍ؛ أيْ: إثباتِ الحكمِ للمُوَحَّدِ ونفيهِ عمَّا عداهُ، فمثلاً إذا قُلْتَ: (زَيْدٌ قَائِمٌ) لمْ تُوَحِّدْهُ بالقيامِ، وإذا قُلْتَ: (زَيْدٌ غَيْرُ قائمٍ) لمْ تُثْبِتْ لهُ القيامَ، وإذا قُلْتَ: (لاَ قَائِمٌ إلاَّ زَيْدٌ) وحَّدْتَهُ بالقيامِ.

وإذا قُلْتَ: **لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وَحَّدْتَهُ بالألوهيَّة**، وإذا أَثْبَتَّ للهِ الأسماءَ والصِّفاتِ دونَ أنْ يُمَاثِلَهُ أحدٌ، فهذا هوَ توحيدُ الأسماءِ والصِّفات، وإنْ نَفيْتَها عنهُ فهذا تعطيلٌ، وإنْ مَثَّلْتَ فهذا إشْرَاكٌ.

قولُهُ: **﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾** طريقُ التَّوحيدِ هنا تقديمُ الخبرِ؛ لأنَّ تقديمَ ما حقُّهُ التَّأخيرُ يُفيدُ الحصرَ، ففي الآيَةِ توحيدُ الأسماءِ للهِ.

قولُهُ: **﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾** مُؤَنَّثُ (أَحْسَنَ) فهيَ اسمُ تفضيلٍ.

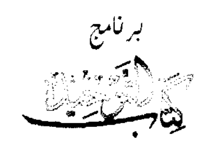
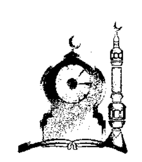
ومعنى (**الْحُسْنَى**) أي: البالغةُ في الحسنِ أَكْمَلَهُ؛ لأنَّ اسمَ **التَّفضيلِ** يَدُلُّ على هذا. والتَّفضيلُ هنا **مُطْلَقٌ**؛ لأنَّ اسمَ التَّفضيلِ قدْ يكونُ مُطْلَقًا، مثلَ: (زَيْدٌ الأفضلُ).

وقدْ يكونُ **مُقَيَّدًا**، مثلَ: (زَيْدٌ أفضلُ منْ **عمرٍو**).

وهنا التَّفضيلُ مُطْلَقٌ؛ لأنَّهُ قالَ: **﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾** فأسماءُ اللهِ تعالى بالغةٌ في الحسنِ أكملَهُ منْ كُلِّ وجهٍ، ليسَ فيها نقصٌ؛ لا فَرْضًا ولا احْتِمَالاً.

وما يُخْبَرُ بهِ عنِ اللهِ أَوْسَعُ ممَّا يُسَمَّى بهِ اللهُ؛ لأنَّ اللهَ يُخبَرُ عنهُ بالشَّيءِ، ويُخبَرُ عنهُ بالْمُتكلِّمِ والمُريدِ، معَ أنَّ الشَّيءَ لا يَتَضَمَّنُ مدحًا، والمتكلِّمُ والمريدُ يتضمَّنانِ مدحًا منْ وجهٍ وغيرَ مدحٍ منْ وجهٍ، ولا يُسَمَّى اللهُ بذلِكَ، فلا

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com


يُسَمَّى بالشَّيءِ ولا بالْمُتَكلِّمِ ولا بالْمُرِيدِ، لكنْ يُخبَرُ بذلكَ عنهُ.

قولُهُ: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الدُّعَاءُ هوَ السُّؤَالُ.

والدُّعاءُ قدْ يكونُ **بلسانِ المقالِ**، مثلِ: اللهُمَّ اغْفرْ لي يا غفورُ، وهكذا. أوْ بلسانِ **الحالِ**، وذلكَ بالتعبُّدِ لهُ.

ولهذا قالَ العلماءُ: (إنَّ الدُّعَاءَ دعاءُ مَسأَلةٍ وعبادةٍ؛ لأنَّ حقيقةَ الأمرِ أنَّ الْمُتَعَبِّدَ يَرْجُو بلسانِ حالِهِ رحمةَ اللهِ ويَخَافُ عِقَابَهُ.

والأمرُ بدعاءِ اللهِ بها يَتَضمَّنُ الأمرَ بمَعْرِفَتِهَا؛ لأنَّهُ لا يُمْكِنُ دعاءُ اللهِ بها إلاَّ بعدَ معرفتِهَا، والأمرُ للوُجُوبِ، ويَقْتَضِي وُجُوبَ عِلْمِنَا بأسماءِ اللهِ، ومعلومٌ أيضًا أنَّنا لا نَعْلَمُهَا أسماءً مُجَرَّدَةً عن المعاني، بلْ لا بُدَّ أنَّ لها معانيَ فلا بُدَّ أن نَبْحَثَ فيها؛ لأنَّ عِلْمَهَا ألفاظًا مجرَّدةً لا فائدةَ فيهِ، وإنْ قُدِّرَ أنَّ فيهِ فائدةً بالتَّعبُّدِ باللفظِ فإنَّهُ لا يَحْصُلُ بهِ كمالُ الفائدةِ).

وقولُهُ: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾، **لهُ معنيان**:

الأوَّلُ: دعاءُ العبادةِ، وذلكَ بأنْ تتعبَّدَ للهِ بما تقتضيهِ تلكَ الأسماءُ.

ويُطلَقُ على الدُّعَاءِ عبادةٌ، قالَ تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ ولمْ يقُلْ عَنْ دُعَائِي، فَدَلَّ على أنَّ الدُّعَاءَ عبادةٌ، فَمَثَلاً: الرَّحيمُ يدُلُّ على الرَّحمةِ، وحينَئذٍ تَتَطَلَّعُ إلى أسبابِ الرَّحمةِ وتَفْعَلُهَا، والغفورُ يدلُّ على المغفرةِ، وحينئذٍ تتعرَّضُ لمغفرةِ اللهِ عزَّ وجلَّ بكثرةِ التَّوبةِ والاستغفارِ كذلكَ، وما أشْبَهَ ذلكَ.

والقريبُ: يَقْتَضِي أنْ تَتَعَرَّضَ إلى القُرْبِ منهُ بالصَّلاةِ وغيرِهَا، وأقْرَبُ ما يكونُ العبدُ منْ رَبِّهِ وهوَ ساجدٌ.

والسَّميعُ: يَقْتَضِي أنْ تتعبَّدَ للهِ بمقتضى السَّمعِ بحيثُ لا تُسْمِعُ اللهَ قولاً يُغْضِبُهُ ولا يَرْضَاهُ منكَ.

والبصيرُ: يَقْتَضِي أنْ تتعبَّدَ للهِ بمقتضى ذلكَ البصرِ بحيثُ لا يَرَى منكَ فعلاً يَكْرَهُهُ منكَ.

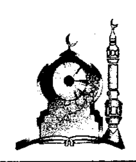
الثَّاني: دُعاءُ المسألةِ، وهوَ: أنْ تُقَدِّمَهَا بينَ يَدَيْ سُؤَالِكَ مُتوسِّلاً بها إلى اللهِ تعالى.

مثلاً: يا حَيُّ، يا قَيُّومُ اغفرْ لي وارْحَمْنِي.

وقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم: «فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

والإنسانُ إذا دَعَا وَعَلَّلَ فَقَدْ أَثْنَى على رَبِّهِ بهذا الاسمِ طالبًا أنْ يكونَ سببًا للإجابةِ، والتَّوسُّلُ بصفةِ المَدْعُوِّ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





المرغوبة لهُ سببٌ للإجابة؛ فالثَّناءُ علَى اللهِ بأسمائه منْ أسبابِ الإجابة.

قولُهُ: {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ}، {ذَرُوا} اتْرُكُوا، {الَّذِينَ} مفعولٌ به، وجُمْلَةُ {يُلْحِدُونَ} صلةُ الموصولِ.

ثُمَّ تَوعَّدَهُم بقولِهِ: {سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وهوَ الإلحادُ؛ أيْ: سيُجْزَوْنَ جزاءَهُ المُطابِقَ للعملِ تمامًا.

ولهذا يُعَبِّرُ اللهُ تعالى بالعملِ عن الجزاءِ إشارةً للعدلِ، وأنَّهُ لا يُجْزَى الإنسانُ إلاَّ بقَدْرِ عملِهِ.

والمعنى: ذَرُوهُمْ؛ أيْ: لا تَسْلُكوا مَسْلَكَهُم ولا طريقَهُم؛ فإنَّهُم على ضلالٍ وعُدْوانٍ. وليسَ المعنى عدمَ مُناصحتِهِم وبيانِ الحقِّ لهم؛ إذْ لا يُتْرَكُ الظَّالِمُ على ظُلْمِه.

والإلحادُ: مأخوذٌ من اللَّحْدِ، وهوَ الميلُ، لَحَدَ وأَلْحَدَ بمعنى مَالَ، ومنهُ سُمِّيَ الحفْرُ بالقبرِ لَحْدًا؛ لأنَّهُ مائلٌ إلى جهةِ القِبلةِ.

قال ابن فارس: **(في مادة اللام والحاء والدال: هي أصل يدل على ميل عن استقامة)**.

والإلحادُ في أسماءِ اللهِ الميلُ بها عمَّا يَجبُ فيها.

قال ابن القيم رحمه الله: **(في الإلحاد في أسماء الله وصفاته، وحقيقة الإلحاد فيها الميلُ بالإشراك والتعطيل والكفران)**

وهوَ أنواعٌ:

الأوَّلُ: أنْ يُنْكِرَ شيئًا من الأسماءِ أوْ ممَّا دلَّتْ عليهِ من الصِّفاتِ أو الأحكامِ، ووجْهُ كونه إلحادًا: أنَّهُ مالَ بها عمَّا يجبُ لها؛ إذ الواجبُ إثباتُها، وإثباتُ ما تَتَضَمَّنُهُ من الصفاتِ والأحكامِ.

الثَّاني: أنْ يُثْبِتَ أسماءَ اللهِ ويَزيدَ أسماءً **لمْ يُسَمِّ اللهُ بها نفسَهُ**؛ كقولِ الفلاسفةِ في اللهِ: إنَّهُ علَّةٌ فاعلةٌ في هذا الكونِ تَفْعَلُ، وهذا الكونُ مَعْلُولٌ لها، وليسَ هناكَ إلَهٌ، وبعضُهُم يُسَمِّيهِ العقلَ الفعَّالَ، فالَّذي يُديرُ هذا الكونَ هوَ العقلُ الفعَّالُ، وكذلكَ النَّصارى يُسَمُّونَ اللهَ أبًا، وهذا إلحادٌ.

الثَّالثُ: أنْ **يجعلَهَا دالَّةً على التَّشبيه**، فيقولُ: اللهُ سميعٌ بصيرٌ قديرٌ، والإنسانُ سميعٌ بصيرٌ قديرٌ، اتَّفقَتْ هذه الأسماءُ فيَلْزَمُ أنْ تَتَّفِقَ المُسَمَّياتُ، ويكونُ اللهُ سُبْحَانَهُ وتعالى مُمَاثِلاً للخلقِ، فيَتَدَرَّجُ بتوافُقِ الأسماءِ إلى التَّوافُقِ بالصِّفاتِ.

ووجهُ الإلحادِ: أنَّ أسماءَهُ دالَّةٌ على مَعَانٍ لائقةٍ باللهِ لا يُمْكِنُ أنْ تكونَ مُشابهةً لِمَا تَدُلُّ عليهِ من المعاني في المخلوقِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الرَّابعُ: أنْ يَشْتَقَّ مِنْ هذه الأسماءِ أسماءً للأصنامِ؛ كتسميَةِ اللاتِ من الإلهِ أوْ من اللهِ، والعُزَّى من العزيزِ، ومَنَاةَ مِن الْمَنَّانِ، حتَّى يُلْقُوا عليها شيئًا من الألوهيَّةِ؛ ليُبَرِّرُوا ما هُمْ عليه.

قولُهُ: {سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} لمْ يقُلْ: سيُجْزَوْنَ العقابَ؛ إشارةً إلى أنَّ الجزاءَ منْ جنْسِ العملِ، وهذا وعيدٌ، وهوَ كقولِهِ تعالى: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ}وليسَ المعنى أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ مشغولٌ الآنَ وسيَلْحَقُهُ الفراغُ فيما بعدُ.

قولُهُ: {يَعْمَلُونَ}العملُ يُطلَقُ على القولِ والفعلِ، قالَ تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}وهذا يكونُ في الأفعالِ والأقوالِ.

(١٠) قولُهُ: {يُشْرِكُونَ} **تفسيرٌ للإلحادِ يَتَضَمَّنُ الإشراكَ بها من جهَتَيْن:**

- **بأنْ يجْعَلوهَا دالَّةً على المُمَاثَلَةِ.**
- **أوْ يَشْتَقُّوا منها أسماءً للأصنامِ.**

فمَنْ جعلَها دالَّةً على المماثلةِ فقدْ أشركَ؛ لأنَّهُ جعلَ للهِ مثيلاً، ومَنْ أخذَ منها أسماءً لأصنامه فقدْ أشْرَكَ؛ لأنَّهُ جعلَ مُسَمَّيَاتِ هذهِ الأسماءِ مُشارِكةً للهِ عزَّ وجلَّ.

وقولُهُ: (**عنْهُ**)؛ أي: **ابنِ عبَّاسٍ**.

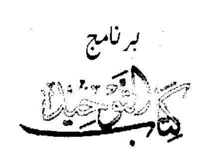
قولُهُ: (**سَمَّوا اللاتَ من الإلهِ...**) وهذا أَحَدُ نوْعَي الإشراكِ بها، أن يُشْتَقَّ منها أسماءٌ للأصنامِ.

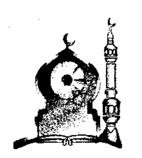
قولُهُ: (**عَنِ الأَعْمَشِ: يُدْخِلُونَ فيها ما لَيْسَ منها**) هذا أحدُ أنواعِ الإلحادِ، وهوَ أنْ يُسَمَّى اللهُ بما لمْ يُسَمِّ بهِ نفسَهُ، ومَنْ زادَ فيها فقدْ أَلْحَدَ؛ لأنَّ الواجبَ فيها الوقوفُ على ما جاءَ بهِ السَّمعُ.

تَتِمَّةٌ:

جاءت النصوصُ بالوعيدِ على الإلحادِ في آياتِ اللهِ، كما في قولِهِ تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا} فقولُهُ: {لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا}فيها تهديدٌ؛ لأنَّ المعنى سنُعَاقِبُهُم. والجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ بإنَّ.

وآياتُ اللهِ تَنْقَسِمُ إلى قسمَيْنِ:







الأول: آياتٌ كَوْنيَّةٌ وهيَ: كلُّ المخلوقاتِ من السَّماواتِ والأرضِ والنُّجُومِ والجبالِ والشَّجرِ وسائرِ الدَّوابِّ وغيرِ ذلكَ.

قالَ الشَّاعرُ:

فواعَجبًا كيفَ يُعصَى الإلهُ ... أمْ كيفَ يجحدُهُ الجاحدُ

وفي كُلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ ... تدلُّ على أنَّهُ واحدُ

والإلحادُ في الآياتِ الكونيَّةِ ثلاثةُ أنواعٍ:

أحدها: اعتقادُ أنَّ أحدًا سوى الله مُنْفرِدٌ بها أوْ ببعضِهَا.

ثانيها: اعتقادُ أنَّ أحدًا مُشارِكٌ لله فيها.

ثالثها: اعتقادُ أنَّ لله فيها مُعينًا في إيجادِهَا وخلقِهَا وتدبيرِهَا، والدَّليلُ قولُهُ تعالى: **{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ}**

(ظَهيرٌ)؛ أيْ: مُعينٌ.

وكُلُّ ما يُخلُّ بتوحيدِ الرُّبُوبيَّةِ فإنَّهُ داخلٌ في الإلحادِ في الآياتِ الكونيَّةِ.

والقسم الثاني: آياتٌ شرعيَّةٌ وهوَ: ما جاءَتْ بهِ الرُّسُلُ من الوحيِ كالقرآنِ، قالَ تعالى: **{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}**.

والإلحادُ في الآياتِ الشَّرعيَّةِ ثلاثةُ أنواعٍ:

أحدها: تَكْذيبُهَا فيما يتعلَّقُ بالأخبارِ.

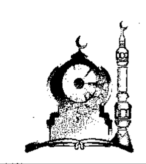
ثانيها: مُخَالَفَتُهَا فيما يتعلَّقُ بالأحكامِ.

ثالثها: التَّحْريفُ في الأخبارِ والأحكامِ.

والإلحادُ في الآياتِ الكونيَّةِ والشَّرعيَّةِ حرامٌ.

ومنهُ ما يكونُ كُفْرًا: كَتَكْذِيبِهَا، فَمَنْ كذَّبَ شيئًا معَ اعتقادهِ أنَّ اللهَ ورَسُولَهُ أخبَرَا بهِ فهوَ كافرٌ.





ومنهُ ما يكونُ معصيةً من الكبائر: كقتْلِ النَّفسِ والزِّنا.

ومنهُ ما يكونُ معصيةً من الصَّغائر: كالنَّظرِ لأَجْنَبِيَّةٍ بشَهْوَة.

قالَ اللهُ تعالى في الْحَرَمِ: **{وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}**. فسمَّى اللهُ المعاصيَ والظُّلْمَ إلحادًا؛ لأنَّها مَيْلٌ عمَّا يجبُ أنْ يكونَ عليهِ الإنسانُ؛ إذ الواجبُ عليهِ السَّيْرُ على صِرَاطِ اللهِ تعالى، ومَنْ خالفَ فقدْ أَلْحَدَ.

فيهِ مسائلُ:

(١١) **الأولى:** (إثباتُ الأَسماءِ) وتُؤخَذُ منْ قولِهِ: **{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ}**، وهذا خبرٌ مُتَضَمِّنٌ لِمَدْلُولِهِ منْ ثبوتِ الأسماءِ للهِ، وفي الجملةِ حصْرٌ لتقديمِ الخبرِ، والحصرُ باعتبارِ كَوْنِهَا حُسْنَى، لا باعْتِبَارِ الأسماءِ. وأَنْكَرَ الأسماءَ الجهميَّةُ وغُلاةُ المعتزِلَةِ.

(١٢) **الثَّانيةُ:** (**كونُها حُسْنَى**) أيْ: بلَغَتْ في الحسنِ أكمَلَهُ؛ لأنَّ (حُسْنَى) مُؤَنَّثُ أحسنَ، وهيَ: اسمُ تفضيلٍ.

(١٣) **الثَّالثةُ:** (**الأمرُ بدُعائِهِ بها**) والدُّعاءُ نوعانِ: **دعاءُ مسألةٍ، ودعاءُ عبادةٍ**. وكِلاهُمَا مأمورٌ فيهِ أنْ يُدْعَى اللهُ بهذهِ الأسماءِ الحسنى. وسبقَ تفصيلُ ذلكَ.

(١٤) **الرَّابعةُ:** (**تَرْكُ مَنْ عارضَ مِن الجَاهلينَ الْمُلحدينَ**) أيْ: تَرْكُ سبيلِهِم. وليسَ المعنى أنْ لا نَدْعُوَهُم ولا نُبيِّنَ لهم. والآيَةُ تتضمَّنُ أيضًا التَّهديدَ.

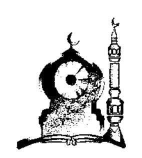
(١٥) **الخامسةُ:** (**تفسيرُ الإلحادِ فيها**) وقدْ سبقَ بيانُ أنواعِهِ.

(١٦) **السَّادِسَةُ:** (**وَعيدُ مَنْ أَلْحَدَ**)

وتُؤْخَذُ منْ قولِهِ تعالى: **{سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





تهذيب القول المفيد لفضيلةالشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الحادي والأربعون

(١) هذه التَّرجمةُ أتَى بها المُؤلِّفُ بصيغةِ النَّفي، وهوَ مُحتَمِلٌ للكراهةِ والتَّحريمِ، لكنَّ استدلالَهُ بالحديثِ يَقْتَضِي أنَّهُ للتَّحريمِ. وهوَ كذلكَ.

والسَّلامُ لهُ عِدَّةُ معانٍ:

الأول: التَّحيَّةُ، كما يُقالُ: سَلَّمَ على فلان؛ أيْ: حيَّاهُ بالسَّلامِ.

الثاني: السَّلامةُ من النَّقصِ والآفاتِ، كقَوْلِنَا: (**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**).

الثالث: أنه اسمٌ منْ أسماءِ الله تعالى، قالَ تعالى: **{الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ}**.

قولُهُ: (**لا يُقالُ: السَّلامُ عَلَى اللهِ**) أيْ: لا تَقُلْ: **السَّلَامُ عَلَيْكَ يا رَبِّ؛ لأمرين:**

الأول: أنَّ مثلَ هذا الدُّعاءِ يُوهِمُ النَّقصَ في حقِّه، فَتَدْعُو اللهَ أنْ يُسَلِّمَ نفسَهُ منْ ذلكَ؛ إذْ لا يُدْعَى لشيءٍ بالسَّلامِ منْ شيءٍ إلاَّ إذا كانَ قابلاً أنْ يَتَّصِفَ به، واللهُ سبحانَهُ مُنَزَّهٌ عنْ صِفاتِ النَّقصِ.

الثاني: أنك إذا دَعَوْتَ اللهَ أنْ يُسَلِّمَ نفسَهُ فقدْ خالفْتَ الحقيقةَ؛ لأنَّ اللهَ يُدْعَى ولا يُدْعَى لهُ، فهوَ غَنِيٌّ عنَّا، لكنْ يُثْنَى عليهِ بصفاتِ الكمالِ، مثلِ: **غفورٍ، سميعٍ، عليمٍ....**

ومُنَاسَبَةُ البابِ لتوحيدِ الصِّفَاتِ ظاهرةٌ:

لأنَّ صفاته عُلْيَا كاملةٌ، كما أنَّ أسماءَهُ حُسْنَى.

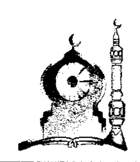
- والدَّليلُ على أنَّ صفاته عُلْيَا قولُهُ تعالى: **{لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى}**.
- وقولُهُ تعالى: **{وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** والمَثَلُ الأعلى: الوَصْفُ الأَكْمَلُ.

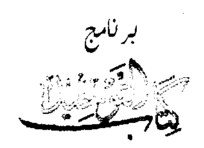
فإذا قُلْنَا: (**السَّلامُ على اللهِ**) أَوْهَمَ ذلكَ أنَّ اللهَ سبحانَهُ قدْ يَلْحَقُهُ النَّقصُ، وهذا يُنافي كمالَ صفاته.

ومناسبةُ هذا البابِ لِمَا قبلَهُ ظاهرةٌ:

لأنَّ موضوعَ البابِ الَّذي قبلَهُ إثباتُ الأسماءِ الحسنى للهِ المتضمِّنَةِ لصفاته.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





وموضوعُ هذا البابِ:

سلامةُ صفاته منْ كلِّ نقصٍ، وهذا يتضمَّنُ كمالَهَا، ولا يَتِمُّ الكمالُ؛ إلاَّ بإثباتِ صفاتِ الكمالِ ونفيِ ما يُضادُّهَا، والرَّبُّ سبحانَهُ وتعالى يَتَّصفُ بصفاتِ الكمالِ، ولكنَّهُ إذا ذُكِرَ ما يُضادُّ تلكَ الصِّفَةَ صارَ ذلكَ أكملَ.

ولهذا أَعْقبَ المؤلِّفُ يَرْحمُهُ اللهُ البابَ السَّابقَ بهذا البابِ؛ إشارةً إلى أنَّ الأسماءَ الحسْنَى والصِّفاتِ العُلَى لا يَلْحقُهَا نقصٌ.

والسَّلامُ: **اسمٌ ثُبُوتيٌّ سَلْبيٌّ.**

فَسلْبيٌّ: أيْ: أنَّهُ يُرادُ بهِ نفيُ كلِّ نقصٍ، أوْ عَيْبٍ يَتَصَوَّرُهُ الذِّهنُ، أوْ يَتَخيَّلُهُ العقلُ؛ **فلا يَلْحَقُهُ نقصٌ في:**

- **ذاته.**
- **أوْ صفاته.**
- **أوْ أفعاله.**
- **أوْ أحكامه.**

وثُبُوتيٌّ: أيْ يُرَادُ بهِ ثبوتُ هذا الاسمِ لهُ والصِّفَةِ الَّتي تضَمَّنَهَا، وهيَ السَّلامةُ.

(٢) قولُهُ: (**في الصَّحيحِ**) هذا أعمُّ منْ أنْ يكونَ ثابتًا في (**الصَّحيحَيْنِ**) أوْ أحدهِمَا، أوْ غيرهِمَا.

قولُهُ: (**كُنَّا إذا كُنَّا مَعَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ في الصَّلاةِ**) الغالبُ أنَّ المَعِيَّةَ معَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ في الصَّلاةِ لا تكونُ إلاَّ في الفرائضِ؛ لأنَّها هيَ الَّتي يُشْرَعُ لها صلاةُ الجماعةِ، ومشروعيَّةُ صلاةِ الجماعةِ في غيرِ الفرائضِ قليلةٌ؛ **كالاستسقاءِ.**

قولُهُ: (**قُلْنا: السَّلامُ عَلى اللهِ منْ عبادِهِ**) أيْ: **يَطْلُبونَ السَّلامةَ للهِ من الآفاتِ**، يَسْأَلونَ اللهَ أنْ يُسَلِّمَ نفسَهُ من الآفاتِ، أوْ أنَّ اسمَ السَّلامِ على اللهِ منْ عبادِهِ؛ لأنَّ قولَ الإنسانِ: (**السَّلامُ عليكُمْ**) **لهُ معنيانِ:**

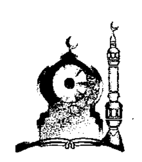
أحدهما: اسمُ السَّلامِ عليكَ؛ أيْ: عليكَ بَرَكَاتُهُ باسمِهِ.

والآخر: السَّلامةُ من اللهِ عليكَ، فهوَ سلامٌ بمعنى تسليمٍ، ككلامٍ بمعنى تكليمٍ.

قولُهُ: (**السَّلامُ على فُلانٍ وفلانٍ**) أيْ: **جبريلَ وميكائيلَ.**

وكلمةُ فلانٍ يُكَنَّى بها عنِ الشَّخصِ، وهيَ مصروفةٌ؛ لأنَّهَا لَيْسَتْ عَلَمًا ولا صفةً، **كصَفْوَانٍ** في قولِهِ تعالى: {كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ}.

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com





وقدْ جاءَ في لفظٍ آخرَ: (السَّلامُ عَلَى جبريلَ وَميكَالَ) كانُوا يقولونَ هكذا في السَّلامِ، فقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «لا تَقُولُوا: السَّلامُ عَلَى اللهِ؛ فإنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ».

وهذا نَهيُ تحريمٍ، والسَّلامُ لا يحتاجُ إلى سلامٍ، إذ هوَ نفسُهُ عزَّ وجلَّ سلامٌ سالمٌ منْ كلِّ نقصٍ، ومنْ كلِّ عيبٍ.

(٣) **فيهِ مسائلُ:**

الأولى: (تَفسيرُ السَّلامِ)فبالنِّسبةِ لكونِهِ اسمًا منْ أسماءِ اللهِ معناهُ: السَّالمُ منْ كلِّ نقصٍ وعيبٍ.

وبالنِّسْبَةِ لكونِه تَحيَّةً لهُ معنَيَان:

الأوَّلُ: تقديرُ مضافٍ؛ أي: اسمُ السَّلامِ عليكَ؛ أي: اسمُ اللهِ الَّذي هوَ السَّلامُ عليكَ.

الثَّاني: أنَّ السَّلامَ بمعنى التَّسليمِ، اسمُ مصدرٍ كالكلامِ بمعنى التَّكليمِ؛ أيْ: تُخبِرُ خبرًا يُرادُ بهِ الدُّعاءُ أنَّ السَّلامَ على فلانٍ، ولكنَّهُ خبرٌ لفظًا، إنشاءٌ معنًى؛ أيْ: أَسْأَلُ اللهَ أنْ يُسلِّمَكَ تسليمًا.

(٤) **الثَّانيةُ:** (أَنَّهُ تَحيَّةٌ) وسبقَ ذلكَ.

(٥) **الثَّالثةُ:** (أنَّها لا تَصْلُحُ للهِ) وإذا كانَتْ لا تَصْلُحُ لهُ كانَتْ حَرامًا.

(٦) **الرَّابعةُ:** (العلَّةُ في ذلكَ) أنَّ اللهَ هوَ السَّلامُ، وقدْ سبقَ بيانُها.

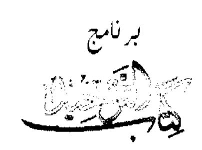
(٧) **الخامِسَةُ:** (تَعليمُهُم التَّحيَّةَ التي تصْلُحُ للهِ) وتُؤْخَذُ منْ تكملةِ الحديثِ: «التَّحيَّاتُ للهِ...».

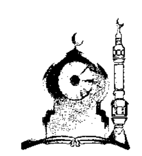
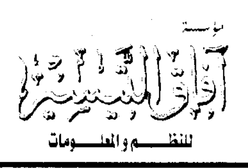
ويُستفادُ من الحديثِ:

أنَّهُ لا يَجُوزُ الإقرارُ على المحرَّمِ؛ لقولِهِ: «لا تَقُولُوا: السَّلامُ عَلَى اللهِ» وهذا واجبٌ على كلِّ مسلمٍ.

(٨) عَقَدَ المُؤلِّفُ هذا البابَ لِمَا تَضمَّنَهُ هذا الحديثُ منْ كَمالِ سُلطانِ اللهِ، وكمالِ جُودِهِ وفَضْلِهِ، وذلكَ منْ صفاتِ الكمالِ.

قال ابن قاسم في (حاشية كتاب التوحيد) ص: (**أي: أنه لا يجوز ذلك، لأنه يدل على فتور الرغبة، وقلة الاهتمام بالمطلوب، وينبئ عن قلة اكتراثه بذنوبه ورحمة ربه، وذلك مضاد للتوحيد**) .



قولُهُ: (**اغْفِرْ لِي**) المغفرةُ سَتْرُ الذَّنبِ معَ التَّجاوُزِ عنهُ؛ لأنَّها مُشْتَقَّةٌ من المِغْفَرِ، وهوَ ما يُستَرُ به الرَّأسُ للوقايَةِ من السِّهامِ، وهذا لا يكونُ إلاَّ بشيءٍ ساترٍ واقٍ، ويدلُّ لهُ قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ للعبدِ المؤمنِ حينَما يَخْلُو بهِ ويُقَرِّرُهُ بذنوبِه: «**قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**».

(**٩**) قولُهُ: (**لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ**) **لا**: ناهيَةٌ؛ بدليلِ جَزْمِ الفعلِ بعدَهَا.

قولُهُ: (**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، اللهُمَّ ارْحَمْنِي**) ففي الجملةِ **الأولى**: (**اغْفِرْ لِي**) النَّجاةُ من المكروهِ.

وفي الثَّانيةِ: (**ارْحَمْنِي**) الوصولُ إلى المطلوبِ، فيكونُ هذا الدُّعَاءُ شاملاً لكلِّ ما فيهِ حصولُ المطلوبِ وزوالُ المكروهِ.

قولُهُ: (**لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ**) اللامُ لامُ الأمرِ، ومعنى عَزْمِ المسألةِ أنْ لا يكونَ في تَرَدُّدٍ، بلْ يَعْزِمُ بدونِ تردُّدٍ ولا تعليقٍ.

والمسألةُ: السُّؤَالُ؛ أيْ: لِيَعْزِمْ في سُؤَالِه، فلا يَجْعَلُهُ مُتَرَدِّدًا بقولِه: **إنْ شئْتَ**.

قولُهُ: (**فَإِنَّ اللهَ لاَ مُكْرِهَ لَهُ**) تعليلٌ للنَّهيِ عنْ قولِ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ**» أيْ: لا أحدَ يُكْرِهُهُ على ما يُرِيدُ فيَمْنَعُهُ منهُ، أوْ ما لا يُرِيدُ فَيُلْزِمُهُ بفعلِهِ؛ لأنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ وحدَهُ.

والمحظورُ في هذا التَّعليقِ منْ وُجُوهٍ ثلاثةٍ:

الأوَّلُ: أَنَّهُ يُشْعِرُ بأنَّ اللهَ لهُ مُكْرِهٌ على الشَّيءِ، وأنَّ وراءَهُ مَنْ يَستَطِيعُ أنْ يَمْنَعَهُ، فَكَأَنَّ الدَّاعيَ بهذهِ الكيفيَّةِ يقولُ: أنا لا أُكْرِهُكَ، إنْ شئْتَ فاغفرْ وإنْ شئْتَ فلا تَغْفِرْ.

الثَّاني: أنَّ قولَ القائلِ: (إنْ شئْتَ) كأَنَّهُ يرى أنَّ هذا أمرٌ عَظيمٌ على اللهِ، فقدْ لا يَشَاؤُهُ لكونهِ عظيمًا عندَهُ.

ونظيرُ ذلكَ أنْ تقولَ لشخصٍ من النَّاسِ -والمثالُ للصُّورةِ بالصُّورةِ، لا للحقيقةِ بالحقيقةِ-: أَعْطِني مليونَ ريالٍ إنْ شئْتَ، فإنَّكَ إذا قُلْتَ لهُ ذلكَ رُبَّما يكونُ الشَّيءُ عظيمًا يَتَثَاقَلُهُ.

فقولُكَ: (إنْ شئْتَ) لأجلِ أنْ تُهَوِّنَ عليه المسألةَ؛ فاللهُ عزَّ وجلَّ لا يحتاجُ أنْ تقولَ لهُ: (إنْ شئْتَ) لأَنَّهُ سبحانَهُ وتعالى لا يَتَعاظَمُهُ شيءٌ أَعْطَاهُ، ولهذا قالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**».

وَ(**لْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ**) أيْ: لِيَسْأَلْ ما شاءَ منْ قليلٍ وكثيرٍ، ولا يَقُلْ: هذا كثيرٌ، لا أَسْأَلُ اللهَ إيَّاهُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وهذا قالَ: «فَإِنَّ اللهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ» أيْ: لا يكُونُ الشَّيءُ عظيمًا عنْدَهُ حتَّى يَمْنَعَهُ ويَبْخَلَ بهِ سُبْحَانَهُ وتعالى.

كُلُّ شَيْءٍ يُعْطِيه فإنَّهُ ليسَ عظيمًا عندَهُ، فاللهُ عزَّ وجلَّ يَبْعَثُ الخلقَ بكلمةٍ واحدةٍ، وهذا أمْرٌ عظيمٌ، قالَ تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وليسَ بعظيمٍ، فكلُّ ما يُعْطِيه اللهُ عزَّ وجلَّ لأحدٍ مِنْ خَلْقِه فليسَ بعظيمٍ يَتَعاظَمُهُ؛ أيْ: لا يكونُ الشَّيءُ عظيمًا عنْدَهُ حتَّى لا يُعْطِيَهُ، بلْ كُلُّ شيءٍ عندَهُ هيِّنٌ.

الثَّالثُ: أنَّهُ يُشْعِرُ بأنَّ الطَّالبَ مُسْتَغْنٍ عن اللهِ، كأنَّهُ يقولُ: إنْ شئْتَ فافْعَلْ، وإنْ شئْتَ فلا تَفْعَلْ؛ فإنه لا يَهُمُّني، ولهذا قالَ: «**وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ**» أيْ: يَسْأَلْ برغبةٍ عظيمةٍ، والتَّعليقُ يُنافي ذلكَ؛ لأنَّ المُعَلِّقَ للشَّيءِ المطلوبِ يُشْعِرُ أنَّهُ مُسْتَغْنٍ عنهُ، والإنسانُ يَنْبَغي أنْ يَدْعوَ اللهَ تعالى وهوَ يَشْعُرُ أنَّهُ مُفْتَقِرٌ إليهِ غايَةَ الافتقارِ، وأنَّ اللهَ قادرٌ على أنْ يُعْطِيَهُ ما سألَ، وأنَّ اللهَ ليسَ يعْظُمُ عليهِ شيءٌ، بلْ هوَ هَيِّنٌ عليه.

إذًا مِنْ آدابِ الدُّعاءِ أنْ لا يدعوَ بهذهِ الصِّيغةِ، بلْ يَجْزِمُ فيقولُ: (اللهُمَّ اغفرْ لي، اللهُمَّ ارْحَمْني، اللهُمَّ وَفِّقْني) وما أشبهَ ذلكَ.

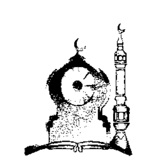
فائدة:

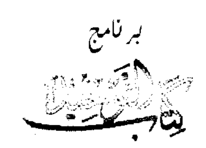
قال في (فتح المجيد) (ص:٥٣٤): **(حق من دعا الله بأسمائه الحسنى أن يسأل في كل مطلوب، ويتوسل بالاسم المقتضي لذلك المطلوب، المناسب لحصوله، حتى إن الداعي متشفع إلى الله تعالى، متوسل إليه به.**

فإذا قال: رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور، فقد سأله أمرين وتوسل إليه باسمين من أسمائه مقتضيين لحصول مطلوبه..) .

أما مناسبةُ البابِ للتَّوحيدِ فهيَ من وجهَيْنِ:

الأول: منْ جهةِ الرُّبُوبيَّةِ، فإنَّ مَنْ أتى بما يُشْعِرُ بأنَّ اللهَ لهُ مُكْرِهٌ، لمْ يَقُمْ بتَمامِ رُبُوبيَّتِه تعالى؛ لأنَّ منْ تمامِ الرُّبوبيَّةِ أنَّهُ لا مُكْرِهَ لهُ، بلْ إنَّهُ لا يُسْأَلُ عمَّا يَفْعَلُ كما قالَ تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ وكذلكَ فيه





نقصٌ منْ ناحيَةِ الرُّبوبيَّةِ منْ جهةٍ أُخرَى، وهوَ أنَّ اللهَ يَتعاظَمُ الأشياءَ الَّتي يُعْطيها، فكانَ فيهِ قَدْحٌ في جُودِهِ وكَرَمِهِ.

الثَّاني: منْ جهةِ العبدِ، فإنَّهُ يُشْعِرُ باستغنائِه عنْ ربِّه، وهذا نقصٌ في توحيدِ الإنسانِ منْ جهةِ الألوهيَّةِ أو الرُّبوبيَّةِ أو الأسماءِ والصِّفاتِ، ولهذا ذَكَرَهُ المُصنِّفُ في البابِ الَّذي يتعلَّقُ بالأسماءِ والصِّفاتِ.

(١٠) فِيهِ مسائلُ:

الأولى: (**النَّهْيُ عَنِ الاسْتِثْناءِ في الدُّعاءِ**) والمرادُ بالاستثناءِ هنا الشَّرطُ؛ فإنَّ الشَّرْطَ يُسَمَّى استثناءً؛ بدليلِ قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ لِضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبيرِ: «**حُجِّي واشْتَرِطِي؛ فَإِنَّ لَكِ عَلَى رَبِّكِ مَا اسْتَثْنَيْتِ**» ووجهُهُ أنَّكَ إذا قُلْتَ: (أَكْرِمْ زَيْدًا إنْ أَكْرَمَكَ) فهوَ كقولِكَ: (أَكْرِمْ زيدًا إلاَّ ألاَّ يُكْرِمَكَ) فهوَ بمعنى الاستثناءِ في الحقيقةِ.

(١١) **الثَّانِيَةُ:** (**بَيانُ العلَّةِ في ذلكَ**) وقدْ سبَقَ أنَّها ثلاثُ عِلَلٍ:

الأولى: أنَّها تُشْعِرُ بأنَّ اللهَ لهُ مُكْرِهٌ، والأمرُ ليسَ كذلكَ.

الثانية: أنَّها تُشْعِرُ بأنَّ هذا عظيمٌ على اللهِ قدْ يَثْقُلُ عليه ويَعْجزُ عنهُ، والأمرُ ليسَ كذلكَ.

الثالثة: أنَّها تُشْعِرُ باستغناءِ الإنسانِ عن اللهِ، وهذا غيرُ لائقٍ وليسَ من الأدبِ.

(١٢) **الثَّالِثَةُ:** قولُهُ: «**لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ**» تُفيدُ أنَّكَ إذا سَأَلْتَ فَاعْزِمْ ولا تَتَرَدَّدْ.

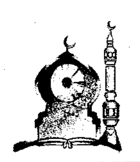
(١٣) **الرَّابِعةُ:** (**إِعْظَامُ الرَّغْبَةِ**) لقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «**وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ**» أيْ: لِيَسْأَلْ ما بَدَا لهُ، فلا شيءَ عزيزٌ أوْ مُمْتَنِعٌ على اللهِ.

(١٤) **الخامِسَةُ:** (**التَّعليلُ لهذا الأَمْرِ**) بقولِهِ: «**لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ، أَوْ لاَ مُكْرِهَ لَهُ**» وبقولِهِ: «**وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ**» وفي هذا حُسْنُ تعليمِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ؛ إذا ذَكَرَ شيئًا قَرَنَهُ بعلَّتِه.

(١٥) هذهِ الترجمةُ تَحتَمِلُ كراهَةَ هذا القولِ وتحريمَهُ، وقد اختَلَفَ العلماءُ في ذلكَ. وسيأتي التفصيلُ.

قولُهُ: (**لا يَقُلْ**) أي: الإنسانُ، (**عَبْدِي**) أيْ: للغُلامِ، و(**أَمَتِي**) أيْ: للجاريَةِ.

والحكمُ في ذلكَ يَنْقَسِمُ إلى قسمَيْنِ:





الأوَّلُ: أنْ يُضيفَهُ إلى غيرِه، مثلُ أنْ يقولَ: عبدُ فُلانٍ أوْ أَمَةُ فُلانٍ، فهذا جائزٌ؛ قالَ تعالى: **{وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ}**، وقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «**لَيسَ عَلَى الْمُسْلِمِ فِي عَبْدِهِ وَلاَ فَرَسِهِ صَدَقَةٌ**».

الثَّاني: أنْ يُضيفَهُ إلى نفسِه، ولهُ صُورتَانِ:

الأولى: أنْ يكونَ بصيغةِ الخبرِ، مثلُ: (أَطْعَمْتُ عَبْدِي) (كَسَوْتُ عَبْدِي) (أَعْتَقْتُ عَبْدِي) فإنْ قالَهُ في غَيْبَةِ العبدِ أو الأَمَةِ فلا بأسَ فيه، وإنْ قالَهُ في حَضْرَةِ العبدِ أو الأمَةِ فإنْ ترتَّبَ عليه مَفْسَدَةٌ تَتَعلَّقُ بالعبدِ أو السَّيِّدِ مُنِعَ، وإلاَّ فلا؛ لأنَّ القائلَ بذلكَ لا يَقْصدُ العبوديَّةَ الَّتي هيَ الذُّلُّ، وإنَّما يَقْصدُ أنَّهُ مَمْلُوكٌ.

الثَّانيةُ: أنْ يكونَ بصيغةِ النِّداءِ، مثلُ: (يا عبْدِي، هاتِ كَذَا) فهذا مَنْهِيٌّ عنهُ.

وقد اخْتَلَفَ العلماءُ في النَّهْيِ هلْ هوَ للكراهَةِ أو التَّحْريمِ؟

والراجحُ التَّفْصيلُ في ذلكَ، وأقلُّ أحوالِه الكراهَةُ.

(١٦) قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «**لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ**» إلخ أيْ: لا يَقُلْ أحدُكُم لعبدِ غَيْرِه، ويَحْتَمِلُ أنْ يَشْمَلَ قوْلَ السَّيِّدِ لعبْدِه، حيثُ يَضعُ الظاهرَ مَوْضعَ المُضْمَرِ تَعاظُمًا.

واعْلَمْ أنَّ إضافةَ الرَّبِّ إلى غيرِ اللهِ تَنْقَسِمُ إلى أقسامٍ:

القسمُ الأوَّلُ: أنْ تكونَ الإضافةُ إلى ضميرِ المُخاطَبِ، مثلُ: (أَطْعِمْ رَبَّكَ) (وَضِّئْ رَبَّكَ).

فيُكْرَهُ ذلكَ للنهيِ عنهُ؛ لأنَّ فيه مَحْذُورَينِ:

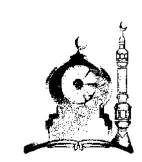
أحدهما: من جهةِ الصِّيَغَةِ؛ لأنَّهُ يُوهِمُ معنًى فاسدًا بالنِّسبةِ لكلمةِ ربٍّ؛ لأنَّ الرَّبَّ مِنْ أسمائِه سبحانَهُ، وهوَ سبحانَهُ يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ، وإنْ كانَ بلا شكٍّ أنَّ الرَّبَّ هنا غيرُ الرَّبِّ الَّذي يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ.

والآخر: من جهةِ المعنى؛ لأنَّهُ يُشْعِرُ العبدَ أو الأمَةَ بالذُّلِّ؛ فإذا كانَ السَّيِّدُ ربًّا كانَ العبدُ أو الأَمَةُ مَرْبُوبًا.

القسمُ الثَّاني: أنْ تكونَ الإضافةُ إلى ضميرِ الغائبِ، فهذا لا بأسَ بهِ، كقولِه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ في حديثِ أشراطِ السَّاعةِ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّهَا**».

وأمَّا لفظُ «رَبَّتَهَا» فلا إشكالَ فيه لوجودِ تاءِ التَّأنيثِ فلا اشتراكَ معَ اللهِ في اللفظِ؛ لأنَّ اللهَ يُقالُ لهُ: رَبٌّ، ولا

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٢٢٢ - ص.ب: ١١٤٤٦٠٢
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٢٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



يُقَالُ لهُ: رَبَّةٌ، وفي حديثِ الضَّالَّة، وهوَ مُتَّفَقٌ عليه: «حَتَّى يَجِدَهَا رَبُّهَا».

وقالَ بعضُ أهلِ العلمِ: (إنَّ حديثَ الضَّالَّةِ في بهيمةٍ لا تَتَعَبَّدُ ولا تَتَذَلَّلُ كالإنسان).

والصَّحيحُ عدمُ الفارقِ؛ لأنَّ البهيمةَ تَعْبُدُ اللهَ عبادةً خاصَّةً، قالَ تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ}.

وقالَ في النَّاسِ: {وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ} ليسَ جميعَهُم، {وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ}.

وعلى هذا؛ فيَجوزُ أنْ نقولَ: أَطْعَمَ الرقيقُ رَبَّهُ، ونَحْوَهُ.

القسمُ الثَّالثُ: أنْ تكونَ الإضافةُ إلى ضميرِ المُتَكلِّمِ، بأنْ يقولَ العبدُ: هذا رَبِّي.

فهلْ يجوزُ هذا؟

قدْ يقولُ قائلٌ: إنَّ هذا جائزٌ؛ لأنَّ هذا من العبدِ لسيِّدِه، وقدْ قالَ تعالى عنْ صاحبِ **يوسفَ**: {إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ} أيْ: سَيِّدي؛ ولأنَّ المحذورَ منْ قولِ: (رَبِّي) هوَ إذلالُ العبدِ، وهذا مُنْتَفٍ؛ لأنَّهُ هوَ بنفسِهِ يقولُ: هذا رَبِّي.

القسمُ الرَّابعُ: أنْ يُضافَ إلى الاسمِ الظَّاهرِ، فيُقالُ: هذا رَبُّ الغلامِ، فظاهرُ الحديثِ الجوازُ.

وهوَ كذلكَ ما لمْ يُوجَدْ محذورٌ فيُمْنَعُ، كما لوْ ظَنَّ السَّامعُ أنَّ السَّيِّدَ رَبٌّ حقيقيٌّ خالقٌ.

قولُهُ: (**وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ**) المُتَوَقَّعُ أنْ يقولَ: ولْيَقُلْ: سيِّدُكَ ومَوْلاكَ؛ لأنَّ مُقْتَضَى الحالِ أنْ يُرْشِدَ إلى ما يُناسِبُ اللفظَ المنهيَّ عنهُ، وهنا ورَدَ النَّهيُ بلفظِ الخطابِ، والإرشادُ بلفظِ التَّكلُّمِ «**وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ**».

ففهِمَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ -كما سيأتي في المسائلِ- أنَّ فيه إشارةً إلى أنَّهُ إذا كانَ الغيرُ قدْ نُهِيَ أنْ يقولَ للعبدِ: (أَطْعِمْ رَبَّكَ) فالْعَبْدُ منْ بابِ أَوْلَى أنْ يُنْهَى عنْ قولِ: هذا رَبِّي أوْ لِرَبِّي، ولا يَقُلْ: أَطْعَمْتُ رَبِّي، بلْ يَقُلْ: سيِّدي ومَوْلايَ.

وأمَّا إذا قُلْنَا: بأنَّ «**أَطْعِمْ رَبَّكَ**» خاصٌّ بمَنْ يُخاطِبُ العبدَ؛ لمَا فيه منْ إذلالِ العبدِ، بخلافِ ما إذا قالَ هوَ بنفسه: سأُطْعِمُ رَبِّي، فإنَّهُ يَنْتَفِي الإذلالُ؛ فإنَّهُ يُقَالُ: إنَّ الرَّسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ لمَّا وَجَّهَ الخطابَ لمْ يَتَكلَّمْ في شأنِ العبدِ، بلْ وَجَّهَ الخطابَ إلى العبدِ نفسه فقالَ: «**وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ**».

وقولُهُ: (**سَيِّدِي**)، السِّيادَةُ في الأصلِ الشَّرفُ؛ لأنَّها من السُّؤْدُدِ والشَّرفِ والجاهِ وما أشبهَ ذلكَ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

والسَّيِّدُ يُطْلَقُ على معانٍ:

- منها المالكُ.
- والشَّريفُ المُطاعُ.

و(سيِّدي) هنا مضافةٌ إلى ياءِ المتكلِّمِ، وليْسَتْ على وجهِ الإطلاقِ؛ فالسَّيِّدُ على وجهِ الإطلاقِ لا تُقالُ إلاَّ للهِ عزَّ وجلَّ، قالَ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ: «**السَّيِّدُ اللهُ**».

وأمَّا السَّيِّدُ مُضَافَةً فإنَّها تكونُ لغيرِ اللهِ.

قالَ تعالى: **{وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ}** وقالَ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

والفقهاءُ يقولونَ: إذا قالَ السَّيِّدُ لعبدِه؛ أيْ: سَيِّدُ العَبْدِ لعَبْدِه.

قولُهُ: (**وَمَوْلاَيَ**) أيْ: لِيَقُلْ مَوْلاَيَ.

والمَوْلَى ينقسمُ إلى قسمَيْنِ:

القسمُ الأوَّلُ: ولايَةٌ مطلقةٌ، وهذهِ للهِ عزَّ وجلَّ، كالسِّيادةِ المطلقةِ، وهيَ نوعانِ:

النَّوعُ الأوَّلُ: عامَّةٌ، وهيَ الشَّاملةُ لكلِّ أحدٍ، قالَ اللهُ تعالى: **{ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ}** فجعَلَ لهُ ولايَةً على هؤلاءِ المُفْتَرِينَ. وهذهِ ولايَةٌ عامَّةٌ.

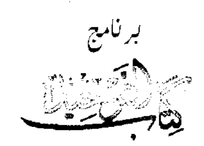
النَّوعُ الثَّاني: خاصَّةٌ بالمؤمنينَ، قالَ تعالى: **{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ}** وهذهِ ولايَةٌ خاصَّةٌ.

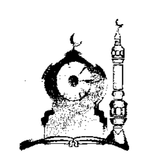
ومقتضى السِّياقِ أنْ يقولَ: وليسَ مَوْلَى الكافرينَ، لَكنَّه قالَ: **{لَا مَوْلَى لَهُمْ}** أيْ: لا هوَ مَوْلًى للكافرينَ، ولا أَوْلِيَاؤُهُم الَّذينَ يَتَّخِذُونَهُم آلهةً مِنْ دونِ اللهِ مَوَالِيَ لهم؛ لأنَّهُم يومَ القيامةِ يَتَبَرَّءُونَ منْهُم.

القسمُ الثَّاني: ولايَةٌ مُقَيَّدَةٌ مُضَافَةٌ، فهذهِ تكونُ لغيرِ اللهِ، ولها في اللغةِ معانٍ كثيرةٌ؛ **منها:**

- النَّاصرُ.
- والمُتَوَلِّي للأمورِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠






- والمُعْتِقُ.
- والسَّيِّدُ.
- والعَتيقُ، قالَ تعالى: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» وقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ» ويُقَالُ للسلطانِ: وَلِيُّ الأَمْرِ، وللعتيقِ: مَوْلَى فُلَانٍ، لِمَنْ أَعْتَقَهُ.

فالسَّيِّدُ مَنْهِيٌّ أَنْ يقولَ ذلكَ؛ لأَنَّهُ إذا قالَ: عَبْدِي وأَمَتي؛ فقدْ تَشَبَّهَ باللهِ عزَّ وجلَّ، ولوْ منْ حيثُ ظاهِرُ اللفظِ؛ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُخاطِبُ عبادَهُ بقولِهِ: عَبْدِي، كما في الحديثِ: «عَبْدِي اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي...» وما أشبهَ ذلكَ.

وإنْ كانَ السَّيِّدُ يُرِيدُ بقولِهِ: (عَبْدِي) أيْ: مَمْلُوكِي، فالنَّهيُ منْ بابِ التَّنَزُّهِ عن اللفظِ الَّذي يُوهِمُ الإشراكَ، وقدْ سبقَ بيانُ حُكْمِ ذلكَ.

وقولُهُ: (أَمَتي) الأَمَةُ الأُنثى من المَملوكاتِ، وتُسمَّى جاريَةً.

والعِلَّةُ من النَّهي: أنَّ فيه إشعارًا بالعبوديَّةِ، فهيَ تُقَابِلُ عَبْدِي، وكلُّ هذا منْ بابِ حِمَايَةِ التَّوحيدِ والبعدِ عن التَّشريكِ حتَّى في اللفظِ؛ ولهذا ذهبَ بعضُ أهلِ العلمِ، ومنهم شيخُنا **عبدُ الرَّحمنِ السَّعْدِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ، إلى أنَّ النَّهيَ في الحديثِ ليسَ على سبيلِ التَّحريمِ، وأنَّهُ على سبيلِ الأدبِ والأفضلِ والأكملِ.

قولُهُ: (**وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي**) ومثْلُهُ: جَارِيَتِي وَغُلَامِي، فَلا بَأْسَ به.

(١٧) **فيهِ مسائلُ:**

الأولى: (**النَّهْيُ عَنْ قَوْلِهِ: عَبْدِي وَأَمَتِي**) تُؤخَذُ منْ قولِهِ: «**وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي**» وقدْ سبقَ بيانُ ذلكَ.

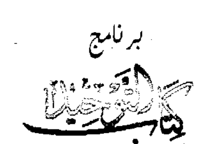
(١٨) **الثَّانِيَةُ:** (**لا يَقولُ العَبدُ: رَبِّي، وَلا يُقالُ لَهُ: أَطْعِمْ رَبَّكَ**) تُؤخَذُ من الحديثِ، وقدْ سبقَ بيانُ ذلكَ.

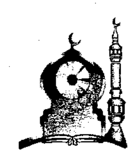
(١٩) **الثَّالِثَةُ:** (**تعليمُ الأَوَّلِ -وهوَ السَّيِّدُ- قولَ: فَتَايَ وفَتَاتِي وغُلامِي**).

(٢٠) **الرَّابِعَةُ:** (**تعليمُ الثَّاني -وهوَ العبدُ- قولَ: سَيِّدِي ومَوْلايَ**).

(٢١) **الخامِسَةُ:** (**التَّنبيهُ للمرادِ، وهُوَ تحقيقُ التَّوحيدِ حتَّى في الألفاظِ**) وقدْ سبقَ ذلكَ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



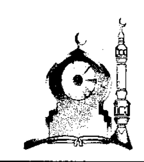


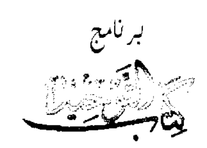


وفي البابِ مسائلُ أُخرَى، لَكِنْ هذهِ المسائِلُ هيَ المقصودُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الثاني والأربعون

(١) قولُهُ: (بابُ لا يُرَدُّ).

(لا): نافيَةٌ؛ بدليلِ رفعِ المضارعِ بعدَهَا، والنَّفيُ يَحْتَمِلُ أنْ يكونَ للكراهةِ، وأنْ يكونَ للتَّحريمِ.

وقولُهُ: (**مَنْ سَأَلَ باللهِ**) أيْ: مَنْ سأَلَ غيرَهُ باللهِ.

والسُّؤالُ باللهِ ينقسمُ إلى قسمَيْنِ:

أحدُهما: السُّؤالُ باللهِ بالصِّيغَةِ، مثلُ أنْ يقولَ: أسْأَلُكَ باللهِ، ومثلُ ما تقدَّمَ في حديثِ الثَّلاثَةِ؛ حيثُ قالَ المَلَكُ: «**أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ الْجِلْدَ الْحَسَنَ وَاللَّوْنَ الْحَسَنَ بَعِيرًا**».

الثَّاني: السُّؤالُ بِشَرْعِ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ أيْ: يسألُ سؤالاً يُبيحُهُ الشَّرْعُ؛ كسؤالِ الفقيرِ من الصَّدقةِ، والسُّؤالِ عنْ مسألةٍ من العلمِ، وما شابَهَ ذلكَ.

وحكمُ مَنْ رَدَّ مَنْ سَأَلَ باللهِ الكراهةُ أو التَّحريمُ حسَبَ حالِ المَسْئُولِ والسائلِ.

قال في (تيسير العزيز الحميد) (ص:٦٦٨): [**إذا تبين هذا فهذه: الأحاديث دالة على إجابة من سئل بالله أو أقسم به**].

ولكن قال شيخ الإسلام: [**إنما تجب على معين، فلا تجب على سائل يقسم على الناس، وظاهر كلام الفقهاء أن ذلك مستحب كإبرار القسم، والأول: أصح**].

وهنا عِدَّةُ مسائلَ:

المسألةُ الأولى: هلْ يجوزُ للإنسانِ أنْ يَسْأَلَ باللهِ أمْ لا؟

وهذهِ المسألةُ لَمْ يَتَطَرَّقْ إليها المؤلِّفُ يَرْحَمُهُ اللهُ.

فنقولُ:

أوَّلاً: السُّؤالُ منْ حيثُ هوَ مكروهٌ، ولا ينبغي للإنسانِ أنْ يَسْأَلَ أحدًا شيئًا إلاَّ إذا دَعَت الحاجةُ إلى ذلكَ؛ ولهذا كانَ ممَّا بَايعَ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ عَلَيْه أصْحَابُهُ أنْ لا يَسْأَلوا النَّاسَ شيئًا، حتَّى إنَّ عَصَا أحدهم

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعوديه - الرياض ١١٣٢٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٢٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٢٠

ليَسْقُطُ منهُ وهوَ على رَاحلَته فلا يقولُ لأحد: نَاولْنيهَا، بلْ يَنْزِلُ ويَأْخُذُها.

والمعنى يَقْتَضيه؛ لأنَّكَ إذا أَعْزَزْتَ نفسَكَ و لَمْ تُذلَّها لسؤالِ النَّاسِ، بَقيتَ مُحتَرَمًا عندَ النَّاسِ، وصار لكَ مَنَعَةٌ منْ أنْ تُذلَّ وجهَكَ لأحد؛ لأنَّ مَنْ أَذَلَّ وجهَهُ لأحد فإنَّهُ رُبَّمَا يحتاجُهُ ذلكَ الأحدُ لأمرٍ يَكْرَهُ أنْ يُعْطِيَهُ إيَّاهُ، ولكنَّهُ إذا سَأَلَهُ اضْطُرَّ إلى أنْ يُجيبَهُ.

وقد رُويَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم أنَّهُ قالَ: «**ازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ**». فالسُّؤالُ أصلاً مكروهٌ أوْ مُحَرَّمٌ إلاَّ لحَاجَة أوْ ضَرُورة.

أمَّا سؤالُ المالِ فهوَ محرَّمٌ، ولا يجوزُ أنْ يسألَ منْ أحَد مالاً إلاَّ إذا دَعَت الضَّرورةُ إلى ذلكَ، وقالَ الفقهاءُ يَرْحَمُهُم اللهُ في بابِ الزَّكاة: (**إنَّ مَنْ أُبيحَ لهُ أَخْذُ شيءٍ أُبيحَ لهُ سُؤَالُهُ**).

ولكنْ فيما قالُوهُ نَظَرٌ؛ فإنَّ الرَّسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم حَذَّرَ من السُّؤالِ وقالَ: «**إِنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَزَالُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**».

وهذا يدلُّ على التَّحريمِ إلاَّ للضَّرورةِ فلا بأسَ.

وأمَّا سؤالُ الْمَعونةِ بالجاهِ أو المَعونةِ بالبدنِ، فهذهِ مكروهةٌ، إلاَّ إذا دَعَت الحاجةُ إلى ذلكَ.

أمَّا إجابةُ السَّائلِ فهوَ موضوعُ بَابِنَا هذا، **ولا يَخْلُو السائلُ مِنْ أحدِ أمرَيْنِ:**

الأوَّلُ: أنْ يَسْأَلَ سؤالاً مُجرَّدًا، كأنْ يقولَ مثلاً: يا فُلانُ، أَعْطِني كذا وكذا.

فإنْ كانَ ممَّا أباحَهُ الشَّارعُ لهُ فإنَّكَ تُعْطيه، كالفقيرِ يسألُ شيئًا من الزَّكاة.

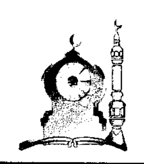
الثَّاني: أنْ يَسْأَلَ باللهِ، فهذا تُجيبُهُ وإنْ لَمْ يكُنْ مُسْتَحقًّا؛ لأنَّهُ سأَلَ بعظيمٍ، فإجابَتُهُ مِنْ تعظيمِ هذا العَظيمِ.

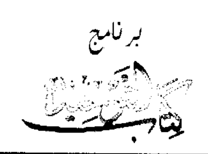
لكنْ لوْ سأَلَ إثمًا أوْ كانَ في إجابته ضررٌ على المَسْئُولِ، فإنَّهُ لا يُجابُ.

مثالُ الأوَّلِ: أنْ يَسْأَلَكَ باللهِ نقودًا ليَشْتَرِيَ بها مُحرَّمًا كالخمرِ.

ومثالُ الثَّاني: أنْ يسْأَلَكَ باللهِ أنْ تُخبِرَهُ عمَّا في سرِّكَ وما تفعلُهُ معَ أَهْلكَ، فهذا لا يُجابُ؛ لأنَّ إجابَتَهُ في الأوَّلِ إعانةٌ على الإثمِ، وإجابتَهُ في الثَّاني ضررٌ على المَسْئُولِ.

(٢) قولُهُ: «**مَنْ سَأَلَ باللهِ**».





(مَنْ) شرطيَّةٌ للعُمُوم.

قولُهُ: «**فَأَعْطُوهُ**» الأمرُ هنا للوجوب ما لَمْ يَتَضَمَّن السُّؤالُ إثمًا أوْ ضررًا على المَسْئُولِ؛ لأنَّ في إعطائِه إجابةً لحاجته وتعظيمًا لله عزَّ وجلَّ الَّذي سألَ به.

ولا يُشْتَرَطُ أنْ يكونَ سؤالُهُ بلفظ الجلالة، بلْ بكلِّ اسمٍ يَخْتَصُّ بالله، كما قالَ المَلَكُ الَّذي جاءَ إلى الأبرصِ والأقرعِ والأعمى: أسْأَلُكَ بالَّذي أعْطاكَ كَذا وَكذا.

قولُهُ: «**وَمَنِ اسْتَعَاذَ بالله فَأَعِيذُوهُ**» أيْ: قالَ: أَعُوذُ بالله منكَ، فإنَّهُ يجبُ عليكَ أنْ تُعيذَهُ؛ لأنَّهُ استعاذَ بعظيمٍ.

ولهذا لَمَّا قَالَت ابنةُ الْجَوْنِ للرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم: **أَعُوذُ باللهِ منكَ، قالَ لَهَا**: «**لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ -أَوْ مُعَاذٍ- الْحَقِي بِأَهْلِكِ**».

لكنْ يُسْتَثْنَى منْ ذلكَ لو استعاذَ منْ أَمْرٍ واجبٍ عليه فلا تُعِذْهُ، مثلُ: أنْ تُلْزِمَهُ بصلاةِ الجماعةِ فقالَ: **أعوذُ باللهِ منكَ**.

وكذلكَ لوْ أَلْزَمْتَهُ بالإقلاعِ عنْ أَمْرٍ مُحَرَّمٍ، فاستعاذَ باللهِ منكَ، فلا تُعِذْهُ؛ لِمَا فيه من التَّعاوُنِ على الإثمِ والعدوانِ، ولأنَّ اللهَ لا يُعيذُ عاصيًا، بل العاصي يَسْتَحِقُّ العقوبةَ لا الانتصارَ لهُ وإعاذَتَهُ.

وكذلكَ مَن اسْتَعَاذَ بمَلْجأٍ صحيحٍ يَقْتَضِي الشَّرعُ أنْ يُعيذَهُ، وإنْ لَمْ يَقُلْ أَسْتَعيذُ باللهِ، فإنَّهُ يَجبُ عليكَ أنْ تُعيذَهُ، كما قالَ أهلُ العلمِ: (لوْ جَنَى أَحَدٌ جنايَةً، ثمَّ لجأَ إلى الحَرَمِ، فإنَّهُ لا يُقامُ عليه الحدُّ ولا القِصَاصُ في الحَرَمِ، ولكنَّهُ يُضيَّقُ عليه، فلا يُبايَعُ، ولا يُشْتَرَى منهُ، ولا يُؤَجَّرُ حتَّى يَخْرُجَ.

بخلافِ مَن انْتهكَ حُرْمَةَ الحَرَمِ بأنْ فعَلَ الجنايَةَ في نفسِ الحرمِ، فإنَّ الحرمَ لا يُعيذُهُ).

قولُهُ: «**وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ**» (مَنْ) شرطيَّةٌ للعُمُومِ.

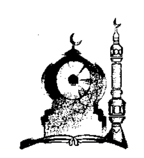
والظَّاهرُ: **أنَّ المرادَ بالدَّعوةِ هنا الدَّعْوَةُ للإكرامِ**، وليسَ المقصودُ بالدَّعوةِ هنا النِّداءَ.

وظاهرُ الحديثِ: وُجُوبُ إجابةِ الدَّعوةِ في كلِّ دعوةٍ، وهوَ مذهبُ الظَّاهريَّةِ.

وجمهورُ أهلِ العلمِ: أنَّها مُسْتَحَبَّةٌ إلاَّ دعوةَ العُرسِ فإنَّها واجبةٌ؛ لقولهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم فيها: «**شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَيُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ**».

وسواءٌ قيلَ بالوجوبِ أو الاستحبابِ؛ **فإنَّهُ يُشترَطُ لذلكَ شُرُوطٌ**:

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



الأول: أنْ يكونَ الدَّاعي ممَّنْ لا يَجبُ هَجْرُهُ أوْ يُسَنُّ.

الثاني: ألاَّ يكونَ هناكَ مُنْكَرٌ في مكانِ الدَّعوةِ.

فإنْ كانَ هناكَ مُنْكَرٌ فإنْ أمْكَنَهُ إزَالتُهُ وجَبَ عليهِ الحضورُ لسببَيْنِ:

أحدهما: إجابةُ الدَّعوةِ.

والآخر: وتغييرُ المنكرِ.

وإنْ كانَ لا يُمْكِنُهُ إزَالتُهُ حَرُمَ عليهِ الحضورُ؛ لأنَّ حضورَهُ يَسْتَلْزِمُ إثْمَهُ.

وما اسْتَلْزَمَ الإثمَ فهوَ إثْمٌ.

الثالث: أنْ يكونَ الدَّاعي مُسْلِمًا.

وإلاَّ لَمْ تَجبِ الإجابةُ؛ لقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**...» وذكَرَ **منها**: «**إِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ**» قالُوا: وهذا مُقَيِّدٌ للعمومِ الواردِ.

الرابع: أنْ لا يكونَ كَسْبُهُ حرامًا؛ لأنَّ إجابَتَهُ تَسْتَلْزِمُ أنْ تَأْكُلَ طعامًا حَرَامًا، وهذا لا يجوزُ، وبهِ قالَ بعضُ أهلِ العلمِ.

وقالَ آخرونَ: ما كانَ مُحَرَّمًا لِكَسْبِه؛ فإنَّما إثْمُهُ على الكاسبِ، لا على مَنْ أخَذَهُ بطريقٍ مُبَاحٍ من الكاسبِ، بخلافِ ما كانَ مُحَرَّمًا لعَيْنِه؛ كالخمرِ والْمَغصُوبِ ونحوهما.

وهذا القولُ وَجيهٌ قَويٌّ؛ بدليلِ أنَّ الرَّسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ اشْتَرى منْ يهوديٍّ طعامًا لأهلِه، وأكَلَ من الشَّاةِ الَّتي أَهْدَتْهَا لهُ اليهوديَّةُ بخيبرَ، وأجابَ دعوةَ اليهوديِّ، ومن المعلومِ أنَّ اليهودَ مُعْظَمُهُم يَأْخُذونَ الرِّبا، ويَأْكُلونَ السُّحْتَ.

ورُبَّما يُقَوِّي هذا القولَ قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ في اللَّحْمِ الَّذي تُصُدِّقَ بهِ على بَريرَةَ: «**هُوَ لَهَا صَدَقَةٌ، وَلَنَا مِنْهَا هَدِيَّةٌ**».

وعلى القولِ الأوَّلِ؛ فإنَّ الكراهةَ تَقْوَى وتَضْعُفُ حسَبَ كَثْرَةِ المالِ الحرامِ وقلَّته.

فَكُلَّما كانَ الحرامُ أكثرَ كانت الكراهةُ أشدَّ، وكلَّما قلَّ كانت الكراهةُ أقلَّ.

الخامس: أنْ لا تَتَضَمَّنَ الإجابةُ إسقاطَ واجبٍ أوْ ما هوَ أوْجَبُ منها.

فإنْ تضمَّنَتْ ذلكَ حَرُمَت الإجابةُ.

السادس: أنْ لا تَتضَمَّنَ ضَرَرًا على المُجيبِ، مثلُ: أنْ يَحْتاجَ إلى سَفَرٍ أوْ مُفارقةِ أهلِه المحتاجينَ إلى وُجُودِه بينهم.

قولُهُ: «**مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ**» المعروفُ الإحسانُ.

فمَنْ أحْسَنَ إليكَ بهديَّة أوْ غيرِهَا فكافئْهُ، فإذا أحسنَ إليكَ بإنجازِ مُعَامَلَة، وكانَ عملُهُ زائدًا عن الواجبِ عليه فكافئْهُ، وهكذا، لكنْ إذا كانَ كبيرَ الشَّأْنِ، ولَمْ تَجْرِ العادةُ بمُكَافَأَته؛ فلا يُمْكِنُ أنْ تُكافئَهُ؛ كالملِكِ والرَّئيسِ.

مثلاً: (إذا أعْطاكَ هديَّةً) فمثلَ هذا يُدْعَى لهُ؛ لأنَّكَ لوْ كَافَأْتَهُ لَرَأَى أنَّ في ذلكَ غَضًّا منْ حَقِّه، فتكونُ مُسيئًا لهُ.

والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ أرادَ أنْ تُكَافِئَهُ لإحسانِه.

وللمكافأةِ فائدتانِ:

الأولى: تشجيعُ ذَوي المعروفِ على فعلِ المعروفِ.

الثانية: أنَّ الإنسانَ يَكْسِرُ بها الذُّلَّ الَّذي حصَلَ لهُ بصُنْعِ المعروفِ إليه؛ لأنَّ مَنْ صنَعَ إليكَ معروفًا فلا بُدَّ أنْ يكونَ في نفسِكَ رِقَّةٌ لهُ، فإذا ردَدْتَ إليه مَعْرُوفَهُ زالَ عنكَ ذلكَ؛ ولهذا قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى**» واليدُ العليا هيَ يدُ الْمُعطِي.

وهذه فائدةٌ عظيمةٌ لِمَنْ صُنِعَ لهُ معروفٌ؛ لئلاَّ يَرَى لأحدٍ عليه مِنَّةً إلاَّ للهِ عزَّ وجلَّ، لكنَّ بعضَ النَّاسِ يكونُ كريمًا جدًّا، فإذا كافأْتَهُ بَدَلَ هديَّتِه أعْطاكَ أكثرَ ممَّا أعْطَيْتَهُ، فهذا لا يُريدُ مكافأةً، ولكنْ يُدْعَى لهُ؛ لقولِه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ**».

وكذلكَ الفقيرُ إذا لَمْ يَجِدْ مكافأةَ الغنيِّ فإنَّهُ يَدْعُو لهُ.

ويكونُ الدُّعاءُ بعدَ الإهداءِ مُباشَرَةً؛ لأنَّهُ منْ بَابِ الْمُسَارَعَةِ إلى أمرِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ؛ ولأنَّ بهِ سُرُورَ صانعِ المعروفِ.

قولُهُ: «**حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**» (تَرَوْا) بفتحِ التَّاءِ بمعنى: **تَعْلَمُوا**.

وتَجُوزُ بالضَّمِّ بمعنى تَظُنُّوا؛ أيْ: حتَّى تَعْلَمُوا أوْ يَغْلِبَ على ظَنِّكم أنَّكم قدْ كافأْتُموهُ، ثمَّ أَمْسِكُوا.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

(٣) فيهِ مسائلُ:

الأولى: (**إعاذَةُ مَن استَعاذَ باللهِ**) وسبقَ أنَّ مَن استَعاذَ باللهِ وجَبَتْ إعاذَتُهُ، إلاَّ أنْ يَستَعيذَ عنْ شيءٍ واجبٍ فعلاً أوْ تركًا؛ فإنَّهُ لا يُعاذُ.

(٤) **الثَّانِيَةُ:** (**إعطاءُ مَنْ سأَلَ باللهِ**) وسبقَ التَّفصيلُ فيه.

(٥) **الثَّالِثَةُ:** (**إجابَةُ الدَّعْوَةِ**) وسبقَ كذلكَ التَّفصيلُ فيها.

(٦) **الرَّابعةُ:** (**الْمُكافَأَةُ علَى الصَّنيعَةِ**) أيْ: على صنيعةِ مَنْ صَنَعَ إليكَ معروفًا، وسبقَ التَّفصيلُ في ذلكَ.

(٧) **الخامِسَةُ:** (**أنَّ الدُّعاءَ مُكافَأَةٌ لِمَنْ لا يَقْدِرُ إلاَّ عليه**) وسبقَ أنَّهُ مكافأةٌ في ذلكَ، وفيما إذا كانَ الصَّانعُ لا يُكَافأُ مِثْلُهُ عادةً.

(٨) **السَّادِسَةُ:** قولُهُ: «**حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**» أيْ: أنَّهُ لا يُقصِّرُ في الدُّعاءِ، بلْ يَدْعُو لهُ حتَّى يَعْلَمَ أوْ يَغْلِبَ على ظَنِّه أنَّهُ قدْ كَافَأَهُ.

وفيهِ مسائِلُ أُخْرَى، لكنْ ما ذَكَرَهُ المؤلِّفُ هوَ المقصودُ.

(٩) مُناسَبَةُ هذا البابِ للتَّوحيدِ:

أنَّ فيهِ تعظيمَ وَجْهِ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ بحيثُ لا يُسْأَلُ به إلاَّ الجَنَّةُ.

(١٠) قولُهُ: «**لاَ يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلاَّ الْجَنَّةُ**».

اختُلِفَ في المرادِ بذلكَ على قولَيْنِ:

القولُ الأوَّلُ: أنَّ المُرادَ: **لا تَسْأَلوا أحدًا من المخلوقينَ بوجه الله**، فإذا أرَدْتَ أنْ تَسْأَلَ أحدًا من المخلوقينَ فلا تَسْأَلْهُ بوجه اللهِ؛ لأنَّهُ لا يُسْأَلُ بوجه اللهِ إلاَّ الجنَّةُ، والخَلْقُ لا يَقْدِرونَ على إعطاءِ الجنَّةِ؛ فإذًا لا يُسْأَلونَ بوجه اللهِ مُطْلَقًا، ويَظْهَرُ أنَّ المؤلِّفَ يَرَى هذا الرَّأيَ في شرحِ الحديثِ؛ ولذلكَ ذَكَرَهُ بَعْدَ: (**بَابُ لا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ باللهِ**).

القولُ الثَّاني: **أنَّكَ إذا سألْتَ اللهَ فإنْ سَأَلْتَ الجَنَّةَ وما يَسْتَلْزِمُ دُخُولَهَا** فلا حَرَجَ أنْ تَسْأَلَ بوجهِ اللهِ، وإنْ سَأَلْتَ شيئًا منْ أُمُورِ الدُّنْيَا فلا تَسْأَلْهُ بوجهِ اللهِ؛ لأنَّ وجهَ اللهِ أعظمُ منْ أنْ يُسْأَلَ به لِشَيْءٍ منْ أمورِ الدُّنيا.

فأُمورُ الآخرةِ تُسْأَلُ بوجهِ اللهِ، كقولِكَ مثلاً: (أَسْأَلُكَ بوجهِكَ أنْ تُنْجِيَني من النَّارِ).

والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ اسْتَعَاذَ بوجهِ اللهِ لَمَّا نَزَلَ قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ قالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

قالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾.

قالَ: «هَذِهِ أَهْوَنُ أَوْ أَيْسَرُ».

ولوْ قيلَ: إنَّهُ يَشْتَمِلُ المعْنَيَيْنِ جميعًا لكانَ لهُ وَجْهٌ.

قال في (قرة عيون الموحدين) (ص: ٢٣١): [قوله صلى الله عليه وسلم «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة» هنا سؤال: وهو أنه قد ورد دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الطائف حين كذبته ثقيف دعا بالدعاء المأثور «اللهم أشكوا إليك ضعف قوتي» وفيه «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات» والحديث الآخر وفيه «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض» ونحو هذه الأحاديث المرفوعة التي فيها السؤال بوجه الله غير الجنة؟

الجواب: يحتمل أن هذا فيما يكرهه العبد لا فيما يحبه ويتمناه، ويحتمل غير هذا والله أعلم) .

وقولُهُ: «بِوَجْهِ اللهِ» فيهِ إثباتُ الوجهِ للهِ عزَّ وجلَّ، وهوَ ثابتٌ في القرآنِ والسُّنَّةِ وإجماعِ السَّلَفِ.

فالقرآنُ في قولِهِ تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ والآياتُ كثيرةٌ.

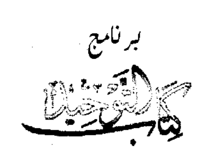
والسُّنَّةُ كما في الحديثِ السَّابقِ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ».

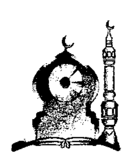
واخْتُلِفَ في هذا الوجهِ الَّذي أضافَهُ اللهُ إلى نفسِهِ:

هلْ هوَ وجهٌ حقيقيٌّ، أوْ أنَّهُ وَجْهٌ يُعَبَّرُ به عن الذَّاتِ، وليسَ للهِ وجهٌ، بلْ لهُ ذاتٌ، أوْ أنَّهُ يُعَبَّرُ بهِ عن الشَّيءِ الذي يُرادُ به وَجْهُهُ، وليسَ هوَ الوَجْهَ الحقيقيَّ، أوْ أنَّهُ يُعَبَّرُ به عن الجهةِ، أوْ أنَّهُ يُعَبَّرُ بهِ عن الثَّوابِ؟

فيهِ خلافٌ، لكنْ هَدَى اللهُ الَّذين آمنوا لمَا اخْتَلَفوا فيه من الحقِّ، فقالُوا: (إنَّهُ وَجْهٌ حقيقيٌّ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قالَ:

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠






{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} .

ولَمَّا أرادَ غيرَ ذاتِهِ قالَ: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} .

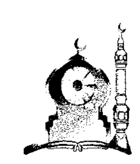
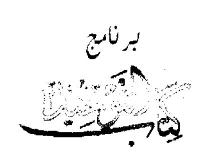
فـ(ذِي) صفةٌ لـ(ربِّ)، وليستْ صفةً لـ(اسمُ)، و(ذُو) صفةٌ لـ(وَجْهُ) ولَيْسَتْ صفةً لـ(ربِّ).

فإذا كانَ الوجهُ موصوفًا بالجلالِ والإكرامِ فلا يُمْكِنُ أنْ يُرَادَ به الثَّوَابُ أو الجهةُ أو الذَّاتُ؛ لأنَّ الوجهَ غيرُ الذَّاتِ).

(١١) **فِيهِ مَسْأَلَتَانِ:**

الأولى: (**النَّهْيُ عَنْ أنْ يُسْأَلَ بِوَجْهِ اللهِ إلاَّ غَايَةُ المَطَالِبِ**) تُؤْخَذُ مِنْ حديثِ البابِ، وهذا الحديثُ ضَعَّفَهُ بعضُ أهلِ العلمِ. لَكِنْ على تقديرِ صِحَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ من الأدبِ أنْ لا تَسْأَلَ بِوَجْهِ اللهِ إلاَّ ما كانَ مِنْ أَمْرِ الآخرةِ؛ الفوزِ بالجنَّةِ، أو النَّجاةِ من النَّارِ.

(١٢) **الثَّانِيَةُ:** (**إثباتُ صفةِ الوجْهِ**) وقدْ سبقَ الكلامُ عليه.

تهذيب القول المفيد لفضيلةالشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الثالث والأربعون

(١) قولُهُ: (في الـ (لو) دَخَلت (أل) علَى (لو) وهيَ لا تدخلُ إلاَّ علَى الأسماءِ).

لأنَّ المقصودَ بهذا اللفظُ، أي: بابُ ما جاء في هذا اللفظِ.

قال في (فتح المجيد) (ص:٥٥١): (وأدخل المصنف ـ رحمه الله ـ أداة التعريف على (لو) وهذه في هذا المقام لا تفيد تعريفاً لنظائرها، لأن المراد هذا اللفظ كما قال الشاعر.

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديداً بأعباء الخلافة كاهلُه).

والمؤلِّفُ رحمه اللهُ جعلَ التَّرجمةَ مفتوحةً ولم يَجزمْ بشيءٍ؛ لأنَّ (لو) تُستعمَلُ علَى عدَّةِ أوجه:

الوجهُ الأوَّلُ: أن تستعملَ في الاعتراضِ علَى الشَّرعِ، وهذا محرَّمٌ، قال تعالَى: **{لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا}** في غزوةِ أُحُد حينَما تخلَّفَ أثناءَ الطَّريقِ عبدُ اللهِ بنُ أبيٍّ في نحوِ ثُلثِ الجيشِ، فلمَّا استُشْهِدَ من المسلمينَ سبعونَ رجلاً اعترضَ المنافقونَ علَى تشريعِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم، وقالوا: لوْ أطاعونَا ورجعوا كما رجَعْنا ما قُتلوا؛ فَرأْيُنا خيرٌ منْ شرعِ محمَّدٍ، وهذا محرَّمٌ، وقدْ يصلُ إلَى الكفرِ.

الثَّاني: أن تستعملَ في الاعتراضِ علَى القدَرِ، وهذا محرَّمٌ أيضًا، قال تعالَى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا}** أي: لوْ أنَّهم بَقُوا ما قُتلُوا، فهم يَعترِضُون علَى قدَرِ اللهِ.

الثَّالثُ: أن تُستعملَ للنَّدمِ والتَّحسُّرِ، وهذا محرَّمٌ أيضًا؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ يَفْتَحُ النَّدمَ عليكَ فإنَّهُ منهيٌّ عنه؛ لأنَّ النَّدمَ يُكسبُ النَّفسَ حزنًا وانقباضًا، واللهُ يريدُ منَّا أن نكونَ في انشراحٍ وانبساطٍ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: «احْرِصْ عَلَى مَا ينفعُكَ، واستَعِنْ باللهِ ولا تَعْجِزْ، وإنْ أصابَكَ شيءٌ فلا تَقُلْ: لوْ أنِّي فعَلْتُ كَذَا لَكانَ كَذَا، فإنَّ (لوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطانِ».

مثالُ ذلك: رجلٌ حرَصَ أن يشتريَ شيئًا يظنُّ أنَّ فيه ربحًا فخسرَ، فقالَ: لوْ أنِّي ما اشتريتُهُ ما حصَلَ لي خَسارةٌ، فهذا نَدمٌ وتَحسُّرٌ، ويقعُ كثيرًا وقدْ نُهي عنه.

الرابعُ: أنْ تُستعمَلَ في الاحتجاجِ بالقدرِ علَى المعصيَةِ، كقولِ المشركين: **{لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا}** وقولِهم: **{لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ}** وهذا باطلٌ.

الخامسُ: أنْ تُستعمَلَ في التَّمنِّي، وحكمُهُ حسبَ المُتمَنَّى: إنْ كانَ خيرًا فخيرٌ، وإنْ كانَ شرًّا فشرٌّ، وفي (**الصَّحيحِ**) عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم في قصَّةِ النَّفرِ الأربعةِ قالَ أحدُهم: «**لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ**».

فهذا تمنَّى خيرًا.

وقالَ الثَّاني: «**لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ**» فهذا تمنَّى شرًّا.

فقال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم في الأوَّلِ: «**فَهُوَ بِنِيَّتِه، فأجرُهما سَواءٌ**».

وقالَ في الثَّاني: «**فَهُوَ بِنِيَّتِه، فوزرُهما سواءٌ**».

السادسُ: أن تُستعمَلَ في الخبرِ المحضِ، وهذا جائزٌ، مثلُ: لوْ حضرْتَ الدَّرسَ لاستفدْتَ، ومنهُ قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم: «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الهَدْيَ وَلَأَحْلَلْتُ مَعَكُم**» فأخبرَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ أنَّهُ لوْ علِمَ أنَّ هذا الأمرَ سيكونُ من الصَّحابةِ ما ساقَ الهدْيَ ولأَحَلَّ، وهذا هوَ الظَّاهرُ لي.

وبعضُهُم قال: إنَّهُ منْ بابِ التَّمنِّي، كأنَّهُ قالَ: ليتني استقبلتُ منْ أمري ما استَدْبَرْتُ حتَّى لا أسوقَ الهدْيَ.

فالظَّاهرُ: أنَّهُ أخبرَ لمَا رَأَى منْ أصحَابِه، والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم لا يتمنَّى شيئًا قدَّرَ اللهُ خلافَهُ.

(**٢**) قولُهُ تعالَى: «**يَقُولُونَ**» الضَّميرُ للمنافقينَ.

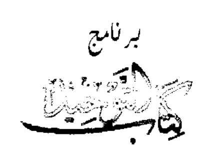
قولُهُ: (**مَا قُتِلْنَا**) أي: ما قُتل بعضُنا؛ لأنَّهُم لم يُقتَلُوا كلُّهم؛ ولأنَّ المقتولَ لا يقولُ.

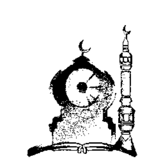
قولُهُ: «**لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ**»، (لو) شرطيَّةٌ، وفعلُ الشَّرطِ (**كانَ**)، وجوابُهُ (**ما قُتلْنا**)، و لم يَقْتَرِنِ الجوابُ باللامِ؛ لأنَّ الأفصحَ إذا كانَ الجوابُ منفيًّا عدمُ الاقترانِ، فقولُكَ: لوْ جاءَ **زيدٌ** ما جاءَ **عمرٌو**، أفصحُ منْ قولِكَ: لوْ جاءَ **زيدٌ** لَمَا جاءَ **عمرٌو**، وقدْ وردَ قليلاً اقترانُها معَ النفيِ كقولِ الشَّاعرِ:

وَلَوْ نُعْطَى الخِيارَ لَمَا افْتَرَقْنَا ... وَلَكِنْ لا خِيارَ مَعَ اللَّيالِي

قولُهُ: (**هَا هُنَا**) أي: في أُحُد.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠






قولُهُ: {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ}، هذا ردٌّ عليهم، فلا يمكنُ أن يتخلَّفوا عمَّا أرادَ اللهُ بهم.

وقولُهُم: {لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} هذا من الاعتراضِ علَى الشَّرعِ؛ لأنَّهم عتَبوا علَى الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم حيثُ خرجَ بدونِ موافقتِهم، ويمكنُ أنْ يكونَ اعتراضًا علَى القدَرِ أيضًا، أي: لوْ كانَ لنا منْ حُسنِ التَّدبيرِ والرَّأيِ شيءٌ ما خَرَجْنا فنُقتَلَ.

(٣) قولُهُ: «وَقَعَدُوا» الواوُ إمَّا أن تكونَ عاطفةً، والجملةُ معطوفةٌ علَى (قالوا) ويكونُ وصَف هؤلاءِ بأمْرَيْنِ:

الأول: **الاعتراضِ علَى القدرِ** بقولِهم: {لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا}.

الثاني: **الجُبنِ عنْ تنفيذِ الشَّرعِ (الجهادِ)** بقولِهِم: {وَقَعَدُوا} أوْ تكونَ الواوُ للحالِ، والجملةُ حاليَّةٌ علَى تقديرِ (قدْ) أي: والحالُ أنَّهم قدْ قعَدوا، ففيه توبيخٌ لهم حيثُ قالوا معَ قعودِهِم، ولوْ كانَ فيهم خيرٌ لخَرَجوا معَ النَّاسِ، لكنْ فيهم الاعتراضُ علَى المؤمنين وعلَى قضاءِ اللهِ وقدرِهِ.

قولُهُ: «لإِخْوَانِهِمْ» قيل: **في النَّسبِ لا في الدِّينِ**.

وقيل: في الدِّينِ ظاهرًا؛ لأنَّ المنافقينَ يَتظاهَرُون بالإسلامِ.

ولوْ **قيل**: إنَّهُ شاملٌ للأمْرينِ لكان صحيحًا.

قولُهُ: {لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} هذا غيرُ صحيحٍ، ولهذا ردَّ اللهُ عليهم بقولِهِ: {قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} وإن كنتم قاعدِينَ فلا تَستَطِيعونَ أيضًا أنْ تَدْرءوا عنْ أنفسِكُم الموتَ.

فهذه الآيَةُ والَّتي قبلَها تدلُّ علَى أنَّ الإنسانَ محكومٌ بقدرِ اللهِ، كما أنَّهُ يجبُ أن يكونَ محكومًا بشرعِ اللهِ.

ومناسبةُ البابِ للتَّوحيدِ:

أنَّ منْ جملةِ أقسامِ (لو) **الاعتراضَ علَى القدرِ**، ومَن اعترَضَ علَى القدرِ فإنَّهُ لم يَرْضَ باللهِ ربًّا، ومَنْ لم يَرْضَ باللهِ ربًّا، فإنَّهُ لم يحقِّق التَّوحيدَ توحيدَ الربوبيَّة.

والواجبُ أن تَرْضَى باللهِ ربًّا، ولا يمكنُ أن تستريحَ إلاَّ إذا رضِيتَ باللهِ ربًّا تَمامَ الرِّضا، كأنَّ لكَ أجنحةً تميلُ بها حيثُ مالَ القدرُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١١١١ - ص.ب ١١٠٤٠٠
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

ولهذا قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم: «عَجَبًا لأمرِ المُؤمنِ، إنَّ أمرَهُ كلَّهُ خيرٌ، وليسَ ذلكَ لأحدٍ إلاَّ للمؤمنِ: إنْ أصابَتْهُ ضرَّاءُ صَبَرَ فكانَ خيرًا لَهُ، وإنْ أصابَتْهُ سرَّاءُ شَكَرَ فكانَ خيرًا لَهُ» ومهْما كانَ، فالأمرُ سيكونُ علَى ما كانَ، فلوْ خرجْتَ مثلاً في سَفَرٍ ثمَّ أُصِبْتَ في حادثٍ، فلا تقلْ: لوْ أنِّي ما خرَجتُ في السَّفرِ ما أُصِبْتُ؛ لأنَّ هذا مُقدَّرٌ لا بُدَّ منه.

(٤) قولُهُ: (وفي الصَّحيحِ) أيْ: (صحيحِ مسلمٍ) والمؤلِّفُ -رحمه اللهُ- حذفَ منهُ جملةً، وأتَى بما هوَ مناسبٌ للبابِ، والمحذوفُ قولُهُ: «المُؤْمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلَى اللهِ منَ المُؤمنِ الضَّعيفِ وفي كلٍّ خيرٌ».

قولُهُ: (احْرِصْ عَلَى ما يَنْفَعُكَ) الحرصُ: بذلُ الجهدِ لنيلِ ما ينفعُ منْ أمرِ الدِّينِ أو الدُّنيا.

وأفعالُ العبادِ - بحسَبِ السَّبْرِ والتَّقسيمِ - لا تَخْلُو منْ أربعِ حالاتٍ:

الأولى: **نافعةٌ**، وهذه مأمورٌ بها.

الثانية: **ضارَّةٌ**، وهذه مُحَذَّرٌ منها.

الثالثة: **فيها نفعٌ وضررٌ**.

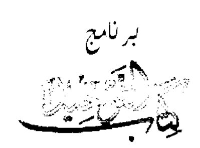
الرابعة: **لا نفْعَ فيها ولا ضررَ**، وهذه لا يتعلَّقُ بها أمرٌ ولا نهيٌ، لكنَّ الغالبَ أنْ لا تقعَ إلاَّ وسيلةً إلَى ما فيهِ أمرٌ أوْ نهيٌ، فتَأْخُذُ حكمَ الغايَةِ؛ لأنَّ الوسائلَ لها أحكامُ المقاصدِ.

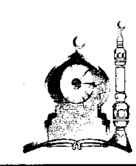
فالأمرُ لا يخلُو منْ نفعٍ أوْ ضررٍ، إمَّا لذاتِه أوْ لغيرِه، فحديثُنا العامُّ قدْ لا يكونُ فيهِ نفعٌ ولا ضررٌ، لكن قدْ يتكلَّمُ الإنسانُ ويتحدَّثُ لأجلِ إدخالِ السُّرورِ علَى غيرِه فيكونُ نفعًا، ولا يمكنُ أن تجدَ شيئًا من الأمورِ والحوادثِ ليسَ فيها نفعٌ ولا ضررٌ، إمَّا ذاتيٌّ أوْ عارضٌ، إنَّما ذَكَرْنَاهُ لأجلِ تمامِ السَّبْرِ والتَّقسيمِ.

والعاقلُ يَشِحُّ بوقتِه أنْ يصرفَهُ فيما لا نفعَ فيهِ ولا ضررَ، قال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم: «مَنْ كانَ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلْيَقُلْ خيرًا أوْ ليَصْمُتْ».

واتِّصالُ هذه الجملة بما قبلَها ظاهرٌ جدًّا؛ لأنَّ من القوَّةِ الحرصَ علَى ما ينفعُ.

و(**ما**) اسمٌ موصولٌ بفعلِ (**ينفع**) والاسمُ الموصولُ يُحَوَّلُ بصلتِه إلَى اسمِ فاعلٍ كأنَّهُ قالَ: احْرِصْ علَى النَّافعِ، وإنَّما قلْتُ ذلكَ لأجلِ أنْ أقولَ: إنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم أمَرَنا بالحرصِ علَى النَّافعِ، ومعناهُ أن نقدِّمَ الأنفعَ علَى النَّافعِ؛ لأنَّ الأنفعَ مشتملٌ علَى أصلِ النَّفعِ وعلَى الزِّيادةِ، وهذه الزِّيادةُ لا بدَّ أن نحرصَ عليها؛ لأنَّ الحكمَ إذا







عُلِّقَ بوصفٍ كانَ تأكُّدُ ذلكَ الحكمِ بحسبِ ما يشتملُ عليه تأكُّدُ ذلكَ الوصفِ، فإذا قلتَ: (أَنَا أَكْرَهُ الفاسقِينَ) كانَ كلُّ مَنْ كانَ أشدَّ في الفسقِ إليكَ أكرَهَ؛ **فنقدِّمُ الأنفعَ علَى النَّافعِ لوجهين:**

أحدهما: أنَّهُ مشتملٌ علَى النَّفعِ وزيادة.

والآخر: أنَّ الحكمَ إذا عُلِّقَ بوصفٍ كانَ تأكُّدُ ذلكَ الحكمِ بحسَبِ تأكُّد ذلكَ الوصفِ وقوَّته.

ويُؤخَذُ من الحديث: وجوبُ الابتعادِ عن الضَّارِّ؛ لأنَّ الابتعادَ عنه انتفاعٌ وسلامةٌ لقولِه: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**».

قولُهُ: «**واسْتَعِنْ باللهِ**» الواوُ تَقْتَضِي الجمعَ، و لم يقلْ: استعنْ لتكونَ الاستعانةُ مقرونةً بالحرصِ، والحرصُ سابقٌ علَى الفعلِ، فلا بدَّ أن تكونَ الاستعانةُ مقارِنةً للفعلِ منْ أوَّلِه.

والاستعانةُ: طلبُ العونِ بلسانِ المقالِ، كقولِكَ: (اللهمَّ أعِنِّي) أوْ: (لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ) عندَ شروعِكَ بالفعلِ.

أوْ بلسانِ الحالِ وهيَ أن تشعرَ بقلبِكَ أنَّكَ محتاجٌ إلَى ربِّكَ -عزَّ وجلَّ- أن يُعينَكَ علَى هذا الفعلِ، وأنَّهُ إنْ وَكَلَكَ إلَى نفسِكَ وكَلَكَ إلَى ضعفٍ وعجزٍ وعورةٍ، أوْ طلبُ العونِ بهما جميعًا، والغالبُ أنَّ مَن استعانَ بلسانِ المقالِ فقد استعانَ بلسانِ الحالِ.

ولو احتاجَ الإنسانُ إلَى الاستعانة بالمخلوقِ -كحملِ صندوقٍ مثلاً- فهذا جائزٌ، ولكن لا تُشعِرْ نفسَكَ أنَّها كاستعانتِكَ بالخالقِ، وإنَّما عليكَ أن تشعرَ أنَّها كمعونةِ بعضِ أعضائِكَ لبعضٍ، كما لوْ عجَزْتَ عنْ حملِ شيءٍ بيدٍ واحدةٍ فإنَّكَ تستعينُ علَى حمله باليد الأخرَى، وعلَى هذا فالاستعانةُ بالمخلوقِ فيما يقدرُ عليه كالاستعانةِ ببعضِ أعضائِكَ، فلا تُنافي قولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: «**اسْتَعِنْ باللهِ**».

قولُهُ: «**ولا تَعْجَزَنْ**» فعلٌ مضارعٌ مبنيٌّ علَى الفتحِ؛ لاتِّصاله بنونِ التَّوكيدِ الخفيفة، و(**لا**) ناهيَةٌ، والمعنَى: لا تفعلْ فعلَ العاجزِ من التَّكاسُلِ وعدمِ الحزمِ والعزيمةِ، وليسَ المعنَى: لا يصيبُكَ عجزٌ؛ لأنَّ العجزَ عن الشَّيءِ غيرُ التَّعاجُزِ، فالعجزُ بغيرِ اختيارِ الإنسانِ؛ لأنَّ ذلكَ لا طاقةَ لهُ به فلا يتوجَّهُ عليه نهيٌ، ولهذا قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: «**صلِّ قائمًا، فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فقاعدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فعلَى جَنْبٍ**».

فإذا اجتمعَ الحرصُ وعدمُ التَّكاسُلِ، اجتمعَ في هذا صدقُ النِّيَّةِ بالحرصِ والعزيمةِ بعدمِ التَّكاسلِ؛ لأنَّ بعضَ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

النَّاسِ يَحْرِصُ علَى ما يَنْفَعُهُ ويَشْرَعُ فيه، ثمَّ يَتَعاجَزُ ويَتَكاسَلُ ويَدَعُهُ، وهذا خلافُ ما أمرَ به الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم، فما دمْتَ عرفتَ أنَّ هذا نافعٌ فلا تدعْهُ؛ لأنَّكَ إذا عجَزَتْ نفسُكَ خسرْتَ العملَ الَّذي عملْتَ ثمَّ عوَّدْتَ نفسَكَ التَّكاسلَ والتَّدنيَ منْ حالةِ النَّشاطِ والقوَّةِ إلَى حالةِ العجزِ والكسلِ، وكم منْ إنسانٍ بدأ العملَ - ولا سيَّما النَّافعُ- ثمَّ أتَى الشَّيطانُ فثبَّطَهُ، لكن إذا ظهَرَ في أثناءِ العملِ أنَّهُ ضارٌّ فيجبُ عليه الرُّجوعُ عنه؛ لأنَّ الرُّجوعَ إلَى الحقِّ خيرٌ من التَّمادي في الباطلِ.

قولُهُ: «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلتُ كَذا لَكانَ كَذا وكَذا**» هذه هيَ المرتبةُ الرابعةُ ممَّا ذُكرَ في هذا الحديثِ العظيمِ إذا حصلَ خلافُ المقصودِ.

فالمرتبةُ الأولَى: الحرصُ.

والمرتبةُ الثَّانيةُ: الاستعانةُ باللهِ.

والمرتبةُ الثالثةُ: المُضيُّ في الأمرِ والاستمرارُ فيه، وهاتانِ المرتبتانِ إليكَ.

والمرتبةُ الرابعةُ: إذا حصَلَ خلافُ المقصودِ فهذه ليستْ إليك، ولهذا قالَ: «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ..**».

قولُهُ: «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ**» أي: ممَّا لا تحبُّهُ ولا تريدُهُ، وممَّا يعوقُكَ عن الوصولِ إلَى مَرامِكَ فيما شرعْتَ فيهِ من نفعٍ.

فمَنْ خالفَهُ القدرُ ولم يأتِ علَى مطلوبِهِ لا يخلُو منْ حالينِ:

الأولَى: أنْ يقولَ: لوْ لم أَفْعَلْ ما حصَلَ كذا.

الثَّانيةُ: أنْ يقولَ: لوْ فعلْتُ كذا - لأمرٍ لم يفعلْهُ - لكانَ كذَا.

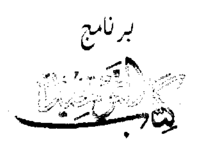
مثالُ الأوَّلِ: قولُ القائلِ: لوْ لمْ أسافرْ ما فاتني الرِّبحُ.

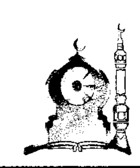
ومثالُ الثَّاني: أنْ يقولَ لوْ سافرتُ لربحْتُ.

وذكَرَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّم الثَّانيَ دونَ الأوَّلِ؛ لأنَّ هذا الإنسانَ عاملٌ فاعلٌ، فهوَ يقولُ: لوْ أنِّي فعلتُ الفعلَ الفلانيَّ دونَ هذا الفعلِ لَحصَّلْتُ مطلوبي، بخلافِ الإنسانِ الَّذي لم يفعلْ وكانَ موقفُهُ سلبيًّا من الأعمالِ.

قولُهُ: «**كذا**» كنايَةٌ عنْ مُبْهَمٍ، وهيَ مفعولٌ لفعلْتُ.

قولُهُ: «**لَكانَ كَذَا**» فاعلُ (كانَ)، والجملةُ جوابُ (لو).







قولُهُ: «**قَدَرُ اللهِ**» خبرٌ لمبتدأ محذوف، أي: هذا قدرُ اللهِ.

و«**قدرُ**» بمعنَى: مقدور؛ لأنَّ قدرَ اللهِ يُطلَقُ علَى التَّقديرِ الَّذي هوَ فعلُ اللهِ، ويُطلَقُ علَى المقدورِ الَّذي وقعَ بتقديرِ اللهِ، وهوَ المرادُ هنا؛ لأنَّ القائلَ يتحدَّثُ عنْ شيءٍ وقعَ عليهِ، فقدرُ اللهِ أيْ: مقدورُهُ، ولا مُقدَّرَ إلاَّ بتقديرٍ؛ لأنَّ المفعولَ نتيجةُ الفعلِ.

والمعنَى أنَّ هذا الَّذي وقعَ قَدَرُ اللهِ وليسَ إليَّ، أمَّا الَّذي إليَّ فقدْ بذَلْتُ ما أراهُ نافعًا كما أُمِرْتُ، وهذا فيهِ التَّسليمُ التَّامُّ لقضاءِ اللهِ -عزَّ وجلَّ- وأنَّ الإنسانَ إذا فعَلَ ما أُمرَ بهِ علَى الوجهِ الشَّرعيِّ فإنَّهُ لا يُلامُ علَى شيءٍ، ويفوِّضُ الأمرَ إلَى اللهِ.

قولُهُ: «**وَما شَاءَ فَعَلَ**» جملةٌ مُصَدَّرةٌ بـ(**ما**) الشَّرطيَّةِ و(**شاء**) فعلُ الشَّرطِ، وجوابُهُ (**فعل**) أي: ما شاءَ اللهُ أن يفعلَهُ فعلَهُ؛ لأنَّ اللهَ لا رادَّ لقضائهِ ولا مُعَقِّبَ لحكمِهِ، قالَ تعالَى: **﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**.

وقدْ سبقَ ذِكْرُ قاعدةٍ، وهيَ: **أنَّ كلَّ فعلٍ مُعَلَّقٍ بالمشيئةِ فإنَّهُ مقرونٌ بالحكمةِ**، وليسَ هناكَ شيءٌ معلَّقٌ بالمشيئةِ المجرَّدةِ؛ لأنَّ اللهَ لا يَشْرَعُ ولا يَفعَلُ إلاَّ لحكمةٍ.

وبهذا التَّقريرِ نفهمُ أنَّ المشيئةَ يَلْزَمُ منها وقوعُ المُشَاءِ؛ ولهذا كانَ المسلمونَ يقولونَ: ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لَمْ يشأْ لَمْ يكُنْ.

وأمَّا الإرادةُ ووُقُوعُ المرادِ ففيهِ تفصيلٌ:

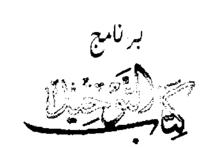
فالإرادةُ الشَّرعيَّةُ لا يَلْزَمُ منها وُقُوعُ المرادِ، وهيَ الَّتي بمعنَى المحبَّةِ، قالَ تعالَى: **﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾**، بمعنَى يُحِبُّ، ولوْ كانَتْ بمعنَى يَشَاءُ لتابَ اللهُ علَى جميعِ النَّاسِ.

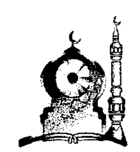
أما **الإرادةُ الكَوْنيَّةُ فيَلْزَمُ منها وُقُوعُ المرادِ**، كما قالَ اللهُ تعالَى: **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾**.

قولُهُ: «**فإنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطانِ**» (لوْ) اسمُ (إنَّ) قَصَدَ حكايتَهَا؛ أيْ: فإنَّ هذا اللفظَ يفتحُ عملَ الشَّيطانِ.

وعَمَلُهُ: ما يُلْقيهِ في قلبِ الإنسانِ من الحسرةِ والنَّدمِ والحزنِ؛ فإنَّ الشَّيطانَ يُحبُّ ذلكَ، قالَ تعالَى: **﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠






حتَّى في المنامِ يُريهِ أحلامًا مُخيفةً ليُعكِّرَ عليه صَفْوَهُ ويُشوِّشَ فِكْرَهُ، وحينئذٍ لا يتفرَّغُ للعبادةِ علَى ما ينبغي.

ولهذا نَهى النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ عن الصَّلاةِ حالَ تشوُّشِ الفكرِ، فقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «**لاَ صَلاَةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ، وَلاَ وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ**».

فإذا رَضِيَ الإنسانُ باللهِ ربًّا وقالَ: هذا قضاءُ اللهِ وقَدَرُهُ، وأنَّهُ لا بُدَّ أنْ يَقَعَ؛ اطْمأنَّتْ نفسُهُ، وانْشَرَحَ صَدْرُهُ.

(٥) **فيهِ مسائلُ:**

الأولَى: (تفسيرُ الآيَتيْنِ في آلِ عِمْرانَ) وهُمَا: الأولَى: {الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا}.

الثَّانيَةُ: {يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا} أيْ: ما أُخرِجْنا وما قُتِلْنا.

ولكنَّ اللهَ تعالَى أبْطَلَ ذلكَ بقولِهِ: {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ}.

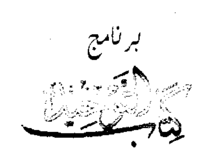
والآيَةُ الأخرَى: {لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} فأَبْطَلَ اللهُ دَعْوَاهُمْ هذهِ بقولِهِ: {فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} أيْ: إنْ كُنْتُمْ صادقينَ في البقاءِ، وأنَّ عدمَ الخروجِ مانعٌ من القتلِ، فادْرَءُوا عنْ أنفسِكُم الموتَ؛ فإنَّهُم لنْ يَسْلَمُوا من الموتِ، بلْ لا بُدَّ أنْ يَمُوتُوا، ولَكِنْ لوْ أطَاعُوهُم وتركُوا الجهادَ لكَانُوا علَى ضلالٍ مُبينٍ.

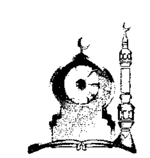
(٦) **الثَّانيَةُ:** (**النَّهْيُ الصَّريحُ عنْ قَوْلِ:** (لَوْ)، **إذا أَصَابَكَ شَيْءٌ**) لقولِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا**».

(٧) **الثَّالثةُ:** (**تعليلُ المَسْأَلَةِ بأنَّ ذلكَ يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**) فالنَّهيُ عنْ قولِ: (لَوْ)، علَّتُهَا أنَّها تفتحُ عملَ الشَّيطانِ، وهوَ الوسوسةُ، فيَتَحسَّرُ الإنسانُ بذلكَ ويَنْدَمُ ويَحْزَنُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







(٨) **الرَّابعةُ**: (**الإرشادُ إلَى الكلامِ الحَسَنِ**) يعني قَوْلَهُ: «**وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**».

(٩) **الخامِسَةُ**: (**الأمْرُ بالحِرْصِ عَلَى ما يَنْفَعُ معَ الاسْتِعانةِ باللهِ**) لقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**».

(١٠) **السَّادِسةُ**: (**النَّهيُ عنْ ضِدِّ ذلِكَ، وهُوَ العجزُ**) لقولِه: «**وَلاَ تَعْجَزَنْ**».

فإنْ قالَ قائلٌ: العجزُ ليسَ باختيارِ الإنسانِ، فالإنسانُ قدْ يُصابُ بمرضٍ فيَعْجَزُ، فكيفَ نَهى النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ عنْ أمْرٍ لا قُدْرَةَ للإنسانِ عليه؟

أجيبُ: بأنَّ المقصودَ بالعجزِ هنا التَّهاونُ والكسلُ عنْ فعلِ الشَّيءِ؛ لأنَّهُ هوَ الَّذي في مقدورِ الإنسانِ.

(١١) المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ أطْلَقَ النَّهيَ ولَمْ يُفصِحْ هل المرادُ بهِ التَّحريمُ أو الكراهةُ. وَسَيَتَبَيَّنُ إنْ شاءَ اللهُ من الحديثِ.

قولُهُ: (**الرِّيح**) الهواءُ الَّذي يُصَرِّفُهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، وجَمْعُهُ رياحٌ.

وأُصُولُهَا أربعةٌ: الشَّمَالُ والجَنُوبُ والشَّرْقُ والغَرْبُ.

وما بينَهما يُسَمَّى النَّكْبَاءَ؛ لأنَّها نَاكبَةٌ عن الاستقامةِ في الشَّمَالِ أو الجَنُوبِ أو الشَّرقِ أو الغَرْبِ.

وتصريفُهَا منْ آياتِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فأحيانًا تكونُ شديدةً تَقْلَعُ الأشجارَ، وتَهْدِمُ البيوتَ، وتَدْفِنُ الزُّرُوعَ، ويَحْصُلُ معها فَيَضَانَاتٌ عظيمةٌ، وأحيانًا تكونُ هادئةً، وأحيانًا تكونُ باردةً، وأحيانًا حَارَّةً، وأحيانًا عاليَةً، وأحيانًا نازلةً، كلُّ هذا بقضاءِ اللهِ وقدَرِه.

ولوْ أنَّ الخلقَ اجْتَمَعوا كلُّهُم علَى أنْ يَصرِفُوا الرِّيحَ عنْ جِهَتِهَا الَّتي جعلَهَا اللهُ عليها ما استَطاعوا إلَى ذلكَ سبيلاً.

ولو اجتمَعَتْ جميعُ الْمَكائِنِ العالَمِيَّةِ النَّفَّاثَةِ لتُوجِدَ هذه الرِّيحَ الشَّديدةَ ما استطاعَتْ إلَى ذلكَ سبيلاً.

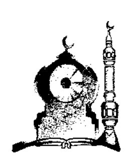
ولكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ بقُدْرَتِه يُصرِّفُها كيفَ يشاءُ وعلَى ما يُريدُ.

فهلْ يَحِقُّ للمسلمِ أنْ يَسُبَّ هذهِ الرِّيحَ؟

الجوابُ: لا؛ لأنَّ هذهِ الرِّيحَ مُسَخَّرةٌ مُدَبَّرةٌ، وكما أنَّ الشَّمسَ أحيانًا تَضُرُّ بإحراقِهَا بعضَ الأشجارِ فَمَعَ ذلكَ لا يجوزُ لأحدٍ أنْ يَسُبَّها؛ ولهذا قالَ: «**لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ**».

(١٢) قولُهُ: (**لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ**) (**لاَ**): ناهيَة، والفعلُ مجزومٌ بحذفِ النُّونِ، والواوُ فاعلٌ، والرِّيحُ مفعولٌ به.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





والسَّبُّ: **الشَّتمُ والعيبُ والقَدْحُ واللَّعْنُ**، وما أشبهَ ذلكَ؛ لأنَّ سَبَّ المخلوق سَبٌّ لخَالقه، فلوْ وَجَدْتَ قَصْرًا مَبْنيًّا وفيه عَيْبٌ فَسَبَبْتَهُ، فهذا السَّبُّ يَنْصَبُّ علَى مَنْ بَنَاهُ. وكذلكَ سبُّ الرِّيحِ؛ لأنَّها مُدَبَّرَةٌ مُسَخَّرَةٌ علَى ما تقتضيهِ حكمةُ اللهِ عزَّ وجلَّ.

ولكنْ إذا كانت الرِّيحُ مُزْعِجةً فقدْ أَرْشدَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ إلَى ما يُقالُ حينَئذٍ في قوله: «**وَلَكِنْ قُولُوا: اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ...**» إلخ.

قولُهُ: (**مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ**) الرِّيحُ نفسُهَا فيها خيرٌ وشرٌّ؛ فقدْ تكونُ عاصفةً تَقْلَعُ الأشجارَ وتَهْدِمُ الدِّيارَ وتُفيضُ البحارَ والأنهارَ، وقدْ تكونُ هادئةً تُبَرِّدُ الجوَّ وتُكْسِبُ النَّشاطَ.

قولُهُ: (**وَخَيْرِ مَا فِيهَا**) أيْ: ما تَحْمِلُهُ؛ لأنَّها قدْ تحملُ خيرًا كتلقيحِ الثِّمارِ، وقدْ تحملُ رائحةً طَيِّبَةَ الشَّمِّ، وقدْ تحملُ شرًّا كإزالة تلقيحِ الثِّمَارِ، وأمراضٍ تَضُرُّ الإنسانَ والبهائمَ.

قولُهُ: (**وخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ**) مثلِ: **إثارة السَّحاب وسَوْقِهِ إلَى حيثُ شاءَ اللهُ**.

قولُهُ: (**وَنَعُوذُ بِكَ**) أيْ: نَعْتَصِمُ ونَلْجَأُ.

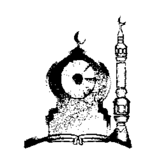
قولُهُ: (**مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ**) أيْ: شَرِّهَا بنفسِها، كَقَلْعِ الأشجارِ، ودفْنِ الزُّرُوعِ، وهدْمِ البيوتِ.

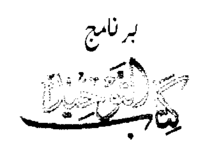
قولُهُ: (**وشَرِّ مَا فِيهَا**) أيْ: **ما تحملُهُ من الأشياءِ الضَّارَّةِ**، كَالأَنْتَانِ والقَاذُورَاتِ والأَوْبِئَةِ وغيرِهَا.

قولُهُ: (**وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**) كالإهلاكِ والتَّدميرِ، قالَ تعالَى في ريحِ عادٍ: **{تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا}** وتَيْبِيسِ الأرضِ من الأمطارِ، ودَفْنِ الزُّرُوعِ، وطَمْسِ الآثارِ والطُّرُقِ؛ فَقَدْ تُؤْمَرُ بشرٍّ لحكمةٍ بالغةٍ قدْ نَعْجَزُ عنْ إدراكِهَا.

وقولُهُ: (**مَا أُمِرَتْ بِهِ**) هذا الأمرُ حقيقيٌّ؛ أيْ: يأمُرُها اللهُ أنْ تَهُبَّ ويَأْمُرُهَا أنْ تَتَوَقَّفَ. وكلُّ شيءٍ من المخلوقاتِ فيه إدراكٌ بالنِّسْبَةِ إلَى أمْرِ اللهِ، قالَ تعالَى للأَرْضِ والسَّماءِ: **{ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}** وقالَ للقلمِ: «**اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ**».

قال في (فتح المجيد) (ص: ٥٦١): **(ففي هذا عبودية لله، وطاعة له ولرسوله، واستدفاع للشرور به وتعرض لفضله ونعمته، وهذه حال أهل التوحيد والإيمان، خلافاً لحال أهل الفسوق والعصيان الذين حرموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان)** .





(١٣) فيهِ مسائلُ:

الأولى: (**النَّهْيُ عنْ سَبِّ الرِّيحِ**) وهذا النَّهيُ للتَّحريمِ؛ لأنَّ سبَّها سَبٌّ لِمَنْ خلقَهَا وأرسلَهَا.

(١٤) **الثَّانيَةُ:** (**الإرشادُ إلَى الكلامِ النَّافعِ إذا رَأَى الإنسانُ ما يَكْرَهُ**)

وهوَ أنْ يقولَ: «**اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهَا . . .**» الحديثَ، معَ فِعْلِ الأسبابِ الحِسِّيَّةِ أيضًا، كالاتِّقاءِ بالجُدْرَانِ أو الجبالِ منْ شَرِّ هذهِ الرِّيحِ.

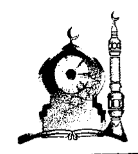
(١٥) **الثالثةُ:** (**الإرشادُ إلَى أنَّها مأمورةٌ**) لقولِهِ: «**مَا أُمِرَتْ بِه . . .**».

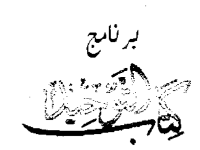
(١٦) **الرَّابعةُ:** (**أنَّهَا قدْ تُؤْمَرُ بخيرٍ، وقدْ تُؤْمَرُ بشَرٍّ**) لقولِه: «**خَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِه، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِه**».

والحاصلُ: أنَّهُ يَجبُ علَى الإنسانِ أنْ لا يَعْتَرِضَ علَى قضاءِ اللهِ وقَدَرِه، وأنْ لا يَسُبَّهُ، وأنْ يكونَ مُسْتَسْلِمًا لأمْرِهِ الكونيِّ، كما يَجبُ أنْ يكونَ مستسلمًا لأمْرِهِ الشَّرْعِيِّ؛ لأنَّ هذهِ المخلوقاتِ لا تَمْلِكُ أنْ تفعلَ شيئًا إلاَّ بأَمْرِ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الرابع والأربعون

(١) قولُهُ تعالَى: {يَظُنُّونَ} الضَّميرُ يعودُ للمنافقينَ، والأصلُ في الظَّنِّ: أنَّهُ الاحتمالُ الرَّاجحُ، وقدْ يُطلَقُ علَى اليقينِ، كما في قولِهِ تعالَى: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ} أيْ: يَتَيَقَّنونَ، وضدُّ الرَّاجحِ الْمَرجُوحُ، ويُسمَّى وَهْمًا.

قولُهُ: {ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} عطفُ بيانٍ لقولِهِ: {غَيْرَ الْحَقِّ}، و {الْجَاهِلِيَّةِ}: الحالُ الجاهليَّةُ، والمعنَى: يظنُّونَ باللهِ ظنَّ الحالِ الجاهليَّةِ الَّتي لا يَعْرِفُ الظَّانُّ فيها قدْرَ اللهِ وعَظَمَتَهُ، فهوَ ظنٌّ باطلٌ مبنيٌّ علَى الجهلِ.

والظَّنُّ باللهِ عزَّ وجلَّ علَى نوعينِ:

الأوَّلُ: أنْ يَظُنَّ باللهِ خيرًا.

والثَّاني: أنْ يَظُنَّ باللهِ شرًّا.

فالأوَّلُ لهُ متعلَّقانِ:

أحدهما: متعلَّقٌ بالنِّسبةِ لما يفعلُهُ في هذا الكونِ، فهذا يجبُ عليكَ أنْ تُحْسِنَ الظَّنَّ باللهِ عزَّ وجلَّ فيما يفعلُهُ سبحانَهُ وتعالَى في هذا الكونِ، وأنْ تعتقدَ أنَّ ما فعلَهُ إنَّما هوَ لحكمةٍ بالغةٍ قدْ تصلُ العقولُ إليها وقدْ لا تصلُ، وبهذا تَتَبَيَّنُ عظمةُ اللهِ وحكمتُهُ في تقديرِهِ، فلا يُظَنُّ أنَّ اللهَ إذا فعل شيئًا في الكونِ فعلَهُ لإرادةٍ سيِّئةٍ، حتَّى الحوادثَ والنَّكَباتِ لم يُحْدِثْها اللهُ لإرادةِ السُّوءِ المتعلِّقِ بفعلِهِ، أمَّا المتعلِّقُ بغيرِهِ بأنْ يُحْدِثَ ما يريدُ به أنْ يَسُوءَ هذا الغيرَ، فهذا واقعٌ، كما قالَ تعالَى: {قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً}.

والآخر: متعلَّقٌ بالنِّسبةِ لما يفعلُهُ بكَ، فهذا يجبُ أنْ تَظُنَّ باللهِ أحسنَ الظَّنِّ، لكن بشرطِ أن يُوجَدَ لديكَ السَّببُ الَّذي يُوجِبُ الظَّنَّ الحسنَ، وهوَ أن تعبدَ اللهَ علَى مقتضَى شريعتِهِ معَ الإخلاصِ، فإذا فَعَلْتَ ذلكَ فعليكَ أن تَظُنَّ أنَّ اللهَ يقبلُ منكَ ولا تُسيءَ الظَّنَّ باللهِ بأنْ تعتقدَ أنَّهُ لن يَقْبَلَ منكَ، وكذلكَ إذا تابَ الإنسانُ من الذَّنبِ، فيُحْسِنُ الظَّنَّ باللهِ أنَّهُ يَقْبَلُ منهُ ولا يُسيءُ الظَّنَّ باللهِ بأنْ يعتقدَ أنَّهُ لا يقبلُ منهُ.

وأمَّا إنْ كانَ الإنسانُ مُفرِّطًا في الواجبات، فاعلاً للمحرَّمات، وظنَّ باللهِ ظنًّا حسنًا، فهذا هوَ ظنُّ الْمُتَهاوِنِ الْمُتهالِك، بلْ هوَ منْ سوءِ الظَّنِّ باللهِ؛ إذ إنَّ حكمةَ اللهِ تأْبى مثلَ ذلكَ.

أما النَّوعُ الثَّاني: فهوَ أن يَظُنَّ باللهِ شرًّا، مثلُ: **أنْ يَظُنَّ في فعلهِ سَفَهًا أوْ ظلمًا،** أوْ نحوَ ذلكَ، فإنَّهُ منْ أعظمِ المحرَّماتِ وأقبحِ الذُّنوبِ، كما ظنَّ هؤلاءِ المنافقونَ وغيرُهم ممَّنْ يَظُنُّ باللهِ غيرَ الحقِّ.

قولُهُ: **﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾** مُرادُهم بذلكَ أمرانِ:

الأوَّلُ: رفعُ اللومِ عنْ أنفسِهم.

الثَّاني: الاعتراضُ علَى القدَرِ.

وقولُهُ: **﴿لَنَا﴾** خبرٌ مقدَّمٌ.

وقولُهُ: **﴿مِن شَيْءٍ﴾** مبتدأٌ مؤخَّرٌ مرفوعٌ بالضَّمَّةِ المقدَّرةِ علَى آخرِهِ، منَع منْ ظهورِهَا اشتغالُ الْمَحَلِّ بحركةِ حرفِ الجرِّ الزَّائدِ.

قولُهُ: **﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾** أيْ: فإذا كانَ كذلكَ فلا وجهَ لاحتجاجِكُم علَى قضاءِ اللهِ وقدرِهِ، فاللهُ عزَّ وجلَّ يفعلُ ما يشاءُ من النَّصرِ والخذْلانِ.

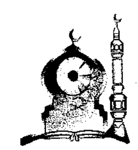
وقولُهُ: **﴿إِنَّ الْأَمْرَ﴾** واحدُ الأمورِ، لا واحدُ الأوامرِ؛ أي: الشَّأنُ كلُّ الشَّأنِ الَّذي يتعلَّقُ بأفعالِ اللهِ وأفعالِ المخلوقينَ كلُّهُ للهِ سبحانَهُ، فهوَ الَّذي يُقدِّرُ الذُّلَّ والعزَّ، والخيرَ والشَّرَّ، لكنَّ الشَّرَّ في مفعولاتِهِ لا في فعلِهِ.

قولُهُ: **﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾** فمنْ شأنِ المنافقينَ عدمُ الصَّراحةِ والصِّدقِ، فيُخْفي في نفسِهِ ما لا يُبْديهِ لغيرِهِ؛ لأنَّهُ يرَى منْ جُبنِهِ وخوفِهِ أنَّهُ لوْ أخبرَ بالحقِّ لكانَ فيهِ هلاكُهُ، فهوَ يُخْفي الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ.

قولُهُ: **﴿مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾** أيْ: في أُحُدٍ، والمُرادُ بمَنْ قُتِلَ: مَن استُشْهِدَ من المسلمينَ في أُحُدٍ؛ لأنَّ **عبدَ اللهِ بنَ أُبيٍّ** رَجَعَ بنحوِ ثُلُثِ الجيشِ في غزوةِ أُحُدٍ وقال: إنَّ **محمَّدًا** يَعصيني ويُطيعُ الصِّغارَ والشُّبَّانَ.

قولُهُ: **﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾** هذا الاحتجاجُ لا حقيقةَ لهُ؛ لأنَّهُ إذا كُتِبَ القتلُ علَى أحدٍ لمْ ينفعْهُ تَحصُّنُهُ في بيتِه.





والكتابة قسمان:

الأول: الكتابةُ الشرعيَّةُ: وهذه لا يَلْزَمُ منها وقوعُ المكتوبِ، مثلُ قولِه تعالَى: {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} وقولِهِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ}.

الثاني: الكتابةُ كونيَّةُ: وهذه يَلْزَمُ منها وقوعُ المكتوبِ، كما في هذه الآيَةِ، ومثلُ قولِه تعالَى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}، وقولِهِ: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} ومثلُ هذه الآيَةِ قولُهُ: {وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ} أيْ: يختبرَ ما في صدورِكُمْ من الإيمانِ بقضاءِ اللهِ وقدرِه، والإيمانِ بحكمتِه، فيختبرَ ما في قلبِ العبدِ بما يُقدِّرُهُ عليهِ من الأمورِ المكروهة حتَّى يتبيَّنَ مَن استَسْلَمَ لقضاءِ اللهِ وقدرِهِ وحكمتِه، ممَّنْ لم يكنْ كذلكَ.

قولُهُ: {وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ} أيْ: إذا حصلَ الابتلاءُ فقوبِلَ بالصَّبرِ صارَ في ذلكَ تمحيصٌ لِمَا في القلبِ، أيْ: تطهيرٌ لهُ وإزالةٌ لِمَا يكونُ قدْ علِقَ به منْ بعضِ الأمورِ الَّتِي لا تنبغي.

وقدْ حصلَ الابتلاءُ والتَّمحيصُ في قصَّةِ أُحُدٍ، بدليلِ أنَّ الصَّحابةَ لَمَّا ندبَهُم رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم حينَ قِيلَ لهُ: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} خرجوا إلَى حَمْراءَ الأَسَدِ ولم يَجدوا غزْوًا فرجَعُوا: {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}.

قولُهُ: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} جملةٌ خبريَّةٌ فيها إثباتُ أنَّ اللهَ عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ؛ أيْ: بصاحبةِ الصُّدورِ، والمُرادُ بها القلوبُ، كما قالَ تعالَى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} فاللهُ لا يَخْفَى عليهِ شيءٌ فيعْلَمُ ما في قلبِ العبدِ وما ليسَ في قلبِه، متَى يكونُ، وكيفَ يكونُ؟

(٢) قولُهُ تعالَى: {الظَّانِّينَ} المُرادُ بهم: المنافقونَ والمشركونَ، قالَ تعالَى: {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ} أيْ: ظنَّ العيبِ، وهوَ كقولِه فيما سبقَ: {ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} ومنهُ ما نقلَهُ المؤلِّفُ عن ابنِ القيِّمِ رحمَهُمَا اللهُ: أنَّهم يَظنُّونَ أنَّ أمرَ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم سيَضْمَحِلُّ، وأنَّهُ لا يمكنُ أنْ يعودَ، وما أشبهَ ذلكَ.

http://www.araqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١١١١ - ص.ب: ١١٤٤٦
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

قولُهُ: {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} أيْ: أنَّ السَّوْءَ محيطٌ بهم جميعًا منْ كلِّ جانبٍ، كما تحيطُ الدَّائرةُ بما في جوفِهَا، وكذلكَ تدورُ عليهم دوائرُ السَّوْءِ، فهم - وإنْ ظنُّوا أنَّهُ تعالَى تخلَّى عنْ رسولِهِ، وأنَّ أمرَهُ سيضمحلُّ - فإنَّ الواقعَ خلافُ ظنِّهم، وأنَّ الدَّائرةَ راجعةٌ عليهم.

قولُهُ: {وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ} **الغضبُ: منْ صفاتِ اللهِ الفعليَّةِ الَّتي تتعلَّقُ بمشيئتِهِ ويترتَّبُ عليه الانتقامُ، وأهلُ التَّعطيلِ قالوا: إنَّ اللهَ لا يغضبُ حقيقةً.**

فمنهم مَنْ قالَ: المُرادُ الانتقامُ، ومنهم مَنْ قالَ: المُرادُ إرادةُ الانتقامِ، قالوا: لأنَّ الغضبَ غَلَيانُ القلبِ لطلبِ الانتقامِ، ولهذا قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم: «**إنَّهُ جَمْرَةٌ يُلْقِيهَا الشَّيْطَانُ في قَلْبِ ابْنِ آدَمَ**».

فيُجابُ عنْ ذلكَ: بأنَّ هذا هوَ غضبُ الإنسانِ، ولا يلزمُ من التَّوافقِ في اللفظِ التَّوافقُ في المثليَّةِ والكيفيَّةِ، قالَ تعالَى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ويدلُّ على أنَّ الغضبَ ليسَ هوَ الانتقامَ قولُهُ تعالَى: {فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ} فآسَفُونا: بمعنَى أغْضَبونا (غضباً شديداً)، {انتَقَمْنَا مِنْهُمْ} فجعلَ الانتقامَ مرتَّبًا علَى شدةِ الغضبِ، فدلَّ علَى أنَّهُ غيرُهُ.

وقولُهُ: {وَلَعَنَهُمْ} اللعنُ: الطَّردُ والإبعادُ عنْ رحمةِ اللهِ.

قولُهُ: {وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ} أيْ: هيَّأهَا لهم، وجعلَهَا سَكَنًا لهم.

قولُهُ: {وَسَاءَتْ مَصِيرًا} أيْ: مَرْجِعًا يُصارُ إليهِ، و {مصيرًا} تمييزٌ، والفاعلُ مستترٌ؛ أيْ: ساءَتِ النَّارُ مصيرًا يصيرونَ إليهِ.

(٣) قولُهُ: (قالَ ابنُ القيِّمِ): (**هوَ محمَّدُ ابنُ قيِّمِ الْجوْزيَّةِ، أحدُ تلاميذِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ الكبارِ المُلازمينَ لهُ، رَحِمَهما اللهُ، وقدْ ذكرَهُ في** (زادِ المعادِ) **عَقِيبَ غزوةِ أُحُدٍ تحتَ بحثِ** (**الحكمِ والغاياتِ المحمودةِ التي كانَتْ فيها**).

(٤) قولُهُ: (**في الآيَةِ الأولَى**) يعني قولَهُ: {يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} فُسِّرَ بأنَّ اللهَ لا يَنْصُرُ رسولَهُ، وأنَّ أمرَهُ سَيَضْمَحِلُّ أيْ: يزولُ، وفُسِّرَ بأنَّ ما أصابَهُ لم يكنْ بقدرِ اللهِ وحكمتِهِ، ويُؤْخَذُ هذا التَّفسيرُ منْ قولِهِم: {لَوْ

كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا} ففسِّرَ بإنكارِ الحكمة، وإنكارِ القدرِ، وإنكارِ أن يتمَّ أمرُ رسولِه صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم، وأنْ يُظهرَهُ اللهُ علَى الدِّينِ كلِّه، ففُسِّرَ بما يكونُ طعنًا في الرُّبوبيَّة، وطعنًا في الأسماءِ والصِّفات، فالطَّعنُ في القدرِ طعنٌ في ربوبيَّةِ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ منْ تمامِ ربوبيَّته عزَّ وجلَّ أنْ نؤمنَ بأنَّ كلَّ مَا جَرَى في الكونِ فإنَّهُ بقضاءِ اللهِ وقدرِه، وطعنٌ في أفعالِه وحكمتِه، حيثُ ظَنَّ أنَّ اللهَ تعالَى لا ينصرُ رسولَهُ، وسوف يَضْمَحلُّ أمرُهُ؛ لأنَّهُ إذا ظنَّ الإنسانُ هذا الظَّنَّ باللهِ فمعنَى ذلكَ أنَّ إرسالَ الرَّسولِ عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامْ عَبَثٌ وسَفَهٌ.

فما الفائدةُ منْ أن يُرسَلَ رسولٌ ويؤمَرَ بالقتالِ وإتلافِ الأموالِ والأنفسِ، ثمَّ تكونُ النَّتيجةُ أن يضمحلَّ أمرُهُ ويُنسَى، فهذا بعيدٌ، ولا سيَّما رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم الَّذي هوَ خاتَمُ النَّبيِّين، فإنَّ اللهَ تعالَى قدْ أذنَ بأنَّ شريعتَهُ سوفَ تَبْقَى إلَى يومِ القيامة.

قالَ ابنُ القيِّمِ رحِمَهُ اللهُ: **(وهذا هوَ ظنُّ السَّوْءِ الَّذي ظنَّهُ المنافقونَ والمشركونَ في سورةِ الفتحِ).**

وخلاصةُ ما ذكرَ ابنُ القيِّمِ في تفسير (ظنِّ السَّوْءِ) ثلاثةُ أمورٍ:

الأوَّلُ: أنْ يُظَنَّ أنَّ اللهَ يُديلُ الباطلَ علَى الحقِّ إدالَةً مُستقرَّةً يَضْمَحلُّ معها الحقُّ، فهذا هوَ ظنُّ المشركينَ والمنافقينَ في سورةِ الفتحِ، قالَ تعالَى: {بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا}.

الثَّاني: أن يُنكَرَ أنْ يكونَ ما جرَى بقضاءِ اللهِ وقدرِه؛ لأنَّهُ يَتَضمَّنُ أنْ يكونَ في مُلكِه سبحانه ما لا يريدُ، معَ أنَّ كلَّ ما يكونُ في مُلكه فهوَ بإرادته.

الثَّالثُ: أن يُنكَرَ أنْ يكونَ قدَّرَهُ لحكمة بالغة يستحقُّ عليها الحمدَ؛ لأنَّ هذا يتضمَّنُ أنْ تكونَ تقديراتُهُ لعبًا وسفهًا، ونحن نعلمُ علمَ اليقينِ أنَّ اللهَ لا يُقدِّرُ شيئًا أوْ يُشرِّعُهُ إلاَّ لحكمة قدْ تكونُ معلومةً لنا وقدْ تَقْصُرُ عقولُنَا عنْ إدراكِهَا، ولهذا يختلفُ النَّاسُ في عللِ الأحكامِ الشَّرعيَّة اختلافًا كبيرًا بحسَبِ ما عندَهُم منْ معرفةِ حكمةِ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى.

قولُهُ: {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} ويلٌ: مبتدأٌ، وساغَ الابتداءُ بالنَّكرةِ للتَّعظيمِ، وخبرُ المبتدأ {لِلَّذِينَ كَفَرُوا} والجارُّ والمجرورُ {مِنَ النَّارِ} بيانٌ لويلٍ، وفي هذا دليلٌ علَى أنَّ كلمةَ (ويل) كلمةُ وعيد، وليست كما قيلَ: وادٍ في جهنَّمَ، ولهذا نقولُ: ويْلٌ لكَ من البردِ، ويلٌ لكَ منْ فلانٍ، ويقولُ المتوجِّعُ: ويْلاهُ، وإنْ كانَ قدْ

يوجدُ وادٍ في جهنَّمَ اسمُهُ (ويلٌ) لكنَّ (ويل) في مثلِ هذه الآيةِ كلمةُ وعيد.

(٥) قولُهُ: «**وَأَكثَرُ النَّاسِ**» أيْ: منْ بني آدمَ لا من المؤمنينَ، وقولُهُ: **{يَظُنُّونَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ}** أي: العيبِ فيما يختصُّ بهم، كما إذا دعَوا اللهَ علَى الوجهِ المشروعِ يظنُّونَ أنَّ اللهَ لا يجيبُهُم، أوْ إذا تعبَّدوا اللهَ بمقتضَى شريعته يظنُّونَ أنَّ اللهَ لا يقبلُ منهم وهذا ظنُّ السَّوءِ.

قولُهُ: «**فيما يفعلُهُ بغيرِهم**» كما إذا رأَوا أنَّ الكفَّارَ انْتَصَروا علَى المسلمينَ بمعركةٍ من المعاركِ ظنُّوا أنَّ اللهَ يُديلُ هؤلاءِ الكفَّارَ علَى المسلمينَ دائمًا، فالواجبُ علَى المسلمِ أنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ باللهِ؛ معَ وجودِ الأسبابِ الَّتي تقتضي ذلكَ.

قولُهُ: «**ولا يَسْلَمُ منْ ذلكَ**» أيْ: من الظَّنِّ السَّوْءِ.

قولُهُ: «**إلا مَنْ عَرَفَ اللهَ وأسماءَهُ وصفاته، وموجَبَ حكْمَته وحَمْده**» صدقَ رحمَهُ اللهُ، لا يَسْلَمُ منْ ظَنِّ السَّوْءِ إلاَّ منْ عَرَفَ اللهَ عزَّ وجلَّ، وما لهُ من الحِكَمِ والأسرارِ فيما يُقدِّرُهُ ويُشرِّعُهُ، وكذلكَ عرَفَ أسماءَهُ وصفاته معرفةً حقَّةً لا معرفةَ تحريفٍ وتأويلٍ.

وعلَى هذا فالَّذي عرفَ أسماءَ اللهِ وصفاته معرفةً علَى ما جرَى عليه سلفُ هذه الأمَّةِ وأئمَّتها، وعَرَفَ مُوجَبَ حكمة اللهِ، أيْ: مقتضَى حكمةِ اللهِ لا يمكنُ أنْ يظنَّ باللهِ ظنَّ السَّوءِ.

وقولُهُ: «**مُوجَبَ**» موجَبُ بالفتحِ هوَ: الْمُسَبَّبُ النَّاتجُ عن السَّبَبِ بمعنَى الْمُقْتَضَى، وبالكسرِ السَّببُ الَّذي يَقتَضِي الشَّيءَ بمعنَى الْمُقتَضِي.

فالَّذي يعرفُ موجَبَ حكمةِ اللهِ وما تقتضيه الحكمةُ، فإنَّهُ لا يمكنُ أنْ يظنَّ باللهِ ظنَّ السَّوءِ أبدًا، ولاحظِ الحكمةَ الَّتي حصَلَتْ للمسلمينَ في هزيمتِهم في حُنينٍ وفي هزيمتِهم في أُحُد، فإنَّ في ذلكَ حكَمًا عظيمةً ذكَرَها اللهُ في سورةِ آلِ عمرانَ والتوبةِ، فهذه الحِكَمُ إذا عرفَهَا الإنسانُ لا يمكنُ أنْ يظنَّ باللهِ ظنَّ السَّوءِ، وأنَّهُ أرادَ أنْ يَخْذُلَ رسولَهُ وحزبَهُ.

بلْ كلُّ ما يُجْرِيه اللهُ في الكونِ كمنعِ الإنباتِ والفقرِ فهوَ لحكمةٍ بالغةٍ قدْ لا نعلمُهَا، ولا يمكنُ أن يُظَنَّ أنَّ اللهَ بَخِلَ علَى عبادِه؛ لأنَّهُ عزَّ وجلَّ أكرمُ الأكرمينَ، وعلَى هذا فقسْ.

(٦) قولُهُ: «**اللَّبيبُ**» علَى وزن (فعيلٍ) ومعناهُ: ذُو اللُّبِّ، وهوَ العقلُ.

قولُهُ: «**بهذا**» الْمُشارُ إليه هوَ الظَّنُّ باللهِ عزَّ وجلَّ، ليعتنيَ بهذا حتَّى يظنَّ باللهِ ظنَّ الحقِّ، لا ظنَّ السَّوءِ وظنَّ

الجاهليَّة.

قولُهُ: «ولْيَتُبْ إلَى اللهِ» أيْ: يرجعُ إليه؛ لأنَّ التَّوبةَ الرُّجوعُ من المعصيَةِ إلَى الطَّاعة.

قولُهُ: «وليَسْتغفِرْهُ» أيْ: يطلبُ منهُ المغفرةَ، واللامُ في قوله: (وَلْيَتُبْ) وقوله: (وَلْيَسْتَغْفِرْهُ) للأمرِ.

(٧) قولُهُ: «تعنُّتًا علَى القدَرِ وملامَةً لهُ» أيْ: إذا قدَّرَ اللهُ شيئًا تجدُهُ يقولُ: ينبغِي أنْ ننتصرَ، ينبغي أنْ يأتيَ المطرُ، ينبغي أنْ لا نُصابَ بالْجَوائِحِ، وأنْ يُوَسَّعَ لنا في هذا الرِّزق، وهكذا.

قولُهُ: «فمُستَقِلٌّ ومُستَكْثِرٌ» مستقلٌّ: مبتدأٌ، خبرُهُ محذوفٌ، ومُسْتَكْثِرٌ: مبتدأٌ خبرُهُ محذوفٌ، والتَّقديرُ فَمِنَ النَّاسِ مُسْتَقِلٌّ، ومنهم مستكثرٌ، ونظيرُ ذلكَ قولُهُ تعالَى: {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} فسعيدٌ مبتدأٌ، خبرُهُ محذوفٌ تقديرُهُ: ومنهم سعيدٌ، ولا يُقالُ بأنَّ (سعيد) معطوفٌ علَى شقيٌّ لكونِهِ يلزمُ أنْ يكونَ الوصفانِ لموصوفٍ واحدٍ.

قولُهُ: «وفتِّشْ نَفْسَكَ: هَلْ أَنْتَ سالِمٌ؟» وهذا ينبغي أنْ يكونَ في جميعِ المسائلِ ممَّا أوجبَهُ اللهُ، فتِّشْ عنْ نفسِكَ: هلْ أنتَ سالمٌ من التَّقصيرِ فيه؟

ومِمَّا حرَّمَهُ اللهُ عليكَ، هلْ أنت سالمٌ من الوقوعِ فيه؟

(٨) قولُهُ:

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ ....

(تَنْجُ) -الأوَّلُ- فعلُ الشَّرطِ مجزومٌ بحذفِ الواوِ، (تَنْجُ) - الثَّانيَةُ - جوابُهُ مجزومٌ بحذفِ الواوِ.

وقولُهُ: «مِنْ ذي عظيمةٍ» أيْ: منْ ذي بَلِيَّةٍ عظيمةٍ، أوْ نحوِهَا.

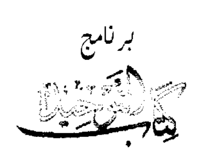
قولُهُ:

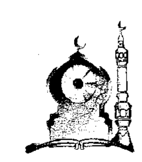
.... وإلاَّ فَإِنِّي لا إِخَالُكَ نَاجِيًا

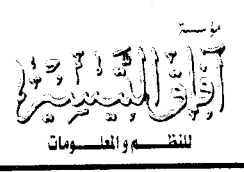
التَّقديرُ: أيْ: وإلاَّ تنجُ منْ هذه البليَّةِ فإنِّي لا إخالُكَ ناجيًا.

(٩) فيهِ مسائلُ:

الأولَى: (تفسيرُ آيَةِ آلِ عِمرانَ) وهي قولُهُ تعالَى: {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ..} وقدْ سبقَ، والضَّميرُ فيها للمنافقينَ.







(١٠) **الثانيةُ:** (تفسيرُ آيةِ الفتحِ) وهي قولُهُ تعالَى: {**الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ..**} وقدْ سبقَ، والضَّميرُ فيها للمنافقينَ.

(١١) **الثالثةُ:** (**الإخبارُ بأنَّ ذلكَ أنواعٌ لا تُحصَرُ**) أيْ: ظنُّ السَّوْءِ، والَّذي أخبرَ بذلكَ **ابنُ القيِّمِ** رحمَهُ اللهُ، وضابطُ هذه الأنواعِ أن يُظَنَّ باللهِ ما لا يَليقُ به.

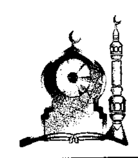
(١٢) **الرابعةُ:** (**أنَّه لا يَسْلَمُ منْ ذلكَ إلاَّ مَنْ عَرَفَ الأسماءَ والصِّفات، وعرَفَ نَفْسَهُ**) أيْ: لا يَسْلَمُ منْ ظَنِّ السَّوْءِ باللهِ، إلاَّ مَنْ عَرَفَ اللهَ وأسماءَهُ وصفاتِه، وموجَبَ حكمتِه وحمدِه، وعَرَفَ نفسَهُ ففتَّشَ عنها، والحقيقةُ أنَّ الإنسانَ هوَ محلُّ النَّقصِ والسَّوءِ، وأمَّا الرَّبُّ فهوَ محلُّ الكمالِ المطلَقِ الَّذي لا يَعْتَرِيهِ نقصٌ بوجهٍ من الوجوهِ:

ولا تظْنُنْ بربِّكَ ظَنَّ سَوْءٍ　　　فإنَّ اللهَ أَوْلَى بالجميلِ

ومناسبةُ البابِ للتَّوحيدِ:

أنَّ ظنَّ السَّوءِ ينافي كمالَ التَّوحيدِ، ويُنافي الإيمانَ بالأسماءِ والصِّفاتِ؛ لأنَّ اللهَ قالَ في الأسماءِ: {**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**}، فإذا ظُنَّ باللهِ ظنَّ السَّوءِ لم تَكُنِ الأسماءُ حُسْنَى، وقالَ في الصِّفاتِ: {**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى**}، وإذا ظنَّ باللهِ ظنَّ السَّوءِ لم يكنْ لهُ المثلُ الأعلَى.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الخامس والأربعون

(١) قولُهُ: «مُنْكِري» أصلُهُ مُنْكِرِينَ، جَمْعُ مُذَكَّرٍ سالمٌ، فحُذِفَت النُّونُ للإضافةِ، كما يُحْذَفُ التَّنوينُ أيضًا، قالَ الشَّاعرُ:

كأنِّي تَنْوِينٌ وأَنْتَ إِضَافَةٌ فَأَيْنَ تَرَانِي لا تَحُلُّ جِوَارِيَ

وقيلَ: (مكَانِيَ) بدلَ (جِوارِيَ).

قولُهُ: «**القدرِ**» هوَ: تقديرُ اللهِ عزَّ وجلَّ للكائناتِ، **وهوَ سرٌّ مكتومٌ لا يعلمُهُ إلاَّ اللهُ**، أوْ مَنْ شاءَ مِنْ خلْقِه.

قالَ بعضُ أهلِ العلمِ: (القدَرُ سرُّ اللهِ عزَّ وجلَّ في خلْقِه، ولا نعلمُهُ إلاَّ بعدَ وُقوعِه، سواءٌ كانَ خيرًا أمْ شرًّا).

والقَدَرُ يُطْلَقُ على معْنَيَيْنِ:

الأوَّلُ: التَّقديرُ؛ أيْ: إرادةُ اللهِ الشيْءَ عزَّ وجلَّ.

الثَّاني: الْمُقدَّرُ؛ أيْ: ما قَدَّرَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ.

والتَّقديرُ يكونُ مُصاحِبًا للفعلِ وسابقًا لهُ، **فالْمُصَاحِبُ للفعلِ هوَ**: الَّذي يكونُ بهِ الفعلُ. **والسَّابقُ هوَ**: الَّذي قدَّرَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ في الأزَلِ.

مثالُ ذلكَ: (**خَلْقُ الجنينِ في بَطْنِ الأمِّ**) فيهِ تقديرٌ سابقٌ عِلْميٌّ قبلَ خَلْقِ السَّماواتِ والأرضِ بخمسينَ ألفَ سنة، وفيهِ تقديرٌ مُقارِنٌ للخلقِ والتَّكوينِ، وهذا الَّذي تَتَعلَّقُ به القدرةُ؛ أيْ: تقديرُ اللهِ لهذا الشَّيءِ عندَ خلقه.

والإيمانُ بالقَدَرِ يتعلَّقُ بتوحيدِ الرُّبوبيَّة خُصُوصًا، ولهُ تَعَلُّقٌ بتوحيدِ الأسماءِ والصِّفاتِ؛ لأنَّهُ مِنْ صفاتِ كمالِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

(٢) قولُهُ: «**والَّذي نفسُ ابنِ عُمَرَ بيَدِه**» **الصِّيغةُ هنا قَسَم، جَوَابُهُ جُمْلَةُ** (**لَوْ كَانَ لأَحَدِهِم مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ**).

وابنُ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعنْ أبيهِ ذَكَرَ حُكْمَهُم بالنِّسْبَةِ لقبولِ عَمَلِهم، ولمْ يقُلْ هُمْ كُفَّارٌ.

لكنَّ حكمَهُ بأنَّ إنْفاقَهُم في سبيلِ اللهِ لا يُقْبَلُ يَسْتَلْزِمُ الحُكْمَ بكُفْرِهم.

وإنَّما قالَ **ابنُ عُمَرَ** ذلكَ جوَابًا على ما نُقِلَ إليهِ منْ أنَّ أُناسًا من البَصْرَةِ يقولونَ: (**إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لمْ يُقَدِّرْ فعْلَ**

العبد وإنّ الأمرَ أُنُفٌ، وإنّهُ لا يعلمُ بأفعالِ العبدِ حتّى يَعْمَلَهَا وتَقَعَ منْه).

فابْنُ عُمَرَ حكَمَ بكُفرهِم اللازمِ منْ قولِه: (ما قَبِلَهُ اللهُ منْهُ حتّى يُؤْمِنَ بالقَدَرِ).

والّذي لا تُقْبَلُ منهُ النّفقاتُ هوَ الكافرُ؛ لقولِه تعالى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ}.

ثمّ استدلّ ابنُ عمرَ بقولِ النّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «الإيمانُ أنْ تُؤْمِنَ باللهِ، ومَلائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه».

فتُؤْمنَ بالجميعِ، فإنْ كفَرْتَ بواحدٍ منْ هذهِ السّتّةِ فأنتَ كافرٌ بالجميعِ؛ لأنّ الإيمانَ كُلٌّ لا يَتجزّأُ، كما قالَ تعالى: {وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا}.

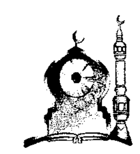
ووجهُ استدلالِ ابنِ عمرَ: أنّ النّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ جعلَ الإيمانَ مَبْنيًّا على هذه الأركانِ السّتّةِ، وإذا فاتَ رُكْنٌ من الأركانِ سقطَ البُنْيانُ، فإذا أنْكرَ الإنسانُ شيئًا واحدًا منْ هذه الأركانِ السّتّةِ صارَ كافرًا، وإذا كانَ كافرًا فإنّ اللهَ لا يَقْبَلُ منهُ.

قولُهُ: «وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» هنا أعادَ الفعلَ ولمْ يكتفِ بواوِ العطفِ؛ لأنّ الإيمانَ بالقدرِ مُهِمٌّ، فكأنّهُ مُسْتقِلٌّ برأسِه.

والإيمانُ بالقدرِ: هوَ أنْ تُؤمنَ بتقديرِ اللهِ عزَّ وجلَّ للأشياءِ كُلِّهَا، سواءٌ ما يَتعلّقُ بفعلِه أوْ ما يَتعلّقُ بفعلِ غيرِه، وأنّ اللهَ عزَّ وجلَّ قدَّرَها وكتبَهَا عندَهُ قبلَ أنْ يخْلُقَ السّماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ، ومعلومٌ أنّهُ لا كتابةَ إلاّ بعدَ علْمٍ، فالعلمُ سابقٌ على الكتابةِ.

ثمّ إنّهُ ليسَ كُلُّ معلومٍ للهِ سُبْحانَهُ وتعالى مكتوبًا؛ لأنّ الّذي كُتبَ إلى يومِ القيامةِ، وهناكَ أشياءُ بعدَ يومِ القيامةِ كثيرةٌ أكثرُ ممّا في الدُّنيا هيَ معلومةٌ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، ولكنّهُ لم يَرِدْ في الكتابِ والسُّنّةِ أنّها مكتوبةٌ.

وهذا القدرُ قالَ بعضُ العلماءِ: (إنّهُ سرٌّ منْ أسرارِ اللهِ) وهوَ كذلكَ لم يُطْلِعِ اللهُ عليه أحدًا، لا مَلَكًا مُقرّبًا، ولا نَبيًّا مُرْسَلاً، إلاّ ما أَوْحَاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ إلى رُسلِه، أوْ وقعَ فَعَلِمَهُ النّاسُ، وإلاّ فإنّهُ سرٌّ مكتومٌ، قالَ تعالى: {وَمَا



تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا} وإذا قُلْنَا: إنَّهُ سرٌّ مكتومٌ، فإنَّ هذا القولَ يَقْطَعُ احتجاجَ العاصي بالقدرِ على معصيته؛ لأنَّنا نقولُ لهذا الَّذي عصَى اللهَ عزَّ وجلَّ وقالَ: هذا مُقدَّرٌ عَلَيَّ: ما الَّذي أَعْلَمَكَ أنَّهُ مُقدَّرٌ عليكَ حتَّى أَقْدَمْتَ؟ أفلا كانَ الأجدرُ بكَ أنْ تُقدِّرَ أنَّ اللهَ تعالى قدْ كَتَبَ لكَ السَّعادةَ وتَعْمَلَ بعملِ أهلِ السَّعادة؛ لأنَّكَ لا تستطيعُ أنْ تَعْلَمَ أنَّ اللهَ كَتَبَ عليكَ الشَّقاءَ إلاَّ بعدَ وُقوعِه منكَ؟ قالَ تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ}.

فالقولُ بأنَّ القدرَ سرٌّ منْ أسرارِ اللهِ مكتومٌ لا يُطَّلَعُ عليهِ إلاَّ بعدَ وقوعِ المقدورِ تَطْمَئِنُّ لهُ النَّفسُ، ويَنْشَرِحُ لهُ الصَّدرُ، وتَنْقَطِعُ به حُجَّةُ البطَّالينَ.

وقولُهُ: «**خَيْرِه وَشَرِّه**» **الخيرُ: ما يُلائمُ العبدَ، والشَّرُّ: ما لا يُلائمُهُ.**

ومعلومٌ أنَّ المَقْدُوراتِ خيرٌ وشرٌّ؛ فالطَّاعاتُ خيرٌ والمعاصي شرٌّ، والغِنى خيرٌ والفقرُ شرٌّ، والصِّحَّةُ خيرٌ والمرضُ شرٌّ، وهكذا.

وإذا كانَ القدرُ من الله فـكيفَ يُقالُ: الإيمانُ بالقدرِ خيرِه وشرِّه، والشَّرُّ يُنسَبُ إلى الله؟

الجوابُ: أنَّ الشَّرَّ لا يُنسَبُ إلى اللهِ، قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**» فلا يُنسَبُ إليهِ الشَّرُّ لا فعلاً ولا تقديرًا ولا حُكْمًا، بل الشرُّ في مفعولاتِ اللهِ، لا في فعلِه كما سبقَ بيانُهُ.

(٣) قولُهُ في حديثِ **عُبَادَةَ**: «**أنَّهُ قالَ لابنِهِ: يا بُنَيَّ**» أفادَ **عُبَادَةُ بنُ الصَّامت** رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ يَنْبَغِي للأبِ أنْ يُسْدِيَ النَّصائحَ لأبنائِه ولأهلِه، وأنْ يختارَ العباراتِ الرَّقيقةَ الَّتي تُلَيِّنُ القلبَ؛ حيثُ قالَ: (**يَا بُنَيَّ**) وفي هذا التَّعبيرِ من اللَّطافَةِ وجَذْبِ القلبِ ما هوَ ظاهرٌ.

قولُهُ: «**لَنْ تَجِدَ طعمَ الإيمانِ**» هذا يُفيدُ أنَّ للإيمانِ طعمًا كما جاءتْ به السُّنَّةُ، وطعمُ الإيمانِ ليسَ كطعمِ الأشياءِ المحسوسةِ، فطعمُ الأشياءِ المحسوسةِ إذا أتَى بعدَهَا طَعَامٌ آخرُ أزالَهَا، لكنَّ طعمَ الإيمانِ يَبْقَى مُدَّةً طويلةً، حتَّى إنَّ الإنسانَ أحيانًا يفعلُ عبادةً في صفاءٍ وحُضُورِ قلبٍ وخُشُوعٍ للهِ عزَّ وجلَّ، فتجدُهُ يَتَطَعَّمُ بتلكَ العبادةِ مُدَّةً طويلةً، فالإيمانُ لهُ حلاوةٌ ولهُ طعمٌ لا يُدْرِكُهُ إلاَّ مَنْ أَسْبَغَ اللهُ عليهِ نعمتَهُ بهذه الحلاوةِ وهذا الطَّعمِ.

قولُهُ: «**حَتَّى تعْلَمَ أنَّ ما أصابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ**» قدْ تقولُ: ما أَصَابَنِي لَمْ يَكُنْ لِيُخطِئَنِي، هذا تحصيلُ حاصلٍ؛ لأنَّ الَّذي أصابَ الإنسانَ أصابَهُ، فلا بُدَّ أنْ نعرفَ معنى هذهِ العبارةِ، فتُحمَلُ هذه العبارةُ على أحدِ معنيَيْنِ، أوْ عَلَيْهِمَا جميعًا:

الأَوَّلُ: أنَّ المعنى: **ما أَصَابَكَ**؛ أيْ: **مَا قَدَّرَ اللهُ أنْ يُصيبَكَ**، فعَبَّرَ عن التَّقديرِ بالإصابة؛ لأنَّ ما قَدَّرَ سوفَ يَقَعُ،

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

فما قدَّرَ اللهُ أنْ يُصيبَكَ لَمْ يكُنْ لِيُخطئَكَ مهما عَمِلْتَ مِنْ أسباب.

الثَّاني: ما أصابَكَ فلا تُفكِّرْ أنْ يكونَ مُخطئًا لكَ، فلا تَقُلْ: لوْ أنِّي فعَلْتُ كذا ما حصَلَ كذا؛ لأنَّ الَّذي أصابَكَ الآنَ لا يُمْكنُ أنْ يُخطئَكَ، فكلُّ التَّقديراتِ الَّتي تُقَدِّرُهَا وتقولُ: لوْ أنِّي فعلتُ كذا ما حصَلَ كذا، هيَ تقديراتٌ يائسةٌ لا تُؤثِّرُ شيئًا.

وأيًّا كانَ فالمعنى صحيحٌ على الوجهَيْنِ، فما قدَّرَهُ اللهُ أنْ يُصيبَ العبدَ فلا بُدَّ أن يُصيبَهُ، ولا يُمْكنُ أنْ يُخطئَهُ، وما وقَعَ مُصيبًا للإنسانِ فإنَّهُ لنْ يمْنَعَهُ ويَرْفَعَهُ شيءٌ، فإذا آمَنْتَ هذا الإيمانَ ذُقْتَ طعمَ الإيمانِ؛ لأنَّكَ تَطْمَئنُّ وتَعْلَمُ أنَّ الأمرَ لا بُدَّ أنْ يَقعَ على ما وقعَ عليه، ولا يُمْكنُ أنْ يتغَيَّرَ أبدًا.

مثالُ ذلكَ: (**رَجُلٌ خرجَ بأولاده للنُّزْهَة، فَدَبَّ بعضُ الأولادِ إلى بِرْكَة عميقة، فسقطَ فغرِقَ فماتَ**) فلا يقولُ: لوْ أنَّني ما خرَجْتُ لَمَا ماتَ الولدُ، بلْ لا بُدَّ أنْ تَجْريَ الأمورُ على ما جرَتْ عليه، ولا يُمْكنُ أنْ تتغيَّرَ؛ فما أصابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطئَكَ.

فحينَئذٍ يَطْمَئنُّ الإنسانُ ويَرْضَى ويَعْرِفُ أنَّهُ لا مَفَرَّ، وأنَّ كُلَّ التَّقديراتِ والتَّخيُّلاتِ الَّتي تقعُ في ذهنه كُلُّها من الشَّيطانِ، فلا تَقُلْ: لوْ أنِّي فعلتُ كذا لكانَ كذا؛ فإنَّ لَوْ تفتحُ عملَ الشَّيطانِ، وحينئذٍ يَرْضَى ويُسَلِّمُ.

وقدْ أشارَ اللهُ إلى هذا المعنى في قوله: **{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}**.

فأنتَ إذا عَلِمْتَ هذا العلمَ وتَيَقَّنْتَهُ بقلبكَ ذُقْتَ حلاوةَ الإيمانِ واطْمَأْنَنْتَ، واستقرَّ قلبُكَ، وعرفْتَ أنَّ الأمرَ جارٍ على ما هوَ عليه لا يُمْكنُ أنْ يتغيَّرَ؛ ولهذا كثيرًا ما يجدُ الإنسانُ أنَّ الأمورَ سارَتْ لِيَصلَ إلى هذه المصيبة، فتجدُهُ يعملُ أعمالاً لَمْ يكُنْ منْ عادته أنْ يعملَهَا حتَّى يصلَ إلى ما أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ، مِمَّا يَدُلُّ على أنَّ الأمورَ بقضاءِ اللهِ وقدره.

قولُهُ: «**وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَكَ**» نقولُ فيه مثلَ الأوَّلِ، يعني: ما قُدِّرَ أنْ يُخْطئَكَ فلنْ يُصيبَكَ، فلوْ أنَّ أحدًا سَمعَ بِمَوْسِمِ تجارةٍ في بلدٍ ما، وسافرَ بأمواله لهذا الموسم، فَلَمَّا وصَلَ وجَدَ أنَّ الموسمَ قدْ فاتَ نقولُ لهُ: ما أَخْطَأَكَ منْ هذا الرِّبحِ الَّذي كُنْتَ تُعدُّ لهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَكَ مهما كانَ ومهما عَمِلْتَ، أوْ نقولُ: لَمْ يكُنْ لِيُصيبَكَ؛ لأنَّ الأمرَ لا بُدَّ أن يَجْريَ على ما قضاهُ اللهُ وقدَّرَهُ، وأنتَ جَرِّبْ نفسَكَ تَجدْ أنَّكَ إذا حصَلْتَ على هذا اليقينِ

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

ذُقْتَ حلاوةَ الإيمانِ.

(٤) ثُمَّ استدلَّ لِمَا يقولُ بقولِهِ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ» (القلمُ) بالرَّفعِ والنَّصْبِ، وهيَ مَرْوِيَّةٌ بالوجهَيْنِ.

فعلى روايةِ الرَّفعِ يكونُ (القلمُ) خبرَ (إنَّ) ويكونُ المعنى: **أوَّلُ ما خلقَ اللهُ القلمُ.**

لكنْ ليسَ منْ كُلِّ المخلوقاتِ كما سَنُبَيِّنُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

وأمَّا على رِوايَةِ النَّصبِ فَـ«**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ.**

فَقَالَ: رَبِّ، وَمَا أَكْتُبُ؟»

يكُونُ خَبَرُ (إنَّ) محذوفًا، أوْ: (قَالَ لَهُ: اكْتُبْ) وتكونُ الفاءُ زائدةً، ويكونُ المعنى: أنَّ اللهَ أمرَ القلمَ أنْ يكتُبَ عندَ أوَّلِ خلقِهِ لهُ، يعني خَلَقَهُ، ثُمَّ أمَرَهُ أنْ يكتُبَ، وعلى هذا المعنى لا إشكالَ فيه.

لكنْ على المعنى الأوَّلِ الَّذي هوَ الرَّفعُ، هل المرادُ أنَّ أوَّلَ المخلوقاتِ كلِّها هوَ القلمُ؟

الجوابُ: لا؛ لأنَّنا لوْ قُلْنَا: إنَّ القلمَ أوَّلُ المخلوقاتِ، وأنَّهُ أُمِرَ بالكتابةِ عندَما خُلِقَ، لَكُنَّا نَعْلَمُ ابتداءَ خلْقِ اللهِ للأشياءِ، وأنَّ أوَّلَ بَدْءِ خَلْقِ اللهِ كانَ قبلَ خَلْقِ السَّماواتِ والأرضِ بخمسينَ ألفَ سنة، ونحنُ نَعْلَمُ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خلقَ أشياءَ قبلَ هذه المُدَّةِ بأزمنةٍ لا يعلمُها إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لم يَزَلْ ولا يَزَالُ خالقًا، وعلى هذا؛ فيكونُ «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ**» يحتاجُ إلى تأويلٍ؛ لِيُطابِقَ ما عُلِمَ بالضَّرُورةِ منْ أنَّ اللهَ تعالى لهُ مخلوقاتٌ عظيمةٌ قبلَ هذا الزَّمنِ.

قالَ أهلُ العلمِ: (وتأويلُهُ أنَّ المعنى: إنَّ أوَّلَ ما خلقَ اللهُ القلمَ بالنسبةِ لِمَا نُشاهِدُهُ فقطْ من المخلوقاتِ؛ كالسَّماواتِ والأرضِ، فهيَ أوَّلِيَّةٌ نِسبِيَّةٌ؛ أيْ: بالنِّسبة).

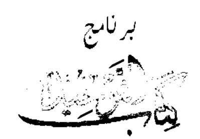
وقدْ قالَ ابنُ القيِّمِ في (نُونيَّتِه):

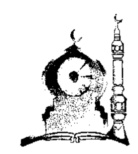
والنَّاسُ مُختلفُونَ في القَلَمِ الَّذي ... كُتِبَ القضاءُ بهِ من الدَّيَّانِ

هَلْ كانَ قبْلَ العَرْشِ أوْ هُوَ بَعْدَهُ ... قولانِ عندَ أبي العُلا الهَمْدَاني

والحقُّ أنَّ العرشَ قبْلُ لأنَّهُ ... قَبْلَ الكتابةِ كانَ ذا أركانِ

قولُهُ: «**فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ**» القائلُ هوَ اللهُ عزَّ وجلَّ يُخاطِبُ القلمَ، والقَلَمُ جمادٌ، لكنَّ كُلَّ جمادٍ أمامَ اللهِ مُدْرِكٌ







عاقلٌ ومُرِيدٌ.

والدَّليلُ على هذا قولُهُ تعالى في سُورَةِ فُصِّلَتْ: **{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا}** أيْ: لا بُدَّ أنْ تَنْقَادَا لأمرِ اللهِ طوعًا أوْ كَرْهًا.

فكانَ الجوابُ: **{قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}**.

إذًا خاطَبَ اللهُ السَّماواتِ والأرضَ وأجابَتَا، ودلَّ قولُهُ: **{طَائِعِينَ}** على أنَّ لها إرادةً وأنَّها تُطيعُ، فكُلُّ شيءٍ أمامَ اللهِ فهوَ مُدْرِكٌ مُرِيدٌ ويُجِيبُ ويَمْتَثِلُ.

قولُهُ: «**قَالَ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟**» (**مَاذا**): اسمُ استفهامٍ، مفعولٌ مُتَقَدِّمٌ، و(**أَكْتُبُ**) فعلٌ مضارعٌ مرفوعٌ بالضَّمَّة الظَّاهرة، هذا إذا أُلْغِيَتْ (**ذَا**).

أمَّا إذا لَمْ تُلغَ (ذا)، فنقولُ: (**ما**) اسمُ استفهامٍ مبتدأٌ، و(ذا) خبرُهُ؛ أيْ: ما الَّذي أَكْتُبُ.

والعائدُ على الموصول محذوفٌ، تقديرُهُ: (ما الَّذي أَكْتُبُهُ).

وفي هذا دليلٌ على أنَّ الأمرَ المُجْمَلَ لا حَرَجَ على المأمورِ في طلبِ اسْتِبَانَتِه.

وعلى هذا؛ فإنَّنا نقولُ: إذا كانَ الأمرُ مُجْمَلاً فإنَّ طلبَ اسْتِبَانَتِه لا يكونُ معصيَةً، فالقلمُ لا شكَّ أنَّهُ مُمْتَثِلٌ لأمرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وتعالى، ومعَ ذلكَ قالَ: «**رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**» فكتَبَ المقاديرَ.

فإنْ قيلَ: وهل القلمُ يَعْلَمُ الغيبَ؟

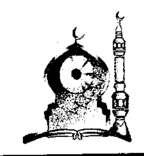
الجوابُ: لا، لكنَّ اللهَ أمرَهُ، ولا بُدَّ أنْ يمتثلَ لأمرِ اللهِ. فَكَتَبَ هذا القلمُ الَّذي يُعتبرُ جمادًا بالنِّسبة لمفهومِنَا، كَتَبَ كلَّ شيءٍ أمرَهُ اللهُ أنْ يكْتُبَهُ؛ لأنَّ اللهَ إذا أرادَ شيئًا قالَ لهُ: كُنْ، فيكونُ على حَسَبِ مُرَادِ اللهِ.

و(كُلّ) منْ صيغِ العُمُومِ فتعمُّ كلَّ شيءٍ ممَّا يتعلَّقُ بفعلِ اللهِ أوْ بفعلِ المخلوقينَ.

وقولُهُ: «**حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**» **السَّاعةُ هيَ القيامةُ**، وأُطْلِقَ عليها لفظُ السَّاعة؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ عظيمٍ من الدَّواهي لهُ سَاعَةٌ، يعني السَّاعةَ المعهودةَ الَّتي تُذهلُ النَّاسَ وتُحيقُ بهم وتَغْشَاهم حينَ تَقومُ السَّاعةُ، وذلكَ عندَ النَّفخِ في

ص٦ -

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com



الصُّور.

قولُهُ: (يَا بُنَيَّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ يقولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا»).

المشارُ إليه قولُهُ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ...».

قولُهُ: «فَلَيْسَ مِنِّي» تبرَّأَ منهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ؛ لأنَّهُ كافِرٌ، والرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ بَرِيءٌ مِنْ كلِّ كافرٍ.

(٥) قولُهُ: «وفي روايةٍ لأحمدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ...»».

هذهِ الروايَةُ تُفيدُ أمْرًا زائدًا على ما سبقَ وهوَ قولُهُ: «فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ» فإنَّهُ صريحٌ في أنَّ القلمَ امْتَثَلَ.

والحديثُ الأوَّلُ ليسَ فيه أنَّهُ كتَبَ إلاَّ عنْ طريقِ اللُّزومِ بأنَّهُ سيكتُبُ امتثالاً لأمْرِ اللهِ تعالى.

فيُستفادُ منهُ ما سبقَ منْ كتابةِ اللهِ سبحانَهُ وتعالَى كلَّ شيءٍ إلى قيامِ السَّاعةِ.

وهذا مذكورٌ في القرآنِ الكريمِ في قولِهِ تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}.

وقالَ تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} أيْ: مِنْ قَبْلِ أنْ نَبْرَأَ الخليقةَ، {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}.

قولُهُ: «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» هوَ يومُ البعثِ، وسُمِّيَ يومَ القيامةِ؛ لقيامِ أُمورٍ ثلاثةٍ فيه:

الأوَّلُ: قيامُ النَّاسِ منْ قبورِهِم لربِّ العالمينَ، كما قالَ تعالى: {لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.

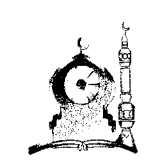
الثَّاني: قيامُ الأشهادِ الَّذين يَشْهَدونَ للرُّسُلِ وعلى الأُمَمِ؛ لقولِهِ تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ}.

الثَّالثُ: قيامُ العدلِ؛ لقولِهِ تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}.

قولُهُ: «وفي رِوَايَةٍ لابنِ وَهْبٍ» ظاهِرُهُ أنَّ هذا في حديثِ عُبَادَةَ، وابنُ وهْبٍ هو: عبد الله بن وهب المصري، أحدُ حُفَّاظِ الحديثِ.

(٦) قولُهُ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ» في هذا دليلٌ على أنَّ الإيمانَ بالقدرِ واجبٌ

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٦١١ - ص.ب: ١١٤٤٦
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



ولا يتمُّ الإيمانُ إلاَّ به، وأمَّا مَنْ لمْ يُؤْمِنْ به فإنَّهُ يُحرَقُ بالنَّار.

وقولُهُ: «**أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ**» بعدَ قولِهِ: «**فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ**» يَدُلُّ على أنَّ مَنْ أنْكَرَ أوْ شَكَّ فإنَّهُ يُحرَقُ بالنَّارِ؛ **لأنَّ لدَيْنَا ثلاثةَ مَقَامَاتٍ**:

الأوَّلُ: الإيمانُ والجزمُ بالقدرِ بمراتبِهِ الأربعةِ.

الثَّاني: إنكارُ ذلكَ.

وهذانِ واضحانِ؛ لأنَّ الأوَّلَ إيمانٌ، والثَّانيَ كفرٌ.

الثَّالثُ: الشَّكُّ والتَّردُّدُ، فهذا يُلْحَقُ بالكفرِ؛ ولهذا قالَ: «**فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ**» ودَخَلَ في هذا النَّفيِ مَنْ أنْكَرَ ومَنْ شَكَّ.

وفي قولِهِ: «**أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ**» دليلٌ على أنَّ عذابَ النَّارِ مُحْرِقٌ، وأنَّ أهلَهَا ليسَ كمَا زعَمَ بعضُ أهلِ البِدَعِ يَتكَيَّفُونَ لها حتَّى لا يُحِسُّونَ لها بألَمٍ، بلْ هُمْ يُحِسُّونَ بألمٍ وتُحْرَقُ أجسامُهُم.

وقدْ ثبتَ في حديثِ الشَّفاعةِ أنَّ اللهَ يُخرِجُ من النَّارِ مَنْ كانَ من المؤمنينَ حتَّى صَارُوا حُمَمًا؛ يعني فَحْمًا أَسْوَدَ.

وقدْ دلَّ عليهِ القرآنُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ وفي قولِهِ تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.

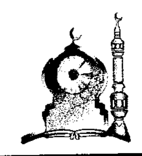
قولُهُ: «**فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِن القَدَرِ**» لمْ يُفْصِحْ عنْ هذا الشَّيءِ، لكنْ لعلَّهُ لمَّا حَدَثَتْ بدْعَةُ القدرِ، وهيَ أوَّلُ البِدَعِ حدوثًا، صارَ النَّاسُ يَتشكَّكونَ فيها ويَتكلَّمونَ فيها، وإلاَّ فإنَّ النَّاسَ قبلَ حدوثِ هذه البدعةِ كانوا على الحقِّ، ولا سيَّما أنَّ الرَّسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ خرجَ على أصحابِهِ ذاتَ يَومٍ وهُمْ يتكلَّمونَ في القدَرِ، فغَضِبَ النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ منْ ذلكَ وأَمَرَهُم بأنْ لا يتنازَعُوا وأنْ لا يختلفُوا.

فكفَّ النَّاسُ عنْ هذا حتَّى قَامَتْ بدعةُ القدريَّةِ وحصَلَ ما حَصَلَ من الشُّبَهِ؛ فلهذا يقولُ ابنُ الدَّيْلَمِيِّ: (**فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِن القَدَرِ . . .**).

قولُهُ: «**فَحَدِّثْنِي بِشَيءٍ لَعَلَّ اللهَ أنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي**» أيْ: يُذْهِبَ هذا الشَّيءَ.

وهكذا يجبُ على الإنسانِ إذا أُصيبَ بمرضٍ أنْ يَذْهَبَ إلى أطبَّاءِ ذلكَ المرضِ، وأطبَّاءُ مرضِ القلوبِ هم





برنامج

العلماءُ، ولا سيَّما مثلَ الصَّحابةِ رَضيَ اللهُ عَنْهم؛ **كأُبَيِّ بنِ كعبٍ**؛ فَلكُلِّ داءٍ طَبيبٌ.

قولُهُ: «**لَوْ أنْفقْتَ مثْلَ أُحُد ذَهَبًا مَا قَبلَهُ اللهُ منْكَ حَتَّى تُؤْمنَ بالْقَدَرِ**» هذا يدلُّ على أنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمنْ بالقدرِ فهوَ كافرٌ؛ لأنَّ الَّذي لا تُقْبلُ منهُ النَّفقاتُ هم الكفَّارُ، وسَبَقَ نحْوُهُ عن ابنِ عمرَ رَضيَ اللهُ عنهما.

قولُهُ: «**حتَّى تُؤْمنَ بالْقَدَرِ وتَعلَمَ أنَّ ما أَصابَكَ لَمْ يَكُنْ ليُخطِئَكَ، وَمَا أَخْطأَكَ لَمْ يَكُنْ ليُصيبَكَ**» وقدْ سبقَ الكلامُ على هذه الجُمْلَة.

قولُهُ: «**ولَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» (مُتَّ) بالضمِّ؛ لأنَّها مِنْ ماتَ يَموتُ.

وفيهِ لُغَةٌ أُخْرَى بالكسرِ (مِتَّ) كما في قولِه تعالى: ﴿**وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ**﴾ في إحْدَى القراءتَيْنِ.

وهيَ على هذهِ القراءةِ منْ (مَاتَ: يَميتُ) بالياءِ.

قولُهُ: «**عَلَى غَيْرِ هَذا لَكُنْتَ مِنْ أهلِ النَّارِ**» جزمَ **أُبيُّ بنُ كعبٍ** رَضيَ اللهُ عَنْهُ (**بأَنَّهُ إذا ماتَ على غيرِ هذا كانَ منْ أهلِ النَّارِ**) لأنَّ مَنْ أَنْكرَ القدرَ فهوَ كافرٌ، والكافرُ يكونُ منْ أهلِ النَّارِ الَّذينَ هُمْ أهْلُها المُخلَّدونَ فيها.

وهلْ هذا الدَّواءُ يُفيدُ؟

الجوابُ: نَعَمْ يُفيدُ، وكُلُّ مؤمنٍ باللهِ إذا عَلِمَ أنَّ مُنْتَهَى مَنْ لَمْ يُؤْمنْ بالقدرِ هوَ هذا، فلا بُدَّ أنْ يَرْتَدِعَ، ولا بُدَّ أنْ يُؤْمنَ بالقدرِ على ما جاءَ في كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِه صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ.

وقولُهُ: «**فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بنَ مَسْعُود وحُذَيفةَ بنَ الْيَمَانِ وزيدَ بنَ ثابت، فكُلُّهُم حَدَّثَني بمثْلِ ذلكَ**» المُشَارُ إليه الإيمانُ بالقدرِ، وأنْ يَعْلَمَ الإنسانُ أنَّ ما أصابَهُ لَمْ يكُنْ ليُخطئَهُ، وما أخطَأهُ لَمْ يَكُنْ ليُصيبَهُ.

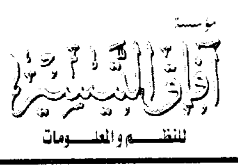
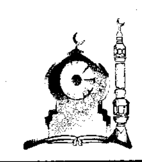
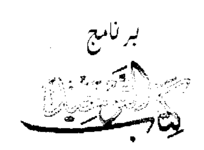
وكلُّ هؤلاءِ العلماءِ الأَجلاَّءِ كُلُّهم منْ أهلِ القرآنِ، **فَأُبَيُّ بنُ كَعْبٍ** منْ أهلِ القرآنِ ومنْ كَتَبةِ القرآنِ، حتَّى إنَّ الرَّسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ دَعَاهُ ذاتَ يَوْمٍ وقرأَ عليهِ سورةَ ﴿**لَمْ يَكُنْ...**﴾ البيِّنة.

وقالَ: «**إنَّ اللهَ أَمَرَني أنْ أَقْرَأَهَا عَلَيْكَ**» **فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، سَمَّاني اللهُ لكَ؟ قالَ: «نَعَمْ»**.

فَبَكَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بُكاءَ فَرَحٍ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ سَمَّاهُ باسمه لنَبيِّه، وأَمَرَ نَبيَّهُ أنْ يَقْرأَ عليه هذه السُّورةَ.

وأمَّا **عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ**، فقدْ قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقرأَ القُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِراءةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**».

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

وأمَّا زيدُ بنُ ثابت، فهوَ أحدُ كُتَّابِ القرآنِ في عهدِ أبي بكرٍ رَضيَ اللهُ عَنْهُ.

وحُذَيْفَةُ بنُ الْيَمَانِ، صاحبُ السرِّ الَّذي أَسَرَّ إليه النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ بأسماءِ المنافقينَ.

والحاصلُ أنَّ هذا البابَ يَدُلُّ على وجوبِ الإيمانِ بالقضاءِ والقدرِ بمَرَاتبِه الأربعِ.

مَسْأَلَةٌ:

الإيمانُ بالقدرِ هَلْ هوَ مُتَعلِّقٌ بتوحيدِ الرُّبوبيَّة، أوْ بالألوهيَّة، أوْ بالأسماءِ والصِّفاتِ؟

الجوابُ: تَعلُّقُهُ بالرُّبوبيَّة أكثرُ منْ تَعلُّقه بالألوهيَّة والأسماءِ والصِّفاتِ، ثُمَّ تَعَلُّقُهُ بالأسماءِ والصِّفاتِ أكثرُ منْ تَعلُّقه بالألوهيَّة، وتَعلُّقُهُ بالألوهيَّة أيضًا ظاهرٌ؛ لأنَّ الألوهيَّةَ بالنِّسبةِ للهِ يُسَمَّى توحيدَ الألوهيَّةِ، وبالنِّسبةِ للعبدِ يُسمَّى توحيدَ العبادةِ، والعبادةُ فعلُ العبدِ، فلها تعلُّقٌ بالقدَرِ، **فالإيمانُ بالقدرِ لهُ مَساسٌ بأقسامِ التَّوحيدِ الثَّلاثةِ**.

(٧) فيهِ مسائلُ:

الأولى: (**بيانُ فَرْضِ الإيمانِ بالقَدَرِ**) دليلُهُ قولُهُ: «**الإيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، ومَلائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، والْيَوْمِ الآخرِ، وتُؤْمنَ بالْقَدرِ خَيْرِه وشَرِّه**».

(٨) **الثانيةُ**: (**بيانُ كيفيَّةِ الإيمانِ**) أيْ: بالقدرِ، وهوَ أنْ تُؤْمنَ بأنَّ ما أصابَكَ لَمْ يكُنْ ليُخطِئَكَ، وما أخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ ليُصيبَكَ.

(٩) **الثالثةُ**: (**إحباطُ عَمَلِ مَنْ لَمْ يُؤمِنْ به**) تُؤْخَذُ منْ قولِ ابنِ عُمَرَ: (**لَوْكَانَ لأَحَدهم مثْلُ أُحُد ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ في سَبيلِ اللهِ، ما قَبِلَهُ اللهُ منْهُ حتَّى يُؤْمنَ بالقَدَرِ**).

ويَتفرَّعُ منهُ ما ذَكَرْناهُ سابقًا بأنَّهُ يدلُّ على أنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمنْ بالقدرِ فهوَ كافرٌ؛ لأنَّ الكافرَ هوَ الَّذي لا يُقْبَلُ منهُ العملُ.

(١٠) **الرابعةُ**: (**الإخبارُ أنَّ أحدًا لا يجدُ طعْمَ الإيمانِ حتَّى يُؤمنَ به**) أيْ: بالقدرِ، وهوَ كذلكَ لقولِ **عُبادةَ بنِ الصامتِ** لابْنِه: (**يا بُنَيَّ، إنَّكَ لنْ تجدَ طَعْمَ الإيمانِ...**) إلخ.

وقدْ سبَقَ أنَّ الإيمانَ بالقدرِ يُوجبُ طُمَأْنينَةَ الإنسانِ بما قَضاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ ويستريحُ؛ لأنَّهُ عَلمَ أنَّ هذا أمْرٌ لا

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

بُدَّ أنْ يقعَ على حسَبِ المقدورِ، لا يَتخلَّفُ أبدًا «**ولا تقل: لو أنِّي فعلتُ كذا لكانَ كذا، لأنَّ لو تفتحُ عملَ الشَّيطانِ**» ولا تَرْفعُ شيئًا وَقعَ مهما قُلْتَ.

(١١) **الخامسةُ: (ذِكْرُ أوَّلِ ما خلَقَ اللهُ)** ظاهرُ كلامِ المؤلِّفِ المَيْلُ إلى أنَّ القلمَ أوَّلُ مخلوقاتِ اللهِ، ولكنَّ الصَّحيحَ خلافُهُ، وأنَّ القلمَ ليسَ أوَّلَ مخلوقاتِ اللهِ؛ لأنَّهُ ثبتَ في (صحيحِ البُخاريِّ): «**كانَ اللهُ ولَمْ يكنْ شيءٌ قبلَه، وكانَ عرشُهُ علَى الماءِ، ثمَّ خلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، وكَتَبَ في الذِّكْرِ مقاديرَ كلِّ شيءٍ**».

وهذا واضحٌ في التَّرتيبِ، ولِهَذَا كانَ الصَّوابُ بلا شَكٍّ أنَّ القلمَ خُلِقَ بعدَ العرشِ.

وَسَبَقَ لنا تخريجُ الرِّوايتيْنِ، وأنَّهُ على الرِّوايَةِ الَّتي ظاهرُها أنَّ القلمَ أوَّلُ ما خُلِقَ تُحمَلُ على أنَّهُ أوَّلُ ما خُلِقَ بالنِّسبةِ لِمَا يَتعلَّقُ بهذا العالَمِ المُشاهَدِ، فهوَ قبلَ خلقِ السَّماواتِ والأرضِ، فتكونُ أوَّليَّتُهُ نسبيَّةً.

(١٢) **السَّادسَةُ: (أنَّهُ جرَى بالمَقاديرِ في تلْكَ السَّاعةِ إلى قيامِ السَّاعةِ)** لقولِهِ: «**فجرَى في تلْكَ السَّاعَةَ بِمَا هُوَ كائنٌ إلى يومِ القيامَةِ**».

وفيهِ أيضًا من الفوائدِ: تَوْجيهُ خِطابِ اللهِ إلى الجَمادِ، وأنَّهُ يَعْقِلُ أمْرَ اللهِ؛ لأنَّ اللهَ وَجَّهَ الخطابَ إلى القلمِ ففهِمَ واستجابَ، لكنَّهُ سألَ في الأوَّلِ وقالَ: «ماذا أكْتُبُ؟».

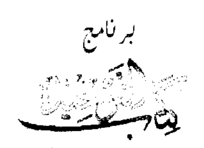
(١٣) **السَّابعةُ: (براءتُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ممَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ به)** لقولِهِ: «**مَنْ ماتَ علَى غيرِ هذا فليسَ منِّي**» وهذهِ البراءةُ مُطْلَقةٌ؛ لأنَّ مَنْ لمْ يُؤْمِنْ بالقدرِ فهوَ كافرٌ كُفْرًا مُخْرِجًا عن المِلَّةِ.

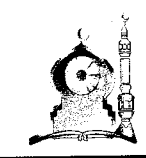
(١٤) **الثَّامنةُ: (عادةُ السَّلَفِ في إزالةِ الشُّبْهةِ بسؤالِ العلماءِ)** لأنَّ ابنَ الدَّيْلَميِّ يقولُ: (**فأتيْتُ عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ وحُذَيْفَةَ بنَ اليمانِ وزيدَ بنَ ثابتٍ، بعدَ أنْ أتى أُبيَّ بنَ كعبٍ، فدَلَّ هذا على أنَّ منْ عادةِ السَّلَفِ السُّؤالَ عمَّا يشْتَبِهُ عليهم**).

وفيهِ أيضًا مسألةٌ ثانيةٌ، وهيَ جوازُ سؤالِ أكثرَ منْ عالمٍ للتثبُّتِ؛ لأنَّ ابنَ الدَّيْلَميِّ سألَ عدَّةَ علماءَ.

أمَّا سؤالُ أكثرَ منْ عالمٍ لِتَتبُّعِ الرُّخَصِ فهذا لا يجوزُ، كما نصَّ على ذلكَ أهلُ العلمِ.

وهذا منْ شأنِ اليهودِ؛ فاليهودُ لَمَّا كانَ في التَّوراةِ أنَّ الزَّانيَ يُرْجَمُ إذا كانَ مُحْصَنًا، وكثُرَ الزِّنا في أشرافِهم،






غيَّرُوا هذا الحدَّ.

ولَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ المدينةَ، وَزَنَا منهم رَجُلٌ بامرأةٍ قالُوا: اذْهَبُوا إلى هذا الرَّجُلِ لعلَّكمْ تَجدونَ عِنْدَهُ شيئًا آخَرَ؛ لأجلِ أنْ يَتَتَبَّعُوا الرُّخَصَ.

(١٥) **التَّاسِعةُ: (أنَّ العلماءَ أجابُوهُ بما يُزِيلُ شُبْهَتَهُ؛ وذلكَ أنَّهم نَسَبُوا الكلامَ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقط)** لقولِ ابن الديلميِّ: (**كُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بمثْلِ ذلكَ عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ**) وهذا مُزِيلٌ للشُّبْهَةِ، فإذا نُسِبَ الأمرُ إلى اللهِ ورسولِهِ زالت الشُّبهةُ تمامًا، لكنْ تزولُ عن المُؤْمنِ، أمَّا غيرُ المؤمنِ فلا تنفعُهُ؛ فاللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿**وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ وقالَ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ**﴾لكنَّ المؤمنَ هوَ الَّذي تَزُولُ شُبْهَتُهُ بما جاءَ عن اللهِ ورسولِهِ، كما قالَ تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ولهذا لَمَّا قَالَتْ عائشةُ للمرأةِ: (**كَانَ يُصيبُنا -تَعْني: الْحَيْضَ- فَنُؤْمَرُ بِقَضاءِ الصَّوْمِ، ولا نُؤْمَرُ بقضاءِ الصَّلاةِ**) لَمْ تَذْهَبْ تُعَلِّلُ، ولكنْ لا حَرَجَ على الإنسانِ أنْ يذكُرَ الحُكْمَ بعلَّته لِمَنْ لَمْ يُؤْمنْ لَعَلَّهُ يُؤْمنُ، ولهذا يَذْكُرُ اللهُ عزَّ وجلَّ إحياءَ المَوْتَى ويذكرُ الأدلَّةَ العقليَّةَ والحِسِّيَّةَ على ذلكَ، فقالَ في أدلَّة العقلِ: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾ فهذه دلالةٌ عقليَّةٌ.

فالعقلُ يُؤْمنُ إيمانًا كاملاً بأنَّ مَنْ قَدَرَ على الابتداءِ؛ فهوَ قادرٌ على الإعادةِ منْ بابِ أَوْلَى، وذكرَ أدلَّةً حِسِّيَّةً؛ منها قولُهُ تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى**﴾.

فإذًا لا مانعَ أنْ تَأْتِيَ بالأدلَّة العقليَّة أو الحِسِّيَّةِ منْ أجلِ أنْ تُقْنِعَ الْخَصْمَ وَتُطَمْئِنَ الْمُوافِقَ.

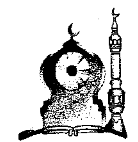
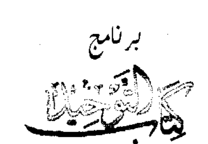
وفيهِ دليلٌ رابعٌ: وهوَ: **دليلُ الفطرة**، فلا مَانعَ أيضًا أنْ نأتيَ به للاستدلالِ على ما نقولُ من الحقِّ لِنُلْزِمَ الخصمَ به، ونُطَمْئِنَ الموافقَ، وما زالَ العلماءُ يَسْلُكونَ هذا المَسْلَكَ.

فإذًا، الأدلَّةُ سَمْعيَّةٌ، وعقليَّةٌ، وفطْرِيَّةٌ، وحسِّيَّةٌ.

وأشدُّها إقناعًا للمؤمنِ هوَ الدَّليلُ السَّمْعيُّ؛ لأنَّهُ يقفُ عندَهُ، ويَعْلَمُ أنَّ كُلَّ ما خالَفَ دلالةَ السَّمعِ فهوَ باطلٌ،

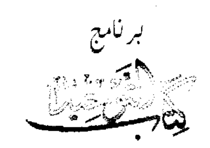
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

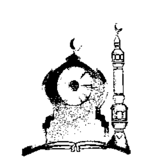
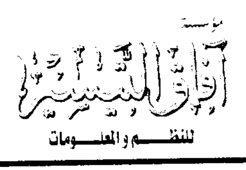


وإنْ ظَنَّهُ صاحبُهُ حقًّا.

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com



تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس السادس والأربعون

(١) قولُهُ: (بابُ ما جاءَ في الْمُصَوِّرِينَ) يعني: من الوعيدِ الشّديد.

ومناسبةُ هذا البابِ للتَّوحيدِ:

أنَّ في التَّصويرِ خَلْقًا وإبداعًا يكونُ به المصوِّرُ مشاركًا لله في ذلك الخلقِ والإبداع.

(٢) قولُهُ في الحديثِ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي» ينتهي سندُ هذا الحديثِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، ويُسمَّى حديثًا قدسيًّا.

قولُهُ: (وَمَنْ أَظْلَمُ) (مَن) اسمُ استفهامٍ، والمرادُ به النَّفيُ، أي: لا أحدَ أظلمُ، وإذا جاء النَّفيُ بصيغةِ الاستفهامِ كانَ أبلغَ من النَّفيِ المجرَّدِ أو المحضِ؛ لأنَّه يكونُ مُشْرَبًا معنى التَّحدِّي والتَّعجيز.

قولُهُ: (يَخْلُقُ) حالٌ من فاعلِ ذهبَ، أيْ: مِمَّنْ ذهبَ خالقًا.

والخلقُ في **اللغةِ**: التَّقديرُ، قالَ الشَّاعرُ:

وَلأَنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبَعـ ... ـضُ النَّاسِ يَخلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي

(تَفري) أي: تَفْعَلُ.

و(ما خَلَقْتَ) أي: ما قَدَّرْتَ.

ويُطلَقُ الخلقُ على الفعلِ بعدَ التَّقديرِ، وَهذا هُو الغالبُ، والخَلْقُ بالنِّسبةِ للإنسانِ يكونُ بَعْدَ تَأمُّلٍ ونَظَرٍ وتقديرٍ، وأمَّا بالنِّسبةِ للخالقِ فإنَّه لا يحتاجُ إلى تأمُّلٍ ونظرٍ؛ لكمالِ علمِهِ، فالخلقُ بالنِّسبةِ للمصوِّرِ يكونُ بمعنى الصّنعِ بعدَ النَّظرِ والتَّأمّلِ.

قولُهُ: «يَخْلُقُ كَخَلْقِي» فيه جوازُ إطلاقِ الخلقِ على غيرِ اللهِ، وقد سبق الكلامُ على هذا والجوابُ عنه في أوَّلِ الكتابِ.

قولُهُ: «فليَخْلُقوا ذرَّةً» اللامُ للأمرِ، والمرادُ به التَّحدِّي والتَّعجيزُ، وهذا من بابِ التَّحدِّي في الأمورِ الكونيَّةِ، وقولُهُ تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ من بابِ التَّحدِّي في الأمورِ الشَّرعيَّةِ.

والذَّرَّةُ: واحدةُ الذَّرِّ، وهي النَّمْلُ الصِّغارُ.

قولُه: «أَوْ لِيخْلُقوا حَبَّةً» «أو» للتَّنويعِ، أي: انْتَقَلَ من التَّحدِّي بخلقِ الحيوانِ ذي الرُّوحِ إلى خلقِ الحبَّةِ الَّتي هي أصلُ الزَّرعِ، وليس لها رُوحٌ.

قولُهُ: «أَوْ لِيَخْلُقوا شَعيرةً» يَحتَملُ أنَّ المرادَ شجرةُ الشَّعيرِ، فيكونُ في الأوَّلِ ذِكْرُ التَّحدّي بأصلِ هذه الشَّجرةِ وهي الحبَّةُ، ويَحتَمِلُ أنَّ المرادَ الحبَّةُ من الشَّعيرِ، ويكونُ هذا من بابِ ذكرِ الخاصِّ بعدَ العامِّ؛ لأنَّ حبَّةَ الشعيرِ أخصُّ مِن الحبِّ.

أو تكونُ «أو» شكًّا من الرَّاوي.

فاللهُ تحدَّى الخَلْقَ إلى يومِ القيامةِ أن يَخْلُقوا ذرَّةً، أو يَخْلُقوا حبَّةً أو شعيرةً.

ويُستفادُ من هذا الحديثِ -وهو ما ساقَهُ المؤلِّفُ من أجلِهِ-: **تحريمُ التَّصويرِ**؛ لأنَّ المصوِّرَ ذَهَبَ يَخلُقُ كخلقِ اللهِ.

والتَّصويرُ له أحوالٌ:

الحالةُ الأولى: أن يصوِّرَ الإنسانُ ما له ظلٌّ -كما يقولون- أي: ما له جسمٌ، على هيكلِ إنسانٍ، أو بعيرٍ، أو أسدٍ، أو ما أشبهَهَا، فهذا أجمعَ العلماءُ فيما أعلمُ على تحريمِهِ، والمضاهاةُ لا يُشترطُ فيهَا القَصدُ وهَذا هُوَ سرُّ المَسألةِ فمَتى حَصلت المُضاهاةُ ثبتَ حُكمهَا.

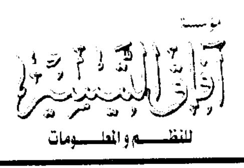
الحالةُ الثَّانيةُ: أن يُصوِّرَ صورةً ليس لها جسمٌ، بل بالتَّلوينِ والتَّخطيطِ، **فهذا محرَّمٌ**؛ لعمومِ الحديثِ، ويدلُّ عليه حديثُ النُّمْرُقةِ **حيثُ أقبلَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم إلى بيتِه فلمَّا أرادَ أنْ يدخلَ رأى نمرقةً فيها تصاويرُ، فوَقفَ وتأثَّر، وعُرِفَت الكَرَاهَةُ في وجهِه، فقَالت عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها: (ما أذنبْتُ يا رسولَ الله)**

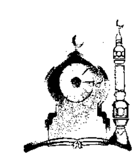
فقَال: «إنَّ أَصْحابَ هَذه الصُّوَرِ يُعَذَّبون يومَ القِيامة، يُقالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ».

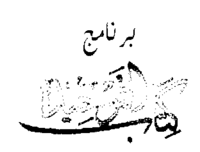
فالصَّورُ بالتَّلوينِ كالصَّورِ بالتَّجسيمِ، وقولُهُ في (صحيحِ البخاريِّ): «**إلا رَقْمًا في ثَوْب**».

إنْ صحَّتِ الرِّوايةُ هذه فالمرادُ بالاستثناء ما يَحِلُّ تصويرُهُ من الأشجارِ ونحوِهَا.

الحالةُ الثَّالثةُ: أن تُلْتَقَطَ الصّورُ التقاطًا بأشعَّةٍ معيَّنةٍ بدونِ أيِّ تعديلٍ، أو تحسينٍ من المُلْتَقِطِ، فهذا محلُّ خلافٍ بينَ العلماءِ المعاصرين:







فـالقولُ الأوّلُ: إنَّه تصويرٌ، وإذا كانَ كذلك فإنَّ حركةَ هذا الفاعلِ للآلة يُعَدُّ تصويرًا؛ إذ لولا تحريكُهُ إياها ما انطبعَتْ هذه الصّورةُ على هذه الورقةِ، ونحن متّفقون على أنَّ هذه صورةٌ، فَحَرَكَتُهُ تُعتبرُ تصويرًا، فيكونُ داخلاً في العمومِ.

القولُ الثّاني: إنَّها ليست بتصويرٍ؛ لأنَّ التَّصويرَ فعلُ المصوِّرِ، وهذا الرّجلُ ما صوَّرَها في الحقيقة، وإنَّما التقطَهَا بالآلة، والتَّصويرُ من صنعِ اللهِ، ويُوضِّحُ ذلك لو أدخلْتَ كتابًا في آلة التّصويرِ، ثمَّ خرج من هذه الآلة، فإنَّ رسمَ الحروفِ من الكاتبِ الأوَّلِ لا من المحرِّك، بدليلِ أنَّه قد يُشَغِّلُهَا شخصٌ أمِّيٌّ لا يعرفُ الكتابةَ إطلاقًا أو أعمى في ظلمة، وهذا القولُ أقربُ؛ لأنَّ المصوِّرَ بهذه الطّريقةِ لا يُعتبرُ مُبْدِعًا ولا مُخَطِّطًا، ولكن يَبْقَى النَّظرُ، هل يَحلُّ هذا الفعلُ أو لا؟

والجوابُ: إذا كانَ لغرضٍ محرَّمٍ صارَ حرامًا، وإذا كانَ لغرضٍ مباحٍ صار مباحًا؛ لأنَّ الوسائلَ لها أحكامُ المقاصدِ، وعلى هذا فلو أنَّ شخصًا صَوَّرَ إنسانًا لما يُسَمُّونَه بالذِّكْرَى، سواءٌ كانَت هذه الذّكرى للتّمتُّعِ بالنّظرِ إليه أو التّلذُّذِ به، أو من أجلِ الحنانِ والشّوقِ إليه، فإنَّ ذلك محرَّمٌ ولا يجوزُ؛ لما فيه من اقتناءِ الصّورِ؛ لأنَّه لا شكَّ أنَّ هذه صورةٌ، ولا أحدَ ينكرُ ذلك.

وإذا كانَ لغرضٍ مباحٍ كما يوجدُ في التّابعيَّة والرّخصةِ والجوازِ وما أشبهه فهذا يكونُ مباحًا. فإذا ذهبَ الإنسانُ الَّذي يحتاجُ إلى رخصة إلى هذا المصوِّرِ الّذي تخرجُ منه الصّورةُ فوريَّةً بدونِ عملٍ؛ لا تحميضٍ، ولا غيرِه. وقال: (صوِّرْني) فصوَّرَهُ، فإنَّ هذا المصوِّرَ لا نقولُ إنَّه داخلٌ في الحديث، أمَّا إذا قال: (صوِّرني) لغرضٍ آخرَ غيرِ مباحٍ صار من بابِ الإعانةِ على الإثمِ والعدوانِ.

الحالةُ الرَّابعة: أن يكونَ التَّصويرُ لما لا رُوحَ فيه، وهذا على نوعين:

النَّوعُ الأوَّلُ: أن يكونَ ممَّا يَصنَعُهُ الآدميُّ فهذا لا بأسَ به بالاتّفاق؛ لأنَّه إذا جازَ الأصلُ جازَت الصُّورةُ، مثلَ أن يُصَوِّرَ الإنسانُ سيَّارتَهُ فهذا يجوزُ؛ لأنَّ صنعَ الأصلِ جائزٌ فالصُّورةُ الّتي هي فرعٌ من بابِ أولى.

النَّوعُ الثَّاني: ما لا يَصنَعُهُ الآدميُّ وإنَّما يخلقُهُ اللهُ، فهذا نوعان:

- نوعٌ نامٍ.
- ونوعٌ غيرُ نامٍ.

فغيرُ النَّامي: كالجبالِ، والأوديةِ، والبحارِ، والأنهارِ، فهذا لا بأسَ بتصويرِهَا بالاتّفاق.

أمَّا النَّوعُ الّذي ينمو: فاختلفَ في ذلك أهلُ العلمِ، فجمهورُ أهلِ العلمِ على جوازِ تصويره؛ لما سيأتي في

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

الأحاديث.

وذهب بعضُ أهلِ العلمِ من السَّلفِ والخلفِ إلى منعِ تصويرِه، واستدلَّ بأنَّ هذا من خلقِ الله -عزَّ وجلَّ- والحديثُ عامٌّ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي» ولأنَّ اللهَ -عزَّ وجلَّ- تَحدَّى هؤلاء بأن يَخْلُقوا حبَّةً أو يَخْلُقوا شعيرةً، والحبَّةُ والشَّعيرةُ ليس فيها روحٌ، لكن لا شكَّ أنَّها ناميةٌ، وعلى هذا فيكونُ تصويرُهَا حرامًا، وقد ذهَبَ إلى هذا **مجاهدٌ** -رحمَهُ اللهُ- أعلمُ التَّابعين بالتَّفسيرِ، وقالَ: (**إنَّه يَحْرُمُ على الإنسانِ أن يُصوِّرَ الأشجارَ**) لكنَّ جمهورَ أهلِ العلمِ على الجوازِ.

وهذا الحديثُ هل يُؤَيِّدُ رأيَ الجمهورِ، أو يُؤَيِّدُ رأيَ **مجاهدٍ**، ومَنْ قال بقولِه؟

الجوابُ: **يُؤَيِّدُ** رأيَ **مجاهدٍ** ومن قال بقولِه لأمرين:

أوَّلاً: العمومُ في قولِهِ: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**».

ثانيًا: قولُهُ: «**أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**».

وهذه ليست ذاتَ رُوحٍ، فظاهرُ الحديثِ هذا مع **مجاهدٍ**، ومَن يرى رأيَه.

ولكنَّ الجمهورَ أجابوا عنه بالأحاديثِ التَّاليةِ:

وهي: أنَّ قولَهُ: «**أَحْيُوا مَا خَلَقْتُم**» وقولَهُ: «**كُلِّفَ أن يَنفُخَ فيها الرُّوحَ**».

يدلُّ على أنَّ المرادَ تصويرُ ما فيه رُوحٌ.

وأما قولُه: «**أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقوا شَعيرةً**» فذُكِرَ على سبيلِ التَّحدِّي، أيْ: أنَّ أولئك المصوِّرين عاجزون حتَّى عن خلقِ ما لا رُوحَ فيه.

(٣) قولُهُ: (أشدُّ) كلمةُ (أشدّ) اسمُ تفضيلٍ بمعنى: **أعظمُ وأقوى.**

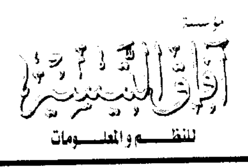
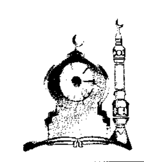
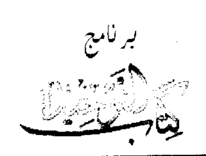
قولُهُ: (**النَّاسِ**) للعمومِ.

وقولُهُ: (**عَذَابًا**) تَخصُّ النَّاسَ، يعني: **أشدُّ النَّاسِ الذين يُعذَّبون عذابًا.**

قولُهُ: (**يَوْمَ القِيامَةِ**) هو اليومُ الَّذي يُبعَثُ فيه النَّاسُ، وسبقَ وجهُ تسميته بذلك.

وقولُهُ: (**أَشَدُّ**) مبتدأٌ، و(**الَّذينَ يُضاهِئُونَ**) خبرُهُ، ومعنى يُضَاهِئُون: أي: يُشَابِهُون.

«**بِخَلقِ اللهِ**» أي: بمخلوقاتِ اللهِ -سبحانَهُ وتعالى- والَّذين يُضاهِئون بخلقِ اللهِ هم المُصوِّرونَ، فهم يُضَاهِئُون بخلق

اللهِ، سواءٌ كانت هذه المضاهاةُ جسميَّةً أو وصفيَّةً، فالجسميَّةُ أن يَصْنَعَ صورةً بجسمِهَا، والوصفيَّةُ أن يَصْنَعَ صورةً ملوَّنةً؛ لأنَّ التّلوينَ والتَّخطيطَ باليدِ وصفٌ للخلق، وإن كانَ الإنسانُ ما خلقَ الورقةَ ولا صنعَهَا، لكن وضعَ فيها هذا التّلوينَ الَّذي يكونُ وصفًا لخلقِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

هذا الحديثُ يدلُّ على أنَّ المصوِّرين يُعذَّبون، وأنّهم أشدُّ النَّاسِ عذابًا، وأنَّ الحكمةَ من ذلك مُضَاهاتُهُم خلقَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وليست الحكمةُ كما يَدَّعيهِ كثيرٌ من النَّاسِ أنّهم يَصْنَعُوها لتُعْبَدَ من دونِ اللهِ، فذلك شيءٌ آخرُ، فمَنْ صنعَ شيئًا ليُعْبَدَ من دونِ اللهِ فإنَّه حتَّى ولو لم يصوِّرْ كما لو أتَى بخشبةٍ، وقال: اعْبُدوها، دخَلَ في التَّحريمِ؛ لقولِهِ تعالى: **﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾** لأنّه أعانَ على الإثمِ والعدوانِ.

وقولُهُ: «**يُضاهِئون**» هل الفعلُ يُشْعِرُ بالنِّيَّةِ؛ بمعنى أنه لا بدَّ أن يَقْصِدَ المُضاهاةَ، أو نقولُ: المضاهاةُ حاصلةٌ سواءٌ كانت بنيَّةٍ أو بغيرِ نيَّةٍ؟

الجوابُ: الثّاني: لأنَّ المضاهاةَ حصَلَت سواءٌ نَوَى أم لم يَنْوِ؛ لأنَّ العلَّةَ هي المشابهةُ، وليست العلَّةُ قصدَ المشابهةِ.

فيُستفادُ من الحديثِ فيما يتعلق بالباب مسألتان جليلتان:

الأولى: تحريمُ التَّصويرِ، وأنَّه من الكبائرِ؛ لثبوتِ الوعيدِ عليه، وأنَّ الحكمةَ منه المضاهاةُ بخلقِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

الثانية: وجوبُ احترامِ جانبِ الرُّبوبيَّةِ، وأن لا يَطْمَعَ أحدٌ في أن يخلقَ كخلقِ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لقولِهِ: «**يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ**».

ومن أجلِ هذا حُرِّمَ الكِبْرُ؛ لأنَّ فيه منازعةً للرَّبِّ -عزَّ وجلَّ- وحُرِّمَ التَّعاظُمُ على الخلقِ؛ لأنَّ فيه منازعةً للرّبِّ سبحانَهُ وتعالى، وكذلك هذا الَّذي يَصْنَعُ ما يَصْنَعُ ليُضاهِيَ خلقَ اللهِ، فيه منازعةٌ للهِ -عزَّ وجلَّ- في ربوبيّتِهِ في أفعالِه ومخلوقاتِه ومصنوعاتِهِ، فيُستفادُ من هذا الحديثِ وجوبُ احترامِ جانبِ الرّبوبيَّةِ.

قولُهُ: «أشَدُّ النَّاسِ عَذابًا» فيه إشكالٌ؛ لأنَّ فيهم من هو أشدُّ من المصوِّرين ذنبًا كالمشركين والكفّارِ، فيَلْزَمُ أن يكونوا أشدَّ عذابًا، **وقد أُجيبَ عن ذلك بوجوهٍ**:

الأوَّلُ: أنَّ الحديثَ على تقديرِ (مِنْ) أيْ: من أشدِّ النَّاسِ عذابًا، بدليلِ أنّه قد جاءَ ما يؤيِّدُهُ بلفظِ: «**إنَّ مِنْ أشدِّ النّاسِ عَذابًا**».

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

الثَّاني: أنَّ الأشدِّيَّةَ لا تعني أنَّ غيرَهُم لا يُشارِكُهُم، بل يشارِكُهُم غيرُهُم، قالَ تعالى: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} ولكن يُشْكِلُ على هذا أنَّ المصوِّرَ فاعلُ كبيرةٍ فقط، فكيف يُسَوَّى مع من هو خارجٌ عن الإسلامِ ومُسْتَكْبِرٌ؟

الثَّالثُ: أنَّ الأشدِّيَّةَ نسبيَّةٌ؛ يعني أنَّ الَّذين يصنعون الأشياءَ ويُبْدِعونها، أشدُّهُم عذابًا الَّذين يُضاهِئون بخلقِ اللهِ، وهذا أقربُ.

الرَّابعُ: أنَّ هذا من بابِ الوعيدِ الَّذي يُطلَقُ لتنفيرِ النَّفوسِ عنه، ولم أرَ مَن قال بهذا، ولو قيل بهذا لسلمْنَا من هذه الإيراداتِ، وعلى كلِّ حالٍ ليس لنا أن نقولَ إلا كما قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَومَ القِيامةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ».

(٤) قولُهُ: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ**»، (**كلُّ**) من أعظمِ ألفاظ العمومِ، وأصلُهَا من الإكليلِ، وهو ما يحيطُ بالشَّيءِ، ومنه الكَلالةُ في الميراثِ للحواشي الَّتي تحيطُ بالإنسانِ، فَيَشْمَلُ من صَوَّرَ الإنسانَ أو الحيوانَ أو الأشجارَ أو البحارَ.

لكنَّ قولَه: «**يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ**» يدلُّ على أن المرادَ صورةُ ذواتِ النفوسِ، أي: ما فيه رُوحٌ.

قولُهُ: «**يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ**» الحديثُ في (مسلمٍ) وليس في الصحيحين، لكنه بلفظ: «**يَجْعَلُ**» بالبناءِ للفاعلِ، وعلى هذا تكونُ «**نفسًا**» بالنَّصبِ.

قولُهُ: «**يعَذَّبُ بها**» كيفيَّةُ التَّعذيبِ ستأتي في الحديثِ الَّذي بعدَه أنَّه يُكلَّفُ أن ينفُخَ فيها الرُّوحَ وليس بنافخٍ.

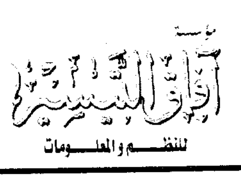
وقولُهُ: «**كُلُّ مصوِّرٍ في النَّارِ**» هذه الكَيْنونةُ عندَ المعتزلةِ والخوارجِ كينونةُ خلودٍ؛ لأنَّ فاعلَ الكبيرةِ عندَهم مخلَّدٌ في النَّارِ، وعندَ المرجئةِ أنَّ المرادَ بالمصوِّرِ الكافرُ؛ لأنَّ المؤمنَ عندَهم لا يَدْخُلُ النَّارَ أبدًا، وعندَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ أنَّه مستحقٌّ لدخولِ النَّارِ وقد يدخُلُها وقد لا يدخُلُها، وإن دخلها لم يُخَلَّدْ فيها.

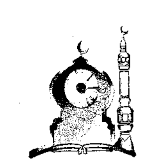
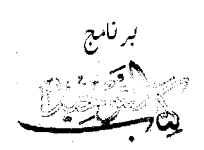
وقولُهُ: «**بكلِّ صورةٍ صَوَّرَها**» يقتضي أنَّه لو صوَّرَ في اليومِ عشرَ صورٍ ولو من نسخةٍ واحدةٍ، فإنَّه يُجعَلُ له في النَّارِ عشرُ صورٍ يُقالُ له: انفخْ فيها الرُّوحَ.

وظاهرُ الحديثِ أنَّه يَبْقَى في النَّارِ معذَّبًا حتَّى تنتهيَ هذه الصُّوَرُ.

قولُهُ: «**كُلِّفَ**» أي: أُلزم، والمكلِّفُ له هو اللهُ عزَّ وجلَّ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



قولُهُ: «ولَيْسَ بنافِخٍ» أي: كُلِّف بأمرٍ لا يتمكَّنُ منه؛ زيادةً في تعذيبه، وعُذِّبَ بهذا الفعلِ ليذوقَ جزاءَ ما عمل، وبهذا تزدادُ حسرتُهُ وأسفُهُ حيثُ إنَّه عُذِّب بما كانَ في الدُّنيا يراه راحةً له؛ إمَّا باكتسابٍ أو إرضاءِ صاحبٍ أو إبداعِ صنعة.

(٥) قولُهُ: (عنْ أبي الهَيَّاجِ) هو من التَّابعين.

قولُهُ: (قالَ لي عليٌّ) هو عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه.

قولُهُ: (ألا أبْعَثُكَ) البعثُ: الإرسالُ بأمرٍ مُهِمٍّ كالدّعوةِ إلى اللهِ، قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا}.

قولُهُ: (صورةً) نكرةٌ في سياقِ النَّفيِ فتَعُمُّ.

وجمهورُ أهلِ العلمِ: أنَّ المحرَّمَ هو تصويرُ الحيوانِ فقط؛ لما وردَ في (السننِ) من حديثِ جبريلَ، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم قالَ: «فمُرْ برأْسِ التِّمثالِ فلْيُقْطَعْ حتى يكونَ كهيئةِ الشَّجَرة» وسبقَ بيانُ ذلك قريبًا.

قولُهُ: (إلا طَمَسْتَها) إن كانت ملوَّنةً فطمسُهَا بوضعِ لونٍ آخرَ يُزيلُ مَعَالِمَهَا، وإن كانت تمثالاً فإنَّه يَقْطَعُ رأسَهُ كما في حديثِ جبريلَ السَّابقِ، وإن كانت محفورةً فيَحْفِرُ على وجهِهِ حتَّى لا تتبيَّنَ معالِمُهُ، فالطَّمسُ يختلفُ، وظاهرُ الحديثِ سواءٌ كانت تُعْبَدُ من دونِ اللهِ أو لا.

قولُهُ: (ولا قَبْرًا مُشْرِفًا) أي: عاليًا.

قولُهُ: (إلا سَوَّيْتَهُ).

له معنيان:

الأوَّلُ: أي: سوَّيْتَهُ بما حولَهُ من القبورِ.

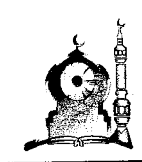
الثَّاني: جَعَلْتَهُ حسنًا على ما تقتضيه الشَّريعةُ، قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ} أي: سوَّى خلْقَهُ أحسنَ ما يكونُ، وهذا أحسنُ، والمعنيان متقاربان.

والإشرافُ له وجوهٌ:

الأوَّلُ: أن يكونَ مُشْرِفًا بكبرِ الأعلامِ الَّتي تُوضَعُ عليه، وتُسمَّى عندَ النَّاسِ (نصائلَ) أو (نصائبَ) ونصائبُ أصحُّ لغةً من نصائلَ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٣٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





الثَّاني: أن يُبْنَى عليه وهذا من كبائرِ الذّنوبِ؛ لأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم: «لَعَنَ المتَّخذِينَ عَليها المَساجِدَ والسُّرُجَ».

الثَّالثُ: أن تُشْرَفَ بالتَّلوينِ، وذلك بأن يُوضَعَ على أعلامِهَا ألوانٌ مزخرفةٌ.

الرابعُ: أن يُرْفَعَ ترابُ القبرِ عمَّا حولَه فيكونَ بيِّنًا ظاهرًا.

فكلُّ شيءٍ مُشْرِفٍ ــ أي: ظاهرٍ على غيرِه متميِّزٍ عن غيرِه ــ يَجبُ أنْ يُسَوَّى بغيرِه؛ لئلا يؤدِّيَ ذلك إلى الغلوِّ في القبورِ والشِّركِ.

ومناسبةُ ذكرِ القبرِ المشرفِ مع الصُّوَرِ:

أنَّ كلاًّ منهما قد يُتَّخذُ وسيلةً إلى الشّركِ، فإنَّ أصلَ الشّركِ في قومِ نوحٍ أنَّهم صوَّروا صُوَرَ رجالٍ صالحين، فلمَّا طال عليهم الأمدُ عبدوها، وكذلك القبورُ المُشْرِفةُ قد يَزْدَادُ فيها الغلوُّ حتَّى تُجْعَلَ أوثانًا تُعْبَدُ من دونِ اللهِ، وهذا ما وقعَ في بعضِ البلادِ الإسلاميَّةِ.

وقد دلَّت هذهِ الأحاديث على أنَّ عقوبةَ المصوِّرِ تكون بخمسة أمور:

الأول: أنَّه أشدُّ النَّاسِ عذابًا أو مِن أشدِّهم عذابًا.

الثاني: أن اللهَ يَجْعَلُ له في كلِّ صورةٍ نفسًا يُعَذَّبُ بها في نارِ جهنَّمَ.

الثالث: أنه يُكَلَّفُ أن يَنْفُخَ فيها الرُّوحَ وليس بنافخٍ.

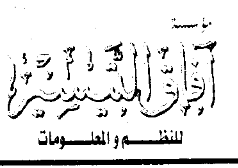
الرابع: أنَّه في النَّارِ.

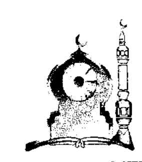
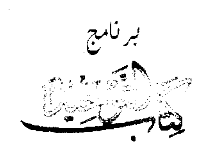
الخامس: أنَّه ملعونٌ كما في حديثِ أبي جُحَيْفَةَ في (البخاريِّ) وغيرِه.

فائدتان:

الأولى: «كُلِّف أنْ ينفُخَ فيها الرُّوحَ ولَيْسَ بنافخٍ» يقتضي أنَّ المرادَ بالتَّصويرِ تصويرُ الجسمِ كاملاً، وعلى هذا فلو صوَّرَ الرَّأسَ وحده بلا جسمٍ أو الجسمَ وحدَه بلا رأسٍ، فالظَّاهرُ الجوازُ، ويُؤَيِّدُهُ ما سبق في الحديث: «مُرْ برأسِ التِّمْثالِ فَلْيُقْطَعْ» ولم يقلْ: فليُكسَرْ.

http://www.araqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٢١٢ - ص.ب: ٢٠١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٢٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



لكنَّ تصويرَ الرَّأسِ وحدَه عندي فيه تردُّدٌ، أمَّا بقيَّةُ الجسمِ بلا رأسٍ فهو كالشَّجرةِ لا تردُّدَ فيه عندي.

الثَّاني: يؤخذُ من حديثِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْه، وهو قولُهُ: «**أنْ لا تَدَعَ صُورَةً إلا طَمَسْتَها**».

أنَّه لا يجوزُ اقتناءُ الصُّوَرِ، وهذا محلُّ تفصيلٍ، **فإنَّ اقتناءَ الصُّوَرِ على أقسامٍ:**

القسمُ الأوَّلُ: أن يَقْتَنِيَهَا لتعظيمِ المُصَوَّرِ، لكونه ذا سُلطان، أو جاه، أو علمٍ، أو عبادة، أو أُبوَّة، أو نحوِ ذلك؛ فهذا حرامٌ بلا شكٍّ، ولا تدخلُ الملائكةُ بيتًا فيه هذه الصّورةُ؛ لأنَّ تعظيمَ ذَوِي السُّلطةِ باقتناءِ صورِهِم ثَلْمٌ في جانبِ الرّبوبيَّةِ، وتعظيمَ ذَوِي العبادةِ باقتناءِ صورِهِم ثَلْمٌ في جانبِ الألوهيَّةِ.

القسمُ الثَّاني: اقتناءُ الصّورِ للتمتُّعِ بالنَّظرِ إليها أو التّلذُّذِ بها، فهذا حرامٌ أيضًا؛ لما فيه من الفتنةِ المؤدّيةِ إلى سَفاسِفِ الأخلاقِ.

القسمُ الثَّالثُ: أن يقتنيَها للذّكرى حنانًا أو تلطُّفًا كالّذين يُصَوِّرون صغارَ أولادِهِم لتَذكُّرِهم حالَ الكِبَرِ، فهذا أيضا حرامٌ؛ لِلُحوقِ الوعيدِ به في قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: «**إنَّ الملائكةَ لا تَدْخُلُ بَيْتًا فيه صُورةٌ**».

القسمُ الرَّابعُ: أن يَقْتَنِيَ الصُّورَ لا لرغبةٍ فيها إطلاقًا، ولكنَّها تأتي تَبَعًا لغيرِهَا كالّتي تكونُ في المجلاتِ والصُّحفِ ولا يَقْصِدُها المُقْتَنِي، وإنَّما يَقْصِدُ ما في هذه المجلاتِ والصُّحفِ من الأخبارِ والبحوثِ العلميَّةِ ونحوِ ذلك، فالظَّاهرُ أنَّ هذا لا بأسَ به؛ لأنَّ الصّورَ فيها غيرُ مقصودةٍ، لكن إن أمكنَ طمسُهَا بلا حرجٍ ولا مشقّةٍ فهو أَوْلَى.

القسمُ الخامسُ: أن يَقْتَنِيَ الصُّوَرَ على وجهٍ تكونُ فيه مُهانةً مُلْقَاةً في الزِّبْلِ، أو مُفْتَرَشةً، أو موطوءةً؛ فهذا لا بأسَ به عند جمهورِ العلماءِ، وهل يلحقُ بذلك لباسُ ما فيه صورةٌ؛ لأنَّ في ذلك امتهانًا للصُّورةِ، ولا سيَّما إن كانت الملابسُ داخليَّةً؟

الجوابُ: نقولُ، لا يَلْحَقُ بذلك، بل لباسُ ما فيه الصُّوَرُ محرَّمٌ على الصِّغارِ والكبارِ، ولا يلحَقُ بالمفروشِ ونحوِهِ؛ لظهورِ الفرقِ بينَهما، وقد صرَّح الفقهاءُ رحِمَهُم اللهُ بتحريمِ لباسِ ما فيه صورةٌ، سواءٌ كانَ قميصًا أم سَرَاويلَ أم عِمامةً أم غيرَهَا، وقد ظهَرَ أخيرًا ما يُسَمَّى بالحَفائظ، وهي خِرْقَةٌ تُلَفُّ على الفرجين للأطفالِ والحائضِ؛ لئلاَّ يَتسَرَّبَ النجسُ إلى الجسمِ أو الملابسِ، فهل تُلحَقُ بما يُلْبَسُ أو بما يُمتَهَنُ؟

هي إلى الثاني أقربُ، لكن لما كانَ امتهانًا خفيًّا وليسَ كالمُفْتَرَشِ والموطوءِ صارَ استحبابُ التحرُّزِ منها أَوْلَى.

القسمُ السَّادسُ: أنْ يُلْجَأَ إلى اقتنائِهَا إلجاءً، كالصُّورِ الّتي تكونُ في بطاقةِ إثباتِ الشَّخصيَّةِ والشَّهاداتِ

والدَّراهمِ، فلا إثمَ فيه، لعدمِ إمكانِ التّحرُّزِ منه، وقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

(٦) **فيهِ مسائلُ:**

الأولى: (**التَّغليظُ الشّديدُ في الْمُصَوِّرِينَ**) تؤخذُ من قولِه: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا**» الحديثَ.

(٧) **الثانيةُ:** (**التَّنبيهُ على العلَّةِ وهي تَرْكُ الأَدبِ مع اللهِ**) تؤخذُ من قَوْلِه: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي**» فمَن ذهَبَ يَخْلُقُ كخَلْقِ اللهِ فهو مُسيءٌ للأدبِ مع اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لمحاولتِه أن يَخْلُقَ مثلَ خلقِ اللهِ تعالى، كما أنَّ مَن ضادَّه في شرعِه فقد أساءَ الأدبَ معه.

(٨) **الثالثةُ:** (**التَّنبيهُ على قدرتِه وعجزِهم**) لقولِه: «**فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**» لأنَّ اللهَ خلقَ أكبرَ من ذلك وهم عجَزوا عن خلْقِ الذرَّةِ أو الشّعيرةِ.

(٩) **الرَّابعةُ:** (**التَّصريحُ بأنَّهم أشدُّ النّاسِ عذابًا**) لقولِه: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا**» الحديثَ.

(١٠) **الخامسةُ:** (**أنَّ اللهَ يخلُقُ بعددِ كلِّ صورةٍ نفسًا يُعذِّبُ بها الْمُصَوِّرَ في جهنَّمَ**) لقولِه: «**يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ**».

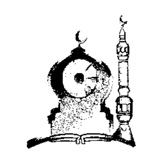
(١١) **السَّادسةُ:** (**أنّهُ يُكلَّفُ أنْ يَنْفُخَ فيها الروحَ**) لقوله: «**كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**» وهذا نوعٌ من التعذيبِ من أشقِّ العقوباتِ.

(١٢) **السّابعةُ:** (**الأمرُ بطمْسِها إذا وُجِدَتْ**) لقولِه: «**أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا**».

ويُؤْخَذُ من حديثِ البابِ أيضًا الجَمْعُ بينَ فِتْنَةِ التَّماثيلِ وفتْنَةِ القُبورِ؛ لقَوْلِه: «**أنْ لاَ تَدَعَ صُورَةً إلاَّ طَمَسْتَها، ولا قَبْرًا مُشْرِفًا إلا سَوَّيْتَهُ**» لأنَّ في كلٍّ منهما وسيلةً إلى الشّركِ.

ويُؤخذُ منه أيضًا: إثباتُ العذابِ يومَ القيامةِ، وأنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ؛ لأنَّه يُجْعَلُ له بكلِّ صورةٍ صوَّرَها نفسٌ يعذَّبُ بها في جهنَّمَ، ويُؤْخَذُ منه وقوعُ التكليفِ في الآخرةِ بما لا يُطاقُ على وجهِ العقوبةِ.

(١٣) الحَلفُ هو: اليمينُ، والقَسَمُ، وهو تأكيدُ الشيءِ بذكْرِ معظَّمٍ، بصيغَةٍ مخصوصةٍ بأحدِ حروفِ القَسَمِ، وهي: الباءُ والواوُ والتاءُ.



ومناسبةُ البابِ لكتابِ التَّوحيدِ:

أنَّ كثرةَ الحلفِ باللهِ يدلُّ على أنَّه ليس في قلبِ الحالفِ من تعظيمِ اللهِ ما يقتضي هيبةَ الحلفِ باللهِ، وتعظيمُ اللهِ -تعالى- من تمامِ التَّوحيدِ.

(١٤) قولُه تعالى: {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} هذه الآيةُ ذكَرَها اللهُ في سياقِ كفَّارةِ اليمينِ، وكلُّ يمينٍ لها ابتداءٌ وانتهاءٌ ووسطٌ، فالابتداءُ الحلفُ، والانتهاءُ الكفَّارةُ، والوسطُ الحِنْثُ، وهو أن يفعلَ ما حلَفَ على تركِه، أو يَتْرُكَ ما حلَفَ على فعلِه، وعلى هذا كلُّ يمينٍ على شيءٍ ماضٍ فلا حِنْثَ فيه، وما لا حنثَ فيه فلا كفَّارةَ فيه، لكن إن كانَ صادقًا فقد بَرَّ، وإلا فهو آثمٌ؛ لأنَّ الكفَّارةَ لا تكونُ إلا على شيءٍ مستقبلٍ.

وهل يجوزُ أنْ يَحْلِفَ على ما في ظنِّه؟

الجوابُ: نَعَم، ولذلك أدلَّةٌ كثيرةٌ، منها: قولُ المُجامعِ في نهارِ رمضانَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «**واللهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهلُ بيتٍ أفقرُ مِنِّي**» لكنْ إنْ حلَفْتَ على مستقبَلٍ بناءً على غلبةِ الظَّنِّ ولم يحصلْ فقيلَ: **تلزمُكَ كفَّارةٌ**.

وقيلَ: لا تلزمُكَ.

وهو الصَّحيحُ، كما لو حلَفْتَ على ماضٍ.

إذن قولُه: {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} بعدَ أنْ ذكَرَ اليمينَ، والكفَّارةَ والحنثَ، فـما المرادُ بحفظِ اليمينِ؟

هل هو الابتداءُ أو الانتهاءُ أو الوسطُ؟

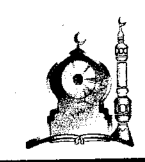
أي: هل المرادُ: لا تُكْثِرُوا الحلفَ باللهِ؟

أو المرادُ: إذا حَلَفْتُم فلا تَحْنَثُوا؟

أو المرادُ: إذا حَلَفْتُمْ فحنثْتُمْ فلا تَتْرُكُوا الكفَّارةَ؟

الجوابُ: المرادُ كلُّها، فتشملُ أحوالَ اليمينِ الثَّلاثةَ، ولهذا جاء المؤلِّفُ بها في هذا البابِ؛ لأنَّ من معنى حفظِ اليمينِ عدمَ كثرةِ الحلفِ، وإليك قاعدةً مهمَّةً في هذا، **وهي أن النصَّ من قرآنٍ أو سنَّةٍ إذا كانَ يَحْتَمِلُ عدةَ معانٍ لا يُنَافِي بعضُها بعضًا، ولا مُرجِّحَ لأحدِها، وجَبَ حملُه على المعاني كلِّها**.

والمرادُ بعدمِ كثرةِ الحلفِ ما كانَ معقودًا ومقصودًا، أمَّا ما يَجْرِي على اللسانِ بلا قصدٍ، مثلَ: لا واللهِ، وبلى



والله في عرضِ الحديثِ، فلا مُؤَاخَذَةَ فيه؛ لقولِه تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ}.

وكذلك: مِنْ حفظ اليمينِ عدمُ الحنث فيها، وهذا فيه تفصيلٌ؛ لأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم قال لعبد الرَّحمن بنِ سَمُرةَ: «إذا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْها فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ وائْتِ الَّذي هُوَ خَيْرٌ».

فحفظُ اليمينِ في الحنثِ أن لا يَحْنَثَ إلا إذا كانَ خيرًا، وإلا فالأحسنُ حفظُ اليمينِ وعدمُ الحنثِ.

مثالُ ذلك: رجلٌ قال: والله لا أكلِّمُ فلانًا.

وهو من المؤمنين الّذين يَحْرُمُ هجرُهُم، فهذا يجبُ أن يحنثَ في يمينِه ويُكَلِّمَه، وعليه الكفارةُ.

مثالٌ آخرُ: رجلٌ قال: (والله لأُعينَنَّ فلانًا على شيءٍ محرَّمٍ).

فهذا يجبُ الحنثُ فيه والكفارةُ، ولا يُعينُه؛ لقولِه تعالى: {وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}. وإذا كانَ الأمرُ مُتَسَاوِيًا والحِنْثُ وعدمُهُ سواءٌ في الإثمِ، فالأفضلُ حفظُ اليمينِ.

كذلك: من حفظ اليمينِ إخراجُ الكفَّارة بعدَ الحنثِ.

والكفَّارةُ واجبةٌ فورًا؛ لأنَّ الأصلَ في الواجباتِ الفوريَّةُ؛ وهو قيامٌ بما تقتضيه اليمينُ.

والكفَّارةُ: إطعامُ عشرةِ مساكينَ من أوسطِ ما تُطْعِمون أهليكم، أو كسوتُهُم، أو تحريرُ رقبةٍ، وهذا على سبيلِ التَّخييرِ، فمَن لم يجدْ فصيامُ ثلاثةِ أيَّامٍ، وفي قراءةِ ابنِ مسعودٍ: {متتابعة}.

فحفظُ اليمينِ له ثلاثةُ معانٍ:

الأول: حفظُها ابتداءً، وذلك بعدمِ كثرةِ الحلفِ، ولْيَعْلَمْ أنَّ كثرةَ الحلفِ تُضعفُ الثقةَ بالشخصِ، وتوجبُ الشكَّ في أخباره.

الثاني: حفظُهَا وسطًا، وذلك بعدمِ الحنثِ فيها، إلا ما استُثْني كما سبقَ.

الثالث: حفظُها انتهاءً في إخراجِ الكفَّارة بعدَ الحنثِ.

ويمكنُ أن يُضافَ إلى ذلك مَعْنًى رابعٌ، وهو أن لا يحلفَ بغيرِ اللهِ؛ لأنَّ الرَّسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ سمَّى القسمَ بغيرِ اللهِ حَلِفًا.

(١٥) قولُهُ: (الحَلِفُ) المرادُ به الحلفُ الكاذبُ كما بيَّنَتْه روايةُ أحمدَ: «اليَمِينُ الكَاذِبَةُ» أمَّا الصَّادقةُ فليس لها

عقوبةٌ، لكن لا يُكْثَرُ منها كما سبَقَ.

قولُه: (**مَنْفَقَةٌ للسِّلْعةِ**) أي: ترويجٌ للسِّلعةِ، مأخوذةٌ من النِّفَاقِ وهو مُضِيُّ الشَّيءِ ونَفَاذُهُ، والحلفُ على السِّلعةِ قد يكونُ حلفًا على ذاتِها أو نوعِهَا أو وصفِهَا أو قيمتِهَا.

فمثال الذَّاتُ: كأن يحلفَ أنَّها من المصنعِ الفلانيِّ المشهورِ بالجودةِ، وليست منه.

ومثال النَّوعُ: كأنْ يحلفَ أنَّها من الحديدِ، وهي من الخشبِ.

ومثال الصِّفةُ: كأنْ يحلفَ أنَّها طيِّبةٌ، وهي رديئةٌ.

ومثال القيمةُ: كأنْ يحلفَ أنَّ قيمتَها بعشرةٍ، وهي بثمانيةٍ.

قولُهُ: (**مَمْحَقَةٌ للكَسْبِ**) أي: مَتْلَفةٌ له، والإتلافُ يشمَلُ الإتلافَ الحسِّيَّ؛ بأن يُسَلِّطَ اللهُ على مالِه ما يُتْلِفُهُ من حريقٍ أو نهبٍ أو مرضٍ يلحَقُ صاحبَ المالِ فيُتْلِفُهُ في العلاجِ، والإتلافَ المعنويَّ؛ بأنْ يَنْزِعَ اللهُ البركةَ من مالِهِ فلا ينتفعُ به؛ لا دينًا ولا دنيا، وكم من إنسانٍ عندَه مالٌ قليلٌ لكن نفعَه اللهُ به ونفعَ غيرَهُ ومَنْ وراءَه، وكم من إنسانٍ عندَه أموالٌ لكن لم ينتفعْ بها صار -والعياذُ باللهِ- بخيلاً يعيشُ عيشةَ الفقراءِ وهو غنيٌّ؛ لأنَّ البركةَ قد مُحِقَتْ.

(١٦) قولُه: (**ثَلاثَةٌ**) مبتدأٌ، وسوَّغَ الابتداءَ بها أنَّها أفادت التَّقسيمَ.

قولُه: (**لا يُكَلِّمُهُم اللهُ**) التَّكليمُ: هو إسماعُ القولِ، وأمَّا ما يُقَدِّرُهُ الإنسانُ في نفسِه، فلا يُسَمَّى كلامًا على سبيلِ الإطلاقِ، وإن كانَ يُسَمَّى قولاً بالتَّقييدِ بالنَّفسِ، كقولِه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ﴾ وقال عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْه في قصَّةِ السَّقيفةِ: (**زَوَّرْتُ في نفسي كلامًا**) أي: قدَّرْتُه.

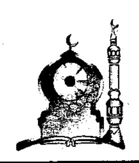
فالكلامُ عندَ الإطلاقِ لا يكونُ إلا بحرفٍ وصوتٍ مسموعٍ.

قولُه: (**يُزَكِّيهِمْ**) التَّزكيةُ بمعنى التَّوثيقِ، والتَّعديلِ، فيومَ القيامةِ لا يُوَثِّقُهم، ولا يُعَدِّلُهُم ولا يَشْهَدُ لهم بالإيمانِ؛ لِمَا فعلوه من هذه الأفعالِ الخبيثةِ.

قولُهُ: (**وَلَهُم عَذابٌ أليمٌ**) عذابٌ: عقوبةٌ، وأليمٌ: أي: شديدٌ مُوجِعٌ مُؤْلِمٌ.

قوله: (**أُشَيْمِطٌ**) هو الَّذي اختلطَ سوادُ شَعَرِه ببياضِه لكِبَرِ سنِّه، وكبيرُ السِّنِّ قد برَدَتْ شهوتُهُ، وليس فيه ما يدعوه إلى الزِّنا، ولكنَّه زنا ممَّا دلَّ على خُبْثٍ في إرادتِه، ولأنَّه عادةً قد بلَغ أشُدَّه واستَوَى وعَرَفَ الحكمةَ، وملَكه عقلُهُ أكثرَ من هواه، فالزِّنا منه غريبٌ، إذ ليس عن شهوةٍ مُلِحَّةٍ، ولكن عن سوءِ نيَّةٍ وقصدٍ وضعفِ إيمانٍ باللهِ،





فصارَ السَّببُ المقتضي لزناه ضعيفًا، والحكمةُ الّتي نالها ببلوغِ الأَشُدِّ كبيرةً، وكان تقادمُ سنِّه يَستَلْزِمُ أن يُغَلِّبَ جانبَ العقلِ، ولكنَّه خالفَ مقتضى ذلك، ولهذا صغَّرَه تحقيرًا لشأنِه فقال: (**أُشَيْمِطٌ**) تصغيرُ أشمطَ.

قولُه: (**زانٍ**) صفةٌ لـــ (أُشَيْمِط) وهو مرفوعٌ بضمَّةٍ مقدَّرةٍ على الياءِ المحذوفةِ، والحركةُ الّتي على النّونِ ليست حركةَ إعرابٍ.

والزِّنا: فعلُ الفاحشةِ في قُبُلٍ أو دُبُرٍ، وقد نَهَى اللهُ عنه وبيَّن أنّه فاحشةٌ، فقال: **{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}**.

قولُه: «**وعائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**» أي: فقيرٌ، قال تعالى: **{وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى}**، فالمُقابلةُ هنا في قولِه: **{فَأَغْنَى}** بيَّنَتْ أنَّ معنى عائلاً: فقيرًا.

والاستكبارُ: التّرفُّعُ والتّعاظمُ، **وهو نوعان:**

الأول: استكبارٌ عن الحقِّ بأن يَرُدَّه، أو أن يَترَفَّعَ عن القيامِ به.

والثاني: استكبارٌ على الخلْقِ باحتقارِهم واستذلالِهم، كما قال النّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم: «**الكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وغَمْطُ النَّاسِ**».

فالفقيرُ داعي الاستكبارِ عندَه ضعيفٌ، فيكونُ استكبارُهُ دليلاً على ضعفِ إيمانِه، وخُبْثِ طَوِيَّتِه، ولذلك كانت عقوبتُهُ أشدَّ.

قولُه: «**ورَجُلٌ جَعلَ اللهَ بِضاعَتَهُ؛ لا يَشْتَري إلا بيَمينِه ولا يبيعُ إلا بِيَمينِه**» أيْ: جعَلَ الحلفَ باللهِ بضاعةً له، وإنَّما ساغ التَّأويلُ هنا؛ لأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ هو الّذي فسَّره بذلك حيثُ قال: «**لا يَشْتَري إلا بيَمينه . .**»

وإذا كانَ المتكلِّمُ هو الّذي أخرجَ كلامَهُ عن ظاهرِه فهو أعلمُ بمرادِه، وهذا كما في الحديثِ القدسيِّ: «**عَبْدي اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْني، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِني**» فبيَّنَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بقولِه: «**عَبْدي فُلانٌ جاعَ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، اسْتَسْقاكَ فَلَمْ تَسْقِه**».

فقولُه: «**لا يَشْتَري إلا بيمينه، ولا يبيعُ إلا بيمينه**» استئنافيَّةٌ تفسيريَّةٌ لقولِه: «**جَعَلَ اللهَ بِضاعَتَهُ**» ومعناها: أنه

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٣٨٠٧٣٠

كلما اشترى حلَف، وكلّما باع حلَف طلبًا للكَسْب.

واستحقَّ هذه العقوبةَ العظيمةَ؛ لاستهانتِه باللهِ، **فإنْ كانَ كاذبًا جمَعَ بيْنَ أربعةِ أمورٍ محذورةٍ:**

الأول: استهانته باللهِ عزّ وجلّ.

الثاني: كذبه.

الثالث: أكله المالَ بالباطلِ.

الرابع: أنَّ يمينَه يمينُ غموسٍ، وقد ثبت عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم أنَّه قال: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يمِينٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ يَقْتَطِعُ بِها مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْه غضْبانُ**».

وكلُّ ما في هذا الحديثِ يجبُ الحذرُ منه والبعدُ عنه؛ لأن هذا هو ما يُريدُه النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ من الإخبارِ بِهِ، وإلاَّ فما الفائدةُ من سماعِنَا له إذَا لَمْ تَظْهَرْ مُقْتَضَياتُ النّصوصِ على مُعْتَقَدَاتِنَا وأقوالِنا وأفعالِنَا؟

فنحن والجاهلُ سواءٌ، بلْ نحن أعظمُ، ولذلك لا ينبغي أن تَمرَّ علينا بلا فائدة فنَعْرِفَ معناها فقط، بل يجبُ أن نعرفَ معناها ونعملَ بمقتضاها، ثمَّ يجبُ علينا أيضًا بوصفِنَا ممَّن آتاهم اللهُ العلمَ أن نُحَذِّرَ النَّاسَ منه لنكونَ وارثين للرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم، فالنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم كانَ عالمًا عاملاً داعيًا، أمَّا طالبُ العلمِ فإنَّه ليس وارثًا للرَّسولِ عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ حتَّى يقومَ بما قام به من العملِ والدَّعوةِ، فعلينا أن نُحَذِّرَ إخوانَنَا المسلمين في هذا العملِ الكثيرِ بينَ النَّاسِ، وهو جعلُ اللهِ بضاعةً لهم، لا يبيعون إلا بأيْمانِهِم، ولا يَشْتَرُون إلا بأيمانِهِم.

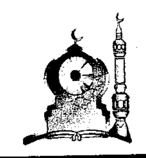
ومناسبةُ الحديثِ للبابِ:

أنَّ مَن جعلَ اللهَ بضاعَتَه فإنَّ الغالبَ أنَّه يُكْثِرُ الحلفَ باللهِ عزَّ وجلَّ.

(١٧) قولُه: **(وفي الصَّحيحِ)** أي: (الصَّحيحين) وانْظُرْ كلامَنَا في بابِ (تفسيرِ التوحيدِ وشهادةِ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ).

قولُه: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي**» (خَيْرُ) مبتدأٌ، و(قرني) خبرٌ.

وفي لفظِ البُخاريِّ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي**» وفي حديثِ **ابنِ مسعودٍ عندَ البخاريِّ**: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**» وهذا هو المرادُ؛ إذ المرادُ بالخيريَّةِ هنا الخيريَّةُ المضافةُ إلى النَّاسِ عمومًا، وليس للأمَّةِ فقط، ولهذا ثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ أنَّه قال:



«بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ».

وعليه فالخيريَّةُ في القرنِ الأوَّلِ خيريَّةٌ عامَّةٌ على جميعِ النَّاسِ، وليس على هذه الأمَّة فقط.

وأمَّا قولُه: «خيرُ أُمَّتي» فإنَّه يُقالُ: إنَّ الخيريَّةَ إذا كانت مضافةً إلى عمومِ النَّاسِ دخَل فيها هذه الأمَّةُ، لكن إذا خصَّصْناها بهذه الأمَّة خرَج بقيَّةُ النَّاسِ، والأخذُ بالعمومِ الدَّاخلِ فيه الخاصُّ أَوْلَى، وقد يُقالُ: إنَّ معنى اللفظين واحدٌ؛ فإنَّ هذه الأمَّةَ خيرُ الأممِ، فإذا كانَ الصَّحابةُ خيرَ قرونِهَا لزِم أن يكونوا خيرَ النَّاسِ.

والقرنُ: مأخوذٌ من الاقترانِ، والمرادُ الطَّائفةُ الْمُقتَرِنون بشيءٍ من الأشياءِ كالملَّة، أو السِّنِّ وما أشْبَهَ ذلك.

وبعضُ العلماءِ عرَّفه: بالطَّائفة كما سبق، وبعضُهُم عرَّفه بالزَّمنِ، **وهؤلاء اختلفوا فيه على أقوالٍ:**

- **فمنهم من حَدَّهُ بأربعين.**
- **ومنهم من حَدَّه بثمانين.**
- **ومنهم مَن حدَّه بمائة.**
- **ومنهم مَن حدَّه بمائةٍ وعشرين سنةً.**

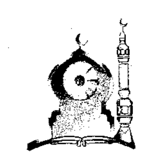
فمعنى الأولِ: يكون معنى: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي» خيرُ أمَّتي الصَّحابةُ، سواءٌ بلَغوا مائةَ سنةٍ أم لا، والمعروفُ أنَّ آخرَ مَن مات من الصَّحابةِ مات سنةَ مائةٍ وعشرةٍ وهذا القرنُ الأوَّلُ، أمَّا التَّابعون فإنَّ آخرَهُم مات سنةَ مائةٍ وتسعين، فيكونُ بينَهم وبينَ الصَّحابةِ سبعون سنةً، وأمَّا تابعو التَّابعين فإنَّ آخرَهُم مات سنةَ مائتين وعشرين، وهذا مُنْتَهَى القرنِ الثَّالث.

فقرنُ الصَّحابةِ إن ابْتَدَأْتَه من البعثةِ صار ثلاثًا وعشرين ومائةَ سنة، وإن ابْتَدَأْتَهُ من الهجرةِ صار مائةَ سنةٍ وعشر سنوات، وقرنُ التَّابعين سبعون سنةً، وقرنُ تابعي التَّابعين ثلاثون سنةً.

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ: **(إنَّ القرنَ المُعْتَبَرَ بمعظمِ النَّاسِ فإذا كانَ معظمُ النَّاسِ الصَّحابةَ فالقرنُ قرنُهُم، وإذا كانَ معظمُ النَّاسِ التَّابعين فالقرنُ قرنُهُم، وهكذا)**.

قولُه: «**أُمَّتي**» المرادُ أمَّةُ الإجابة؛ لأنَّ أمَّةَ الدَّعوةِ إذا لم يُؤْمنُوا فليسَ فيهم خيرٌ.

قولُه: **(فَلا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعدَ قَرْنِه مرَّتين أَوْ ثلاثًا)** وإذا كانَ عِمْرَانُ لا يَدْرِي فالأصلُ أنَّه ذكَرَ مرَّتين، فتكونُ القرونُ الْمُفَضَّلَةُ ثلاثةً، وهذا هو المشهورُ.



قولُه: «ثُمَّ إنَّ بَعدَكُمْ قَوْمٌ» وفي روايةِ البخاريِّ: «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا» بنصبِ «قومًا» وهذا لا إشكالَ فيه، لكن في هذه الرِّوايةِ برفعِ «قوم» فيه إشكالٌ؛ لأنَّ «قومٌ» اسمُ إنَّ، وقد اختلف العلماءُ في هذا:

فقيل: على لغةِ ربيعةَ الَّذين لا يَقِفون على المنصوبِ بالألفِ، فلم يُثْبِت الكاتبُ الألفَ، فصارَتْ «قومٌ».

وهذا جوابٌ ليس بسديد؛ لأنَّ الرِّوايةَ ليست مكتوبةً فقط، بل تُكْتَبُ وتُقْرأُ باللفظِ عند أخذِ التَّلاميذِ الرِّوايةَ من المشايخِ، ولأنَّ هذا ليس محلَّ وَقْف.

وقيل: إنَّ (إنَّ) اسمُها ضميرُ الشَّأنِ محذوفٌ، فألحقَهَا بـ (إنْ) المُخَفَّفة؛ لأنَّ (إنْ) المخفَّفَةَ تَعْمَلُ بِضَميرِ الشَّأنِ، قال الشَّاعرُ:

. . . . وَإِن مالكٌ كانت كِرامَ المعادنِ

فـ (إنَّ) المشدَّدةُ هنا حُمِلَتْ على (إنْ) المخفَّفة فاسمُهَا ضميرُ الشَّأنِ محذوفٌ، وعليه يكون (بعدَكم) خبرًا مقدَّمًا، و(قوم) مبتدأً مؤخَّرًا والجملةُ خبرُ (إنَّ).

وقيل: (إن) هنا بمعنى (نعم) فيكونُ المعنى: ثمَّ نعم بعدَكُم قومٌ، وهذا فيه تكلُّفٌ.

والظَّاهرُ: القولُ الثَّاني إن صحَّتِ الرِّوايةُ.

قولُهُ: «يشْهَدونَ» أي: يُخبِرونَ عما عَلِموه ممَّا شاهدوه، أو سمِعوه، أو لَمسوه، أو شَمُّوه؛ لأنَّ الشَّهادةَ إخبارُ الإنسانِ بما يعلمُ، قال تعالى: {إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} ولا يُشترَطُ أن تكونَ بلفظِ أشهدُ على الصَّحيحِ، وقد قيل للإمامِ أحمدَ: إنَّ فلانًا يقولُ: (إِنَّ العَشْرَةَ فِي الْجَنَّةِ، ولا أَشْهَدُ) فقال: إن قاله فقد شهِدَ.

قوله: «وَلا يُسْتَشْهَدُونَ» أي: لا تُطْلَبُ منهم الشَّهادةُ، واختَلَفَ العلماءُ في ذلك:

فقيل: «وَلا يُسْتَشْهَدُونَ» أي: لا يُطْلَبُ منهم تحمُّلُ الشَّهادةِ، فيكونُ المرادُ الَّذين يشْهَدُون بغيرِ علمٍ.

وقيل: لا يُطلَبُ منهم أداءُ الشَّهادةِ، فيكونُ المرادُ أداءَ الشَّهادةِ قبلَ أن يُدْعَى لأدائِهَا، فيكونُ ذلك دليلاً على تسرُّعِهِم في أداءِ الشَّهادةِ وعدمِ اهتمامِهِم بها.

ولكنَّ هذا القولَ يُشْكِلُ عليه حديثُ زيدِ بنِ خالدٍ الَّذي رواه (مسلمٌ) أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم قال: «أَلا

أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ ! الَّذِي يَأْتِي بِالشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا».

فَهذا تَرْغيبٌ فِي أداءِ الشَّهادَةِ قبْلَ أنْ يُسْأَلَهَا؛ بدليلِ قولِهِ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ !». وظاهِرُهُ: أنّه مُعارِضٌ لحديثِ عِمْرَانَ، فجمَعَ بعضُ العلماءِ بينَهما بأنَّ المرادَ بحديثِ زيدٍ مَن يَشْهَدُ بحقٍّ لا يَعْلَمُهُ المشهُودُ له.

وجمَعَ بعضُ العلماءِ بأنَّ المرادَ بحديثِ زيدٍ مَن يَشْهَدُ بشيءٍ من حقوقِ الله تعالى؛ لأنَّ حقوقَ اللهِ تعالى ليس لها مُطَالِبٌ، فيؤدِّي الشَّهادةَ من غيرِ أن يُسْأَلَهَا، فيكونُ المرادُ هم رجالَ الأَمْرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المُنكرِ ونحوَهم.

وجَمَعَ بعضُهُم بأنَّ المرادَ بحديثِ زيدِ بنِ خالدٍ أنّه كِنايةٌ عن السُّرعةِ بأداءِ الشَّهادةِ، فكأنَّه لشدَّةِ إسراعِه يُؤدِّيها قبلَ أن يُسْأَلَهَا.

وبعضُ العلماءِ رجَّح حديثَ عمرانَ؛ لأنَّه في (الصَّحيحين) على حديثِ زيدِ بنِ خالدٍ؛ لأنَّه في (مسلمٍ).

ولكن إذا أمكَنَ الجمعُ فلا يجوزُ التَّرجيحُ، والجمعُ هنا ممكنٌ كما تقدَّمَ.

قولُه: «وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنونَ» هذا هو الوصفُ الثَّاني لهم، أي: أنَّهم أهلُ خيانةٍ وليسوا أهلَ أمانةٍ، وليس المعنى أنَّه تقعُ منهم الخيانةُ بعدَ الائتمانِ حتَّى يُقالَ لماذا لم يقلْ: يُؤْتَمَنونَ ويَخُونُونَ؛ فكأنَّ الخيانةَ طبيعةٌ لهم، فلخيانتهم لا يُؤتَمنون.

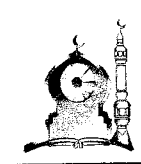
الخيانةُ: الغدرُ والخداعُ في موضعِ الائتمانِ، وهي مِن الصِّفاتِ المذمومةِ بكلِّ حالٍ.

وأمَّا المكرُ والخديعةُ، فهي مذمومةٌ في حالٍ دونَ حالٍ، فقد تكونُ محمودةً، إذا كانت في مقاتلةِ عدوٍّ ماكرٍ خادعٍ؛ لدلالتِهَا على القوَّةِ والإيقاعِ بالعدوِّ من حيثُ لا يَشْعُرُ، ولهذا يُوصَفُ اللهُ سبحانه وتعالى بالمكرِ والخداعِ في الحالِ الَّتي يكونُ فيها مَدْحًا، قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ وقال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾.

وأمَّا الخيانةُ فلا يوصَفُ بها أبدًا، ولهذا كانَ قولُ العامَّةِ: (خانَ اللهُ من خانَهُ) حرامًا؛ لأنَّهم وصَفوا اللهَ بما لا يَصِحُّ أن يُوصَفَ به، قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ ولم يقلْ: فخانَهم.

قولُه: «ولا يُؤتَمنون» أي: ليسوا أهلاً للأمانةِ، فلا يؤتمنون على الدِّماءِ، ولا الأموالِ، ولا الأعراضِ، ولا أيِّ شيءٍ، والظَّاهرُ: أنَّ هذا في القرنِ الرَّابعِ، فما بالُكَ بالقرنِ الخامسَ عشرَ، وفي حديثٍ آخرَ: «وَيَفْشُو بَيْنَهُم الكَذِبُ».

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية – الرياض ١١٣١٣ – ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



قولُه: «**ويَنْذرونَ ولا يُوفُونَ**» هذا هو الوصفُ الثَّالثُ لهم.

النَّذرُ: إلزامُ الإنسانِ نفسَهُ بالشَّيءِ، وقد يكونُ للآدميِّ، وهذا بمعنى العهدِ الَّذي يُوقعُه الإنسانُ بينَه وبينَ غيرِه، وقد يكونُ للهِ كنذرِ العبادةِ يجبُ الوفاءُ به، فهم يَنْذرون للهِ ولا يُوفُون له، ويُعاهدون المخلوقَ ولا يُوفُونَ له، وهذا من صفاتِ النِّفاقِ.

قولُه: «**ويَظهَرُ فيهمُ السِّمَنُ**» هذا هو الوصفُ الرَّابعُ لهم.

السِّمَنُ: كثرةُ الشَّحمِ واللحمِ، وهذا الحديثُ مُشْكِلٌ؛ لأنَّ ظهورَ السِّمنِ ليس باختيارِ الإنسانِ، فكيف يجعلُهَا صفةَ ذمٍّ؟

قال أهلُ العلمِ: (المعنى أنَّ هؤلاء يَعْتَنُونَ بأسبابِ السِّمَنِ من المطاعمِ والمشاربِ، فيكونُ همُّهُم إصلاحَ أبدانِهم وتسمينَهَا).

أمَّا السِّمنُ الَّذي لا اختيارَ للإنسانِ فيه فلا يُذَمُّ عليه، كما لا يُذَمُّ الإنسانُ على كونِه طويلاً أو قصيرًا، أو أسودَ أو أبيضَ، لكن يُذَمُّ على شيءٍ يكونُ هو السَّببَ فيه.

(١٨) قولُه: (**وفيه**) أي: في الصحيحِ، وقدْ سبَقَ الكلامُ على مثلِ هذه العبارةِ من المؤلِّفِ رحمَه اللهُ في بابِ (**تفسيرِ التوحيدِ وشهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ**).

قولُه: (**خيرُ النَّاسِ**) دليلٌ على أنَّ قرنَهُ خيرُ النَّاسِ، فصحابتُه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم أفضلُ من الحَوارِيِّين الَّذين هم أنصارُ **عيسى**، وأفضلُ من النُّقَباءِ السَّبعين الَّذين اختارَهُم **موسى** صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم.

قولُه: «**ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ**» أي: بعدَ القرونِ الثَّلاثة.

قولُه: «**تَسْبِقُ شَهادةُ أَحَدِهم يَمينَهُ وَيَمينُهُ شَهَادَتَهُ**» يَحْتَمِلُ ذلك وجهين:

الأوَّلُ: أنَّه لقلَّةِ الثِّقةِ بهم لا يَشْهَدون إلا بيمينٍ، فتارةً تَسْبِقُ الشَّهادةُ، وتارةً تَسْبِقُ اليمينُ.

الثَّاني: أنَّه كنايةٌ عن كونِ هؤلاء لا يُبَالُون بالشَّهادةِ ولا باليمينِ، حتَّى تكونَ الشَّهادةُ واليمينُ في حقِّهِم كأنَّهما متسابقتان.

والمعنيان لا يَتَنافيان، فيُحْمَلُ عليهما الحديثُ جميعًا.

وقولُهُ: «**ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ**» يدلُّ على أنَّه ليس كلُّ أصحابِ القرنِ على هذا الوصفِ؛ لأنَّه لم يَقُلْ: ثمَّ يكونُ النَّاسُ، والفرقُ واضحٌ.

وهذه الأفضليَّةُ أفضليَّةٌ من حيثُ العمومُ والجنسُ، لا من حيثُ الأفرادُ، فلا يعني أنَّه لا يوجَدُ في تابعي التَّابعين مَن هو أفضلُ من التَّابعين، أو لا يوجَدُ في التَّابعين مَن هو أعلمُ من بعضِ الصَّحابة، أمَّا فضلُ الصُّحْبَة فلا ينالُه أحدٌ غيرُ الصَّحابةِ، ولا أحدَ يَسْبِقُهم فيه، وأمَّا العلمُ والعبادةُ فقد يكونُ فيمَن بعدَ الصَّحابةِ مَن هو أكثرُ من بعضِهم علمًا وعبادةً.

تنبيهٌ:

ساقَ المؤلِّفُ -رحِمَه اللهُ- الحديثَ في بعضِ النسخِ بتَكرارِ قولِه: «**ثمَّ الذين يلونَهُم**» ثلاثَ مراتٍ وهو في (**الصحيحين**) بتَكرارِها مرتين.

(**١٩**) قولُه: «**وقالَ إبْراهيمُ**» هو إبراهيمُ **النَّخَعيُّ** من التَّابعين، ومن فقهائِهم.

قولُه: (**كانوا يَضْرِبوننا عَلى الشَّهَادةِ، ونَحْنُ صِغَارٌ**) في نسخةٍ: (**عَلَى الشَّهادةِ والعَهْدِ**).

والظَّاهرُ: أنَّ الَّذي يَضْرِبُهم وليُّ أمرِهِم.

وقولُه: (**عَلَى الشَّهادةِ**) أي: يَضْرِبوننا عليها إن شَهِدْنا زُورًا، أو إذا شَهِدْنا و لم نَقُمْ بأدائِهَا، ويَحْتَمِلُ أن المرادَ بذلك ضربُهم على المبادرةِ بالشهادةِ والعهدِ، وبه فسَّرَه ابنُ **عبدِ البرِّ**.

قولُه: (**وَالعَهْدِ**) أيْ: إذا تَعَاهَدُوا يَضْرِبُوهم على الوفاءِ بالعهد.

قولُه: (**وَنَحْنُ صِغارٌ**) الجملةُ حاليَّةٌ، وإنَّما يَضْرِبُوهم وهم صِغارٌ للتَّأديب.

ويُستفادُ من كلامِ إبراهيمَ أنَّ الصَّبيَّ تُقبَلُ منه الشَّهادةُ؛ لأنَّ قولَهُ: (**وَنَحْنُ صِغارٌ**) أي: لم يَبلُغُوا، وهذا محلُّ خلافٍ بينَ أهلِ العلمِ:

فقال بعضُهُم: يُشترَطُ لأداءِ الشَّهادةِ أن يكونَ بالغًا، فإذا تَحمَّلَ، وهو صغيرٌ، لم تُقْبَلْ منه حتَّى يَبْلُغَ.

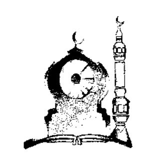
وقال بعضُهُم: شهادةُ الصِّغارِ بعضِهِم على بعضٍ مقبولةٌ تَحَمُّلاً وأداءً؛ لأنَّ البالغَ يَنْدُرُ أن يوجَدَ بين الصِّغار.

وقال بعضُهُم: تُقبَلُ شهادةُ الصِّغارِ بعضِهم على بعضٍ إن شهِدوا في الحالِ؛ لأنَّه بعدَ التَّفرُّقِ يَحتَمِلُ النِّسيانَ، أو التَّلقينَ، ولا يَسَعُ العملُ إلا بهذا، وإلا لَضاعَتْ حقوقٌ كثيرةٌ بينَ الصِّبيانِ.

ويُستفادُ من هذا الأثرِ جوازُ ضربِ الصَّبيِّ على الأخلاقِ إذا لم يتأدَّبْ إلا بالضَّرب.

فيُؤخذُ منه تعظيمُ شأنِ العهدِ والشهادةِ وضربُ الصغارِ على ذلك، ويُؤخذُ منه أيضًا عنايةُ السلفِ بتربيةِ

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com



أولادِهِمْ وأنَّ مِن منهجِهِم الضربَ على تحقيقِ ذلك.

قال في (قرة عيون الموحدين) (ص:٢٤٦): **(هكذا حال السلف الصالح محافظة منهم على دينهم الذي أكرمهم الله به، فلا يتركون شيئاً مما يكره إلا أنكروه، وفيه تمرين الصغار على دينهم بالتعليم)** .

(٢٠) فيه مسائلُ:

الأولى: (**الوصيَّةُ بحفظِ الأَيْمان**) تؤخذُ من قولِهِ تعالى: **{وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ}**، والأمرُ وصيَّةٌ.

(٢١) **الثانيةُ:** (**الإخبارُ بأنَّ الحلفَ مَنْفَقةٌ للسِّلعةِ مَمْحَقةٌ للبركةِ**) تؤخذُ من قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم: «**الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ للسِّلْعَةِ. . .**» إلخ.

(٢٢) **الثَّالثةُ:** (**الوعيدُ الشَّديدُ لِمَن لا يَبيعُ ولا يَشْتَري إلا بيَمينه**) تؤخذُ من قولهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم: «**ورجُلٌ جَعَلَ اللهَ بضاعَتَهُ، لا يشْتَري إلا بيمينه. . إلخ**» في ضمنِ الثلاثةِ الذين لا يُكلِّمُهم اللهُ ولا يُزكِّيهم.

(٢٣) **الرَّابعةُ:** (**التَّنبيهُ على أنَّ الذَّنبَ يَعْظُمُ مع قِلَّة الدَّاعي**) تؤخذُ من حديثِ سلمانَ، حيثُ ذكَرَ الأُشَيْمِطَ الزَّاني، والعائلَ المُسْتكْبِرَ، وغلَّظ في عقوبتِهِم؛ لأنَّ الدَّاعيَ إلى فعلِ المعصيةِ المذكورةِ ضعيفٌ عندَهما.

(٢٤) **الخامِسةُ:** (**ذمُّ الَّذين يَحْلِفونَ ولا يُسْتَحْلَفونَ**) لقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم: «**ورجُلٌ جَعَلَ اللهَ بضاعَتَهُ، لا يَشْتَري إلا بيَمينه. .**».

ولكن هذا ليس على إطلاقِهِ، بل النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم حلَفَ، ولم يُسْتَحْلَفْ في مواضعَ عديدةٍ، بل أمرَهُ اللهُ سبحانَهُ أن يَحْلِفَ بقولِهِ: **{وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي}**.

وقولِهِ: **{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ}**، وقولِه: **{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ}**.

وعليه فإنَّ الحلفَ إذا دعَت الحاجةُ إليه، أو اقْتَضَته المصلحةُ فإنَّه جائزٌ، بل قد يكونُ مندوبًا إليه كحلفِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم في قصَّةِ المخزوميَّةِ حيثُ قال: «**وايْمُ اللهِ لَوْ أنَّ فاطمةَ بنتَ مُحمَّدٍ سرَقَتْ لقطَعْتُ يدَها**».

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

فقد وقع مَوْقعًا عظيمًا من هؤلاء القومِ الَّذين أهَمَّهم شأنُ المخزوميَّة، ومِمَّنْ يأتي بعدَهُم.

(٢٥) السَّادسة: (ثناؤُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على القرونِ الثَّلاثَة أو الأربعة وذكرُ ما يَحْدُثُ بعدَهم)

تؤخذُ من قولِه صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: «**خيرُ النَّاسِ قَرْني..**».

وقولُهُ: أو الأربعة. بناءً على ثبوتِ ذكْرِ الرابعِ، وأكثرُ الرواياتِ وأثبتُها على حذْفه.

وقولُه: «**وَذِكْرُ ما يَحْدُثُ**» لو جُعلَتْ هذه مسألةً مستقلَّةً لكان أبينَ وأوضحَ؛ لأنَّ الإخبارَ عن شيءٍ مُستقبلٍ ووُقوعِه كما أخبرَ دليلٌ على رسالته صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ.

(٢٦) السَّابعة: (ذمُّ الَّذين يَشْهَدونَ ولا يُسْتَشْهَدونَ) تؤخذُ من حديثِ عِمْرانَ، وكذا ذمُّ الَّذين يخونون ولا يُؤْتَمنون، ويَنْذِرون ولا يُوفُون، والَّذين يَتَعاطَوْن أسبابَ السِّمَنِ يَغْفُلون عن سِمَنِ القلبِ بالإيمانِ والعلمِ.

(٢٧) الثَّامنة: (كوْنُ السَّلفِ يَضْرِبونَ الصِّغارَ على الشَّهادةِ والعهْدِ) تؤخذُ من قولِ إبراهيمَ النَّخَعِيِّ: «**كانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلى الشهادةِ والعَهْدِ**».

استنادًا إلى إرشادِ نبيِّهم صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حيثُ أَمَرَ بضرْبِ مَن بَلَغَ عشْرَ سنينَ على الصلاةِ، لكنْ يُشْتَرطُ لجوازِ الضربِ:

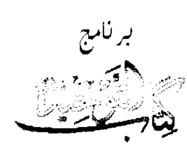
الأوَّلُ: أنْ يكونَ الصغيرُ قابلاً للتأديبِ، فلا يُضرَبُ مَن لا يعرفُ المرادَ بالضربِ.

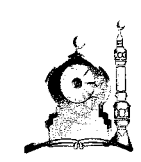
الثاني: أنْ يكونَ التأديبُ ممَّنْ له ولايةٌ عليه.

الثالثُ: أنْ لا يُسْرَفَ في ذلك كَميَّةً أو كيفيَّةً، أو نوعًا، أو موضِعًا، أو غيرَ ذلك.

الرابعُ: أنْ يقَعَ من الصغيرِ ما يَسْتَحقُّ التأديبَ عليه.

الخامسُ: أنْ يُقْصَدَ تأديبُهُ، لا الانتقامُ لنفسه، فإنْ قصَدَ الانتقامَ لَمْ يكنْ مؤدِّبًا بل مُنْتَصِرًا.







تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس السابع والأربعون

(١) قولُه: (ذمَّة اللهِ وذمَّة نبيِّه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الذِّمَّةُ: العهدُ، وسُمِّي بذلك؛ لأنَّه يُلتزَمُ به كما يَلْتزِمُ صاحبُ الدَّينِ بدينِه في ذمَّتِه.

واللهُ له عهدٌ على عبادِه: أن يعبدوه ولا يُشرِكُوا به شيئاً.

وللعبادِ عهدٌ على اللهِ، وهو: أن لا يعذِّبَ مَن لا يُشرِكُ به شيئاً، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ فهذا عهدُ اللهِ عليهم، ثمَّ قال: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وهذا عهدُهُم على اللهِ.

قولُه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ وللنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم عهدٌ على الأمَّةِ وهو أن يَتَّبِعوه في شريعتِه ولا يبتدعوا فيها، وللأمَّة عليه عهدٌ وهو أن يبلِّغَهُم ولا يكتُمَهُم شيئاً.

وقد أخبَر النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم أنَّه ما من نبيٍّ إلا كان حقّاً عليه أن يدُلَّ أمَّتَه على ما هو خيرٌ.

والمرادُ بالعهدِ هنا: ما يكونُ بينَ المتعاقدين في العهودِ كما كانَ بينَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ وأهلِ مكَّةَ في صلحِ الحديبيةِ.

(٢) قولُه: ﴿وَأَوْفُوا﴾ أمرٌ من الرُّباعيِّ من (أوْفى: يُوفي) والإيفاءُ إعطاءُ الشَّيءِ تامّاً، ومنه إيفاءُ المكيالِ والميزانِ.

قولُهُ: ﴿بِعَهْدِ اللهِ﴾ يصلُحُ أن يكونَ من بابِ إضافةِ المصدرِ إلى فاعلِه أو إلى مفعولِه، أي: بِعَهدِكم اللهَ، أو بعهدِ اللهِ إيَّاكُم؛ لأنَّ فاعلَ الفعلِ يقتضي المشاركةَ من الجانبيْن مثلَ قاتلٍ ودافعٍ.

قولُه: ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ فائدتُها التَّوكيدُ والتَّنبيهُ على وجوبِ الوفاءِ، أيْ: إذا صدرَ منْكم العهدُ فإنَّه لا يليقُ منكم أنْ تَدَعُوا الوفاءَ ثمَّ أكَّدَ ذلك بقولِه: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ نقضُ الشَّيءِ هو حَلُّ إحكامِه، وشبَّه العهدَ بالعُقدةِ؛ لأنَّه عَقْدٌ بينَ المتعاهدين.

قولُه: ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توكيدُ الشَّيءِ بمعنى تثبيتِه، والعهودُ تُوكَّدُ، يُقالُ: (وكَّدَ الأمرَ وأكَّده تأكيداً

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

وتَوْكِيداً) والواوُ أفصحُ من الهمزةِ.

قولُهُ: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ الجملةُ حاليَّةٌ فائدتُها قوَّةُ التَّوبيخِ على نقضِ العهدِ واليمينِ.

ووجهُ جعلِ الله كفيلاً: أنَّ الإنسانَ إذا عاهدَ غيرَهُ قالَ: أُعاهِدُكَ باللهِ، أيْ: أنَّه جعلَ اللهَ عليه كفيلاً.

قولُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ختَمَ اللهُ الآيَةَ بالعلمِ تهديداً عن نقضِ العهدِ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا علمَ بأنَّ اللهَ يعْلَمُ كلَّ ما يفعَلُ فإنَّه لا ينقضُ العهدَ.

ومناسبةُ الآيةِ للتَّرجمةِ:

واضحةٌ جدّاً؛ لأنَّ اللهَ قال: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ وقال: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ والعهدُ: الذِّمَّةُ.

ومناسبةُ البابِ للتوحيدِ:

أنَّ عدمَ الوفاءِ بعهْدِ اللهِ تَنَقُّصٌ له، وهذا مُخلٌّ بالتوحيدِ.

(٣) قولُه: (إذا أَمَّرَ) أيْ: جعَلَه أميراً، والأميرُ في صدرِ الإسلامِ يتولَّى التَّنفيذَ والحكمَ والفتوى والإمَامةَ.

قولُه: (أو سَرِيَّةٍ) هذه ليسَتْ للشَّكِّ، بلْ للتَّنويعِ؛ فإنَّ الجيشَ ما زادَ على أربعِمائةِ رجلٍ، والسَّرِيَّةَ ما دونَ ذلِكَ.

والسَّرايا ثلاثةُ أقسامٍ:

الأول: قسمٌ يُنفذُ مِن البلدِ، وهذا ظاهرٌ ويُقَسَّمُ ما غنِمَه كقسمةِ ما غَنِمَ الجيشُ.

الثاني: قسمٌ يُنفذُ في ابتداءِ سفرِ الجهادِ، وذلك بأنْ يخرجَ الجيشُ بكاملِه ثمَّ يَبْعَثَ سريَّةً تكونُ أمامَهُم.

الثالث: قسمٌ يُنفذُ في الرَّجعةِ وذلك بعدَ رجوعِ الجيشِ.

وقد فرَّقَ العلماءُ بينَهما من حيثُ الغنيمةُ، فلسريَّةِ الابتداءِ الرُّبُعُ بعدَ الْخُمُسِ؛ لأنَّ الجيشَ وراءها فهو رِدْءٌ لها وسيلحقُ بها، ولسريَّةِ الرَّجعةِ الثُّلثُ بعدَ الخمسِ، لأنَّ الجيشَ قد ذهب عنها فالخطرُ عليها أشدُّ.

وهذا الذي تُعطاهُ السَّرِيَّتان راجعٌ إلى اجتهادِ الإمامِ؛ إن شاءَ أعْطَى وإنْ شاءَ مَنَعَ، حسبَما تقتضيه المصلَحةُ.

قولُه: (أَوْصاهُ) الوصيَّةُ الإخبارُ بشيءٍ على وجهِ الاهتمامِ.

قولُه: (بتقْوى اللهِ) التَّقوى هي: امتثالُ أوامرِهِ واجتنابُ نواهيه على علمٍ وبصيرةٍ، وهي مأخوذةٌ من الوقايةِ، وهي اتّخاذُ وقايةٍ من عذابِ اللهِ، وذلك لا يكونُ إلا بفعلِ الأوامرِ واجتنابِ النَّواهي، **وقالَ بعضُهُم**:(التَّقوى: أن تعملَ بطاعةِ اللهِ على نورٍ من اللهِ ترجو ثوابَ اللهِ، وأن تتركَ ما نهى عنه اللهُ على نورٍ من اللهِ تخشى عقابَ اللهِ).

وهذه التَّعريفاتُ كلُّها تؤدِّي معنًى واحداً.

وأجمعها أن يقال هي: اتخاذ العبد وقاية بامتثال خطاب الشرع

وكانَت الوصيَّةُ بالتَّقوى لأميرِ الجيشِ؛ لأنَّ الغالبَ أنَّ الأميرَ يكونُ معه ترفُّعٌ يُخشَى منه أن يُجانِبَ الصَّوابَ من أجلِه، ولأنَّ تقواه سببٌ لتقوى مَن تحتَ ولايتِه.

قولُه: (وبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمينَ خَيْراً) أي: **أوصاه أن يعملَ بِمَن معه من المسلمين خيراً** في أمورِ الدّنيا والآخرةِ، فيسلُكَ بهم الأسهلَ ويطلُبَ لهم الأخصبَ إذا كانوا على إبلٍ أو خيلٍ، ويمنَعَ عنهم الظّلمَ، ويأمرَهم بالمعروفِ وينهاهم عن المنكرِ، وغيرَ ذلك ممَّا فيه خيرُهُم في الدُّنيا والآخرةِ.

ويُستفادُ من هذا الحديثِ: أنَّه يَجبُ على مَن تولّى أمراً من أمورِ المسلمين أن يَسْلُكَ بهم الأخيَرَ، بخلافِ عملِ الإنسانِ بنفسه فإنَّه لا يُلزَمُ إلا بالواجبِ.

قولُه: (اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ) يَحتملُ أنَّه أراد أن يعلّمَهُم أن يكونوا دائماً مستعينين باللهِ.

- **ويَحتملُ أنَّه أراد أن يفتتحَ الغزوَ باسمِ اللهِ.**

والأوَّلُ أظهرُ، والثَّاني أيضاً محتمِلٌ؛ لأنَّ بعثَ الجيوشِ من الأمورِ ذاتِ البالِ ، وكلُّ أمرٍ لا يُبدأُ فيه باسمِ اللهِ فهو أبترُ.

قولُه: (في سَبيلِ اللهِ) متعلّقٌ بــ (اغزوا) **وهو تنبيهٌ من الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم على حسنِ النِّيةِ والقصدِ**؛ لأنَّ الغُزَاةَ لهم أغراضٌ، ولكنَّ الغزوَ النَّافعَ الَّذي تحصُلُ به إحدى الْحُسْنَيين ما كان خالصاً للهِ، وذلك بأن يقاتلَ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا لا لِحَمِيَّةٍ أو شجاعةٍ أو لِيُرَى مكانُهُ أو لطلبِ دنيا.

فإنْ قاتَلَ لأجلِ الوطنِ: فمَن قاتَلَ؛ لأنَّه وطنٌ إسلاميٌّ تجبُ حمايتُهُ وحمايةُ المسلمين فيه فهذه نيَّةٌ إسلاميَّةٌ صحيحةٌ، وإن كان للقوميَّةِ أو الوطنيَّةِ فقط فهو حميَّةٌ، وليس في سبيلِ اللهِ.

وقولُه: (في سَبيلِ اللهِ) تشملُ النّيّةَ والعملَ، فالنّيّةُ سبقت.

والعملُ أن يكونَ الغزوُ في إطارِ دينِهِ وشريعتِه، فيكونُ حسبَمَا رسمَه الشَّارِعُ.

قولُه: (قاتِلوا مَنْ كفرَ بالله) قاتلوا: فعلُ أمرٍ وهو للوجوب، أي: يجبُ علينا أن نقاتلَ مَن كفرَ بالله، قالَ تعالى: {يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}.

– وقالَ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ} فإذا قاتَلْنا الَّذين يلونَنا فأسلموا نقاتلُ مَن وراءَهم، وهكذا إلى أنْ نَخلُصَ إلى مشارقِ الأرضِ ومغاربِها.

و(مَنْ) اسمٌ موصولٌ، وصِلَتُه (كفر) واسمُ الموصولِ وصِلَتُه يفيدُ العِلِّيَّةَ ، أي: لكفرِه، فنحن لا نقاتلُ النَّاسَ عصَبِيَّةً أو قوميَّةً أو وطنيَّةً، نقاتِلُهم لكفرِهم لمصلحتِهم وهي إنقاذُهم من النارِ.

والكفرُ مدارُهُ على أمرين:

– الجحود.

– والاستكبار.

أي: استكبارٍ عن طاعته، أو جحود لما يجبُ قبولُهُ وتصديقُهُ.

قولُه: (اغزوا) تأكيدٌ، وأتى بها ثانيةً كأنَّه يقولُ: لا تَحقِروا الغزوَ واغْزُوا بجدٍّ.

قولُه: (وَلا تغُلُّوا) الغُلولُ: أن يكتُمَ شيئاً من الغنيمةِ يختصُّ به، وهو من كبائرِ الذّنوبِ، قالَ تعالى: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أي: معذَّباً به فهو يعذَّبُ بما غلَّ يومَ القيامةِ ويُعزَّرُ في الدنيا.

قال أهلُ العلمِ: (يُعزَّرُ الغالُّ بإحراقِ رَحلِه كلِّه إلا المصحفَ لِحُرمتِه، والسّلاحَ لفائدتِه، وما فيه روحٌ؛ لأنَّه لا يجوزُ تعذيبُهُ بالنَّارِ).

قولُه: (ولا تَغدِروا) الغدرُ الخيانةُ، وهذا هو الشَّاهدُ من الحديثِ، وهذا إذا عاهَدْنا فإنَّه يحرُمُ الغدرُ، أمَّا الغدرُ بلا عهدٍ فلنا ذلك؛ لأنَّ الحربَ خُدعةٌ، وقد ورد أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ خرَجَ إليه رَجُلٌ مِنَ الْمُشركين لِيُبارزَهُ فلمَّا أقبلَ الرّجلُ على عليٍّ قال عليٌّ: ما خرَجْتُ لأُبارزَ رَجُلين، فالتفت المشركُ يظنُّ أنَّه جاء أحدٌ من أصحابه ليساعدَه فقتلَهُ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْه.

وليُعْلَمْ أنَّ لنا مع المشركينَ ثلاثَ حالاتٍ:

الحالُ الأولى: أن لا يكونَ بينَنا وبينَهم عهدٌ؛ فيجبُ قتالُهم بعدَ دعوتِهم إلى الإسلامِ وإبائِهم عنه وعن بذلِ

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

الجزية، بشرط قدرتنا على ذلك.

الحالُ الثانيةُ: أن يكونَ بيننا وبينَهم عهدٌ محفوظٌ يستقيمونَ فيه، فهنا يجبُ الوفاءُ لهم بعهدِهم؛ لقوله تعالى: {فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التوبة:٧]، وقوله: {فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ} [التوبة:٤].

الحالُ الثالثةُ: أنْ يكونَ بينَنا وبينَهُم عهدٌ نخافُ خيانَتَهم فيه، فهنا يجبُ أنْ نَنبذَ إليهم العهدَ ونخبرَهم أنَّه لا عهدَ بينَنا وبينَهم؛ لقولِه تعالى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}

قولُه: (**ولا تُمثّلوا**) التَّمثيلُ: التَّشويهُ بقطعِ بعضِ الأعضاءِ، كالأنفِ واللِّسانِ وغيرِهما، وذلك عندَ أسْرِهم؛ لأنَّه لا حاجةَ إليه، لأنَّه انتقامٌ في غيرِ محلِّه.

قولُه: (**وَلا تَقْتُلوا وَليداً**) أي: **لا تَقْتُلُوا صغيراً**؛ لأنَّه لا يقاتِلُ، ولأنَّه ربَّما يسلِمُ.

وورَدَ في أحاديثَ أخرى: أنَّه لا يُقتَلُ راهبٌ ولا شَيْخٌ فانٍ ولا امْرَأَةٌ، إلا أن يقاتلوا، أو يُحَرِّضوا على القتالِ، أو يكونَ لهم رأيٌ في الحربِ كما قُتِلَ **دُرَيدُ بنُ الصِّمَّة** في غزوةِ ثَقيفٍ مع كِبَرِه وعماه.

واستُدِلَّ بهذا الحديث أنَّ القتالَ ليس لأجلِ الإسلامِ ولكنَّه لحمايةِ الإسلامِ بدليلِ أنَّنا لا نقتُلُ هؤلاء، ولو كانَ من أجلِ الإسلامِ لقتلْنَاهُم إذا لم يسلِموا، ورجَّحَ شيخُ الإسلامِ هذا القولَ، وله رسالةٌ في ذلك اسمُهَا (قتالُ الكُفَّار).

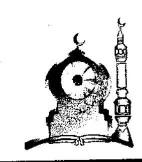
قولُه: (**وإذا لَقيتَ عدوَّكَ**) أي: قابلتَهُ أو وجدتَه، وبدأ بذكرِ العداوةِ تَهييجاً لقتالِهم؛ لأنَّك إذا علمتَ أنَّهم أعداءٌ لك فإنَّ ذلك يدعوك إلى قتالِهم، ولهذا قالَ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ}

وهذا أبلغُ من قولِه في آيةٍ أخرى: {لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ} لكنْ خَصَّ في هذه الآيةِ باليهودِ والنصارى؛ لأن المقامَ يقْتَضيه.

والعدوُّ ضدُّ الوليِّ، والوليُّ مَن يتولَّى أمورَكَ ويعتني بك بالنَّصرِ والدِّفاعِ وغيرِ ذلكَ، والعدوُّ يخذُلُكَ ويبتعدُ عنك ويعتدي عليكَ ما أمكنَهُ.

قولُه: (**مِنَ الْمُشرِكينَ**) يدخُلُ فيه كلُّ الكفَّارِ، حتَّى اليهودِ والنَّصارى.

قولُه: (**خصال –أوْ خلال–**) بمعنًى واحد، وعليه فـ(أو) للشَّكِّ في اللَّفْظِ ، والمعنى لا يتغيرُ.





قولُه: (فأَيَّتُهُنَّ ما أجابوكَ) (أيتهنَّ) اسمُ شرطٍ مبتدأٌ، (ما) زائدةٌ وهي تُزادُ بالشَّرطِ تأكيداً للعمومِ، كقولِه تعالى: {أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} والكافُ مفعولٌ به، والعائدُ إلى اسمِ الشَّرطِ محذوفٌ، والتَّقديرُ: فأيَّتهنَّ ما أجابوك إليه فاقبَلْ منهم وكُفَّ عنهم، فلا تقاتلْهُم.

قولُهُ: «ثُمَّ ادعُهُمْ» «ثُمَّ» زائدةٌ كما في روايةِ أبي داودَ، ولأنَّه ليس لها معنىً، ويمكنُ أن يُقالَ: إنَّها ليسَتْ من كلامِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم بل مِن كلامِ الرَّاوي، على تقديرِ:(ثُمَّ قالَ ادعُهُم).

وقولُه: (إلى الإسلامِ) أي: المتضمِّنِ للإيمانِ؛ لأنَّه إذا أُفرِدَ شَمِلَ الإيمانَ، وإذا اجتمعا افترَقَا كمَا فرَّقَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ بينَهما في حديثِ جبريلَ.

والإيمانُ عند أهلِ السُّنَّةِ تدخُلُ فيه الأعمالُ، قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم: «الإيمانُ بضعٌ وسَبْعونَ شُعْبَةً، أعْلاها قَوْلُ لا إلهَ إلاّ اللهُ، وأَدْناها إمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإيمانِ».

فإن أجابوا للإسلامِ فهذا ما يريدُهُ المسلمون، فلا يحِلُّ لنا أنْ نُقَاتِلَهُم ولهذا قال النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيْه وسَلَّمَ: «فَاقْبَلْ منْهم».

قولُه: (ثُمَّ ادْعُهُم إلى التَّحوُّلِ مِنْ دارِهِم إلى دارِ الْمُهاجرِينَ) هذه الجملةُ تشيرُ إلى أنَّ الَّذين قُوتلوا أهلُ باديةٍ فإذا أسْلَمُوا طَلَبَ منهم أن يتحوَّلوا إلى ديارِ المهاجرين ليتعلَّمُوا دينَ اللهِ؛ لأنَّ الإنسانَ في باديتِه بعيدٌ عن العلمِ، قالَ تعالَى: {الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ} وهذا أصلٌ في تَوْطينِ البَوادي.

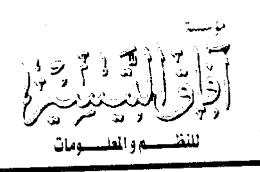
وقولُه: (إلى دارِ الْمُهاجِرِينَ) يحتمِلُ أنَّ المرادَ بها العينُ، أي: المدينةُ، ويحتملُ أنَّ المرادَ بها الجنسُ، أي: الدَّارُ الَّتي تصلُحُ أن يُهاجَرَ إليها لكونِهَا بلدَ إسلامٍ، سواءٌ كانَت المدينةَ النبويَّةَ أو غيرَهَا.

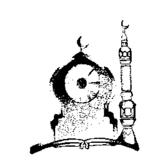
ويُقوِّي الاحتمالَ الثَّانيَ -وهو أنَّ المرادَ بها الجنسُ- أنه لو كانَ المرادُ المدينةَ لكانَ الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم يعبِّرُ عنها باسمِهَا، ولا يأتي بالوصفِ العامِّ.

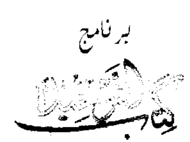
ويُقوِّي الاحتمالَ الأوَّلَ أنَّ دارَ المهاجرين الأولى هي المدينةُ، والظَّاهرُ الاحتمالُ الثَّاني.

قولُه: (فَلَهُمْ مَا لِلمُهاجِرِينَ، وعَلَيهِم مَا عَلَى الْمُهاجِرِينَ) وهذا تمامُ العدلِ، ولا يُقالُ: إنَّ الحقَّ لصاحبِ البلدِ الأصليِّ، فلهم ما للمهاجرين من الغنيمةِ والفيءِ، وعليهم ما عليهم من الجهادِ والنُّصرةِ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠







قوله: (**وَلا يَكُونُ لَهُمْ فِي الغَنِيمَةِ وَالفَيْءِ شَيءٌ إلا أَنْ يُجَاهِدوا مَعَ الْمُسلمينَ**) يعني: إذا لم يتحوَّلوا إلى دارِ المهاجرين فليسَ لهم في الغنيمةِ من شيءٍ، **والغنيمةُ**: ما أُخذَ من أموالِ الكفَّارِ بقتالٍ أو ما أُلحِقَ به، والفيءُ ما يُصْرَفُ لبيتِ المالِ، كخُمُسِ خُمُسِ الغنيمة، والجزية، والخَراجِ، وغيرِها.

وقولُه: (**إلاّ أَنْ يُجَاهِدوا مَعَ الْمُسلمينَ**) يفيدُ أنَّهم إنْ جاهدوا مع المسلمين استحقُّوا من الغنيمةِ ما يستحقُّه غيرُهم.

وأمَّا الفيءُ فاختلفَ أهلُ العلمِ في ذلك:

فعندَ الإمامِ أحمدَ لهم حقٌّ في الفيءِ مطلقاً، ولهم حقٌّ في الغنيمةِ إن جاهدوا.

وقيلَ: لا حقَّ لهم في الفيءِ، إنَّما الفيءُ يكونُ لأهلِ البلدانِ بدليلِ الاستثناءِ، **فهو عائدٌ على الغنيمةِ**؛ إذْ ليسَ مَنْ في البلدِ يُستَنْفَرُ للجهادِ ويَتعَلَّمُ الدِّينَ ويَنْشُرُهُ كأعرابيٍّ عند إبلِه.

فـــإذا أسلموا فلهم ثلاثُ مراتبَ:

الأولى: التَّحوُّلُ إلى دارِ المهاجرين، وحينئذٍ يكونُ لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين.

الثانية: البقاءُ في أماكنِهم معَ الجهادِ فلهم مَا للمُجاهدين من الغنيمة، وفي الفيءِ الخلافُ.

الثالثة: البقاءُ في أماكنِهم معَ تركِ الجهادِ، فليسَ لهم من الغنيمةِ والفيءِ شيءٌ.

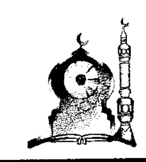
قولُه: (**فإنْ هُم أبَوا**) (هم) عندَ البصريِّينَ توكيدٌ للفاعلِ المحذوفِ مع فعلِ الشّرطِ، والتَّقديرُ: فإن أَبَوْا هُمْ، وعندَ الكوفيِّين: مبتدأٌ خبرُهُ الجملةُ بعدَهُ.

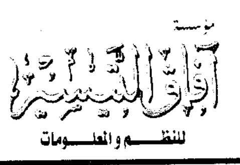
والقاعدةُ عندَنا إذا اختلفَ النَّحويُّون في مسألةٍ: أن نتَّبعَ الأسهلَ، والأسهلُ -هنا- إعرابُ الكوفيِّين.

قولُه: (**فاسأَلْهُمُ الجِزْيَةَ**) سؤالَ عطاءٍ لا سؤالَ استفهامٍ، **والفرقُ بينَ سؤالِ الاستفهامِ وسؤالِ العطاءِ** أنَّ سؤالَ الاستفهامِ يتعدَّى بــ (عن)، قال اللهُ تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ وقد يكونُ المفعولُ الثاني جملةً استفهاميَّةً؛ كقولِه تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ وأمَّا سؤالُ الإعطاءِ فيتعدَّى إليه بنفسه، كقولِك: سألتُ زيداً كتاباً.

قولُه: (**الجِزْيَة**) (فِعْلَةٌ) من (جَزَى، يَجزي) وظاهرٌ فيها أنَّها مكافأةٌ على شيءٍ، وهي: عبارةٌ عن مالٍ مدفوعٍ من غيرِ المسلمِ عوضاً عن حمايته وإقامته بدارِنا.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٣٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





والذِّميُّ معصومٌ مالُهُ ودمُهُ وذريَّتُهُ مقابلَ الجزية، قالَ تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أيْ: يسلِّموها بأيديهم، لا يُقبَلُ أن يُرسِلَ بها خادمَهُ أو ابنَهُ، بل لا بدَّ أن يأتيَ بها هو.

وقيلَ: ﴿عَنْ يَدٍ﴾ عن قوَّةٍ منكم، والصَّحيحُ أنَّها شاملةٌ للمعنيين.

وقيلَ: ﴿عَنْ يَدٍ﴾ أنْ يعطيَكَ إيَّاه فتأخذَها بقوَّةٍ بأن تجرَّ يدَهُ حتَّى يتبيَّنَ له قوَّتُك، وهذا لا حاجةَ إليه.

وقولُه: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أيْ: يجبُ أن يتَّصفوا بالذُّلِّ والهَوانِ عندَ إعطائِها، فلا يُعْطُوها بأُبَّهةٍ وتَرَفُّعٍ مع خدمٍ وموكبٍ ونحوِ ذلك، وجعلَ بعضُ العلماءِ من صَغارِهم أن يُطالَ وقوفُهُم عندَ تَسلُّمِها منهم.

قولُه: (**فاستَعِنْ باللهِ وقاتِلْهُم**) بَدَأَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم بطلبِ العونِ من اللهِ؛ لأنَّه إذا لم يُعِنْكَ في جهادِ أعدائِه فإنَّك مخذولٌ، والجملةُ جوابُ الشرطِ.

قولُه: (**وإذا حاصَرْتَ أهْلَ حِصْنٍ فأرادوكَ**) **الحصرُ**: التَّضييقُ، أيْ: طوَّقتَهُم وضيَّقْتَ عليهم بحيثُ لا يخرجون من حصنِهِم ولا يدخلُ عليهم أحدٌ.

والحصنُ: كلُّ ما يُتحَصَّنُ به من قصورٍ، أو أحواشٍ وغيرِها.

قولُه: (**أرادوكَ**) أي: طلَبوك، وضمَّنَ الإرادةَ معنى الطلَبِ، وإلا فإنَّ الأصلَ أن تتعدَّى بـــ(مِنْ) فيُقالُ: أرادوا منْكَ.

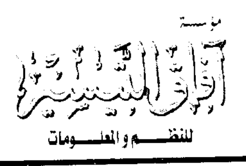
قولُه: (**فلا تَجعَلْ لهُم ذِمَّةَ اللهِ وذمَّةَ نبيِّه**) **الذِّمَّةُ: العهدُ**، فإذا قالَ أهلُ الحصنِ المحاصَرُون: نريدُ أنْ نتزلَ على عهدِ اللهِ ورسولِه، فإنَّه لا يجوزُ أن يُنْزِلَهُم على عهدِ اللهِ ورسولِه، وعلَّلَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم ذلك بقولِه: «**فإنَّكم أنْ تُخفِروا ذِمَمَكُم وذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ..**».

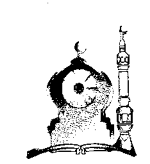
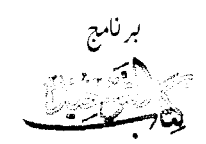
قولُه: (**أَهْوَنُ مِنْ أنْ تُخفِروا ذِمَّةَ اللهِ وذِمَّةَ نبيِّه**) لأنَّ الغدرَ بذمَّةِ اللهِ وذمَّةِ نبيِّه أعظم.

وقولُه: (**أَهْوَنُ**) **من بابِ اسمِ التَّفضيلِ الَّذي ليس في الْمُفضَّلِ ولا في المفضَّلِ عليه شيءٌ من هذا المعنى**؛ لأنَّ قولَهُ: (أَهْوَنُ) يقتضي اشتراكَ المفضَّلِ والمفضَّلِ عليه بالهونِ، والأمرُ ليس كذلك؛ لأنَّ إخفارَ الذِّممِ سواءٌ كان لذمَّةِ اللهِ وذمَّةِ رسولِه، أو ذمَّةِ المجاهدين ، كلُّهُ ليس بهيِّنٍ، بل هو صعبٌ، لكنَّ الهونَ هنا نسبيٌّ وليسَ على حقيقتِه.

فهنا أرادوا أنْ يَنْزِلُوا على العهدِ بدونِ أن يُحكَمَ عليهم بشيءٍ بل يُعاهَدون على حمايةِ أموالِهِم وأنفسِهِم ونسائِهم وذريَّتِهم فنعطيهم ذلك.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١١١١ - ص.ب: ١١٤٤٦
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



وقولُه: **(وإذا حَاصَرْتَ)** أي: ضَرَبْتَ حِصَاراً.. بِمَنْعِهِم مِن الخروجِ مِن مكانِهِم.

(أَهْلَ الْحِصْنِ) أهلَ بلدٍ أو مكانٍ يتحصَّنون به.

(فأرادوك) طلبُوا مِنْكَ.

(حُكْمَ اللهِ) أيْ: شرعَ اللهِ.

قولُه: **(ولَكِن أَنزِلْهم على حُكْمِكَ)** فإذا أرادوا أن يَنْزِلوا على حكمِ اللهِ وحكمِ رسولِه، فإنَّهم لا يُجابون؛ فإنَّا لا ندري أنصيبُ فيهم حكمَ اللهِ أم لا؟

وقال: **(أَنزِلْهم على حُكْمِكَ)** ولم يقُلْ: وحكمِ أصحابِكَ؛ لأنَّ الحكمَ في الجيشِ أو السَّرِيَّةِ للأميرِ، وأمَّا **الذِّمَّةُ والعهدُ** فهي من الجميعِ، فلا يحلُّ لواحدٍ من الجيشِ أن ينقُضَ العهدَ.

وقولُه: **(لا تَدري)** أيْ: لاَ تعلَمُ أتصيبُ فيهم حكمَ اللهِ أم لا؟ وذلك لأنَّ الإنسانَ قد يخطِئُ حكمَ اللهِ تعالى.

(٤) فِيهِ مَسَائِلُ:

الأولى: (الفرقُ بينَ ذمَّةِ اللهِ وذمَّةِ نبيِّه، وذمَّةِ المسلمينَ) لو قالَ: الفرقُ بين ذمَّةِ اللهِ وذمَّةِ نبيِّه وبين ذمَّةِ المسلمين لكان أوضحَ؛ لأنَّكَ عندما تَقرَأُ كلامَهُ تَظنُّ أنَّ الفروقَ بينَ الثَّلاثةِ كلِّها، وليس كذلك فإنَّ ذمَّةَ اللهِ وذمَّةَ نبيِّه واحدةٌ، وإنَّما الفرقُ بينَهما، وبينَ ذمَّةِ المسلمين.

والفرقُ أنَّه جَعلَ ذمَّةَ اللهِ وذمَّةَ نبيِّه للمُحاصَرين مُحرَّمةً، جعَل ذمَّةَ المحاصِرين -بكسر الصاد- ذمَّةً جائزةً.

(٥) الثانيةُ: (الإرشادُ إلى أقلِّ الأمرينِ خطراً) لقولِه: «**ولَكِن اجْعَلْ لهم ذمَّتَكَ وذمَّةَ أصْحَابِكَ..**» إلخ، وهذه قاعدةٌ مهمَّةٌ، وتُقالُ على وجهٍ آخرَ وهو: ارتكابُ أدنى المَفْسَدَتَيْنِ لدفعِ أعلاهما، وقد دلَّ عليها الشَّرعُ، قالَ تعالى: **{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}** فسبُّ آلهةِ المشركين مطلوبٌ، لكن إذا تضمَّنَ سبَّ اللهِ -عزَّ وجلَّ- صار منهيّاً عنه؛ لأنَّ سبَّ اللهِ أعظمُ من السُّكوتِ عن سبِّ آلهتِهم، وإن كانَ في هذا السُّكوتِ شيءٌ من المفسَدَةِ، ولكن نَسكُتُ؛ لئلاَّ نَقعَ في مفسدةٍ أعظمَ، وأيضاً العقلُ دلَّ عليها.

وفيه **قاعدةٌ مقابلةٌ وهي: جلبُ أعلى المصلحتين بتركِ أدناهما**، فإذا اجتمعَتْ مصلحتان فخُذْ بأعلاهما، وإذا اجتمعَتْ مفسدتان فخذْ بأدناهما.

(٦) الثَّالثةُ: قولُهُ: «**اغزوا بسْمِ اللهِ في سَبيلِ اللهِ**» يُستفادُ منها وجوبُ الغزوِ مع الاستعانةِ باللهِ والإخلاصِ،

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

والتَّمشِّي على شرعه.

(٧) **الرَّابعةُ:** قولُهُ: «**قاتِلُوا مَنْ كَفَرَ باللهِ**» يُستفادُ منها وجوبُ قتالِ الكفَّارِ، وأنَّ علَّةَ قتالِهم الكفرُ، وليس المعنى أنَّه لا يُقاتَلُ إلا مَن كفرَ، بل الكفرُ سببٌ للقتالِ، فمَن منعَ الزَّكاةَ يُقاتَلُ، وإذا تركَ أهلُ بلدٍ صلاةَ العيدِ قُوتِلوا وكذا الأذانُ والإقامةُ، مع أنَّهم لا يَكْفُرون بذلك.

وإذا اقتتلت طائفتان وأَبَتْ إحداهُمَا أن تَفيءَ إلى أمرِ اللهِ قُوتِلوا، فالقتالُ له أسبابٌ متعدِّدةٌ غيرُ الكفرِ.

(٨) **الخامسةُ:** قولُهُ: «**استَعِنْ باللهِ وقاتِلْهُمْ**» يفيدُ وجوبَ الاستعانةِ باللهِ، وأنْ لا يَعْتَمِدَ الإنسانُ على حَوْلِه وقُوَّتِه.

(٩) **السَّادسةُ:** (**الفرْقُ بينَ حُكْمِ اللهِ**) وحُكمِ العلماءِ:

وفيه فرقان:

الأول: أنَّ حكمَ اللهِ مصيبٌ بلا شكٍّ، وحكمَ العلماءِ قد يُصيبُ وقد لا يُصيبُ.

الثاني: تنزيلُ أهلِ الحصنِ على حكمِ اللهِ ممنوعٌ، إمَّا في عهدِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ فقطْ أَوْ مُطلَقاً، وأمَّا على حكمِ العلماءِ ونحوِه فهو جائزٌ.

(١٠) **السابعةُ:** في كونِ الصَّحابِيِّ يَحْكُمُ عندَ الحاجةِ بحكمٍ لا يَدْرِي أَيُوافِقُ حكمَ اللهِ أم لا؟ وهذا ليسَ خاصّاً بالصَّحابةِ، بل حتَّى مَنْ بعدَهُم؛ فإنَّ له أن يَحْكُمَ بما يَرَى أنَّه حكمُ اللهِ عندَ الحاجةِ.

***

باب ما جاء في الإقسام على الله

(١١) قال ابن قاسم في حاشيته على (كتاب التوحيد) (ص:٣٨٨) : (**أي: ذكر ما جاء من الأدلة الدالة على تحريم الحلف على الله، إذا كان على جهة الحجر على الله والقطع بحصول المُقْسَم على حصوله، وهو التألي.**

فأما إن كان على جهة حسن الظن بالله فقد قال صلى الله عليه وسلم: (إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره)) .

والإقسامُ: مصدرُ أَقْسَمَ يُقْسِمُ إذا حَلَفَ.

والحَلِفُ له عدَّةُ أسماءٍ هي: يَمينٌ، وأَلْيةٌ، وحَلِفٌ، وقَسَمٌ، وكلُّها بمعنًى واحدٍ.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ – ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

- قالَ تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}.
- وقالَ تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ}.
- وقالَ تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} أيْ: لا أحْلفُ.
- وقالَ: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ} أي: يَحْلفون.
- وقالَ: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ}.
- وقولُه تعالى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ}.

واختلفَ أهلُ العلمِ في (لا) في قولِه: {لَا أُقْسِمُ} فقيلَ: **إنَّها نافيةٌ على الأصلِ وإنَّ معنى الكلامِ: لا أقسمُ بهذا الشَّيءِ على الْمُقْسَمِ به**؛ لأنَّ الأمرَ أوضحُ من أن يحتاجَ إلى قسَمٍ، وهذا فيه تكلُّفٌ؛ لأنَّ مَن قرأَ الآيةَ عرَفَ أنَّ مدلولَها الإثباتُ لا النَّفيُ.

وقيلَ: إنَّ (لا) زائدةٌ والتَّقديرُ أُقسِمُ.

وقيلَ: إنَّ (لا) للتَّنبيه.

وهذا بمعنى الثَّاني؛ لأنَّها من حيثُ الإعرابُ زائدةٌ.

وقيلَ: إنَّها نافيةٌ لشيءٍ مقدَّرٍ، أي: لا صحَّةَ لما تَزْعُمُون من انتفاءِ البعثِ، وهذا كما في قولِه تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} فيه شيءٌ من التّكلُّفِ، والصَّوابُ أنَّها زائدةٌ للتَّنبيه.

والإقسامُ على اللهِ: أن تحلفَ على اللهِ أن يفعَلَ، أو تحلفَ عليه أن لا يفعلَ، مثلَ: واللهِ ليَفْعَلَنَّ اللهُ كذا، أو واللهِ لا يفعلُ اللهُ كذا.

والقسَمُ على اللهِ ينقسمُ إلى أقسامٍ:

الأوَّلُ: أن يُقْسِمَ بما أخبرَ اللهُ به ورسولُهُ من نفيٍ أو إثباتٍ، فهذا لا بأسَ به، وهذا دليلٌ على يقينِه بما أخبر اللهُ به ورسولُهُ مثلَ: واللهِ لَيُشفِّعَنَّ اللهُ نبيَّهُ في الخلقِ يومَ القيامةِ، ومثلَ: واللهِ لا يغفرُ اللهُ لمن أشركَ به.

الثَّاني: أن يُقسِمَ على ربِّه لقوَّةِ رجائه وحسنِ الظَّنِّ بربِّه، فهذا جائزٌ لإقرارِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم ذلك في

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٦١٢ - ص.ب: ٣٦١٢٤٦
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٣٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

قصَّةِ الرُّبَيِّع بنت النَّضرِ عمَّة أنسِ بنِ مالكٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهما، **حينما كَسَرَتْ ثَنِيَّةً لجَارِيةٍ مِنَ الأنْصار، فاحْتَكموا إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ، فَأَمَرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم بالقِصاصِ، فعَرَضوا عَلَيهم الصُّلْحَ فأبَوْا، فقامَ أنسُ بنُ النَّضرِ.**

فقال: أتُكسَرُ ثنيَّةُ الرُّبَيِّع؟

واللهِ يا رَسُولَ اللهِ لا تُكْسَرُ ثنيَّةُ الرُّبَيِّع.

وهو لا يُريدُ به رَدَّ الْحُكْمِ الشَّرعيِّ.

فقالَ الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: «يا أنَسُ كتابُ اللهِ القِصاصُ».

يعني: السِّنَّ بالسِّنِّ، قال: واللهِ لا تُكسَرُ ثنيَّةُ الرُّبَيِّعِ، وغرضُهُ بذلك أنَّه لقوَّة ما عندَه من التَّصميمِ على أن لا تُكْسَرَ، ولو بذَلَ كلَّ غالٍ ورخيصٍ، أقسمَ على ذلك.

فلمَّا عرفوا أنَّه مصمِّمٌ ألْقَى اللهُ في قلوبِ الأنصارِ العفوَ، فعفَوْا، فقال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم: **«إنَّ منْ عبادِ اللهِ مَنْ لَوْ أقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّه»** فهو لقوَّةِ رجائِه باللهِ وحُسْنِ ظنِّه أقسَمَ على اللهِ أنْ لا تُكْسَرَ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ، فألْقى اللهُ العفوَ في قلوبِ هؤلاء الَّذين صمَّمُوا أمامَ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ على القصاصِ فعفَوا، وأخذوا الأَرْشَ.

فثناءُ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ عليه شهادةٌ بأنَّ الرَّجُلَ من عبادِ الله، وأنَّ اللهَ أبرَّ قسمَهُ، وليَّنَ له هذه القلوبَ، وكيف لا وهو الَّذي قال بأنَّه يَجِدُ ريحَ الجنَّةِ دونَ أُحُدٍ، ولما استُشْهِدَ وُجِدَ به بضعةٌ وثمانون ما بينَ ضربةٍ بسيفٍ أو رمحٍ.

وقيل: إنَّه لم يُعْرِفْهُ إلا أُختُه ببَنَانه وهي الرُّبَيِّعُ هذه، رضيَ اللهُ عن الجميعِ وعنَّا معَهُم.

ويدلُّ أيضاً لهذا القسمِ قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ: **«رُبَّ أشْعَثَ أغْبَرَ مَدْفوعٍ بالأبوابِ لَوْ أقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ».**

القسمُ الثَّالثُ: أنْ يكونَ الحاملُ له هو الإعجابَ بالنَّفسِ، وتحجُّرَ فضلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وسوءَ الظَّنِّ به تعالَى، فهذا محرَّمٌ، وهو وشيكٌ بأن يُحبطَ اللهُ عملَ هذا الْمُقْسِمِ، وهذا القِسْمُ هو الَّذي ساقَ المؤلِّفُ الحديثَ من أجله.

ومناسبةُ التَّرجمةِ لكتابِ التَّوحيدِ:

أنَّ مَنْ تَألَّى على اللهِ -عزَّ وجلَّ- فقد أساءَ الأدبَ معه وتحجَّر فضلَهُ، وأساءَ الظنَّ به، وكلُّ هذا يُنافي كمالَ التَّوحيدِ، وربَّما ينافي أصلَ التَّوحيد، فَالتَّألِّي على مَن هو عظيمٌ يُعْتَبَرُ تَنَقُّصاً في حقِّه.

(١٢) قولُه: (**قَالَ رَجُلٌ- يحتَملُ أنْ يكونَ الرَّجُلَ الذي ذُكِرَ في حديثِ أبي هريرةَ الآتي أو غيرَه -: واللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لفُلانٍ**) هذا يدلُّ على اليأسِ من رَوْحِ اللهِ، واحتقارِ عبادِ اللهِ عندَ هذا القائلِ، وإعجابِه بنفسِه.

والمغفرةُ: سترُ الذنبِ والتجاوزُ عنه، مأخوذةٌ من المِغْفَرِ الَّذي يُغطَّى به الرَّأسُ عندَ الحربِ، وفيه وِقَايةٌ وسَتْرٌ.

قولُه: (**مَنْ ذَا الَّذي يتَألَّى عليَّ أنْ لا أغفِرَ لفُلانٍ؟**) (مَنْ) اسمُ استفهامٍ مبتدأٌ (ذا) ملغاةٌ، (الَّذي) اسمٌ موصولٌ خبرُ مبتدأ (يتألَّى) يحلِفُ، أي: مَن ذا الَّذي يَتَحجَّرُ فَضْلِي ونِعْمتي أنْ لا أغفرَ لمن أساءَ من عبادي، والاستفهامُ للإنكارِ.

والحديثُ ورَد مبسوطاً في حديثِ أبي هريرةَ: **أنَّ هَذا الرَّجُلَ كانَ عَابِداً وله صاحبٌ مُسرفٌ عَلى نَفسِه، وكانَ يراهُ على المَعصيةِ فيقولُ: أَقْصِرْ، فوجدَه يوماً على ذنبٍ فقالَ: أَقْصِرْ، فقال: خَلِّني وربِّي أبُعثْتَ عَليَّ رَقِيبًا؟ فقال: واللهِ لا يغْفِرُ اللهُ لك**).

وهذا يَدُلُّ عَلى أنَّ المسرفَ عندَهُ حسنُ ظنٍّ باللهِ، ورجاءٌ له.

ولعلَّه كان يفعلُ الذَّنبَ ويتوبُ فيما بينَه وبينَ ربِّه؛ لأنَّه قالَ: خلِّني وربِّي.

والإنسانُ إذا فعل الذَّنبَ ثمَّ تاب توبةً نصوحاً ، ثمَّ غلبتْهُ عليه نفسُهُ مرَّةً أخرى فإنَّ توبتَهُ الأولى صحيحةٌ، فإذا تابَ ثانيةً فتوبتُهُ صحيحةٌ؛ لأنَّ من شروطِ التَّوبَةِ أن يَعْزِمَ أنْ لا يعودَ، وليس من شروطِ التَّوبة أنْ لا يعودَ.

وهذا الرَّجلُ الذي قد غفَرَ اللهُ له، إمَّا أن يكونَ قد وُجِدت منه أسبابُ المغفرةِ بالتَّوبة، أو أنَّ ذنبَهُ هذا كانَ دونَ الشِّركِ فَتفَضَّلَ اللهُ عليه فغفَرَ له، أمَّا لو كانَ شركاً وماتَ بدونِ توبَةٍ فإنَّه لا يُغْفَرُ له؛ لأنَّ اللهَ يقولُ: {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**}.

قولُه: (**وأحبطْتُ عَمَلَكَ**) ظاهرُ الإضافةِ في الحديثِ: أنَّ اللهَ أحبطَ عملَهُ كلَّهُ؛ لأنَّ المفردَ المضافَ الأصلُ فيه أن يكونَ عامًّا.

ووجهُ إحباطِ اللهِ عملَهُ على سبيلِ العمومِ -حسَبَ فهمِنَا والعلمُ عندَ اللهِ- أنَّ هذا الرَّجُلَ كان يتعبَّدُ للهِ وفي نفسِهِ إعجابٌ بعملِه، وإدلالٌ بما عمل على اللهِ ، كأنَّه يَمُنُّ على اللهِ بعملِه وحينئذٍ يفتقدُ رُكناً عظيماً من أركان

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١١١١ - ص.ب ١١٤٤٦
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

العبادةِ؛ لأنَّ العبادةَ مبنيَّةٌ على الذُّلِّ والخضوعِ، فلا بدَّ أن تكونَ عبداً لله -عزَّ وجلَّ- بما تعبَّدَكَ به وبما بلَغَكَ منْ كلامِه، وكثيرٌ من الَّذين يتعبَّدون لله بما تعبَّدَهم به قدْ لا يتعبَّدون بوحيه؛ لأنه قد يَصْعُبُ عليهم أنْ يَرْجعوا عن رأيِهم إذا تبيَّنَ لهم الخطأُ مِن كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِه صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم ويحرِّفون النُّصوصَ من أجله، والواجبُ أن تكونَ لله عبداً فيما بلَغَكَ من وحيِه بحيثُ تخضعُ له خضوعاً كاملاً حتَّى تُحقِّقَ العبوديَّةَ.

ويَحتمِلُ معنى «**أَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**» أي: عملَكَ الَّذي كنتَ تفتخرُ به على هذا الرَّجلِ، وهذا أهونُ؛ لأنَّ العملَ إذا حَصَلَتْ فيه إساءةٌ بطَلَ وحدَهُ دونَ غيرِه ، لكنَّ ظاهرَ حديثِ **أبي هريرةَ** يمنَعُ هذا الاحتمالَ؛ حيثُ جاءَ فيه أنَّ اللهَ تعالَى قالَ: «**اذهَبُوا به إلى النَّار**» .

ونظيرُ هذا ممَّا يحتملُ العمومَ والخصوصَ قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم في حديثِ **بَهْزِ بن حَكيمٍ**، عن أبيه، عن جدِّه، فيمَن مَنَعَ الزَّكاةَ: «**فإنَّا آخذوها وشَطْرَ مالِه عَزْمةً مِنْ عَزَماتِ ربِّنا**» فقولُه: «**وشَطْرَ مالِه**» هل المرادُ جميعُ مالِه، أو مالُهُ الَّذي منعَ زكاتَهُ؟ يحتملُ الأمريْنِ فمثلاً إذا كانَ عندَه عشرون من الإبلِ فزكاتُها أربعُ شياه ، فمنعَ الزَّكاةَ فهلْ نأخُذُ عَشراً من الإبلِ فقط مع الزكاةِ، أو إذا كانَ عندَه أموالٌ أخرى من بقرٍ وغنمٍ ونقودٍ نأخذُ نصفَ جميعِ ذلك مع الزكاة؟ اختُلف في ذلك:

فقيلَ: نأخُذُ نصْفَ مالِه الَّذي وقعتْ فيه المخالفةُ.

وقيلَ: نأخُذُ نصفَ جميعِ المالِ.

والرَّاجحُ: أنَّه راجعٌ إلى رأيِ الإمامِ حسَبَ المصلحةِ، فإن كان أخْذُ نصفِ المالِ كلِّه أبلغَ في الرَّدْعِ أخَذَ نصفَ المالِ كلِّه، وإلا أخَذَ نصْفَ المالِ الَّذي حصَلَتْ فيه المخالفةُ.

قولُه: (تكَلَّمَ بكَلِمَة) يعني قولَه: (**واللهِ، لا يغفرُ اللهُ لك**).

(**١٣**) قولُه: (**أوْبَقَتْ**) أي: أهلَكَتْ، ومنه حديثُ: «**اجْتَنبوا السَّبْعَ الْمُوبقَات**» أي: المهلكات.

قولُه: (**دُنياهُ وآخرتَهُ**) لأن مَن حبِطَ عملُه فقد خَسِرَ الدنيا والآخرةَ، أمَّا كونُها أوْبَقَتْ آخرتَهُ فالأمرُ ظاهرٌ؛ لأنَّه من أهلِ النَّارِ والعياذُ باللهِ، وأمَّا كونُهَا أوبقَتْ دنياه فلأنَّ دنيا الإنسانِ حقيقةً هي ما اكْتَسَبَ فيها عملاً صالحاً، وإلا فهي خَسارةٌ، قالَ تعالى: **{وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)} ومثالُ: {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} فمَن لم يُوفَّقْ للإيمانِ والعملِ الصَّالحِ فقد خَسِرَ دنياه حقيقةً؛ لأنَّ مآلَها للفناءِ، وكلُّ شيءٍ فانٍ كأنَّه لم يوجدْ، واعتبِرْ هذا بما حصلَ لك ممَّا سبَقَ تجدْهُ مرَّ عليك، وكأنَّه لم يكنْ وهذا من حكمةِ اللهِ -عزَّ وجلَّ-؛ لئلاَّ يَرْكَنَ إلى الدُّنيا.

وقولُه: (قالَ أبو هُرَيْرَةَ) يعني: في الحديثِ الَّذي أشارَ إليه المؤلِّفُ، -رحمَهُ اللهُ-.

(١٤) فيه مسائلُ:

الأولى: (التَّحذيرُ من التَّألِّي على اللهِ) لقولِه: «مَنْ ذَا الَّذي يتَأَلَّى عليَّ أنْ لا أغفِرَ لفلانٍ». وكونُهُ أحبَطَ عملَهُ بذلك.

(١٥) الثَّانيةُ: (كونُ النَّارِ أقربَ إلى أحَدِنا من شراكِ نَعْلِه).

(١٦) الثالثةُ: (أنْ الجنَّةَ مثلُ ذلكَ) هاتان المسألتان اللَّتان ذكَرَهما المؤلِّفُ تُؤْخذانِ من حبوطِ عملِ الْمُتألِّي، والمغفرةِ للمُسْرِفِ على نفسِه، ثمَّ أشارَ إلى حديثٍ رواه البُخاريُّ عن ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: «الجنَّةُ أقربُ إلى أحدِكُم من شِراكِ نعلِه والنَّارُ مثلُ ذلك» ويُقْصَدُ بهما تقريبُ الجنَّةِ أو النَّارِ، والشِّراكُ سَيْرُ النَّعلِ الَّذي يكونُ بينَ الإبهامِ والأصابعِ.

(١٧) الرابعةُ: فيه شاهدٌ لقولِه: «إنَّ الرَّجُلَ ليَتَكَلَّمُ بالكلمةِ.. إلى آخرِه» يشيرُ المؤلِّفُ إلى حديثِ: «إنَّ الرَّجُلَ ليَتَكَلَّمُ بالكلمةِ ما يَرَى أنْ تَبْلُغَ حيثُ بلغتْ يَهْوي بها في النَّارِ سبعينَ خريفاً» أو «أبعدَ مما بينَ المَشْرقِ والمغربِ» وهذا فيه الحذرُ من مَزَلَّةِ اللِّسانِ، فقد يُسبِّبُ الهلاكَ، ولهذا قالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «مَنْ يضْمَنْ لي ما بَيْنَ لَحْيَيْه وما بينَ رِجْلَيه أضْمَنْ لهُ الجنَّةَ».

وقال لمعاذٍ: «كُفَّ عليكَ هذا -يعني لسانَه- قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ: وإنَّا لمؤاخذونَ بما نتكلَّمُ به؟ قالَ: ثكلَتْكَ أمُّكَ يا معاذُ، وهل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وُجوهِهِم أو قالَ على مناخرِهِم إلا حصائدُ ألسنتِهم؟».

ولا سيَّما إذا كانَتْ هذه الزَّلَّةُ مِمَّن يُقتَدَى به، كما يحدُثُ من دعاةِ الضَّلالِ والعياذُ باللهِ فإنَّ عليه وِزْرَهُ وَوِزْرَ مَن تَبِعَه إلى يومِ القيامة.

(١٨) **الخامسةُ:** (**أنَّ الرَّجُلَ قدْ يُغفَرُ لَهُ بسببٍ هوَ مِنْ أكرَهِ الأمورِ إليه**) فإنَّه قد غُفِرَ له بسببِ هذا التَّأنيبِ، وهذه لم تَظْهَرْ لي من الحديثِ، ولعلَّها تُؤخذُ من قوله: «**قَدْ غَفَرْتُ لَهُ**».

ولا شكَّ أنَّ الإنسانَ قد يُغْفَرُ له بشيءٍ هو من أكرهِ الأمورِ إليه ، مثلَ الجهادِ في سبيلِ الله، قالَ تعالى: **{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ}**.

***

باب لا يُستشفع بالله على خلقه

(١٩) **اسْتَشْفَعَ** بالشَّيءِ أي: جعلَه شافعاً له، والشَّفاعةُ في الأصلِ: جعلُ الفردِ شَفْعاً، وهي التَّوسُّطُ للغيرِ بجلبِ منفعةٍ له، أو دفعِ مضرَّةٍ عنه.

ومناسبةُ البابِ لكتابِ التَّوحيدِ:

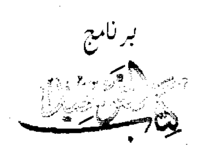
والاستشفاعُ باللهِ على خلقه تنقُّصٌ للهِ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّه جعَل مرتبةَ اللهِ أدْنَى من مرتبةِ المشفوعِ إليه؛ إذ لو كانَ أعلى مرتبةً ما احتاجَ أنْ يَشْفَعَ عندَه، بل يأمرُهُ أمراً، واللهُ - عزَّ وجلَّ- لا يَشْفَعُ لأحدٍ من خلقه إلى أحدٍ؛ لأنَّه أجلُّ وأعظمُ من أن يكونَ شافعاً، ولهذا أنكر النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ ذلك على الأعرابيِّ، وهذا وجهُ وضعِ هذا البابِ في كتابِ التَّوحيد.

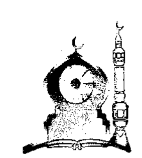
(٢٠) قولُه: (**أَعْرابِيٌّ**) واحدُ الأعرابِ، وهم: سُكَّانُ الباديَةِ، والغالبُ على الأعرابِ الجفاءُ؛ لأنَّهم أحْرَى أنْ لا يَعْلَموا حدودَ ما أنزلَ اللهُ.

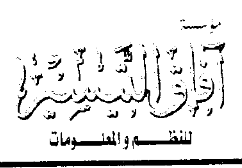
قولُه: (**نُهِكَتِ الأَنْفُسُ، وَجَاعَ العِيالُ، وهَلَكتِ الأَمْوالُ**) (**نُهِكَت**) أي: ضَعُفَتْ.

(**وجاعَ العيالُ وهلَكَت الأموالُ**) أي: من قلَّة المطرِ والخصبِ، فضعفُ الأنفسِ بسببِ ضعفِ القوَّةِ النَّفسيَّة

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com







والمعنويَّة الَّتي تحصلُ فيما إذا لم يكنْ هناك خصبٌ، وجاع العيالُ لقلَّة العيشِ، وهلَكَت الأموالُ؛ لأنَّها لم تجدْ ما ترعاه.

قولُه: (**فاسْتَسْقِ لَنا رَبَّكَ**) أي: اطْلُبْ من اللهِ أن يَسْقِيَنَا، وهذا لا بأسَ به؛ لأنَّ طلبَ الدُّعاءِ ممَّن تُرْجَى إجابتُهُ من وسائلِ إجابة الدُّعاء.

قولُه: «**نَسْتَشْفعُ باللهِ عَلَيكَ**» أي: نجعلُهُ واسطةً بينَنا وبينَك لتَدْعُوَ اللهَ لنا، وهذا يَقْتَضِي أنَّه جعَلَ مرتبةَ اللهِ في مرتبةِ أدنى من مرتبةِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ.

قولُه: (**ونَسْتَشْفعُ بِكَ عَلَى اللهِ**) أي: نطلبُ منك أن تكونَ شافعاً لنا عندَ اللهِ فتَدْعُوَ اللهَ لنا، وهذا صحيحٌ.

قولُه: (**سُبْحانَ اللهِ، سُبْحانَ اللهِ**) قاله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم استعظاماً لهذا القولِ، وإنكاراً له، وتنزيهاً للهِ -عزَّ وجلَّ- عمَّا لا يليقُ به مِن جعلِه شافعاً بينَ الخلقِ وبينَ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ.

والتَّسبيحُ: تنزيهُ اللهِ عمَّا لا يليقُ به من نقصٍ، أو عيبٍ، أو مماثلة للمخلوقِ، أو ما أشبهَ ذلك.

وإن شئتَ أدخلْ مماثلةَ المخلوقِ مع النَّقصِ والعيبِ؛ لأنَّ مماثلةَ النَّاقصِ نقصٌ، بل مقارنةَ الكاملِ بالنَّاقصِ تجعلُهُ ناقصاً، كما قال الشَّاعرُ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيفَ يَنقُصُ قَدْرُهُ ... إذا قيلَ إنَّ السَّيفَ أمضى مِنَ العَصا

قولُه: (**فما زالَ**) إذا دخلتْ (ما) على (زالَ) الَّتي مضارعُهَا يزالُ صار النَّفيُ إثباتاً مفيداً للاستمرارِ، كقولِه تعالى: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ..﴾ الآية، وكقولِه تعالى في المضارعِ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، وجملةُ (يُسبِّح) خبرُ (زال).

قولُه: (**حَتَّى عُرِفَ ذلكَ في وُجُوهِ أَصْحَابِه**) أي: عُرِف أَثَرُهُ في وجوهِ أصحابِه، وأنَّهم تأثَّروا بذلك؛ لأنَّهم عرَفُوا أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ لا يُسَبِّحُ في مثلِ هذا الموضعِ ولا يكرِّرُهُ إلا لأمرٍ عظيمٍ، **ووجهُ التَّسبيحِ -هنا- أنَّ الرَّجلَ ذكرَ جملةً فيها شيءٌ من التَّنقُّصِ للهِ تعالى فسبَّح النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ ربَّه تنزيهاً له عمَّا تُوهِمُهُ هذه الكلمةُ**، ولهذا إذا كانَ الرَّسولُ عَليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وأصحابُهُ في السَّفرِ إذا هبَطوا وادياً سبَّحوا تنزيهاً للهِ تعالى عن السُّفولِ الَّذي كانَ من صفاتِهم، وإذا علَوْا نَشَزاً كبَّروا تعظيماً للهِ عزَّ وجلَّ، وأنَّ اللهَ تعالى هو الَّذي له الكبرياءُ في السَّماواتِ والأرضِ.

قولُه: (وَيْحَكَ) (ويحَ) منصوبةٌ بعاملٍ محذوف، تقديرُهُ: أَلزَمَكَ اللهُ وَيْحَكَ. وتارةً تُضافُ فيُقالُ: ويْحَك، وتارةً تُقطَعُ عن الإضافةِ فيُقالُ: وَيْحاً لك، وتارةً تُرفَعُ على أنَّها مبتدأٌ فيُقالُ: ويحُه أو ويحٌ له، وهي و(ويلٌ)، و (وَيْشُ) كلُّها متقاربةٌ في المعنى.

ولكنَّ بعضَ علماءِ اللُّغة قال: إنَّ (ويح) كلمةُ تَرَحُّمٍ، و(ويل) كلمةُ وعيد.

فمعنى ويحك: **إنِّي أَتَرَحَّمُ لك وأَحِنُّ عليك**، ومنهم مَن قال: كلُّ هذه الكلمات تدلُّ على التَّحذيرِ، فعلى معنى أنَّ ويح بمعنى التَّرحُّمِ يكونُ قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ ترحُّماً لهذا الرَّجلِ الَّذي تكلَّمَ بهذا الكلامِ، كأنَّه لم يَعْرِفْ قَدْرَ الله.

قولُه: (**أَتَدْرِي ما اللهُ؟**) المرادُ بالاستفهامِ التَّعظيمُ، أي: شأنُ اللهِ عظيمٌ، ويحتملُ أنَّ المعنى: لا تَدْرِي ما اللهُ، بل أنت جاهلٌ به، فيكون المرادُ بالاستفهامِ النَّفيَ.

وقولُه: (**ما اللهُ**) جملةٌ استفهاميَّةٌ مُعلِّقةٌ لـــ (تدري) عن العملِ؛ لأنَّ دَرَى تَنْصِبُ مفعولين، لكنَّها تُعَلَّقُ بالاستفهامِ عن العملِ، وتكونُ الجملةُ في محلِّ نصب سدَّت مَسَدَّ مفعولي **تدري**.

قولُه: (**إنَّ شَأْنَ اللهِ أَعظمُ مِنْ ذلِكَ**) أي: إنَّ أمرَ اللهِ وعظمَتَه أعظمُ ممَّا تصوَّرْتَ حيثُ جئتَ بهذا اللفظ.

قولُه: (**إنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ عَلَى أحدٍ**) أي: لا يُطلبُ منه أن يكونَ شفيعاً إلى أحد؛ وذلك لكمالِ عظمته وكبريائِه، وهذا الحديثُ فيه ضعفٌ، ولكنَّ معناه صحيحٌ، وأنَّه لا يجوزُ لأحدٍ أن يقولَ: نَسْتَشْفِعُ باللهِ عليك.

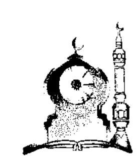
فإنْ قيلَ: أليس قد قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «**مَنْ سأَلَ باللهِ فأَعْطُوهُ**» وهذا دليلٌ على جوازِ السُّؤالِ باللهِ؛ إذْ لو لم يكن السُّؤالُ باللهِ جائزاً لم يكنْ إعطاءُ السَّائلِ واجباً؟

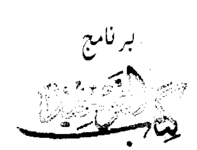
والجوابُ أن يُقالَ: إنَّ السُّؤالَ باللهِ لا يَقْتَضي أن تكونَ مرتبةُ المسؤول به أدنى من مرتبةِ المسؤول بخلافِ الاستشفاعِ، بل يدلُّ على أنَّ مرتبةَ المسؤولِ به عظيمةٌ بحيثُ إذا سُئِلَ به أُعْطِي.

على أنَّ بعضَ العلماءِ قالَ: «(**مَنْ سأَلَكُم باللهِ**» أي: مَن سأَلَكُم سؤالاً بمقتضى شريعةِ اللهِ فأَعْطُوه، وليس المعنى مَنْ قالَ: أسأَلُكَ باللهِ).

والمعنى الأوَّلُ أصحُّ، وقد ورَدَ مثلُهُ في قولِ الملَكِ: «**أَسْأَلُكَ بالَّذي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ**».

(٢١) **فيه مسائلُ:**





الأولى: (إنكارُهُ على مَنْ قالَ: «نَسْتَشْفِعُ باللهِ عَلَيكَ») تُؤخذُ من قولِه: «سُبْحانَ اللهِ، أَتَدْرِي ما اللهُ».

- وقولِهِ: «إنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ على أَحَدٍ مِنْ خلْقِه».

(٢٢) الثانية: (تَغَيُّرُه تَغَيُّراً عُرِفَ فِي وُجوهِ أَصْحابِه مِنْ هَذهِ الكَلِمَةِ) تُؤخذُ من قولِهِ: «فَمَا زالَ يسبِّحُ حتى عُرِفَ ذلك في وجوهِ أصحابِه» وكونُهُ يكرِّرُ سبحانَ اللهِ هذا يدلُّ على أنَّه تغيَّرَ حتَّى عُرِفَ في وجوهِ أصحابِهِ من هذه الكلمةِ، وهذا دليلٌ على أنَّ هذه الكلمةَ كلمةٌ عظيمةٌ مُنْكَرةٌ.

(٢٣) الثالثةُ: (أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: «نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ») لأنَّه قالَ: لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ على أحدٍ، فأنكرَ عليه ذلك وسكَتَ عن قولِه: «نستشفعُ بكَ على اللهِ» وهذا يدلُّ على جوازِ ذلك، وهنا قاعدةٌ وهي: إذا جاءَ في النصوصِ ذِكْرُ أشياءَ فأُنْكِرَ بعضُهَا وسُكِتَ عن بعضٍ دلَّ على أنَّ ما لم يُنْكَرْ فهو حقٌّ، مثالُ ذلك قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ فأنكرَ قولَهم: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ وسكَتَ عن قولِهم: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا﴾ فدلَّ على أنَّها حقٌّ، ومثلَها عددُ أصحابِ الكهفِ، حيثُ قالَ عن قولِ: ﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: ﴿رَجْماً بالغَيْبِ﴾ وسكَتَ عن قولِ: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

(٢٤) الرَّابعةُ: (التَّنبيهُ عَلَى تَفسيرِ سُبحانَ اللهِ) لأنَّ قولَه: «إنَّ شأْنَ اللهِ أعْظَمُ» دليلٌ على أنَّه منزَّهٌ عمَّا يُنافي تلك العظمةَ.

(٢٥) الخامِسَةُ: (أنَّ الْمُسْلمِينَ يَسْأَلُونَهُ الاسْتِسْقاءَ) وهذا في حالِ حياتِه، أمَّا بعدَ وفاتِه فلم يكونوا يَفْعَلُونه؛ لأنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ انقطَعَ عملُه بنفسِه وعبادتِه، ولهذا لَمَّا حصَلَ الجَدْبُ في عهدِ عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنه استَسْقَى بالعبَّاسِ فقالَ: (اللهُمَّ إنَّا كنَّا نَتَوسَّلُ إليكَ بنبيِّنا فتَسْقِينا، وإنَّا نتوسَّلُ إليكَ بعمِّ نبيِّنا فاسْقِنَا) وتوسُّلُهُم بالنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ بطلبِهم الدُّعاءَ منه، ولهذا جاءَ في بعضِ الرواياتِ أنَّ عمرَ كانَ يأمرُ العبَّاسَ فيقومُ فيدعو.

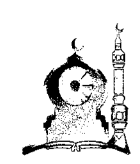
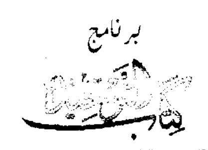
وبهذا نعرفُ أنَّ القصَّةَ المرويَّةَ عن الرَّجلِ العتبيِّ الَّذي كانَ جالساً عندَ قبرِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فجاءَ أعرابيٌّ، فقال: (السلامُ عليكم يا رسولَ الله) سَمعْتُ اللهَ يقولُ: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا} وإنِّي قدْ جئتُ مُستغفراً لذنبي، مُستَشفِعاً بكَ إلى ربِّي، ثمَّ أنشأَ يقولُ:

يا خيرَ مَنْ دُفنتْ بالقاعِ أعظُمُه ... فطابَ من طيبهنَّ القاعُ والأكَمُ

نَفْسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنُه ... فيه العفافُ وفيه الجُودُ والكرَمُ

ثمَّ انصرفَ، قالَ العتبيُّ: فغلبَتْني عينيَ، فرأيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في النَّومِ فقالَ: يا عتبيُّ، بشِّرِ الأعرابيَّ أنَّ اللهَ قد غفَرَ له.

فهذه الرِّوايةُ باطلةٌ لا صحَّةَ لها؛ لأنَّ صاحبَها مجهولٌ، وكذلك مَن رواها عنه مجهولون ولا يمكنُ أنْ تصحَّ؛ لأنَّ الآيةَ: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ} و لم يقلْ: إذا ظلموا، و (إذْ) لَما مضَى بخلافِ (إذا) والصَّحابةُ رَضيَ اللهُ عَنْهم لَمَّا لحقَهم الجدبُ في زمنِ عمرَ لم يَستَسْقُوا بالرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ، وإنَّما استَسْقَوا بالعبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ بدعائِه، وهو حاضرٌ فيهم.

تهذيب القول المفيد لفضيلة الشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي
الدرس الثامن والأربعون

(١) مناسبةُ البابِ للتَّوحيدِ:

لَمَّا تكلَّمَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ فيما مَضَى مِنْ كتابِه على إثباتِ التَّوحيدِ، وعلى ذِكْرِ ما يُنافيه أوْ يُنافي كمالَهُ، ذكرَ ما يَحْمي هذا التَّوحيدَ، وأنَّ الواجبَ سَدُّ طُرُقِ الشِّرْكِ مِنْ كلِّ وَجْهٍ حتَّى في الألفاظِ؛ ليكونَ خالصًا مِنْ كُلِّ شائِبَةٍ.

قال الشيخ ابن قاسم في حاشيته على (كتاب التوحيد) (ص:٣٩٣) : **(وحمايته حمى التوحيد : صونه عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص، وقد اشتمل هذا الكتاب مع اختصاره على ذلك أو أكثر، وعلى النهي عمَّا ينافي التوحيد أو يضعفه، يعرف ذلك من تدبره)** .

(٢) قولُهُ: (**انطَلَقْتُ في وَفْدِ بَني عامرٍ**) الظَّاهرُ أنَّ هذا الوفدَ قَدِمَ على النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ في العامِ التَّاسعِ؛ لأنَّ الوفودَ كَثُرَتْ في ذلكَ العامِ، ولذلكَ يُسمَّى عامَ الوفودِ.

قولُهُ: (**أَنْتَ سيِّدُنا**) السَّيِّدُ: ذُو السُّؤْدُدِ والشَّرفِ، و**السُّؤْدُدُ** معناهُ: العظَمَةُ والفخْرُ وما أشبهَهُ.

قولُهُ: (**السَّيِّدُ اللهُ**) لَمْ يَقُلْ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: سيِّدُكُم، كما هوَ مُتَوَقَّعٌ؛ حيثُ إنَّهُ رَدٌّ على قولِهِم: (**سيِّدُنا**) لوجْهَيْنِ:

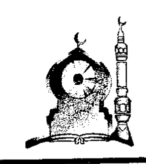
الوجهُ الأوَّلُ: إرادةُ العُمُومِ المستفادِ مِنْ (أَلْ)؛ لأنَّ (أَلْ) للعمومِ، والمعنى: أنَّ الَّذي لهُ السِّيادةُ المطلقَةُ هوَ اللهُ عزَّ وجلَّ، ولكنَّ السَّيِّدَ المضافَ يكونُ سَيِّدًا باعتبارِ المضافِ إليه، مِثْلَ: سيِّدِ بني فُلانٍ، سيِّدِ البَشَرِ، وما أشبهَ ذلكَ.

الوجهُ الثَّاني: لئَلاَّ يُتَوَهَّمَ أنَّهُ مِنْ جنسِ المضافِ إليه؛ لأنَّ سيِّدَ كلِّ شيءٍ مِنْ جنْسِه.

و (السَّيِّدُ) مِنْ أسماءِ اللهِ تعالى، وهيَ مِنْ معاني الصَّمَدِ، كما فسَّرَ ابنُ عبَّاسٍ الصَّمدَ بأنَّهُ الكاملُ في عِلْمِه وحِلْمِه وسُؤْدُدِه، وما أشبهَ ذلكَ.

ولَمْ ينْهَهُم صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ عنْ قولِهِم: (**أَنْتَ سيِّدُنا**)، بلْ أذِنَ لهم بذلكَ فقالَ: «**قُولُوا بقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ**» لكنْ نَهاهُمْ أنْ يَسْتَجْرِيَهُم الشيطانُ فيَتَرَقَّوْا من السِّيادةِ الخاصَّةِ إلى السِّيادةِ العامَّةِ المطلقةِ؛ لأنَّ (سَيِّدَنا) سيادةٌ خاصَّةٌ مُضَافَةٌ، و(السَّيِّدُ) سيادةٌ عامَّةٌ مُطْلَقةٌ غيرُ مضافةٍ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٦١١ - ص.ب: ٢٤٤٦٠٦
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



قولُهُ: (تَبَارَكَ) قالَ العلماءُ: (معنى تبارك: أي كثُرتْ بركاتُهُ وخيْراتُهُ) ولهذا يقولونَ: إنَّ هذا الفعلَ لا يُوصَفُ به إلاَّ اللهُ، فلا يُقالُ: تباركَ فلانٌ؛ لأنَّ هذا الوصفَ خاصٌّ باللهِ.

والبركةُ يَصِحُّ إضافتُهَا إلى الإنسانِ إذا كانَ أهلاً لذلكَ.

كما قالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حينَ نَزَلَتْ آيةُ التَّيمُّمِ بسببِ عِقْدِ عائشةَ الَّذي ضاعَ منها: (مَا هَذِه بأَوَّلِ بَرَكَتِكُم يا آلَ أبي بَكْرٍ).

قولُهُ: (وأفضَلُنا) أيْ: فَضْلُكَ أفضلُ مِنْ فَضلِنا.

قولُهُ: (وأعْظَمُنا طَوْلاً) أيْ: أعظمُنا شرَفًا وغِنًى، والطَّوْلُ: الغِنى، قالَ تعالى: { وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ }.

ويكونُ بمعنى العظَمةِ، قالَ تعالى: { غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ }، أيْ: ذي العظَمَةِ والغِنى.

قولُهُ: (قُولُوا بِقَوْلِكُم، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُم) الأمرُ للإباحَةِ والإذنِ كما سبَقَ.

وقولُهُ: (قُولُوا بِقَوْلِكُم) يعني: قوْلَهُم: أنتَ سيِّدُنا، أوْ أنتَ أفضلُنا، وما أشبهَ ذلكَ.

وقولُهُ: (أوْ بعْضِ قولِكُم) يحتَمِلُ أنْ يكونَ شكًّا مِن الرَّاوِي، أوْ أنْ يكونَ مِنْ لفظِ الحديثِ، أي: اقْتَصِرُوا على بعْضِه.

قولُهُ: (وَلاَ يَستَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ) استَجْرَاهُ بمعنى جَذَبَهُ وجعلَهُ يجري معهُ، أيْ: لا يَستَمِيلَنَّكُم الشَّيطانُ ويَجْذِبَنَّكُم إلى أنْ تقولوا قولاً مُنْكَرًا، فأرشدَهُم صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ إلى ما ينبغي أنْ يُفْعَلَ، ونهاهُم عن الأمرِ الَّذي لا ينبغي أن يُفْعَلَ؛ حمايةً للتَّوحيدِ من النَّقصِ أو النَّقضِ.

وقالَ في (النِّهايةِ): (لاَ يَستَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ) أيْ: لا يَستَغْلِبَنَّكُمْ فيتَّخذَكُم جَرِيًّا، أيْ: رسولاً ووكيلاً.

وعلى كلا التفسيرَيْنِ فمرادُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حمايةُ التوحيدِ وسدُّ كلِّ طريقٍ يُوصِلُ إلى الشِّركِ.

والحمايةُ من المنكرِ تَعْظُمُ كُلَّما كانَ المنكرُ أعظمَ وأكبرَ، أوْ كانَ الداعي إليه في النفوسِ أشدَّ؛ ولهذا تَجدُ أنَّ بابَ الشِّركِ حماهُ النَّبيُّ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ حمايةً بالغةً حتَّى سدَّ كلَّ طريقٍ يُمْكِنُ أنْ يكونَ ذريعةً إليه؛ لأنَّهُ أعظمُ الذنوبِ.

وأيضًا بابُ الزِّنا حُمِيَ حمايةً عظيمةً، حتَّى مُنعَت المرأةُ من التَّبرُّجِ وكشْفِ الوجهِ وخَلْوَتِها بالرَّجُلِ المُحَرَّمِ وما أشبهَ ذلكَ؛ لِئَلاَّ يكونَ ذلكَ ذريعةً إلى الزِّنا؛ لأنَّ النُّفوسَ تَطْلُبُهُ.

وفي بابِ الرِّبا أيضًا حُمِيَ الرِّبا بحمايةٍ عظيمةٍ، حتَّى إنَّ الرَّجلَ لَيُعْطِي الرَّجلَ صاعًا من البُرِّ بصاعَيْنِ قيمتُهُما واحدةٌ، ويكونُ ذلكَ ربًا مُحَرَّمًا، معَ أنَّهُ ليسَ فيه ظُلْمٌ.

فالشِّركُ قدْ يكونُ من الأمورِ الَّتي لا تدعو إليه النُّفوسُ كثيرًا، لكنَّهُ أعظمُ الظُّلمِ، فالشَّيطانُ يحرِصُ على أنْ يُوصِلَ ابنَ آدمَ إلى الشِّركِ بكلِّ وسيلةٍ، فحماهُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم حمايةً تامَّةً مُحْكمةً؛ حتَّى لا يدخلَ الإنسانُ فيهِ منْ حيثُ لا يشعرُ، وهذا هوَ معنى البابِ الَّذي ذكَرَهُ المؤلِّفُ.

تنبيهٌ:

جرَى شُرَّاحُ هذا الحديثِ على أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ نهاهُمْ عنْ قولِ: سيِّدُنا، فحاوَلُوا الجمعَ بينَ هذا الحديثِ وبينَ قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**» وقولِهِ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**» وقولِهِ في الرَّقيقِ: «**وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ**» بواحدٍ منْ ثلاثةِ أوْجُهٍ:

الأوَّلُ: أنَّ النَّهيَ على سبيلِ الكراهَةِ والأدبِ، والإباحةَ على سبيلِ الجوازِ.

الثَّاني: أنَّ النَّهيَ حيثُ يُخْشَى منهُ المفسدةُ، وهيَ التَّدرُّجُ إلى الغُلُوِّ، والإباحةَ إذا لم يكُنْ هناكَ مَحْذُورٌ.

الثَّالثُ: أنَّ النَّهيَ بالخطابِ، أيْ: أنْ تُخاطِبَ الغيرَ بقولِكَ: أنْتَ سيِّدي أوْ سيِّدُنا، بخلافِ الغائبِ؛ لأنَّ المخاطَبَ رُبَّما يكونُ في نفسِهِ عُجْبٌ وعُلوٌّ وتَرَفُّعٌ، ثُمَّ إنَّ فيهِ شيئًا آخرَ وهو خضوعُ هذا المتسيِّدِ لهُ وإذلالُ نفسِهِ لهُ بخلافِ ما إذا جاءَ من الغَيْرِ، مثلَ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**» أوْ على سبيلِ الغَيْبَةِ، كقولِ العبدِ: قالَ سيِّدي، ونحوَ ذلكَ.

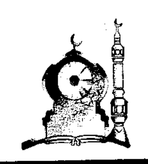
لكنَّ هذا يُرَدُّ عليه إباحتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ للرَّقيقِ أنْ يقولَ لمالكه: سيِّدي.

والَّذي يظهرُ لي أنْ لا تعارُضَ أصلاً؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أَذِنَ لهُمْ أنْ يقولوا بقولِهِم، لكنْ نهاهُم أنْ يَسْتَجْرِيَهُم الشيطانُ بالغُلُوِّ، مثلَ (السيِّد)؛ لأنَّ السَّيِّدَ المطلقَ هوَ اللهُ تعالى.

وعلى هذا يجوزُ أنْ يُقَالَ: سيِّدُنا، وسيِّدُ بني فلانٍ، ونحوُهُ، ولكنْ بشرطِ أنْ يكونَ المُوَجَّهُ إليه السِّيادةُ أهلاً لذلكَ، أمَّا إذا لم يكُنْ أهلاً كما لوْ كانَ فاسقًا أوْ زِنْديقًا فلا يُقالُ لهُ ذلكَ ، حتَّى ولوْ فُرِضَ أنَّهُ أعلى منْهُ مَرْتَبَةً

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠





أوْ جاهًا، وقدْ جاءَ في الحديثِ: «وَلَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ: سَيِّدٌ؛ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ ذَلِكَ أَغْضَبْتُمُ اللهَ» فإذا كانَ أهلاً لذلكَ وليسَ هناكَ محذورٌ، فلا بأسَ بهِ، وأمَّا إنْ خُشيَ المحذورُ أوْ كانَ غيرَ أهلٍ فلا يجوزُ، والْمَحذورُ هوَ الخشيةُ من الغلوِّ فيه.

(٣) قولُهُ: قالوا: **(يا رسولَ اللهِ)** هذا النِّداءُ مُوافِقٌ لقولِه تعالى: ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**﴾، أيْ: لا تُنَادُوهُ كما يُنَادي بعضُكُم بعضًا فتقُولُوا: يا **مُحَمَّدُ**، ولكنْ قولوا: يا رسولَ اللهِ، أوْ يا نبيَّ اللهِ.

وفي الآيةِ معنًى آخرُ: أيْ: إذا دَعاكُم الرَّسولُ فلا تجعلوا دُعاءَهُ إيَّاكُم كدُعَاءِ بعضِكُم بعضًا إنْ شئتُم أجبتُم وإنْ شِئتُمْ أبَيْتُمْ، فهوَ كقولِه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾، وعلى المعنى الأوَّلِ تكونُ (دُعاءِ) مضافةً إلى المفعولِ، وعلى الثَّاني تكونُ مضافةً إلى الفاعلِ.

قولُهُ: **(خيْرُنَا)** هذا صحيحٌ، فهوَ خيرُهُم نَسَبًا ومَقَامًا وحالاً.

قولُهُ: **(وابنُ خيرِنَا)** أيْ: في النسبِ، لا في المَقَامِ والحالِ، وكذلكَ يُقَالُ في قولِهِ: **(وابنُ سيِّدنا)**.

قولُهُ: **(قُولُوا بقَوْلِكُمْ)** سبقَ القولُ فيه.

قولُهُ: **(وَلاَ يَستَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ)** أيْ: لا يَستَميلَنَّكُم الشَّيطانُ فتَهْوَوْهُ وتَتَّبِعُوا طُرُقَهُ حتَّى يَبْلُغُوا الغُلُوَّ، ونظيرُهُ قولُهُ تعالَى: ﴿**كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ**﴾.

قولُهُ: (أَنَا **مُحَمَّدٌ** عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ) **(مُحَمَّدٌ)** اسْمُهُ العلَمُ، و**(عبدُ اللهِ ورسولُهُ)** وصفانِ لهُ، وهذانِ الوصفانِ أحسنُ وأبلغُ وصفٍ يتَّصفُ بهِ الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ؛ ولذلكَ وصفَهُ اللهُ تعالى بالعبوديَّةِ في أعظمِ المَقَامَاتِ، فوصفَهُ بها في مَقَامِ إنزالِ القرآنِ عليه، قالَ تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ**﴾ ووصَفَهُ بها في مقامِ الإسراءِ، قالَ تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا**﴾ ووصَفَهُ بها في مَقَامِ المعراجِ.

قالَ تعالى: ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾ ووصفَهُ بها في مَقَامِ الدِّفاعِ عنهُ والتحدِّي، قالَ تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا**﴾.

وكذلكَ: بالنِّسْبَةِ للأنبياءِ، كقولهِ تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ وهذهِ العُبُوديَّةُ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١١١ - ص.ب ١١٤٤٠
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

خاصةٌ، وهيَ أعلى أنواعِ الخاصةِ.

والعبوديَّةُ للهِ مِنْ أَجَلِّ أوصافِ الإنسانِ؛ لأنَّ الإنسانَ إمَّا أن يَعْبُدَ اللهَ أو الشَّيطانَ، قالَ تعالى: { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ }.

قالَ ابنُ القيِّمِ:

هَرَبُوا من الرِّقِّ الذي خُلِقُوا لهُ ... فَبُلُوا برِقِّ النَّفسِ والشَّيطانِ

وقالَ الشَّاعرُ:

لا تدعُني إلا بيا عَبْدَها ... فإنَّهُ أشرفُ أسمائي

(**ورَسُولُهُ**) أي: المُرْسَلُ منْ عنْدِهِ إلى جميعِ النَّاسِ، كما قالَ تعالى: { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا }.

ورسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم في قِمَّةِ الطَّبقاتِ الصَّالحةِ، قالَ تعالى: { وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } والنَّبيُّونَ فيهم الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ، بلْ هوَ أفضلُهُم.

ومنْ عبارةِ المؤلِّفِ رَحِمَهُ اللهُ في الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: (**عَبْدٌ لاَ يُعْبَدُ، ورَسُولٌ لا يُكَذَّبُ**).

وقدْ تَطرَّفَ في الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ طائفتانِ:

- **طائفةٌ غلَتْ فيه حتَّى عَبَدَتْهُ**، وأعدَّتْهُ للسَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، وصارَتْ تَعْبُدُهُ وتدْعُوهُ مِنْ دونِ اللهِ.
- **وطائفةٌ كذَّبَتْهُ** وزعَمَتْ أنَّهُ كاذبٌ ساحرٌ شاعرٌ مجنونٌ كاهنٌ، ونحوَ ذلكَ.

وفي قولِه: (**عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**) رَدٌّ على الطَّائفتَيْنِ.

قولُهُ: (**مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي**) (ما) نافيةٌ، و(أنْ) ومَا دَخَلَتْ عليه في تأويلِ مصدرٍ مفعولِ أُحِبُّ، أيْ: ما أُحِبُّ رفْعَتَكُم إيَّايَ فوقَ منزلتي، لا في الألفاظِ، ولا في الألقابِ، ولا في الأحوالِ.

قولُهُ: (**الَّتي أَنْزَلَنِيَ اللهُ**) يُستفادُ منهُ أنَّ اللهَ تعالى هوَ الَّذي يجعلُ الفضلَ في عبادِه، ويُنَزِّلُهُم منازلَهُم.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣٢٢ - ص.ب: ١١٤٤٦٦
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

فيهِ مسائلُ:

(٤) **الأولى:** (**تَحذيرُ النَّاسِ من الغُلوِّ**) تُؤْخَذُ مِنْ قولِه: «**لاَيَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**» ووجهُهُ: أنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ جعلَ هذا من استجراءِ الشَّيطانِ، والإنسانُ يَجبُ عليهِ أنْ يَحْذَرَ كلَّ ما كانَ منْ طُرُقِ الشَّيطانِ.

(٥) **الثانيةُ:** (**ما يَنْبَغي أنْ يقولَ مَنْ قِيلَ لَهُ: أنْتَ سيِّدُنا**) وتُؤْخَذُ منْ قولِهِ: «**السَّيِّدُ اللهُ**» فينبغي أنْ يقولَ مَنْ قيلَ لهُ ذلكَ: السَّيِّدُ اللهُ.

(٦) **الثَّالثةُ:** (**قولُهُ:** «**لاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**» مَعَ أنَّهم لَمْ يَقُولُوا إلاَّ الحَقَّ)، ظاهرُ كلامِ المؤلِّفِ أنَّ هذا من استجراءِ الشَّيطانِ، فهذه الكلمةُ يُحتَمَلُ أنَّ معناها أنَّ ما قُلْتُمْ من استجراءِ الشَّيطانِ.

ويُحْتَمَلُ أنَّ المعنى: قُولُوا هذا القولَ ، ولكنْ إيَّاكُمْ أنْ تَغْلُوا؛ فإنَّ هذا من استجراءِ الشَّيطانِ، وهذا ظاهرُ الحديثِ كما سَبَقَ.

(٧) **الرَّابعةُ:** قولُهُ: «**مَا أُحبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي**» أيْ: إنِّي أَكْرَهُ أنْ تَرْفَعُونِي فوقَ مَنْزِلَتِي وهيَ العبوديَّةُ والرِّسالةُ، ففيها تواضُعُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

(٨) قولُهُ: (**وَمَا قَدَرُوا**) الضَّميرُ يعودُ على المشركينَ، و(**قَدَرُوا**) عظَّمُوا، أيْ: ما عظَّمُوا اللهَ حقَّ تعظيمِه؛ حيثُ أشْرَكُوا به ما كانَ منْ مخلوقاتِه.

قولُهُ: (**وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) يُحتَمَلُ أن تكونَ الواوُ للحالِ، أيْ: ما قدَرُوا اللهَ حقَّ قدْرِه في هذه الحالِ.

ويُحْتَمَلُ أنْ تكونَ للاستئنافِ لبيانِ عظمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وهذا أقْوَى؛ لأنَّهُ يَعُمُّ هذه الحالَ وغيرَها.

والقَبْضَةُ هيَ ما يُقْبَضُ باليدِ، وليسَ المرادُ بها المُلْكَ كما قيلَ. نَعَمْ لوْ قالَ: والأرضُ في قَبْضَتِه، لكانَ تفسيرُهَا بالمُلْكِ مُحْتَمَلاً.

قولُهُ: (**جَمِيعًا**) حالٌ مِن (**الأرضُ**) فيشملُ بحارَهَا وأنهارَهَا وأشجارَهَا وكلَّ ما فيها، الأرضُ كلُّها جميعًا قَبْضَتُهُ يومَ القيامةِ، والسَّماواتُ على عِظَمِهَا وَسَعَتِها مَطْويَّاتٌ بيمينه.

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾.

قولُهُ: ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ هذا تنزيهٌ لهُ عنْ كلِّ نقصٍ وعَيْبٍ، ومِمَّا يُنَزَّهُ عنهُ هذه الأندادُ؛ ولهذا

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

قالَ: ﴿وَتَعَالَى﴾ أيْ: ترفَّعَ، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أيْ: عنْ كلِّ شركٍ يُشرِكُونَهُ بهِ، سواءٌ جعلوا الخالقَ كالمخلوقِ أو العكسَ.

(٩) قولُهُ: (حَبْرٌ) الحَبْرُ: هوَ العالمُ الكثيرُ العِلْمِ، والحَبرُ يُشَابهُ الْبَحْرَ في اشتقاقِ الحُرُوفِ، ولهذا كان العالمُ أحيانًا يُسمَّى بالحَبْرِ وأحيانًا بالبَحْرِ.

قولُهُ: (إِنَّا نَجِدُ) أيْ: في التَّوراة.

قولُهُ: (فَضَحِكَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ) ولولا ما بعْدَها لاحْتَمَلَتْ أنْ تكونَ إنكارًا؛ لأنَّ مَنْ حدَّثَكَ بحديثٍ لا تَطْمَئِنُّ إليهِ ضَحِكْتَ منهُ، لكنَّهُ قالَ: (تَصْدِيقًا لقَوْلِ الحَبْرِ) فكانَتْ إقرارًا لا غيرُ، ويدلُّ لذلكَ قولُهُ: ثُمَّ قرأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآيةَ، فهذا يدلُّ على أنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم أقرَّهُ واستشهدَ لقولِهِ بآيةٍ منْ كتابِ اللهِ، فَضَحِكُهُ واستشهادُهُ تقريرٌ لقولِ الحبْرِ، وسببُ الضَّحكِ هوَ سُرُورُهُ حيثُ جاءَ في القرآنِ ما يُصَدِّقُ ما وَجَدَهُ هذا الحَبْرُ في كُتُبِهِ؛ لأنَّهُ لا شكَّ أنَّهُ إذا جاءَ ما يُصَدِّقُ القرآنَ فإنَّ الرَّسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ سوفَ يُسَرُّ بهِ، وإنْ كانَ الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ يَعْلَمُ علمَ اليقينِ أنَّ القرآنَ منْ عِنْدِ اللهِ، لكنْ تَضَافُرُ البيِّناتِ ممَّا يُقَوِّي الشَّيءَ.

قولُهُ: (إِصْبَعٍ) واحدةُ الأصابعِ، وهيَ مُثَلَّثَةُ الأوَّلِ والثَّالثِ، ففيها تِسْعُ لُغَاتٍ، والعاشرُ أُصْبُوعٌ، وفي هذا يقولُ النَّاظمُ:

وهَمْزَ أَنْمُلَةٍ ثَلِّثْ وثَالِثَهُ التِّسْعُ في أُصْبُعٍ واخْتِمْ بأُصْبُوعِ

قولُهُ: (أنا الْمَلِكُ) هذهِ الجملةُ تفيدُ الحصرَ؛ لأنَّها اسميَّةٌ مُعَرَّفَةُ الجزئيْنِ، ففي ذلكَ اليومِ لا مُلْكَ لأحدٍ، قالَ تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ وكلُّ النَّاسِ، الملوكُ منْهُمْ والمملوكونَ على حدٍّ سواءٍ، يُحْشَرُونَ حُفاةً عراةً غُرْلاً، وبهذا يظهرُ ملكوتُ اللهِ عزَّ وجلَّ في ذلكَ اليومِ ظهورًا بَيِّنًا؛ لأنَّهُ سبحانَهُ يُنادي: لِمَنِ الْمُلْكُ اليومَ؟ فلا يُجيبُهُ أحدٌ، فيجيبُ نفسَهُ: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

وقولُهُ: (الْمَلِكُ) أيْ: ذُو السُّلطانِ، وليسَ مُجَرَّدَ المتصرِّفِ، بلْ هوَ المُتَصَرِّفُ فيما يَمْلِكُ على وجهِ السُّلطةِ والعلوِّ، وأمَّا (المَالِكُ) فَدُونَ ذلكَ؛ ولهذا يَمْتَدِحُ نفسَهُ تعالَى بأنَّهُ المَلِكُ.

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وقولُهُ تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فيها قراءتان: (مَلِكِ)، و(مَالِكِ)؛ ليتبيَّنَ بذلكَ أنَّهُ مَلِكٌ مَالِكٌ.

مِلْكُ اللهِ تعالى مُتضمِّنٌ لكمالِ السُّلطانِ والتَّدبيرِ والمُلْكِ، بخلافِ غيرِهِ؛ فإنَّ منْ مُلوكِ الدُّنيا مَنْ يكونُ مَلِكًا لا يَمْلِكُ التَّصرُّفَ، ومنهم المَالِكُ وليسَ بمَلِك.

قولُهُ: (**حتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ**) أيْ: ظهرَتْ، ونواجذُ جمعُ ناجذٍ، وهوَ أقصى الأضراسِ.

وهذا الضَّحِكُ من النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّم تقريرٌ لقولِ الحَبْرِ، ولهذا قالَ **ابنُ مسعودٍ**: (**تَصْدِيقًا لقولِ الحَبْرِ**) ولوْ كانَ مُنْكرًا ما ضحِكَ الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ ولا استشهدَ بالآيةِ، ولقالَ لهُ: كَذَبْتَ؛ كما كذَّبَ الَّذينَ ادَّعَوْا أنَّ الَّذي يَزْني لا يُرْجَمُ، ولكنَّهُ ضَحِكَ تصديقًا لقولِ الحبْرِ وسُرُورًا بأنَّ ما ذكرَهُ مُوافِقٌ لما جاءَ بهِ القرآنُ الَّذي أُوْحِيَ إلى **محمَّدٍ** صَلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ.

قولُهُ: (ثُمَّ قرأَ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ ﴾) الآيةَ، هذا معنى الآيةِ الَّتي لا تحتَمِلُ غيرَهُ، وأنَّ السَّماواتِ مَطْوِيَّاتٌ كطيِّ السِّجلِّ للكُتُبِ، بيمينه ، أيْ: يده تباركَ وتعالَى؛ لأنَّ ذلكَ تفسيرُهُ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ، وتفسيرُهُ في الدَّرجةِ الثَّانيةِ منْ حيثُ التَّرتيبُ، لكنَّهُ كالقرآنِ في الدرجةِ الأولى منْ حيثُ القبولُ والحُجَّةُ.

وأمَّا تفسيرُ أهلِ التَّحريفِ فيقولُ بعضُهُم: (**قَبْضَتُهُ**) أيْ: في قبضتِهِ ومِلْكِهِ وتصرُّفِهِ، وهوَ خطأٌ؛ لأنَّ المُلْكَ والتَّصرُّفَ كائنٌ يومَ القيامةِ وقبلَهُ.

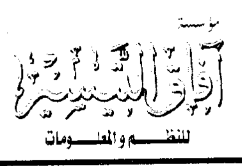
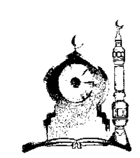
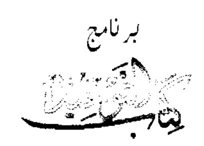
وقولُ بعضِهِم: (**السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ**) أيْ: تَالِفَةٌ وهالكةٌ، كما تقولُ: انْطَوَى ذِكرُ فُلانٍ، أيْ: زالَ ذِكرُهُ، و (بيمينِهِ)، أيْ: بِقَسَمِهِ؛ لأنَّهُ قالَ تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ فجعلوا المرادَ باليمينِ القسمَ، إلى غيرِ ذلكَ من التحريفاتِ الَّتي يلجأُ إليها أهلُ التَّحريفِ، وهذا لِظَنِّهِم الفاسدِ باللهِ؛ حيثُ زعموا أنَّ إثباتَ مثلِ هذهِ الصِّفاتِ يستلزمُ التَّمثيلَ، فصاروا ينكرونَ ما أثْبَتَهُ اللهُ لنفسِهِ، وما أثْبَتَهُ رسولُهُ وسلفُ الأمَّةِ بشبهاتٍ يَدَّعونَها حُجَجًا.

فيُقالُ لهمْ: هلْ أنْتُمْ أعلمُ باللهِ من اللهِ؟

إنْ قالُوا: نعمْ، كَفَرُوا.

وإنْ قالوا: لا.

قلنا: هلْ أنتمْ أفصحُ في التَّعبيرِ عن المعاني من اللهِ؟

إنْ قالوا: نعمْ؛ كفرُوا.

وإنْ قالوا: لا.

خُصِمُوا، وقُلْنَا لهُمْ: إنَّ اللهَ بيَّنَ ذلكَ أبلغَ بيان، بأنَّ الأرضَ جميعًا قبضتُهُ يومَ القيامة، والرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم أقرَّ الحَبْرَ على ما ذَكَرَ فيما يُطابقُ الآيةَ، وهلْ أنتم أنصحُ من الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ لعبادِ اللهِ؟

فسيقولونَ: لا.

فإذا كانَ كلامُهُ تعالى أفصحَ الكلامِ وأصدقَهُ وأبْيَنَهُ، وأعلمَ بما يقولُ، لَزِمَ علينا أنْ نقولَ مثلَ ما قالَ عنْ نفسه، ولَسْنَا بمُذْنِبينَ، بل الذَّنبُ على مَنْ صرفَ كلامَهُ عنْ حقيقته الَّتي أرادَها اللهُ به.

ومن فوائد الحديث: إثباتُ الأصابعِ للهِ عزَّ وجلَّ؛ لإقرارِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ هذا الحَبْرَ على ما قالَ.

والإصبعُ إِصْبَعٌ حقيقيٌّ يليقُ باللهِ عزَّ وجلَّ كاليد، وليسَ المرادُ بقوله: (عَلَى إِصْبَعٍ)، سهولةَ التَّصرُّفِ في السَّماواتِ والأرضِ كما يقولُهُ أهلُ التَّحريف، بلْ هذا خطأٌ مُخَالفٌ لظاهرِ اللَّفْظِ والتقسيم، ولأنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ أثْبَتَ ذلكَ بإقرارِهِ، ولقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ».

وقوْلُهُ: (بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ) لا يَلْزَمُ من البَيْنِيَّةِ المُماسَّةُ، ألا ترى قَوْلَهُ تعالى: ﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ والسَّحابُ لا يَمَسُّ الأرضَ ولا السَّماءَ وهوَ بيْنَهُما، وتقولُ: (عُنَيْزَةُ بَيْنَ الزُّلْفِيِّ وَالرَّسِّ) ولا يَلْزَمُ أن تكونَ مُتَّصِلَةً بهِمَا.

وتقولُ: (شَعْبَانُ بَيْنَ ذي القَعْدَة وجُمَادَى) ولا يلزمُ أنْ يكونَ مُوَالِيًا لهُ.

فتبيَّنَ أنَّ البَيْنِيَّةَ لا تستلزمُ الاتِّصالَ في الزَّمانِ أو المكان.

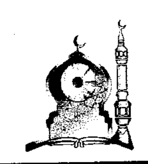
وكما ثبتَ عنهُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى يكونُ قِبَلَ وجهِ المصلِّي، ولا يَلْزَمُ من المقابلة أنْ يكونَ بيْنَهُ وبينَ الجدارِ أو السُّترةِ الَّتي يُصَلِّي إليها، فهوَ قِبَلَ وجهِهِ وإنْ كانَ على عَرْشِه، ومثالُ ذلكَ: الشَّمسُ حينَ تكونُ في الأُفُقِ عندَ الشروقِ والغروب، فإنَّ من المُمْكنِ أنْ تكونَ قِبَلَ وَجْهِكَ وهيَ في العُلُوِّ.

فتبيَّنَ بهذا أنَّ هؤلاءِ المحرِّفينَ على ضلال، وأنَّ مَنْ قالَ: إنَّ طريقتَهُم أعلمُ وأحكمُ، فقدْ ضلَّ.

(١٠) قولُهُ: (ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ) أيْ: هَزًّا حقيقيًّا، لِيُبَيِّنَ للعبادِ في ذلكَ الموقفِ العظيمِ عَظَمَتَهُ وقُدْرَتَهُ، وكانَ الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ يقرأُ هذهِ الآيةَ ويقبضُ أصابعَهُ ويَبْسُطُهَا، فصارَ المِنْبَرُ يتحرَّكُ ويهتزُّ؛ لأنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ كانَ يتكلَّمُ بهذا الكلامِ وقَلْبُهُ مملوءٌ بتعظيمِ اللهِ تعالى.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com





فإنْ قلتَ: هلْ نَفْعَلُ بأيدِينَا كما فعلَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ؟

فالجوابُ: إنَّ هذا يختلفُ بحسَبِ ما يترتَّبُ عليه، فلَيْسَ كلُّ مَنْ شاهَدَ أوْ سَمِعَ يَتقبَّلُ ذهْنُهُ ذلكَ بغيرِ أنْ يَشْعُرَ بالتَّمثيلِ، فينبغي أنْ نَكُفَّ؛ لأنَّ هذا ليسَ بواجبٍ حتَّى نقولَ: يَجبُ علَيْنا أنْ نُبَلِّغَ كما بلَّغَ الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ بالقولِ والفعلِ، أمَّا إذا كُنَّا نَتَكلَّمُ معَ طَلَبَةِ علْمٍ أوْ مَعَ إنسانٍ مُكَابِرٍ ينفي هذا ويُرِيدُ أنْ يُحَوِّلَ المعنى إلى غيرِ الحقيقةِ، فحينئذٍ نفعلُ كما فعلَ الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ.

فلوْ قالَ قائلٌ: إنَّ اللهَ سميعٌ بصيرٌ، لكنْ قالَ: سميعٌ بلا سَمْعٍ، وبصيرٌ بلا بصَرٍ، معَ أنَّ الرَّسولَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ حينَ قرأَ قولَهُ تعالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾وضعَ إبهامَهُ على أُذُنِه والتي تَليهَا على عَيْنِه، وأبو هريرةَ حينَ حدَّثَ بهِ كذلكَ، فهذا الإنسانُ الَّذي يقولُ: إنَّ اللهَ سميعٌ بلا سَمْعٍ، بصيرٌ بلا بصَرٍ، نقولُ لهُ هكذا.

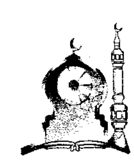
وكذلكَ الَّذي يُنْكِرُ حقيقةَ اليدِ، ويقولُ: إنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ السَّماواتِ بيمينِه، وإنَّ معنى (قَبْضَتُهُ) أيْ: في تصرُّفه، فهذا نقولُ لهُ كما فعلَ الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ.

فالمقامُ ليسَ بالأمرِ السَّهلِ، بلْ هوَ أمرٌ صعبٌ ودقيقٌ للغاية، فإنَّهُ يُخْشَى منْ أنْ يقعَ أحدٌ في محذورٍ كانَ بإمكانكَ أنْ تُمْسِكَ عنهُ، وهذا هوَ فعلُ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ في جميعِ تصرُّفاته إذا تأمَّلْتَهَا، حتَّى الأمورُ العمليَّةُ قدْ يُؤَجِّلُها إذا خافَ منْ فتنةٍ أوْ منْ شيءٍ أشدَّ ضررًا، كما أخَّرَ بناءَ الكعبةِ على قواعدِ إبراهيمَ خوفًا منْ أنْ يكونَ فتنةً لقريشٍ الَّذين أسْلَمُوا حديثًا.

(١١) قولُهُ: (**والماءَ والثَّرَى على إصبَعٍ**) هذا لا ينافي قولَهُ: (**الأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ**) لأنَّهُ يُقالُ: (**والماءَ والثَّرى على إصبَعٍ**) أي: الأرضَ كلَّها على إصبَعٍ، ويُرادُ بالأصبعِ الجنسُ، وإلاَّ لَتَناقَضَ معَ معنى الحديثِ الَّذي قَبْلَهُ «**الشَّجَرُ على إصْبَعٍ، والماءُ على إصبَعٍ، والثَّرى على إصْبَعٍ**» إذ النَّكرةُ إذا كُرِّرَتْ بلفظ النَّكرة، فالثَّاني غيرُ الأوَّلِ غالبًا، وإذا كُرِّرَتْ بلفظِ المعرفة فالثَّاني هوَ الأوَّلُ غالبًا، فيُقالُ: الماءُ والثَّرى كنايةٌ عن الأرضِ كلِّها، أوْ إنَّ الماءَ والثَّرى على إصبعٍ، وسكتَ عن الباقي، إمَّا اختصارًا أو اقتصارًا.

(١٢) قولُهُ: (**ولِمُسْلِمٍ عن ابنِ عمرَ مرفوعًا: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ...»**) سبقَ معنى هذا الحديثِ، وأنَّ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠



المرادَ بالطَّيِّ الطيُّ الحقيقيُّ.

قولُهُ: (**ثُمَّ يقولُ: أنا المَلِكُ**) يقولُ ذلكَ ثناءً على نفسه سبحانَهُ، وتنبيهًا على عظمته الكاملة، وعلى مِلْكه الكامل، وهوَ السُّلطانُ فهوَ مالكٌ ذو سلطان، وهذه الجملةُ كلا جُزْئَيْها معرفَةٌ، وإذا كانَ الخبرُ والمبتدأُ كلاهُما معرفَةً فإنَّ ذلكَ منْ طُرُقِ الحَصْرِ، أيْ: أنا الذي لي المِلْكيَّةُ المُطْلَقَةُ والسلطانُ التامُّ، لا يُنازعُني فيهما أحدٌ.

قولُهُ: (**أَينَ الجَبَّارونَ؟**) الاستفهامُ للتَّحدِّي، فيقولُ: أينَ المُلُوكُ الَّذين كانوا في الدُّنيا لهم السُّلطةُ والتَّجبُّرُ والتَّكبُّرُ على عبادِ اللهِ؟

وفي ذلكَ الوقتِ يُحْشَرونَ أمثالَ الذَّرِّ يَطَؤُهُم النَّاسُ بأقدامِهم.

قولُهُ: (**يَطْوِي الأَرَضِينَ السَّبعَ**) أشارَ اللهُ في القرآنِ إلى أنَّ الأَرَضِينَ سبعٌ، ولم يَرِد العددُ صريحًا في القرآن، قالَ تعالَى: {**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**}، والمماثلةُ هنا لا تَصِحُّ إلاَّ في العددِ؛ لأنَّ الكيفيَّةَ تَتَعذَّرُ المماثلةُ فيها، وأمَّا السُّنَّةُ فقدْ صرَّحَتْ بعدَّة أحاديثَ بأنَّها سبْعٌ.

قولُهُ: (**ثُمَّ يأْخُذُهُنَّ بشِمَالِه**) كلمةُ (**شِمَال**) اختَلَفَ فيها الرُّواةُ، فمنْهُم مَنْ أَثْبَتَها، ومنْهُم مَنْ أسقطَهَا، وقدْ حَكَمُوا على مَنْ أَثْبَتَها بالشُّذوذ؛ لأنَّهُ خالَفَ ثِقَتَيْنِ في رِوايَتِهَا عن ابنِ عُمَرَ.

ومنْهُم مَنْ قالَ: إنَّ نَاقِلَهَا ثِقَةٌ، ولكنَّهُ قالَها مِنْ تَصرُّفِه.

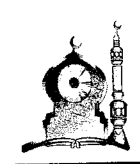
وأصلُ هذه التَّخْطِئَةِ هوَ ما ثَبَتَ في (**صحيحِ مسلمٍ**) أنَّ الرَّسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ قالَ: «**الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**» وهذا يقتضي أنَّهُ ليسَ هناكَ يَدٌ يمينٌ ويدٌ شِمَالٌ.

ولكنْ إذا كانَتْ لفْظَةُ (**شِمَالٍ**) محفوظةً، فهيَ عندي لا تُنافي «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**» لأنَّ المعنى أنَّ اليدَ الأخرى ليْسَتْ كَالْيَدِ الشِّمَالِ بالنِّسبةِ للمخلوقِ ناقصةً عن اليدِ اليُمنى، فقالَ: «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**» أيْ: ليسَ فيها نقصٌ.

ويُؤَيِّدُ هذا قولُهُ في حديثِ آدمَ: «**اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ**» فلمَّا كانَ الوَهْمُ يَذْهَبُ إلى أنَّ إثباتَ الشِّمالِ يعني النَّقصَ في هذه اليدِ دونَ الأخرى، قالَ: «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**».

ويُؤَيِّدُهُ أيضًا قولُهُ: «**الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ**» فإنَّ المقصودَ بَيانُ فضلِهم ومَرْتَبَتِهم وأنَّهم على يمينِ الرَّحمنِ سُبْحَانَهُ.

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail: afaq@afaqattaiseer.com



وعلى كُلٍّ فإنَّ يدَيْه سبحانَهُ اثنتانِ بلا شكٍّ، وكلٌّ واحدةٍ غيرُ الأخرى، وإذا وصَفْنَا اليدَ الأخرى بالشِّمالِ، فليسَ المرادُ أنَّها أقلُّ قوَّةً من اليدِ اليُمنى، بلْ كِلْتَا يديه يمينٌ.

والواجبُ عَلَيْنَا أنْ نقولَ: إنْ ثَبَتَتْ عنْ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ فَنحْنُ نُؤْمِنُ بها ولا مُنافاةَ بيْنَها وبينَ قولِه: «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**» كما سَبَقَ، وإنْ لَمْ تَثْبُتْ فلنْ نقولَ بها.

(١٣) قولُهُ: **(فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ)** هكذا ساقَهُ المُؤَلِّفُ، والذي في **ابنِ جريرٍ**: **(في يَدِ اللهِ)**، ففيما ساقَهُ المؤلِّفُ إثباتُ الكفِّ للهِ تعالى إنْ كانَ السياقُ محفوظًا، وإلاَّ ففيهِ إثباتُ اليدِ، أمَّا الكفُّ فقدْ ثبتَ في أحاديثَ أُخْرَى صحيحة.

قولُهُ: **(إلاَّ كَخَرْدَلَة)** هيَ حبَّةُ نباتٍ صغيرةٌ جدًّا، يُضرَبُ بها المثلُ في الصِّغَرِ والقِلَّةِ، وهذا يدلُّ على عظمته سبحانَهُ، وأنَّهُ سبحانَهُ لا يُحيطُ بهِ شيءٌ، والأمرُ أعظمُ منْ هذا التَّمثيلِ التَّقريبيِّ؛ لأنَّهُ تعالى لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ، ولا تُحيطُ به الأفهامُ.

(١٤) قولُهُ: **(قالَ ابنُ جريرٍ)** هوَ المفسِّرُ المشهورُ رَحمَهُ اللهُ، ولهُ تفسيرٌ أَثَرِيٌّ يعْتَمِدُ فيه على الآثارِ.

قولُهُ: **(ما السَّماواتُ السَّبْعُ في الكُرْسِيِّ إلاَّ كَدَرَاهِمَ سبعةٍ أُلْقِيَتْ في تُرْسٍ)** **(الكُرْسِيُّ)** موضعُ قَدَمَي اللهِ تعالَى، هكذا قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما، **والدراهِمُ**: جمعُ دِرْهَمٍ، وهوَ النَّقدُ مِن الفضَّةِ، **والتُّرْسُ**: شيءٌ مِنْ جِلدٍ أوْ خشَبٍ، ويُحمَلُ عندَ القتالِ يُتَّقَى به السيفُ والرمحُ ونحوُهُما.

(١٥) قولُهُ: **(مَا الكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ)** أيْ: بالنسبة إليه، **والعرشُ هوَ المخلوقُ العظيمُ الذي استوى عليه الرَّحْمَنُ**، ولا يُقَدِّرُ قَدْرَهُ إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ، والمرادُ بالحَلْقَةِ حلْقَةُ الدِّرْعِ، وهيَ صغيرةٌ وليسَتْ بشيءٍ بالنسبةِ إلى فَلاةِ الأرضِ.

وهذا الحديثُ يدلُّ على عظمتِهِ عزَّ وجلَّ، فيكونُ مناسبًا لتفسيرِ الآيةِ التي جعلَهَا المؤلِّفُ ترجمةً للبابِ.

(١٦) قولُهُ: **(وعَن ابنِ مسعودٍ...)** هذا الحديثُ موقوفٌ على **ابنِ مسعودٍ**، لكنَّهُ من الأشياءِ الَّتي لا مجالَ للرَّأْيِ فيها، فيكونَ لهُ حُكْمُ الرَّفعِ؛ لأنَّ **ابنَ مسعودٍ** رضيَ اللهُ عنهُ لَمْ يُعْرَفْ بالأخذِ عنِ الإسرائيليَّاتِ.

قولُهُ: **(بَيْنَ السَّماءِ الدُّنيا والَّتي تَليها خَمْسُمائَةِ عامٍ)** وعلى هذا تكونُ المسافةُ بينَ السَّماءِ الدُّنيا والماءِ أربعةَ آلافِ سنةٍ.

وفي حديثٍ آخَرَ: «**إنَّ كَثْفَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمائَةِ عَامٍ**» وعلى هذا يكونُ بينَ السَّماءِ الدُّنيا والماءِ سبعةُ آلافِ

http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠

وخمسمائة عام، وإنْ صحَّ الحديثُ فمعناهُ أنَّ عُلُوَّ اللهِ عزَّ وجلَّ بعيدٌ جدًّا.

وأمَّا قولُهُ: { وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا } فَيُمْكِنُ فيها التَّأويلُ أيضًا بأنْ يُقالَ: المرادُ بقولِه: { فِيهِنَّ } في جهتِهِنَّ، وجهَةُ السَّماواتِ العُلُوُّ، وحينئذٍ يُمْكِنُ الجمعُ بينَ الآياتِ والواقعِ.

قولُهُ: (وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ) هذا نصٌّ صريحٌ بإثباتِ عُلُوِّ اللهِ تعالى عُلُوًّا ذاتيًّا.

وعُلُوُّ اللهِ ينقسمُ إلى قسمَيْنِ:

الأول: عُلُوُّ الصِّفةِ: وهذا لا يُنْكِرُهُ أحدٌ ينتسبُ للإسلامِ، والمرادُ به كمالُ صفاتِ اللهِ، كما قالَ تعالى: { لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }.

الثاني: عُلُوُّ الذَّاتِ: وهذا أنْكَرَهُ بعضُ المنتسبينَ للإسلامِ فيقولونَ: كُلُّ العُلُوِّ الواردِ المضافِ إلى اللهِ المرادُ به عُلُوُّ الصِّفةِ، فيقولونَ في قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ: «وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ» أيْ: في القُوَّةِ والسَّيطرةِ والسُّلطانِ، وليسَ فوقَهُ بذَاتِهِ، ولا شكَّ أنَّ هذا تحريفٌ في النصوصِ وتعطيلٌ في الصفاتِ.

قال الحافظ الذهبي: (**وأول وقت سُمعت مقالة من أنكر أن الله تعالى فوق العرش: هو الجعد بن درهم، وكذلك أنكر جميع الصفات، فقتله خالد بن عبد الله القسري وقصته مشهورة**).

والَّذين أنْكَرُوا عُلُوَّ اللهِ بذاتِهِ انْقَسَمُوا إلى قسمَيْنِ:

الأول: مَنْ قالَ: إنَّ اللهَ بذاته في كلِّ مكانٍ، وهذا لا شكَّ ضلالٌ مُقْتَضٍ للكفرِ.

الثاني: مَنْ قالَ: إنَّهُ لا فَوْقٌ ولا تَحْتٌ، ولا يَمينٌ ولا شِمَالٌ، ولا مُتَّصِلٌ بالخلقِ ولا مُنْفَصِلٌ عن الخلقِ، وهذا إنْكَارٌ محضٌ لوجودِ اللهِ، والعياذُ باللهِ؛ ولهذا قالَ بعضُ العلماءِ: لوْ قيلَ لَنَا: صِفُوا العدمَ، ما وَجَدْنَا أَبْلَغَ منْ هذا الوصفِ.

فَفَرُّوا منْ شيءٍ دَلَّتْ عليه النُّصوصُ والعقولُ والفطَرُ إلى شيءٍ تُنْكِرُهُ النُّصوصُ والعقولُ والفطَرُ.

قولُهُ: (لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ) يشملُ أعمالَ القلوبِ وأعمالَ الجوارحِ؛ المرئيَّ منها والمسموعَ، وذلكَ لعمومِ علمه وَسَعَتِه، وإنَّما أَتَى بذلكَ بعدَ ذكْرِ عُلُوِّهِ لِيُبَيِّنَ أنَّ عُلُوَّهُ لا يَمْنَعُ عِلْمَهُ بأعمالِنَا، وهوَ إشارةٌ

واضحَةٌ إلى عُلُوِّ ذاتِه تبارَكَ وتعالَى.

(١٧) قولُهُ: (العبَّاسِ) يُقالُ: العبَّاسُ، وعبَّاسٌ، و(أَلْ) هنا لا تُفيدُ التَّعريفَ؛ لأنَّ عبَّاسًا مَعْرِفَةٌ لكونِه عَلَمًا، لكنَّها لِلَمْحِ الأصلِ، كما يُقَالُ: الفضلُ، لفضلِه، والعبَّاسُ لِعُبُوسِه على الأعداءِ.

قال ابنُ مَالِكٍ:

وبعضُ الأعلامِ عليه دَخَلا ... لِلَمْحِ ما قدْ كانَ عنهُ نُقِلا

قوْلُهُ: (هَلْ تَدْرُونَ) (هل) استفهاميَّةٌ، يُرَادُ بها أمْرَانِ:

أحدهما: التَّشويقُ لما سَيَذْكُرُ.

والآخر: التَّنبيهُ إلى ما سَيُلْقيه عليهم، وهذا كقولِه تعالى: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ }، هذا تنبيهٌ وتشويقٌ إلى شيءٍ منْ آياتِ اللهِ الكونيَّةِ، وقولِه تعالى: { هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } هذا تنبيهٌ وتشويقٌ إلى شيءٍ منْ آياتِ اللهِ الشَّرعيَّةِ، وهو الإيمانُ والعملُ الصَّالِحُ، وقولِه: { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا } تنبيهٌ وتحذيرٌ، وقولِه: { هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ } تنبيهٌ وتحذيرٌ.

واختلافُ هذه المعاني بحسَبِ القرائنِ والسياقِ، وإلاَّ فالأصلُ في الاستفهامِ أنَّهُ طلبُ العلمِ بالشيءِ.

قولُهُ: (كَمْ) استفهاميَّةٌ.

قولُهُ: (قُلنا: **اللهُ ورسولُهُ أعْلَمُ**) جاءَ العطفُ بالواوِ؛ لأنَّ عِلْمَ الرَّسولِ منْ عِلْمِ اللهِ، فهوَ الَّذي يُعَلِّمُهُ بما لا يُدْرِكُهُ البشرُ.

وكذلكَ في المسائلِ الشَّرعيَّةِ يُقَالُ: اللهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ؛ لأنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّم أَعْلَمُ الخلقِ بشرعِ اللهِ، وعِلْمُهُ بِهِ مِنْ عِلْمِ اللهِ، وما قالَهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في الشرعِ فهوَ كقولِ اللهِ.

وليسَ هذا كقولِه: **ما شاءَ اللهُ وشئْتَ**؛ لأنَّ هذا في بابِ القدَرِ والمشيئةِ، ولا يُمْكِنُ أنْ يُجْعَلَ الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ مشاركًا للهِ في ذلكَ، بلْ يُقَالُ: ما شاءَ اللهُ، ثمَّ يُعْطَفُ بـ(ثُمَّ) والضابطُ في ذلكَ أنَّ الأمورَ الشرعيَّةَ يصِحُّ فيها العطفُ بالواوِ، وأمَّا الكونيَّةُ فلا.

ومِنْ هنا نعرفُ خطأَ وجهلَ مَنْ يَكْتُبُ على بعضِ الأعمالِ: { وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ }

بعدَ موتِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ وتعذُّرِ رُؤْيَتِه؛ فاللهُ يرى، ولكنَّ رسولَهُ لا يرى، فلا تجوزُ كتابَتُهُ؛ لأنَّهُ كَذِبٌ عليه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ.

قولُهُ: (**خَمْسمائَة سَنَة**) الميمُ الثَّانيةُ في خمسمائة مكسورةٌ، والألفُ لا يُنْطَقُ بها.

قولُهُ: (**وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِه وَأَعْلاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**) وذلكَ خمْسُمائةِ سنة.

قولُهُ: (**واللهُ تعالى فوقَ ذلكَ**) هذا دليلٌ على العُلُوِّ العظيمِ للهِ عزَّ وجلَّ، وأنَّهُ سبحانَهُ فوقَ كلِّ شيءٍ، ولا يُحيطُ بهِ شيءٌ منْ مخلوقاته، لا السَّماواتُ ولا غيْرُهَا.

وعليه فإنَّهُ سبحانَهُ لا يُوصَفُ بأنَّهُ في جهةٍ تُحيطُ بهِ؛ لأنَّ ما فوقَ السَّماواتِ والعرشِ عَدَمٌ، ليسَ هناكَ شيءٌ حتَّى يُقالَ: إنَّ اللهَ أحاطَ بهِ شيءٌ منْ مخلوقاته.

ولهذا جاءَ في بَعْضِ كُتُبِ أهلِ الكلامِ يقولونَ: لا يجوزُ أنْ يُوصَفَ اللهُ بأنَّهُ في جهةٍ مطلَقًا، ويُنْكِرُونَ العُلُوَّ ظنًّا منهمْ أنَّ إثباتَ الجهةِ يستلزمُ الحصْرَ.

وليسَ كذلكَ؛ لأنَّنا نَعْلَمُ أنَّ ما فوقَ العرشِ عَدَمٌ لا مخلوقاتِ فيه، ما ثَمَّ إلاَّ اللهُ، ولا يُحيطُ بهِ شيءٌ منْ مخلوقاتِهِ أبدًا.

فالجهةُ إثباتُهَا للهِ فيهِ تفصيلٌ، أمَّا إطلاقُ لفظِهَا نفيًا وإثباتًا فلا نقولُ بهِ؛ لأنَّهُ لم يَرِدْ أنَّ اللهَ في جِهَةٍ، ولا أنَّهُ ليسَ في جهةٍ، ولكنْ نُفصِّلُ فنقولُ: إنَّ اللهَ في جِهَةِ العُلُوِّ؛ لأنَّ الرَّسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ قالَ للْجَارِيَةِ: «**أَيْنَ اللهُ؟**» و (أينَ) يُستَفْهَمُ بها عن المكانِ، فقالَتْ: في السَّماءِ.

فأثبَتَتْ ذلكَ، فأقرَّها النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عليه وقالَ: «**أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**».

وأهلُ التَّحريفِ يقولونَ: (أينَ) بمعنى (مَنْ)، أيْ: (مَن اللهُ؟) قالَتْ: في السَّماءِ، أيْ: هوَ مَنْ في السَّماءِ، ويُنْكِرُونَ العُلُوَّ.

وقدْ رَدَّ عليْهِم ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في كُتُبِهِ، ومنها (النُّونيَّةُ)، وقالَ لهم: (**اللُّغَةُ العربيَّةُ لا تأتي فيها (أين) بمعنى (مَنْ)، وفرْقٌ بينَ (أينَ) و(مَنْ)**) .

فالجهةُ للهِ ليستْ جهةَ سُفْلٍ؛ وذلكَ لوجوبِ العُلُوِّ له فطرةً وعقلاً وسمعًا، وليستْ جهةَ عُلُوٍّ تحيطُ به؛ لأنَّه تعالى وَسِعَ كرسيُّهُ السَّماواتِ والأرضَ، وهوَ موضعُ قدميه، فكيفَ يُحيطُ به تعالى شيءٌ منْ مخلوقاتِه؟!

فهوَ في جهةِ عُلُوٍّ لا تُحيطُ به، ولا يُمكنُ أنْ يُقالَ: إنَّ شيئًا يُحيطُ به؛ لأنَّنا نقولُ: إنَّ ما فوقَ العرشِ عدمٌ، ليسَ ثَمَّ إلاَّ اللهُ سبحانَهُ؛ ولهذا قالَ: «واللهُ تعالى فوقَ ذلكَ».

قولُهُ: (وليسَ يخفى عليهِ شيءٌ منْ أعمالِ بني آدمَ) وقولُهُ: (أعمال) إنْ قُرِنَتْ بالأقوالِ صارَ المرادُ بها أعمالَ الجوارحِ، والأقوالُ باللسانِ، وإنْ أُفرِدَتْ شَمِلَتْ أعمالَ الجوارحِ وأقوالَ اللِّسانِ وأعمالَ القلوبِ، وهيَ هنا مفردةٌ فتشمَلُ كلَّ ما يَتعلَّقُ باللِّسانِ أو القلبِ أو الجوارحِ، بلْ أبلغَ منْ ذلكَ أنَّهُ لا يخفى عليه شيءٌ منْ أعمالِ بني آدمَ في المستقبلِ، فهو يَعْلَمُ ما يكونُ فضلاً عمَّا كانَ، قالَ تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أيْ: ما يستقبلُونَهُ وما مضى عليْهِمْ، ولمَّا قالَ فرعونُ لموسى: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ أيْ: ما شأنُها؟

قالَ: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ أيْ: محفوظةٌ، ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ لا يجهَلُ، ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ لا يَذْهَلُ عمَّا مضى سُبْحانَهُ وتعالى.

والنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ صَدَّرَ هذا الأمرَ بـــ(هلْ) الدَّالَّةِ على التَّشويقِ والتَّنبيهِ، منْ أجْلِ أنْ يُثْبِتَ عقيدةً عظيمةً، وهوَ أنَّهُ تعالى فوقَ كلِّ شيءٍ بذاتِهِ، وأنَّهُ مُحيطٌ بكلِّ شيءٍ في عِلْمِه؛ لِقَوْلِهِ: «وليسَ يخفى عليهِ شيءٌ منْ أعمالِ بني آدمَ» فإذا عَلِمْنا ذلكَ أَوجبَ لنا تعْظيمَهُ، والحذرَ منْ مُخالفتِهِ؛ لأنَّهُ فوْقَنا، فهوَ عالٍ عَلَيْنا وأمرُهُ مُحيطٌ بِنَا.

وفي الحديثِ صفتانِ للهِ:

الأولى: ثبوتيَّةٌ وهيَ العُلُوُّ المستفادُ منْ قولِهِ: «واللهُ فوقَ ذلكَ».

والثانية: سلبيَّةٌ المستفادةُ منْ قولِهِ: «ليسَ يخفى عليهِ شيءٌ منْ أعمالِ بني آدمَ» ولا يُوجَدُ في صفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ صفةٌ سلبيَّةٌ مَحْضَةٌ، بلْ صفاتُهُ السَّلبيَّةُ الَّتي هيَ النَّفيُ متضمِّنةٌ لثبوتِ ضدِّها على وجْهِ الكمالِ، فيُنْفَى عنهُ الخفاءُ

لكمالِ علمِه، ويُنْفَى عنهُ اللُّغوبُ لكمالِ قُوَّتِه، ويُنْفَى عنهُ العجزُ لكمالِ قُدْرَتِه، وما أشبهَ ذلكَ.

فإذًا إذا نَفَى اللهُ عنْ نفسِه شيئًا من الصِّفاتِ فالمرادُ انتفاءُ تلكَ الصِّفةِ عنهُ لكمالِ ضدِّهَا، كما قالَ تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ السِّنَةُ: النُّعاسُ، والنَّومُ: الإغفاءُ العميقُ، وذلكَ لكمالِ حَيَاتِه وقَيُّوميَّتِه؛ إذ لوْ كانَ ناقصَ الحياةِ لاَحْتَاجَ إلى النَّومِ، ولوْ نامَ ما كانَ قَيُّومًا على خلْقِه؛ لأنَّهُ حينَ ينامُ لا يكونُ هناكَ مَنْ يقُومُ عليهم؛ ولهذا كانَ أهلُ الجنَّةِ لا ينامونَ لكمالِ حياتِهم؛ ولأنَّ النَّومَ في الجنَّةِ يُذْهِبُ عليهم وقتًا بلا فرَحٍ ولا سُرورٍ ولا لذَّةٍ؛ لأنَّ السُّرورَ فيها دائمٌ، ولأنَّ النَّومَ هوَ الوفاةُ الصُّغرى، والجنَّةُ لا مَوْتَ فيها.

وليسَ في صفاتِ اللهِ نفيٌ مَحْضٌ؛ لأنَّ النفيَ المحضَ عدمٌ لا ثناءَ فيه ولا كمالَ، بلْ هوَ لا شيءَ؛ ولأنَّ النَّفيَ أحيانًا يَرِدُ لكونِ المَحلِّ غيرَ قابلٍ لهُ، مثلَ قولِكَ: الجدارُ لا يَظْلِمُ.

وقدْ يكونُ نفيُ الذَّمِّ ذمًّا، كما في قولِه:

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ ... ولا يظلمونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

فنفيُ الغدرِ عنهم والظلمِ ليسَ مَدْحًا، بلْ هوَ ذمٌّ يُنبِئُ عنْ عجزِهم وضعفِهم.

وقالَ آخرُ:

لكنَّ قَوْمي وإنْ كانوا ذوي عددٍ ... لَيْسُوا من الشَّرِّ في شيءٍ وإنْ هَانَا

يَجْزُونَ منْ ظُلْمِ أهلِ الظُّلْمِ مغفرةً ... ومنْ إساءةِ أهْلِ السُّوءِ إحسانَا

كأنَّ ربَّكَ لمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِه ... سِواهُمْ منْ جَميعِ الناسِ إنسانَا

فَلَيْتَ لي بهمْ قَوْمًا إذا ركِبُوا ... شَنُّوا الإغارةَ رُكْبَانًا وفُرْسَانَا

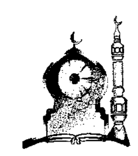
فَنَفَى أنْ يكونَ لهم يَدٌ في الشرِّ، وبيَّنَ أنَّ ذلكَ لعجزِهم عن الانتصارِ لأنفسِهم، وتمنَّى أنْ يكونَ لهُ قَوْمٌ خَيْرٌ منْهُم وأقْوَى.

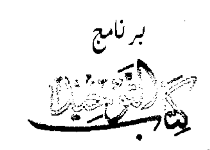
فيهِ مسائلُ:

(١٨) **الأولى:** (تفسيرُ قولِه تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾) وقدْ تقدَّمَ منْ حديثِ ابنِ مسعودٍ

المملكة العربية السعودية - الرياض ١١٣١٣ - ص.ب: ٣٦١٤٤٩
فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٢٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
http://www.afaqattaiseer.com
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com







حيثُ أقرَّ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّمَ الحَبْرَ على ذلكَ، أنَّ اللهَ يجعلُ السَّماوَاتِ على إصبعٍ... إلخ.

(١٩) **الثَّانيةُ:** (**أنَّ هذه العلومَ وأمثالَها باقيَةٌ عندَ اليهودِ الَّذينَ في زَمَنه صلَّى الله عليه وسلَّمَ لَمْ يُنْكِرُوها ولَمْ يتأَوَّلُوها**) كأنَّهُ يقولُ: إنَّ اليهودَ خيْرٌ منْ أولئكَ المحرِّفينَ لها؛ لأنَّهم لم يُكذِّبُوها، ولم يتأوَّلُوها، وجاءَ قومٌ منْ هذهِ الأمَّةِ فقالوا: ليسَ للهِ أصابعُ، وإنَّ المرادَ بها القُدْرَةُ، فكأنَّهُ يقولُ: اليهودُ خيرٌ منْهُمْ وأعرفُ باللهِ.

(٢٠) **الثالثةُ:** (**أنَّ الحَبْرَ لَمَّا ذكَرَ للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ صدَّقَهُ، ونَزَلَ القرآنُ بتقريرِ ذلكَ**) ظاهرُ كلامِ المؤلِّفِ بقولِهِ: (**وَنَزَلَ القرآنُ**) أنَّهُ بعدَ كلامِ الحَبْرِ، وليسَ كذلكَ؛ لأنَّهُ في حديثِ ابنِ مسعودٍ قالَ: ثمَّ قرأَ قوْلَهُ: **{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}** وهذا يدلُّ على أنَّ الآيةَ نزلَتْ مِنْ قَبْلُ، لكنَّ مرادَ المؤلِّفِ أنَّ القرآنَ قدْ نَزَلَ بتقريرِ ذلكَ.

(٢١) **الرَّابعةُ:** (**وُقُوعُ الضَّحِكِ من الرسولِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ لَمَّا ذَكَرَ الحَبْرُ هذا العِلْمَ العظيمَ**) ففيهِ دليلٌ على جوازِ الضَّحِكِ في تقريرِ الأشياءِ؛ لأنَّ الضَّحِكَ يدُلُّ على الرِّضا وعدمِ الكراهيَةِ.

(٢٢) **الخامسةُ:** (**التَّصريحُ بذكْرِ اليدَيْنِ، وأنَّ السماواتِ في اليَدِ اليُمنى، والأرَضِينَ في الأخرى**) وقدْ ثبَتَت اليدانِ للهِ تعالى بالكتابِ والسنَّةِ وإجماعِ السَّلَفِ.

وقولُهُ: (**في الأُخرى**) لا يعني أنَّهُ ينْفِي ذِكرَ الشِّمالِ لِمَا ذكَرَهُ في المسألةِ التاليَةِ، وهيَ:

(٢٣) **السَّادِسةُ:** (**التَّصريحُ بتسميَتِها الشِّمالَ**) وقدْ سبقَ الكلامُ على ذلكَ.

(٢٤) **السَّابعةُ:** (**ذِكْرُ الجَبَّارينَ والْمُتكبِّرينَ عنْدَ ذلِكَ**) وَوَجْهُ ذكرِهم أنَّهُ إذا كانَ لهم تجبُّرٌ وتكبُّرٌ الآنَ فليَقُومُوا بذلكَ.

(٢٥) **الثَّامنةُ:** (**قَوْلُهُ: (كَخَرْدَلَةٍ في كَفِّ أَحَدِكُمْ)**) يعني بذلكَ: قولَهُ في الحديثِ: «**مَا السَّمَاواتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحمنِ إِلاَّ كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ**» هكذا قالَ المُؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ تعالَى في كَفِّ أحدِكُمْ، وقدْ ساقَ الأثرَ بقولِه: (**كَخَرْدَلَةٍ فِي يدِ أَحَدِكُم**).

(٢٦) **التَّاسعةُ:** (**عِظَمُ الكُرْسِيِّ بالنِّسْبَةِ إلى السَّماءِ**) حيثُ ذكرَ أنَّها بالنِّسبةِ للكرسيِّ كدراهمَ سبعةٍ أُلْقِيَتْ في تُرْسٍ.

(٢٧) **العاشِرةُ:** (**عِظَمُ العَرْشِ بالنِّسْبةِ إلى الكُرْسيِّ**) لأنَّهُ جعَلَ الكرسيَّ كحلْقَةٍ أُلْقِيَتْ في فَلاةٍ من الأرضِ

فاكس: ٤٥٤٩٩٦٨ هاتف: ٤٥٣٢٢٩٩ - ٤٥٤٨٩٢٦ جوال: ٠٥٥٢٨٠٧٣٠
E-Mail:afaq@afaqattaiseer.com

بالنسبَةِ للعرْشِ.

(٢٨) **الحادية عشرة: (أنَّ العرشَ غَيْرُ الكُرْسِيِّ والماءِ)** ولَمْ أرَ مَنْ قالَ: إنَّ العرشَ هوَ الماءُ، لكنْ هناكَ مَنْ قالَ: إنَّ العرشَ هوَ الكرسيُّ؛ لحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَضَعُ كُرْسِيَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وظنُّوا أنَّ هذا الكرسيَّ هوَ العرشُ؛ وكذلكَ زعَمَ بعضُ النَّاسِ أنَّ الكرسيَّ هوَ العِلْمُ، فقالُوا في قولِهِ تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أيْ: عِلْمُهُ، والصَّوابُ أنَّ الكرسيَّ مَوْضِعُ القدميْنِ، والعرشَ هوَ الَّذي استوى عليهِ الرَّحْمنُ سبحانَهُ، والعلْمَ صفَةٌ في العالِمِ يُدْرِكُ بها المَعْلُومَ.

(٢٩) **الثَّانية عَشْرَة: (كَمْ بَيْنَ كُلِّ سماءٍ إلى سماءٍ، وهوَ خَمْسُمائة عامٍ).**

(٣٠) **الثَّالثة عشرة: (كَمْ بينَ السماءِ السَّابعة والكُرسيِّ، وهوَ خَمْسُمائَة عامٍ).**

(٣١) **الرَّابعة عشرة: (كَمْ بينَ الكُرسيِّ والماءِ، وهوَ خَمْسُمائَة عامٍ).**

(٣٢) **الخامسة عشرة: (أنَّ العرشَ فوقَ الماءِ، وهيَ ظاهرةٌ).**

(٣٣) **السَّادسة عشرة: (أنَّ اللهَ فوقَ العرْشِ، وهيَ ظاهرةٌ).**

(٣٤) **السَّابعة عشرة: (كَمْ بينَ السَّماءِ والأرضِ، وهوَ خَمْسُمائَة عامٍ).**

(٣٥) **الثَّامنة عشرَة: (كِثَفُ كُلِّ سماءٍ خَمْسُمائَة سنة).**

(٣٦) **التَّاسعة عشرة: (أنَّ البحرَ الَّذي فوقَ السَّماواتِ بينَ أسْفَلِه وَأَعْلاَهُ خَمْسُمائَة سَنةٍ).**

وقدْ سبَقَ الكلامُ على جميعِ هذه المسائلِ بأدلَّتِها.

واللهُ أعلمُ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّنا **محمَّدٍ**، وأسألُ اللهَ أنْ يَخْتِمَ لنا ولَكُمْ بالتَّوحيدِ، آمينَ.

